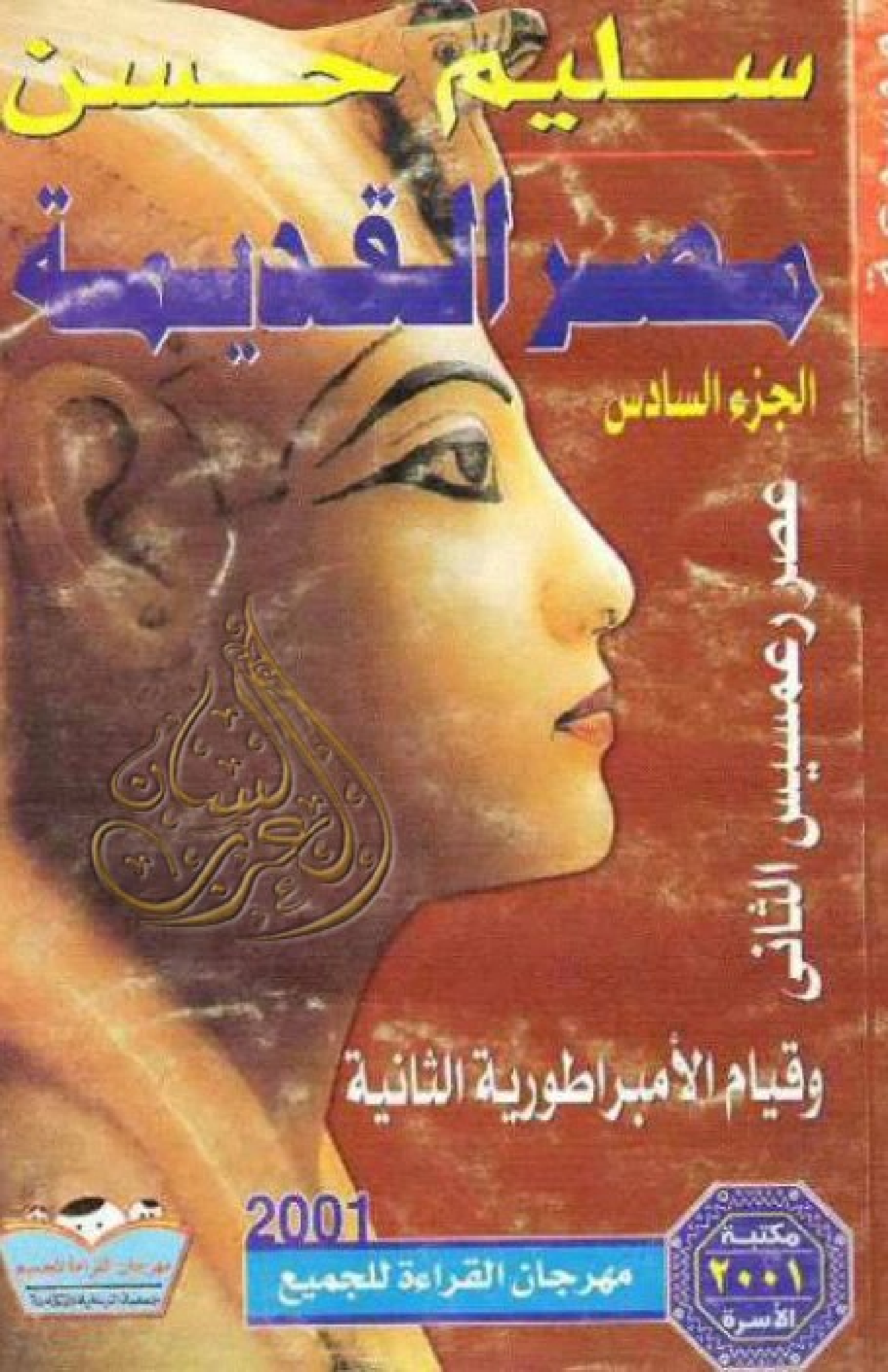
سليم حسن

مصر القديمة

الجزء السادس

عصر رعمسيس الثاني وقيام الأمبراطورية الثانية



2001
مهرجان القراءة للجميع
مكتبة الأسرة
٢٠٠١

مصر القديمة

تأليف

سليم حسن

الجزء السادس

عصر رعمسيس الثانى وقيام الامبراطورية الثانية

الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٢

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

كانت نهاية الأسرة الثامنة عشرة — وهى آخر مرحلة وصلنا إليها فى الجزء السالف — فاتحة عصر جديد فى تاريخ مصر وسياستها فى الداخل وفى الخارج ، وهو عصر قيام الامبراطورية الثانية على يد سلسلة من الفراعنة الأماجد .

فقد قضى «حور محب» على النظام الدينى الذى اصطفاه « إخناتون » ، وكان يعدّ فى جوهره وثبة قوية نحو عقيدة التوحيد الحقة ، فرجعت البلاد ثانية إلى دياناتها التقليدية العتيقة التى ارتضتها لنفسها منذ فجر التاريخ . قاد هذه الحركة الرجعية «حور محب» آخر ملوك هذه الأسرة، فأعاد الأمور إلى نصابها، وسنّ من القوانين الرادعة ما ضرب به على أيدى العابثين ، فاستقر الأمن بعد أن اختلت موازينه فى البلاد .

ولقد أراد أن يرأب صدع امبراطوريته من الخارج، وأن يعيد إليها أملاكها الضائعة ولكن الموت أسرع إلى اختطافه فمات قبل أن يحقق ما كان يعتلج بين جوانحه من آمال .

وقد خلفه على العرش قائده ووزيره الأكبر وولى عهده الذى أحسن تدريبه قبل وفاته على سياسة الملك ونعنى به « رعمسيس الأول »، وقد أنجب سلسلة من الفراعنة العظام لا ينتسبون من بعيد أو قريب إلى فراعنة الأسرة الثامنة عشرة الذين دبت فى أجسامهم عقارب الترف، ودلف إلى نفوسهم الوهن وانحلال الأخلاق فطواهم الدهر وذرتهم أعاصير الفناء .

نبتت أسرة « رعمسيس » فى مقاطعة « ستوريت » فى شمال « الدلتا » ولقد خلف « رعمسيس » على العرش ملكان يعدّان من أمجد الفراعنة الذين ولوا أمر

الكائنة وهما « سيتى الأوّل » وابنه « رعمسيس الثانى » وهما المحور الذى يدور حوله بحثنا فى هذا الجزء من الكتاب .

ولقد تمت فى عهد هذه الأسرة أعمال عظيمة ميزتها فى التاريخ المصرى على الرغم من قصر عهد ملوكها ، ويبتدئ عهدها فى نحو سنة عشرين وثلثمائة وألف قبل الميلاد . ويعتبر هذا العهد تجديدا فى الدم الملكى المصرى ؛ فهذه الأسرة العريقة التى وضعت حدّا للتناحر حول سرير الملك وتربعت على عرش «حور» تنتمى إلى شمال «الدلتا» ونسلت من أصول كانت فى خدمة الإله «ست» إلههم المحلى، ذى السمعة السيئة فى سائر البلاد الذى قتل أخاه «أوزير» صاحب الخلق الرفيع والسمات الفاضلة .

وما عهدنا من قبل أن تجئ فراعين البلاد من هذه الطريق ، بل كانوا ينحدرون من أصل « منفى » أو من أرومة « طيبة » ، أو يترعرعون فى مقاطعات مصر الوسطى بين « قفط » و « الفيوم » .

وأوّل من قام بأعباء الحكم فى هذه الأسرة الجديدة كما نعلم رجل حنكته تجارب السنون ، وصهرت أخلاقه الأحداث الجسام التى انصبت على البلاد فى عهد الانتقال ، ذلكم هو « رعمسيس الأوّل » الذى كان أوّل حياته قائدا ووزيرا للفرعون « حور محب » ، واعتلى عرش الملك بعد وفاة سيده مباشرة ، وقد سار بالبلاد قدما فى طريق الإصلاح على النهج الذى رسمه له «حور محب» ، فكان أوّل ما وجه إليه عنايته إعلاء شأن الإله « آمون » بمشايعة كهنته ومؤازرتهم ، والعمل على ردّ سلطانهم ، فأسس قاعة العمد العظيمة بالكرنك التى تعدّ نسيج وحدها بين المبانى الدينية التى خلفها لنا الفراعنة ، وقد غلبت الزمن وبقيت حتى الآن ثابتة فى مكانها ، برهانا بينا على النهضة الجديدة التى قام بها فراعنة هذه الأسرة الأماجد ، غير أن القدر المحتوم لم يطل فى عمر « رعمسيس الأوّل » ليتم هذه القاعة الفخمة ، وليسير قدما بالبلاد نحو تحقيق أغراضها ، إذ كان قد تولى الحكم وهو فى شيخوخته ولكنه مع ذلك كان قد أعدّ للأمر عدّته ، فأشرك معه فى حكمه القصير ابنه

« سيتى الأول » الذى كان آنذاك مكتمل الرجولة ، فى الحلقة الرابعة من عمره أو يزيد، ولا نزاع فى أنه قد حضر الدور الهام الذى لعبه « حور محب » فى العمل على إعادة بنيان الامبراطورية التى كانت قد تداعت وذهب ريحها ، فرأى نظم الإصلاح التى سنها لإعادة الأمن فى الداخل، كما لمس السياسة التى انتهجها ليردّ إلى مصر اعتبارها وهيبتها فى الخارج، وكان « سيتى » نفسه قد تربى تربية عسكرية من الطراز الأول، وتحدثنا الآثار أنه كان قائدا محنكا قبل أن يتولى الملك، إذ قاد الجيوش لمحاربة أعداء والده . ولما حضرت « رعمسيس الأول » الوفاة كان راضيا مطمئنا على مصير البلاد التى خلقها من جديد، لأنه ترك من خلفه شبلا كان يجمع بين الجندية والسياسة، والتدين وإصالة الرأى فى تسيير أمور الدولة، وسيرى القارئ أن « سيتى الأول » كان حاكما من الطراز الأول ركز همته فى إعادة النظام « ماعت » الذى كانت قد عصفت به الأهواء مدّة الانقلاب، وبخاصة بعد وفاة « إخناتون » ، وهو ذلك القانون الذى سنه الإله «رع» أول من حكم على الأرض كما حدثتنا بذلك الأساطير المصرية، وقوامه العداله والصدق والحق، وتأدية الواجب على الوجه الأكمل دون تقصير أو تراخ، وهو الذى سارت على سننه كل فراعنة مصر حتى أن من يحيد عن سبيله لا يكون جديرا بأن يدعى «ابن رع»، وقد ارتضى المصريون هذا النظام عن طيب خاطر، وقنعوا بالملكية نظام حكم لهم طوال مدّة تاريخهم ، اللهم إلا فترات انحرف فيها الملوك عن «ماعت» فانفض الشعب من حولهم وهبت فى وجوههم الثورات تطالب بعدالة «ماعت» التى كانت غذاء الآلهة وقوام حياتهم، كما كانت طعام الشعب وعماد حياته، ولا غرابة إذن فى أن نرى الشعب المصرى كان يخضع للفراعنة خضوعا تاما، ويعتقد أن ما كانوا ينطقون به هو الصواب الذى لا مرية فيه، لأنه جاء من وحى « ماعت » التى سنها « رع » أول من حكم العالم، ثم سار على نهجها الفراعنة من بعده . من أجل ذلك نرى فى الصور الفرعونية أن أهم قربان وأثمن هدية يقدّمها الفرعون للآلهة هى صورة « ماعت » التى تمثل

فى هيئة آمرأة ترتدى على رأسها ريشة يرمز بها للعدالة (ماعت)، وكثيرا ما نشاهد « سيتى الأوّل » يقدّمها للآلهة، كما أنه لزاما على كل قاض ممن يفصلون فى قضايا الشعب أن يحلى صدره بصورة « ماعت »، وعند النطق بالحكم كان يقبض على هذه الصورة بيده، ويتجه بها نحو من فى جانبه الحق فكأنه يقول له: " إن العدالة فى جانبك " .

وعلى هدى « ماعت » سار « سيتى » فى حكم البلاد فأسعد أهلها وأرضى آلهتها، وبذلك استتب له النظام فى الداخل مما هيأ له القيام بتنفيذ الخطة التى رسمها لإعادة الإمبراطورية المصرية شمالا وجنوبا كرة أخرى .

وقد كان أوّل ماقام به فى الداخل هو إعادة مجد الآلهة الذين خذلهم «اخناتون» وقضى على عبادتهم جملة فى أنحاء الامبراطورية، وبخاصة عبادة الآلهة « آمون » و « أوزير » و « بتاح »، فأقام معبدا فخما « بالعرابة المدفونة » وهو المعروف بمعبد «سيتى» الآن ورصده لعبادة «أوزير» أوّلا، وكذلك أقام فيه محاريب للآلهة «آمون» و « حور » و « إزيس » و « بتاح » و « حور اختى» ولنفسه . ونقوش هذا المعبد وحسن تنسيقه وفنه الرفيع تعدّ من آيات الفن الذى خلفه لنا عصر الرعامسة، والطريف المدهش فى أمر « سيتى الأوّل » أنه ينتسب باسمه للإله « ست » الذى كان معبود مقاطعته المحلى ومع ذلك لم يفرد محرابا لعبادة هذا الإله كما أفرد لغيره من المحاريب فى معبد «العرابة المدفونة»، ولعله كان يقصد بذلك عدم إغضاب أتباع «أوزير» الذى كان تعلقه وتعلق الشعب به عظيما حتى أنه أقام لنفسه ضريحا بالعرابة قبلة المصريين بالقرب من ضريح «أوزير»، هذا إلى أنه كان يعدّ نفسه بمثابة «حور» الذى خلف والده على عرش الملك، وبخاصة إذا علمنا أن «سيتى الأوّل» لم يكن من دم ملكى، فاتخذ من تعظيم « أوزير » سندا يعاضده فى ادّعائه عرش الملك، ولم يقصر « سيتى » همه على إقامة هذه المبانى الفذة، بل قام بإصلاحات شاملة عظيمة فى المبانى المقدّسة بالعرابة، وأوقف عليها الأوقاف الضخمة فى بلاد

النوبة التى كانت على ما يظهر مزدهرة وقتئذ بالمزارع اليانعة ، وتزخر بكل أنواع الطيور والحيوان ، وقد سنّ القوانين لحمايتها من يد العابثين ، وكذلك استخرج الذهب من بلاد النوبة للإنفاق عليها بعد أن عبد الطرق المؤدّية الى المناجم وأمدّها بالمياه والمؤن لحماية العمال وهو فى كل ذلك كان يراعى مصالح العمال والفلاحين ، إذ كان يمدّهم بالغذاء والكساء والماء لدرجة تسترعى الأنظار فى حسن المعاملة ، ونجد كل ذلك مدوّنا على جدران معبد الرديسية الذى أقامه بالقرب من مناجم الذهب فى الصحراء الشرقية على مسافة قريبة من مدينة «ادفو» وكذلك على اللوحة التى أقامها فى بلدة «نورى» من أعمال بلاد النوبة . ولم يقتصر «سيتى» على إقامة المبانى الضخمة للآلهة ولنفسه بل أخذ كذلك على عاتقه إصلاح ما خرّبه « إخناتون » خلال مدّة حكمه عندما قام بحملة شاملة لمحو اسم «آمون» وغيره من الآلهة ، وقد كان «سيتى» من الفراعنة المعدودين بين ملوك مصر ؛ إذ أعاد الأسماء والنقوش الأصلية الى أصحابها على الآثار دون أن ينسبها لنفسه ، بل اكتفى بأن ينسب لنفسه فضل إصلاحها اللهم إلا بعض آثار كانت « لاخناتون » آدّعاها لنفسه ، والشىء الذى يلفت النظر فى إصلاحاته أنها كانت شاملة كاملة فى كل أنحاء الوادى فلم يترك مبنى صغيرا أو كبيرا بعيدا أو قريبا حتى أصلح ما أفسده « إخناتون » أو قضت عليه الأيام والليالى .

وقد قفا فى سياسته الخارجية أثر الفاتح العظيم « تحتمس الثالث » لإعادة الإمبراطورية التى ضيعها «إخناتون» فكان أوّل ماقام به تأمين خطوط مواصلاته بين مصر وسواحل سوريا وفينيقيا ليكون على اتصال مباشر ببلاده إذا ما أوغل فى الفتح من جديد فى قلب آسيا ، وقد تم له ما أراد فى هذه الجهات الى حدّ ما ، إذ أعاد لمصر فلسطين وجزءا من جنوبى سوريا ، واشتبك مع ملك « خيتا » فى موقعة بالقرب من مدينة « قادش » كانت هى نهاية المواقع التى شنها على تلك المملكة ، غير أنها لم تكن من المواقع الفاصلة .

ولا نزاع فى أن ما أحرزه « سيتى » فى بلاد آسيا من فتح جديد كان عملا جليلا ، وبخاصة إذا علمنا أن ما أعاده لمصر من أملاكها أخذه بالنضال مع دولة « خيتا » الفتية القوية ولم يكن له قِبل بمناهضتها بعدُ .

وقد قام اللوبيون فى غربى مصر بحملة على تخوم الفرعون ، فسار إليهم بجيش جرار هزمهم به فى عقر دارهم ، ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك الى أن هبوا مرة أخرى لمحاربة مصر والإغارة على تخومها فى عهد حفيده «مرنبتاح» ، وكذلك كانت الحال مع بلاد النوبة ، فقمع الثورات التى هبت فيها مما مهد له السبيل لتثمير مناجم الذهب فى تلك الجهات ، وقد ترك لنا هذا الفرعون صورة رائعة تمثل حروبه فى آسيا وأفريقيا على جدران معبد الكرنك ، غير أن عوادى الزمن قد طغت على جزء كبير منها .

وإذا كانت الإمبراطورية المصرية فى آسيا لم تمتد رقعتها فى عهده الى ما كانت عليه فى زمن « تحتمس الثالث » فليس ذلك لفتور فى روح « سيتى » الحربى ، ولكن لحسن تقديره للأمور ، فقد لمس بنفسه عندما التحم رجال الجيش المصرى وجيش « خيتا » للمرة الأولى منذ عهد « تحتمس الثالث » فى واقعة حربية بقيادة ملك « قادش » يؤازره حلفاء عديدون ، أن مصر لا قِبل لها بكسر هذه الجيوش المجتمعة ، ومن ثم رأى أن الوقت لم يحن بعد لأن تنازل مصر مثل هذا العدو الجبار كرة أخرى ، فترك الأمر لابنه الصغير الذى كان قد أشركه معه فى تسيير أمور الملك منذ صباه .

ولما أخذ «رعمسيس الثانى» مقاليد الحكم فى يده منفردا (سنة ١٢٩٠ ق.م) سار على نهج والده فى سياسته الداخلية والخارجية وقطع فيها شوطا بعيدا ، وذلك بفضل حكمه الطويل الذى قارب السبعين عاما قضاها فى عمل مستمر فى الداخل والخارج ، وأتى خلالها من الأعمال ما ليس له مثيل فى تاريخ الفراعنة الذين تربعوا على عرش الكنانة بعده .

وقد انفرد بالملك وهو فى حوالى العشرين من عمره فقبض على ناصية الحكم وهو مدرّب محنك فى أمور الحرب والسياسة . وتدل شواهد الأحوال على أنه كان فى صباه أرشق وأجمل فتيان عصره إذ تحدّثنا صوره وموميته على أنه كان طويل القامة، نبعى العود، ممشوق القوام، عريض المنكبين، ممتلئ الساعدين قويهما، عضلى الساقين ، مستدير المحيا ارتسم على فمه الثبات والحزم ، وبدت على شفتيه ابتسامة مفترة ، أقنى الأنف ، واسع العينين كبيرهما ، ولسنا مبالغين إذا قررنا هنا أنه لا الشيخوخة ولا الموت نفسه قد أفلحا فى تشويه تلك التقاسيم الفاتنة الخلابة التى عمرت قرابة قرن — تشويها محسا ، فلم تخلق جدّتها بصورة ظاهرة . وقد تزوج « رعمسيس الثانى » عدّة نساء، منهنّ ثلاث من بناته ، ورزق من الذكور أكثر من مائة وعشرين، ومن الأناس ما يربى على الستين .

وقد تولى زمام الحكم وهو عالم بما ينتظره من الأعمال الجسام التى شرع والده فى القيام بأعبائها فسار قدما فى تنفيذها . وكان الجو مهيئا لأن يبلغ كل ما كانت تصبو إليه نفس والده ، فعمل على إنجازه ، وقد كان يشحذ من همته ويقوى من عزيمته لبلوغ مقاصده دم الشباب الذى كان يتدفق فى عروقه ، ونفسه الطموح إلى إعادة مجد مصر فى الخارج وإسعاد أهلها فى الداخل. والواقع أن سياسته كانت منذ بداية حكمه رشيدة فى كل مظاهرها داخل البلاد وخارجها، إذا راعينا الظروف التى كانت تحيط به وقتئذ، وبخاصة الأمم الفتية التى كانت قد نشأت حول بلاده، وأخذت تشعر بقوّتها .

وكان أوّل ما وجه إليه همه فى أرض الكنانة نفسها إظهار مجد الفراعنة الأقدمين الذين عبث « إخناتون » بآثارهم ، وهى التى أصلح والده الجم الغفير منها ، فأقام لهم من المعابد والمحاريب والتماثيل ما لم يسمع بمثله من قبل، وبذلك التف حوله الشعب المتدين التفافا وثيق العرا ، وقد انتحى سياسة حكيمة لبلوغ تلك الغاية ، إذ تقلد فى بادئ حكمه رياسة كهانة الإله « آمون » بالكرنك فعلا مما

لم نقرأه بعد فى المتون المصرية ، ولكنه لم يلبث أن قلدها أحد المقربين إليه من كهنة العرابة ، (كاهن الإله أُنوريس) عندما شعر بعبء الحكم ومستلزماته . هذا إلى أنه نهج منهج والده الذى ضم كهنة «أوزير» بالعرابة إليه بجعل كبيرهم «وننفر» كاهنا أكبر لمعبد « أوزير » ذلك الإله الذى كان يعدّ من أعظم آلهة الدولة فى تلك الفترة .

وتدل شواهد الأحوال على أنه كان هناك اتصال أسرى بين كهنة « أوزير » وكهنة الإله « آمون » بالكرنك . وقد عمل هؤلاء الكهنة مجتمعين على جعل كل وظائف الدولة الهامة فى أيدى أفراد أسرتهم بما كان لهم من سلطان روحى على الشعب فى تلك الفترة . وتدل الأحوال على أن « رعمسيس الثانى » نفسه لم يعارض فى ذلك ، فنقرأ فى الآثار التى تركوها لنا أنه كان من بينهم الوزير ، والقائد ، ورئيس الشرطة ، وحاكم السودان ، ورئيس المالية . وكان نساؤهم يشغلن أهمّ الوظائف الدينية فى مختلف المعابد المصرية ، وبذلك أصبح «رعمسيس» مسيطرا على داخلية البلاد من الوجهة الدينية والإدارية ، بتلك البطانة المخلصة لعرشه ، مما سهل له تنفيذ كل مآربه على حسب نظام « ماعت » .

وقد كان التوفيق حليفه فى كل المشروعات التى قام بإنجازها فى داخل البلاد وخارجها . ففى الداخل أقام العمائر الدينية التى أصبحت فيما بعد مضرب الأمثال فى الضخامة والعظمة والأبهة ، مما يدل على الرخاء ووفرة المال . فأقام لنفسه ولإلهه « آمون » معبدا جنازيا يحتوى قصرا فاخرا له يطلق عليه المحدثون الآن اسم « الرمسيوم » وهو فى ضخامته واتساع رقعته وحسن تنسيقه لا يدانى ، حتى إنه أصبح فيما بعد يعدّ من العجائب التى تحدث بها الكتاب اليونان . ولا تزال بعض بقاياه الضخمة تنطق بما كان عليه من أبهة وبهاء . وقد أوقف عليه الضياع وأمدّه بالموظفين والكهنة من كل صنف . وكذلك حفر لنفسه مقبرة عظيمة فى أعماق صخور « طيبة » الغربية ، وأقام المعابد للآلهة ولنفسه — لأنه كان مؤلها — فى جميع أنحاء القطر ، فى أمهات المدن مثل «منف» و «هليو بوليس»

و « طيبة » و « العرابة » و « تانيس » ، وزينها بالتماثيل والمسلات التى يخطئها العدّ ، وقطع لها الأحجار من محاجر سينا والجبل الأحمر القريب من القاهرة ، ومن جبال أسوان ؛ هذا فضلا عن أنه لم يترك مكانا أثريا من الأمكنة التى أقامها أجداده الفراعنة الذين سبقوه إلا جدّده أو زاد فى مبانيه . اعترافا منه بجميل آلهته الذين آزروه فى ساعة العسرة ، وحبوه النصر والقوّة — وتفاخرا بقوّته وعظم سلطانه ، ولذلك نجد أن مبانيه — على الرغم مما أصابها من تهديم وتخريب — لا تزال بقاياها فى كل أنحاء القطر . غير أنه مما يوسف له جدّ الأسف أنه فى كثير من الأحيان كان ينتحل آثار أسلافه بصورة ظاهرة ، وقد كان ذلك سببا فى تحقير أعماله العظيمة فى نظر بعض المؤرّخين . والواقع أن ما اغتصبه لا يكاد يعدّ شيئا بالنسبة لما أنجزه من أعمال ضخمة فى فنى النحت والبناء ، وبخاصة ما أقامه من المعابد الهائلة الحجم فى بلاد « النوبة » . فقد بنى فيها عدّة عمائر للآلهة كانت فى الواقع فريدة فى بابها ؛ فقد نحتها كلها فى الصخر بدلا من إقامتها بالحجر ، و بخاصة معبد « بوسمبل » الذى يعدّ مفخرة الزمان ، ثم معبد « بيت الوالى » ومعبد « السبوع » ومعبد « جرف حسين » ومعبد « الدر » وغيرها مما لا تزال بقاياه موجودة حتى الآن .

و إذا صدّقنا ما تركه لنا « رعمسيس الثانى » ووالده « سيتى الأوّل » من نقوش عن معاملتهما لأولئك العمال الذين نحتوا من الجبال تلك البيوت المقدّسة ، وقطعوا تلك التماثيل الهائلة للآلهة — لسقط كل ما ينسب اليهم من أعمال « السخرة » والعسف ؛ ولعلمنا أن العمال كانوا ينعمون برغد العيش ، و بالتشجيع الأدبى الذى كان يلقيه الفرعون على عماله بنفسه .

أليس هو « رعمسيس الثانى » الذى يقول فى إحدى الوثائق التى تركها لنا فى وصف معاملته لعماله وتشجيعه لهم " أنتم يأيها الرجال الطيبون ، يا من لا يعرفون التعب ، و يأيها الحراس الساهرون على العمل طوال الوقت ، و يا من ينفذون

واجباتهم على الوجه الأكمل ، وأنتم يا من يقولون إننا نعمل بعد التروى فنقوم بهذه الخدمات فى الجبال المقدسة ، لقد سمعت ما يقوله بعضكم لبعض ، وإن فيكم لبركة ؛ لأن الأخلاق تظهر فى تضاعيف الكلام ، وإنى «رعمسيس» الذى ينشئ الشباب بإطعامهم ، والأغذية أمامكم وفيرة حتى أصبح لا يتلهف عليها أحد من بينكم ، والطعام غزير حولكم — ولقد كفيت حوائجكم من كل وجه صحيح حتى تعملوا بقلوب محبة ، وإنى دائما المحافظ على حوائجكم ، وإن المؤن قد أصبحت لديكم أثقل من العمل نفسه . وذلك لأجل أن تنفذوا وتصبحوا عمالا صالحين (للعمل) ، لأنى أعلم علم اليقين عملكم الذى ينشرح له (صدر) كل من يعمل فيه عندما يكون البطن مملوءا . فالمخازن مكدسة بالغلال (أمامكم) ولا يمر يوم تحتاجون فيه للطعام ، وكل واحد منكم عليه عمل شهر (بالتناوب) . ولقد ملأت لكم المخازن بكل شيء ، من خبز ولحم وفطائر ، ونعال وملابس ، وكذلك العطور لتعطير رءوسكم كل أسبوع ، ولكسائكم كل سنة ، ولأجل أن تكون أخمص أقدامكم صلبة دائما ، وحتى لا يكون من بينكم من يمضى الليل يئن من الفقر ، ولقد عينت خلقا كثيرا ليموّنوكم من الجوع ، وكذلك خصصت سماكين ليحضروا لكم سمكا ، وزرّاعا لينبتوا لكم الكروم ، وصنعت لكم أوانى واسعة على عجلة صانع الفخار مسوّيا بذلك أوعية لتبريد الماء لكم فى فصل الصيف . والوجه القبلى يحمل لكم حبا للوجه البحرى ، والوجه البحرى يحمل للوجه القبلى حبا وقمحا وملحا وفولا بكميات وافرة ، ولقد قمت بعمل كل هذا لأجل أن تسعدوا وأنتم تعملون بقلب واحد " .

ولا نزاع فى أن هذا الوصف الرائع لا يحتاج إلى تعليق . ولا يمكن لعامل أن يطلب عليه من مزيد . كما أنه لا يصوّر لنا من فراعنة مصر جبابرة سخّروا الناس لقضاء شهواتهم ومآربهم .

والواقع أن مالدينا من وثائق يدل دلالة واضحة على أن كل طبقات الشعب فى ريف البلاد وصعيدها ، مدنها وقراها ، كانوا فى عيش رغيد ، مما يشعر بأن نظام « ماعت » كان سائدا مراعى فى طول البلاد وعرضها .

فنرى الجندى فى ساحة القتال ، وبعد أن تضع الحرب أوزارها ، يرتع فى بحبوبة العيش الناعم . ولا أدل على ذلك مما جاء على لسان «رعمسيس الثانى» نفسه عندما تخلى عنه جنوده فى ساحة القتال فى موقعة «قادش» عند منازلة مملكة «خيتا» إذ يقول :

" ألم أقم فيكم سيدا حين كنتم من البائسين ، ومع ذلك رضيت عن طيب خاطر أن تصبحوا عظماء بواسطة حضرتى كل الأيام ، فقد ورثت الابن متاع الوالد ، وأبعدت كل الظلم الذى كان فى الأرض ، ونزلت لكم عن جزية أرضكم ، ومنحتكم أخرى إذا اغتصبت منكم ، وأنصفت من استنصفنى . وكنت أقول له (أى آمون) كل يوم ليس هناك سيد عمل لجنوده ماعمل جلالتى ، وذلك على حسب ما تهوى قلوبكم : وسمحت لكم أن تبقوا فى مدنكم دون القيام بمهام الجندية ، وجعلت لخيالتى طريقا إلى مدنهم (أى سمحت لهم بالعودة إلى مدنهم) على شرط أن أستدعيهم لمثل هذا اليوم وقت خوض المعارك ... الخ " .

وكذلك كانت الحال فى عاصمة الملك ، فكان من فيها يتمتعون بحياة سعيدة ليس وراءها لطالب من مزيد . وقد ترك لنا كتاب هذا العصر بعض الرسائل فى وصف هذه الحاضرة ومباهجها ومافيها من خيرات تتدفق عليها من كل أصقاع الامبراطورية ، ويخيل لمن يقرؤها أنه يسمع وصف جنات النعيم التى نقرأ عنها ونتخيلها : "حقا إن الانسان ليبتهج بالسكنى فيها إذ لا ينقصها رغيبة تخطر على بال ، وقد تساوى فيها الصغير والعظيم" .

أما أهل القرى والفلاحون فكانت تحميهم من عسف الحكام وظلمهم قوانين خاصة يقوم بتنفيذها الوزير الذى كان يسهر على راحة كل مواطن منفذًا قانون «ماعت» ، كما كان لرجال الدين والمعابد ضياع تزخر بالثراء والخيرات الوفيرة ، وقد سنّ لها قوانين رادعة لكل من يتعدّى عليها ، هذا الى إعفائها من الضرائب فى مصر وفى بلاد النوبة .

ولقد كانت القوانين صارمة لدرجة أن كل من تعدّى على تلك المؤسسات الدينية يجدع أنفه ، ويجلد مائة جلدة ، ويكوى بالنار كيا داميا ، ويلزم بغرامة تبلغ أحيانا مائة ضعف لما اغتصبه .

ولقد بلغ من شأن رجال الدين ونفوذهم فى البلاد وقتئذ أن أصبحوا أصحاب ثروة عظيمة ومكانة قوية ، مما مهد لهم السبيل فيما بعد إلى قيام أسرة منهم قبضت على زمام الملك ، وأصبحوا فراعنة فى نهاية الأمر .

والواقع أن « رعمسيس الثانى » كان من الممهدين لهذا الانقلاب حينما ضعف أمام كهنة «آمون» وألقى فى أيديهم رياسة الكهانة فى «الكرنك» وفى «العرابة» . وقد زاد الطين بلة أن « رعمسيس » اعترف لهذه الطائفة بأن تنصيب الكاهن الأكبر « لآمون » قد جاء من وحى الإله و بإذنه ، وأنه لا دخل له فيه . ومن ثم أصبحت سلطتهم جارفة ، حتى أصبحوا يؤلفون فى الواقع مملكة داخل مملكة ، ليس للفرعون عليها سلطان إلا بالاسم .

وهكذا نرى أن البلاد كانت فى ظاهرها فى باكورة الأسرة التاسعة عشرة تسير سفينتها فى ريح رخاء تهب عليها نسمات الحياة الدافعة إلى بر السلامة والعزة ، إلى أن أرساها « رعمسيس الثانى » فى الميناء بين سفن العالم الناشئ ، فكانت أجملها منظرا ، وأرحبها شراعا ، وأثمنها حمولة ، حتى إذا ما قامت الدول الأخرى لمناهضتها فى مكانتها ومباهاتها فى عزتها وقوة بأسها بعد وفاته كان من نصيبها الخيبة وسوء المنقلب فترة من الزمان .

والواقع أن «رعمسيس الثانى» ومن قبله والده «سيتى الأول» و «رعمسيس الأول» قد أخذوا فى إعادة مجد مصر الخارجى بكل الوسائل الفعالة الممكنة وقد لعب « سيتى » دوره ، وخلفه « رعمسيس » فقام بدوره خير قيام . ومن الغريب أن بعض المؤرخين لم يعطوا « رعمسيس الثانى » حقه من العظمة فى حروبه التى شنها على بلاد « خيتا » ودويلات آسيا الصغرى حلفائها ، فينحون عليه باللائمة لأنه لم يفلح كل الفلاح فى استعادة الامبراطورية المصرية كما كانت عليه أيام «تحتمس الثالث » ، ولكن فاتهم أن « رعمسيس الثانى » كان فى عهده يحارب جيش أمة فتية لها حلفاء أشداء ، وأن الجيش الذى تقابل معه « رعمسيس الثانى » فى موقعة

« قادش » العظيمة، وقـد أصاب فيها النصر إلى حدّ لا بأس به على « خيتـا » وحلفائها — كان أعظم قوة وأشدّ بطشا من ذلك الجيش الذى اشتبك معه «تحتمس الثالث » فى موقعة « مجدو » مع « خيتا » وما جاورها من الممـالك الصغيرة .

هذا فضلا عن أن « رعمسيس الثانى » لم يكن يحارب للفتح، بل كان يحارب لاسـترداد ما ضيعه « إخنـاتون » . وعلى أية حال فإن « رعمسيس » كان حكيما فى سياسته الخارجية وبخاصة فى حروبه ، فقـد أفلح فيها إلى حدّ بعيـد ، إذ أنه فى نهـاية الأمر اضطرّ عدوّه ملك « خيتـا » ومن معـه إلى طلب الصلح وإبرام معاهدة فى السنة الواحدة والعشرين من حكمه بعد أن مدّ فتوحه إلى بلاد « نهرين» كما يقول فى نقوشه، وتدل شروطها على أن مصر كانت صاحبة اليد الطولى فى إملاء فقـــراته .

وتعدّ هذه المعاهدة أقدم وثيقة من نوعها فى تاريخ الشرق القديم بل وفى تاريخ العالم الدولى ، والمطلع على نصوصها يجد أنهـا الأساس الذى سارت على نهجه أمم العالم فيما بعد فى إبرام المعاهدات . ومن الطريف أن صيغة هـذه المعاهدة ظلت معروفة لنـا بالمصرية فحسب ، الى أن كشف حديثا عن نسـخة منها فى مدينـة « بوغازكوى » ، التى قامت على أنقاض عاصمة « الخيتا » القديمة . وقد وجدت بين سجلات وزارة الداخلية التى تركها لنا ملك «خيتا» وقتئذ، فكانت من أدهش الصدف التى فاجأتنا بها الكشوف الحديثة .

بهـذه المعاهدة عقدت أواصر المهادنة بين البـلدين ، وأصبحت مصر آمنـة مطمئنة من هـذه الجهات ، وتراسل بعـدها ملك مصر مع ملك « خيتـا » ، كما تراسلت ملكة مصر « نفرتارى » مع ملكة « خيتا » ، بما يدل على الودّ والإخاء، وجاءت الوفود الى مصر من كل الأقطار الأسـيوية ، وا كتظت عاصمـة الملك « بر رعمسيس» بسفراء الدول وعظماء الأجانب، واتخذوا من حاضرة الملك هذه سكنا لهم ، وأصبحت الآلهة الأجنبية تعبد فى مصر ، كما أصبحت الآلهة المصرية تعبد

فى الأقطار الأسيوية ، وبذلك أصبحت « بررعمسيس » ملتقى كل حضارات الشرق والعالم المعروف وقتئذ ، فنقرأ عن المعابد التى أقيمت للآلهة الأجنبية فيها ، والتماثيل التى صنعت لها فى كل أنحاء القطر ، وبخاصة فى عاصمة الملك الدينية « تانيس » .

وجىء بالمفتنين الأجانب للعمل فيها ، كما كانوا يعملون فى حاضرتها السياسية ، وهناك أقيمت المحاريب للآلهة الأسيوية ، الذين كان يتعبد لهم الملوك والأفراد على السواء .

وقد بالغ الفرعون فى العناية بهذه الآلهة ، فسمى إحدى بناته باسم الإلهة « عنتا » الأسيوية ، وعندما تزوّج ببنت ملك « خيتا » ، التى أحضرها والدها ليقدّمها لهذا الفرعون ثمنا للصداقة بين البلدين ، أطلق عليها اسما مصريا هو : « مات نفرو رع » ، (أى التى ترى جمال رع) .

وفى هذه الفترة ازدادت روابط الودّ بين مصر وجيرانها بالتجارة ، فقد كان لمصر أسطول عظيم ، يروح ويغدو فى ميناء عاصمتها ، حاملا لمصر من خيرات البلاد الأجنبية كل أنواع الطرائف ، فكان يرد اليها الأثاث المطعم من بلاد « العاموريين » ، ومن بلاد « قدى » ، والأسلحة والخمر والفاكهة من بلاد « خيتا » ، والزيت من سهول بلاد « سوريا » ، والنحاس من « قبرص » ، والخيل من « سنجار » (بابل) ، والثيران من « خيتا » ، والغلمان الذين كانوا يمتازون بجمالهم وحسن هندامهم للقيام على خدمة الفرعون من بلاد « كركيسيا » ، وكانوا عندما يتقدّمون فى السنّ (كما تقول النقوش) ، يوضعون فى المطابخ ، ويكلّفون بصنع الجعة . وكذلك كانت التجارة رائجة بين مصر وكريت ، وغيرها من بلاد الشرق ، وبخاصة الأوانى المزخرفة التى كانت محببة لدى المصريين ، حتى إنها كانت تقلد محليا .

ومما تجدر ملاحظته هنا كذلك ، أنه فى هـذه الفترة من تاريخ البلاد ، أخذ المصرى يتحرر من قيود المـاضى فى نواح كثيرة ، فلم يعد بعد يحب البقاء فى عقر داره ، بل أخذ يجوب البـلاد الأجنبية ، ويتعرف مجاهلهـا ، ويفتخر بمعـرفة جغرافيتها وتخطيط بلدانهـا ، حتى أصبح كل نابغ فى هـذا الباب يطلق عليه لفظ « ماهر » ، وقد كان من جراء هذا الاختلاط وتلك المغامرات ، أن اتسع أفق تفكيره ، وأخذ يدرس العـلوم الرياضية والهندسية ، ليكون جديرا بهـذا الاسم ، وكذلك أخذت الألفاظ السامية تشق طريقها الى اللغة المصرية ، حتى أصبح من علامات المعـرفة والثقافة ، أن يستعمل المتعـلم الألفاظ السامية فى حديثـه وفى مخاطباته ، ومن ثم أخذت الألفاظ الأجنبية على وجه عام ، تحتل مكانا ساميا فى اللغة المصرية ، وكذلك كان من نتائج هذا الاختلاط أن فتحت أبواب الجيش والوظائف الحكومية للأجانب ، الذين كانوا يهـاجرون الى مصر ، دون خوف ولا وجل ، كما حدث فى العهـد العباسى ، وفى عهد المـاليك البرجية والبحرية ، ومن ثم أخذ الدم المصرى يختلط بعض الشىء بالدم الأجنبى فى المـدن فحسب ، أما القرى فكان الدم فيها مصريا صميما حتى يومنا هذا .

وقد أحكمت أواصر المودّة بين جنوب الوادى وشماله ، بمـا قام به الفرعون من المبـانى العظيمة فى بلاد « النوبة » و « كوش » ، ولا سيما أن حاكم هـذه الأقطار كان يلقب بابن الملك ، ولذلك لم يقم أهل الجنوب بأية ثورة فى تلك الفترة من تاريخ البلاد .

وفى مضمار الفنون والعـلوم والأدب والدين ، سجل عصر الرعامسة الأوّل من التجديد والابتكار ما ميزه عن غيره من العصور المصرية ، وطبعه بطابع خاص .

ونجد بعد القضاء على عهـد « إخناتون » الذى أحدث فى البلاد انقلابا دينيا وفنيا معا أن الفنّ القـديم قد عاد إلى مجراه فى كثير من النواحى ، غير أنه مع ذلك قـد تأثر بفنّ « إخناتون » الذى كان يدعو للحرّية فى العمل وعدم التقيـد بالتقاليد

القديمة . فأصبح المثال والرسام حرا طليقا إلى حدّ بعيد، متأثرا فى ذلك بفنّ عهد « إخناتون » ، ولذلك نجد فى صور المقابر والمعابد التى تركها لنا هذا العهد خليطا من صناعة العهدين نقرأ فى مرآته فن عصر الأسرة الثامنة عشرة وفن عهد « إخناتون » معا .

وكذلك نهض الأدب نهضة عظيمة شعبية كتبت كل متونها باللغة العامية السلسة، وتتمثل فى القصص الذى تنعكس على مرآته عادات القوم وأخلاقهم وخرافاتهم واتصالاتهم بالبلاد المجاورة ، كما يتمثل لنا أدب هذا العصر كذلك فى أشعارهم وملاحمهم .

والواقع أن قصيدة « رعمسيس الثانى » التى نقشها على جدران معابده مفتخرا فيها بانتصاره على جيوش «خيتا» ، وما أتاه من ضروب الشجاعة منفردا فى موقعة « قادش » فى السنة الخامسة من حكمه تعدّ أوّل ملحمة كتبت فى التاريخ . وهذه الملحمة هى المعروفة خطأ عند عامة الشعب المصرى، وعند معظم المتعلمين بقصيدة « بنتاور » لأن « بنتاور » هذا هو ناسخها فحسب .

وقد ضرب المصرى بسهم وافر فى قرض الشعر الغزلى والغنائى، فدوّن لنا روائع ذكرنا منها أمثلة تضع المصرى فى الصف الأوّل من ناظمى هذا النوع من القريض، وكذلك اتسع أفق كاتب الحكم والأمثال . فأصبح لا يقتصر على تعليم الابن كيف يؤدّى واجبه ، بل نشاهد فيها فى هذه الفترة من التاريخ حيوية وتجارب لم تكن معروفة من قبل .

وكان لعقيدة التوحيد التى طلع بها « إخناتون » على العالم الشرقى أثر بين فى عبادة القوم ، بل على التفكير الشرقى كله — على الرغم من رجوعهم إلى عبادة الآلهة الأقدمين ، إذ نلحظ أن الفرد أخذ يتضرع لإله واحد ، ويناجى ربه — وإن كان فى صور متعدّدة — وقد انتشر هذا التضرع بين عامة الشعب جنبا إلى جنب مع العبادة الرسمية . وقد تغلغلت فكرة التعبد المنفرد فى نفوس العامة حتى أخذ

الفرد يعترف بمـا اقترف من ذنوب بعـد أن كان كل ما يفعله فى هـذا السبيل نفى كل ذنب عنه، ومن ثم أخذت فكرة التنسك والتحنف تظهر فى الديانة المصرية القـديمة . وهى الفكرة التى ظهرت فى ثوب التصوّف فيما بعـد، والرهبنة التى هى من بقايا تلك المعتقدات .

هذه نظرة عاجلة فى تاريخ الفترة الأولى من عهد الرعامسة، مهدنا بها للقارئ حتى يمكنه أن يتذوّق مافصلناه فى هذا المؤلف . وكانت خطتنا فى بحثنا هذا — كما هى عادتنا — الرجوع إلى المصادر الأصلية المصرية وآخر البحوث العلمية . وقد فصلنا القول فى بعض الموضوعات التى قد يملها القارئ العادى ولكن غرضنا منها هو أن يطلع عليها الباحث الذى يدرس تاريخ أرض الكنانة لعله يجد فيهـا بعض مآربه وفقنا الله لخدمة هـذا الوطن الذى أصبح من أهم مايحتاج إليه الرجوع إلى ماضيه القديم ليكون له منه عبرة وذكرى . وإن الذكرى تنفع المؤمنين . ولا إخال كل وطنى إلا عاملا على قراءة تاريخ بلاده بقلب مخلص سليم .

شكر

وإنى أتقدّم هنا بعظيم شكرى لصديقى الأستاذ محمد النجار ناظر مدرسة سمدون الأميرية لمـا قام به من مراجعة أصول هـذا الكتاب وقراءة تجاربه بعناية بالغة، كما أتقدّم بوافر الثناء على حضرة الأستاذ محمد نديم مديرمطبعة دار الكتب المصرية لمـا بذله من جهد مشكور وعناية ملحوظة فى إخراج هـذا المؤلف ، ولا يسعنى إلا أن أقدّم شكرى للأستاذ محمـد إبراهيم نصر الذى أبدى عنـاية فى كتابة أصول هذا الكتاب وبذل مجهودا مشكورا فى قراءة تجاربه كلها وعمل الفهارس معى .

والله أسأل أن يوفقنى إلى ما فيه خير البلاد ومجدها ؟

أبريل سنة ١٩٤٩

الأسرة التاسعة عشرة

مقدمة

كانت العلاقات السياسية بين مملكة «متنى» وجيرانها هي المحور الذى يدور حوله تاريخ غربى آسيا فى خلال النصف الثانى من عهد الأسرة الثامنة عشرة ؛ فمنذ الحملات التى قام بها « تحتمس الثالث » على سوريا حتى عهد « تحتمس الرابع » كانت مصر فى حروب دائمة مع مملكة « متنى » ، وهى التى كانت تعرف وقتئذ فى التاريخ باسم « نهرينا » . وفى نهاية هذه المدة استيقظت مملكة « خيتا » من رقدتها الطويلة التى ظلت نحو قرنين ، ومن ثم بدأت تحمل بقوة متواصلة على أملاك بلاد « متنى » من الجهة الشماليه الغربية ، فلم يسع الأخيرة إلا أن سارعت بمهادنة مصر وخطب ودّها بأوثق العلاقات الأسرية ، وظلت أواصر هذا السلام قائمة مدة حكم ثلاثة من الفراعنة بالزواج من أميرات متنيات. ولكن حوالى عام ١٣٧٠ ق م قهر « شوبيليو ليوما » ملك « خيتا » بلاد « متنى» فأصبحت شبه ولاية تابعة لملكه ، وعلى الرغم من ذلك ظلت بلاد « متنى » باقية نحو قرن آخر تناضل عن استقلالها حتى استولى عليها الملك « سالمنزار الأول » ملك « آشور » (١٢٨٠ — ١٢٥٠ ق . م)، ومنذ عام ١٣٧٠ ق . م تقريبا حتى عام ١٢٢٥ ق . م كانت مصر وبلاد « خيتا » متجاورتين فى سوريا يفصل بينهما « نهر الكلب » على الساحل على وجه عام، وقد كانت تحدث فى أثناء تلك المدة بعض تغييرات ضئيلة فى الداخل ليست بذات بال. وتدل ظواهر الأحوال على أن كلا من الدولتين كانت منهمكة فى شئونها الداخلية فعاقها ذلك عن التدخل فى أمور جارتها نحو نصف قرن (١٣٧٠ — ١٣٢٠ ق . م) . فقد كانت مملكة « خيتا » معظم هذه الفترة مشغولة بحروب وثورات قامت عليها فى « آسيا الصغرى » .

وقد بدأ الفرعون «سيتى الأول» وتلاه ابنه « رعمسيس الثانى » حروبا طاحنة مع « خيتا » القوية الجانب، ولم تكن نتيجة هذه الحروب ما كانت ترجوه مصر منها، غير أن « خيتا » لحسن الحظ كانت قد دب فى جسمها الضعف واستولى عليها الوهن بدرجة عظيمة بسبب الاضطرابات التى كانت فى أملاكها الشمالية والغربية، فلم تستفد من انتصاراتها على مصر. وحوالى عام ١٢٨٠ ق.م اضطرت على ما يظهر لعقد صلح مع مصر وثق بالمصاهرة، ويبدو أن « خيتا » قد راعت عهودها مع مصر المهيبة الجانب حتى زالت دولتها أمام ضربات المغيرين الهمج الذين انقضوا عليها من الشمال فى أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد[١].

بداية الأسرة التاسعة عشرة

كان عهد ملوك الأسرة التاسعة عشرة بداية عصر جديد فى تاريخ الأمة المصرية من الوجهتين السياسية والدينية، كما كان كذلك عهد رخاء وإصلاح داخلى من ناحية الإدارة والعمارة، فقد رأينا أن الفرعون « حور محب » آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة قد أعاد للبلاد ديانتها الأصلية كما استرد لها بعض مكانتها السياسية بإخضاع بلاد النوبة ثانية للحكم المصرى، وبالانتصارات التى أحرزها على أقوام البدو و«خيتا» الذين كانوا قد أغاروا على أملاك مصر فى سوريا وفلسطين . هذا إلى أنه وطد أركان السلام فى داخلية البلاد بسن القوانين التى أصبحت فيما بعد مضرب الأمثال . ومما يؤسف له أن هذا العاهل العظيم لم يكن فى مقدوره أن يسترد للبلاد مكانتها الأصلية فى آسيا، وقد ترك ذلك لأخلافه من بعده غير أنه لم يعقب من يرث الملك من نسله فخلفه أحد قواده. والواقع أن ما لدينا من المصادر التاريخية عن وراثة العرش بعد «حور محب» أحيط بحجاب كثيف من الغموض والإبهام، وبخاصة عندما نعلم أن ما وصل إلينا عن طريق الكتّاب القدامى من مؤرخى العصر اليونانى

---

(١) راجع : From The Stone Age To Christianity (Albright) p. 157

الإغريق يتناقض مع ما نستنبطه من الآثار الباقية لنا من هذا العصر، ولذلك تعترض المؤرخ عندما يتناول درس تاريخ الأسرة التاسعة عشرة مسألتان : أولاهما من أوّل ملوك هذه الأسرة؟ والثانية الى أى بيت ينسب هذا الملك، و بأى حق استوى على عرش مصر؟

والجواب عن السؤال الأول ينحصر فى رأيين : أوّلها أن بعض المؤرّخين ومن بينهم الأستاذ « برستد »، يظنّ أن هذه الأسرة تبتدئ بالفرعون « حور محب »، والرأى الثانى مايزعمه البعض الآخر من المؤرّخين ومن بينهم الأستاذ « أدورد مير » والأستاذ « فلندرز بترى » ، من أن « حور محب » كان آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة ، وأن أوّل ملوك الأسرة التاسعة عشرة هو الفرعون « رعمسيس الأوّل » ، وهـذا الرأى الأخير هو المرجح وقد اتبعناه ، غير أن ماوصل إلينا من التقاليد التى نقلها لنا كتّاب الإغريق وغيرهم لايتفق مع هذا الرأى .

والواقع أن ماجاء فى قائمة « مانيتون » وماذكر فى مختصر « أفريكانوس » ، ومختصر « يوزيب » يبـدو قلقا عند هـذه النقطة ، يضـاف إلى كل ذلك أن «يوسفس» المؤرّخ اليهودى يبتدئ الأسرة التاسعة عشرة بالملك « سيتى الأوّل » . ولا نزاع فى أننا إذا نظرنا إلى هـذا الموضوع من الوجهة التاريخية ظهر لنا بطبيعة الحال وجوب أن يكون «حور محب» هو الحدّ الفاصل بين الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة، إذ أن الحقيقة التى لامراء فيها هى أن نسل الذكور فى ملوك الأسرة الثامنة عشرة كان قد انقطع حبله بموت الملك الشاب «توت عنخ آمون»، إذ أنه قضى دون أن يعقب ذكرا، ومن أجل ذلك خلفه على عرش الملك الفرعون «آى» أقوى رجل فى البـلاد وقتئذ ، وقد عزز اعتلاءه عرش المـلك زواجه من أرملة « توت عنخ آمون » (راجع الجزء الخامس ص ٥٥٩ الخ) . وقد خلف « آى » القائد «حور محب» الذى يعدّ بلا نزاع المهد الأوّل لبناء ملك الأسرة التاسعة عشرة لمـا قام به من إصلاحات عظيمة كان الغرض منها إقالة مصر من عثرتها و إنعاشها

من رقدتها و إنهاضها من كبوتها التى جرها عليها « إخناتون » بسوء سياسته
البلاد وخارجها . والظاهر أن «حور محب» قد قضى دون أن يترك خلا
على عرش الكنانة ؛ ويدل ماقام به قبل موته على أنه كان يشعر بذلك
قد هيأ الأمور لوزيره وقائد جيشه المسمى «بارعمسيس» ليخلفه على أريكة الم
لسياسة اختطت من قبل، ثم خلف «رعمسيس» هذا بدوره ابنه «سيتى ا
ومن ثم تعاقب الملك أخلافه من ظهره قرنا ونصف قرن من الزمان ، ومن
بعض المؤرخين « رعمسيس الأول » على رأس ملوك الأسرة التاسعة عشر
أخذنا بهذا الرأى لأنه على مايظهر هو الرأى الصواب .

أما الجواب عن المسألة الثانية وهى البيت الذى ينسب إليه ملوك هذ
فنجد الإجابة عنه قد وردت فى متن لوحة أربعمائة السنة التى عثر عليها فى «
(راجع الجزء الرابع ص ٧٠ — ٧٣) ، هذا بالإضافة إلى أن أسماء أعضا
المالكة الجديدة قد ركبت تركيبا مزجيا مع اسم الإله «ست» الذى كان يعبد فى
« ستوريت » وهى المقاطعة السادسة عشرة من مقاطعات الوجه البحرى
كتاب أقسام مصر الجغرافيـة فى العهد الفرعونى ص ٩٧) ممـا يدل على أ
نبتت من هذه الجهة .

أما شرعية اعتلاء « رعمسيس الأول » عرش مصر فليس لدينـا -
براهين معاصرة قاطعة تؤكد لنا هـذا الحق ، وكل مالدينا فى هـذا الصد
احتمالات منطقية يقبلها العقـل وتعززها النقوش إلى حدّ بعيد وسنستعرض
ليحكم عليها القارئ بمـا تستحق من منزلة تاريخية .

« مانيتون » وتواريخ الأسرة التاسعة عشرة

كان المفروض إلى عهد قريب جدا أن قائمة الملوك التى خلفها ل
المصرى «مانيتون» تبتدئ ملوك الأسرة التاسعة عشرة باسم الملك « سيتى
على حسب قراءة الأستاذ «إدوردمير» وغيره من فحول المؤرخين فى التاريخ

غير أن « إدوردمير » يقول : إن ترتيب « مانيتون » للجـزء الأول من ملوك هذه الأسرة يعتوره ارتبـاك بالغ وخلط فى الحقائق إذا وازنا ما جاء فيها بما بقى لنـا على الآثار ، يضاف إلى ذلك أن المؤرخين الذين نقـلوا عن « مانيتون » و بخاصـة « أفريكانوس » و « يوسفس » ثم « يوزيب » قـد اختلف بعضهم عن بعض فى كتابة أسماء هؤلاء الملوك . وقد بقيت الحال كذلك حتى عام ١٩٢٨م عندما نشر الأستاذ « ستروف » مقالا[١] الغرض منه موضوع ظهور نجم الشعرى الذى ذكر فيما كتبه « ثيون » الرياضى (Theon) الإسكندرى الأصل . فقد ذكر لنا « ثيون » هذا أن نجم الشعرى بدأ دوره فى عهد ملك يدعى «منوفيس» فى عام ١٣٢٢ ق . م ، ولا بدّ أن هذا التاريخ يقع فى حكم أحد الملوك الثلاثة التالين وهم : «حور محب» ، و «رعمسيس الأول» ، و «سيتى الأول» ، وقد حكم على حسب ما ذكره «بترى»[٢] ما بين عامى ١٣٢٨ — ١٣٢٢ ق . م ، وعلى حسب ما ذكره « برستد »[٣] ما بين عامى ١٣٢٠ — ١٣١٥ ق . م .

وإذا نظر الإنسان نظرة سطحية ، وجد للمرّة الأولى عدم التجانس اللفظى بين أسماء هؤلاء الملوك و بين اسم « منوفيس » ، ولكن لا بدّ أن نذكر هنـا أن اسم « سيتى » العلم الكامل هو « سيتى مرنبتاح » ، وأن الجزء الأخير من هذا الاسم وهو « مرنبتاح » يمكن أن يعادل الاسم « منوفيس »على حسب النطق اليونانى ، كما ذكر لنا ذلك الأثرى «لبسيوس» ، يضاف الى ذلك أن تاريخ حكم «سيتى الأول» يتفق على وجه التقريب مع عام ١٣٢٢ ق م الذى ذكره لنا «ثيون» ، وأن حذف كلمة «سيتى» من الاسم كان يحدث أحيانا فى تاريخ هذا الفرعون كما يمكن تفسيره بسهولة ؛ وذلك أن المصادر التى استقى منهـا « ثيون » معلوماته كان قد حذف منها كلمـة

---

(١) راجع : A. Z., Vol. LXIII, pp. 45-50

(٢) راجع : History of Egypt II, p. 104

(٣) راجع : Breasted History of Egypt p. 599

« سيتى » التى تدل على اسم الإله الشرير المخيف الذى قتل أخاه « أوزير » الطيب المحبوب ، ويعزّز ذلك الرأى من جانبنا أن « سيتى » نفسه كان يتحاشى كتابة اسمه بصورة هذا الإله الشقىّ .

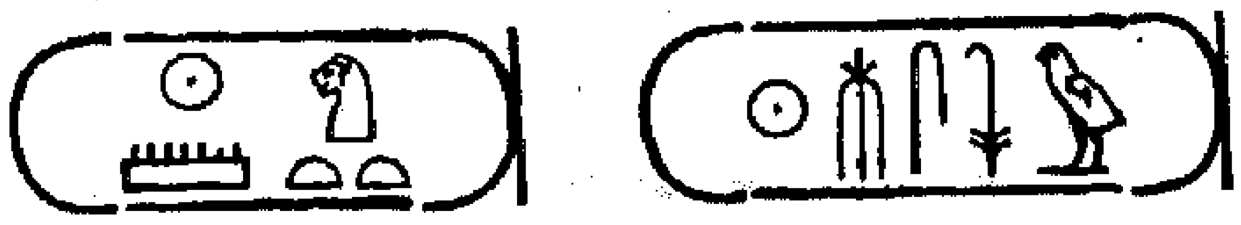
وتدل شواهد الأحوال على أن ملوك البطالمة كان يعز عليهم أن يذكروا أحد أسلافهم المبجلين باسم مشين مرذول ، ولذلك فضلوا إسقاط الجزء الأول من الاسم وهو الممقوت ، واكتفوا بالدلالة على هذا الملك بالجزء الثانى من اسمه العلم وهو « مرنبتاح » وهو ما يقابل فى الإغريقية « منوفيس » . ويمكن الاعتراض على ذلك من ناحية أخرى بأن قائمة « مانيتون » لا تحتوى على اسم « ستوس » الذى قال عنه كل من لخص هذه القائمة من مؤرّخى اليونان أنه يقابل اسم «سيتى الأول » ؛ ولكن طالعنا الأستاذ « ستروف » ببحث حاول فيه أن يثبت خطأ توحيد هذين الاسمين ، وأن ذلك قد نتج عن غلطة ارتكبها النساخ الذى نقل عن « مانيتون » . يدل على ذلك أن « يوسفس » الذى اقتبس عن « مانيتون » فى كتابه (Contra Apion I, 15.) . لم يوحد اسم « سيتى » باسم « ستوس » ، بل إن الوقائع التى ذكرها «يوسفس» لايمكن أن تنسب إلا «لرعمسيس الثانى» ؛ من أجل ذلك يعتقد « ستروف » أن اسم « ستوس » ليس إلا تحريفا لاسم « سوس » الذى يمكن توحيده باسم « سسى » ، وهو الاسم المحبب الذى كان ينادى به الفرعون «رعمسيس الثانى» . فإذا كان الرأى الذى جاء به «ستروف» مقبولا فإن رواية « مانيتون » عن الأسرة التاسعة عشرة تصبح مفهومة لا خلط ولا ارتباك فيها ، وتتفق مع الحقائق المعاصرة ، ومن ثم يمكن ترتيب أسماء ملوك هذه الأسرة كما يأتى :

(١)	حور محب	حكم خمسة أعوام .
(٢)	رعمسيس الأول	حكم عاما وبعض عام (أو عامين على الأكثر) .
(٣)	سيتى الأول	حكم تسعة عشر عاما .

(٤) رعمسيس الثانى (سسى) حكم سبعة وستين عاما .
(٥) مرنبتاح حكم عشرين عاما .
(٦) سيتى الثانى حكم ستة اعوام .
(٧) رعمسيس الثالث حكم سبعة أعوام .
(٨) أمنمس حكم خمسة أعوام .
(٩) الملكة توزرت حكمت سبعة أعوام .

والواقع أن قائمة ملوك هذه الأسرة كما ذكرها « مانيتون » لا تحتوى الا على ثمانية ملوك، فى حين أنه وجد على الآثار تسعة ملوك كانوا حكام هذه الأسرة . والملك الذى لم يأت ذكره فى قائمة « مانيتون » هو « سيتى الثانى مرنبتاح » ، وقد فسر ذلك « ستروف » بأنه قد سقط من قائمة « مانيتون » إهمالا من الناسخ ، ويقول : إنه من المحتمل حدوث ذلك بسبب حذف كلمة « سيتى » من اسم « سيتى مرنبتاح » ، وبذلك أصبح موحدا باسم « مرنبتاح » الذى سبقه فى ترتيب القائمة ، والحقيقة الهامة التى يمكن استخلاصها إذا وحدنا اسم «منوفيس» باسم « سيتى الأول » هى أنه يصبح فى استطاعتنا تحديد عهد هذا الفرعون بعام ١٣١٨ ق م تقريبا كما يرجح ذلك ظهور نجم الشعرى فى اليوم الأول من السنة الجديدة . على أن كل ما ذكرنا هنا لا يتعدّى حدّ نظرية مقبولة فى ذاتها وحسب .

رعمسيس الأول



تولى « رعمسيس الأول » عرش مصر إثر وفاة العاهل العظيم « حور محب » الذى لم يعقب ولدا يرثه على أريكة الكنانة . وقد كان انتخاب «رعمسيس الأول» للملك أمرا تتطلبه الأحوال ونظم الحكم التى كانت تسير عليها البلاد وقتئذ، إذ كانت تحكم مصر حكومة مشبعة بالروح العسكرى، وكان «حور محب» نفسه قبل كل شىء جنديا معروفا، ولذلك انتخب خلفه ضابطا من ضباط الميدان يدعى «بارعمسيس».

نشأته قبل تولى الملك : وتدل الآثار على أن « بارعمسيس »(١) قد نشأ من أسرة ضباط قديمة، فقد كان والده « ستخى » أو « سيتى » يحمل لقب رئيس الرماة . ويدل الاتصال الوثيق الذى نجده بين ملوك الرعامسة فيما بعد وبين بلدة « تانيس » (هذا بالإضافة الى ما جاء على لوحة أربعمائة السنة، وما ذكر فى نقوش «بحر نفر» أحد كبار رجال الدولة فى الأسرة الرابعة) على أن هذه الأسرة تنتسب



(١) الملك رعمسيس الأول (من مناظر قبره)

---

(١) راجع ما جاء على تمثاله الذى أقيم أمام البوابة العاشرة فى الكرنك = (A. S., 14 p. 30.) وكذلك ما جاء على لوحة أربعمائة السنة (مصر القديمة الجزء الرابع ص ٧٠ — ٧٣) .

إلى بلدة « سترت » (ستوريت) من أعمال الدلتا كما فصلنا القول فى ذلك (راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٦٥) .

هذا ونعلم أن « بارعمسيس » قد بدأ حياته بالانخراط فى سلك الجندية ، وأخذ منصب والده « سيتى » ، ودرج إلى منصب رئيس الرماة . ويلحظ على حسب الألقاب التى كان يحملها أنه رقى قائدا لحامية قلعة « سيلة » (تل أبو صيفة الحالى فيما بعد)، ومن هنا نعلم أنه كان موكلا بحماية الحدود الشمالية الشرقية للدلتا . وأخيرا نعلم أنه وصل إلى رتبة قائد فرسان، مما يدل على أنه كان محظوظا ، وأنه كان ذا علاقات حسنة مع رجال البلاط . وقد ورث ابنه « سيتى » عنه فيما بعد وظائفه العالية . غير أننا لا نعرف فى أى وقت وصل « بارعمسيس » إلى رتبة قائد فرسان التى كانت تعدّ من أعلى الرتب العسكرية ، والمحتمل أنه نالها فى عهد الملك « آى » . ولا نزاع فى أن هذه الوظيفة كانت ذات قيمة عظيمة جدًّا ، وبخاصة عندما نعلم أن « آى » قد حصل عليها قبل تولى عرش الملك فى عهد كل من « سمنخكارع »، و « توت عنخ آمون » . ولا نستبعد أنه كان عاملا هاما فى نجاح « حور محب » نجاحا أدّى إلى اعتلائه العرش . وتدل شواهد الأحوال على أن مكانة « بارعمسيس » بجوار الفرعون « حور محب » تشبه تمام الشبه مكانة « حور محب » بجوار الفرعون « آى » . فقد كان فى استطاعة الفرعون بمساعدته وموافقته أن ينفذ إرادته . والظاهر أن الفرعون « آى » لم يفطن لهذه الحقائق وغابت عن حسابه ، ولذلك سقط من عليائه ، فكان ذلك درسا مفيدا لخلفه « حور محب » فى سياسة الملك ، فلم يتأخر أو يتردّد فى أن يجعل هذا القائد العظيم خلفا له على العرش، فمنحه لقب « ربعت »، وهو كما أسلفنا لقب[1] يضم فى غضون معانيه أن حامله هو نائب الفرعون فى إدارة البلاد فى الدولة المصرية . أما وظيفة المدير العظيم للبيت الفرعونى التى كانت تعدّ من أعظم ألقاب الدولة ، فلم يتقلدها «بارعمسيس» كما كان يتقلدها يوما ما «حور محب»، وذلك لأن لقب «ربعت»

(١) راجع مصر القديمة الجزء الخامس ص ٥٧٥

كان يدل على أن حامله فى يده كل سلطة المدير العظيم للبيت الفرعونى وغيرها من السلطات العظيمة فى الدولة .

وعلى الرغم من ذلك كانت فى حكومة البلاد وظيفة أخرى عظيمة الخطر بالنسبة للإصلاح الجديد الذى قام به رجال الحزب العسكرى وكانوا يعدّونها حربا عليهم تحول دون سلطانهم وتقلل من نفوذهم . وهذه وظيفة منصب الوزير . والواقع أنه كان يوجد فى البلاد منذ منتصف الأسرة الثامنة عشرة وزيران واحد للوجه القبلى والآخر للوجه البحرى على وجه عام . غير أنه مما يلفت النظر أننا لم نجد لهذه الوظيفة أثرا فى عهد «توت عنخ آمون» حتى الآن ، ولا فى عهد الفرعون « آى » أيضا ، وقد كان فى قدرة الوزير بوصفه الرئيس الأعلى لطائفة الموظفين أن يؤلبهم على رجال الجندية الذين كانوا يقبضون فى تلك الفترة على السلطة العليا فى طول البلاد وعرضها ، ولكن «حور محب» قد فطن لهذا الموقف وعين « بارعمسيس» الذى كان من طائفة الجنود وزيرا على البلاد ، وبذلك تفادى كل خطر من ناحية الموظفين ، ومن ثم نعلم أن وظيفة الوزير — إذا كانت قد ألغيت — قد أعيدت ، غير أن حاملها لم تعد له علاقة بالشعب كما كانت حال الوزير قبل عهد «إخناتون» ، وما كان له من جاه بوصفه صاحب أعظم وظيفة فى الدولة وقتئذ ، بل أصبح حاملها الآن مجرد ضابط من ضباط الجيش يعمل لصالح طائفته .

وليس لدينا براهين بينة على مقدار ما كان للوظائف الأخرى الهامة فى الدولة من قيمة إذا ماقيست بمصير وظيفة الوزير . وقد بقى الارتباط بين وظيفة ولاية العهد ووظيفة الوزير وثيقا فى أول عهد فراعنة الرعامسة ، غير أنه كان لزاما على ولى العهد أن يكون قد خدم فى الجيش العامل ، ولذلك نجد أن « بارعمسيس » لما تولى العرش بعد موت « حور محب » كان ابنه وخلفه على العرش يحمل نفس الألقاب التى كان يحملها والده قبل توليه أريكة الملك ، فنجد « سيتى » (ستخى) يحمل فى بادئ الأمر لقب رئيس الفرسان ، ثم رقى إلى رتبة قائد الخيالة ، ثم

أصبح ولى العهد ورئيس الوزارة . وكذلك نجد « سيتى » نفسه قد نصب بدوره ابنًا له يدعى «رعمسيس» الذى كان يحمل لقب رئيس الفرسان ولى عهده ووزيره على البلاد ، غير أن الأخير قضى دون أن يتولى العرش كما سنذكر بعد . ومع كل ذلك نجد أن هاتين الوظيفتين قد فصلتا فى عهد « رعمسيس الثانى » .

ونلحظ أنه كان يوجد فرق واحد بين الوظائف التى تقلدها « بارعمسيس » والتى قام بأعبائها « حور محب » فى عهد الملك « آى » . ذلك أن « بارعمسيس » لم يكن يحمل لقب القائد الأعلى للجيوش . ويمكن تفسير ذلك من الأحوال التى كانت تحيط بكل منهما ؛ فقد كان «بارعمسيس» على مايظهر يتقلد وظيفته بوصفه وزيرا فى « طيبة » كما يدل على ذلك تماثيله فى « الكرنك » ، فى حين أن وظيفة القائد الأعلى كان مقرّها فى « منف » . والظاهر أن « حور محب » كان يقطن « منف » وهو الرأى السائد ، وإن لم تكن لدينا براهين قاطعة تؤكد لنا هذا الزعم ؛ وأصحاب هذا الرأى يستندون على ما جاء فى نقوش تمثال « تورين » الخاص « بحور محب » إذ أنه عند تتويجه صعد فى النيل نحو الأقصر . ونجد كذلك أن « حور محب » لم ينصب فى وظيفة القائد الأعلى أميرا ، كما كان المتبع ، بل قلدها « أمنمابت » الذى لم يكن من طبقة الموظفين ؛ بل كان من الضباط العاملين فى الجيش وكان يحمل قبل توليته منصبه الجديد لقب رئيس الفرسان (١) .

وبالجملة نرى أنه قد حل محل طبقتى الموظفين والكهنة ، ضباط قدامى من ضباط الجيش العامل فى عهد « حور محب » ، ومما لاشك فيه أننا لم نجد إلا النزر اليسير من كبار الموظفين ورجال الكهانة مما يحتم علينا فحص هذا الموضوع من جديد . على أن هذا النقص فى رجال هاتين الطبقتين له ارتباط بنقل العاصمة من «طيبة» إلى «منف» ، ولكن الكشوف الأثرية لم تسعفنا بمعلومات كافية فى هذا

---

(١) راجع : A Z., 67. p. 78

الصـدد ، ومع ذلك يقصّ علينـا « حور محب » نفسه على تمثاله الموجود « بتورين » الآن ما يأتى[١] : " انه جهز المعابد بكهنة مطهرين وكهنة مرتلين من خيرة رجال الجيش " .

على أنه من جهة أخرى لم تصل إلينا أية معلومات عن السلطات التى كانت فى يد « بارعمسيس » بوصـفه نائب الملك ووزيره ، كما لا نعرف اسم الوزير الذى كان يسيطر على الوجه البحرى فى عهـد « حور محب » . وليس من شك فى أنه كان يوجد فى عهده وزيران[٢] . ومن المحتمل أن « بارعمسيس » نفسه كان مصوّرا فى مقصورة « حور محب » التى نحتها فى صخور السلسلة ، وقد مثل هناك بوصفه حامل المروحة على يمين الفرعون بجوار محفة الفرعون فى منظر يمثل « حور محب »[٣] وهو عائد من حروبه فى بلاد النوبة .

وعلى أثر وفاة « حور محب » اعتلى بعده « بارعمسيس » عرش الملك وسمى نفسه « رعمسيس الأوّل » غير أنه كان وقتئذ متقدّما فى السنّ جدّا وقـد لقب نفسه بالألقاب الملكية التالية : (١) الثور القوى صاحب الملك الزاهر . (٢) الممثل للإلهتين الذى يظهر ملكا مثل ... ... (٣) حور الذهبى ... ... الخطا فى الأرضين . (٤) ملك الوجه القبـلى « من بحتى رع » (شـديد القوى) . (٥) ابن الشمس « رعمسسو » .

ومما يلفت النظر فى ألقابه أنه عدّ نفسه المؤسس للأسرة التاسعة عشرة ، إذ قد اتخذ لنفسه لقبا يشبه لقب « أحمس الأوّل » أوّل فراعنة الأسرة الثامنة عشرة :

لقب « أحمس الأوّل » : « واز خبر رع نب بحتى أحمس » .

لقب « رعمسيس الأوّل » : « وازنيستيو رع من بحتى رعمسسو » .

---

(١) راجع : Maspero & Davies Tomb of Haramhabi p. 40. L. 25

(٢) راجع : Dumichen Hist. Inschrift II, 40 e.

(٣) راجع : Schafer-Andrae Kunst pl. 372

ولدينا مثال آخر بعد هذا العهد، فقد قلد « شيشاق الأول » مؤسس الأسرة الثانية والعشرين ألقاب الملك « نسيبا نبدادو » مؤسس الأسرة الواحدة والعشرين (١).

أسرة رعمسيس الأول : ولقد أصبح من المؤكد الآن أن والد « رعمسيس الأول » هو « سيتى » (ستخى) وكان يحمل ألقابا حربية وغير حربية (راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٧٠) وهى الألقاب التى كان يحملها والده من قبل .

أما والدته فإنها على حسب ماجاء فى لوحة أربعمائة السنة كانت تدعى « تيو » وتلقب « ربة البيت » وهو اللقب العادى الذى كانت تحمله كل امرأة محترمة، كما كانت تلقب فضلا عن ذلك مغنية « بارع » أى إله الشمس . وقد يتساءل الإنسان عما إذا كانت هذه السيدة إحدى أتباع شيعة عباد « رع » حتى جعلها تسمى ابنها « بارعمسيس » أى أنها جعلت اسم ابنها مركبا تركيبا مزجيا مع اسم الإله « رع » . وقد صار اسم « رعمسيس » تقليدا يطلق على معظم ملوك هذه الأسرة .

ويدل نسبة « رعمسيس الأول » الى أسرة من مدينة « ستريت » من أعمال الدلتا على عدم وجود أية صلة أسرية بينه وبين « حور محب » ، الذى نعلم واثقين أن مسقط رأسه هو بلدة « حت نسوت » (راجع الجزء الخامس ص ٥٨١) ، وكذلك كان الإله الذى يعبده وينسب إليه هو الإله « حور » لا الإله « ست » معبود هذه الأسرة .

ومن المحتمل أن نشأة هذه الأسرة فى شمالى الدلتا كان ضمن الأسباب التى أوحت للملوك الأسرة التاسعة عشرة بتأسيس عاصمة الملك الجديدة فى هذه الجهة فى المكان الذى فيه بلدة « قنتير » الحالية على أغلب الظن ، والواقع أنه توجد أسباب أخرى سياسية ودينية ذات أهمية عظمى جعلت هؤلاء الملوك يتخذون العاصمة فى هذه البقعة (راجع الجزء الرابع من مصر القديمة ص ٧٣) .

---

(١) راجع : Petrie Hist. III, p. 5

أسرة « رعمسيس » مؤسس هذه الأسرة

. ولدينا مناظر تمثل لنا أسرة « رعمسيس الأوّل » على جدران معبده الجنازى « بالعرابة المدفونة » ، وهو المعبد الذى أقامه له ابنه « سيتى الأوّل » . فنشاهد « رعمسيس » يحرق البخور و يصب القربان أمام الإله « أوزير » والإلهتين « إزيس » و « حتحور » . وتقف خلف « رعمسيس » الملكة ضاربة بالصاجات وخلفها رجل وآمرأتان ثم ثلاث نسوة ، وكل هؤلاء يحملون طاقات أزهار ، ولكن مما يدعو للأسف أن أسماء كل أولئك الأشخاص قد فقدت بسبب ما أصاب الجدار من عطب ، وقد أشير إلى هؤلاء الأشخاص على حسب رأى الأستاذ « ونلك » الذى درس آثار هذا المعبد (١) فى السطر السادس عشر من لوحة الإهداء التى دوّنها « سيتى الأوّل » ، إذ نجده يعلن فى صراحة عند ما يتحدّث عن والده قائلا : " إن والدته بجانبه ، وأجداده لم يهجروه ، لأنهم مجتمعون فى حضرته . و إنى ابنه الذى يخلد اسمه ، ووالدة الإله (أى الملكة « ساترع ») قد احتضنتا بساعدها مثل « إزيس » عندما تضم والدى ، وكل إخوته وأخواته يصحبونه وأنا مغتبط لأن أسرته تحيط به " . ومن هذا النقش نعلم أن الملكة « ساترع » تقف بجانب «رعمسيس الأوّل» ، والرجل الذى يليها يمكن أن يكون أخا الملك المحبوب



(٢) الملكة « ساترع » زوج « رعمسيس الأوّل »

---

(١) راجع : Winlock. The Temple of Ramses I, at Abydos, Pl. III, p. 17.

أما السيدة الثانية فيجب أن تكون « يويا » أم « رعمسيس » ، وأما سائر الرجال والسيدات فهم إخوته وأخواته . والظاهر أن آخر سيدة ذكرت فى هذا النقش كانت تحمل لقب « ربة البيت » وهذا يتفق مع الرأى القائل بأن هذه الأسرة ليست من أصل ملكى . ويرى الأستاذ « ونلك » فى هذا اللقب برهانا على أن هؤلاء الأفراد قد وقفوا بجانب « رعمسيس » على حسب ترتيب قرابتهم له لا على حسب قرابتهم للملك « سيتى » كما يفهم ذلك من الوصف . وإذا كانت السيدة المذكورة أخت « سيتى الأول » كانت بطبيعة الحال بنت « رعمسيس الأول » فكان من الواجب أن تحمل لقب « بنت الملك من صلبه » لا لقب « ربة البيت » الذى يعدّ لقبا عاديا (١) .

ولسنا مبالغين إذا قررنا هنا أن هذا المنظر يعدّ من أعظم المناظر المؤثرة التى وصلتنا عن الملوك وأسرهم حتى الآن . فقد كشف لنا عن المحبة الوثيقة العرا بين أفراد أسرة متحابين متآلفين فضلا عما يشاهده الإنسان فيه من عاطفة إنسانية تذكرنا بتلك المناظر التى رأينا كثيرا منها على لوحات الدولة الوسطى الجنازية ، حيث نجد أن كل ما كانت تتوق اليه نفس المتوفى أن يكون محاطا بأحبائه من أفراد أسرته فى عالم الآخرة . وأمثال هذه المناظر ظلت ترسم فى مقابر عامة الشعب حيث نشاهد الأسرة تولم الولائم التى قد يجتمع فيها أحيانا ثلاثة أجيال من أفرادها ، وهذه الظاهرة لا يكاد يخلو منها قبر من مقابر وجهاء القوم . والواقع أنه — على قدر ما وصلت اليه معلوماتنا — لا يوجد منظر يدل على ألفة ومحبة أسرية مثل هذا المنظر فى معابد الملوك الجنازيه إذا استثنينا معبد « إخناتون » ومقابر «تل العمارنة» التى يرجع وجود مثل هذه المناظر فيها إلى سبب خاص ، ومن أجل ذلك يعدّ المنظر الذى نتحدث عنه الآن برهانا بينا على أن أسرة «رعمسيس الأول» ليست من نسل ملكى .

---

(١) راجع : Ibid. p. 17

وكان « رعمسيس الأول » يحمل غير الألقاب التى على لوحة أربعمائة السنة الألقاب التالية وقد وجدت منقوشة على تمثاله المنصوب أمام بوابة « حورمحب » العاشرة بالكرنك (١) : قائد الحامية ، والمشرف على مصبات فروع النيل (أى الموكل بحماية مداخل فروع النيل الخمسة من بلوزيم حتى دمياط) وسائق عربة جلالته (وهذا اللقب كان لقب شرف عظيم لحامله وكان لا يعطاه إلا الأمراء وأصحاب المكانة العالية . ولما كان سائق العربة يجاور الفرعون فى العربة المصرية الصغيرة اقتضى ذلك أن يوكل هذا العمل إلى رجل على جانب عظيم من الكمال والتهذيب) ، ورسول الفرعون فى كل بلد، وقائد الرماة، وقائد جيش سيد الأرضين ، والمشرف على كهنة الآلهة ، ونائب جلالته فى الوجهين القبلى والبحرى ، ورئيس القضاة ، ونائب « نخن » ، وكاهن الإلهة « ماعت » ، والمشرف على قاعات العدل الست العظيمة ، والأمير الوراثى للأرض قاطبة . ونجده على تمثال آخر يحمل غير ما ذكر لقب حامل المروحة على يمين الفرعون (Ibid. p. 30.) . ومما تجدر ملاحظته فى هذه الألقاب أننا لم نجد « با رعمسيس » يحمل لقب ابن الملك أو لقب قريب الفرعون مع أنه كان يحمل أعلى الألقاب الإدارية والحربية فى الدولة مما يثبت أنه لم يكن بينه وبين « حورمحب » قرابة ما ، بل تدل قرائن الأحوال على أنه كان زميلا «لحورمحب» فى الجيش، ومن الجائز أن الأخير قد رباه تربية خاصة ليخلفه على عرش البلاد حتى ينفذ سياسته الحربية والإدارية التى وضعها « آى » وسار عليها هو من بعده كما أوضحنا ذلك من قبل (راجع مصر القديمة الجزء الخامس ص ٥٧١ الخ) .

ويظن المؤرخ « كيث سيلى » (٢) أن «رعمسيس الأول» قد يكون مدينا بعرشه للساعدة التى قدمها له كهنة «آمون»، وهذا يوضح لنا السبب الذى من أجله اهتم

(١) راجع : A. S., XIV, pp. 30 ff.

(٢) راجع : Keith Seele : The Coregency of Ramses II, with Seti I, and the Date of the Great Hypostyle Hall At Karnak p. 22, Note 25.

بإقامة مبـانى « آمون » الضخمة بالكرنك لدرجة أنه أهمل إقامة المعبد الجنازى الخاص به نفسه .

وقـد تزوج فى باكورة مجال حياته الحكومية من سـيدة تدعى « سا ترع » ، ولا نعرف شيئا عن نسبها ولكن « بترى » يلقبها بالأمـيرة الملكية (١) . وكل ما نعرفه عنها أنها كانت ملكة تحمل الألقاب التالية : زوج الملك ، وزوج الإله ، والأم العظيمة والدة الملك ، وأم الإله ، وسيدة الأرضين ، وسيدة الوجه القبلى والوجه البحرى المحبوبة ، جميلة الحب ، (راجع Maspero, La Reine Satra. P. S. B. A. XI, p. 190 ff.) ونجدها فى مقبرة «سيتى الأول» تحمل الألقاب التالية : الأميرة الوراثية ، العظيمة الحظوة ، وحظية حور (الفرعون) رب القصر ، والتى ينفذ قولها ، وزوجة الملك العظيمة ، وقريبـة الفرعون . والظاهر أن « رعمسيس الأول » لم يعقب منها أحدا غير «سيتى الأول» . ومن الغريب أن الأثرى « كابار » قال عنها : إنها زوج « سيتى الأول » لا والدته دون أن يدلى ببرهان يعزز ما ادّعاه . وكذلك يقول : إن « مسبرو » قد جمع ألقابها من مختلف النقوش التى وجدت على الآثار ودرسها واستخلص منها صورة نجد ترجمتها فى كتابه المسمى (Maspero Etudes de Mythologie & Archeol. IV, p. 327 - 332) .

وقد خالفه « كابار » فى بعض نقط وهاك نص الترجمة كما يفهمها الأخير :

" الأميرة التى نالت أعظم حظوة ، محبوبة « حور » سـيد القصر — وهى الملكة التامة فى أعضائها لأن « إزيس » هى التى سوّتها — وهى التى تعبد عند ما ترى مثل جلالة سيدة السماء — وهى الهدية اليومية من «ماعت» (العدالة) « لحور » الثور القوى ابن « إزيس» الأم المقـدّسة ، وعندما تقترب من جلالته يضع يديه حولها ليحملها كل يوم . وهى التى يفعل لهـا ما تقوله ، والزوجة الملكية العظمى للفرعون (٢) التى يحبها « ساترع » محبوبة « ازيس» ، سيدة السماء وحاكمة الأرضين

(١) راجع : Petrie History III, p. 2, 5

(٢) راجع : Chronique D'Egypte Vol. 33. Jan. 1942. p. 72

العائشة المتجددة الشباب السليمة الجسم أبد الآبدين " . ولا شك فى أن هذه النعوت تكاد تكون فذة فى بابها . إذ لا نراها كثيرا فى النعوت الملكية .

والواقع أن « رعمسيس الأول» قد تولى الملك وله ابن واحد فى مقتبل العمر وعنفوان الصبا وكان بدوره قائدا حربيا محنكا وإداريا ماهرا .

وقد كانت مدّة حكم « رعمسيس الأول » قصيرة ولذلك لا يمكننا بطبيعة الحال أن نعزو إلى عهده حوادث تاريخية جسيمة ، غير أنه ثبت لدينا سيره على نهج السياسة التى كان قد اختطها له «حور محب» ، ويمكن أن نرى ظلالها منعكسة فى الأعمال التى قام بها ابنه « سيتى الأول » الذى لم يحد عن هدى والده . وقد كان «رعمسيس» يهدف إلى القيام بإتمام الإصلاحات التى بدأها «حور محب» ، أى أنه كان يسعى إلى السير بمصر ثانية نحو المكانة الرفيعة التى كانت تحتلها بين دول الشرق القديم قبل نزول « أمنحتب الثالث » لابنه « إخناتون » عن عرش الامبراطورية المصرية . وهذه السياسة الطامحة كانت تتطلب حكومة ثابتة الأركان قوية البنيان فى الداخل ، وإعادة الفتوح الأجنبية فى الخارج وبخاصة فى آسيا ، وهى السياسة التى وضع أسسها الفرعون « آى » وسار بها « حور محب » قدما إلى حدّ ما . وسنرى فيما يلى أنها كانت السياسة التى اتبعت بعدهما بحذافيرها .

أعمال « رعمسيس الأول »

خلف « رعمسيس الأول » على الرغم من قصر مدة حكمه آثارا عدّة منتشرة فى طول البلاد وعرضها من « سرابة الخادم » بسينا شمالا حتى « أمدا » فى بلاد النوبة جنوبا .

سرابة الخادم : ففى «سرابة الخادم» وجدت له لوحة دوّن عليها أنه قد جدّد آثار والدته « حتحور » سيدة الفيروزج(١) ، وعلى لوحة أخرى مشابهة للأولى فى نفس

(١) راجع : Gardiner & Peet Inscrip. of Sinai, pl. LXVIII, No. 244

المكان نشاهد « رعمسيس الأول» يقدّم إناءين للإلهة «حتحور سيدة الفيروزج » أيضا . وهاتان اللوحتان لها أهميتهما الخاصة، إذ نعلم منهما أنه فى عصره بدئ إعادة فتح محاجر هذه الجهة بعد أن بقيت مهجورة نحو ثلاثة أجيال أى منذ عهد « أمنحتب الثالث » حتى عهد « رعمسيس الأوّل » .

القنطرة : وفى القنطرة عثر على قاعدة تمثال ضخم لصقر نقش عليها صورة « سيتى الأوّل » يقدّم آنية للإله «حور» صاحب « مسن » وتحدّثنا النقوش أن «سيتى الأوّل» قد أقام صورته ليكون عملا طيبا باقيا؛ فيقول : "تأمل، إن رغبة جلالته تمكين اسم والده الملك «رعمسيس الأوّل» أمام هذا الإله «سرمديا» " . والظاهر أن هذا الأثر لم يكن تاما عند موت « سيتى الأوّل » لأن ابنه « رعمسيس الثانى » قدأضاف نقشا على ظهره قال فيه : "إنه نحت أثر والده هذا حاملا اسم جده «رعمسيس الأوّل» يعيش فى معبد حور" (راجع Patrie (Nebesheh (Am) and Depenneh Tahpanhis p. 104. ومن الأشياء الطريفة السارّة أن نرى « رعمسيس الثانى » يقوم بدور الابن البارّ متمما آثار أسلافه بدلا من اغتصابها لنفسه كما هو المعروف عنه .

تل اليهودية : عثر الأثرى « نافيل » على بعض الآثار منقوشا عليها اسم هذا الفرعون فى « تل اليهودية »[١] .

منف : ويوجد فى متحف « اللوفر »[٢] قاعدة تمثال لهذا الفرعون يقال إنها وجدت فى « منف » .

«المرج» : وعثر لهذا الفرعون عند بئر بالقرب من «الشيخ عبادة» على قطعة من الحجر عليها طغراء هذا الفرعون[٣] .

---

(١) راجع : Naville Tell el Yahudiyah p. 69

(٢) راجع : Rev. Egyptologyque III, p. 46

(٣) راجع : Naville Mound of the Jews & Griffith Tell el Yahudyah pl. XXII, p. 69

«القاهرة»: وبالقرب من « باب الفتوح » وجدت قطعة من الحجر عليها لقب « رعمسيس الأول » منقوشا نقشا دقيقا[١] .

«العرابة المدفونة» : وعثر « بترى » على قطعة تحمل الاسم الحورى لهذا الفرعون فى «العرابة المدفونة»[٢] ، وكذلك عثر لهذا الفرعون على تمثال عند أحد تجار الآثار «بالبلينة» القريبة من «العرابة المدفونة» وعليه نقوش تحدثنا بأن «سيتى الأول» قد أقامه ليجعل اسم والده ثابتا وسعيدا فى مقاطعة «العرابة المدفونة» ومخلدا طول الأبد السرمدى . (راجع A. S., XXI, pp193.) ، وفى معبد « العرابة المدفونة » مثل الفرعون «رعمسيس الأول» وزوجه «ساترع» فى هيئة تمثالين مقدسين فى القارب المقدس كما نجد اسمه مذكورا فى قائمة الملوك التى نقشت فى إحدى حجرات المعبد العظيم (راجع Petrie History III. p. 4.) .

آثار «رعمسيس الأول» فى الكرنك : يدل ما خلفه لنا هذا الفرعون فى «الكرنك» على مقدار طموحه وطول باعه فى فن العمائر. وأعنى بذلك قاعة العمد الضخمة القائمة إلى الآن فى معبد الكرنك . وهذه القاعة الفخمة تعد بحق أكبر قاعة فى عمائر مصر كلها . ويبلغ طولها نحو سبعين ومائة قدم، وعرضها نحو ثمانية وثلاثين وثلاثمائة قدم، ومجموع مساحتها حوالى ستة آلاف ياردة مربعة نظمت عمدها ستة عشر صفا ، يمتاز الصفان اللذان يتوسطانها بارتفاعهما عن الصفوف الأخرى ، ولعمدهما تيجان على هيئة زهرة البردى المفتحة . ويبلغ أعلى هذه العمد النباتية الشكل، الشاهقة الطول نحو تسع وستين قدما ، أما تاج كل منها فيبلغ ارتفاعه نحو إحدى عشرة قدما، ومحور ساق كل عمود حوالى إحدى عشرة قدما وثلاثة أرباع القدم ، أما محيط العمود فيبلغ حوالى ثلاث وثلاثين قدما . ويمكن للانسان أن

---

(١) راجع : A. S., XII.P. 85

(٢) راجع : Petrie Abydos I, p. 31 pl. LXVI

يتصوّر ضخامة هـذه العمد عندما يعلم أنه يلزم لقياس محيط الواحد منها ستة رجال واقفين ناشرين أذرعتهم حوله .

أما سائر العمد الأخرى غير ما ذكرنا فيبلغ ارتفاع كل منها اثنتين وأربعين قدما ونصف قدم ومحيطه نحو سبع وعشرين قدما ونصف قدم . وهـذه القاعة الجميلة الأخاذه قد أقيم أمامها (بوّابة) تعرف الآن بالبوّابة الثانية يشاهد على كل من جانبيها أربع قنـوات محفورة كان مثبتا فيها عمـد أعلام ترفرف فى أعلاها أيام الأعيـاد والأحفال الرسمية . وطبعى أن إنجاز مثل هـذا العمل الضخم لا يتسع له عمر ملك كان قد بلغ من العمر أرذله ، ولذلك ترك إتمامه لابنه ثم حفيده من بعده .

وإذا أردنا أن نفهم مقدار العمل الذى أنجزه «رعمسيس الأول» فى قاعة العمد هذه فلا بدّ لنا أن نتصور هذا الجزء من معبد الكرنك كما كان عليه عند نهاية حكم الفـرعون « حور محب » الذى يعـدّ المؤسس الأوّل للبوّابة الثانية، وقـد كانت وقتئذ تعدّ جزءا خارجيا بالنسبة لمعبد الكرنك ، وكانت هذه البوّابة مزينة بنقوش غائرة كما كانت العادة فى مثل هذه المبانى . وكانت متصلة بالبوّابة الثالثة التى أقامها « أمنحتب الثالث » بصفين من العمد الضخمة كما كان يكتنفها جدران، فتألفت بذلك قاعة عمد ضيقة طويلة، ويظنّ البعض أن هذا البناء كان تقليدا لقاعة العمد العظيمة التى أقامها «أمنحتب الثالث» فى معبد الأقصر، ويعدّ [1] اتخاذ « حور محب » هذا التصميم فى معبـد الكرنك دليلا آخر على أن هـذا الفرعون كان يريد منافسة أعمال سـلفه العظيم فى فن العمارة . ويدل تزيين البوّابة الثانيـة بنقوش غائرة على يد « حور محب » — وهو طراز كان يستعمل عادة فى الزينة الخارجية — على أن « حور محب » لم يكن له دخل فى تغيير التصميم العام [2]، ولذلك يجب أن ينسب للفرعون « رعمسيس الأوّل » .

---

(١) راجع : Seele ; Coregency p. 2. Note. 8

(٢) ويلاحظ أن هذه النقوش قد كشطت فيما بعد فى كل مكان يمكن رؤيتها فيه .

ومن المدهش إذًا أن نرى رجلا قد أثقلته السنون يقدم على القيام بمشروع ضخم مثل هذا مع أنه لم يكن قد بدأ بعدُ إقامة معبده الجنازى . ويظنّ الأثرى « كيث سيلى » أن « رعمسيس الأوّل » ربما كان مدينا بعرشه إلى مساعدة كهنة الإله « آمون » ، وأنه قد شرع فى إقامة أضخم قاعة عمد فى مصر وفاء للدين الذى يثقل كاهله ، وفى الوقت نفسه ليوطد أركان أسرته الجديدة التى لم يكن لها من المبررات الشرعية ما يخوّلها تسنم عرش مصر كأسلفنا ، ومهما تكن مقاصد « رعمسيس الأوّل » فإنه لم يعش طويلا ليرى مشروعه العظيم منفذا ، بل لم يمتد أجله حتى يرى اسمه منقوشا على جدران هذه القاعة العظيمة التى بدأها .

قبر رعمسيس بطيبة : ويلحظ قصر مدّة حكم « رعمسيس الأوّل » من المقبرة التى أقامها لنفسه فى « وادى الملوك » وهى المعروفة الآن بمقبرة رقم ١٦ ، إذ لا تحتوى إلا على حجرتين فقط لم تزين منهما إلا حجرة الدفن بنقوش على نمط مقابر الملوك الأخرى ، وتشمل مناظر ومتونا تصف لنا سياحة إله الشمس الليلية فى عالم الآخرة السفلى . وفى وسط هذه الحجرة وضع تابوت الفرعون وقد زينت جدرانه بالصور والمتون الملونة بالأصفر . وقد جرت العادة بأن تنقش التوابيت المصنوعة بالجرانيت . وتلوين تابوت « رعمسيس الأوّل » بدلا من نقشه يشعر بأن ساكنه قد مات قبل إتمامه ؛ ولم تمكث موميته طويلا مطمئنة فى مخدعها الأصلى ، فقد حدث فى نهاية الأسرة العشرين عندما انحلت قوة الملكية المصرية التى كان من نتائجها نهب مقابر الملوك نهبا منظما لما كانت تحويه من نفائس وذهب ، أن نقلت الموميات الملكية كما هو معروف أوّلا إلى مقبرة الملكة « انحابى » ، وأخيرا إلى المخبأ السرى الواقع بجوار الدير البحرى . والظاهر أن تابوت « رعمسيس الأوّل » الخشبى قد فقد أو هشم قبل نقله أو فى أثناء ذلك ، ونلحظ أنه قد وضع فى تابوت مستعمل من عهد الأسرة الحادية والعشرين بعد أن عملت فيه إصلاحات ، وقد كتب متن التحقيق الخاص بنقل مومية « رعمسيس الأوّل » بالمداد على هذا

التابوت وأرّخ بالسنة السادسة عشرة، الشهر الرابع، من فصل الزرع، اليوم الثالث عشر من حكم الفرعون « سيامون » (الأسرة الواحدة والعشرون)، وقد وجد مع هذا التابوت مومية لم تسم ، وجسمها عارٍ ، ولكن ليس لدينا برهان بيّن على أنها مومية « رعمسيس الأوّل » .

معبد رعمسيس الأوّل الجنازى : ذكرنا من قبل أن «رعمسيس الأوّل» لم يكن لديه متسع من العمر ليقيم لنفسه معبدا جنازيا خلال مدة حكمه ولكن ابنه البار « سيتى الأوّل » قد سدّ هذا الفراغ إذ أقام له محرابا صغيرا بجوار معبده الفاخر الذى رفع بنيانه لنفسه فى « العرابة المدفونة » .

ولكن على الرغم من صغر حجمه كان جميلا فخما (١) ، ويحتوى على قاعة متوسطة الحجم مبنية كلها بالحجر الجيرى الأبيض تكنفها حجرتان جانبيتان ويحيط بالمحراب جدار سميك البنيان وله ردهة أمامية .

وقد غطيت واجهة هذا المحراب الوسطى بنقوش وكتابات تحدّثنا عن إهداء هذا المعبد فنشاهد على الجانب الأيسر «سيتى الأوّل» واقفا مادّا يده بالوضع الجنازى المتبع عند تقديم القربان. وعلى الجانب الأيمن يرى «رعمسيس الأوّل» مواجها له . وقد نقش أمام صورة سيتى الكلمات التى كان مفروضا أن يتلوها وهى: "يقول ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «من ماعت رع» بن الشمس «سيتى مرنبتاح» معطى الحياة مثل «رع» : [تعال فى أمان يأيها الإله الطيب ، ليتك تحتل المكان الذى صنعته لك وترى المعبد الجنازى القائم بجوار «وننفر» (يشير هنا إلى أن هذا المعبد قد أقيم بالقرب من معبد أوزير العظيم) . وإنى أسست لك قربانا فيه ، وكذلك شرابا يوميا" ثم تستمر النقوش تحت صورة «سيتى» فتقول : "ياملك الوجه القبلى والوجه البحرى « من بحتى رع » لقد صنعت هذه الأشياء المفيدة لك عند ما أقمت معبدا لروحك فى الجهة الشمالية من معبدى العظيم ، وحينما حفرت بحيرته المفروسة بالأشجار وجعلتها بهجة بالأزهار ، وحينما أمرت أن يوضع تمثالك فى داخله ، ورتبت الطعام والشراب وكل قربان يوميا ، وذلك على حسب ما فعلت لكل الآلهة . وإنى ابنك الحقيق من قلبك . ولقد جعلت ... ... كل ما طلب منى لأنك أنت الذى

(١) راجع : Winlock, The Temple of Ramses I, at Abydos

أنجبتنى ، و إنى أرفع اسمك الى عنان السماء وأعلى تاجك (؟) ... ... و إنى أمكن اسمك فى الأرض كما فعل «حور» لوالده أوزير" [١] .

وتحتوى النقوش التى أمام صورة «رعمسيس» وتحته على جواب هذا الفرعون على الخطاب الذى وجهه إليه ابنه « سيتى الأول » وفيه يرجو الآلهة أن يطيلوا فى حياة ابنه البار .

وكانت بوّابة سور المعبد المصنوعة من الحجر الجيرى كذلك مزينة بالنقوش وتحمل اسم « من ماعت رع » الذى يطلب القربان لأفق أوزير . وقد أضاف أسفل هذه النقوش الفرعون «مرنبتاح» حفيد «سيتى الأول» اسمه بحروف ضخمة [٢] . وقد كشف الأستاذ « ليفبر » عن لوحة من الحجر الجيرى عندما كان يقوم بأعمال الحفر فى موقع هذا المعبد ، دوّن عليها متن إهداء وضعه «سيتى الأول» لجاء مؤكدا للنقوش التى على البوّابة السالفة الذكر [٣] .

وقد أقام «سيتى الأول» معبدا « بالقرنة » للإله «آمون» ولوالده «رعمسيس الأول » معا ، ولكن هذا المعبد لم يتم فى عهده وقد قام بإنجازه ابنه « رعمسيس الثانى» ، وقد أتمه بطريقة جعلته يستعمل معبدا جنازيا لجده «رعمسيس الأول» ولوالده « سيتى الأول » ثم لنفسه كما سنتكلم عن ذلك بعد .

ويشاهد فى معبد «الرمسيوم» [٤] وفى معبد مدينة «هابو» تمثال «رعمسيس الأول» محمولا فى موكب الأجداد [٥] .

« وادى حلفا » : والأثر الوحيد الذى وصل الينا حتى الآن مؤرخا هو لوحته التى عثر عليها فى «وادى حلفا» . وقد ذكر لنا الأثرى «ويجول» نقشا مهشما للفرعون « رعمسيس الأول » فى قاعة عمد « أمدا » فى بلاد النوبة السفلية مؤرخا بالسنة

(١) راجع : Winlock Ibid. p. 14
(٢) راجع : Ibid. p. 10
(٣) راجع : Ibid. p. 6
(٤) راجع : L. D., III, pl. 136
(٥) راجع : L. D., III, pl. 212

الأولى ، الشهر الرابع ، من فصل الزرع اليوم الأول . وهذا النقش معظمه مهشم ولكن يظهر أنه يشير إلى ابن الملك نائب بلاد النوبة (١) .

أما لوحة « وادى حلفا » السالفة الذكر فقد أقيمت تخليدا للأعمال الصالحة التى قام بها « رعمسيس الأول » فى معبد الإله « حــور بوهن » فى السنة الثانية من حكمه وهاك ما جاء عليها : راجع : (Breasted A. R., §§ 76 ff.) .

« السنة الثانية ، الشهر الثانى من الفصل الثانى ، اليوم العشرون : يعيش حور الثور القوى المزهر فى الملك محبوب الإلهتين ، والمنير بوصفه ملكا مثل ... ... حور الذهبى ... ... فى الأرضين ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « من بحتى رع » بن الشمس « رعمسيس » محبوب آمون رب طيبة « ومين » بن « ازيس » ، والظاهر على عرش حور الأحياء مثل والده « رع » يوميا .

تأسيس القربان : تأمل ! لقد كان جلالته فى مدينة « منف » يؤدى شعائر والده « آمون رع » و« بتاح جنوبى جداره » ورب « حياة الأرضين » ، وكل آلهة مصر بقدر ما أعطوه [القوة والنصر على كل البلاد] ، وقد اتحدوا بقلب واحد فى مديح حضرتك . وقد هزمت كل البلاد وكل الممالك وقبائل الأقواس التسع ... ... وقد أمر جلالته ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « من بحتى رع » (رعمسيس الأول) معطى الحياة بحبس قربات مقــدسة على والده « مين آمون » القاطن فى « بوهن » . وأولى مخصصاته فى هذا المعبد هى اثنا عشر رغيفا (برسن) ومائة رغيف (بعيت) وأربع أوانى جعة ، وعشر حزم من الخضر ، وكذلك أكتظ المعبــد بالكهنة المرتلين وبالكهنة المطهرين ، وجهزت معابده بالعبيــد والإماء من الذين أسرهم جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « من بحتى رع » [معطى الحياة مثل رع مخلدا وسرمديا] . وكان جلالته ... ... يقظا ، ولم يقصر فى البحث عن الأشياء الممتازة ليقوم بعملها لوالده « مين آمون » القاطن فى « بوهن » فأقام له معبدا مثل أفق السماء الذى يشرق فيه « رع » .

وفى نهاية هذا النقش كتب اسم « سيتى الأول » ولقبه ، ويدل ذلك على أنه كان مشتركا معه فى الملك ، ومما يقوى هذا الزعم أنه وجد اسم «سيتى الأول» مع اسم « رعمسيس الأول » فى مبانى قاعة العمد الكبرى بالكرنك ، يضاف إلى ذلك أنه عثر على قاعدة تمثال فى « المدمود » نقش عليها اسما هذين الملكين معا (٢) .

---

(١) راجع : Welgall. A Report on the Antiquities of Lower Nubia p. 107.

(٢) راجع : Bisson de la Roque Fouilles de Madamoud (1925) p. 45, 46.

ويلفت النظر فى نقوش لوحة «وادى حلفا» ذكر العبيد والإماء الذين أسرهم جلالته ، مما يوحى بأن « رعمسيس الأوّل » قد شنّ حروبا فى مكان ما فى بلاد النوبة ، ولكن اللوحة قد ذكرت لنا فى صراحة أن الفرعون نفسه كان فى «منف» لذلك يحتمل كثيرا أن هذه الحملة (إذا كانت قد حدثت فعلا) قد قام بها ابنه « سيتى الأوّل » وبخاصة أن اسمه قد جاء فى نهاية هذا النقش .

ويقول الأستاذ « برستد » : إن « رعمسيس الأوّل » قد قضى بعد إقامة هذه اللوحة بستة أشهر، وبذلك يكون قد حكم على أكثر تقدير سنتين ونصف سنة، غير أن المتفق عليه عند عامة المؤرّخين القدامى والأحداث أنه حكم أقل من سنتين (١).

عبادة رعمسيس الأوّل

وعلى الرغم من أن « رعمسيس الأوّل » لم يكن له الحق فى عرش مصر شرعا، وعلى الرغم من أن مدّة حكمه كانت قصيرة، فإن الخلف لم يكتفوا بالاعتراف به ملكا شرعيا على البلاد ، بل كذلك عدّوه إلها كغيره من الفراعنة الذين حكموا البلاد من قبله وكانوا من دم ملكى خالص ، وبخاصة أولئك الفراعنة الذين أسسوا أسرا جديدة أمثال «أحمس الأوّل» وغيره. والآثار الدالة على تأليهه عديدة لدينا، فقد وجدت بعض الآثار عليها اسم « سيتى الأوّل » ابنه ، وحفيده « رعمسيس الثانى » يتعبدان له (٢) . وقد ذكر لنا « بترى (٣) » كذلك بعض أمثلة نعلم منها أن هذا الفرعون كان يتعبد له الأفراد أيضا ، كما نشاهد ذلك فى مقبرة «إنحركوى (٤)» ، وكذلك « بنبوى » ، هذا إلى لوحة وجدت فى « العرابة المدفونة » لشخص يدعى « حورا » نشاهده عليها يتعبد إلى هذا الفرعون (راجع Mariette Abydos II, p. 51.) .

---

(١) راجع : Br. A. R., III, §§ 74-79

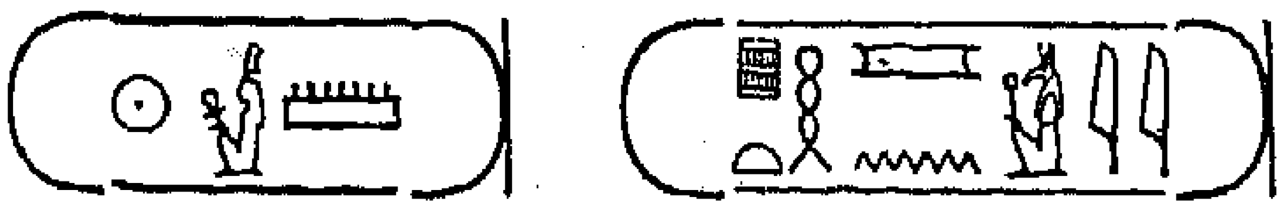
(٢) راجع : A. S., XL, p. 43

(٣) راجع : Petrie Hist. III, p. 4

(٤) راجع : L. D., III, 101

(٥) راجع : Ibid. pl. 173

سيتى الأول



كان « سـيتى الأول » بن « رعمسيس الأول » يدعى « سـيتى مرنبتاح » على الآثار، وكانت أمه تدعى الملكة « ساترع »، ولم يكن سيتى بطبيعة الحال من دم ملكى مثـل والده الذى تدل الآثار حـتى الآن على أنه لم ينجب غيره . وتدل



(٣) الملك سيتى الأول (المومية)

الأحوال على أن والده كان قد أنجبه وهو فى ريعان الشباب ومقتبل العمر . وتاريخ حياته يشعرنا بأنه كان قد ترسم خطا والده فى مجال حياته ، فقد انخرط فى سلك الجندية وبلغ فيها درجة عالية ، كما تحدثنا بذلك لوحة أربعمائة السنة ، ومنها نعلم أنه قد حاز الألقاب التالية (راجع الجزء الرابع ص ٧١) : الأمير الوراثى ، وعمدة المدينة ، وحامل المروحة على يمين الفرعون ، ورئيس الرماة ، والمشرف على البلاد الأجنبية ، والمشرف على حصن « ثارو » (تل أبو صيفة الحالى) ، ورئيس «المازوى» (الشرطة فى الصحراء) والكاتب الملكى ، والمشرف على الخيالة ، ومدير «عيد كبش منديس» (تل الربع الحالى) ، والكاهن الأوّل للإله «ست» ، والكاهن المرتل للإلهة « بوتو » ، والمشرف على كل كهنة الآلهة « سيتى » المرحوم . ولا نزاع فى أن لقب الكاهن الأوّل للإله « ست » يعدّ برهانا على أن الأسرة التاسعة عشرة المالكة لعرش الفراعنة كان موطنها مقاطعة «ستوريت» من أعمال الدلتا كما سبق شرح ذلك . ولما كان الإله « ست » لا ينظر إليه بعين الرضا فى مصر كلها لم يحاول « سيتى الأوّل » أن يجبر رعاياه على عبادة إلهه المحلى ، ومن أجل ذلك اختار الإله « بتاح » من بين الآلهة الشماليين وضمه لاسمه فأصبح يدعى «سيتى مرنبتاح » (أى سيتى محبوب بتاح) أما اسم هذا الملك — العلم المركب من لفظة « ست » وياء النسب (سيتى) ومعناه المنسوب للإله « ست » إله الشر كما ذكرنا من قبل — فقد غيّره فى كثير من الأحيان وبخاصة فى « العرابة المدفونة » إلى اسم « أوزيرى » ورسمه بكلمة تدل على « أوزير » وبسلامة ؟ تنطق « ث » بدلا من صورة الإله « ست » ، غير أن « سيتى » لم يقم بأى تغيير رسمى فى كتابة اسمه كما فعل « إخناتون » بل اكتفى برسم اسمه بإحدى الطريقتين السابقتين على حسب ما تتطلبه الأحوال وحسن الذوق ، وبخاصة عندما لا يستحب كتابة صورة الإله « ست » على آثار مهداة للإله « أوزير » .

سياسة سيتى الأوّل : عرفنا مما سبق ذكره أن «سيتى الأوّل» كان شريكا لوالده فى الملك، وكان فى هذه الفترة يناهز الأربعين من عمره، وتدل ألقابه على أنه كان جنديا مجربا و إداريا حازما، ولذلك كان الرجل الذى تتطلبه مصر فى تلك الفترة من تاريخها .

وفى الحق كان « سيتى » منذ باكورة حكمه يسير على نهج قويم واضح لا عوج فيه، متبعا فى ذلك تلك السياسة الرشيدة التى وضع أسسها «حور محب»، وهى التى كانت تهدف لإعادة سيادة مصر والقضاء على كل رذائل عهد الزيغ المنصرم ، ولذلك نجد أن كل عمل من أعمال عهده أساسه هذا الاتجاه . فكان يرى أنه لا بدّ لمصر إذا أرادت إعادة مكانتها الغابرة فى العالم المتمدين من أمرين هما حكومة ثابتة موطدة الأركان فى الداخل، و إعادة فتح امبراطورية مصر التى كانت قد مزقت أوصالها شر ممزق . وقد رأى « حور محب » بثاقب نظره أنه لا بدّ من تحقيق الأمر الأوّل قبل الشروع فى القيام بالثانى. وقد أفلح «حور محب» فعلا فى إعادة النظام إلى ربوعه فى داخلية البلاد . فلما تولى « سيتى الأوّل » وجد داخلية البلاد ثابتة الأركان فسهل عليه ذلك القيام بتنفيذ الجزء الثانى من منهاج الإصلاح الذى كان يرمى إلى إعادة مجد مصر الامبراطورى .

ولا يبعد أن تكون سياسة البلاد الحربية كانت قد بدأت فعلا فى عهد « رعمسيس الأوّل » إذا فهمنا العبارة التى جاءت على لوحة « حلفا » وهى التى تشير إلى العبيد والإماء الذين أسرهم جلالته بما تدل عليه فى ظاهرها، أى أن «رعمسيس» قد استولى على هؤلاء العبيد والإماء من بلاد النوبة فى حروب وقعت حقيقة. ويدل وجود اسم « سيتى الأوّل » ولقبه المكتوبين فى نهاية هذا المتن على أنه كان حاضرا فى بلاد النوبة بوصفه مشتركا فى الملك مع والده، ومنفذا لأوامره فى تلك الجهة ، هذا فضلا عن أنه هو الذى كان يقوم بأعباء الحروب والقيادة مدّة حكم والده كما تدل على ذلك ألقابه الحربية .

حروب سيتى الأول : كانت أهم المصادر التى فى متناول المؤرّخ عن حروب « سيتى الأول » حتى عهد قريب تنحصر فى سلسلة المناظر التى خلفها لنا على الجدار الشمالى الخارجى لقاعة العمد بمعبد الكرنك[1]، وتمتدّ رقعة هذه النقوش شرقا على واجهة الجدار الشرقى من نفس هذه القاعة . وهذه المناظر تعدّ من أقدم مناظر المواقع الحربية التقليدية التى مثلت أمامنا تمثيلا صادقا ، وهى فى الواقع من الذخائر الفنية التى خلفتها لنا مصر القديمة ، ويبدو أن الغرض من هذه المناظر كان دينيا قبل كل شىء ، ولذلك ينقصها الشىء الكثير من الوجهة التاريخية . وهى تصوّر لنا باختصار وإبهام على أقل تقدير ثلاث حملات عظيمة قام بها « سيتى الأوّل » ؛ الأولى : حربه التى شنها على «شاسو» (البدو) ؛ والثانية : على اللوبيين ، والأخيرة على بلاد « خيتا » . ولم نجد من هذه الحروب مؤرّخا إلا الحملة التى قام بها على « الشاسو » (البدو) فى العام الأوّل من حكمه .

وإذا ألقينا نظرة فاحصة على هذه المناظر التى نحن بصددها وجدناها كما قلنا لا توضح لنا حروب « سيتى الأوّل » من الناحية الفنية بل من الناحية الدينية على وجه عام ، وهذا ما نشاهده فى توزيع المناظر على جدران المعبد . فنجد مثلا الحوادث المختلفة التى وقعت فى أثناء القتال قد صوّرت فى مناظر متلاحقة متتابعة — لا وحدة مجتمعة كما سنشاهد فى موقعة « قادش » فى حروب «رعمسيس الثانى» — ينتهى كل منها عند باب المعبد حيث تشاهد آخر صورة مثل فيها الفرعون يضحى بالأمراء الأسرى فى حضرة «آمون» الذى ينسب إليه الفرعون انتصاراته ، ولذلك يقدّم له الغنائم التى عاد بها من حروبه المظفرة . وهذا هو نفس ما شاهدناه فى حروب « تحتمس الثالث » منذ ثلاثين ومائة سنة مضت تقريبا ، إذ كان على الإله أن يمنح الفرعون القوّة ليتغلب بها على الأعداء ، وفى مقابل ذلك كان على الفرعون أن يقدّم له الأسرى والغنائم التى غنمهما .

---

(١) راجع : Br. A. R., III, § 80 - 156

ولا نشك فى أن « سيتى الأول » كان يقلد « تحتمس الثالث » فى كل شىء عن قصد لا عفو الخاطر ، إذ سنرى بعد أن « سيتى الأول » كان يسير فى وضع خططه الحربية عند القيام بحملاته على النهج الذى سار عليه « تحتمس الثالث » . ولذلك نلحظ فى الحال أن غرض « سيتى الأول » من حروبه فى آسيا هو السيطرة التامة على موانئ الساحل الفينيقى ، وتوثيق الصلة البحرية بين موانئ هذه البلاد ومصر . وبهذه الوسيلة كان فى مقدوره أن يضمن وصول المؤن والنجدات فى الحملات المقبلة التى تكون مرساها ساحل « فينقيا » وموانيها وهى التى تكون بمثابة قواعد حربية يمكنه أن يتحرك منها وإليها فى داخل سوريا ، وبخاصة إلى نهر « الأرنت » . والواقع أننا نجد « سيتى » قد ترسم خطا «تحتمس الثالث» وتفاصيلها خطوة لخطوة ، فكانت أول حملة قام بها فى شمالى فلسطين مثل الحملة التى قام بها « تحتمس الثالث » ، وكذلك نجده قد اخترق شمالى فلسطين على غرار الفاتح العظيم وأخضع لبنان وأخيرا أخضع شاطئ «فينقيا» تمهيدا لمهاجمة «قادش» مقلدا كذلك « تحتمس » .

حالة البلاد الداخلية والخارجية قبل حروب «سيتى الأول»

إن حالة الفوضى المحزنة التى كانت تسود داخلية البلاد بعد الثورة التى قام بها « إخناتون » قد عاقت البلاد بطبيعة الحال زمنا عن القيام بأى عمل جدى لإعادة الامبراطورية المصرية فى آسيا بوجه خاص . ولا نزاع فى أن « حور محب » الذى وقع عليه عبء إعادة بناء الامبراطورية من جديد فى الداخل والخارج بوصفه القائد الأعلى لجيوش الملك الشاب « توت عنخ آمون » قد سار على رأس حملة إلى فلسطين كما يدل على ذلك نقش قد يرجع إلى هذا العهد فقط ، إذ يقول فيه هذا القائد : "إنه كان يحرس قدمى سيده فى ميدان القتال يوم ذبح الأسيويين" [١] ، وكذلك نعلم أن « توت عنخ آمون » نفسه كان يطارد الأعداء الأسيويين فى عربته كما

(١) راجع : De Rouge Inscrip Hierog p. 108

نشاهد ذلك على جدران صندوقه الملوّن الذى عثر عليه فى قبره وكما نشاهد « حوى » نائب الفرعون فى بلاد « كوش » يقدّم له الأسيويين والنوبيين جزية[٢]، غير أنه يشك كثيرا فيما إذا كانت مصر قد استردّت جزءا يذكر من أقطارها المسلوبة ولو مؤقتا لأن الأحوال الداخلية فى البلاد كانت لا تسمح بحملة عظيمة مجهزة بكل ما يلزم فى هذه الجهات خلال تلك الفترة الحرجة من تاريخ البلاد، وبخاصة إذا علمنا أن دولة «خيتا» قد أضحت ذات قوة ولذلك كان من المحتمل جدا أن تكون هذه حملة رمزية فقط أرسلت لتثبيت مركز مصر الإمبراطورى ، كما كانت فى الوقت نفسه علاجا وقتيا لإنعاش الروح القومى الذى خبت ناره فى الخارج . ولما تولى «حور محب» نفسه عرش البلاد لم يوجه قوته للحروب الخارجية ، بل سلطها على إعادة النظام وسنّ القوانين الرادعة، ولا نعلم حروبا حقيقية قام بها إلا حملة سار على رأسها لإخماد عصيان شب فى بلاد النوبة كما أسلفنا .

أما قائمة البلاد المغلوبة التى دوّنها على جدران معبد الكرنك[٣] وتشمل بينها اسم بلاد «خيتا» فيجب أن نعدّها تقليدا من التقاليد التاريخية التى انتهجها ملوك مصر من قبل ومن بعده، وحقيقة الأمر أن مصر لم تكن فى حالة تسمح لها بالدخول فى حروب طاحنة وبخاصة مع بلاد «خيتا» ولذلك كان من الجائز أن هذه القائمة تشير إلى الحروب التى شنها هذا القائد فى عهد «توت عنخ آمون» أى قبل توليته الحكم . هذا إلى أن « رعمسيس الأول » كان مسنا كما علمنا ولم تمتد به سنو حكمه أكثر من عامين ولذلك كان «سيتى الأول» الذى اشترك معه فى الحكم فى تلك الفترة يعدّ العدّة ليعيد للبلاد إمبراطوريتها عندما ينفرد بالحكم .

(١) راجع : Davies Anc. Egypt. Paintings pl. 78

(٢) راجع : Davies & Gardiner Tomb of Huy pl. 19

(٣) راجع : Simons. Egyptian Topographical lists pp. 50-52

حروب مصر مع الشاسو البدو

من أهم الوثائق التي بقيت لنا منقوشة على جدران معبد الكرنك المتن الذي يحدثنا عن السبب المباشر الذي حدا بالفرعون «سيتي الأول» لمهاجمة قبائل «شاسو» (البدو) الأسيويين في فلسطين . والظاهر أن الموقف الذي كان يواجهه هذا الفرعون في فلسطين كان موقف خداع ومناجزات كالذي صادفناه في خطابات «تل العمارنة» ، وبخاصة تلك التي كتبها «عبدي خيبا» صاحب «أورشليم» وقد نوه عنها في نقوش مقبرة «حور محب»(١) . وقد كان للعبرانيين في الحركة التي قام بها هؤلاء البدو ضلع ، إذ كانوا يسعون لتوطيد أقدامهم في فلسطين . وكان هؤلاء البدو المغيرون قد انتهزوا من جانبهم الفرصة للتخلص من البقية الباقية من تسلط مصر على بلادهم . وقد وصلت التقارير إلى «سيتي» بأن الثورات قد اندلع لهيبها وأن قوانين القصر الفرعوني قد أصبحت لا قيمة لها ، وهاك الوثيقة التي تحدثنا عن الموقف فاستمع لما جاء فيها :

"السنة(٢) الأولى من (عهد) مجدد الولادة ، ملك الوجه القبلي والوجه البحري ، رب الأرضين «من ماعت رع» معطي الحياة : لقد أتى إنسان ليخبر جلالته أن الشاسو الخاسئين قد دبروا العصيان . فقد تجمع رؤساء قبائل سوريا معلنين العصيان على أسيوي «خارو» وقد أخذوا في السلب والنهب والشجار إذ يقتل الواحد منهم جاره ، وعصوا قوانين القصر ، وقد كان قلب جلالته (له الحياة والفلاح والصحة) فرحا بسبب ذلك . تأمل فإن الإله الطيب كان قلبه مبتهجا ليبتدئ الواقعة وفرحا ليدخل غمارها ، وكان لبه مرتاحا عند رؤية الدماء (تسيل) ، وقطع رءوس عصاة القلوب ؛ وأنه يحب ساحة الواقعة أكثر من حبه ليوم فرح ، وقد قضى عليهم جلالته دفعة واحدة فلم يترك ساقا واحدة (منتصبة) بينهم ، ومن فر منهم حيا كانت تحمل يده إلى مصر (كان الأسرى تقطع أيديهم)" . ونعلم من جهة أخرى من نقوش الكرنك أن حملة السنة الأولى سارت في ثلاث مراحل رئيسية . الأولى هي زحف الجيوش من ثارو (تل أبو صيفة) إلى «باكنعان» لمنازلة «الشاسو» الذين كانوا يسكنون

---

(١) راجع : Br. A. R., III, 10, 11

(٢) راجع : Ibid. III, § 101

الاقليم الواقع بين مصر و «كنعان» . وقد كان من الطبعى أن يخضع هذا الاقليم أولا قبل القيام بأى تقدم فى داخل فلسطين ، ومن أجل ذلك كانت أول خطوة فى سبيل الوصول إلى ذلك هى الاستيلاء على « با كنعان » .

والمرحلة الثانية فى سير هذه الحملة كانت الاستيلاء ثانية على إقليم « رتنو » العليا وهو إقليم يمتد ما بين شمالى جبال الكرمل وأعالى نهر الأردن . ولم تمدنا نقوش الكرنك بأية تفصيلات غير الاستيلاء على حصن « ينعم »(1) وخضوع رئيس بلاد لبنان .

وقد كشف حديثا الأثرى « فشر » عن لوحة فى « بيت شان » (بيسان الحالية) عام ١٩٢٣ ميلادية ، ولحسن الحظ تمدنا بتفاصيل هامة عن هذه المرحلة من الحملة التى قام بها «سيتى» وسنتحدث عنها فيما بعد . أما المرحلة الثالثة من هذه الحملة فإنها على حسب ما جاء فى نقوش الكرنك تصف لنا عودة الفرعون مظفرا منتصرا بجيشه إلى أرض الكنانة كما تصف لنا تضحيته الأسرى أمام الإله الأعظم « آمون رع »

طريق سيتى إلى فلسطين : وسنتبع سير الحملة خطوة لخطوة هنا بقدر ما تسمح به المعلومات التى فى متناولنا . فنجد أولا أن « سيتى الأول » قد بدأ سيره لمقاتلة اعدائه من « الشاسو» من بلدة « ثارو » الواقعة على الحدود الشرقية لمصر . وهذه البلدة كانت القلعة التى يشرف على إدارتها « سيتى » قبل أن يتولى عرش الملك ، ولا يسع الانسان هنا إلا أن يرخى لخياله العنان الآن عندما يتصور أمامه حماس الجنود القدامى الذين لا يزالون فى هذه القلعة وهتافاتهم الحارة عندما يشاهدون زميلا قديما رئيسا أعلى للجيش الذى جاء لقهر الثوار ، بل أصبح الملك المتوج على البلاد كلها ، وقد وضع بنفسه الخطط لإعادة مجد البلاد ولنشر سلطانها الامبراطورى بعد أن كان قد زال من عالم الوجود تقريبا .

---

(1) تقع ينعم فى الجنوب الغربى من بحيرة طبرية على مسافة خمسة اميال ونصف (راجع Gardiner (Onomastica I, p. 146..

طريق الفرعون إلى فلسطين : وعنـدما نفحص نقـوش الكرنك فحصا دقيقا نستطيع أن نتأثر بوضوح الطريق التى سار فيها « سيتى » عندما بدأ حملته إلى فلسطين ثم العودة منها . والواقع أن المناظر التى صوّرها لنا «سيتى» عن سيره إلى هذه الجهات تتألف من مشاهد حيوية تمثل الحوادث الهامة فى هذه الحروب ، ولكن المفتن فضلا عن ذلك قـد حشر بين تلك المشاهد أشكال الحصون التى كان يقف عندها الفرعون لأخذ المدد والسقاية . وقـد نظمت صورها تنظيما طوبوغرافيا متقنا ، وفى استطاعتنا تحقيق بعض هـذه الأماكن وتوحيدها ببعض الأماكن التى لا تزال موجودة حتى الآن ، ومن ثم يمكننا أن نعـلم شيئا عن هـذه الطريق القديمـة التى كانت تربط مصر بفلسطين . والواقع أنهـا تخترق الصحراء الجرداء القاحلة التى لا زرع فيها ولا ضرع الواقعـة فى شمالى شبه جزيرة سيناء جنوب بحيرة «سربونيس» . وهذه الصحراء إقليم لا يسكنه أحد إلا فئة قليلة من العرب الرحل . وقـد وصفت هـذه الطريق بأنها أقـدم طريق فى العـالم ، ولا نزاع فى أننا إذا عددنا الحوادث التاريخية التى وقعت فيها قصصنا بذلك تاريخ الشرق الأدنى كله . ومما تجدر ملاحظته هنا أن هذه الطريق التى كان يسلكها الفراعنة لغزو فلسطين ثم العودة منها إلى مصر، هى نفس الطريق التى استعملت لنفس الغرض فى الحرب العالميه الكبرى (١٩١٤ — ١٩١٨ ميلادية) . وهى تمتـدّ شرقا من « ثارو » حتى « رفح » . وقد وصفت هذه الطريق فضلا عما جاء فى نقوش الكرنك فى فقرة من فقرات ورقـة انسطاسى الأولى . (راجع كتاب الأدب المصرى القديم الجزء الأوّل ص ٣٨٩) وقلعـة « ثارو » أو طـريق « حور » كما كان يسمى أحيانا قـد صوّرت فى نقوش الكرنك بمثابة محط محصن واقـع على ضفتى قنـاة تسمى «الفاصلة» ، لأنها تفصل مصر عن الصحراء الحقيقية ، وقد رسمت القناة بشاطئيها اللذين نبتت عليهما الأعشاب تمرح فى مائها التماسيح . وتتألف القلعة من جهة مصر من سـياج مستطيل الشكل تكنفه مبان من الشمال والجنوب وله بابان أحدهمـا

فى الشرق والآخر فى الغرب، ويؤدّى الباب الشرقى إلى قنطرة فوق القناة . ورسم القنطرة هنا يلفت النظر جدا عندما نذكر أن الاسم الحديث لهذه البلدة هو «القنطرة» (ثارو). وعلى ذلك لايبعد أن هذا الاسم الحديث يرجع أصله إلى عهود سحيقة فى القدم .

وأول محط بعد القنطرة قلعة مستطيلة الشكل تحتوى بركة مستطيلة تظللها الأشجار تسمى «عرين الأسد»(١). ولفظة الأسد هنا تشير إلى «سيتى الأول» . وقد سمى هذا المكان بعينه « مسكن سسى » (وهو لقب كان ينادى به رعمسيس الثانى) أو مسكن « رعمسيس » محبوب « آمون » ويظنّ الأستاذ « جاردنر » أن هذا المكان هو « تل حابو » الحالى . ويلى « عرين الأسد » قلعة صغيرة بالقرب من بركة أو بئر صغيرة يطلق عليها اسم « مجدول من ماعت » . وكلمة (مجدول) معناها فى السامية البرج ، وقد استعمل المصريون هذه اللفظة فى لغتهم منذ الأسرة الثامنة عشرة . وقد وحد الأستاذ « جاردنر» هذا الحصن «بتل الحر» الحالى . ويلى «تل الحر» هذه حصن صغير آخر له بئر تظللها الأشجار ويطلق عليه اسم «بوتوسيتى مرنبتاح » ويسمى فى ورقة انسطاسى « بوتوسسى »، ويظنّ « جاردنر » أن هذا المكان يمكن توحيده «بالقاطية» الحالية حيث نجد خمائل نخيل عظيمة (ويلاحظ أن هذا المكان فى نقوش الكرنك قد ظلل بالأشجار الباسقة) .

ونشاهد كل هذه الأماكن المحصنة فى المناظر التى ظهر فيها « سيتى الأول » بعد عودته منتصرا من حروبه المظفرة إلى مصر . أما الأماكن التى سنورد أسماءها هنا فيما يلى فهى التى تتم الطريق من مصر إلى فلسطين ، وقد وجدت فى نفس المنظر على جدران الكرنك حيث نرى «سيتى» منهمكا فى حومة الوغى مع الأسيويين أعدائه ، غير أنه لم يمكن توحيدها بأماكن حديثة ، ومما يلحظ هنا أن الحصون كان بعضها مميزا

---

(١) راجع : Gardiner. The Military Road Between Egypt & Palestine. J. E. A., Vol. VI, (1920) pp. 99 ff..

عن بعض من جهة الحجم وتفاصيل المبانى، كما ميزت كذلك البرك بعضها عن بعض بميزات خاصة مما يدل على أن المفتن كان يمثل مناظر حقيقية أمامه ليس فيها للخيال مجال . فنجد مثلا أنه كتب تحت بطن جواد « سيتى الأول» وهو فى ساحة القتال اسم قلعة و بركة يطلق عليهما حصن « من ماعت رع المسمى .. فى حمايته » والواقع أنه توجد عدة حصون تحمل أسماء ملوك الأسرة الثامنة عشرة ، و يظن « جاردنر » أن واحدة منها وهى قلعة « مرنبتاح الذى ينعم فى الصدق » يمكن توحيدها بالقلعة السالفة الذكر ، وكذلك نقش تحت السيقان الأمامية اسم حصن صغير يدعى « البلد الذى أقامه جلالته جديدا » . ومن الجائز أن هذا البلد كان مخربا و بناه «سيتى الأول» من جديد. و إذا كان هذا الزعم صحيحا فإن كل الحصون السالفة الذكر كانت موجودة فى حالة خراب، ولكن «سيتى الأول» قد أعاد بناءها وسماها باسمه كما شاهدنا ابنه يفعل بالحصون السالفة فيما بعد، وهى التى قد سماها باسمه بعد وفاة والده . أما البئر التى بجوار الحصن الأخير فتسمى بئر «أب سقب» . وقد ذكرت لنا ورقة «انسطاسى» عند هذه النقطة من الطريق مكانا يدعى «سب إيل» ثم شفعته باسم « إب سقب » ومن ثم يمكن أن تكون « سب إيل » اسم بلدة أقامها «سيتى الأول» أو أعاد بناءها . و يأتى بعد ذلك قلعة ضخمة و بئر و يظن «جاردنر» أنها تدعى « عنن » وقد جاء ذكرها فى ورقة « انسطاسى » . و يلفت النظر أن اسم محط المياه الذى يلى قد ذكر له اسمان يدلان على البئر فقط ، فالاسم الأول هو « بئر من ماعت رع عظيم الانتصارات » ، والثانى «البئر الحلوة » . و بعد ذلك تصادفنا لأول مرة أسماء أماكن ليست على الطريق السورية مباشرة . وعندما نعود إلى الطريق الأصلية نجد حصنا صغيرا جدا يدعى «بئر من ماعت رع» ، وماء يدعى ماء «نخس الأمير» . والمكان الأخير يقابل « نخس » التى ذكرت فى البردية وهو آخر مكان قبل الوصول إلى « رفح » .

---

(١) راجع : J. E. A., VI, pl. XII

ويبلغ طول هذه الطريق من «القنطرة» حتى «رفح» نحو عشرين ومائة ميل، وقد حفرت على طولها آبار فى عهدنا الحالى على مسافات تتراوح بين خمسة وستة أميال. وقد وقعت الواقعة بين المصريين و« الشاسو » على طول هذه الطريق . وتلخص لنا النقوش السياحة من «ثارو» إلى «رفح» كما يأتى(١) : (السنة الأولى من حكم ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «من ماعت رع» . التخريب الذى ألحقه سيف الفرعون البتار (له الحياة والفلاح والصحة) بالشاسو الخاسئين من قلعة « ثارو» حتى « باكنعان » عندما سار جلالته نحوهم مثل الأسد المفترس العين، وصيرهم أشلاء فى الوديان مخضبين بدمائهم كأن لم يغنوا بالأمس ، وكل من أفلت من بين أصابعه يقول إن قوته على الممالك النائية هى قوة والده « آمون » الذى كتب له الشجاعة المظفرة فى الممالك الأجنبيــة) .

المرحلة الثانية من الحرب : بعد أن غرس «سيتى الأول» الخوف من مصر فى قلوب قبائل « شاسو» مما أمن له الطريق ذهابا وإيابا من مصر إلى فلسطين ، بدأ المرحلة الثانيــة من مراحل حملته على ثوّار فلسطين وعصاتها وتحدّثنا نقوش الكرنك وقوائم البلاد المقهورة التى خلفها لنا هذا الفرعون على أنه بعد أن اخترق جبال «الكرمل» استولى على مدن « با هيريا » و « بيت شائيل » و «حماة» و «رحوبو» و « ينعم » ، وقــد رأينا المدينة الأخيرة مصــوّرة تحوّطها غابة ، واللوحة التى عثر عليها «فشر» توضح لنا فى بيان بعض تفاصيل هامة عن هذه المواقع السالفة الذكر، وهذه اللوحة تعدّ أحدث الآثار القليلة التى تمدّنا ببعض معلومات حقيقية عن حملة حربية بالمعنى الصحيح فى تلك الأزمان السحيقة فى القدم، فتحدّثنا هذه الوثيقة أوّلا أن الرأس المحرّك لهذه الاضطرابات أمير بلدة «حماه» ، إذ قد استولى على مدينة «بيت شائيل » وانضم إلى ولاية « باهيريا » وأخذ فى إثارة القلاقل فى الأقاليم المجاورة، ومن أجل ذلك عقد «سيتى الأوّل» العزم على القيام بضربة حاسمة يحصل بها على انتصار سريع فاصل يقضى به على الثورة قضاء مبرما ولذلك أرســل فيالقه الثلاثة

---

(١) راجع : Br. A. R., III, § 88

التي سميت بالتوالى بأسماء الآلهة « آمون » و «رع» و « ستخ » ليقوموا بالهجوم فى وقت واحد على المدن الثلاث الثائرة . وبعد حرب دامت يوما واحدا انتصر الجيش المصرى انتصارا باهرا وهاك متن اللوحه فاستمع لما جاء فيه : "السنة الأولى[1] الشهر الثالث من فصل الصيف، اليوم العاشر من الشهر من عهد حور الملك الثور القوى المشرق فى طيبة... ملك الوجه القبلي والوجه البحرى من ماعت رع بن رع سيتى مرنبتاح معطى الحياة ... وأن افتخارات أفوامهم عظيمة . وكل الأجانب تقول إنا نهاجم (؟) الممالك، ورؤساؤهم يقولون إلى أى قدر نحن مسوقون(؟) فإنهم آمنون من جهة ذلك، ولكن أصحاب الألباب اليقظة يقولون : ليتهم يعون فى قلوبهم قوة والده آمون الذى يقرر له (أى الفرعون) القوة والظفر" . و بعد هذه المقدمة المهشمة يأتى الجزء الخاص بالحرب وهو :

" لقد حضر هذا اليوم إنسان ليخبر جلالته أن العدو الخاسئ الذى كان فى بلدة « حماة » قد جمع لنفسه نفرا عظيما، وهو يهاجم بلدة « بيسان »، واتحد مع أهل بلدة «بلا» ولم يسمح لأمير «رحوب» أن يخرج (من مدينته)، وقد أرسل جلالته الجيش الأول «لآمون» المسمى «عظيم الأقواس» إلى بلدة «حماة»، والجيش الثانى «لرع» المسمى «الغنى الشجاعة» إلى بلدة « بيسان» ، والجيش الأول للإله «ستخ» المسمى « المنتصر الأقواس » إلى بلدة « ينعم » وحدث أنهم فى يوم واحد خضعوا لقوة جلالته ملك الوجه القبلي والوجه البحرى « من ماعت رع » ابن الشمس « سيتى مرنبتاح » معطى الحياة " .

وهذا المتن يوضح بجلاء أن تقدم الجيش المصرى فى سهل « اسدرالون » (Easdraelon) قد أعقب مباشرة اقتحام « كنعان » بوصفه معبرا عن جزء من أغراض الحملة نفسها . ومن المحتمل كذلك أن حصن « مجدو » الذى يشرف على المنفذ الشمالى لسهل « كنعان » الساحلى لم يعترض مرور الجيش المصرى . وليست لدينا معلومات عن حروب وقعت هناك — ومن الواضح إذا أن قلعة

(١) راجع : Moret: Revue de l'Egypte Anciennne (1928) pp. 20 ff.

« بيسان » التى يعزى تأسيسها إلى « تحتمس الثالث » قد ساعدت المصريين كما فعلت مدينة « رحوب » الصغيرة . وهـذه الحقيقة تكشف لنـا أحد أمرين : إما أن النفوذ المصرى فى فلسطين لم يكن قد ضاع كله فى عهد الفوضى الخارجية التى كانت ضاربة أطنابها فى عهد « أخناتون » ، كما هو المفروض، وإما أن الحملة التى أرسلت فى عهد « توت عنخ آمون » — وان لم تكن ذات أثر فعال من جهة نتائجها المـادية ، (لأنه كان لزاما على « سيتى » أن يقوم بحروب على « الشاسو » عنـد حدود فلسطين الجنوبية) قد تركت أثرا أدبيا لا يمكن إغفاله ولو من جهة تحذير بعض الرؤساء الفلسطينيين بأن قوة مصر كانت توحى من جديد بأنها ستكون عاملا يحسب حسابه فى المستقبل . ويدل هذا المتن فضلا عن ذلك على أن السير نحو « بيسان » و « حماة » و « ينعم » كانت قد وضعت خططه لتنفذ فى وقت واحد ؛ وإنه لمن المهم جدا أن يتاح لنـا معرفة القاعدة التى بدأ منهـا « سيتى » الزحف بجيوشه فهل يا ترى كانت بلدة « مجدو » ؟ . وتظهر بلدة « حماة » التى نحن بصددها الآن على معظم المصوّرات الجغرافية على الشاطىء الغربى من « بحيرة الجليل» وإن كان الأثرى « رو » يقول إن موضعها يبعد بعض الشىء نحو الجنوب فتقع عنـد مدخل وادى « اليرموك » ويجب بهذه المناسبة ألا نخلط هـذه المدينة بالمدينة الأخرى التى تحمل نفس هذا الاسم وهى التى تقع على نهر « الأرنت » على مسافة ثلاثة وأربعين ميلا فى انحدار النهر من « قادش » .

ولم يذكر أى شىء فى متن «بيسان» عن أية محاولة مباشرة لخلاص «رحوب» التى يحتمل أنها تقع جنوبى «بيسان» الواقعة فى وادى «جزريل» القريبة من نهر الأردن . وقد تم إنقاذ « رحوب » بطبيعة الحـال بتخليص « بيسان » والهجوم على « حماة »، يضاف إلى ذلك أنه لم يذكر لنا أى هجوم على « بلا » (بحر) الواقعة فى الجنوب الشرقى من « بيسان » على الجهـة المقابلة من نهر الأردن، ولكن ممـا لا شك فيـه أنها كانت قـد أخضعت قبل عودة « سيتى » إلى أرض الوطن لأن

اسمها جاء ضمن قائمــة الأماكن التى فتحها « سـيتى » وهى التى ذكرت فى نقوش قاعدة تمثال « بو لهول » الذى عثر عليه فى معبده الجنازى « بالقرنة »(١) وقد أقام لوحة عند « تل الشهاب » فى « حوران » على مسافة اثنين وعشرين ميلا شرق بحر الجليل(٢) .

ولابدّ أن الميناءين البحريتين « عكا » و « وصيدا » كان قد استولى عليهما الجيش المصرى فى مرحلة من مراحل الحملة الأولى هذه قبل الحوادث التى ذكرناها الآن كما نعرف ذلك من نقوش « بولهول » السالف الذكر . هذا ويعدّ الاستيلاء على « ينعم » و بلدة « جادر » الواقعة فى « لبنان » و إخضاع رؤساء لبنان آخر ما وصلت إليه هذه الحملة من الفتوح(٣) .

ومما يلفت النظر فى نقوش لوحة « بيسان » هـذه أنه أصبح فى استطاعتنا أن نعـلم شيئا عن قوة جيش « سيتى » وقتئذ الذى كان تحت إمرته ، فقد اتضح لنا بصفة مؤكدة أن أقسام الجيش المصرى قد سميت بأسماء أعظم الآلهة المصريين وذلك يؤكد لنا أن هذا النظام كان قائما قبل ذلك فقد ذكر لنا « كارتر » (راجع Carter Tut Ankhamon II, p. 31.) تصوير الآلهة « آمون » و « رع » و « بتاح » الذين نقشت أسماؤهم على بوق عثر عليـه فى مقبرة « توت عنخ آمون » مـع ذكر أقسام الجيش التى سميت بأسماء هؤلاء الآلهة ، يضاف إلى ذلك أن متن « بيسان » قد ذكر لنـا فى صراحة أنه قـد أخذت الفيالق الأولى من كل جيش من جيوش هـؤلاء الآلهة ممـا يدل على أن باقى الفيالق كانت لا بدّ فى معسكرات الاحتياطى بمصر . ولا يبعد أن هذا النظام وهذه المسميات كانت موجودة فى عهد الفرعون العظيم « تحتمس الثـالث » الذى كان يقـلده « سيتى الأول » فى كل خطـواته وأنظمته الحربية كما ذكرنا .

---

(١) راجع : L. D., III, 131 a, Br. A. R., III,§ 114

(٢) راجع : Hall Ancient Hist. of the Near East 6th. p. 356

(٣) راجع : Wresz Atlas II, pls. 34 ff

وبعــد أن تم « لسيتى » النصر انتهز فرصــة وجوده فى بلاد « لبنـان » فأخذ فى قطع الأخشاب اللازمة لبنـاء المعابد فى مصر . ولدينا منظر على جدران معبـد الكرنك نرى فيه صورة قطع الأخشاب ، ونشاهد فيه الفرعون يصحبه أحد رجال دولته العظام . والمتن الذى يصف هـذا المشهد يقول (١) : " الاشراف على رؤساء لبنان الذين يقطعون خشب الصنوبر لبناء السفينة العظيمة الخاصة بعيـد بداية النهر ، وكذلك لصنع خشب الأعلام العظيمة للإله « آمون » ... ... لبناء ... ... بحياة بهجة ... ... مثل رع كل يوم ... ... محبوب الآلهتين : مجدد الولادة ... ... أقوى الناس قوسا ... ... وسرور ... ... وأنه يراهم سيده ... ... وقلبه مطئن جاعلا حدود مصر ... ... ليملأ المخازن ... ... " . وباقى المتن قـد فقد ، ولا بدّ أنه كان يقص علينا فيه كلام الفرعون الذى أجابه الضابط المصوّر فى المنظر قائلا : ما قاله حامل المروحة على يمين الفرعون جوابا للإله الطيب إنه سينجز على حسب كل ما قلته يا حور يا محيى الأرضين . إنك منتو (إله الحرب) كل مملكة وعندما يراك رؤساء «رتنو» يسرى خوفك فى أعضائهم . وقد أجاب أمراء لبنان قائلين فى مديح سيد الأرضين وللتعظيم من قوته ! إنك ترى مثل والدك « رع » وان فى النظر إليك الحياة " .

وبعــد أن تم « لسيتى الأوّل » النصر وتزوّد بالأخشاب اللازمــة لسفينة الإله ولإقامة معابده، عاد إلى أرض الكنانة ودخلها دخـول الفرعون الظافر الفـاتح . على أنه لم يفته أن يصوّر لنا هذا النصر المبين على الأعداء من « الشاسو » ، وقد انتهز المفتن هذه الفرصة ليمثل ذلك بصورة خلابة فانتظر اقترابه من قلعة « ثارو » ورسم لنا مشهدا رائعا يرى فيــه الفرعون واقفا فى عربته وهو يسوق جواديه قابضا على الغل الذى كبل فيه الأسرى وقد سيق منهم ثلاث مجاميع أمام جواديه ، ومجموعة رابعة كان أفرادها يتعثرون فى سيرهم خلف عربته . وكان يرافق الفرعون فى أثنـاء ذلك أمير يحمل قوسا كما كان يحمـل رمز حامل المروحة على يمين الفرعون وكتب فوقـه المتن التالى : "مصاحبة الأمير الوراثى العظيم الدعاء ... ... وكاتب الفرعون الحقيق ومحبوبه ... ... وابن الملك من صلبه ومحبوبه ... ... للفرعون فى ســيره فى بلاد « رتنــو » " . و يظنّ الأسـتاذ

(١) راجع : Br. A. R., III, § 94

«برستد» أن هذا الأمير المذكور فى هذا النقش كان أخا أكبر «لرعمسيس الثانى» الذى أصبح الوارث لعرش مصر بعد وفاته ؛ وإنه قد أمر بمحو اسمه من نقوش الكرنك ، ولكن هذا موضع سنتناوله بالبحث والدرس فى مكان آخر .

وعندما اقترب « سيتى » من معقل « القنطرة » المحصنة التى عندها تعبر القناة التى تفصل « ثارو » وأرض الكنانة عن الصحراء قابله وفد من جموع رعاياه كان يغمرهم الفرح والغبطة بنصر سيدهم ، وقد قسموا طائفتين : الأولى تحوى كهنة محلقين رءوسهم وحاملين طاقات أزهار ، والثانية تشمل الأشراف ووجهاء الموظفين وكلهم رافعون أذرعتهم فرحا وتضرعا . وقد فسرت لنا النقوش هذا المشهد فاستمع لما جاء فيها : "الكهنة والموظفون من شمالى البلاد وجنوبها أتوا ليحتفلوا بالإله الطيب عند عودته من بلاد « رتنو » ومعه أسرى كثيرون جدا ، ولم ير مثل ذلك من قبل منذ زمن الإله ، وهم يقولون فى مدح جلالته وفى تعظيم قوته : مرحبا بمقدمك من الممالك التى أخضعتها ، وإنك لمنتصر . وأعداؤك تحت قدميك ، وإن مدة حكمك ملكا هى مثل « رع » فى السماء ، فى حين أنك تسر قلبك بانتصارك على أهل الأقواس التسعة . وعندما وضع « رع » حدودك كانت ذراعاه تحميانك من خلف ، وسيفك كان فى وسط كل أرض وقد سقط رؤساؤها بنصالها" .

ولا غرابة فى أن نرى المصريين مبتهجين فرحين بما أوتوا من نصر عظيم ، فقد مرت السنون تلو السنين الطوال قبل أن يشاهد المصريون عودة جيوشهم مظفرة من آسيا وعلى رأسها الفرعون يحمل غنائم الحروب وأسلابها ، ولا بد أنهم لما رأوا نتائج تلك الحملة الأولى المظفرة استبشروا بما سيعقبها من انتصارات باهرة فى المستقبل القريب . ولا يبعد أن « سيتى » عندما سمع وقع أقدام خيله فى ردهة قلعة «ثارو» تذكر تلك الأيام الخوالى عندما كان قائدا لهذه القلعة يصرف أعمالها اليومية ، ولم يكن يدور بخلده وقتئذ أنه سيكون يوما ما فرعونا يحفل به الشعب بمثل هذا الحفل الرائع فى هذه البقعة بعينها !

وقد جرى «سيتى» كما قلنا على نهج سلفه العظيم «تحتمس الثالث» فى كل شىء فنسب انتصاراته لإلهه « آمون رع » رب « طيبة » . وعلى ذلك ولى وجهه شطر

هذه المدينة المقدسة يضع تحت قدميه كل أسلابه وغنائمه . كما تصور لنا ذلك نقوش الكرنك حيث نجد الإله « آمون » يخاطب الفرعون قائلا : " يا بنى المحبوب يا رب الأرضين يا « من ماعت رع » لقد وهبتك النصر على كل البلاد ، وجعلتك تحكم أمراءها حتى يأتوا إليك مجتمعين سويا محملة ظهورهم (بالجزية) خوفا منك " .

أما الأسرى فكانوا طائفتين : وصفت طائفة منهم بأنهم رؤساء الأقاليم الذين لم يعرفوا مصر وهم الذين حملهم جلالته معه أسرى من انتصاراته فى بلاد « رتنو » الخاسئة . ويقولون معظمين جلالته ومهللين بانتصاراته : " مرحبا بك ما أعظم اسمك وما أجل قوتك ! إن الممالك تبتهج بأنها رعاياك وأولئك الذين يتعدون حدودك يغلون بحياة حضرتك نحن لا نعرف مصر ولم تطأ أقدام آبائنا أرضها امنحنا النفس الذى تهبه " .

أما الطائفة الأخرى من الأسرى فهم من بلاد « رتنو السفلى » ويقول المتن التابع لهم : " الأسرى الذين جاء بهم جلالته من بلاد « شاسو » وهم الذين أخضعهم جلالته فى السنة الأولى من عهد مجدد الولادة (سيتى الأول) " .

هذا فضلا عن أننا نشاهد مناظر أخرى ممثلة للأسرى حيث نجد السوريين بدلا من « الشاسو » ، ولا بد أن هذا المنظر يشير إلى الجزء الثانى من حملة السنة الأولى والحوادث التى وضعت على لوحة « بيسان » وتنتهى مناظر هذه الحملة بذبح الأسرى أمام الإله « آمون » اعترافا من الفرعون بأن قوته قد وهبها إياه الإله . وهذا المنظر له نظائر كثيرة من أقدم العهود ويرجع عهد الاحتفال بذبح الأسرى إلى الأسرة الأولى حيث نجد الملك « دن » ممثلا على لوحة من العاج وهو يقتل عدوا شرقيا راكعا أمامه وفى يد الفرعون مقمعة من الحجر يضرب بها العدو ، وقد بقى هذا التقليد مرعيا فى كل عهود ملوك الأسرات الفرعونية . ولا نزاع فى أن الأسرى كانوا على ما يظهر يذبحون فى بادئ الأمر فعلا حتى أصبح هذا العمل الوحشى فى العهود المتحضرة وبخاصة فى عهد الدولة الحديثة مجرد احتفال رمزى . فنجد مثلا على البوابة السابعة فى الكرنك « تحتمس الثالث » مصورا فى الوضع التقليدى على وشك ذبح طائفة من الأسرى يبلغ عددهم نحو الثلاثين

وهو قابض على نواصيهم[١] ، فى حين نجد فى أماكن أخرى رؤساء الأسرى يعاملون معاملة كريمة ، فيظهرون فى المناظر بدون أغلال فى حضرة الفرعون جالبين معهم الجزية . والآن يتساءل الإنسان هل عاد سيتى الأول لارتكاب هذه الفعلة الشنعاء ثانية فقتل أسراه ، على الرغم من أنهـا عادة قد لفظها الزمن رغبـة فى إحياء تقليد قديم ؟ هذا ما لا يمكن الإجابة عنه .

وقد وجدنا مع هذا المنظر قائمة بأسماء البلاد والممالك التى فتحها هذا الفرعون ، غير أنه لا يمكن الاعتماد على صحة ما جاء فى مثل هـذه القوائم لأنها كانت مرتبكة وتقليدية يتناقلها الملوك بعضهم عن بعض ، ولكن لدينا قائمة من عهده عن فتوحه قد يعتمد عليها إلى حدّ ما نقشها على قاعدة تمثال «بو الهول» الذى عثر عليه فى معبد الجنازى بالقرنة[٢] نقش عليه ما يأتى : (١ — ٩) قبائل الأقواس التسعة ، (١٠) بلاد خيتا ، (١١) « بلاد نهرين » ، (١٢) «ارسا» ، (١٣) «عكة» ، (١٤) «سميرا» ، (١٥) « بحرا » ، (١٦) « بيت شائيـل » ، (١٧) « ينعم » ، (١٨) « كهم » ، (١٩) «اولوزا» (: أناراثا) ، (٢٠) « كمد » ، (٢١) «صيدا» ، (٢٢) « أوثو » ، (٢٣) « بت عنتا » ، (٢٤) « قراميم » الخ .

ومما تجدر ملاحظته هنا أن المتن الذى يفسر منظر التضحية قد نقل معظمه من متون أخرى ، فمثلا نجد أن الكلام الذى فاه به الإله «آمون» للملك أساسه ماجاء على لوحة « أمنحتب الثالث» التى على مبانيه[٣] . وهذه اللوحة كان قد طمس ما عليها من نقوش « إخناتون » وقد أعادها إلى ما كانت عليه « سيتى الأول » ؛ والظاهر أنه كان مرتاحا لمـا جاء عليها حتى أنه استعمل متنها مع بعض تغيـير طفيف . وقد نقل « رعمسيس الثالث » فيما بعـد رواية « سيتى الأول » واستعملها لنفسه[٤]

(١) راجع : Capart Thebes p. 46. fig. 26

(٢) راجع : L. D., III, pl. 13 a; Muller. Asien Und Europa p. 191 - 195.

(٣) راجع : Br. A. R., II, §§ 891 - 892

(٤) راجع : Br. A. R., IV, § 137

فى نقوشه التى تركها لنا على جدران معبد مدينة « هابو » . وهاك المتن كما جاء على نقوش « سيتى الأول » : "كلام آمون رع رب « طيبة » : يا بنى الذى من صلبى يا محبوبى ، ويا رب الأرضين « من ماعت رع » رب القوة فى كل مملكة . إنى والدك : وإنى أنا الذى أجعل الرعب منك فى أرض « رتنو » العليا والسفلى وقبائل النوبة قد ذبحوا تحت قدميك . وإنى آتى إليك برؤساء الممالك الجنوبيه لتتسلم الجزية من كل منتجات ممالكهم الجيـدة ولتسرع ... ... وإنى أولى وجهى قبل الشمال وآتى بأعجوبة لك ... ... متصدّيا العصاة فى أوكارهم ببأس شديد .

وإنى آتى إليك بممالك لا تعرف مصر حاملين جزيتهم من فضة وذهب ولازورد وكل حجر كريم غال من أرض الإله .

وإنى أولى وجهى قبل المشرق وآتى بأعجوبة لك فأغلهم جميعا لك مجتمعين فى قبضتك ، وإنى أجمع كل ممالك « بنت » سويا وكل جزيتهم من بلسم وقرفة وكل الأخشاب الزكية الرائحة من أرض الإله ناشرا شذاها أمامك وأمام صلك .

وإنى أولى وجهى قبل المغرب وآتى بأعجوبة لك ، فأقضى على أرض «تحنو» لك ، فهم يأتون منحنين أمامك وراكعين وهم على خوف منك ورؤساء ... ... يقدّمون لك الحمد .

وإنى أولى وجهى قبل السماء وآتى بأعجوبة لك فآلهة السماء يبتهلون لك عندما يولد «رع» كل صباح ، وإنك تنمو مثل « رع » عندما يأتى بالظهيرة .

وإنى أولى وجهى قبـل الأرض وآتى بأعجوبة لك فانى أقدر لك النصر على كل مملكة ، والآلهـة يفرحون بك فى معابدهم وأنك ستبقى طول الأبدية ملكا على عرش «جب» " .

أما الجزء التالى من خطاب آمون «لسيتى» فمأخوذ من أنشودة النصر الكبرى التى أنشدها « لتحتمس الثـالث » (راجع مصر القـديمة الجزء الرابع ص ٥١٢) ويلاحظ أنه قد عمل فيها بعض التغييرات ، فيقول :

" لقد جعلتهم ينظرون إلى جلالتك باعتبارك رب الإشعاع حتى أضاءت وجوههم مثل صورتى .

ولقد جعلتهم يرون جلالتى مرتديا شعارك الملكى عندما تقبض على أسلحة الحرب فى العربة .

ولقد جعلتهم يرون جلالتك كالنجم السائر الذى ينشر لهيب النـار ويخرج نداه .

ولقد جعلتهم يرون جلالتك كالثـور الفتى ثابت القلب ومتأهب القرن لا يقاوم .

ولقد جعلتهم يرون جلالتك كالتمساح المفزع على الشاطئ فلا يمكن الاقتراب منه .

ولقد جعلتهم يرون جلالتك كلهيب النـار ومثل «سخمت» نفسها فى وقت عاصفتها .

ولقد جعلتهم يرون جلالتك مثل ... ... عظيم فى القوة لا يقاوم فى السماء ولا فى الأرض خذ السيف يأيها الملك العظيم يا من تضرب مقمعته الأقواس التسعة " .

هذه أمثلة من النقوش التى تركها لنا «سيتى الأول» بعد عودته من حملته الأولى ، ولا شك فى أن المطلع يرى أنه قد حاول فى كل مراحلها وفى كل متونها تقليد عاهل مصر العظيم « تحتمس الثالث » .

الحملة الثانية : أما حملة « سيتى الثانية » فى آسيا فإن نقوشها قد فقدت إذا كان ما دوّن عنها هو الجزء الأعلى من النقوش التى كانت على يسار سجل مناظر معبد الكرنك غير أن ما ادّعاه «سيتى» فى نقوش تمثال «بو الهول» «بالقرنة» وهو الاستيلاء على «سميرا» و «أولازا» ، يجيز لنا أن نظن أن الجزء الضائع من هذه المناظر قد مثل عليه على أقل تقدير جزء من بلاد «آمور» الساحلية التى كانت تعدّ « سميرا » أهم ميناء فيها ، وهذا يعادل المرحلة الثالثة من خطط تحتمس الثالث وهو ما سار على هديه « سيتى الأول » .

أما المرحلة الرابعة فى حروب «سيتى الأول» فكان الغرض منها إخضاع «قادش» الواقعة على نهر «الأرنت» وتعدّ المنفذ لسهل بلاد سوريا الشمالية . وهذا ما بقى لنا مدوّنا على الجزء الأعلى من سجل الكرنك (١) . وقد كشف بزارد (Pizard) فى بلدة «قادش» هذه عن الجزء الأعلى من لوحة «لسيتى الأول» أقامها فى هذه الجهة (٢) ، فبرهن بذلك على أنّ هذا الفرعون قد تملك هذه المدينة ، وبهذا حُل الجدل الذى دار بين « ادوردمير » و « برستد » (٣) بأن « قادش » المقصودة هنا والتى على سجل الكرنك هى « قادش » التى فى منطقة الجليل . ويظهر من النقوش التى على منظر الكرنك الخاصة بقلعة « قادش » والتى جاء فيها الهجوم الذى قام به الفرعون لتخريب

(١) راجع : Wresz op. cit. II, Pl. 53

(٢) راجع : Syria III, p. 108 ff.

(٣) راجع : Br. A R. III, p. 71; Ed. Meyer Gesch II, p. 451; Gardiner Onomastica I, p. 141*

أرض «قادش» وأرض «آمور»، أن الاستيلاء على «قادش» وفتح بلاد «آمور» قد حدث فى مرحلتين من حملة واحدة؛ على أن ظهور منظر الاستيلاء على «قادش» مصوّرا على نهاية الجدار الذى عليه مناظر حروب «سيتى» بالكرنك، أى بعيدا بقدر المستطاع عن الباب الأوسط، يدل دلالة واضحة على أن هـذه كانت أبعد نقطة وصل إليها الجيش المصرى فى هذه الحملة (١)، أما الجزء الأوّل منها فقد فقد الآن، وعلى ذلك فمن المحتمل أن «آمور» لا تشير هنا إلى الساحل الشمالى السورى، وأن موضوع فتحها كان مدوّنا على ما يظهر على الجـزء الواقع على يسار المدخل، بل المقصود بها هنا الجزء الداخلى من إقليم «آمور» حتى البلاد الواقعـة جنوبى «قادش»، ومن المحتمل أنها كانت تمتدّ جنوبا فى الداخل حتى مدينة «دمشق» التى كانت قـد خضعت على ما يظهر للنفوذ الآمورى فى أثناء الثورة التى قامت فى عهد «إخناتون» (٢). ومن الجائز أن الفرعون «سيتى» كان يشير فى هذه الحملة إلى بلاد «تحس» عند ما وضعها ضمن القائمة التى دوّن عليها فتوحه وهى التى نقشها على تمثال «بو الهول» الذى عثر عليه فى معبده الجنازى «بالقرنة» ولا تبعد حدودها الجنوبية كثيرا عن «دمشق».

ويعتقد الأسـتاذ «ميِر» أن هذه الحمـلة قد جاءت بعد الحروب التى شـنها «سيتى» على بلاد «خيتا» وفضلا عن خطئه فى تحقيق موضع مدينة «قادش» نفسها فان رأيه يتعارض مع الاعتبارات الاستراتيجية التى ذكرناها فيما سبق. وليس لدينـا مصادر تدلنا على أن حدود امبراطورية «خيتا» كانت تقـع جنوبى بلدة «قادش»، وهى التى كانت فى عهد «رعمسيس الثانى» حصنه الحصين فى الجنوب للدفاع عن أملاكه. ويلاحظ كذلك أنه حتى عهـد «إخناتون» كان الوادى — من «قادش» إلى الجنوب يعرف وقتئذ باسم «عمق» وهو الوادى الذى يطلق

(١) راجع: Br. A. R. III, § 8, J. E. A. VI, p. 99

(٢) راجع: Hall. Anc. Hist. 346

عليه الآن البقاع ، — ضمن النفوذ المصرى كما يدل على ذلك لوحات سجل بلاد «خيتا» التى جاء فيها ذكر حادثة الملكة المصرية التى سميت فيها « دخ آمون » . وما جرى لها مع « شوبيليو ليوما » ملك « خيتا » وقد تحدّثنا عن ذلك من قبل (راجع مصر القديمة الجزء الخامس ص ٢٦٥) .

الحرب مع لوبيـا : وتدل المصادر التى فى متناولنا على أن «سيتى الأوّل» لم تهيأ له الفرص لمتابعة انتصاراته عند « قادش » بالتقدّم شمالا ، فقد وصلت إليه أخبار اضطرابات وقلاقل على حدود بلاده الغربيـة حيث كان اللوبيون يرسمون خططهم للإغارة على بلاد الدلتا كما فعلوا فيما بعد فى عهد الفرعون «مرنبتاح» حفيده. وقد خصص «سيتى» لحملته الرابعةهذه على بلاد لوبيا الجزء الأوسطمن الجهةاليمنى من السجل الذى دوّنه على جدران معبد الكرنك . وقد انتهت هذه الحروب بهزيمة منكرة انتصر فيهـا على اللوبيين فى واقعتين، غير أن الأسـتاذ « برستد » يقول : إن اللوحة التى عثر عليهـا منقوشة فى معبد الكرنك وهى التى نصبها بعد عودته من حملته الأولى كان الغرض منها إعلان ما كان يجرى على حدود بلاد « لوبيـا » من مناوشات[1] . وهاك ما جاء عليها . "السنة الأولى من عهد جلالة «سيتى الأوّل» (يذكر بعد ذلك ألقابه . لقد عاد بقلب فرح من أوّل حملاته المظفرة عندما كانت إغارته تقتحم كل إقليم ، واستولى على الممالك الثائرة أسرى بقوّة والده «آمون» الذى كتب له القوّة المظفرة ، وإنه يضع نفسه أمامه بقلب منشرح مقدّما الحماية لابنه وواهبا إياه الجنوب والشمال والغرب والشرق وأولئك الذين يغيرون على تخومه قد جمعوا سويا وأسلموا ليده ، ولا يوجد من يضع يديه جانبا (أى كانوا جميعا فى الأغلال) ؛ سيق رؤساؤهم أسرى أحياء وجزيتهم على ظهورهم ، وقدّمهم لوالده الفاخر « آمون » ولجماعة الآلهـة لأجل أن يملئوا مستودعاتهم بالعبيد والإماء من أسارى كل مملكة . تأمل لقد كان جلالته فى المدينة الجنوبيـة (طيبة) يقوم بالأحفال السارة لوالده آمون رع رب طيبة..." (الجزء الباقى من اللوحة ضائع) .

والمدهش هنا أن الأستاذ « برستد » قد استنبط بسهولة من مخيلته أن الجزء الضائع لا بدّ قد ذكر فيه : أن رسولا أتى إلى الفرعون وأعلنه بقيام المناوشات على

(١) راجع : .Br. A. R., III, § 82

الحدود اللوبية ، معتمداً فى استنباطه هـذا على ما جاء فى لوحة « كونوسو » التى ترجع لعهد « تحتمس الرابع » ، حيث نجد أن نظام الكلام فيها يكاد يكون نسخة واحدة (راجع مصر القـديمة الجزء الخامس ص ٢٠) . وليس لدينا معـلومات يقينيـة تدل على الحرب التى كانت تشـير إليهـا نقوش هذه اللوحة على الرغم من وجه الشبه بينها و بين لوحة « تحتمس الرابع » .

وكذلك يميل الأستاذ « برستد» إلى تأريخ الحرب مع « لوبيا » بالسنة الثانية أى قبل قيام الحملة الثانية التى قام بها « سيتى الأول » على الأقاليم الأسيوية ، غير أنه بذلك يتجاهل أى ترتيب تاريخى جاء على الآثار الأصلية المصوّرة على جدران معبد الكرنك كما أشرنا إلى ذلك من قبل، وحجته فى ذلك أن «سيتى الأول» يمكن أن يكون قد أمضى الجزء الأكبر من هذه السنة فى الدلتا وهذا قول مردود؛ إذ من الجائز وجود أسباب أخرى لمكثه هناك، وبخاصة أن عاصمة البلاد كانت فى الشمال، هذا بالإضافة إلى أنه يحتمل جدا أن يكون مكثه هناك طلبا للنزهة، كما يدل المعنى اللغوى للفظه الذى عبر به عن سبب بقائه فى هذه الجهة (١) . وعلى أية حال فإن وضع نقوش حروب « لوبيا » فى مناظر الكرنك بين نقوش الاستيلاء على « قادش » وبين نقوش الانتصارات على مملكة « خيتا » دليل كاف على أن هـذه الحروب قد وقعت فى فترة بين هاتين الحادثتين (٢) .

الحملة على بلاد لوبيا : يدل كل ما لدينا من معلومات على أن «سيتى الأول» كان أوّل فرعون دافع عن بلاده بصفة جدّية أمام عدوان اللوبيين . ولا نعلم عن هذه الحروب شيئا يذكر، إذ لم تصلنا أية وثيقة خاصـة إذا استثنينا النقوش التى بقيت لنا على جدران معبـد الكرنك ؛ وقـد جاء فيها ذكر هـؤلاء اللوبيين باسم « تحنو » . ونعلم من ملابس هؤلاء الغزاة أنهـم من قبائل « المشوش » ، وإن

(١) راجع : Helck Militarfuhrer 74. Note. 4.

(٢) راجع : J. E. A., Vol. 33. p. 37 ff.

كانوا لم يذكروا بهذا الاسم صراحة . وقد ذكرت قبائل « المشوش » لأول مرة فى التاريخ المصرى على الآثار المنسوبة للفرعون « تحتمس الثالث » [1] وليس لدينا أية تفاصيل عن هـذه الحروب ، ومن المحتمل أنه على حسب ما جاء فى نقوش «الكرنك» قد حارب «سيتى» فى واقعتين، ولا يمكننا أن نحدّد تاريخهما إلا إذا اعتمدنا على ما استنبطه الأثرى « فولكنر » وهو أن الحرب قامت بين الأمتين فى فترة تقع بين استيلاء «سيتى» على « قادش » وبين حروبه مع بلاد « خيتا » كما ذكرنا . ويعزز هذا الرأى ما جاء على لوحة أقامها « سيتى » جاء فيها أن « رتنو » قد أتوا منحنين و «التحنو» جاءوا ساجدين، وبذلك أشبع الفرعون نفسه بقدر ما يريد من أرض « خيتا » الخاسئة . أما قول « برستد » إنه أشعل نار الحرب فى السنة الثانية فلا يرتكز على أى دليل قاطع كما أسلفنا . وتتلخص نقوش الكرنك عن حروب « لوبيا » فى صور تقليدية لا يمكن استنباط حوادث تاريخية منها ، فكل ما نشاهده فيها ينحصر فى منظرين لموقعتين، ثم العودة إلى مصر وتقديم الأسرى للإله «آمون» وتضحية بعضهـم أمام هذا الإله . ومما يلفت النظر فى هـذه الصور قوّة تمثيلها وحسن تنسيقها مما جعلها تعدّ من أحسن ما أخرجه المفتن المصرى فى هذا الباب بالنسبة لعصرها .

ونشاهد بين صور هذه المناظر صورة «رعمسيس الثانى» ولكنها ليست أصلية بل أضيفت فيما بعـد ولذلك أصبحت قيمتها التاريخية مشكوكا فيها . وقـد ظنّ الأستاذ «برستد» أن صورة «رعمسيس الثانى» هنا كانت قد وضعت مكان صورة أخ أكبر له ، ويحتمل أنه هو الذى جاء ذكره فى حروب «الشاسو» كما أسلفنا ، ولكن ليس لدينـا برهان بيّن على صدق ذلك ، ومن هنا ينكر المؤرخ « كيث سيلى » هذه

(١) راجع : Urk. IV, p. 722. No. 282

(٢) راجع : Wresz Atlas II, pl. 47 ; Sander Hansen. Hist. Insch. Der. 19. Dy. I, p. II, 6 ff.

النظرية إذ يقول[١] : إن نقوش حروب « سيتى الأول » التى على جدران الكرنك لا تحتوى إلا على صورة أمير واحد وهى صورة أصلية ومعاصرة لنقوش « سيتى » . وقد فقد اسم هذا الأمير ولم يبق منه إلا إشارة واحدة ، والقراءة التى اقترحها « فيدمان » لهذا الاسم وهى : « آمون نفرنبف » لا ترتكز على شىء من الحقيقة .

ولكن يلفت النظر وجود تابوتين خاصين بأمير يدعى « رعمسسو » أو « بارعمسسو » واحد منهما عثر عليه فى مدينة «هابو» والثانى فى بلدة «غراب» ، غير أنه بعد أن تم صنع هذين التابوتين أضيف لقب ابن الملك[٢] ، ثم عبارة محبوب «آمون» وسيد أهل عين «شمس» لاسمه . وقد عثر على تابوت مدينة «هابو» فى قعر حفرة عميقة لم تكن قد استعملت قط للدفن ، أما تابوت «غراب» فكان يحتوى على بقايا رجل لم يكن قد بلغ الثلاثين ربيعا ، وكان أحدب الظهر ويظهر عليه أنه كان قعيدا ، وليس لدينا برهان بيّن على اسم الفرعون الذى كان ينتسب إليه هذا الأمير ، غير أن «برنتون» قد نسج قصة عريضة فى نسبة هذا الأمير ، وانتهى به خياله فى آخر الأمر إلى أنه كان ابن « سيتى الأول » وبذلك يكون الأمير «رعمسسو مرى آمون نب خنمت» هو الأخ الأكبر للفرعون «رعمسيس الثانى» ، وقد يحتمل أو لا يحتمل أنه هو الأمير الذى رسم فى نقوش حروب «شاسو» على جدران معبد الكرنك ، والواقع أن إخفاء تابوته الداخلى فى «مدينة هابو» ودفنه فى التابوت الخارجى فى «غراب» يعد من الأمور المدهشة المحيرة . على أن موضع التابوت الداخلى يشعر بأنه قد أريد إخفاؤه عن قصد ، هذا بالإضافة إلى أن لسم الأمير الذى فى نقوش «الشاسو» قد محى عن قصد أيضا ، ولكن إذا كانت هذه الشواهد

(١) راجع : Keith Seele The Coregency of Ramses II, & Sety I, p. 24.

(٢) راجع : A. S., XLIII, p. 133 ff.

(٣) راجع : Ibid. p. 139

تدل على وجود أمير أكبر سنا من « رعمسيس الثانى » وأنه قد أقصى عن تولى العرش ومحيت شخصيته عمدا فإنه لايمكننا مع ذلك أن نعود على «رعمسيس الثانى» باللائمة كما فعل «برستد» لأنه كان لايزال صبيا لم يتجاوز الخامسة عشرة أو السادسة عشرة من عمره عندما توفى أخوه الأكبر. وعلى ذلك يظهر أن محو الاسم كان بأمر من «سيتى» نفسه ،ولكن السبب الذى دعاه إلى ذلك لا يمكن الإدلاء به إلا عن طريق الحدس والتخمين ما دامت الوثائق التاريخية لم تسعفنا .

دولة خيتا وقيام الحروب بينها وبين سيتى الأول

لقد رأينا فيما سبق أن حروب « سيتى الأول » مع «الشاسو» لم تكن مقدمة للحملة التى قام بها على أهالى «رتنو» العليا والسفلى معا، وكذلك يظهر أن الحروب مع « لوبيا » كانت قد سبقت حروبا أهم خطرا شنتها على مملكة «خيتا» . على أننا لا نعرف فى الحقيقة تواريخ هذه الحروب كلها إلا على حسب موقعها وترتيبها فى نقوش معبد الكرنك التى تركها لنا « سيتى الأول » .

وكان «سيتى الأول» بعد أن أمن طرق مواصلاته البحرية بالاستيلاء على بعض الموانى الفينيقية استطاع تموين جيوشه، وإمدادها بالجنود والعتاد وذلك على غرار ما فعله «تحتمس الثالث»، وبذلك أصبح فى استطاعته السير فى داخل الأقطار السورية والاستيلاء عليها، وقد زحف حتى وصل إلى نهر«الأرنت» حيث تقابلت جموعه مع جيش « خيتا » فى أول موقعة بين البلدين ويظنّ الأستاذ « برستد » أن «سيتى الأول» قد وصل شمالا حتى«نهرين» كما يدعى ذلك «سيتى» فى قائمة البلدان التى فتحها ، غير أن ذلك لم يفت فى عضد دولة « خيتا » وبقيت مهيبة الجانب ، ولم يكن فى استطاعة «سيتى» أن يحتفظ لنفسه بتخوم ثابتة فى الشمال أكثر من مساحة يحدّها خط يمتد شرقا وغربا من الساحل الفينيقى حتى « حوران» وعلى أية حال فإن ما وصل اليه «سيتى الأول» بعد تفكك الدولة المصرية فى نهاية حكم « إخناتون »

يعدّ مجهودا جبارا من جانب هذا العاهل، وقد كان من نصيب «رعمسيس الثانى» ابنه أن يواصل الكفاح الطويل المرير للاستيلاء ثانية على أعالى نهر «الأرنت» ويخضعها لسلطان مصر.

ونشاهد فى آخر حملة سجلها « سيتى الأول » على جدران معبد الكرنك أنه التحم مع جيش « خيتا » وهزمه واستولى منه على أسرى وغنائم . ولكن من جهة أخرى لا نعرف الأسباب المباشرة التى دعت « سيتى الأول» لإعلان الحرب على مملكة «خيتا»، ولا بدّ أنه كان هنالك سبب ملح أجبره على القيام بهذه الحروب، غير أننا من جهة أخرى نعلم أن التقاليد الفرعونية قد لعبت دورها فى هذا الموضوع بالذات، فقد كان من عادة الفراعنة أن يقوم الفرعون عند تولى عرش الملك بشن الغارات والفتح ليثبت لشعبه أنه جدير بملك الفراعنة. وقد ذكرنا «خاتوسيل» ملك «خيتا» باختصار أنه قام بالحرب على مصر، فسار بمشاته وفرسانه الذين أمكنه جمعهم لمنازلة عدوه، ولا شك فى أن ذلك لا يعنى إلا أن ملك «خيتا» قد تقابل مع ملك مصر فى موقعة « قادش » . وقد حدّثنا ملك « خيتا » كذلك بأنه حاول تفادى الحرب مع مصر لأنه لم يكن يطمع فى طلب الفخر أو الشهرة وأنه على وجه عام يمقت الحروب، وهذا كل ما وصلنا من وثائق « خيتا » عن حروبها مع « سيتى الأول » ، وبذلك أصبح مصدرنا الوحيد عن حروب خيتا مع مصر هو كما قلنا ما جاء فى نقوش جدران الكرنك التى لم تدوّن فيها فى الواقع إلا بعض حوادث فردية خاصة بالفرعون وغيره، فنرى مثلا «سيتى» مصوّرا فى منظر (كما جرت التقاليد) ممتطيا عربته وشادّا قوسه ومفوّقا سهمه فى معمعة المعركة ليقضى على الأعداء الذين كانوا يجرءون على الوقوف أمامه، بل كانوا يولون الأدبار، وهنا يشاهد سائق عربة أحد الرؤساء من الأعداء قد أصيب فيقود الرئيس عربته بنفسه طالبا النجاة، ولكنه يسقط بدوره فى حومة الوغى أمام الفرعون . وكذلك فعل غيره فامتطوا صهوة الجياد وأرخوا لها العنان نجاة بالنفس، وقد كدست ساحة

القتال بأكوام القتلى والجرحى؛ ثم نرى فى آخر الأمر طوائف من الأسرى يساقون الى مصر ويقدمون الى ثالوث آلهة معبد الكرنك — « آمون » ، و « موت » ، و « خنسو » — عبيدا وقربانا .

وليس لدينا تفاصيل عن الواقعة غير ما ذكرنا ، أما المتن الوحيد الطويل الذى يحدثنا عن هذه الحروب فيصف الفرعون وشدّة بأسه فى الحروب وشجاعته وهو :

"حور الثور القوى ، الظاهر فى طيبة ، محيي الأرضين ، ملك الوجه القبلى والبحرى ، رب الأرضين ، شديد البأس ، الشجاع مثل « منتو » ، وأشجع الشجعان مثل من أنجبه ، مضىء الأرضين مثل إله الأفق ، العظيم القوة مثل ابن «نوت» ، والمنتصر؛ وهو حور المزدوج (أى يمثل حور وست) ، ومن يطأ ميدان القتال مثل ست (إله الحرب) ، ومن الفزع منه عظيم مثل «بعل» (إله القوة) فى الممالك الأجنبية محبوب الإلهتين وهو لا يزال فى العش (أى المهد) لأن قوته قد حمت مصر ، ومن جعل «رع» حدوده حتى الحدود التى يضيئها « آتون » ، والصقر المقدس ذو الريش اللامع ، والسائح فى السماء مثل جلالة «رع» ، والذئب الجائل ، والذى يدور حول هذه الأرض فى لحظة والأسد ذو العين المفترسة ، ومن يشق طريقه فى المسالك الوعرة فى كل مملكة ، والثور القوى صاحب القرن المهيأ (للهجوم) وصاحب القلب الشديد ، والضارب الأسيويين ومخضع « خيتا » وذابح رؤسائهم ومخضبهم بدمائهم ، والهاجم فى وسطهم كأنه لسان اللهب فيجعلهم كأن لم يغنوا بالأمس" ومن ذلك نرى أن «سيتى» كان يصف شجاعته وقوته كما فعل غيره من الملوك فى مثل هذه المشاهد الحربية (راجع Br. A. R. III, § 144.) .

ولا نعرف على وجه التأكيد المكان الذى دارت فيه رحى القتال ، غير أنه مما لا شك فيه أنها قد وقعت فى مكان شمالى بلدة « قادش » ، إذ نعلم أن « سيتى الأوّل » قد وصل فعلا الى بلدة « قادش » واستولى عليها ، ولا أدل على ذلك من العثور على لوحة فى « تل نبى مند » وهو المكان الذى يمثل دمن هذه المدينة التاريخية العظيمة . واللوحة من حجر البازلت وقد عثر عليها على عمق مترين من سطح الأرض ، وتدل شواهد الأحوال على أنها لم تنقل الى هذا المكان ، وقد نقشت عليها صورة « سيتى الأوّل » واقفا — يقبض بيده على سيفه (خبش) رمزا للنصر الذى أحرزه — أمام الآلهة التالية « آمون » و «ستخ» و « منتو » و « خنسو » .

ومما يؤسف له أن الجزء الأسفل من هذه اللوحة قد فقد[١]، ولا بد أنها كانت قد أقيمت فى هذا المكان بطبيعة الحال تشييدا لانتصارات «سيتى» على «مورسيل» عاهل « خيتا » .

وتدل النتائج على أن انتصار « سيتى » لم يكن حاسما لأنه لم يؤثر تأثيرا ماديا على قوة « خيتا » كما أشرنا إلى ذلك من قبل ، لأنه على الرغم من سيطرة المصريين مؤقتا على جزء من شمالى سهل سوريا — وليس لدينا من المبررات القوية ما يحملنا على الشك فيما ادعاه « سيتى » فى قوائم البلاد المغلوبة التى فتحها أو تغلب عليها وبخاصة قائمة « بولهول » السالفة الذكر، وتحتوى على بعض أسماء الأماكن المألوفة لنا من قبل مثل « قطنا »[٢] ، و « تونب » — فليس هناك من شك فى أن «سيتى» فى نهاية الأمر قد أفلتت من يده كل فتوحه التى أحرزها فى أقصى الشمال ؛ وقد نسيت بطبيعة الحال أخبار الحروب التى لم يحالف النصر فيها مصر بعد هذه الواقعة، إذ لم يدونها المصريون، ولقد كان لزاما على « رعمسيس الثانى » خلف «سيتى» فى حملته الأولى أن يستولى على « بيروت » بقوة السيف، ومن المحتمل إذن أن صارت حدود امبراطورية «سيتى الأول» الأسيوية عند نهاية حروبه تمتد شرقا من مصب نهر « الكلب » وكانت كل من مدينة « صيدا » و « مجدو » و « بيسان » مستعملة قواعد حربية . والظاهر أن «سيتى الأول» لما رأى عجزه عن القيام بأى توسيع فى رقعة امبراطوريته فى داخل سوريا عقد معاهدة مع ملك « خيتا » المسمى « مواتالو »، ولم يشهد بعد ذلك الصلح أية حروب[٣] أخرى حتى وفاته على ما نعلم.

وعلى الرغم من أن « سيتى الأول » لم يوفق لإعادة الامبراطورية المصرية فى آسيا لما كانت عليه — يوما ما — من الاتساع والعظمة فى عهد الأسرة

---

(١) راجع : Pezard, Une Nouvelle Stele de Sety I, Monuments & Memoires p. 387 ff.

(٢) راجع : Karnak List L. D., III, pls. 45 ff.

(٣) راجع : Delaporte Les Hittites p. 129

الثامنة عشرة فإنه مع ذلك قد أفلح إلى حدّ كبير فى إعادة السيطرة المصرية على كل « فلسطين » ، بل من المحتمل على جزء من جنوبى سوريا أيضا . ولا نزاع فى أن ذلك كان عملا جليلا ، وبخاصة إذا علمنا أنه قد وصل إلى ما وصل إليه فى نضاله أمام دولة قوية مثل دولة « خيتا » فى الشمال ، وقد كانت تناضل مصر بقوة عظيمة وتقف لها بالمرصاد بجيوشها الجرارة . وربما كان من الخير لكل من الدولتين أن يتريث « رعمسيس الثانى » عندما تولى الحكم ويعرف الموقف الحربى على حقيقته ولم يندفع فى حروب طاحنة مع تلك الدولة القوية .

حقا نقرأ فى القوائم التى تركها لنا « سيتى الأوّل » أنه تغلب على « خيتا » و « نهرين » و « آلاشيا » (قبرص) وغيرها من البلدان ، ولكن هذه الادّعاءات العريضة المبهمة لا يصح أن تؤخذ بصفة جدّية ، بل إلى حد محدود يقرّره الواقع ، إذ لا يمكن أن نسلم أنه هزم «خيتا» واستولى عليها أو على إقليم من أقاليمها الشمالية . ولا جدال فى أن « سيتى » شعر فى أعماق نفسه بما كان يشعر به أجداده من الزهو وحب العظمة ، فلم يتأخر طرفة عين عن تدوين قصة انتصاراته على جدران المعابد بصورة لا تقل فى فخامتها عما أحرزه أجداده الأماجد أمثال « تحتمس الثالث » و « أمنحتب الثانى » من فتوح . وإذا ضربنا صفحا عن أمثال هذه الادّعاءات الضخمة المبهمة فإنه لا يوجد لدينا ما يمنع من تصديق ما جاء فى قوائم فتوحه التى عدّدت لنا بدقة تفاصيل أسماء المدن والأصقاع ، وبخاصة إذا عرفنا أن أسماء هذه الأماكن وما يمكن تحقيقه منها يتفق عقلا مع خطط حروب « سيتى الأوّل » كما نعرفها من الوجهة الجغرافية .

سيتى الأول وبلاد النوبة

يظهر أن « سيتى الأوّل » كان قد قام ببعض حملات فى بلاد النوبة ، غير أننا لا نعلم إذا كان قد سار بها من تلقاء نفسه فى عهده هو ، أو كان قد أرسله والده على رأسها . فقد عثر على لوحة فى « وادى حلفا » تكاد تكون صورة مطابقة

للوحة التى أقامها « رعمسيس الأوّل » والده فى نفس المكان، وقد أرّخت بالسنة الأولى من حكمه . وقد جاء ما فيها مثبتا للقرابين التى قرّبها « رعمسيس الأوّل » فى أقصى الجنوب من المعبدين القائمين فى « وادى حلفا » ، وهـذه اللوحة تشـير كذلك إلى أسرى ، ولذلك يعتقد أنها تقليـد أعمى للوحة القـديمة . وعلى أية حال فقـد عثر على لوحة أخرى للملك « سيتى الأوّل » تشـيد بذكره على أنه هو الذى مدّ حدوده فى بلاد السـود بوصفهم أسرى أحياء لجلالته (١) . هـذا غير لوحة داخل مقياس النيل القـديم فى « إلفنتين » يشاهد عليها صـورة « سيتى الأوّل » يتعبد للإلهين « خنوم » و « آمون رع » . والمتن الذى على هذه اللوحة هو دعاء للإله « خنوم » وما أسبغه على الفرعون من نعم فيقول : "لقـد أعطيتنى الجنوب والشمال والغرب والشرق التى أضحت تحت نعلى (٢) "؛ وبالقرب من هـذه اللوحة نجد على صخرة صورة « سيتى الأوّل » وهو يضرب عدوّا من الجنـوب على الطريقة التقليدية المـألوفة كما نشاهد « أمنمأبت (٣) » نائب بلاد النوبة يتعبد إليه . وكذلك نجد على مسافة من النقش السالف نحو أعالى النهر «أمنمأبت» نفسه قد نحت منظرا فى الصخر يشاهد فيـه « سيتى الأوّل » يذبح عدوّا، أما المتن الذى نقش هناك فيحتوى على مدائح عادية للفرعون ويشمل بعض جمل طريفة فى بابها فيقول : " الملك الشجاع الذى جعل حدوده حتى قرون الأرض ... ... هادما مدنهم ... ... وأهـل الجنوب يأتون إليـه خاضعين وأهل الشمال يأتون إليه ساجدين (٤) " . وربما دلت هذه الجمل على غزو قام فى بلاد النوبة أو قد تكون — وهو الأصح — كلمات جوفاء من نوع المـلق الرخيص الذى كان يكيله نائب بلاد النوبة لمليكه كما نسمع أمثال ذلك الإطراء فى كل زمان ومكان .

---

(١) راجع : De Rouge Inscrip. Hierog. pp. 165-167

(٢) راجع : Br. A. R., III, § 204,&Champ. Notices I, p. 223-4

(٣) راجع : L. D., III, pl. 141 n. & De Morgan. Cat. Mon. 28,5

(٤) راجع : Br. Ibid. 89. Note a

وقد عثر الدكتور « ريزنر » على لوحة فى جبل « بركل » عند الشلال الرابع مؤرخة بالسنة الحادية عشرة من حكم «سيتى الأوّل» تحدثنا عنه بوصفه أسدا على بلاد « خارو » (سوريا) وثورا على الكوش (١) . وهذه اللوحة من الأهمية بمكان لأنها تقدّم لنا أرفع سنة فى حكم «سيتى الأوّل» وهى السنة الحادية عشرة . وتدل شواهد الأحوال على أن الغرض من إقامة هذه اللوحة فى هذه البقعة النائية دينى، إذ يدل ما بقى لنا منها على أنها تخليد لذكرى إعادة بناء معبد آمون بوجه خاص . وكذلك يشير سطر من نقوش اللوحة إلى نبوءة وقعت على ما يظهر قبل أن يبتدئ «سيتى» حكمه وهى : ”أن من أنجبه مبجل وأنه سيكون ملكا على الجماهير (؟) ... ... “ . وتوجد نبوءة أخرى وقعت عند اعتلاء « سيتى » عرش الملك وقد جاء ذكرها فى النقوش التى خلفها لنا فى معبد « سبيوس أرتيميدوس » (Sepios Artimedos) (هو المعروف باصطبل عنتر) حيث نقرأ أن الإله « تحوت » يقول (بفمه نفسه) : ”إن ابنى سيعتلى العرش جالسا على سريره مخلدا، ابن الشمس «سيتى مرنبتاح» (٢)“، وكذلك نجد نبوءة أخرى على لوحة « نورى » العظيمة حيث يقول : ” إن رع صوّر جلالته، وأنه هو الذى أبدع جماله، وقد عرف أنه سيختاره من بين ألف الألف ليكون ملكا على الوجه القبلى والوجه البحرى (٣) “ .

ويدل كل ما لدينا من وثائق على أن « سيتى الأوّل » لم يستعمل أسطورة الولادة الإلهيــة التى تدل على أنه منحدر من صلب الإله مباشرة ، وهى التى كان يستعملها الفراعنة عنــدما تعوزهم الأسباب المبررة لاعتلاء العرش ؛ ولكنا سنرى أن ابنه « رعمسيس الثانى » قد استعملها .

---

(١) راجع : A. Z., LXIX, p. 77

(٢) راجع : J. E. A., XXXIII, p. 24

(٣) راجع : J. E. A., XIII, p. 196-7

مكانة سيتى فى التاريخ : ولا نزاع فى أن التاريخ سيحفظ «لسيتى الأول» أجمل الذكريات فقد أفلح فى إعادة ما يقرب من نصف امبراطورية مصر فى آسيا، كما أمن طرق المواصلات بين بلاده و بين «فلسطين» ، وأزال الخطر الذى كان يتهدّد البلاد من ناحية بلاد « لوبيا » ، وقد أفلح فى ذلك فلاحا عظيما لدرجة أن هؤلاء القوم لم يجسروا على القيام بأية محاولة أخرى للإغارة على مصر حتى عهد الفرعون « مرنبتاح » حفيده . وأخيرا يظهر أنه قد قمع الثورات التى قام بها أهل النوبة و بذلك مهد السبيل لتثمير مناجم الذهب وهو مشروع كان تصميمه فى نفسه منذ أن تولى العرش .

ولا شك فى أن كل هذه الأعمال كانت لها قيمتها العظيمة فى أعين الشعب المصرى ، ولا بدّ أنه كان ينظر إليها بعين الإعجاب والتقدير ، وبخاصة بعد أن بقيت البلاد فى خمول وضعف سنين عدّة ، ولا يبعد أن رجلا أقل عزيمة وأصالة رأى من « سيتى » كان يركب رأسه بما نال من ظفر وفتح عظيم فيقوم بحروب أخرى كانت تعرّض بلا شك كل ما كسبه للضياع والدمار ، وبخاصة أمام دولة فتية قوية مثل «خيتا» ، ولكن «سيتى» بتجاربه الحربية قد رأى بعين فاحصة أنه قد ذهب فى فتوحه إلى الحد الذى تتحمله البلاد ومواردها وحسب .

حقا إن الإمبراطورية المصرية فى آسيا لم تمتد رقعتها فى عهده إلى ما كانت عليه فى زمن « تحتمس الثالث » ، ولكن ذلك لم يكن لنقص فى روح «سيتى» الحربى ، بل لحسن تقديره للأمور ، فقد لمس بنفسه عندما قابل رجال الجيش المصرى جيش «خيتا» للمرة الأولى فى وقعة حربية أنه يحارب جيشا أشدّ بأسا وأعظم بطشا من سلفه الذى حارب «تحتمس الثالث» بقيادة ملك «قادش» يؤازره حلفاء عديدون . ومن ثم رأى «سيتى» أن مصر لم يحن لها الوقت بعد لمنازلة مثل هذا العدوّ الجبار ، وأنه لا فائدة من استمرار الحروب للاستيلاء على وادى « الأرنت » إذ قد يدعو ذلك إلى إطالة أمد حرب مضنية مهلكة قد تكون نتائجها كارثة على مصر ، ولذلك

اتخـد سبيل الحذر والحرص وعقد معاهدة مع الملك « مواتالو » عاهل « خيتا » القوية . ومتن هذه المعاهدة لم يصل إلينا بعد ، ولكنا نعلم وجوده من إشارة ذكرها ملك «خيتا» المسمى « خاتوسيل الثانى» فى المعاهدةالتى أبرمهامع «رعمسيس الثانى» إذ جاء فيها : ”وكذلك المعاهدة السابقة التى كانت فى عهد « مواتالو » والدى فأنى سأتمسك بما جاء فيهـا . تأمل فإن رعمسيس محبوب «آمون » حاكم مصر العظيم سيتمسك بها معى أيضا منذ هـذا اليوم“[1] . وسنفصل القول فى ذلك فى حينه .

نشاط سيتى الأول داخل البلاد

بعد أن أخذ «سيتى الأوّل» فى إعادة جزء كبير من أملاك الإمبراطورية المصرية بحروبه المظفرة بدأ فى الوقت نفسه على مايظهر يفكر فى إصلاح ما تخرب من معابد الآلهة على يد « إخناتون » وشيعته، وكذلك فكر فى إقامة المعابد الجديدة للآلهة العظام الذين كانوا يمدّونه بالنصر فى ساحة القتال اعترافا منه بحسن صنيعهم له ولرفع شأنهم فى أعين الشعب بعـد أن ظلوا ردحا من الزمن مكبوتين متروكين فى زوايا النسيان لا يجرؤ أحد على ذكر اسم واحد منهم أو عبادته علانية .

والمبانى التى أقامها « سيتى الأوّل » وهى التى لم تزل باقية حتى الآن عديدة وعلى وجه عام جميلة الصنع لدرجة كبيرة، وتمتدّ بقاياها من شرقى نهر «الأردن» وشبه جزيرة سينا مخترقة أرض الكنانة ومصعدة حتى « سسبى » الواقعة خلف « سمنة » معقل الحدود المصرية القديمة فى الجنوب ، بل وجدت كذلك فى « بركل » بالقرب من الشلال الرابع . وسنتحدث هنا عن عمائره على حسب أهميتها وضخامتها .

قاعة العمد العظمى بالكرنك : ذكرنا فيما سبق أن « سيتى الأوّل » قد قام بنصيب وافر فى تشييد قاعة العمد الكبرى بالكرنك فى أثناء اشتراكه مع والده «رعمسيس الأوّل » فى الحكم، وتدل شواهد الأحوال على أن هذه القاعة كان قد تم بناؤها عند

---

(١) راجع : Br. A. R., III, § 377

موت «رعمسيس الأول»، وكذلك كان قد بدئ فى تزيينها بالنقوش والصور، فلما تولى « سيتى » تابع تزيينها مستعملا النقوش البارزة الجميلة التى ميزت بها آثاره وقد أشرك معه فيما بعد ابنه الصغير « رعمسيس الثانى » فى الحكم وجعل له نصيبا وافرا فى إتمام هذه القاعة العظيمة، ولما مات والده أنجز ما بقى من نقوشها وزخرفها (١).

العرابة المدفونة : لقد أظهر « سيتى الأول » منذ باكورة حكمه ميلا عظيما بارزا لمدينة « العرابة » المقدسة كما تحدثنا عن ذلك لوحة « نورى » التى سنفصل فيها القول فيما بعد . ويرجع تاريخ هذا الاهتمام إلى السنة الرابعة من حكمه، إذ نعلم أنه فى هذا التاريخ قد أسس معبدا يسمى « بيت من ماعت رع راحة القلب فى العرابة » . وهذا البناء لم نستطع تحديد حقيقته بصفة قاطعة ، فيظن بعض المؤرخين أنه هو الاسم العلم الذى يطلق على معبد العرابة المشهور الذى أقامه « سيتى » . وفى اعتقادى أن هذا هو الرأى الصحيح (٢)، إذ يقولون إنه أحد أسماء معبد العرابة . وقد وجد هذا الاسم على لوحة « نورى » بصور أخرى (٣) . وهذا المعبد بعينه قد جاء ذكره على لوحة وجدت فى « العرابة » وكذلك نجده مذكورا فى معبد « بوهن » الواقع بالقرب من « حلفا » باسم « بيت من ماعت رع » (٤)، وكذلك على اللوحة رقم ٩٢ بمتحف «اللوفر» وهى التى أهداها شخص يدعى «ور» ، وكان يلقب كاتب الملك ورئيس بيت هذا المعبد ، غير أننا على الرغم من كل ذلك نجد أن اسم معبد « سيتى » العظيم قد ذكر على جدرانه وكذلك على جدران معبد وادى مياه أو « وادى عباد » بصفة مختصرة هكذا : « بيت من ماعت رع » (راجع .Gauthier Dic. Geog. IV, p. 72) (٥) . على أنه لا يمكن توحيده بالمعبد

---

(١) راجع : Keith, Seele Coregency Par. 33-38

(٢) راجع : Gauthier Dic. Geog. IV, p. 72

(٣) راجع : J. E. A., XIII, pl. XLI

(٤) راجع : Mariette Abydos II, pl. 51

(٥) راجع : Brugsch Dic. Geog. p. 1169

المسمى « راحة القلب » بمعبد « أوزيريون » الذى يقع بجوار معبد «سيتى» الكبير لأن اسم معبد «الأوزيريون» هو «آخ من ماعت رع» (له الحياة والفلاح والصحة) لأوزير (راجع .Porter & Moss VI, p. 29 ff) . ومن المحتمل إذاً أنه كان اسم معبد «أوزير» القديم الذى كان قد عمل فيه « سيتى الأول » بعض الإصلاحات كما يقول « جرفث » (راجع Pertrie Abydos II, pl. XXXV & Griffith (J. E. A., Vol. XIII, p. 206. .

معبد العرابة الكبير : لا نزاع فى أن أشهر معبد أقامه « سيتى الأول » فى البلاد المصرية وفى غيرها من بلدان الامبراطورية المصرية هو المعبد الكبير الذى كانت تعظم فيه شعائر آلهة مصر الستة الهامة فى «العرابة» . وكذلك كانت تقام فيه الشعائر الجنازية لملوك مصر القدامى ، هذا إلى أنه كان فى الوقت نفسه يعدّ معبداً جنازياً «لسيتى الأول» نفسه . وهذا المعبد هو المعروف باسم « بيت من ماعت رع» أو باسمه المطوّل « البيت الفاخر لملايين السنين لصاحبه ملك الوجه القبلى والوجه البحرى من ماعت رع » .

ويقع المعبد على مسيرة سبعة كيلومترات من النيل . وقد كان يصل إليه الحجاج فى الأزمان الغابرة بوساطة قناة تخرج من النيل حتى جوار المعبد نفسه .

وهذا المعبد الفخم بما يحتويه من نقوش بارزة أنيقة الصنع حفظت ألوان بعضها حتى الآن يعدّ من أثمن الذخائر الفنية التى ورثناها عن العالم القديم . ومما يؤسف له أن « سيتى » لم تمتدّ به السنون لإنجاز هذا العمل الفنى المنقطع النظير بأكمله ، وقد كان لابنه « رعمسيس الثانى » شرف إتمام ما بدأه والده ، غير أن «رعمسيس» لم يحافظ فى إنجازه على المستوى الفنى الرفيع الذى اختطه والده ، ولذلك يرى المفتن بل الشخص العادى الفرق واضحاً بين جمال ما أقامه «سيتى» وقبح ما أنجزه «رعمسيس الثانى» فى هذا المعبد ، وبخاصة أنه قد قام ببعض تغييرات فى البناء الذى رفعه «سيتى» لم يمكن حتى الآن معرفة ما كان يقصد بها . وتخطيط معبد «العرابة» فريد

فى بابه ، إذ قد وضع تصميمه على صورة زاوية قائمة ـــــ| بدلا من الشكل المستطيل المعتاد المتبـع فى تخطيط المعابد ، على أنه قـد يكون الداعى للانحراف عن اتبـاع الشكل المـألوف وجود معبد آخر بجواره يحتوى على مبانى سفلية سرية وهو المعبد المعروف الآن باسم «الأوزريون» أو الضريح . وسنتناول الحديث عنه فى حينه .

وهذا المعبد على ما هو عليه الآن غير كامل لمـا أصابه من تهديم وتخريب ، فلم يبق من بوابته الفخمة وردهته الخارجية العظيمة إلا دمن ضئيلة لا يزال عليها بقايا بعض زينة متناثرة من عهد « رعمسيس الثانى » ، وكذلك الردهة الثانية التى زينها «رعمسيس الثانى» لم يبق منها إلا القليل؛ وفى نهاية هذه الردهة الأخيرة ممر مزين بالعمـد المستطيلة الشكل يوصل إلى قاعة العمد الأولى التى يبلغ طولها نحو واحد وسبعين ومائة قدم وعرضها حوالى ستة وثلاثين قدما . ويرتكز سقف هذه القاعة على أربعـة وعشرين عمودا كل منها مثل فى صورة حزمة من البردى ، أما تيجانها فعلى هيئة زهرة لم تفتح بعد . وقد نظمت هـذه العمد فى صفين فى مجاميع مؤلفة كل منهـا من عمودين ، وبذلك يتخلف بينها سبعة ممرات متصلة بعدد مماثل من الممرات أو الطرقات فى قاعة العمد الثانية ، وهذه الطرقات أو الممرات تؤدّى فى نهايتها إلى سبعة المحاريب التى خصصت لآلهة القطر الستة العظام ، ولمحراب «سيتى الأوّل» الذى كان يعدّ إلها فى هذا المعبد أيضا . وهكذا كانت مواكب الآلهة التى ابتدعت من أجلها هـذه الطرقات على هذا النمط تدخل من الردهة الأماميـة وتتخذ سبيلها صاعدة فى هذه الطرقات السبع مخترقة قاعتى العمد ، فتتقدم مصعدة تدريجا حتى تصل إلى المحاريب السبعة المقدّسة التى كان يأوى إليها الآلهة . غير أن «رعمسيس الثانى» لسبب غاب عنا قد أقام جدارا منخفضا حاجزا بين ثلاثة العمد الخارجية المربعة الشكل الواقعة على الجانب الشرقى ، و بين العمودين الثانى والثالث الواقعين على الجهة الغربيـة ، و بذلك أغلق المدخل المباشر للطريق التى بين العمد المؤدّية إلى محاريب كل من «سيتى الأوّل» ، والإله «بتاح» والإله «حور أختى» والإلهة

« إزيس » ، ولم يترك بذلك منافذ إلا لمحاريب كل من الإله « آمون » والإله « أوزير » والإله « حور » .

والنقوش التي زخرفت بها قاعة العمد الأولى من النوع الرخيص الذى أصبح طرازا خاصا « لرعمسيس الثانى » فى جميع نقوش مبانيه الدينية المعروفة على وجه عام، وسقف قاعة العمد الثانية محمول على ستة وثلاثين عمودا انتظمت فى ثلاثة صفوف فى مجاميع ألف كل منها من عمودين ، والأربعة والعشرون عمودا التى يتألف منها الصفان الأولان من طراز العمد البردية الشكل وتيجانها برعومية الصورة، أما باقى العمد فقد مثلت على هيئة جذوع شجر سيقانها أسطوانية وقمتها مربعة بسيطة وليس لها تيجان، ويلاحظ أن رقعة القاعة ترتفع قليلا بين صفى العمد الثانى والثالث بالنسبة لباقى السطح، ويصل الإنسان إلى الجزء المرتفع بوساطة منحدرات ستة لكل من الممرات الستة، وكذلك يوجد منحدر ذو درجتين خاص بالممر الأوسط. ويلاحظ فى المعابد المصرية أن العمد تقل فى الارتفاع كلما اقترب الإنسان من المحراب وذلك لأن السقف يأخذ فى الانخفاض تدريجا. ولكن فى «العرابة المدفونة» يلاحظ أن العمد قد اختصر طولها لا بسبب انخفاض السقف بل لارتفاع مستوى رقعة المعبد نفسها، وقد يعزى ذلك إلى ارتفاع طبعى فى الأرض نفسها .

ويرجع تاريخ المناظر والنقوش التى حليت بها قاعة العمد الثانية إلى عهد «سيتى الأول» ، وهى من أحسن ما أخرجته يد المثال المصرى فى هذا العهد . ومما يسترعى النظر فى هذه المناظر أن الآلهة الذين مثلوا برءوس آدمية قد صوّروا جميعا بنفس الوضع الجانبى الذى مثل به الفرعون ، ومن ثم نرى أن المفتن عندما كان يستعمل صورة الفرعون لتكون نموذجا معبرا عن صورة الإله فانه كان يتملق الفرعون ملقا مزدوجا، وذلك لأن جمال صورة «سيتى» أوّلا كان خليقا أن يمثل به تقاطيع صورة الإله نفسه ، وثانيا لأن التشابه بين صورة الملك والإله يؤكد مايدّعيه كل ملك مصرى من بنوّته للإله ، وهذا التقليد كان متبعا من قبل كما يلحظ ذلك فى صور الملك « توت عنخ آمون » وتشابهها بصور تماثيل الإله « آمون » :



(٤) معبد العرابة . « سيتى الأول » يطلق البخور ويقدم القربان للإله أوزير وقد ظهر خلفه ابنه حور

وتقع المحاريب السبعة الخاصة بآلهة المعبد خلف قاعة العمد الثانية .

وقد انتظمت فى الترتيب التالى من أقصى اليمين إذ نشاهد أولا محراب الإله « حور » ويليه محاريب الآلهة « ازيس » و « أوزير » و « آمون » و « حور أختى » و « بتاح » ثم محراب « سيتى الأول » نفسه إذ كان يعدّ إلها أيضا . ويلاحظ أن كل هذه المحاريب لم تكن لها أبواب من خلفها إلا محراب « أوزير » فقد كان له باب يؤدّى إلى قاعة ذات عمد ، يوجد فى الجانب الغربى منها ثلاث مقاصير صغيرة لثالوث الآلهة المؤلف من « أوزير » و « إزيس » و « حور » ، هذا بالإضافة إلى مقاصير أخرى مهداة للإلهة « نفرتوم » و « بتاح سكر » ثم الإله « سكر » . ومن ذلك نعلم أنه على الرغم من أن المعبد كان مهدى لأوزير فإنه كان بجانب ذلك يحتوى على محاريب لآلهة مصر العظمى . ويلفت النظر محراب « آمون » ملك الآلهة ، إذ كان يحتل المحراب الأوسط بين محاريب الآلهة . وعلى يمينه محراب « بتاح منف » ومحراب الإله « حور أختى » ويقابلهما على اليسار محرابا « أوزير » و « ازيس » ، فى حين أن محراب الملك الذى كان مؤلها يقع فى الجهة اليسرى ويقابله فى الجهة اليمنى محراب « حور بن ازيس » . وهذا الوضع الأخير ربما كان عن قصد لأن « سيتى الأول » كان يريد أن يؤكد وجه الشبه بينه وبين « حور » فى كل مناسبة ممكنة ، فقد وجد نفسه هنا مع الإله « حور » بوصفه الملك الشرعى على مصر .

وبين الصفين الأخيرين من قاعة العمد الثانية فى الجدار الشرقى باب يؤدّى إلى ممر ضيق يوصل إلى قاعة ذات عمد ، وعلى الجدار الجنوبى من هذا الممر الضيق نقشت قائمة أسماء الملوك الشهيرة باسم « قائمة العرابة » وتشمل أسماء ملوك مصر الذين عدّهم « سيتى الأول » ملوكا شرعيين للبلاد ؛ وقد بدأت هذه القائمة باسم الملك « مينا » وانتهت باسم سيتى « الأول » ، ومما تجدر ملاحظته فى الأسماء التى دوّنت على هذه القائمة أن اسم الملكة « حتشبسوت » ، وكذلك كل أسماء ملوك عهد الإصلاح الدينى أى « اخناتون » وإخلافه لم ينقشوا فيها .

وكان الغرض من تدوين أسماء الملوك الذين ذكروا فى هـذه القائمة التى تعـدّ فى نظرنا وثيقة تاريخية من الطراز الأول، هو إقامة شعائر عبادة هؤلاء الملوك القدامى. ولا أدل على ذلك من أننا نرى «سيتى الأول» يصحبه ابنه «رعمسيس الثانى» الفتى الصغير يقرءان صلوات من إضمامة بردى وهاك ما جاء عليها: تأدية الصلاة للموتى "ليت «بتاح سكر» و«أوزير» رب القبر الذى يسكن معبد «سيتى الأول» يضاعفان الهدايا للملوك الوجه القبلى والوجه البحرى بوساطة الملك «سيتى» فيجعلانها ألفا من الخبز وألفا من أباريق الجعة وألفا من الماشية وألفا من الأوز وألفا من البخور الخ. على يد الملك «سيتى الأول» للملك «منا» الخ". (بعد ذلك تتبع أسماء الملوك).

ويشاهد على رقعة الجدار الجنوبى من نفس هذا الممر كل من «سيتى» و«رعمسيس» الفتى الصغير يقدّم البخور والقربان للآلهة، ويلاحظ أن «رعمسيس الثانى» كان يرتدى جلبابا نقش عليه طغراء الملك بمثابة حلية، وفى هذا برهان على أنه كان فى هذه الفترة مشتركا مع والده فى الحكم. وعلى ذلك يدل تمثيله فى صورة صبى صغير لم يبلغ الحلم بعد على صحة ما قاله عن نفسه فى نقش الإهداء الذى دوّنه فيما بعد على جدران هذا المعبد، وقد ادّعى فيه أنه قد توج ملكا مشتركا مع والده فى حكم البلاد وهو لم يزل طفلا صغيرا، ويقتبس لنا فى هذا النقش الأمر الملكى الذى أصدره والده بمناسبة تنصيبه ملكا معه فيقول سيتى: "توجوه ملكا حتى أرى جماله وأنا عائش[(1)]".

وقد عارض الأستاذ «برستد» ما ادّعاه «رعمسيس الثانى» من اشتراكه مع والده فى الحكم وهو صغير، غير أن لدينا آثارا أخرى تثبت صحة ما ادّعاه «رعمسيس». ويقول الأستاذ «كيث سيلى» فى هذا الصدد: "والآن نعلم أن ادّعاءات «رعمسيس» الثانى لا لبس فيها من حيث اشتراكه فى الملك مع والده «سيتى الأول» وقد اعترض عليها بأنهـا لا تنطبق على الواقع وبخاصة ما يشير إليه «برسـتد» بصدد الإضافة التى حشرت فى رسـوم الواقعة التى صـوّرت على جدران الكرنك. وهذه

---

(١) راجع: Gauthier A. *Z.*, 48. p. 53. L. 45 ff.

الادّعاءات ليست مرجحة فحسب، بل إنها قد أصبحت محققة تحقيقا أكيدا بالبراهين المعاصرة، هـذا على الرغم من عدم وجـود آثار باقية تشـمل تاريخا مشتركا لهما في سنة واحدة من سنى حكمهما معا كما نجد مثل ذلك في ملوك الأسرة الثانية عشرة". وسنتناول موضوع اشتراك هذين الفرعونين فى الحكم معا فيما بعد .

وقد زينت جدران الردهة التى يؤدّى إليها الممـر المكتوب عليـه أسماء الفراعنة بمناظر ذبح ثيران وتقطيعها لتقدم قربانا، ومن المحتمل أنها كانت المكان العام للذبح فى هذا المعبد . و يوجد خلفها عدّة حجرات وقاعات صغيرة وسلم يؤدّى الى السقف .

وكان يحوّط هذا المعبد فى إبان ازدهاره حديقة غناء مغروسة بالنباتات المزهرة والأشجار الباسقة، وقد ظلت بقايا جذوع هذه الأشجار موجودة فى أماكنها الأصلية فى حفر عميقة حتى أخرجها معول الحفار عندما كشف عن هذا المعبد الذى تكتنفه الصحراء القاحلة الآن .

وتدل مادة مبانى المعبد على أنه قد رفع بنيانه كله بالحجر الجيرى الأبيض ذى الحبات الدقيقة، و يسهل فيه نحت الأشكال الفنية، وقد استفاد المفتن الذى كلف تزيين هذا المعبد من ذلك فأظهر كل ما أوتيه من مهارة لإخراج صورة على هـذا الحجر الطيع السلس القياد . وقـد ذكرنا من قبل أن كل صور الآلهة الذين مثلوا برءوس آدمية كانت وجوههم تنحت بصور الفرعون نفسه، وقد دلت الموازنة بين هذه الوجوه ووجه مومية «سيتى الأوّل» على أن الشبه بينهما كان تاما . و يعدّ طراز النحت الذى يسود فى هـذا المعبد من طراز عهد المذهب القديم، وليس فيه أية إشارة تدل على تأثير فن مدرسة عهد «إخناتون»، ولكن الغريب هو أننا لم نرمن قبل ولا من بعد أن فن العصر الذى سبق عهد «إخناتون» قد أخرج للناس نقوشا غاية فى الإبداع مثل التى جملت بهـا جدران هذا المعبد فى الجزء المنسوب إلى « سيتى »، وكذلك النقوش التى حليت بهـا جدران مقبرته الفخمة . والواقـع أن التأثير العظيم الذى تتركه هذه النقوش يرجع بعض الفضل فيه إلى مهارة المثال الذى كان يسير فى عمله

بكل دقة على نهج مدرسة ما قبل عهد العمارنة ، إذ قد جمع مناظره ورتبها وكذلك أفسح المسافات بين الأشكال و بين النقوش مما لا يقتصر على إنتاج صور فنية وحسب ، بل كذلك وضع أمامنا نموذجا جميلا متزنا ، هذا فضلا عن أن الصور نفسها قد أخرجت بدقة و رشاقة يكاد يعجز القلم عن وصفها . وعلى سبيل المثال نأخذ صورة « أوزير » وهو مزمل فى ملابسه العادية التى كانت تعدّ بمثابة كفن ، فنجد أن المثال قد أخرج صور هذا الإله بمهارة مدهشة إذ أظهر فيها كل التفاصيل التشريحية من تحت الملابس حتى أصبح فى استطاعتنا أن نرى تفاصيل العضلات التى فى ذراعيه الموضوعتين على صدره . كما نشاهد تفاصيل عظام الفخذين ودقائق مفاصل الركبتين والكعب . ولكن على الرغم من كل هذا الإبداع فى التصوير يقول الأستاذ « بترى » عن نحت هذا المعبد ما يأتى : " إن النعومة البديعة والإتقان التام اللذين نشاهدهما فى العمل الجيد الذى أقامه «سيتى الأول» فى العرابة خال تماما من كل حياة وعارٍ عن قوة الملاحظة ، إذ ليس فيه تفاصيل تشريحية بل قد أخرجته آلات إنسانية تحسن الصنعة لم يكن فى مقدورهم أن يعبروا من عاطفة لم يحسوا بها أنفسهم "(١) . على أن مثل هذا الحكم يجعل الإنسان فى حيرة من أمره ، و يتساءل عما إذا كان « بترى » قد فحص مناظر معبد العرابة حقيقة ، أو أنه قد بنى حكمه على بعض صور من التى تعدّ من الدرجة الثالثة بالنسبة لصور المعبد الرائعة حيث توجد التفاصيل التشريحية ظاهرة واضحة لكل ذى عينين ، هذا فضلا عن أن الصور كلها عاطفية إلى حدّ كبير إذ أن كل حركة من حركات الفرعون أو الإله مملوءة بالرشاقة والحنان والعواطف الطافحة التى يعبر فيها عن الحب والإخلاص . وعلى الرغم من أننا نجد أحيانا إشارات عابرة تدل على الكآبة وهى التى نلحظها فى الابتسامات الحلوة المطبوعة على وجوه الإلهات فإنها تعدّ مع ذلك انتصارا للفن لأن المثال قد نجح فى إسباغ الرشاقة الرقيقة التى تطبع بطابعها العذارى فى عنفوان شبابهن ،

(١) راجع : Petrie Arts & Crafts of Anc Egypt p. 53

وفى الوقت نفسه أضفى على صور هؤلاء الإلهات مسحة الجلال والوقار اللذين تميز بهما امرأة أعلى من بنات البشر .

وإذا كانت نقوش معبد «العرابة» تنقصها قوة الفن القديم وحيويته فإنها من جهة أخرى قد اكتسبت حواس داخلية تعبر عن أحاسيس نفسانية . والواقع أن فن الدولة القديمة على ما فيه من جمال وصدق تعبير كان خاصا بعالم الدنيا والمادة ، فى حين أن مثال «العرابة» عندما كان يمثل جسم الإنسان فى كل مظاهر جماله ألقى نظرة خاطفة على ماهو أعظم من ذلك الجمال المادى ، وهو جمال الروح الذى يقع وراء الجسم ، وقد وصل بمهارته ودأبه الذى لا يعرف الملل إلى أن مثل الصورتين الجسمية والروحية فى قطعة واحدة من الحجر الجيرى الأبيض .

على أن تقدير قيمة هذه النقوش المدهشة بالنسبة لذوق عصرنا الحالى يمكن إدراكه فى المناظر التى ذهبت عنها ألوانها التى كانت تزينها ، ويجب أن نعترف بأن المثال الذى حفر هذه المناظر كان عبقريا كما أن الذى أبدع ألوانها لا يقل عنه مهارة وحذقا ، فالألوان التى لاتزال باقية حتى الآن فى أماكن كثيرة من أرجاء المعبد كما كانت عليه فى الأصل تشبه قطع المجوهرات فى بهائها ورونقها ، فلا يعتورها أى نقص أو سماجة فى إبداعها . فنشاهد مجاميع الألوان متزنة التوزيع والتنسيق ويسودها ظلال بديعة من اللون الأزرق واللون الأخضر مشفوعين باللون الأحمر القانى والأصفر الفاقع . وقد كان المصرى يستعمل اللون الأزرق بدلا من الأسود كلما سمحت الأحوال بذلك ، تفاديا من وقوع تغيير مفاجئ فى ظهور قطع من الألوان المتناقضة التى تزور عنها العين ويمجها الذوق ؛ والواقع أن اللون الأسود كان يستعمل فى الأصل لإبراز التفاصيل الدقيقة الصغيرة مثل العينين والحاجبين .

ويخيل للإنسان أن جدران هذا المعبد عندما كانت سقفها تامة كانت تشبه قطع المجوهرات الذهبية الثمينة المرصعة بالأحجار نصف الكريمة التى عرفناها فى مجاميع المجوهرات التى عثر عليها من عهد الأسرة الثانية عشرة فى « اللاهون » « ودهشور » ، وكذلك ما أخرج من مقبرة « توت عنخ آمون » .

والواقع أن الفنّ المصرى الذى مثل فى معبد «العرابة» كان مثله كمثل أغنية البجعة أو كبيضة الديك، لم يصل المصرى ثانية إلى جماله وسمو منزلتـه قط فى أى عصر من العصور التى تلت .

وعندما قضى « سيتى » كان الجزء الرئيسى من المعبد قد تمّ تشييده ، فلم يبق منه إلا الردهة الخارجية، التى لم تكن قد تمت زينتها أو أخذت زخرفها بعد .

وفى استطاعة الإنسان الآن بعد هذا الوصف أن يرخى لخياله العنان ، ويتصور الأحفال والشعائر الدينية التى كانت تقام فى هـذا المعبد فى حياة بانيـه ، فيشاهد أمامه مواكب الكهنة بملابسهم البيضاء يتهادون فى الطرقات بين الأعمدة المزخرفة بأجمل الألوان ، متجهين نحو المحاريب التى كانت تشبه فى بهائها قطع الجوهرات الأخاذة ، كما أنه فى استطاعتنا أن نسمع فى مخيلتنا أغانى أولئك الكهنة فى ردهات المعبد ، ونشمّ رائحة البخور ودخانه الأبيض الذى يتصاعد من المباخر نحو سقف القاعات المحلاة بالألوان البديعة ، وكذلك فى استطاعتنا أن نتصوّر الفرعون نفسه راكعا أمام أرباب «العرابة» فى ملابسه الفاخرة ذات اللون الأزرق والذهبى وهى نفس الملابس التى كان يرتديها الآلهة وهم جالسون على عروشهم ، أو وهم واقفون يستقبلون الفرعون أو يقودونه إلى عرش ملكه عند الاحتفال بتتويجه . أو حينما نراهم كذلك وهم يتقبلون منه الأسرى الذيـن كانوا يقدّمون لهم عبيدا جزاء لمـا وهبوه الفرعون من انتصارات ساحقة على الأعداء فى البلاد النائية .

الأوذيون(١) أو ضريح « سيتى الأول » بالعرابة المدفونة

يقع خلف المعبد العظيم الذى أقامه « سيتى الأوّل » فى العرابة — وهو الذى فصلنا فيه القول فيما سبق — بنـاء سرّى تحت جوف الأرض ، ليس له مثيـل فى كل المبـانى الأثرية التى عثر عليها فى مصر حتى الآن . والمعتقد أنه كان متصلا بالمعبد الكبير السالف الذكر، ولا أدل على ذلك من أن هذا البناء يقع بأكمله داخل

(١) راجع : Frankfort. The Cenotaph of Seti I, at abydos, Vol. I, p. 9 ff; Vol. II, pl. II.

المنطقة المقدسة الخاصة بهذا المعبد . وباب هذا البناء المقوس الشكل يقع أسفل جدار هذه المنطقة الحرام بالقرب من ركنها الشمالي الشرقي . وقد أقيم معظمه من الحجر الرملي، والجزء الباقي منه مبني بالجرانيت والحجر الجيري الأبيض .

ويؤدي مدخل هذا المبنى إلى ممر طويل ضيق يبلغ طوله نحو أربعة عشر مترا وعرضه نحو مترين وستين سنتيمترا ، ويتجه جنوبا وينتهي بحجرة للاستراحة على مايظهر، يتفرع منها ممر ضيق قصير يتجه شرقا ويؤدي إلى قاعة مستطيلة الشكل، يوجد في وسط جدارها الغربي منفذ يؤدي إلى قاعة وسطى عظيمة تعد النواة لهذا المبنى الغريب .

وتحتوى هذه القاعة العظيمة على جزيرة في وسطها تحيط بها قناة ، ويحيط بكل القاعة طنف عرضه حوالي ستين سنتيمترا، يقطعه في جهتيه الشرقية والغربية دعامات يرتكز عليها العقد، ويؤدي هذا الطنف إلى سبع عشرة حجرة صغيرة مربعة الشكل، ست منها على كل جانب من جانبيها الطويلين، واثنتان على الجانب الغربي، وثلاث على الجانب الشرقي . ويشاهد حول الجزيرة نفسها طنف آخر مواز للذى حول القاعة العظيمة ومماثل له ، ويعترضه عند نهاية الجانبين الشرقي والغربي سلمان مصنوعان من الحجر، وينزل الأول بإحدى عشرة درجة والثاني بإثنتي عشرة درجة إلى مسافة ثلاثة أمتار وخمسة عشر سنتيمترا . وينتهي هذا السلم بدرجة واسعة ينزل منها الإنسان إلى قعر القناة مباشرة .

أما الجزيرة السالفة الذكر فقد بنيت من الحجر الرملي الضخم ، ويعتقد الأثريون الذين كشفوها أنها صلبة ، وأقيم عليها عمد من الجرانيت القرنفلي اللون يرتكز عليها السقف، ويلاحظ أن سبعة منها من قطعة حجر واحدة ، وهذا يذكرنا بعمد معبد الوادي الذي أقامه « خفرع » لهرمه بالجيزة . والواقع أنه لما كشف عنها أولا لم يكن في استطاعة رجال الآثار معرفة كنه هذا البناء، ولكن لما تقدمت أعمال الكشف في هذا المكان ظهر أن هذا البناء لم يكن قد تم إنجازه تماما ، ولا أدل على ذلك من أن اسم بانيه وصورته لم ينقشا على المبنى الأصلي، بل جاءا عرضا في النقوش والمتون التي على الأجزاء الأخرى الثانوية من المبنى .

ويستند على عمد الجرانيت السالفة الذكر عقد ضخم من نفس مادّة العمد ، كما كانت تحمل العمد البارزة من الجدارين الشرقى والغربى للقاعة الوسطى عقوداً ، وكانت هذه العقود بدورها تحمل أحجار السقف الضخمة .

وعلى سطح الجزيرة العلوى بين صفى العمد حفرتان قريبتا الغور ، إحداهما مستطيلة والثانية مربعة . ويلاحظ أن القناة التى بين الجزيرة وبين جدران القاعة كانت ولا تزال مملوءة بالماء الذى يكون فى زمن الفيضان على مستوى واحد مع الطنف ، والظاهر أن مستوى منسوب الماء فى عهد « سيتى الأوّل » كان أقل مما هو عليه الآن بنحو ثلاثة أمتار وخمسة وعشرين سنتيمترا ، وبذلك كان الماء يغطى وقتئذ الدرج السفلى من السلم فى وقت الفيضان . وقد حاول الحفارون الأحداث تفريغ الماء من هذه القناة بآلات بخارية فلم يفلحوا .

وقد بنيت جدران هذا المبنى بالحجر الجيرى ، إلا فى الجهة الغربية فإنها من الحجر الرملى .

ولما كانت هذه القاعة العظيمة تغمر دائماً بالمياه فى أثناء الفيضان ، فإن ما عليها من نقوش سرّية قد محيت ، ولكن السقف المبنى من الحجر الرملى الأصفر لم يصبه عطب كبير . وقد بقى لنا من نقوشه الطريفة متن تمثيلىّ يشرح لنا كيف أن إله الأرض « جب » تخاصم مع الإلهة « نوت » ربة السماء بسبب التهامها أولادها النجوم ، وقد مثلها الإله « جب » فى صورة خنزيرة تأكل صغارها ! . وهذه القاعة ليس لها مدخل ، ولا يمكننا أن نجزم إذا كان قد وضع لها فى الأصل عند تصميمها باب ، ولكن من الجائز جدّا أنها صنعت لتكون مستورة تماما . وتذكرنا هذه القاعة بالحجرة ذات الطابقين المستورة من كل الوجوه التى وجدت فى معبد « سيتى » الكبير فى الشمال الغربى منه .

الغرض من هذا المبنى : كان من المعلوم أن الجم الغفير من عامّة الشعب يرغبون عندما تسمح لهم مواردهم أن يقيموا لأنفسهم آثارا جنازية من أى نوع

فى جبانة العرابة، وذلك على الرغم من أن مدافنهم كانت فى مسقط رأسهم، وسبب ذلك أن العرابة كانت البلدة المقدسة التى توارى جثمان « أوزير » إله الآخرة . وقد ذكرنا فى مواطن عديدة أن بعض الملوك قد أقاموا لأنفسهم فى العرابة أضرحة رمزية غير مقابرهم الحقيقية التى أقيمت بالقرب من مقر ملكهم ، ونخص بالذكر من بين هؤلاء الفرعون « سنوسرت الثالث »، والملكة « تتى شرى » التى أقام لها « أحمس الأول » مقبرة فى « العرابة المدفونة » (راجع الجزء الرابع ص ٢١٣). ولذلك يرى الأستاذ « فرنكفورت » أن المبنى الذى نحن بصدده الآن هو من نوع هذه المبانى الجنازية؛ ويعتقد أنه ضريح « سيتى الأول » الرمزى، وأنه أقامه لنفسه على أديم « العرابة » المقدسة على غرار قبر الإله « أوزير » الذى أقيم فى هذه البقعة المباركة على زعم المصريين . والعناصر المختلفة التى يتألف منها هذا المبنى تعيد إلى ذاكرتنا نظام مقابر الملوك فى طيبة الغربيـة ، فمثلا نجد الممر الضيق الطويل والعمد المربعة القـائمة فى القاعة الوسـطى ، والحجرة المستطيلة الواقعـة فى الشرق، وهى التى تشبه فى هيئتها تابوتا ضخما، وتذكرنا بحجرة تابوت هرم سقارة؛ ولكن القاعة الوسطى العظيمة والجزيرة ليس لهما نظير فى أى قبر ملكى معروف لنا، غير أن القاعة تشبه مدفن «أوزير» التقليدى، أما الجزيرة فتمثل التل الأزلى[1] وهو على حسب عقيدة كهنة «عين شمس» قد ظهر أوّلا من المياه الأزلية المسماة «نون» وقد وقف على هذا التل الإله « رع » فى أوّل صباح بدء الخليقة ، ثم كان يقف فيه فيما بعد عند مطلع الشمس فى كل صباح . ولـما كانت كل من الشمس الغاربة والشمس المشرقة ترمز للموت والقيامة ثانية على التوالى ، وكذلك لـما مزجت على مر الأيام عبادة الشمس بعبادة « أوزير » الذى مات ليحيا ثانيـة مثل الشمس، فقـد أصبح هـذا التل الأبدى هو المكان المناسب لدفن « أوزير » الذى كان

(١) راجع ما كتبه « فرنكفورت » حديثا عن هـذا الموضوع فى كتابه عن ديانة قدماء المصريين
Frankfort. Ancient Egyptian Religion (1948) p. 153 ff

قد مات ثم أحيي ثانيـــة ، ثم وصـــل إلى الخلود بدفنه هـــذا وصار يرافق الشمس في دورتها التي يتمثل فيها الموت عند الغروب والحياة عند الشروق وهكذا على التوالى.

وقد جمع كل من الأستاذ (كرستنسن Kristensen) والأستاذ (دى بك De Buck) براهين قاطعة تثبت أن التـــل الأزلى كان يمثل بسـلم ذى درج متين يدفن عليـه « أوزير » أو كان يجلس عليه بوصفه حاكم الموتى. وفضلا عن ذلك يرى الأستاذ « كرستنسن » أن دفن « أوزير » على التل الأزلى قد أشير إليه في السـلم الشهير القائم بالعرابة المدفونة، وهو المكان الذى يرغب أن يدفن بالقرب منه كل مؤمن صادق الإيمان (١). وعلى ذلك يعتقد « فرنكفورت » أن الجزيرة تمثل التل الأزلى، ولهذا يعـد الحفرة المستطيلة الشكل التي في رقعتها الموجودة بين العمد هى المكان الذى وضع فيـه التابوت، أما الحفرة الأخرى المربعـة التي بجوار حجرة التابوت فهى المكان الذى كانت تحفظ فيـه أوانى الأحشاء . أما المـاء الذى في القناة فيمثل المحيط الأزلى، وهو على حسب التفكير المصرى كان له معنى آخر ثانوى . فارتفاع المـاء فيه وانخفاضه حول الجـزيرة يذكرنا بالاعتقاد العام بأن « أوزير » كان مفروضا فيه أنه يغرق كل سنة في ماء الفيضان الذى كان يأتى كل عام، ثم يعود ثانيـة إلى الحياة بعد انخفاض المياه، فكان مثـله كمثل الزرع الذى يحيا ثانية بعد انقضاء فصـل الفيضان وهكذا كل عام . وفضلا عن ذلك نجد على الجانب الشرقى من هذا الضريح حفرة بعيدة الغور مملوءة بالغرين الخصب، وكانت تنمو فيها خميلة أشجار وكانت هذه الحفرة التي فيها الشجر تمتد إلى قعر جدران القاعة الوسطى لتصل الأشجار التي فيها إلى مياه القناة . ويعتقد الأستاذ « فرنكفورت » أن هذه الأشجار تمثل الحياة الطبيعية التي تتجدد أبديا لأنها تسقى بماء المحيط الأزلى وبمياه الفيضان التى تنبع منها كل الحياة الطبيعية (٢).

---

(١) راجع : Kristensen Het Leven Uit de Dood (Life after death) p. 88.

(٢) راجع : Frankfort Ibid. p. 30. Krestinsen Ibid. p. 93; Book of the Dead Chap. XVII, 24. (Naville).

ويلفت الدكتور « كرستنسن » النظر إلى متن ورد فى كتاب الموتى يبرهن على أن فى عهد الدولة الحديثة كان التل الأزلى الذى موضعه الأصلى فى «عين شمس» مقترنا للإله « رع »، أصبح القوم يعتقدون أنه فى العرابة المدفونة .

وقد ترك « سيتى الأول » ضريحه الرمزى هذا دون أن يتم بناؤه بعد، ولم يهتم « رعمسيس الثانى » ابنه بإتمامه ، وتدل الظواهر على أنه قد اغتصب بعض أحجاره الجرانيتية من السقف واستعملها فى بناء معبده الذى أقامه بالعرابة . أما «مرنبتاح» حفيد «سيتى » وابن « رعمسيس الثانى » فإنه نقش باسمه الجدار الشرقى لهذا الضريح وجزءا من العقد الجنوبى والممر المنحدر وحجرة الاستراحة وممر المدخل وكذلك وضع صوره عليها .

وتدل شواهد الأحوال على أن هذا المبنى قد بقى بعد ذلك مهجورا إلى أمد طويل، ويحتمل أن النهاية الشمالية من مدخل الممر الطويل قد استعملت مخبأ لأشياء ثمينة ، إذ وجد فى هذا المكان إناء جميل الصنع من البرنز طوله تسعة وثلاثون سنتيمترا ، وكذلك عثر على كنز من النقود من عهد البطالمة وكذلك خيط جميل نظمت فيه حبات من حجر الدم .

وقد زار « استرابون » العرابة فى العهد الإغريقى الرومانى، ووصف المعبد الذى أطلق عليه اسم (ممنوريم Mimnoruim) (راجع Strabo XVIII.)أى فى خلال القرن الأول من الميلاد . وبعد الوصف يقول : " وهناك بئر عميقة ينزل الإنسان إليها بوساطة قبو مقام من أحجار فائقة فى الحجم والصنع . وتوجد قناة تؤدّى إلى هذا المكان من النهر العظيم ، وحول هذه القناة خميلة من شجر السنط المقدّس للإله « أبوللو ! » " . ولا شك فى أن هذه القناة هى التى تحيط بالجزيرة فى القاعة الوسطى العظمى وهى التى تحدّثنا عنها فى هذا الضريح؛ وكان يستعملها أهل القرى المجاورة فى عهد « استرابون » بمثابة بئر يمتاحون منه المياه كما كانت مستعملة فى الأزمان الحديثة منذ عام ١٩١٤ وهو التاريخ الذى ظهرت فيه القناة ثانية .

أما الخميلة التي ذكرها «استرابون» فيحتمل أنها تشير إلى الأشجار التي زرعت فى حفر الأرض التى سبق ذكرها . والقناة التى توصل البئر بالنيل يمكن أن تكون مجرّد موصل إلى القناة التى كانت موجودة وقتئذ كما هى الحال الآن ، وتمتد من النيل حتى حافة الأرض المنزرعة بالضبط أمام المعبد .

ويمكن البرهنة على وجود هذه القناة فى الزمن القديم بماجاء على قطعة «استراكون»(١) وجدت فى مدخل الممر المؤدّى للضريح ، وقد كتبت بالهيراطيقية ، ويشير المتن إلى جر الأحجار وتفريغها والعمل فى الجسور . ويرجع عهد هذا النقش إلى حكم «سيتى الأول» ومغزاه ترخيص بعمل تقوم به طائفة من العمال (؟) فى أحد مبانى الفرعون ، وقد أرّخ بالشهر الرابع من فصل الزرع فى اليوم الثانى والعشرين .

متون هذا الضريح : والمتون التى وجدت على جدران هذا الضريح معظمها جنازية من النوع الذى نصادفه عادة فى المقابر الملكية فى عهد الدولة الحديثة ويرجع الجزء الأعظم منها إلى عهد الفرعون « مرنبتاح » ، وليس فيها مايلفت النظر إلا متنان يستحقان التقدير والدرس . فعلى الجانب الغربى من سقف حجرة التابوت تشاهد صورة ضخمة تمثل الإلهة « نوت » ربة السماء يرفعها الإله «جب» رب الأرض . وقد ذكر على رسم جسم هذه الإلهة أسماء نجوم الدكان (وكل واحد منها يظهر مرة كل أسبوع) [وهو عشرة أيام] ، كما دوّن على بطنها وذراعيها وساقيها قائمة بأسماء الأيام والأشهر التى يحدث فيها ظهور البرج المقابل فى الصباح أو فى منتصف الليل أو فى الغروب . ومن جهة أخرى يمكن الإنسان استعمال هذه القائمة الآن لتحديد اليوم والفصل من السنة وساعة الليل عندما يلاحظ السماء ليلا ويتعرّف على مواقع مجاميع النجوم أو الأبراج .

وتسهيلا لذلك كان الظهور الحقيقى لكل مجموعة أو برج يرسم تحت اسمه على جسم الإلهة « نوت » . أما التغييرات فى مواقع النجوم التى كانت تبتدئ بطبيعة

(١) راجع : The Cenotaph of Seti I, at Abydos Vol. I, Text p. 92 - 4

الحال تدريجا من ليلة إلى ليلة، فقد قدرت هنا بمدة عشرة أيام و بذلك تكون الفروق بين كل مدتين متتاليتين كافية لملاحظتها (١).

أما المتن الثانى الهام فقد وجد على نفس السقف وفيه تقرأ التعليمات التى كانت لازمة لعمل مزولة أو ساعة شمسية وكيفية استعمالها .

وأما المتن الأخير الهام فيوجد فى الجانب الغربى من سقف حجرة التابوت أيضا ، وهو متن التمثيلية التى أشرنا إليها آنفا حيث نجد الإله « جب » يخاصم مع الإلهة « نوت » . ومما يؤسف له جد الأسف أن جزءا عظيما من هذا المتن قد وجد مهشما .

مرسوم «نورى» والمؤسسات الخيرية التى أقامها سيتى بالعرابة

نعود الآن بعد أن تحدثنا عن معظم آثار « سيتى الأول » الباقية فى « العرابة المدفونة » وغيرها فنفحص الموارد التى كان قد أعدها لتموين هذه المنشآت العظيمة وغيرها من الأعمال التى قام بها فى طول البلاد وعرضها .

كان من الصفات البارزة فى أخلاق الفرعون « سيتى الأول » تحيزه الظاهر لمدينة العرابة والآلهة الذين كانوا يعبدون فيها، وقد حدثنا « مسبرو » عن مقدار هذا التحيز فاستمع لما يقول : "إنا لا نعلم السبب الذى كان من أجله يميل «سيتى» الى هذه البلدة ميلا خاصا. فمن المحتمل أنه كان يملك فيها فيما مضى بعض الضياع، أو ربما كان يرغب فى أن يظهر إجلاله الخاص لإلهها المحلى ، وكان غرضه من إغداق الحمد له أن يجعل القوم ينسون أنه كان يحمل اسم الإله « ست » المتهم بقتل أخيه « أوزير » صاحب « العرابة » (٢) ومن ثم كان يعرف بإله الشر" .

وقد يوجد سبب آخر لذلك الحب الظاهر للعرابة و«لأوزير» أكبر آلهتها ، فعلى الرغم من أن « سيتى » كان ثانى ملوك أسرته فإنه كما أثبتنا من قبل ، لم يكن

(١) راجع : Frankfort Ibid. I, p. 71

(٢) راجع : Maspero. The Struggle of the Nations pp. 379 - 380

من دم ملكى ، ولكن مع ذلك كان ملكا وآبن ملك ، و إن كان هذا اللقب الأخير لم يطلق عليه إلا بعد أن صار رجلا مكتمل الرجولة .

ومن المعلوم أن كل فرعون كان يتقمص صورة « حور » على الأرض، ولكن لما لم يكن موقف « رعمسيس الأوّل » من عرش الملك وطيدا، ولم يكن من حقه أن يحمل هـذا اللقب المقدّس فإن « سيتى » من جهة أخرى كان يعدّ نفسه « حورا » بحق وحاكم مصر الذى اعتلى مكانته الرفيعة على عرش والده . وربما كان غرض « سيتى الأوّل » الذى كان يحمل فيما مضى لقب الكاهن الأوّل للإله « ست » أن يبرز بجلاء علاقته السامية مع الإله « أوزير » ، فترك إله أسرته و إلهه المحلى حبا فى «أوزير» والد «حور» ، ومن ثم عقد العزم بوصفه ابنا بارّا «لأوزير» على أن يمجد والده المحبوب . ولذلك كان من الطبعى أن يوجه عناية خاصة للعرابة المدفونة التى كانت تعدّ أقدس مكان لعبادته . والواقع أن الإنسان يشعر بروح الإخلاص الذى كان يسود كل نواحى معبد العرابة ، ويلحظ أن الدافع الأوّل لإقامته هو وغيره من المبانى الدقيقة كان الحب الطاهر المقدّس لثالوث « أوزير» .

ويدل مالدينا من نقوش على أن «سيتى الأوّل» قد أصلح معبد «أوزير» القديم فى العرابة وكان قد تهدّم فى الأيام السود التى مرت على الآثار فى عهد «إخناتون» (١) ؛ وكذلك أقام معبده الفاخر المسمى « بيت ملايين السنين من ماعت رع » للإله «أوزير» أوّلا ، وهو الذى كان يشمل محاريب لأهم آلهة البلاد الآخرين كما فصلنا القول فى ذلك . وكذلك أقام « الأوزيريون » أو ضريح «سيتى» كما أسلفنا . وقد جاء ذكر معبد أقامه على لوحة « نورى » يسمى « بيت ملايين السنين من ماعت رع راحة القلب فى العرابة » وهو على ما نعتقد المعبد الكبير الذى تكلمنا عنه ، هذا بالإضافة الى المعبد الصغير الجميل الذى أقامه لوالده « رعمسيس الأوّل » فى العرابة .

---

(١) راجع : Griffith The Abydos Decree of Seti I, at Nuri; J. E. A., Vol. XIII, p. 206 ff.

ولكن إقامة المعابد وحبس الأوقاف عليها كان يتطلب أموالا باهظة حتى تبقى على مر الأيام وكر الدهور، وبخاصة عندما نعلم أن التماثيل الفردية التى كانت فى المعابد أو المقابر كانت على حسب الشعائر الدينية تحبس عليها الأوقاف ليقدّم لها القربان من ريعها الخاص، ولا شك فى أن معبد «أوزير» القديم فى العرابة كان له أوقافه الخاصة، غير أنها قد ضاعت فى عهد الانقلاب الدينى ولابدّ أنها قد أعيدت إليه فى حكم « توت عنخ آمون » أو « حور محب » ، ولكن البناء الجديد الذى أقامه « سيتى الأوّل » كان لا بدّ له من أوقاف خاصة لحفظ بقائه ، ولذلك نرى الفرعون قد أعطى عناية خاصة لهذا الأمر بنفسه؛ وقد وصل إلينا مرسومان عن هذه الأوقاف أوّلها مرسوم « نورى » المؤرّخ بالسنة الرابعة من حكم هذا الفرعون، وقد كان المقصود منه المحافظة على حقوق مؤسسة ملكية تعرف باسم «بيت ملايين السنين للملك من ماعت رع راحة القلب فى العرابة »، وكذلك المحافظة على كل عقار الأفراد الذين لهم علاقة بهذه المؤسسة . ونعلم من مضمون متن هذا المرسوم أن هذه الملكية أو الضيعة على الرغم من أنها تابعة للعرابة فإنها كانت فى مكان ما بالقرب من « نورى » أو على أية حال كانت فى بلاد النوبة .

بلدة نورى : تقع بلدة « نورى » على مسافة خمسة وثلاثين كيلو مترا شمالى الشلال الثالث، وعلى بعد خمسة وعشرين كيلو مترا غربى شلال « كاجبار » . وفى هذه البقعة تلان من الحجر الرملى ينحدران انحدارا عظيما إلى سهل منبسط، ويبعد كل منهما عن الآخر حوالى خمسمائة متر تقريبا . والتل الواقع غربا أكبر التلين ويبلغ ارتفاعه حوالى أربعمائة قدم . ويشاهد على جانبه الشمالى من جهة النهر بقايا قلعة يرجع تاريخها إلى القرون الوسطى . والتل الشرقى يبلغ ارتفاعه قرابة ثلاثمائة قدم . وقد حفرت اللوحة على الواجهة الشمالية الغربية فى نهاية الثلث الأوّل من ارتفاع هذا التل وقد دوّن عليها « سيتى الأوّل » مرسومه (١) العظيم الخاص بمعبد

(١) عثر على جزء من مرسوم يشبه مرسوم « نورى » على قطعة حجر من لوحة وقد قال عنه بأنه إنه وجده فى الشمال من معبد «سيتى الثانى» فى هرموبوليس (راجع : Mitteilung der Deutschen Instit. Fur Agyptische Altertumkunde Kairo Band 8. pp. 160 – 164.

العرابة المدفونة . واللوحة قمتها مستديرة وجوانبها كالمعتاد مستقيمة وتبلغ مساحتها ٢,٨٠ × ١,٥٠ من الأمتار أى نحو خمسة أذرع فى ثلاثة أذرع .

وصف اللوحة : يشاهد الملك « سيتى » فى الجزء الأعلى من اللوحة واقفا من جهة اليسار وهو يقدّم القربان للآلهة «آمون رع »، و «رع حور اختى»، ثم الإله « بتاح »، وهؤلاء هم آلهة «طيبة» و «هليوبوليس» و «منف» على التوالى. وكانوا يقدّسون وقتئذ بوصفهم الآلهة الرئيسية للدولة . ومما هو جدير بالذكر هنا أنه على الرغم من النقوش المدوّنة على اللوحة، وهى على مايظهر وثيقة وضعت من أجل معبد الإله «أوزير»، لم يظهر هذا الإله بين الآلهة الذين مثلوا فى هذا المنظر.

ويلاحظ أن الملك « سيتى » كان يرتدى هنا لباس الرأس الذى يتألف من قرنى كبش عليهما ريشتا نعام وقرص الشمس وصلان، كما كان يرتدى قبعة «نمس» المحلاة بصل ، ويلبس قميصا قصيرا مثبتا فيه ذيل من الخلف ، ومنمقا من الأمام وينتعل خفين . وكان يقدّم بإحدى يديه صورة الإلهة « ماعت » (أى العدالة ويحتمل أن ذلك كان رمزا يدل على أنه كان سيحكم بالعدل ويعمل بالحق لأن «ماعت» كانت الطعام الذى يعيش منه الآلهة والنظام الذى يجب أن يسير عليه كل فرعون) وقد نقش فوق رأسه طغراءان وهما اسمه ولقبه : سيد الأرضين من «ماعت رع»، سيد المظاهر الفاخرة «سيتى مرنبتاح» . ثم يأتى بعد ذلك عبارة (معطى الحياة مثل «رع ») . وكذلك نقش أمامه : "تقديم العدالة لرب العدالة « آمون رع » رب تيجان الأرضين ، وإله السماء" وكتب خلفه : "كل الحماية والحياة حوله مثل « رع » سرمديا" .

ويرى بين الملك و«آمون رع» أربع شجيرات خس مغروسة رسمت رسما مختصرا ، وبينها ثلاث قواعد لموائد قربان، مدّ عليها طبق كبير وضع عليه فطيرتان مستطيلتان أو قطعتان من اللحم يحيط بهما خيارتان وثلاثة رغفان مستديرة ووضع فوقهما موقدان متقدان أو مصباحان أو مبخرتان .

وكتب فوق المـائدة ما يأتى : " يعيش الإله الطيب سيد الأرضين « من ماعت رع » ، خطاب « آمون رع » رب تيجان الأرضين . لقد منحتك الأبدية بوصفك ملك الأرضين والخلود فى حين قيامى بمـا يرغب فيه لبك مثل « رع » الى الأبد السرمدى ، أنت يارب الأرضين ".

ونقش أمام « آمون رع » ما يأتى : " لقد وضعت تحت موطئ قدميك الجنوب والشمال معا " .

أما الآلهة الآخرون فلم يقوموا بدور هام ، وقد كتب أمام الإله الثانى « رع حور اختى » : " الإله العظيم رب السماء " وفى أسفل هذا كتب : " لقد منحتك كل الحياة والقوة ، والصحة مثل «رع» " . وكتب أمام الإله الثالث « بتاح » جميل الوجه المشرف على المكان العظيم (أى المحراب) .

تاريخ المرسوم : [السنة] الرابعة ، الشهر الأول ، من فصل الشتاء ، اليوم الأول وهو بداية السرمدية لاستقبال السعادة ، لمئات آلاف سنين أمن وملايين الأعياد الثلاثينيـة على عرش إله الأفق ، وأبدية حكم «آتون» مع جلالة حور ، الثور القوى المضىء فى طيبة ، ومن يجعل الأرضين تحييان ، والمنسوب للالهتين ، ومجدد الولادة ، والقوى السيف ، قاهر الأقواس التسعة ، الصقر الذهبي والمجددة مظاهره ، ومن رماته عديدون فى كل البلاد ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « من ماعت رع » بن الشمس (٢) «سيتى مرنبتاح» العائش مخلدا فى الزمن السرمدى ، محبوب « آمون » ملك الآلهـة الظاهر على عرش حور الأحياء مثل والده « رع » يوميا " .

التعليق : يدل ما تبقى من التاريخ على أن السنة المقصودة هنا من حكم هذا الفرعون هى الرابعة لا الرابعة عشرة . ويلاحظ كذلك هنا أنه قـد ذكر بين التاريخ وألقاب الفرعون الكاملة بعض جمل تعبر عن رغبـة الفرعون الصالحة ، وأنه سيبتدئ هنا عهدا سرمديا لهـذا الفرعون ينطوى على أعمال الخير العظيمة . والواقع أن هـذا الوضع الكلامى لم يعرف له مثيل فى النقـوش الأخرى التى من هذا الطراز ، وقد يعزى ذلك إلى طيبة هذا الفرعون وكثرة إصلاحاته فى مواطن كثيرة كما سنرى بعد .

الملك والآلهة : " تأمل ! لقد كان جلالته فى مدينة «حكبتاح» (منف) يقوم بأداء ما يرغب فيه والده «آمون» رب تيجان الأرضين فى «الكرنك» ، و «رع حور أختى» ، و « آتوم » رب الأرضين صاحب «أيون» (عين شمس) ؛ و « بتاح العظيم القاطن جنوبى جداره » ، رب الحياة للأرضين و « سخمت »

العظيمة محبوبة « بتاح » ، و « بتاح سكر أوزير » فى شتيت ، و « نفرتم » ، والإله « نب كو » والإله «حرحكن » ؛ و« حور» (٣) ... و« إزيس » والدة الاله وسيدة السماء ، والساحرة العظيمة ؛ و « تحوت» رب كلمات الاله ؛ وكل آلهة وإلهات مصر لأنهم يمنحون ملايين السنين ، وعشرات آلاف السنين من السلام ، وكل البلاد وكل الممالك والاقواس التسعة تحت قدميه . ليته يكون فرحا مع روحه مثل « رع » سرمديا".

ونلاحظ أن هـذه الفقرة تبتدئ بقائمة تعدد لنـا أسماء ثلاثة الآلهـة الرئيسية فى الدولة المصرية وهم « آمون رع » رب « طيبة » و « آتوم » صاحب « عين شمس ، و « بتاح » إله « منف » ، وبعد ذلك يستمر المتن فى ذكر الآلهة المحلية التابعين لهم . وتدل الظواهر على أن ذكر هؤلاء الآلهة ليس له علاقة مباشرة بالمرسوم الذى سيأتى بعد ، وإنمـا قد جاء ذكرهم للدلالة على إرجاع عبادة الآلهة القـــدامى .

الآلهة توافق على شرعية الملك فى اعتلاء العرش : « الإله الطيب ابن « أوزير » ، والمنتقم للإله « ونفر » (أوزير بعـد الموت) ، والبذرة الصالحة لسيد الأرض المقدسة ، وهو الذى قد هيأه والده عنـدما خرج من الفرج ، وهو مقرر حكمه ، وهو لم يزل على يدى « إزيس » والدة الإله ، وقـد منحه عرش « جب » ، وهى الوظيفـة الصالحة لمن فى السماء ، وقد سوّى جلالتـه « رع » ، وكذلك سوّى جماله ، وعرفه بوصفه واحدا ينتخب من مليون ليكون ملك الوجه القبلى والوجه البحرى فى مكانه ، وقد صوّره بطلا (٥) ... ... شريف ... ... وكل إله يفـرح به ، وأهل مصر العليا ومصر السفلى يضعون جباههم سجودا أمامه ، والأشياء التى حوله قد صوّرت من أجله ، وما يحيط به « آتون » تحت إشرافه ، وقد اتحدت الآلهة لحمايته ، ولإرضاء قلب « ونفر » ، وقد قادوه الى القصر الكريم ، والتاسوع يمرح فرحا ، وقلوبهم فى سرور ، ويجدون فى ذلك لذة قائلين : تعـال أنت يا حور (؟) يا بن « ونفر » انك سترث ؛ أنت يا منتقما لوالده أوزير « خنتى أمنتى » ، إنك تمكن على عرشه حتى نهاية حدود الأبدية . وإن قلب رب الجبانة لفرح عندما يراك على السدة مثـل « رع » ؛ لأنك على الأرض لتنظم الأرضين ولتجمل المعابد فى فرح" .

هذه الفقرة تتناول بحذق ومهارة ودهاء الانتقال الضرورى من التحدث عن اصلاح الفرعون وتقـاه وتعبده لآلهته ، إلى خشوعه وقنوته وحبه الخالص للإله «أوزير» وذلك بموافقة كل الآلهة . وقد مثل « سيتى » نفسه هنا كالإله « حور

آبن أوزير» الوارث الشرعي للفرعون، غير أنه لم يكن لوالده ولا للفرعون الذى سبقه على ما يظهر حق تولى عرش مصر، هذا بالاضافة إلى أنه كان يريد أن يقضى على اسمه «سيتى» الذى كان ينسب إلى اسم هذا الإله البغيض «ست» إله الشر. وتدل شــواهد الأحوال على أن هذين الاعتبارين قد دفعاه من وجوه عدة مختلفة للسعى فى اكتساب حظوة الإله «أوزير» إله الشعب، ولبعث عبادته ثانية فى أنحاء البلاد وبخاصة بعد أن كان قدقضى عليها فى عهد الانقلاب الدينى الذى قام به «إخناتون»، وبذلك فقط رأى أنه قد يصبح فى استطاعته أن يبعد عنــه اتهام الكهنة بمحاباته لإلهه المحــلى « ست » الذى كان يعبد فى مقاطعة « ستوريت » مسقط رأسه كما تحدثنا عن ذلك فيما سبق .

تقى الملك وبره بأوزير رب « العرابة » ومؤسسته العظيمة فيها

سيلاحظ فى الجزء التالى من المتن أن الفاصل الذى اتخذ هنا بين هــذه الفقرة والسابقة مصطنع بعض الشىء كما ســيلاحظ كذلك أن أجزاءه ليست منسجمة، ففى البداية يستمر كلام الآلهة مخاطبين الفرعون بضمير المتكلم ولكن بعد بضع جمل تصف لنا مؤسسة الفرعون، نجد أنه يشار للفرعون بضمير الغائب (سطر ٢٠)، وأخيرا يحدثنا الفرعون بضمير المتكلم (سطر ٢٧) وهاك المتن :

" إنك قد ولدت لتجعل « العرابة » محيــة (٧) ثانية ، وتجعل من فيها ينعمون بما قررت ، وإنك تبنى بيته (أى بيت أوزير) مثــل أفق السماء ، وأشعته تسطع فى الوجه ، وصور أرباب « تاور » (الجزء المقــدس فى العرابة) قد صوّرت ، والتماثيل المقــدسة قد وضعت فى مقاعدها وأشكالهم حقيقية كما كانت فى زمن «رع» ، ورصعت قواربهم بالأحجار الثمينة . وإنك تمنحهم كل يوم «ماعت» ومنها يعيشون ؛ وتضع لهم الهدايا المنعشة ، وأعشابا وأزهارا على فطائر القربان ، وانك تجلب لهم ماء جاريا فى المكان الذى يرغب فيه (أى أوزير) لتمون أرباب الأرض المقدسة ؛ أما القصر الذى فيها (أى فى العرابة) فقد حلى كثيرا بالذهب الجميل الحقيقى الجديد من المصانع (أى الذهب الذى لم يستعمل من قبل) ، وعندما يرى (أى البيت) تبتهج القلوب وكل القوم يقدمون الطاعة ، وإن وجهاءه هم الذين يسبغون عليــه بهاءه مثل أفق رع عند إشراقــه . أما الطوار الذى فيه فانه كسهل من الفضة يسطع عندما يلقى الانسان بصره عليه ،

وأبوابه المتناهية فى الضخامة عملت من صنوبر الغابة ، وأجسامها مغشاة بالذهب النضار وملفوفة من الخلف بالشبه ، و ينتعش الانسان عندما يرى صورتها . أما البوابات العظيمة ذات الأبراج فقد أقيمت من حجر «عانو» وقممها من الجرانيت و جمالها يصل الى أعلى عمد السماء ، إذ تصل الى «رع» فى أفقه ؛ والبحيرة التى أمامه (أى أمام المقر) تشبه الأخضر العظيم (البحر الأبيض المتوسط) الذى لا تعرف دائرته ، وعندما يلق الإنسان بصره عليها تظهر لامعة كاللازورد (فى زرقتها) أما وسطها فينبت فيه السوق (نبات البردى) والغاب و يزخر بالسوسن يوميا .

تأمل إن البجعة تنزل لتسبح فى أرجائها ، وتحيط بها الأشجار التى تصل إلى عنان السماء ، وقد غرست كالصنوبر فى موطنه (الأصلى) و ينزل فى بحيرتها قارب «نشمت» العظيم ليحمل موحد أثره (يقصد هنا إما «أوزير» و إما الملك بوصفه بانى هذا المعبد) ، عندما يسبح عليه . تأمل إنه فى بهجة ونواتيه فى فرح ، وكذلك ينادى أتباع «حور» قائلين : امنحه أبدية من الأعياد الثلاثينية لتضاعف سنى حياته على الأرض و ليمكث أمد حكم «آتوم» ، أما قاعات النطرون (للطهور أو التحنيط) فقد طهرت تطهيرا عظيما . وأنها تصب الماء العذب من جديد ، وهى مسورة بأحجار فائقة فى صنعها وأسرارها تصل إلى عنان السماء الأولى (؟) و يكون الإنسان فى داخلها وقلبه راض . أما ماء الغسل الذى يصل إليها بمجار كل يوم دون انقطاع على يد كهنة مرتلين مهرة فأفواههم مختارة تنطق بحديث وجمل تسر القلب ليمدوا العالم السفلى من أجل من يأوى اليه وتاسوعه الذين يتمتعون بنفس الحياة . أما الخزائن ففعمة بالطرائف ، فالفضة والذهب مكدسة فيها على الأرض ، والكتان الملكى والملابس بكميات متنوعة (؟) وكذلك وحدات الزيت والبخور والخمر والشهد يخطئها العد ، و بخور « بنت » فيها يحسب بالأكوام .

وقد عين له كهنة (خدام الآلهة) وكهنة وضباط ... وصوت يعلن الوظائف إلى أرباب كل الجبانة الذين يستيقظون كل صباح ليؤدوا شعيرة كشف وجه الأب (أى أوزير) عندما يرفعون الحجاب عن وجهه ، و يقدّم للأب الفاخر ملايين ومئات الآلاف من كل شىء نقى طيب لا يحصى ، مما يمنحه إياه ابنه نفسه ، والوظائف ... فى (سطر ١٧) هـذا المعبد مفخمين إله الأفق فى أفقـه ، و إنهم يقدمون المديح لمن فى السماء ليقهر العدوّ الذى فى طريقه ويوجه النسيم العليل للإله «خبرى» و يضع سفينته على هذه البحيرة(؟) ونواتى « رع » فى عيد ، وقلوبهم راضية بالإلهة « ماعت » .

والمخازن هناك تحتوى على مواد دهنية ، والأوقاف متكاثرة بالملايين والعبيد فيه من أولاد الأمراء الذين أسرهم فى بلاد « رتنو » (أى من الحملة التى قام بها أول سنة من حكمه) وقد جعل كل فرد يعرف واجباته فيما يخص قواعد الطهارة كلها .

وقد قدّم له مزرعة طيور فى مستنقعاته ، وكان عددها كعدد رمال الشاطىء (سطر ١٩) ، . ويرى الإنسان بيته كأنه مستنقعات « خميس » (المكان الذى ولد فيــه حور) يعج بصياح الدواجن التى تسمن وتربى ، وكل طير من طيور المزرعة ، وتنتج له (أى لأوزير) طيور الشواء فى بيته (أوضيعته) . والحظائر مفعمة بالفحول السمينة ، والبقرات والثيران ، والماعز والغزلان والعجول تعدّ فيها بمئات الآلاف ، ولا يمكن حصرها وعدّها لكثرتها ، وهى تجبى للقربان فى تواريخها على حسب قاعدة الأشياء المقدّسة ... أوامر صانعها . وقد قدّم (أى الملك) « ماعت » لروحه حتى يقرب له (أى الملك) ما يحيط به « آتون » هذا فضلا عن عبيد معبده (أى معبد أوزير) .

وقد كثر له كل أنواع الحيوانات التى تسـير على وجه الأرض ، فالفحول تنزو ، والقطعان تزداد عددها (؟) والأعشاب تورق أضعافا مضاعفة ، وسيقان الأشجار تورق فى مواقيتها المحددة ، وتتضاعف ملايين المرّات ، فعددها يكثر من جديد بما وهبته حديثا ، والرعاة يتعهدون قطعانهم التى تحت يدهم من ابن لابن حتى الأبد السرمدى ، و يقدّم لها الكلأ فى حظائر الأوز (؟) وفى المستنقعات ، وكذلك الورق والأزهار ، وهذه الأرض قد تركت لها بمثابة حقل ترتع فيه ، وليس لأحد قط أن يسيطر عليها . والفحول والثيران قد انتشرت فى الأدغال وعلى الشواطئ ، فالتاج القديم يملؤها ، والقطعان قد عمرت بطونها بالصغار لتلدها ، والفحول التى تتبع أمهاتها هى من نتاجها . و بنيت له (أى لأوزير) أساطيل من السفن لتكثير عقاقير الأعشاب فى معبده ، وقد غطى عددها « الأخضر العظيم » (البحر) ، ومصبات النهر قد ازدحمت بالقوارب والسفن المجهزة بنواتيها ، وكل سفينة منها طولها مائة ذراع ، وحمولتها من أعشاب العقاقير الواردة من أرض الإله (بلاد العرب) فترسو عند الميناء العظيمة لتمدّ تخوم ججرا، « تاور » (مقاطعة العرابة المدفونة) .

وأعدّ له (لأوزير) الفرعون قوائم تحتوى مئات الآلاف من الأرض المنخفضة ، والجزر والأرض العالية ، وكل الأرض الصالحة لإنتاج المحاصيل لتصبح قربانا لروحه . و بنى له سفن كرو لحمل كل محصول ، وأصبحت مخازن الغلال طافحة بالقمح وأكوامها وصلت إلى عنان السماء (فى ارتفاعها) .

وقد صدر مرسوم بسنّ قانون لأجل عبيده فى كل مراكز الوجه القبلى والوجه البحرى ، وقد ميز كل أهله وحمـوا مثل الأوز (المقدّس للاله آمون) على الشواطئ التى يرغبون فيها ، وذلك لأن كل أعمالهم موقوفة (لخـدمة) روحه ، فى المقاطعة العظيمة التى أحبها ، ولذلك لن يتلقـوا الأوامر من آخرين ، ولن يتدخل فى أمرهم من ابن لابن كما هو مقرّر فى أعمالهم حتى نهايات حدود الأبدية .

ولقد طهرت بيتى ملايين المرات وقد ميزت أولئـك الذين يسكنونه ثانية . ووضعت العبيـد الذين حصلت عليهم فى بيتى ، ولن أنفصل عنهم . وقد بدأت هناك منذ طفولتى حتى تولى الحكم (؟) ... ... ومنحتــه كل أراضى الوجه القبلى طعاما لروحه (كا) ، ولن أمل ولن أنسى واحدا من منشـوراتى سواء أكان ذلك على الماء أم على اليابسة ، وهذا على وجه التأكيد إلى الأبد السرمدى .

المرسوم : وعلى الرغم من كثرة الفقرات المتآكلة والمهشمة فى المرسوم التالى فإن تكرار العبارات فى المتن قد سهل علينا نقل هذه النقوش وتكملة ما تهشم منها فى جهة مما بقى فى جهه أخرى ، وعلى ذلك لم يغب عنا من المتن كله إلا بعض جمل أو الفاظ يمكن رؤية ما بقى منها أحيانا وتقدير أصلها هذا إلى أنه لم يكن فى استطاعتنا حتى الآن فهم معانى بعض الألقاب والاصطلاحات الفنية المستعملة فى هذا المتن على وجه التأكيد . وهاك نص المرسوم :

نص المرسوم : مرسوم موجه من جلالة البلاط الملكى (له الحياة والفلاح والصحة) فى هذا اليوم إلى الوزير وكبار الموظفين ورجال البلاط ، ومجلس القضاة ونائب الملك فى « كوش » ورؤساء الرماة ، والمشرفين على الذهب ، والعمد ، ومراقبى المعسكرات فى الوجه القبلى والوجه البحرى والسياس ، ورؤساء الإصطبل ، وحاملى المروحة ، وكل (مدير بيت) لأملاك الفرعون ، وكل فرد بعث فى مأمورية لبلاد « كوش » لكل هؤلاء يقول المرسوم :

أمر جلالته بسنّ قانون « لبيت ملايين السنين ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « من ماعت رع » المسمى « القلب فى راحة فى العرابة » على الماء واليابسة ، وفى كل أنحاء مقاطعات الوجه القبلى والوجه البحرى لمنع أى تدخل فى أمر أى شخص تابع للبيت المسمى « القلب فى راحة فى العرابة » ؛ فى كل البلاد سواء أكان رجلا أم امرأة ، ولتحريم الاستيلاء على أى أناس تابعين لهذه الضيعة بالقبض من صقع إلى صقع آخر للسخرة وإكراههم على حرث الأرض أو إجبارهم على الحصد عن طريق أى نائب فرعون ، أو أى رئيس رماة ، أو أى عمدة أو أى مدير بيت أو أى شخص أرسل فى مأمورية لبلاد « كوش » . وكذلك للتحريم على قواربهم الوقوف على الماء بأى (دورية تفتيش) .

ولمنع التدخل فى أمر أى أرض يملكها « بيت من ماعت رع » المسمى « القلب فى راحة فى العرابة » فى الأرياف أجزاء ... ... فى سياحتهم ؟ (أو فى عبورهم)

على يد أى نائب ملك أو رئيس رماة أو مدير بيت تابع لبيت تفتيش أملاك الفرعون أو أى فرد فى مأمورية بلاد« كوش » .

ولمنع البقرات والحمير والكلاب والماعز أو أى حيوان واحد ملك (بيت من ماعات الخ) من أن تؤخذ سرقة أو بطريق الامتياز على يد أى نائب ملك ، أو أى رئيس رماة أو أى عمدة مدينة أو أى رئيس جياد أو أى رئيس اصطبل أو أى حامل مروحة أو أى ضابط جيش أو أى فرد أرسل فى مأمورية لبلاد « كوش » .

ولتحريم التدخل فى شأن أى صائد طيور تابع لبيت (الاسم الكامل للعبد) (٣٧) فى مستنقعات صيده وفى مياه صيد سمكه وعلى اليابسة بقصد مضايقته(؟)، ولمنع الاقتراب من أى صائد سمك تابع لمقر الملك الخ (٣٨) على برك صيده للسمك التى على أى جزء من أرض « كوش » بوساطة أى نائب ملك ، أو أى رئيس رماة ، أو أى عمدة مدينة أو أى مدير بيت تابع لأى جزء من أرض« كوش» .

ولتحريم التدخل فى أمر أى خدم تابعين لبيت (الاسم الكامل) الذين فى أرض« كوش» سواء أكانوا رجالا أم نساء أم حراس أرض أم مديرى بيوت أم نحالين أم زراعا أم بستانيين أم عاصرى خمر (؟) أم أصحاب قوارب أم حزامين أم تجارا أجانب أم عمال غسيل الذهب أم بنائى سفن أم أى فرد يقوم بعمله فى بيت « من ماعت رع المسمى القلب فى راحة فى العرابة » ، بل يجب أن يميزوا ويكونوا محميين ، ويقوم كل واحد منهم بمباشرة حرفته التى تؤدّى فى « بيت من ماعت رع» الخ ، دون أن يزعجهم أى نائب ملك فى« كوش» أو أى رئيس رماة أو أى موظفين كبار أو أى رئيس خيل أو أى رئيس اصطبل أو أى حامل مروحة أو أى ضابط جيش أو أى فرد أرسل فى مأمورية لبلاد « كوش» .

أما عن أى نائب ملك فى كوش، أوأى رئيس رماة، أوعمدة مدينة، أو أى مدير بيت ، أو أى فرد يستولى على شخص تابع « لبيت من ماعت » الخ ، بالقبض

عليه من صقع إلى صقع آخر سخرة لتشغيله فى الحرث أو الحصاد ، وكذلك كل من يستولى على أية امرأة أو أى شخص تابع « لبيت من ماعت رع » الخ ، وكذلك عبيدهم بالقبض عليهم للقيـام بأى عمل مهما كان ، وكذلك أى رئيس جيـاد أو رئيس اصطبـل أو أى فرد تابع لضياع الفـرعون من صقع إلى صقـع آخر سخرة لتشغيله فى الحرث أو الحصاد وكذلك للقيام بأى عمل كان .

فإنه يعاقب بجلده ثمانين جلدة وخمسة جروح دامية ، هذا إلى إرغامه على القيام بالعمل الذى كان يقوم به التابع للقرعن كل يوم سيمضيه معه و يؤدّى ذلك لبيت « من ماعت رع » الخ .

وأى نائب فرعون أو رئيس رماة أو عمـدة مدينة أو مدير بيت أو أى موظف كبير أو أى فرد أرسل فى مأمورية لبـلاد « كوش » ، يتعمد وقف أى قارب تابع لبيت «من ماعت رع» الخ ، أو أى قارب لمدير بيت تابع لضياعه و يجعله يرسو إلى البر ولو يوما واحدا قائلا : "إنى سأستولى عليه كما فرض عليه لأجل عمل خاص بالفرعون له الحياة والفـلاح والصحة" . فإنه سيعاقب بالجـلد مائة جلدة ويجرح خمسة جروح دامية ، هذا فضلا عن خصم ما يوازى عمل السفينة منه عن كل يوم تكون قد رسته ، و يؤدّى ذلك لبيت « من ماعت رع » الخ .

وأى موظف أو أى مشرف على أرض تابعة لهـذه الضيعة ، أو أى حارس لثيران حرث أو أى مدير بيت يتدخل فى حدود الأراضى التابعة لبيت «من ماعت رع» ، الخ بأن يزحزح حدودها سيعاقب بقطع أذنيـه ، و يكلف أن يكون زارعا فى المقر الخ .

وأى فرد فى البلاد قاطبة يهاجم أى صائد تابع لبيت «من ماعت رع» الخ ، فى مستنقعات صيده أو فى بركة صيده سيعاقب بجـلده مائتى جلدة و جرحه خمسة جروح دامية .

وأى فرد يوجد سارقا متـاعا خاصا ببيت « من ماعت رع » الخ، سيعاقب بجلده مائة جلدة وينتزع منه المتاع الخاص « ببيت من ماعت رع الخ »، بوصفه متاعا مسروقا (؟) بنسبة مائة لواحد .

وكذلك قرّر جلالته سنّ قانون خاص بالموجود من البقر والماعز والحمير والكلاب والأوز والموجود من ... ... ملك بيت « من ماعت رع » الخ على المـاء (٥٧) وعلى اليابسة ليمنع التدخل فى أمر أى قطيع منها ، ويمنع التـدخل فى شئون رعاتها ، ويمنع الاستيلاء على ماشية أو حمـير أو كلاب أو ماعز أو أى شىء من قطيع منهـا بالقهر أو الاستباحة ، وكذلك يحـرّم على كل مشرف على ماشية أو مشرف على كلاب أو أى راع تابع لبيت « من ماعت رع » الخ، الاستيلاء على ثور أو حمار أو كلب أو ماعز من أملاك بيت «من ماعت رع» الخ، أو إعطائها آخر خلسة أو جعلها تقدّم لإله آخر ، وألا تقدّم « لأوزير » سيدهم فى بيته الكريم الذى أقامه جلالته .

ويحرّم مهاجمـة أى راع تابع لبيت « من ماعت رع » الخ، فى كلئه الخاص بالمـاشية بوساطة أى موظف كبير أو عمدة أى مدينة، أو أى مشرف على المـاشية أو أى وكيل أو أى مشرف على كلاب الصيد أو أى شخص مهما كان .

ويحرّم الاستيلاء على نسائهم أو خدمهم الذين يقبض عليهم فى أى عمل للفرعون (له الحياة والفلاح والصحة) وكل شخص سيتعدّى حدود هـذا القرار ويستولى على « راع » تابع لبيت « من ماعت رع » الخ ، بالقبض عليه أو بنقله من صقع إلى صقع آخر للقيام بأى عمـل يجعل الراعى يقول : " إننى منـذ أن أخذت قد حاقت خسـارة بقطيعى فى رأس من الحيوان أو اثنين أو ثلاثة أو أربعـة ، فإنه سيوقع عليه العقاب بجلده مائتى جلدة وانتزاع رءوس حيوان بيت «من ماعت رع» منه بوصفها مسروقة وذلك بنسبة مائة لواحد .

وأى شخص يضبط مستوليا على رأس من حيوان« بيت من ماعت رع» الخ، سيوقع عليه العقاب بجدع أنفه وأذنيه وجعله زارعا فى بيت «من ماعت رع» الخ، عقابا له على جريمته، وكذلك يستخدم زوجه وأولاده عبيدا لمدير بيت الضيعة .

وأى حارس ماشية وأى حارس كلاب صيد أو أى صـياد تابع لبيت « من ماعت رع » الخ ، يعطى آخر رأس أى حيـوان لبيت « من ماعت رع » الخ ، اختلاسا ؛ وكل من يسعى لإعطائها جهة أخرى ولا تقـدّم « لأوزير » سيده فى بيت «من ماعت رع» الخ ، فإنه سيعاقب بطرحه أرضا ووضعه على خازوق، والاستيلاء على زوجه وأولاده وكل متاعه لبيت «من ماعت رع» الخ، واسترجاع رأس الحيوان من الذى قد أعطيها بوصفها مسروقة من بيت « من ماعت رع » الخ ، بنسبة مائة لواحد .

وأى فرد فى الأرض قاطبة يهاجم راعيا تابعا لبيت « من ماعت رع » الخ ، فى مرعى (٨٢) ماشيته سيعاقب بجلده مائة جلدة وجرحه خمسة جروح دامية .

وفضلا على ذلك قرر جلالته سنّ قوانين لأسطول جزية بلاد« كوش » التابع لبيت « من ماعت رع» الخ ؛ لمنع أى مشرف حصن سيكون على حصن « سيتى مرنبتاح » التى فى « سخمت » (مكان غير معروف موقعه) أن يستولى على ذهب أو جلود أو أى نوع من جزية حصن(؟) أو أى بضاعة ... ... بوصفها امتيازا إلى أبد الآبدين .

وكذلك يحرّم الاستيلاء على أى بحار تابع لسفينة خاصة بجزية بيت «من ماعت رع » الخ ، وتكليفه بعمل فى طريق آخر .

وكذلك يحرّم على أى نائب ملك أو أى رئيس رماة أو أى رئيس نوبيين تابع لأرض « كوش » ، أن يتدخل فى شأن قارب تابع لبيت «من ماعت رع» الخ ، وكذلك نواتيهم (؟) وأى مشرف على قلعة أو أى كاتب فيها أو أى مفتش تابع لهـا يصعد على ظهر قارب تابع لبيت « من ماعت رع » ويستولى على ذهب

أو عاج أو أبانوس (؟) أو جلود فهود أو جـلود شواشق (نوع من الحيوان) أو ذيول زرافات أو جلود زرافات ... ... أعشاب أو أى سلعة من بلاد « كوش » جلبت جزية لبيت « من ماعت رع » الخ ، سـيعاقب بالجلد مائة جلدة وتنتزع منه الأشـياء المغتصبة عقـابا له وترد الى بيت « من ماعت رع » الخ ، بنسـبة ثمانين لواحد .

وكل نائب ملك وكل مشرف على كلاب وكل مفتش أو كاتب تابع الأرض « كوش » يستبيح سفينة تابعة لبيت «من ماعت رع» الخ .و (٨٥) ويأخذ سلعا منها، أو يستولى على ضابط أية سفينة تابعة لبيت «من ماعت رع» ويرسله فى عمل سيعاقب وتنتزع منه السلع تعويضا لبيت « من ماعت رع»، وكل يوم من أيام الضابط المستولى عليه يؤخذ بدله منه بنسبة ... أيام من كل يوم سيصرفه عنده .

وكذلك قرر جلالته سنّ قانون لأجل ... الكهنة والكهنة المرتلين ، وعمـال المعبد (٩٩)... وكل الموظفين ... بأنواعهم . يحرّم على أى فرد فى البلاد التدخل فى شئونهم أو شئون أهلهـم أو فى أمر أى متاع من أمتعتهم ، أو أخذ أى واحد منهم ، أو سبى نسائهم وعبيدهم بالقبض من صقع إلى صقع آخر للعمل سخرة فى حرث الأرض أو فى الحصـاد بوساطة أى حاكم أو أى عمـدة أو أى شخص فى الأرض قاطبة .

وأى شخص فى البـلاد قاطبة سيتدخل فى شئونهم أو فى شئون أى فـرد من أهلهم أو فى أى شيء من متاعهم سيعاقب بالجلد مائة جلدة وبخمسة جروح دامية .

وإذا نتجت خسارة خاصة ببيت « من ماعت رع » الخ، فان الخسارة يجب أن تعوّض ؛ وإذا شكا فرد تابع لبيت « من ماعت رع » الخ ، لأى مجلس قضائى فى أى مدينـة قائلا : ”إن مفتشا أو سائس خيل أو رئيس اصطبلات ، أو ضابطا ، قد تدخل فى شئونى وأخذ سلعى فعليهم أن ينتزعوا الأشياء الناقصة منه، وأن يسترجعوا السلع من الرجل الذى تدخل فى شئونه“ .

ولقد تجنب جلالته طرح من ضايقهم أرضا ووضعهم على خازوق ، رغبة منه فى أن يترك لمجلس أى مدينة يذهبون إليها أن يحكم عليهم ، و إذا أتى رجل (أى واحد) من التابعين لبيت «من ماعت رع » ، آخر فى أى بقعة قائلا : ” إن فلانا ... ... قد تدخل فى شئونى ، واغتصب ثورى أو أنه أخذ الثور أو أخذ ماعزى أو أى شىء سرق من الناس ، أو أن واحدا كالمفتش قد قبض على رجلى ليقوم له ببعض العمل ، ولا يطير لكلمته لإحضار خصمه بسرعة لمحاكمته ، فإن « أوزير خنتى أمنتى » (أول أهل الغرب) صاحب هذا الشخص ، ومالك السلع سيتعقبه وزوجه وأولاده ليمحو اسمه و يقضى على روحه ويحرّم على جسمه البقاء فى الجبانة .

وأى عضو (؟) فى أى محكمة (؟) فى أى مدينة يذهب إليه فرد تابع لبيت « من ماعت رع » الخ ، ليشكو إليه ولم يلتفت إليه ولم يسرع عند سماع صوته بالفصل فى قضيته ، سيعاقب بالجلد مائة جلدة و يحرم وظيفته و يسخر زارعا فى بيت « من ماعت رع » الخ .

خاتمة : إن جلالته قد قام بعمل هذه برا بوالده « أوزير» « خنتى أمنتى » رب « العرابة » رغبة منه فى أن يميزه بها لأجل الأعمال المجيدة التى عملتها (؟) فى (١٢١) ... ... له لأن العرابة قد قدّر لها أن تقوم باستعطافه ولإرضاء روحه (كا) فى أثناء كل يوم ولتجعله ... ... (١٢٣) ... ... فى الأرضين ... ... هم الذين فى محاريبهم (١٢٤) حتى يستريحوا فى أماكنهم (١٢٥) مبتهجين بكل ما فعل ، حتى يهبوه بقاء « رع » وحكم الأرضين باقيا ضعفين مخلدا وسرمديا .

تعليق : كان الغرض من هذا المرسوم المحافظة على حقوق مؤسسة ملكية عظيمة حبسها الفرعون «سيتى الأول» على الإله «أوزير» ، غير أن طبيعة هذه المؤسسة وما جاء فيها من إبهام ، أو بعبارة أخرى عدم قدرتنا على فهم كنهها قد عاقنا عن إعطاء حكم واضح على أصلها . فنجد أولا أن اسمها وموقعها ليسا واضحين تمام الوضوح فقد كتب الاسم فى المرسوم نفسه فى عدّة مواضع كاملا وفى مواضع أخرى كتب باختصار ، هذا فضلا عن أنه حدث فى كتابة الاسم بعض التغيير ولذلك يمكن

[redacted]

ترجمته على وجهين فقد كتب : بيت ملايين السنين للملك « من ماعت رع » راحة القلب فى العرابة ، وكذلك كتب : بيت ملايين السنين قلب الملك «من ماعت رع» فى راحة العــرابة . يضاف إلى ذلك أن الاسم قد كتب مختصرا هــكذا : بيت « من ماعت رع » راحة القلب فى العــرابة ، أو البيت المســمى " قلب من ماعت رع فى راحة فى العــرابة " ولدينا مرسوم مشابه لهذا المرسوم أصدره الفرعون « رعمسيس الثالث » فى « الفنتين » خاص بمعبد الإله «خنوم»(١) ؛ وتدل الإشارات المستمرة للصيادين والرعاة فى متن «نورى» هذا إلى أن هذه الضيعة التى تحدّث عنها كان معظمها مكوّنا من مستنقعات ومراع وكانت منتجاتها ترسل إلى «العرابة» ، ومن ثم كانت الحاجة ماسة لبناء أسطول من السفن لحملها إلى هناك . هذا فضلا عما تكشفه لنــا ما كانت عليه بلاد النوبة من رخاء وخصب وأرزاق كثيرة لايكاد يصدّقها العقل إذا ما قرناها بالحالة الراهنة ، وعلى الرغم من أن هذه القوانين كان قد سنها « سيتى » لمعاقبة كل من يتعــدّى على أملاك الإله «أوزير» فانهــا فى الوقت نفسه تضع أمامنا مثــالا حيا عن نوع القوانين والعقوبات التى كانت تجرى عليها البلاد فى عهد « سيتى الأوّل » . وإذا نظرنا إليها بعين فاحصة وجدنا أنها هى نفس القوانين التى كان قد سنها «حور محب» عندما قام بالإصلاح الشامل الذى كان يبغى من ورائه استتباب الأمن فى البــلاد ، وسنرى فيما بعد أن «سيتى» كان يطبقها أو يسنها فى أحوال أخرى ويلاحظ أن «سيتى» بعد أن هدّد بالعقاب الدنيوى لجئ فى النهاية إلى العقاب الأخروى وهو غضب « أوزير» وسخطه على كل مذنب . أما ذكر الذهب فى هــذا المنشور فلم يرد إلا ضمن مواد الجزية من بلاد النوبة ومن ثم يظهر أن «سيتى الأوّل» قد رصد معظم جزية بلاد « كوش» من الذهب لمعبد « العرابة » غير أنه لم يرتكن على هذا المصدر لإمداد المعبد وغيره من الأعمال التى كان يقوم بها بالذهب ، بل قرّر أن يقوم بمشروع أساسه استغلال مناجم الذهب الواقعة فى الصحراء الشرقية .

(١) راجع : J. E. A., Vol. XIII, p. 207 ff.

الذهب واستخراجه من أرض الوادى

ولم يبتدع « سيتى الأوّل » جديدا عند ما وطد العزم على استغلال مناجم الذهب، بل كان فى الواقع يترسم فى هذا الشأن خطا أسلافه الذين بحثوا عن الذهب منذ أقدم العهود. فقد كان الذهب منذ عصر ما قبل الأسرات يستعمل فى زخرفة الحلى وأدوات الزينة فى مصر. فنجد فى المتحف المصرى خنجرا من الظران الجميل الصنع مقبضه من الذهب الخالص، كما توجد فيه كذلك سكين من الظران يرجع تاريخه إلى باكورة العهد العتيق فى مصر، مقبضه مزين بأشكال حيوان مموّهة بالذهب. وقد كشف الأستاذ « ريزنر » عن أشياء مصنوعة من الذهب يرجع تاريخها لعصر الأسرة الأولى فى بلدة «نجع الدير»(١). يضاف إلى ذلك أن آثار الملكة « حتب حرس » والدة الملك « خوفو » تضع أمامنا صحيفة بليغة عن مهارة صياغ الذهب فى عهد الأسرة الرابعة، كما تحدثنا عن وفرة الذهب ومقدار الكمية التى كانت فى متناول الأسرة المالكة. ومنذ عهد بناة الأهرام نجد أن الذهب كان يستعمل بنظام فى مصر، ولا أدل على ذلك من مجوهرات الدولة الوسطى التى تمتاز بفخامة صنعها ودقة إخراجها. ولا نعلم على وجه التأكيد من أى مكان جلب المصريون الذهب فى العهود الأولى، فيقول الأستاذ « بترى » : إن الذهب الأسيوى كان بلا شك يستعمل فى مصر فى عهد الأسرة الأولى، وذلك لأنه معلم بما خلط فيه من الفضة التى كانت فيه بنحو السدس (راجع الجزء الثانى من تاريخ(٢) مصر ص ١٨٩ — ٢٠٠). ويظنّ كذلك أن بعض الذهب قد وصل إلى مصر عن طريق «ترانسلفانيا» منذ عهد الأسرة الثانية. وعلى أية حال فان مستر « لوكاس » قد كذب ما ذكره « بترى » فى كلتا الحالتين (راجع Lucas, Ancient Egyptian Materials & Industry p. 183.).

---

(١) راجع : Reisner Naga-ad Dier. I, p. 30-1, 143-4. fig. 54 pl. 5-9.

(٢) راجع : Petrie. The Arts & Crafts In Anc. Egypt. p. 83

إذ الواقع أن الإقليم الذى فيـه الذهب فى مصر يقع بين وادى النيـل والبحر الأحمر وبخاصة فى هذا الجزء من الصحراء الواقع على طريق « قنا » و « القصير » وحدود السودان . وقد وجدت بعض مناجم قديمة مشغولة فيه فى شمـالى « قنا » وكذلك وجدت مناجم ذهب خارج تخوم مصر وفى السودان حتى «دنقلة» جنوبا . ولم يعثر على مناجم للذهب فى شبه جزيرة سينا وإن كان لدينا بعض الوثائق القديمة التى ربما تشير إلى أن الذهب كان يأتى من هذه الجهة (راجع Lucas Ibid. p. 182.) ولدينا من عهد الأسرة الثانية عشرة وثائق مدوّنة تحدّثنا عن جلب الذهب إلى مصر من الجهات الجنوبية . فعلى حسب رأى «لوكاس» لم تصلنا وثائق حتى الآن عن جلب الذهب من الشمال إلى مصر قبل الأسرة التاسعة عشرة (راجع Luca ibid P. 185) . ولكن تاريخ «تحتمس الثالث» يحدّثنا عن جلب الذهب إلى مصر بمثابة غنيمة حرب وهدايا أو جزية ، وقد كان يرد إلى مصر فى « صور » تحف مصنوعة أو فى شكل حلقات (راجع الجزء الرابع من مصر القديمة ص ٣٣١) من البلاد المقهورة فى آسيا؛ ولا شك إذن فى أن الجزية التى كانت تجبيها مصر من امبراطوريتها فى آسيا من هذا المعدن بالإضافة إلى محصول المناجم المصرية والإتاوة التى كانت مفروضة على بلاد النوبة تبرر التسمية الحرفية للأسرة الثامنة عشرة : « العصر الذهبى المصرى » فقد كانت ثروتها من هذا المعدن الثمين مضرب الأمثال عند الممـالك المجاورة لها ، ولا أدل على ذلك من خطاب ملك بابل الذى أرسله للفرعون « أمنحتب الثالث » يلح فيه على هذا الفرعون أن يرسل ذهبا وصفه بأنه عادى فى مصر مثـل التراب (راجع الجزء الخامس ص ٣٠) . ويعد استعمال الذهب بسخاء فى مقبرة «توت عنخ آمون» — الملك الشاب الذى لم يكن بعد من عظماء ملوك مصر فى تلك الفترة — برهانا على مقدار ثروة مصر من النضار فى هذا العهد . على أن الذهب لم يكن وقتئذ محبوسا استعماله على الأسرة المـالكة وحدها ، بل نجد أن كل موظف حكومى كبير المكانة على وجه

(١) راجع : Petrie Descriptive Sociology Ancient Egypt. p. 57

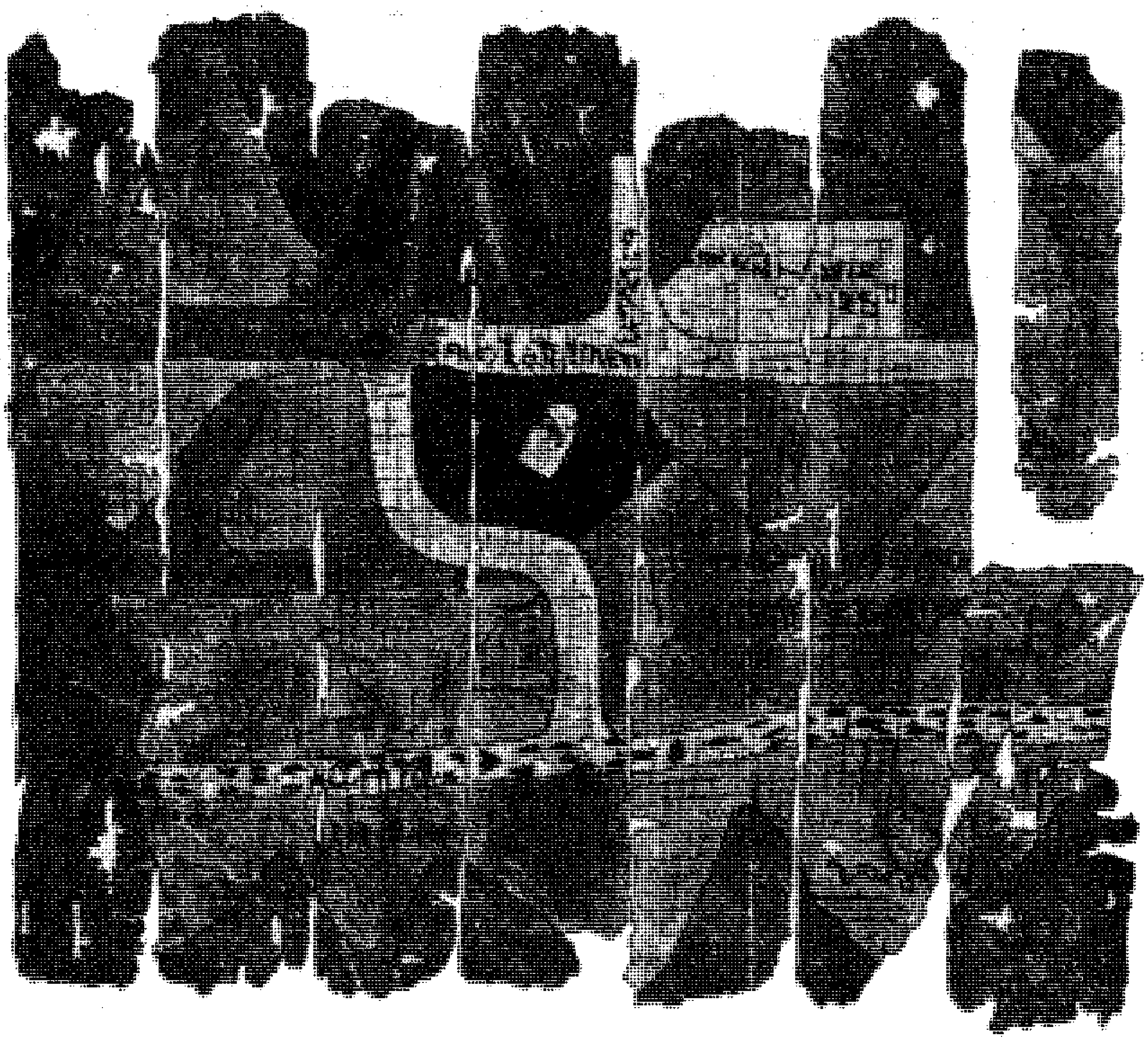
التقريب ، كان يجزل له العطاء من الحلى الذهبي الضخم علامة على رضاء الفرعون عليه وبخاصة فى العهد الأخير من الأسرة الثامنة عشرة وكذلك فى عهد الأسرة التاسعة عشرة ، وعلى أية حال فإن الكثير من هــذه الذخائر الذهبية قد وزع ولم يعد يجلب منه من الخارج إلا النزر اليسير، ومن أجل ذلك وجد ملوك الأسرة التاسعة عشرة أنهم فى حاجة إلى استغلال مناجم الذهب استغلالا واسع النطاق ليحصلوا على ثروة يمكنهم بهـا تنفيذ برامج إعادة تنظيم الامبراطورية فى الخارج والقيام كذلك بحملة واسعة النطاق لإقامة العمائر وبخاصة المعابد والمؤسسات الدينية وإصلاح ما أفسده « إخناتون » وشيعته فى داخل البلاد ، وفضلا عما قام به « سيتى الأول » من نشاط فى منطقة « وادى عباد » فإنه كان يقوم بأعمال لاستخراج الذهب من أماكن أخرى بعيدة عن هذا المكان فى الجنوب وبخاصة فى « اكيتا » . وليس لدينا وثائق مدونة تحدثنا بأن « سيتى الأول » نفسه قد قام بهذا العمل ، ولكنا نعـلم من لوحة « كوبان » العظيمة أن ابنه «رعمسيس الثانى» يقول إنه قد سمع عن وفرة الذهب فى «اكيتا» (akita) ، غير أن فقدان المـاء فى الطريق المؤدية إلى هذه البقعة قد سبب موت كثير من الرجال والعير الذين كانوا يستعملون فى المناجم مما أدى إلى وقف العمل هناك جملة . وعندما أمر « رعمسيس » بحفر بئر هناك أجابه نائب الملك فى « كوش » هناك قائلا : "إن كل ملك من قبل قد قام بحفر بئر هنا غير أنه لم يتفجر منها ماء"، وقد قام بمثل هذا العمل الملك « من ماعت رع » (سيتى الأول) فأمر بحفر بئر عمقها نحو عشرين ومائة ذراع فى عهده . ولكنها هجرت على الطريق لأنه لم يخرج منها ماء (راجع Br. A. R., III, § 289.) ومن ثم نرى أن «سيتى الأول» قد حاول عبثا استغلال مناجم « أكيتا » وسنتكلم عن لوحة « كوبان » فى مكانها .

المصور الجغرافى لمناجم الذهب فى عهد « سيتى »

وبهذه المناسبة يجب علينا أن نتحدث عن بردية اشتراها «درافوتى» من «طيبة» وهى الآن محفوظة ضمن نفـائس متحف « تورين » وقد صـوّر عليها على حسب

[redacted]

ما وصلت إليه معلوماتنا أقدم مصوّر جغرافى فى العالم . وهذا المصوّر قد مثل عليه الأصقاع التى يوجد فيها الذهب فى وادى النيل، فنرى فيها الجبال والطرق والعمل والمبانى المختلفة . كما نشاهد لوحة نقش عليها اسم « سيتى الأوّل » ، وهى تقع بجوار بئر فى قطعة أرض مزروعة ، ومن هذه الإشارة عرفنا أن هذه البردية قد ترجع إلى عهد « سيتى الأوّل » . وقد قامت محاولات عدة للتعرف على البقعة التى تمثل هذا المصوّر على وجه التأكيد ولكن الأمر لا يزال تكتنفه بعض الشكوك ويظنّ « توماس » أن المناجم القديمة المسماة « داراهيب darahib » الواقعة فى « وادى علاقى » هى المكان الذى يمثل هذا المصوّر(١) . وقد كشف « لنان



(٥) مصوّر لمناجم الذهب أقدم مصور جغرافى فى العالم

(١) راجع : E. S., Thomas. The Ancient Mine Plan of Turin Papyrus Cairo Scientific Journal Vol. VIII, (1913) pp. 158 – 160.

دى بلفور » عن هذه المناجم ثانية وعمل لها مصوّرا و بمضاهاة مصوّر « تورين » القديم بمصوّر « لينان » فى عتبايه وجد « توماس » أوجه الشبه الآتية وهى :

(١) أن المناجم المشغولة كانت فى جنوب الوادى .

(٢) أن الوادى يحتـوى كلأً وفيرا ، وفى المصوّر القـديم نجد أن الجـزء الأوسط المتزرع الذى رسمت فيه اللوحة يشـير بصفة تلفت النظر إلى الرواسب الخصبة الواقعة شمالى الوادى .

(٣) لاحظ « لينان » بعض الدلائل على وجود بئر قديمة بالقرب من جامع قرية المناجم ، وكذلك لاحظ وجود قـبر أو معبد محفور فى الصخر فى الشمال من المنجم الرئيسى، وهذه الظواهر نجدها كذلك ممثلة فى المصوّر .

(٤) يظهر أن موضع الوديان أو الطرق الجبلية متشابهة فى المصوّر القـديم وفى مصوّر «لينان» . ويلاحظ فى هذا المصوّر أن البحر يقع فيه على اليسار، ولولا وجود هذا الاتجاه لأصبح فى وسع الإنسان أن يقول : إن منجم « براميا » الواقع شرقى « إدفو » هو الذى يمثـل مكان المعبد أو البئر والمنجم القديم . ولم يعثر حتى الآن على اللوحة التى نحتها الملك «سيتى» بالقرب من البئر الموجودة فى « وادى مياه » أو « وادى عباد » وليس ببعيد أن تكون واحدة قد حفرت هنـاك وأنها لا تزال مطمورة تحت الرمال وتنتظر الكشف عنها، لأن هذا المكان لم تعمل فيه حفريات علمية حتى الآن .

أما البردية التى رسم عليها هذا المصوّر (انظر الصورة رقم ٥) فيبلغ عرضها نحو ثلاثة وثلاثين وخمسمائة مليمتر، وارتفاعها نحو سـبعة وخمسين وأربعمائة مليمتر . ويظهر فى المصوّر ترتيب خاص تعرف منه الجبال والطرق و بعض تفاصيل أخرى و إيضاحات كتبت بالخط الهيراطيقى . فتعرف فيه ست طرق وسلسلة من التلال رسمت بقمم مدببـة ، وقد رسم واحد منها باللون الأحمر المـائل للسمرة، وتظهر

فى وسط المصوّر تقريبا بقعة ذات قمة مستديرة، وبئر بيضية الشكل لونها أخضر، وبالقرب من البئر مباشرة نشاهد أربعة بيوت للعمال وإلى اليمين يوجد معبد، أما النقوش التى على هذا المصوّر فقد ترجمها الأستاذ « جاردنر »[١] وهى كالآتى :

(١) الجبال التى يستخرج منها الذهب وهى بهذا اللون الأحمر .

(٢) نقشان موجودان تحت الطريق السفلية إحداهما على الشمال وفوق الطريق العلوية على اليسار وهو « جبل ذهب » ، وعلى الجهة اليمنى تحت أسفل الطريق « جبال من الفضة (؟) والذهب » .

(٣) ونقرأ بجانب تخطيط معبد أو محراب ما يأتى : " محراب آمون صاحب الجبل النق (الطاهر) " .

(٤) وعلى الطريق المؤدّية جنوبا إلى أعلى طريق نقرأ : " طريق تامتنى " .

(٥) وعلى التل الواقع فوق المحراب كتب : " جبل آمون (؟) " .

(٦) ونجد أعلى من الطريق المؤدّية لبيوت العمال وعلى يمينها ما يأتى : " الجبل الذى يأوى إليه آمون " .

(٧) وبجانب بيوت العمال على الطريق كتب : " بيوت مستعمرة مناجم الذهب " .

(٨) وبجانب اللوحة كتب : " لوحة من « ماعت رع » (سيتى الأوّل) (له الحياة والصحة) "

(٩) وعلى الطريق الوسطى من اليسار كتب : " طريق أخرى تؤدّى إلى الصحراء " .

(١٠) وعلى أسفل طريق من اليسار دوّن : " طريق تنت ... بارمر ... (؟) " .

ولا شك فى أن المطلع على هذا المصوّر لا يشك كثيرا فى أن المصرى فى ذلك العهد السحيق كانت له دراية لا بأس بها فى علم تخطيط البلدان والأماكن الطبيعية .

الأماكن التى كان يجلب منها الذهب من الوثائق الأصلية

إن أوّل وثيقة أصلية مدوّنة وصلت إلينا عن بعثة منظمة أرسلت لاستحضار الذهب بخاصة يرجع عهدها للأسرة الثانية عشرة (١٩٨٠ — ١٩٣٥ ق . م) فقد

(١) راجع : Cairo Sceintific Journal VIII, (1914) p. 41 – 46.

ذكر لنا « أمنمحات » الذى كان يعدّ من أقوى حكام المقاطعات فى « بنى حسن » أنه اشترك فى ثلاثة بعـوث إلى الجنوب وقد كان القصـد من البعثين الأخيرين منها الحصول على الذهب . وقد قال عن حملته الثانية : " ثم سحت جنوبا لإحضار ركائز ذهب لجلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «خبر كارع» «سنوسرت الأول» عاش مخلدا وسرمديا " وقد صاحب الأمير الوراثى الذى أصبح فيما بعد « أمنمحات الثانى » ، وقـد أفلح فى إحضار الذهب الذى فرض عليه وعندئذ دعا ابن الملك الإله « لى » .

وحدّثنا عن الحملة الثالثة فقال : "وعندئذ سحت جنوبا لأحضر ركائز الذهب إلى مدينـة «قفط» وبصحبتى الأمير الوراثى «سنوسرت» . (راجع Br. A. R. I., 520-521.) ولدينا نقش آخر على لوحة لمدير خزانة الفرعون « أمنمحات الثانى » المسمى « ساحتحور » يقول فيها : "لقد عدت بالنتيجة — إذ اخترقت بلاد النوبة السود ... هازما بالفزع من سيد الأرضين — ولقد سرت على الأقدام إلى أرض « حا » أيضا " . وهـذه اللوحة محفوظة بالمتحف البريطانى الآن (رقم ٥٦٩) .

ونقوش « تحتمس الثالث » تشير إلى جلب الذهب من آسيا ومن السودان كما ذكرنا ذلك من قبل ، وقد جاء ذكر بلاد « آمو » وبلاد « بنت » والأرض العالية و« كوش » والأقاليم الجنوبية . وقد كان أحد ألقاب نائب الملك فى بلاد « كوش » : المشرف على أرض الذهب أو ذهب أرض «آمون» (راجع الجزء الخامس ١٦٨) . هذا ولدينا إشارة فى نقوش « منخبر رع سنب » كاهن « آمون » الأكبر والمشرف على الخزانة فى عهـد « تحتمس الثالث » إلى حاكم إقليم الذهب فى « قفـط » . ويرى هذا الكاهن العظيم فى إحدى صور قبره وهو يتسلم حمولة سفن من الذهب من هذا الموظف ومن ضابط الشرطة فى «قفط» ، وقد فسر هذا المنظر بمتن " تسلم ذهب الأراضى العالية فى « قفط » بالإضافة الى ذهب « كوش » الخاسئة وهو الجزية السنوية » (راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٥٣٠) .

---

(١) راجع : A. Z., IX-XII, Act. p. 74

(٢) راجع : Br. A. R., II, § 265, 273, 502, 514, 526 & 652., 279-282

ولما كانت « قفط » قد ذكرت صراحة بأنها إقليم يوجد فيه الذهب كان الغريب أن نرى فى قائمة معاصرة للأماكن التى تدفع جزية حكومية بالذهب أن هذه المدينة قد مر عليها واضع هذه القائمة وذكر أنها لا تدفع إلا « دبنا » واحدا أى ما يعادل نحو واحد وتسعين جراما من الفضة ، ونصف دبن من الذهب، فى حين نرى أن «الفنتين» كانت قد أسهمت بدفع تسعة وأربعين دبنا من الذهب ودفعت « كوم أمبو » سبعة دبنات « وأدفو » ثمانية دبنات « وإسنا » عشرة دبنات، وكانت « أرمنت » تدفع على أقل تقدير تسعة دبنات . أما بلاد الوجه البحرى فلم تكن تدفع جزية من الذهب أكثر من خمسة دبنات(١). وقد جاء ذكر ذهب جبال « قفط » فى عهد الأسرة العشرين حيث نجد فى ورقة « هارس » أنه كان جزءا من دخل آمون، وأنه كان يعرف بالذهب النضار . وقد قدر المحصول الكلى من الذهب بنحو تسعة وستين وخمسمائة دبن وستة قدات ونصف قدت، منها واحد وستون دبنا وثلاثة قدات من ذهب « قفط » .

هذا ونجد بالإضافة إلى المصادر الخاصة بنشاط «سيتى الأول» فى استخراج الذهب التى نجدها فى نقوش « وادى عباد » ولوحة « كوبان» التى يرجع عهدها إلى حكم « رعمسيس الثانى » ذكر ذهب أرض الإله فى نقوش « سيتى الأول » بالكرنك (راجع .Br. Ibid. § 116) وكذلك فى نقوش الإهداء العظيمة التى دونها « رعمسيس الثانى » على جدارن معبد «العرابة» وفى كل حالة من هذه نلحظ أن الإشارة مبهمة فلا نستطيع تحديد موضع أرض الإله بالضبط، غير أنه مما لا شك فيه أنها كانت بلاد« بنت» على وجه عام كما تحدثنا عن ذلك .

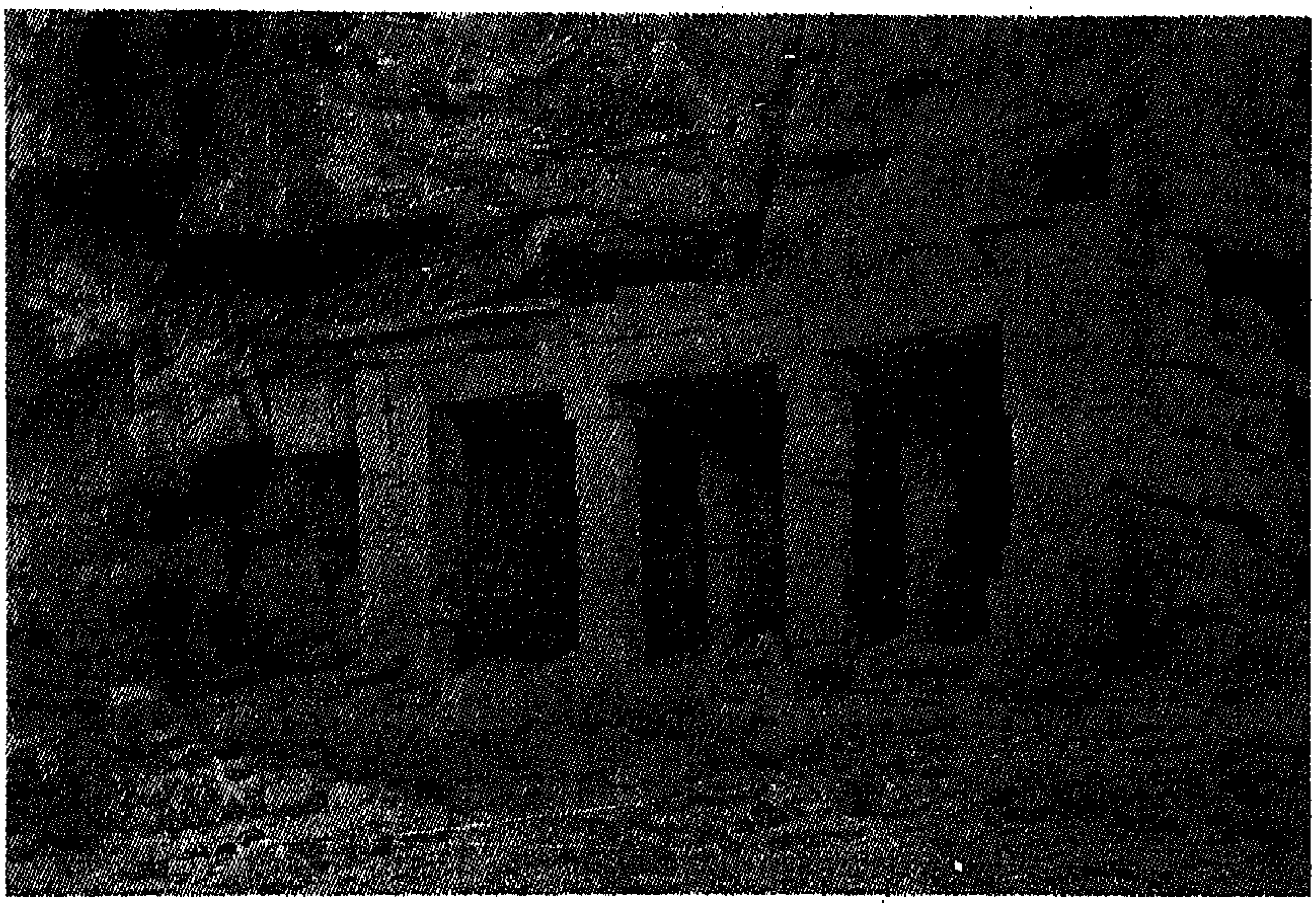
معبد « وادى مياه » المعروف بمعبد « الردسية »

يقع معبد « وادى مياه » أو «وادى عباد » وهو المعروف عند علماء الآثار بمعبد « الردسية » على مسيرة خمسة وثلاثين ميلا شرقى « أدفو » على الطريق

(١) راجع : Hume Geology of Egypt II, Part. III, p. 699

القاحلة المؤدية إلى مناجم الذهب القريبة من البحر الأحمر ، وهذا المعبد قد نحته «سيتي الأول» وأطلق عليه هذا الاسم «لبسيوس» لأنه قد وصل إليه عن طريق بلدة « الرديسية » التي تبعد عنه حوالي أربعين ميلا تقريبا ، والواقع أن هذا المعبد كان معروفا قبـل عهد « ليسيوس » وقد وصل إليـه بحاثون أثريون قبـله ووصفوه واسمه الأصلي هو «وادي مياه»(١) أو «الكنايس»، وهذا الاسم الأخير قد أطلق عليه من اسم المعبد الذي كان في نظر السكان هناك يشبه الكنيسة .

وتدل نقوش هذا المعبد على أنه نقر في واجهة صخرية عالية في « وادي مياه » أو «وادي عباد» الذي يمتد في الصحراء قبالة «إدفو» . والواقع أن الظل الظليل الذي ترسـله الصخور الشامخة على رقعة الصحراء هناك قد جعلت تلك البقعة محط



(٦) معبد وادي مياه (الردسية)

(١) راجع ما كتب عن اسم هذا الوادي وموقعه في مجلة B. L. F. A. O., Tome. XVII, p. 1–38 & J. E. A., Vol. IV, 241–251.

رحال طبغيا للذين يخترقون هذه الطريق المجدبة ؛ ومن المحتمل أنه كانت هناك مستعمرة منذ الأزمان السحيقة فى القدم، يدل على ذلك ما نشاهده من صور القوارب المقدّسة الجميلة المنقوشة فى الصخور الواقعة شرقى المعبد، ويرجع تاريخها إلى عهد الأسر الأولى المصرية . ويلاحظ أن هذه القوارب قد نسبت للإله «مين» الذى كان يعدّ من أهم المعبودات فى الصحراء الشرقية، وكذلك نجد أن «منموسى» نائب الفرعون فى «كوش» والذى عاش فى عهد «أمنحتب الثالث» قد نقش اسمه على هذه الصخور (١) .

وقد كانت الطريق فى عهد «سيتى الأول» قد أصبحت عسيرة هاقة وعرة بسبب قلة الماء، من أجل ذلك قام هذا الفرعون بحفر بئر فى هذه الجهة أطلق عليها بئر «سيتى مرنبتاح» وخرائب هذه البئر لم تزل ظاهرة حتى الآن . وسنجد فى نقوش هذا المعبد وصفا شيقا لهذه البئر جاء على لسان الفرعون فيحدّثنا فيه عن عطفه الأبوى ورعايته لمصالح مواطنيه والسهر على ما فيه راحتهم وسلامتهم، إذ قد جاس خلال هذه الصحراء بنفسه كما يقول المتن باحثا عن أحسن مكان ليحفر فيه بئرا للسابلة يستقون منه فى أثناء ارتيادهم الصحراء إلى مناجم الذهب فيها، والواقع أن هذا الحادث على ما نظنّ لايخرج عن صياغة واقعة عادية فى قالب فصيح منمق بالألفاظ الخلابة والتعابير الأخاذة مما كان يصوغه لأولئك الفراعنة طائفة درّبت عليه ونُشّئت على تسطير مثل هذه الحوادث وإحاطتها بهالة من التزلف والمبالغة والإغراق فى المديح حتى أننا نفقد أحيانا الحقائق التاريخية التى تكون قد غرقت فى مثل هذه الألفاظ الجوفاء، ومن ثم تختلط الحقيقة بالخيال ويغطى على التاريخ الخرافات اللفظية فيصبح نسيا منسيا .

والواقع أنه عندما كان يرغب الفرعون فى إقامة أثر أو الشروع فى عمل كانت العادة أن الفرعون بعد الافتتاح الرسمى يمثل جالسا يستشير قلبه الصالح الآلهة

(١) راجع : Rec. Trav. XIII, pl. 4. fig. I

أو الشعب ، ثم يبتدئ بنفسه تنفيذ هذا العمل الصالح وتقدّم أمامه تفاصيله ، ثم يتبع ذلك مدائح العظماء الذين يكونون قد التفوا حوله ليعرض عليهم ما أوحى به قلبه إليه فيشيدون بعظمته وأصالة رأيه ونشاطه بما لم يسمع به من قبل . ويلاحظ أن الدور الذى قام به «سيتى الأوّل» فى «وادى مياه» شخصيا كان من هذا النوع من التمثيل ، غير أنه لدينا وثائق رسمية تجعلنا فى شك من أن « سيتى » كان يمثل هذا الحادث أيضا ، وهذه الوثيقة تحدّثنا بأنه قد قام بزيارة هذا المنجم فعلا . وهكذا يقف المؤرّخ حائرا بين التصديق والتكذيب وإن كانت أفعال هؤلاء الملوك تجعل الإنسان يميل إلى الرأى الأخير .

وبعد هذه الزيارة المزعومة بزمن قصير استقر الرأى على ما يظهر على إقامة معبد ومساكن للعمال . وكانت البئر التى حفرت هناك تعرف كما قلنا ببئر « سيتى مرنبتاح » (تاخنمت سيتى مرنبتاح) .

المعبد : ومعبد «وادى مياه» أو معبد « وادى عباد » طرازه بسيط جدا ، فقد كانت واجهته المبنية من الأحجار والمستندة على واجهة الصخر مرتكزة على أربعة عمد بردية الشكل . وجدرانه الخارجية كانت فى الأصل عارية عن كل زينة أو نقش ، ولكن نقش عليها بعد ذلك نقش أو نقشان ، واحد منهما باسم « رعمسيس الرابع » ، وقد زينت الواجهة الداخلية بمناظر تمثل « سيتى الأوّل » يدوس تحت قدميه رؤساء «كوش» الخاسئين ورؤساء كل الممالك فى حضرة الإلهين «آمون رع» و«حور بحدت» اللذين يقدّمان له سيفا ، ويقبضان على حبال غل فيها البلاد المغلوبة على أمرها بصورة رمزية .

ويشاهد على كل من عارضتى الباب المؤدّى إلى القاعة الرئيسية صورة ضخمة للملك فى صورة الإله «أوزير» . ويحتمل أن هذا كان رمزا لعلاقة المعبد ببيت «من ما عت رع» فى «العرابة» حيث كان يعبد الفرعون فى صورة «أوزير» هذا البلد المقدّس . وأبعاد القاعة الكبرى تبلغ حوالى ثمان عشرة قدما فى نحو عشرين

قدما، وسقفها يرتكز على أربعة عمد مقطوعة فى الصخر ويشاهد على جدرانها وعمدها الفرعون « سيتى الأول » ممثلا يقدم القربان للآلهة المحلية « مين — آمون » و«حور بحدت»، «ونخبت» وثالوث طيبة: «آمون رع» و«موت» و«خنسو»، والآلهة الشمسية « آتوم »، و« حور أختى »، و«رع حوراختى» والآلهة المنفية: « بتاح » و« أوزير » و « إزيس » و « حتحور » . وقد انفردت « إزيس » من بين كل هذه الآلهة بقولها للفرعون : "لقد منحتك بلاد الذهب والتلال تعطيك ما فى جوفها الذهب النضار واللازورد والفيروزج" . و يوجد ثلاث كوات فى جدار هذه القاعة فى نهايتها القصوى فى كل واحدة منها ثلاثة تماثيل جالسة مقطوعة فى أصل الصخر . وتمثل التماثيل التى فى الكوة الغربية « سيتى الأول » و « أوزير » والإله « بتاح »، أما التى فى الكوة الوسطى فتمثل « آمون رع » و«حور اختى» و «سيتى الأول»، وتمثل التى فى الكوة الأخيرة « سيتى الأول » و « إزيس » و « حور بحدت » . وهؤلاء الآلهة جميعا يمثلون التاسوع الإلهى الذى أهدى إليه المعبد بخاصة . والواقع أنه لا يوجد إلا سبعة آلهة، أما باقى التاسوع فقد كمل بتكرار الملك «سيتى» ثلاث مرات فى ثلاثة المجاميع التى فى الكوات . ولا يدهشنا وجود الملك « سيتى » بين أولئك الآلهة لأنه قد ذكر صراحة فى أحد النقوش الطويلة أن الفرعون قد عدّ ضمن التاسوع الإلهى وهؤلاء الآلهة قد وصفوا كما سنرى فى نقش آخر بأنهم تاسوع هذا المعبد . وسنجد فى النقوش أن « آمون » و « رع » قد ذكرا كل عن حدته فى حين أن شكلى «حور» وهما «حور بحدت» و «حور أختى» لم يميزا فى الرسم .

والنقوش الطويلة الهامة التى فى القاعة الرئيسية مدوّنة على عارضتى الباب وعلى جدرانها، وهذه النقوش لها أهمية خاصة . وأقدم متن بينها هو الذى نقش على الجدار الشمالى وقد أرخ بالسنة التاسعة من حكم « سيتى » أى حوالى عام ١٣٠٤ ق . م . وهو يقص علينا فى أربعة عشر سطرا عموديا حفر بئر وبناء معبد، وينتهى بصلوات يدعو بها الفرعون للآلهة لتخليد اسمه وأعماله العظيمة . ويشاهد بجانب هذا المتن

صـورة الفرعون واقفا يواجه فى خضوع وخشوع وتضرع النقش . وهاك المتن فاستمع لمـا جاء فيه :

"السنة التاسعة من الشهر الثالث من فصـل الصيف اليوم العشرين من الشهر فى عهد جلالة حور الثور المنتصر ، الظاهر فى طيبـة ومنعش الأرضين ، والمنتسب للإلهتين ، ومجدّد الولادة ، وصاحب السيف الجبار ، قامع الأقواس التسعة ، حور الذهبى مجدّد المظاهر عظيم الأقواس فى كل الأراضى ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « من ماعت رع » بن الشمس « سيتى مرنبتاح » معطى الحياة إلى الأبد السرمدى فى هذا اليوم ، كان جلالته يفحص الأراضى الصحراوية تجاه التلال لأن لبه كان يرغب فى رؤية المناجم التى يجلب منها النضار . ولمـا كان جلالته يسير مصعدا (فى هذه التلال) وهـو عالم بالكثير من مجارى المياه وقف فى الطـريق ليتبادل المشورة مـع قلبه فقال : ما أيئس الطريق التى لاماء فيها ! وفى الحـق ماذا يفعل المسافـرون ليطفئوا حناجرهم الملتهبة ، فمن ذا الذى يطفئ ظمأهم وأرض الوطن بعيـدة وهم فى الصحراء الشاسعة ، فما أتعسه من رجل يصيبه الظمأ فى القفار الموحشة ، تعال الآن (؟) دعنى أفكر فى خير هؤلاء ، سأعمل على ما يحفظ حياتهم حتى يترحموا على اسمى فى السنين المقبلة وحتى تفخر بى الأجيال التى سـتأتى بعدى من أجل نشاطى لأنى فى الحق رحيم ومملوء حزنا من أجل السابلة .

و بعـد أن نطق جلالته بهذه الكلمات لقلبه جال حول الصحراء باحثا عن مكان يتخذه محطا للسقاية — وقد كان الإله وقتئذ يرشده حتى يمنحه طلبته التى كان يرغب فيها — وقد عين عمال قطع أحجار لحفر بئر على التلال ليستطيع (الملك) إغاثة من أضناه التعب ، وينعش القلب الذى يحترق عطشا وقت القيظ . وقد أنجز العمل فى هذا المكان وسمى بالاسم العظيم « من ماعت رع » وقد غمرته المياه بوفرة عظيمة مثل كهف منبعى النيل فى « الفنتين » .

وقال جلالته : تأمل لقد استجاب الآلهة لدعوتى فجعلوا المـاء ينبع لى من الصخور ، وقد مهدت الطريق فى حكمى ، وكانت منذ زمن الالهة مشئومة . وأصبحت أراضى المراعى مفيدة للرعاة ، وكل البـلاد تصبح سعيدة عند ما يكون مليكها نشيطا فكل عمل عظيم مجهول أصبح (معلوما) فى زمنى ، وقد تملك لبى عمل صالح آخر بأمر الإله ، وهو تأسيس بلدة يكون فيها مأوى — والمكان الذى يشتمل معبدا لا شك يكون رفيع القدر ، وسأقيم مأوى فى هذا المكان يحمل اسم آبائى العظام (الآلهة) و بذلك سيجعلون أعمالى تبقى واسمى ينتشر و يذاع فى الخارج فى الأراضى الأجنبية وعندئذ أمر جلالتـه أن تعطى التعليمات رؤساء العمال الذين كانوا معه بوصفهم قاطعى أحجار وقد عملت حفائر فى هذا التل لتكون معبدا لهؤلاء الآلهة فكان فيه «آمون» . و « رع » كان فى داخله كما كان « بتاح » و « أوزير » فى قاعته الرئيسية ، و « حور » و «ازيس» و « من ماعت رع » وهم جماعة الآلهة الذين كانوا يأوون إلى هذا المعبد . و بعد أن تم الأثر وزين وعملت صوره ونقوشه أتى جلالته ليتعبد لآبائه كل الآلهة فقال :

مرحبا بكم يأيها الآلهة العظام يامن أسستم السماء والأرض على حسب رغبتكم الطيبة ! إنكم سترونني عطفكم مدى الأبدية وستخلدون اسمى سرمديا ، بقدر ما أنا خادم ونافع لكم و يقظ للشئون التى ترغبون فيها .

ومن أجل ذلك ستخبرون أولئك الذين سيأتون ، سواء أكانوا ملوكا أم موظفين أم أناسا عاديين أن يثبتوا لى أعمالى تحت مراقبة بقى فى «العرابة» و إن من يعمل على حسب كلمة الإله يكون سعيدا لأن خططه لن تخيب ، فتكلموا أنتم وكلمتكم ستنفذ لأنكم أنتم الأرباب ، ولقد مضيت حياتى وأنا أمين لكم أبحث عن تحسين حالى معكم فاجعلوا آثارى تخلد لى واسمى يبقى دائما عليها .

وتدل الأحوال على أنه لم يبق أى أثر من البلدة أو المستعمرة التى تكلم عنها «سيتى» فى هـذا النقش ، إذ كان المنتظر فى مثل هـذا المكان المهجور البعيد عن السكان أن يبقى بعض الدمن من المبانى ، ولذلك يحتمل أن هذا الجزء من المشروع الذى كان قـد أخذ فى تنفيذه لم يتم ، وكذلك من الجائز أنه قـد غطى بالرمال ولم يزل محفوظا تحتها ينتظر معـول الحفار للكشف عنه . ومكان البـئر ليس معروفا على وجه التأكيـد ، غير أن الأثرى العظيم « جولنيشف » رأى مبانى فى عام ١٨٨٩ ميلادية فى الوادى قريبة جدا مقابلة للعبد ، و يعتقد أن فى هـذه البقعة حفرت البئر . ولكنا لسنـا على يقـين مع كل ما ذكرنا من أن « سيتى » قـد عاش حتى افتتح هذا المعبد .

ولدينا متن مؤلف من خمسة أسطر نقش على عارضة الباب المؤدى إلى القاعة الرئيسية على الجهة اليسرى من المدخل ، وهذا المتن فى تركيبه العام غير عادى ، حقا إنه يبتدئ بصيغة الإهداء العادية ، ولكن مؤلفه ينتقل بعد ذلك إلى سرد قصيدة كلها مديح فى الفرعون وأعماله العظيمة و ينشدها الشعب المعترف له بالجميل ، وهاك المتن فاستمع لمـا جاء فيه :

"حور الثور المنتصر ، الظاهر فى طيبة ، منعش الأرضـين ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « من ماعت رع » . لقـد أقامه (يقصد المعبد) أثرا لوالده « آمون رع » مع تاسوع الآلهة ، فبنى لهم معبدا جديدا كله يرتاح فيه الآلهة ، وقـد حفرت بئرا أمامه ، ولم يعمل مثله قط على يد أى ملك غير المـلك البار ابن « رع » « سيتى مرنبتاح » ، الراعى الطيب الذى يحمى حياة جيشه و والد بنى الإنسان وأمه . وانهم يتناقلون من فم لفم :

أعطه يا آمون كل الأبدية
ضاعف له الأبدية ضعفين
وأنتم يا أيها الآلهة الذين فى البئر
امنحوه مدة حياتكم
لأنه فتح هذه الطريق أمامنا
بعد أن كانت مغلقة فى وجوهنا
وعلى ذلك أصبحنا نسير عليها آمنين
ونصل إلى آخرها على قيد الحياة
والطريق التى كنا نحسبها فى صدورنا وعرة
أصبحت الآن طريقا معبدة
وقد صار نقل الذهب بسرعة نظر الصقر
وكل الأجيال الآتية سيصلون لينال الخلود
وليحتفل بأعياد ثلاثينية مثل « آتوم »
وليستطيع تجديد شبابه مثل « حور بحدت »
وذلك منذ أن أقام أثرا فى الأراضى الصحراوية لكل الآلهة
وجلب المياه على التلال التى كانت بعيدة عن الناس
فيا رجال كل حملة تطأ الصحارى نادوا بحياة وثبات وحظ
ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « من ماعت رع » محبوب « آمون رع » ملك الآلهة ! "

النقش الثالث : ولدينا نقش ثالث فى وادى مياه أو واد عباد[١]، و يعد على الرغم مما فيه من غموض فى بعض معانيه، وما أصابه من تهشيم أهم نقش فى المعبد وهاك الترجمة الحرفية :

ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « من ماعت رع » ؛ ابن الشمس « سيتى مرنبتاح » يقول أمام آبائه كل ملوك الوجه القبلى وملوك الوجه البحرى حكام الشعب .

اصغوا إلىّ يا ضباط مصر
وعلى ذلك سيعى لكلامكم آخرون

---

(١) راجع : Rec. Trav. XIII, pl. 2

وستكونون فى سرور كما أحب لكم
وستكافأ اعمالكم على حسب ذلك ،
وعلى ذلك ستكونون مثل الآلهة
وسيسعد الفرعون بين تاسوع الآلهة

وقد قلت ذلك عندما عينت عمال تنظيف الذهب لمعبدى لأجعلهم يمدّون بيتى ... ... معبدى ..

أما عن الذهب وهو لحم الآلهة فإنه ليس من ضروورياتكم فتجنبوا ذكر ما قاله « رع » عند بداية كلماته إذ يقول : إن جلدى من خالص النضار لأن « آمون » معبدى سوف ... ... وعيناه على أشيائه . وإنهم لا يحبون سوء استعمال أمتعتهم . وعليكم ألا تضايقوا أناسيهم لأنهم (أى الآلهة) مثل التماسيح (؟) فلا تفرحوا ... ... أما من يشين عمل إنسان آخر فسينال بالمثل فى النهاية ، وأن الله سيتلف آثار المتلف ؛ وأن عمل الكذابين لا يمكث ... ... الملك ... ... وأجعلكم تعلمون أنى قد عزمت من بعيد أن أخبركم (؟) ولقد عينت طائفة من عمال الذهب وقد قدمتهم كلهم إلى ... ... لأجلى وحدى . وجعلتهم كلهم موظفين جددا لأجل أن يستمرّوا معى ولم آخذهم من موظفين آخرين لأضيفهم ... ... وسيصيرون أولاد بيتى وتابعين لمعبدى .

وأى ملك سيأتى بعدى ويمتحن أعمالى ليجعلها باقية ... ... مقدما ما ينتجونه (أى العمال) لبيت « من ماعت رع » لتمويه كل تماثيلهم بالذهب أى « آمون » و « حور اختى » و « بتاح تنن » و « ونفر » ... ... سيستيقظون ... ... وسيجعلونهم سعداء وليحكموا البلاد فى نعيم ، وليذبحوا الأرض الحمراء (الصحراء) وأرض النوبة . وروحهم سيبقى وتستمر مؤنتهم الغزيرة وسيشبع أولئك الذين على الأرض وسيصغى « رع » لصلواتهم حتى لا يقول واحد : إنى أحتاج .

وأى ملك سيأتى بعدى ويقلب خطتى ، أو يقول : إن الأراضى تحت تصرفى وإنها متاعى فذلك عمل آثم فى قلوب الآلهة ! ولا شك فى أن أمثال هذا سيجاب عليه فى « هليوبوليس » . وإن هم القضاة ... ... وسيقدمون جوابا على حسب متاعهم ، وأنهم سيكونون حرا مثل لهيب النار وسيطبخون لحوم أولئك الذين لا يصغون إلى ، وسيمحون من يتلف خطتى وسيلقى به فى قاعة عذاب العالم السفلى . لقد قلت (؟) ... ... دع إنسانا بريئا من إثمه يخلصك ولماذا إذن (؟) فإنه سيكون إنسانا آخر ضال القلب يتهمه تاسوع الآلهة . وأى موظف يتطاول على سيده بابداء هذه الرغبة وهى أن يستولى على عمال ويستخدمهم فى ضيعة أخرى بشهادة زور فإن مصيره نار تصلى لحمه ولهيب يلتهم أعضاءه لأن جلالتى قد عمل كل هذه الأشياء لروح أرباب بيتى .

وإن الإله يمقت من يتدخل فى شئون قومه وإنه لن يتوانى عن خذلان المتلف ولكن عمال تنظيف الذهب الذين ألفتهم لبيت « من ماعت رع » سيستثنون ويميزون ولن يعتدى عليهم إنسان فى الأرض قاطبة على يد أى ضابط من ضباط أى مراقب صحراء وأى شخص يتدخل فى شئونهم بنقلهم إلى مكان آخر يجعل الآلهة والإلهات أعداء له ، لأن كل متاعى إرث لهم تحت أقدامهم أبد الآبدين . وضابط طائفة عمال غسل الذهب الخاص ببيت « من ماعت رع » سيكون مستقلا فى توريد ما ينتجونه من الذهب لبيت « من ماعت رع » .

وأى شخص يتجاهل هذا المنشور فإن الإله « أوزير » سيثأره ، وسيحاسبه كذلك زوجه « إزيس » وابنه « ماحور » والآلهة العظام أرباب الأرض المقدسة " .

تعليق على هذا المتن : إذا ألقينا نظرة فاحصة على هذا المتن وجدنا أنه خطاب من الفرعون « سيتى الأول » إلى الملوك الذين سيخلفونه يحضهم فيه على احترام مؤسسات الذهب التى وضعها لبيته فى « العرابة المدفونة » ، وهذا الذهب كان مخصصا لأولئك الآلهة الذين أهديت لهم تلك المؤسسة ، ونراه يعدهم ، أنهم إذا حفظوا العهود احترم رغباتهم بالمثل ، وكافأ أعمالهم العظيمة ، والظاهر أنه كان يرمى إلى صرفهم عن عدم التفريط فى الذهب الذى لا يحتاجون إليه ، وأنه لا يصلح إلا للآلهة فقط . ويلمح إلى أن استعمال الملوك « لحم الآلهة » (أى الذهب) لأغراضهم الشخصية كفر وجحود وطغيان . ومن الطريف أن « سيتى الأول » قد اقتبس بعض قصة هلاك الإنسانية (راجع كتاب الأدب جـ ١ ص ٧١) وفيها يقص عن إله الشمس : " والآن قد أصبح جلالته متقدما فى السنّ وكانت عظامه من فضة ولحمه من ذهب ، وشعره من اللازورد " . وكأنه بذلك يحض ملوك المستقبل على أنه ينبغى ألا يتدخل إنسان مع عمال الذهب فى المستقبل ، لأنه لم يخرج على أى نظام كان قائما فى عصره خاصا بتأليف طائفة عمال تنقية الذهب ، بل أنشأ طائفة عمال جدد لم يؤخذوا من عمال طائفة أخرى ، ثم يذكر لنا بتحفظ أن الذهب كان لازما لتمويه صور الآلهة ، ومن أجل ذلك يطلب الرحمة لكل فرعون يحافظ على مؤسسته ويستنزل النقمة على كل من أراد أن يستغلها لمنفعته

الشخصية . وكذلك نراه يطلب الخير لكل وزير يجعل مليكه يسير فى طريق الصلاح ، كما يطلب لكل وزير يهيىء سبيل الشر لمليكه عقابا وخسرانا مبينا . ويلاحظ هناك أن اللعنات التى وردت فى المتن كانت على وجه خاص شنيعة وقاسية ، والظاهر أن « سيتى » كان يهدّد الآثم بأن آلهة المعبد هم الذين سيتولون حسابه ، وقد كانوا ضمن أعضاء تاسوع « عين شمس » ، وهم كما نعرف كانوا يؤلفون قضاة يوم الحساب ، وبعد تحذيرات أخرى ، وعرض حقوق طائفة عمال الذهب ، وضباطهم يختم الخطاب باللعنات الشنيعة ، على كل من لا يرعوى لقوله .

على أنه ليس فى طبيعة الشره البشرية أن يتعظ الإنسان بأصوات الموتى وتحذيراتهم وبخاصة عندما يكون الذهب هو الحافز على إيقاظها ؛ إذ يظهر لنا من نقش الإهداء الذى صاغه « رعمسيس الثانى » بألفاظ بديعة منمقة فى بيت « من ماعت رع » «بالعرابة» أنه عند موت « سيتى » هجر هذا المعبد الفخم الذى لم يكن قد أتمه بعد ، واستولى على دخله مما اضطرّ « رعمسيس » إلى إعادة نظام المؤسسة كلها ، وحبس الأموال عليها من جديد . على أننا لا نبرئ « رعمسيس الثانى» نفسه من أنه فى أواخر أيامه قد استغل مؤسسة « وادى مياه » أو « وادى عباد » لمنفعته الشخصية ، إذ قد ترك لنا كاتب لم يهبه الله شيئا من حسن البصيرة الكلمات التالية على أحد عمد هذا المعبد : " إحضار الذهب للعيد الثلاثينى الحادى عشر للفرعون « وسر ماعت رع ستب أن رع » (رعمسيس الثانى) " ، وإذا تسامحنا فى تفسير هذا المتن ، فقد نفرض أنه يشير إلى الذهب الذى كان يقدّمه الكهنة قرابين اختيارية لبيت «سيتى» فى «العرابة» فى مناسبة عيد «رعمسيس الثانى» الثلاثينى الحادى عشر .

وأخيرا نعود مرة أخرى الى موضوع البئر التى حفرها « سيتى الأول » فى وادى مياه أو « وادى عباد » فنذكر برهانا قويا على إنجاز هذا العمل فى عهد « سيتى الأول » ، إذ يدل على ذلك إحدى اللوحات التى نحتت فى الصخر المجاور

للعبد، ومما يؤسف له أن اسم مقدّم اللوحة قد محى، ولكن جاء فى النقش ما يأتى : " عملها البحار ... ... الذى كان مكلفا بحفر بئر « سيتى مرنبتاح » " . وهكذا أصبح لدينا وثيقة من أحد الرجال الذين اشتركوا فعلا فى إنجاز هذا العمل العظيم، ويدل تعبد هذا البحار للإله « بتاح » والإلهة « سخمت » على أنه كان من أصل منفى .

معبد « القرنة »

يقع معبد « القرنه » الجنازى الذى أقامه « سيتى الأوّل » عند مدخل « وادى الملوك »، وما بقى منه إلى الآن لا يمثل إلا جزءا صغيرا مما كان عليه البناء الأصلى من بهاء وروعة، فقد آختفت منه « البوابة » الأولى والثانية وكذلك ردهتاه الأولى والثانية، ولم يبق منها إلا آثار دارسة تدل على وجودها، وهذا المعبد كان قد أقامه « سيتى الأوّل » تكريما للإله « آمون » كما كان يقصد استخدامه معبدا جنازيا لوالده « رعمسيس الأوّل » الذى لم تمكنه مدّة حكمه القصيرة من إعداد معبد جنازى لنفسه . وهذا المعبد مثله كمثل معظم مبانى « سيتى » العظيمة لم يكن قد تمّ حتى حضره الموت، وقد كان على « رعمسيس الثانى » إنجاز بناء مابقى من هذا المعبد . ويلاحظ فى أيامنا أن واجهة المعبد الحالية تقابل ما كان فى الأصل طريق العمد التى كانت فى الطرف النهائى من الردهة الثانية .

وهذه الطريق لها خاصية غريبة بعض الشيء، إذ كانت تحتوى على عشرة عمد بردية الشكل لكل منها تاج فى صورة برعوم زهرة، وقد تبقى منها حتى الآن سبعة أعمدة . ونشاهد بدلا من (الكرنيش) الذى كان على هيئة سعف النخل وهو الذى كان يحوط طريق العمد — تشييد وأجهة مستطيلة، وخلف هذه العمد جدار ذو ثلاثة أبواب، وعلى الجدار الأوسط الذى على اليسار رسمت صور مقاطعات مصر ممثلة فى هيئة رجال ونساء على التوالى، وكل منها يحمل قربانا مما تنتجه المقاطعة ليقدّمه للفرعون، وعلى يمين الباب نقوش مماثلة للأولى تصوّر مقاطعات الوجه البحرى، وبعد اختراق الانسان الباب الأوسط يدخل قاعة العمد التى تحتوى على

ستة أعمدة فى هيئة برعوم زهرة البردى يكتنفها من كلا الجانبين ثلاث حجرات جانبية، وزخرف هذه القاعة بعضه من عمل « سيتى الأول » ، والبعض الآخر من عمل « رعمسيس الثانى » . ويمكن تمييزفن « سيتى » بسهولة لسموّه ودقة نقوشه البارزة ؛ أما صناعة عهد « رعمسيس » فقد استعمل فيها النقوش الغائرة التى كانت على الرغم من أنها محببة إليه تزورعنها العين لسماجتها ، وفى نهاية قاعة العمد المحرابُ الذى لا يزال محتفظا بالحجر الذى كان مستعملا قاعدة ليوضع عليها قارب الإله « آمون » المقدّس وعلى يسار قاعة العمد مقصورة « رعمسيس الأول » ، وعلى اليمين حجرة عظيمة زخرفها « رعمسيس الثانى » بالنقوش الغائرة ، وقد صوّر فيها وهو يقدّم القربان للآلهة المختلفة ، ولا نزاع فى أن صناعة الزخرف فيها كانت أقل جودة بالنسبة لأجزاء المعبد الأخرى ، وهذه القاعة قد استعملها المسيحيون كنيسة فيما بعد ، ويعتقد الأستاذ « بترى » أن معبد « القرنة » كان قد وضع تخطيطه « سيتى » فى الأصل ليكون معبدا جنازيا لوالده « رعمسيس الأول » (١) ، وأنه بدأ البناء المعروف باسم « الرمسيوم » ليكون معبده الجنازى وعند وفاة « سيتى » كان معبد «القرنة» لم يزل ينقصه بعض الزخرف وكان بناء «الرمسيوم» فى بدايته فقط. ويلاحظ أن « رعمسيس الثانى » غير الغرض الذى من أجله أقيم معبد «القرنة» ، وأتم النقوش بطريقة جعلته يقوم مقام معبد جنازى لجده « رعمسيس الأول » ولوالده « سيتى الأول » وكذلك لنفسه ، ولكن ما يقوله « بترى » من أن « رعمسيس » قد استولى على «معبد الرمسيوم» الذى وضع « سيتى الأول » تخطيطه لاستعماله لنفسه قول لا يدعم ببراهين صحيحة كما سنفصل القول بعد .

وفى محاجر « جبلين » عثر على نقش يحدّثنا عن البحث عن حجر مناسب لاستعماله فى بناء معبد « سيتى » الجنازى «بالقرنة» ، وقد قام بالإشراف على إنجاز هذه المهمة مدير أعمال « سيتى » وهاك النص على الرغم مما به من تهشيم :

---

(١) راجع : Petrie History of Egypt III, p. 43

"... ... البحث عن ... ... «حتحور» لأجل قطع أحجار كثيرة من هناك، لأجل "بيت «من ماعت رع» للايين السنين غربى طيبة " ثم جاء بجلالته (له الحياة والصحة والفلاح) قائلا : " ... ... فرصة يجعل اسمه ينتشر فى الأرض كلها ، وفى هذا اليوم جاء رئيس الخزانة تحتمس : ... ... الذى ... ... أعطى فضة وذهبا مرة لإنجاز العمل ... ... لقطع أحجار كثيرة لبيت « من ماعت رع » (سيتى الأوّل) عندما كان يعمل ... ... قال : ... ... تصميم ... ... لملك يحمى ... ... تنظيم الضرائب وليعين المشرف عليهم الذى كان مكلفا « بسيد الحياة » (اسم للتابوت وكذلك لجبل غربى طيبة) الناس ... ... العمل ، وأنه والده «آمون» ... ... مخبرك رغبات القلب منذ زمن الإله لأجل روح الكاتب ، ومدير أعمال رب الأرضين ، ورئيس الأعمال حوى[(١)] " .

ويدل اسم معبد القرنة : "معبد روح «سيتى مرنبتاح» فى بيت «آمون» فى غربى «طيبة» " على أنه كان معبدا جنازيا «لسيتى الأوّل» ولا أدل على ذلك من وجود ستة متون باسمه أو باسم «آمون» : —

(١) "«سيتى الأوّل» قد أقامه بمثابة أثر لوالده «آمون رع» رب «طيبة» ... الكرنك فعمل له قصرا عظيما ، وقدس أقداس فاخرا للتاسوع المقدّس ، ومكان راحة لرب الآلهة فى عيد واديه الجميل وهو الذى أقامه له ابن «رع» «سيتى الأوّل» مثل «رع» أبديا .

(٢) «سيتى الأوّل» عمله بمثابة أثر لوالده «آمون رع» ملك الآلهة ، فأقام له بيت ملايين السنين فى غربى «طيبة» قبالة «الكرنك» من الحجر الرملى الأبيض الجميل ، وقد أقيم عاليا جدا وعظيما وهو الذى عمله ابن «رع» الخ .

(٣) «سيتى الأوّل» أقامه بمثابة أثره لوالده «آمون رع» رب «طيبة» الساكن فى معبد روح «سيتى مرنبتاح» فى بيت «آمون» فى «طيبة الغربية» ، فصنع له بيت ملايين السنين من الحجر الرملى الأبيض الجميل وهو مكان لظهور رب الآلهة ليشاهد جمال «طيبة» وأبوابه من خشب الأرز الحقيق المشغول بنحاس «آسيا» وقد أقيم عاليا شاسعا .

(٤) عمله «سيتى» الخ . فأقام له قاعة شاسعة ، ويضىء فى وسط بيته ، مكان لظهور تمثاله الفاخر فى عيده الجميل «عيد الوادى» والتاسوع العظيم المقدّس للآلهة الذين فى «جبانته المقدّسة» قلوبهم راضية .

(١) راجع : Br. A. R., III, § 210

(٥) لقد عمله بمثابة أثر لآبائه الآلهة والإلهات الذين يسكنون فى المعبد (المسمى) « روح « سيتى مرنبتاح » فى « بيت آمون » فى غربى طيبة » ، فأقام لهم قصرا فاخرا بمثابة بيت لقدس الأقداس للآلهة. وعند ما يسكنون فى قصره يكون « آمون رع » فى المقدمة ... ... » .

(٦) عمله بمثابة أثر الخ ....فأقام له بيتا لملايين السنين على الشاطئ الغربى لطيبة قبالة « الكرنك » ، من الحجر الرملى وقد بنى عاليا وشاسعا"[١] .

مقبرة سيتى الأول

يعدّ قبر « سيتى الأول »[٢] الواقع فى وادى الملوك بطيبة الغربية من أضخم المقابر التى نحتت فى صخور هذا الوادى ، كما أنه من أحسنها زخرفا ودقة نحت وتصوير ، وأوّل من كشف عن هــذا القبر الأثرى « بلزونى » فى أكتوبر عام ١٨١٧ م ، وممــا يستدعى الأسف أنه قد وجد منهوبا نهبا تاما فى الأزمان القديمة .

وهــذا القبر الواقع على مقربة من مقابر الأسرة الثامنــة عشرة نقر فى الصخر لمسافة خمس وعشرين وثلثمائة قدم ، و بابه الواسع الشامخ يؤدّى إلى سلم ذى سبع وعشرين درجة ، ينتهى إلى دهليز منحدر يليه درجات أخرى ومحاط . يتبع ذلك سلسلة حجرات استراحة وأخرى عظيمة المساحة فى الطريق إلى أن يصل الإنسان فى النهــاية إلى حجرة التابوت العظيمة بسقفها المقبب وعمــدها المربعة ، ويوجد خلفها حجرات صغيرة ثانوية . وجدران هذا الضريح الشاسع مزينة بمتون وصور من الكتابين الجنازيين العظيمين الخاصين بالدولة الحديثة ، وهما : "كتاب البوّابات" ، و"كتاب ما فى العالم السفلى" ، وهذان الكتابان كما ذكرنا آنفا (راجع ج ٣ ص ٥٢٣) يصفان السياحة الليلية لإله الشمس فى العــالم السفلى المظلم ، وخروجه ثانيــة منه منتصرا على عالم الظلام فى الصباح التــالى وهكذا على التــوالى . وهذه المنــاظر الجنازية قد حفرت بنقوش بارزة ثم لونت ، ويظهر فيها نفس دقة الفنّ والرسوم

(١) راجع : Br. A. R., III, §§ 211 — 221

(٢) راجع : Baedeker's, Egypt. P. 308 ff

الممتازة التي شاهدناها في معبد « العرابة » وغيره من مباني « سيتي » التي كانت ذات طابع خاص يميزها .

وبناء القبر وما يحتويه من دهاليز منحدرة إلى أسفل ودرج ، يتمشى تماما مع تلك الموضوعات التي صورت على جدرانه ، وبخاصة صور الثعابين الطويلة الملتوية ، والشياطين الرجيمة ، والجن ، والآلهة العابسين الذين تزخرف بصورهم الجدران ، مما يجعل الإنسان يحس حقا أنه ينحدر إلى عالم سفلي حقيقي ، وقد خصصت مساحة كبيرة للصور الحية الناطقة التي تمثل العذاب الذي ينصب على المغضوب عليهم ، والذين ضلوا سبيل الرشاد في الحياة الدنيا ، كما تمثل الحرب التي لا ينطفئ لهيبها ولا يهدأ أوارها بين قوى الخير وقوى الشر . ويلفت النظر بين هذه المشاهد صورة الثعبان الهائل المسمى « أبو بي » — عدو إله الشمس — وذريته الملعونة . ويلاحظ كذلك أن الزواحف المؤذية كلها قد غُلّت ، ثم خرجت من الأرض يد ضخمة عظيمة قابضة على الأغلال كلها دفعة واحدة مبعدة الثعابين الناهشة . وإنه لمن العسير أن يجد الإنسان مزيجا له أثره في النفس أكثر مما نشاهده هنا بين قوى الخير وقوى الشر ، وأن الخير يتغلب في النهاية على الشر ويصرعه .

وقاعة التابوت الشاسعة الشامخة الارتفاع لها تأثيرها الخاص على النفس عندما يمتد البصر في أرجائها ، ويلقي نظرة على سقفها المقبب المزين بصور نجوم السماء الشمالية ، وهنا كان يأوي الفرعون العظيم إلى تابوته المصنوع من المرمر الجميل والمحلاة جوانبه بمتون هي رواية أخرى من متون الكتابين الجنازيين السابقين اللذين زينت جدران القبر بنقوشهما ، ولكن في هذه الحالة نجد أن المناظر قد صغرت والنقوش منحوتة بالحفر الدقيق في المرمر الشفيف وملئت بعجينة زرقاء لتحاكي اللازورد في زرقته البهجة ، أما غطاء هذا التابوت فقد نحتت فيه صورة الفرعون « سيتي » مضطجعا بوجه صبوح يسود تقاطيعه الهدوء ، وهي صورة صادقة لمحياه الأصلي ، وقد هشم أولئك المخربون الذين لا روح ولا عاطفة عندهم ذلك الغطاء لينهبوا

ما فى تابوته ، ولكن حسن الحظ قد أخطأت عين هؤلاء الطغاة التابوت نفسه ، وكانت موميته سليمة ولم يصبها سـوى الضرر الطفيف، وقد عثر « بلزونى » على التابوت ، وقطع من الغطاء فى مكانهما الأصلى ، ونقلهما إلى انجلترا ، وهما يعدّان الآن أحسن ذخيرة فى متحف « جون ساون » فى « لنكلنز — ان — فيلدس » (راجع Bonomi and Sharpe. The Alabaster Sarcophagus of Oime-nephtah; Budge The Egyptian Heaven and Hell II, p. 48 – 306.) .

ويلاحظ أن بعض حجرات المعبد الثانوية لم يتم نقشها بعد، ممـا يدل على أن «سيتى» قد توفى والعمل لا يزال جاريا فى القبر، وهذا هو نفس المصير الذى حاق بمعظم آثار «سيتى» ، مما يوحى أن هذا الفرعون الطيب الذكر قد مات فجاءة وعلى غير انتظار . وعلى الرغم من جمـال زينة هـذا القبر وما فيـه من نقوش ومناظر هامة يسود نواحيـه جو قاتم عابس لم يفلح — حتى إله الشمس — فى زحزحته عنه ، مع انتصاره على الظلمـة وما تحتويه فى جوفها من عوامل الشر . حقا إن الأيدى المـاهرة التى أخرجت لنـا مانشاهده من التحف العجيبة فى مناظر « العرابة المدفونة » هى التى أبدعت مناظر هذا القبر، ولكننا مع ذلك نرى أن الروح الوثاب المتقد هنا يختلف اختلافا بينا ، إذ نجد أن اعتلال هـذه المناظر وما فيها من سقم أقل انتشارا فى مناظر معبد « العرابة» ، أو فى ضريح « سيتى » السالف الذكر ، وفى استطاعتنا أن نتساءل عمـا إذا كانت المتون الجنازية وما تحويه من إشارات مستمرة إلى تلك الشياطين القبيحة المنظر وتلك الثعابين الهائلة الأجسام — تحدّد لنا إلى حدّ ما ما تصفه العقائد الدينية التى اعتنقها « سيتى الأول » ؟ أو أنه لم يضمن هـذه المناظر وتلك الصور قبره إلا جريا على التقاليد الموروثة ؟ أو كان يومئ بها عن قصـد لمناهضة تعاليم « اخناتون » التى كانت قـد حرمت كل هذه التصاوير والمتون فى القبور عامة ؟

وقد عثر على مومية «سيتى الأول» بين الموميات الملكية التى وجدت فى خبيئة الدير البحرى ، وجسمه يدل على أنه كان رجلا طويل القامة نحيل القوام، ولم يكن

على ما يظهر قد تخطى نضارة العمر ، وإن كان قد وخط المشيب حاجبيه . وتدل تقاطيع وجهه المحفوظة تماما على ما بلغه فنّ التحنيط من الإتقان والمهارة ، وتشابه محياه بصوره فى نقوش معبد « العرابة » تلفت النظر بوجه خاص إلى ما كان عليه فنّ النحت فى ذلك الوقت من تقدّم بالغ ، (انظر ص٢٧) ويلاحظ أن جسمه قد علاه السواد ، وأن أنفه قد تفرطح بعض الشيء من أثر اللفائف التى زمل بها ، غير أن ذلك لم ينقص من جمال محياه الهادئ الذى تنبعث من قسماته نضرة النعيم ونبل المحتد ، أما عيناه فمفتوحتان بعض الشيء ، ويمكن الإنسان أن يشاهد بين الجفنين العينين الصناعيتين المتقنتين اللتين وضعهما المحنطون ، وذراعاه مطويتان ، ويداه النحيلتان الطويلتان مبسوطتان على صدره ، وقد عبث اللصوص بلفائفه المصنوعة من الكتان الجميل عبثا بالغا إلى أن حوّلتها إلى طبقة بالية من الخرق ، ومع ذلك فإن كل ما حاق بجسمه من عبث قد عجز عن تشويه الجلال الهادئ الذى أسبغ على تلك المومية التى تعدّ أعظم الموميات المحنطة تأثيرا وروعة ، من بين كل موتى المصريين المحنطين .

آثار « سيتى » الأخرى فى أنحاء امراطوريته

ذكرنا آنفا آثار « سيتى » فى آسيا عندما تحدثنا عن حروبه وسنذكر هنا آثاره فى الديار المصرية وبلاد السودان .

«سيناء» : تدل الآثار التى تحمل اسم هذا الفرعون فى «سيناء» على أنه استغل فعلا مناجم هذه البقعة ، فقد عثر له على ثلاث لوحات فى « سرابة الخادم » ، وهى تدل على قيامه ببعض أعمال فى هذه المنطقة التى كان قد سبقه فيها والده « رعمسيس الأوّل » لاستخراج الأحجار منها ، وكانت هذه المناجم على ما يظهر قد هجرت منذ عهد « أمنحتب الثالث » .

وأولى هذه اللوحات المؤرّخة كانت قد أقيمت فى السنة السابعة من حكمه على يد موظف محى اسمه ، وكان يحمل لقب مبعوث الفرعون إلى الأرض كلها ، وكذلك

لقب «رئيس الرماة» ، والمنظر العلوى من اللوحة يظهر فيه « سيتى الأول » يقدّم إناءين من الخمر للإله «حور اختى» ،ونجد فى النقوش اسم «سيتى» وألقابه ونعوت مدح كلها مَلَق ، وقدشبه فيهابوالده «ست» ، وهذه إشارة إلى أن أصله من مقاطعة « ستريت» (المقاطعة السابعة عشرة من مقاطعات الوجه البحرى)، وقدكان مثل هذا التشبيه مباحا فى بلاد مثل « سينا » ، وذلك لأن تشبهه بالإله « ست » كان مغفلا تماما فى مصر نفسها، علىوجهالتقريب، وبخاصةفى« العرابة» بلد« أوزير» عدوّ« ست » (١)، وفى السنة التالية للتاريخ السالف (أى فى السنة الثامنة) أهـدى « سيتى » نفســه لوحة للإلهة « حتحور » سـيدة الفيروزج، وهى الإلهـة المحلية لهذه الجهة، والمنظر الذى على اللوحة يشاهد فيــه « سيتى » يقدّم رغيفا مخروطى الشكل للإلهــة « حتحور » ، وفى الجزء الأسفل نقش طويل مهشم ، Ibid pl.) (LXIX, No. 248.

ولدينا كذلك قطعتان من لوحة أخرى يُرى عليهما « سيتى الأول » يقدّم إناءين من الخمــر للإله « بتاح جنوبى جداره » ، وكانت اللوحة مـؤرّخة غير أن التاريخ قد محى (Ibid Pl. LXIX No. 249) .

آثاره فى الدلتا : وله آثار عدّة منتشرة فى أنحـاء الدلتا ولكنهـا بكل أسف مهشمة . و يمكن الإنسان أن يفهم بسهولة أن هـذا الفرعون لم تبق له آثار هامة حتى الآن فى هذا الجزء من البلاد لأنه يقع فى الأصقاع الخصبة الآهلة بالسكان، ولأن كل الآثار القديمة التى لم تقض عليها الرطوبة أو تعلوها الرواسب النيلية قـد عبث الأهلون بها وأتلفوها، وبخاصة تلك الأماكن التى لم يكن بهـا محاجر كما هى الحال فى وسط الدلتا .

---

(١) راجـــع : Gardiner and Peet Inscrip. of Sinai pl. LXVIII, No. 247.

«القنطرة» : تكلمنا فيما سبق عن الصقر الضخم المصنوع من الحجر الرملى الذى أقامه « سيتى » تعظيما لوالده « رعمسيس الأوّل » ، وتدل ظواهر الأحوال على أن « القنطرة » كانت ذات يوم غنية بالآثار التى من عهد الأسرة التاسعة عشرة .

« قنتير » : قام الأستاذ « حمزة بك » بعمل حفائر فى بلدة « قنتير » الواقعة فى مركز « فاقوس » وقد أسفرت هذه الحفائر عن وجود آثار من عهد « سيتى الأوّل » وبخاصة القصر الذى أقامه هناك ، ومعظمه بكل أسف واقع تحت الجبانة الحديثة(١) ، وقد ظهر من خصائص هذا المبنى أنه كان مزينا بالفخار المطلى الجميل ، وكان بعضه يحلى فى الأصل مدخلا ، وقد اشترى «متحف اللوفر» بقاياه ، ثم وجد الأستاذ « حمزة » كثيرا من قطع الفخار المطلى ، ويعتقد أن هذه القوالب أو القطع قد جاءت من معمل خاص بها ، وأن الذى أقام هذا المصنع هو «سيتى الأوّل» ، ثم زاد عليه وحسنه « رعميس الثانى » ، ولكن الأمر الهام الذى أسفر عنه هذا الكشف هو ما يعتقده الأستاذ « حمزة » بحق من أن بلدة « قنتير » هى الموقع الأصلى لعاصمة «رعميس الثانى» المسماة «بر رعمسيس» ، وقد ناصره فى هذا الرأى كثير من العلماء ، ولم يعارضه على ما نعلم حتى الآن سوى الأستاذ « جاردنر » وإن كان الآن أصبح لا يشك فى أن « قنتير » هى « بر رعمسيس » ؛ ونظريته هى أن مدينة « بر رعمسيس » هى نفس « تانيس »(٢) . وسنتناول الحديث عن هذا الموضوع تفصيلا عند الكلام على عاصمة « رعمسيس الثانى » فى الدلتا .

« كوم الشيخ رازق » : وفى « كوم الشيخ رازق » وهو موقع قديم فى مديرية الشرقية بين « أبو كبير » و « فاقوس » ، عثر الأثرى « إدجار » على قطعتين من الحجر الجيرى نقش عليهما اسم « سيتى الأوّل » ويقول : " إنهما يدلان على موقع

(١) راجع : A. S., XXX, p. 31

(٢) راجع : Gardiner Onomastica II, 173 & 278

مكان قديم أقامه هذا الفرعون، وقد نقش عليهما المتن التالى " : " ملك الوجه القبلى والوجه البحرى سيد الأرضين « من ماعت رع » بن « رع »رب التيجان « سيتى مرنبتاح» معطى الحياة ثم الإله الطيب « الذى يجعل الأرضين فى عيد تام» (راجع A. S., XIII, (1913) p. 279)

وكذلك وجد « ناڤيل » بقايا مبانٍ « لسيتى الأول » فى هذه البقعة وتشمل قطعا من الأحجار عليها طغراء هذا الفرعون المزدوجة (١).

«تانيس» : يوجد فى متحف « ڤينا » مائدة قربان من حجر الكوارتس يظنّ أنها من « تانيس » ، ونقوش الإهداء التى عليها هى : " يعيش الإله الطيب حاكم «هليو بوليس»رب الأرضين «من ماعت رع» ، لقد أقام هذا أثرا له لوالده ... رب « حت وعرت » (تانيس) فصنع له مائدة قربان من حجر الكوارتس الأحمر الجديد ، وصانعه هو «ابن رع»" . ويلاحظ أن اسم الإله الذى أهدى له هذا الأثر هو الإله « ست » ، وقد محى اسمه قصدا فى كل مكان فى النقش ، كما محيت صورته أيضا أينما وجدت فى تركيب اسم الملك «سيتى» ، فإذا كان هذا الزعم صحيحا كان هذا الأثر هو الوحيد الذى عثر عليه مهدى من « سيتى الأول » لإله مسقط رأسه المحلى « ست » (٢) .

«تل اليهودية» : نموذج معبد « هليو بوليس » .

وجد فى « تل اليهودية» أثر غريب للملك «سيتى الأول» فى عام ١٨٧٥م ، وهو قطعة حجر كانت قاعدة لنموذج معبد ، والظاهر أن هذا النموذج نقل عن أصل معبد « عين شمس » الذى أقامه « سيتى الأول » ، وهذه القاعدة من الحجر الرملى الخشن ، وأبعادها هى ٣٤,٥ × ٤٤,٥ × ٩,٥ بوصة ، وقد نقشت على جوانبها الثلاثة مناظر يظهر فيها «سيتى الأول» يقدم القرابين المختلفة لآلهة « هليو بوليس » ، وعلى الجانب العلوى يمكن رؤية الحفر التى كانت تثبت فيها أجزاء هذا المعبد

---

(١) راجع : Naville, Goshen pl. 9. d.
(٢) راجع : Rec. Trav. XII, p. 4 - 6

وملحقاته ، وهذه كانت مصنوعة من المواد الثمينة ، وقد اختفت بطبيعة الحال ، والنقوش التى على جانبى القاعدة من اليمين ومن اليسار هى : " لقد صنعه أثرا لوالده «رع آتوم خبرى» فأقام قدس أقداس له فاخرا يشبه أفق السماء ، وهو مأوى الأفقين الذى يثوى فيه أرباب «هليو بوليس» مثل «آتوم» فى السماء ... الإله الطيب الذى يقيم الآثار لوالده «رع حور اختى» ، فأقام له فى المعبد المصنوع من الحجر الرملى الأحمر الجيد بوابتين من الحجر الأبيض الثمين ، وأبوابا من البرنز وعمودين للأعلام من حجر «مسدت» لأجل العقب ، ومسلتين من البازلت الأسود ، وهو مؤسس فى «هليو بوليس» أفق السماء ، وقد ابتهج أرواح «هليو بوليس» عند رؤيته" (١) . والمواد المذكورة فى المتن تشير بطبيعة الحال إلى النموذج لأنها لم تستعمل قط كلها على ما نعلم فى إقامة معبد حقيق ، وهذا النموذج لم يكن فى الواقع من عمل مهندس بناء قصد تنفيذه ، بل يحتمل أنه كان يستخدم فى أغراض دينية فى معبد حقيق كما كانت تستعمل نماذج المعابد التى كانت تقدّم للآلهة والملوك ، أو كما كانت تعمل بيوت الأرواح للأفراد (٢) لتنقلب إلى صورتها الحقيقية بقراءة تعويذة سحرية خاصة بذلك .

« هليو بوليس » : يظهر مما لدينا من الآثار الباقية أن «هليو بوليس» قد أعيد معظم مبانيها فى عهد « سيتى الأول » (٣) ، ولكن مما يؤسف له جدّ الأسف ، أن هذه المدينة قد أصابها من التهديم والتخريب أكثر مما أصاب أى بلدة مصرية عظيمة ، ولذلك لم يبق لنا إلا بعض دمن ضئيلة تدل على ما كانت عليه من عظمة ونخار فى عصورها القديمة المختلفة ، فنعلم مثلا من ورقة « رولن » أن مدينة «هليو بوليس» كانت إحدى عواصم البلاد ، وأن «سيتى الأول» كان له قصر فيها يسكنه هو وحاشيته أحيانا (راجع Pleyte Rollin Papyrus 13.) .

مسلة «هليو بوليس» : قفا «سيتى الأول» تقاليد أجداده العظماء ، فأقام — على ما وصلت إليه معلوماتنا — مسلة فى «هليو بوليس» ، والظاهر أنه أقام غيرها ،

---

(١) راجع : Br. A. R., III, § 246

(٢) راجع : Br. A. R., Ibid.

(٣) راجع : Petrie History III, p. 118.

لأنّ « رعمسيس الثانى » يحدّثنا بأن والده قد ملأ «عين شمس» بالمسلات، وهذه المسلة نقلت إلى «روما»، وهى منصوبة الآن فى ميدان «بيازا — دل — بو بولو»، والظاهر أنها من أواخر الآثار التى أقامها، لأنه مات قبل أن يبدأ نقشها، وقد قام بهذا العمل ابنــه « رعمسيس الثانى » الذى حفظ لنفسه إحدى واجهاتها ودوّن عليها مافعله، أما النقوش فهى :

(١) الواجهة الشمالية : [ألقاب الفرعون] «سيتى الأوّل» صاحب الآثار الجميلة فى «عين شمس» مكان الأبدية مثل عمد السماء الأربعة مخلدة وباقية فى ردهة «رع» الأمامية، وتاسوع الآلهة مرتاحون لأعماله لبيت «ابن رع سيتى مرنبتاح» محبوب آلهة «هليو بوليس»، ليته يعيش مثل «رع».

(٢) الواجهة الجنوبية : [ألقــاب الفرعون] « سيتى الأوّل » الذى زين « هليو بوليس » لسكانها، والذى طهرها « لرع » ربها، وأرباب السماء والأرض يبتهجون، وحظوته قد تضاعفت بسبب أعماله العظيمة . ليت ابن الشمس « سيتى مرنبتاح » محبوب « حــورأختى » يعيش بوساطته مثل « رع » .

(٣) الواجهة الغربية : ...... « سيتى الأوّل » الذى ملأ « هليو بوليس » بمسلاته المضيئة بالأشــعة، و بيت « رع » قد غمر بجماله، وآلهــة البيت العظيم فرحون به، ليت « ابن رع » « سيتى مرنبتاح » محبوب التاسوع الذين فى البيت العظيم يعطى الحياة بوساطته (أى رع) .

(٤) الواجهة الشرقية : [ألقاب الفرعون] «رعمسيس الثانى» الذى أقام آثاره مثل نجوم السماء، وأعماله تناطح القبة الزرقاء . مبتهجا بما يشرق عليه «رع» فى بيت ملايين السنين، وإن جلالته هو الذى جمل هذا الأثر بالنقوش لوالده ليجعل اسمه يبقى فى بيت «رع» . ليت «رعمسيس الثانى» محبوب « آمون » ومحبوب « آتوم »، ورب « هليو بوليس » يعطى الحياة بوساطته (أى رع) .(١)

ولدينا نقش فى « أسوان» مؤرّخ بالسنة التاسعة من عهد «سيتى الأوّل» دون تذكارا لحمــلة أرسلت للحاجر هناك للحصــول على جرانيت لعمل مسلات وتماثيل ضخمة، والجزء الأعلى من هذه اللوحة المنقورة فى الصخر يظهر فيه « سيتى الأوّل »

---

١) راجع : Br. A. R. III § 545 ff.

مقدّما قربانا للآلهة « خنوم » و « ساتت » و « عنقت » ، وفى الجزء الأسفل نقرأ المتن التالى : " السنة التاسعة فى عهد جلالة « سيتى الأوّل » [هنا تأتى ألقابه العادية] ، وقد أمر جلالته — له الحياة والفلاح والصحة — بإنجاز أعمال عدّة لصنع مسلات عظيمة جدا ، وتماثيل ضخمة مدهشة باسم جلالته ... ... " .

هذا بالإضافة إلى نقش آخر فى نفس البقعة ولكنه مهشم ، والنسخة التى وصلتنا من « لبسيوس » محشوّة بالأخطاء ومؤرّخة بالسنة التاسعة وتبتدئ هكذا (٢) :

" إن جلالته — له الحياة والسعادة والصحة — قد أمر بعمل مسلات عظيمة لمصر ، ثم وجد جلالته ... ... " . وقد ضاع الجزء الباقى من هذا النقش بكل أسف ، ويحتمل ألا نعرف ما كان عليه قط .

عارضة باب من «هليوبوليس» : يوجد الآن بمتحف «الإسكندرية» عارضة باب من الحجر الرملى الأصفر ، وهى بلا شك من المبانى التى أقامها « سيتى الأوّل » فى « هليــوبوليس » كما تدل على ذلك النقوش التى عليهــا ، فعــلى أحد وجوهها أربعــة مناظر وضعت فى أربعــة صفوف بعضها فوق بعض ، فنشاهد فى الصف الأعلى إلها ممسكا بيــده علامة الحياة ومتجها نحو « سيتى » ويقول : " خذ لنفسك الحياة بأنفك " ، وفوق هذا المنظر عقاب يحلق . وفى الصف الثانى يرى الإله « آتوم » رب الأرضين فى « هليوبوليس » ممسكا بيــده الفرعون ، ومقدّما علامة الحيــاة لخيشومه قائلا : " خذ الحياة بأنفك " . وفى الصف الأسفل يشاهد تمثال « بولهول » برأس إنسان يجثم على قاعدة ، ويحلق فوق رأسه عقاب ولم يبق من النقوش التى تصحبه إلا بعض كلمات لا تؤدّى معنى مفهوما .

أما الوجه الثانى للعارضة فمنقوش عليه المتن التالى فى ثلاثة أسطر وهو :

(١) «حور» الثور القوى ، الظاهر فى « طيبة » ، ومنعش الأرضين ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «من ماعت رع » محبوب «آتوم» رب الأرضين فى «هليو بوليس» ، الإله العظيم ، سيد البيت الكبير ، معطى الحياة والثبات والسعادة مثل « رع » أبديا .

---

(١) راجع : Br. A. R. III 201 (٢) راجع : L. D. III, pl. 141, i

(٢) محبوب الإلهتين، مجدّد التوالد، صاحب السيف البتار، وقامع الأقواس التسعة، ابن الشمس «سيتى مرنبتاح» محبوب الإله «شو» والإلهة «تفنوت». ولقد أقامه أثرا لوالده «آتوم» رب «هليوبليس».

(٣) أقام له بابا من الحجر الرملى، وأبوابه من خشب الصنوبر المصفح بـ ... ومؤسسا بوصفه عملا سرمديا، وهو الذى عمله لجلالته لأنه كان يرغب كثيرا ... لأرواح «عين شمس»[١].

مائدة قربان من «هليو بوليس»: عثر على مائدة قربان من الجرانيت مبنية فى جدار أحد البيوت بعطفة «البرقدار» بالقرب من «بوّابة الفتوح»، وتدل نقوشها على أنها من «عين شمس»، وقد مثل عليها منظران يظهر فيهما «سيتى الأوّل» يقدم إناءين للإله «آتوم خبر» الذى أوجد نفسه، هذا بالاضافة للنقش التالى:

"الإله الطيب البارّ بوالده عظيم الآثار ... ابن «آتوم» عالى العرش (؟) ومن جماله صوّر أرواح «هليو بوليس» (الملوك القدامى) ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «من ماعت رع» (إوعو رع) ابن الشمس رب التيجان «سيتى مرنبتاح» محبوب «بتاح» ومحبوب «آتوم خبرى» خالق نفسه معطى الحياة مثل «رع» مخلدا".

"الإله الطيب ابن آتوم صاحب التاجين وجلالة «خبرى» والذى خرج من البذرة الفاخرة لثور «هليو بوليس» ملك الوجه القبلى والوجه البحرى حاكم الأقواس التسعة، ورب الأرضين «من ماعت رع» (إوعو رع) ابن الشمس، رب التيجان «سيتى مرنبتاح» محبوب «آتوم» (خالق نفسه) معطى الحياة مثل «رع»".

ويعتقد «كمال باشا» أن هذه المائدة قد جىء بها من مدينة «هليو بوليس» المقدسة ومعها آثار أخرى فى زمن «بهاء الدين يوسف» حوالى عام ١١٧٥ م. وفى تلك المدّة كانت الآثار المصرية مستعملة محاجر لبناء العمائر الجديدة التى زين «بهاء الدين» هذا بها عاصمة البلاد (القاهرة)[٢]، وفى متحف «برلين» عمود مثمن الأضلاع من بناء فى «هليو بوليس» أقامه «سيتى الأوّل»[٣]، والنقوش التى عليه تحدّثنا عن «سيتى» بأنه محبوب «آتوم» سيد «هليو بوليس» ومحبوب «رع حوراختى» سيد

---

(١) راجع: A. S. V., p. 120-1; Br. A. R., III, § 245

(٢) راجع: A. S., II, p. 95

(٣) راجع: Inschrift. Mus. Berlin II, p. 322

السماء . وقد نقش على جانبين منه صورة «بولهول» ولكنها غريبة فى بابها . إذ مثل جالسا على مؤخرته ورافعا إحدى ذراعيه التى على هيئة ذراع الآدمى فى صورة تضرع ، والظاهر أنه يمثل الملك الذى ظهرت طغراؤه أسفل منه .

ويلاحظ أن صورة الإله « ست » التى كانت فى الطغراءات التى تحتوى اسم « سيتى » قد محيت عمدا .

وفى متحف «بروكسل» قطعة حجر من الجرانيت الأزرق الرمادى نقش عليها مناظر الاحتفال بتتويج « سيتى الأول » (١) .

ويشاهد حفل التتويج والتقديس بالإناء « حس » يقوم به الإلهـان «حور» و « ست » على التوالى ، والنقوش تحتـوى على لقب « سيتى » المبكر وهـو « من ماعت رع إوعو رع » (٢) ، ويظهر الفرعون على جانبى المجموعة الرئيسية مقدّما إناءين للإله « آتوم » وعطورا للإله « حور » .

« الجـيزة » : سار «سيتى الأول» على نهج عظماء ملوك الأسرة الثامنة عشرة فى الحج إلى معبد «بولهول » ، فقام بزيارة رسمية لهذا التمثال العظيم الرابض فى صحراء الجيزة حاجا بيته ، وكذلك ليتمتع بصيد الأسود فى الصحراء المجاورة ، وكانت هذه عادة محببة لملوك هذه الدولة ، وقـد خلف لنـا وراءه برهانا محسا على انتجاعه تلك البقعة ، فأقام هناك لوحة من الحجر الجيرى الأبيض أهداها «لبولهول» فى مقصورة صغيرة ضمن المعبد المقام من اللبن الذى أسسه « أمنحتب الثانى » وفاء لنذر نذره وهو لا يزال يافعا قبل تولى العرش للإله « بولهول » . ومما يؤسف له أن اللوحة التى أقامها « سيتى الأول » قد تآكل جزؤها العـلوى كثيرا ، غير أنه لم يزل بهـا بقايا صورة « بولهـول » رابضا تحت جناحى الإله « حـور بحدتى » الخفاقين ، أما الجزء الأوسط من اللوحة فلم يزل على حالة حفظ لا بأس بهـا ، وقد مثل عليه

---

(١) راجع : Speelers Inscrip Egyp. Musée Bruxcelles p. 46

(٢) راجع : Seele. The Coregency of Ramses II, with Seti I, p. 29

منظر طراد يظهر فيه « سيتى الأول » واقفا على قدميه على الأديم ، ومفوّقا سهمه على قطيع من حيوان الصحراء المنوّعة . ويرى أسد ذو معرفة كثيفة ووعل قد صرعا أمامه ، والسهام الدامية نافذة فى جسميهما . ويرى فى هذا المشهد لبؤة ملتفتة وموليّة الأدبار ، ولكن سهام الفرعون القاتلة قد أصابتها فى الكتف والبطن .

ويرتدى الفرعون هنا على رأسه شعرا مستعارا قصيرا وقميصا قصيرا أيضا ، وكان يستعمل فى طراده القوس الطويل ، ويقف جانبا مصوّبا سهامه نحو الهدف ، شادّا خيط قوسه إلى الخلف حتى الأذن ، وهذه الوقفة تهيئ الإصابة لسهم أطول بكثير وأعظم خطرا عن المعتاد ، غير أنها تستلزم قوسا أقوى وبأسا أشدّ من جانب الرامى . ويشاهد خلف الملك علامة الحياة ☥ لها ذراعان وساقان بشرية وتحمل صولجانا فقد أعلاه بفعل التعرية فى الحجر ، ومن المحتمل أنه كان مروحة ، ونقش فوق الفرعون : " معطى الحياة مثل « رع » مخلدا " ووراءه " معطى كل الحياة والثبات والسعادة خلفه مخلدا " ودوّن بين الملك والحيوانات سبعة أسطر أفقية وهى :

"يذهب جلالته ليضىء مثل «رع» عندما يشرق فى السماء . والآن لمح أسدا متوحشا عظيما مثلما يلمح الصقر المقدّس هدهدا فامتحن القوس ؛ ثم أخذ سهام «مونتو» (إله الحرب) وقوس «باستت» (إلهة القوة) فأردى الأسد فى لحظة لأنه « رع » محبوب والده « آمون » . وقد عمل ذلك حقا أمام رجال القصر ، وعندئذ هللوا لرب الأرضين ، ووصلت أصواتهم إلى عنان السماء " .

وفى الجزء الأسفل من اللوحة نقش مهشم بعض الشىء ، إذ قد ضاع منها جزء كما فقدت بداية الأسطر العمودية أيضا ، وهاك ما تبقى منها :

" ... معطى الحياة للأرضين ملك الوجه القبلى والوجه البحرى مجدّد التوالد قوى السيف وهازم الأقواس التسعة «حور» الذهبى مجدّد المظاهر قوى الأقواس فى كل الأرضين ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «ابن رع» رب التيجان «سيتى مرنبتاح» معطى الحياة مخلدا مثل «رع» ، لقد أقامها (أى اللوحة) أثرا له ليقدّمه لوالده « حول » (اسم بو الهول الكبير الرابض فى الجيزة ، ومن ثم أخذ الاسم الحديث أبو الهول) «حورم اخت» وقد عمل ... وقد خرج ليعلى من شأن الأماكن التى يتعبد فيها الشعب للإله الطيب القوى الشجاع على الخيل عندما يحارب مئات الآف ... وجنوده ومن يفتح بسيفه

و يصبح فى مقدمة الخيالة ... كل الأراضى الأجنبية الآتى ... القوى الشجاع القلب ... فى وسط الجنود وجميل فى مقدمتهم مثل « آمون رع » عندما يشرق فى السماء ... على رأس الموقعة فى كل بلد أجنبى ... الثوار . والذى يقهر ... جنود الماهر فى شدّ قوسه ، ومن يرغم الأسيويين على التقهقر بقوة والده « آمون » الذى يكتب له النصر" .

وهذه اللوحة على وجه خاص لها أهمية ممتازة لأنها الأثر الوحيد — الذى فى متناولنا — يصف « سيتى » فى صورة رجل رياضى ، ويشير إلى طرحه أعباء الحكم جانبا والتفرغ لنفسه ، وعلى الرغم من أن « سيتى » يقول إنه أردى أسدا فعلا بسهامه — وليس لدينا سبب يدعو إلى الشك فيما قاله — فإن مايدعو إلى الريبة هو أنه قام بهذا الطراد لا حبا فى الصيد بل تمسكا على مايظهر بالتقليد القديم الذى كان مرعيا فى عهد أباطرة الأسرة الثامنة عشرة العظام كما أسلفنا . وقد قام « سيتى الأول » غير هذه اللوحة بإضافات أخرى فى المعبد ، إذ أنه أضاف بعض حجرات فى الجزء الأمامى من هذا المبنى ، وكذلك فى المدخل الرئيسى مستعملا نفس الطراز أو نفس المادة التى استعملت فى الأصل ، أى أنه أقام الجدران من اللبن ، أما الأبواب والعتب فمن الحجر الجيرى الأبيض الجميل المزين بالمناظر والنصوص ، وقد نقش على الباب المؤدّى للقاعة الجنوبية الغربية من هذا المعبد مايأتى : — "... « من ماعت رع » معطى الحياة مخلدا ، وابن «رع» رب التيجان « سيتى مرنبتاح » لقد صنعه أثرا له ليقدمه لوالده « حول » حور الثور القوى الذى يبقى الحياة فى الأرضين ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ، سيد الأرضين « من ماعت رع » ، معطى الحياة" ثم : "يعيش الإله الطيب سيد الأسلحة ومن يطأ مئات الآلاف ، والأسد المحارب على قدميه ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ، رب الأرضين « من ماعت رع » ولقد صنعه أثرا ليقدمه لوالده « حور اختى » " . وقد اغتصب « مرنبتاح » حفيد « سيتى » فيما بعد جزءا من المدخل الرئيسى ونقشه باسمه وهو مصنوع من الحجر الجيرى الأبيض الجميل النقش .

وقد مثل كل من « سيتى الأول » والإله « حورا ختى » سويا على سمك عارضة الباب الأيمن ، ويلاحظ أن الملك يضم الإله بحب وحنان والأخير يقدّم بيده

صورة الحياة لوجه « سيتى » . ولما كان هـذا الأثر واقعا فى الجزء الخارج من المبنى نحته المثال بالحفر الغائر الجميل الصنع كما هى العادة ، وكذلك نرى أن صورة كل من الإله والفرعون قد نحتت نحتا جميلا فى وضع قوى يملأ العين والمشاعر ، وفوق رأسيهما نقرأ بقية نقش ذكر فيه اسم الملك الذى نعت : بمحبوب «حوراختى» .

ولدينا لوحة كذلك من عهد « سيتى الأوّل » لموظف قدّمها لتمثال «بولهول» العظيم ، ونشاهد عليها الفرعون يقدّم الشراب « لبولهول » الذى يسمى هنا « حول حور أم أخت » ، وأسفل هذا المنظر نشاهد مهدى اللوحة المسمى « حات تى » يحمل لقب رئيس وزراء رب الأرضين ، وهو راكع تعبدا ، وهذا الأثر الذى كشف عنه فى الحفائر التى قمت بها فى منطقة « بولهول » عام ١٩٣٦ — ١٩٣٧ م يحتمل أنه عمل تذكارا لمصاحبة « حات تى » وزير « سيتى » لسيده عندما قام برحلة الحج لتمثال « بولهول » .

«منف» : على أن «سيتى الأوّل» لم يحرم مدينة «منف» العظيمة إقامة آثار له فيها ، فقد عثر على لوحة فى مجموعة « بوزنو » (Tablet No. 8) [(١)] نقش عليها اسم المحراب الذى أقامه «سيتى» هناك ، وكذلك وجدت طغراءاته على لوحة من الحجر فى « منف » [(٢)] كما نقرأ فى نقوش « العرابة » الكبيرة أن « رعمسيس الثانى » يدّعى أنه نحت تمثالا لوالده «سيتى» فى «طيبة» وآخر فى «منف» وأهداهما إليه فى المعبد الذى أقامه «سيتى» هناك [(٣)] .

ووجدت قطع [(٤)] من ودائع أساس باسم « سيتى الأوّل » فى معبد « بتاح » ، وقد نقش عليها اسم المعبد ، وقد نقش اسم المعبد على جعران عثر عليه فى « ميت رهينة » كما يأتى : " البيت المقدّس الفاخر ، سيتى مرنبتاح فى بيت بتاح [(٥)] " .

(١) راجع : Petrie History of Egypt III, p. 7

(٢) راجع : Prokesch Von Osten Nil Fahrt p. 272

(٣) راجع : Br. A. R. III § 261

(٤) راجع : Brugsch Thesaurus p. 1223

(٥) راجع : Gauth. Dic. Géogr. IV, 92

«سقارة» : وفى «سقارة» عثر على مقصورة لأحد عجول «أبيس» ، وأجزاء من معداتها نقش عليها اسم « سيتى الأول » مما يدل على أن هذا الفرعون كان يعظم ثور « منف » المقدس (راجع Porter and Moss III, p. 206) .

« الفيوم » : ولدينا لوحة من « الفيوم » مؤرخة بالسنة الثانية من حكم « سيتى الأول » وهى دليل على أنه وجه عنايته أو ذهب إلى هذا الإقليم ، ونعلم من ورقة «رولن» أن «سيتى الأول» أمضى جزءا كبيرا من سنته الثانية من سنى حكمه فى النزهة فى الدلتا ، ويظهر أنه لا بد من ضم الفيوم إلى الأماكن التى زارها فى هذه السياحة أيضا ، واللوحة مستديرة من أعلى . ويشاهد الفرعون مصورا عليها لابسا تاج الوجه القبلى وأمامه النقش التالى : " الجنوب الغربى من بيت «سبك شدتى» شمالى شاطىء النهر، وشرقى البيت العظيم (له الحياة والفلاح والصحة) تأمل ... وفوق ذلك نقش: " السنة الثانية فى عهد جلالة ملك الوجهين القبلى والبحرى « من ماعت رع » ابن الشمس « سيتى مرنبتاح » معطى الحياة أبدا ، أمر جلالته أن تدون هذه الكتابة » . والظاهر أن هذا النقش كما تدل الشواهد هو لوحة الحدود لتعيين حدود نقطة ما من الأرض . (راجع Rec. Trav. XIV, p. 38) .

نقوش « سيتى الأول » فى « سبيوس أرتميدوس » (اسطبل عنتر)

يقع المعبد الصغير الذى أطلق عليه اليونان « سبيوس أرتميدوس » وسماه المصريون المحدثون « اسطبل عنتر » على مسافة ميل جنوبى مقابر « بنى حسن » المنسوبة للدولة الوسطى (راجع ج ٤ ص ٣٧٤) . وهذا المعبد أو المحراب منحوت فى الصخر، وتاريخه لا يمكن القطع به على وجه التأكيد، ولكن يبدو أنه كان فى الأصل من عمل الملكة « حتشبسوت » وأن « سيتى الأول » قد أصلحه فيما بعد ، وأضاف على جدرانه متونا خاصة به ، وليس فى استطاعتنا أن نجزم إن كانت إصلاحاته مجرد اغتصاب مناظر نقشتها « حتشبسوت » بعد إصلاح ما أفسده الدهر ، أو أن هناك ملوكا سابقين قد غيروا أو أتلفوا هذا الأثر ، إذ لم نعثر فى الواقع على محو اسم «آمون» . ومن المحتمل إذا أن معبد «سبيوس أرتميدوس»

كان قد أهمل كلية فى عهـد « اخناتون » أو أخطأه نظر المكلفين بتخريب آثار « آمون » . وكان من الطبعى أن نجد المتون الخاصة «بحتشبسوت» كلها قد غيرت باسم « تحتمس الثـالث » لأن ذلك هو ما حدث فى المعبـد الصغير الذى نحتـه فى « بطن البقـرة » حيث يشاهد اسم « تحتمس الثالث » على العمد ، غير أنه لا يمكن البرهنة على صحة ذلك ، والواقع أننا لا نجد لقب « تحتمس الثالث » وهو « منخبر رع » فى أى مكان على الجدار الجنوبى من المتز، فمن المحتمل إذا — وليس مؤكدا — أن « تحتمس الثالث » لم يغير متون « حتشبسوت » وأن « سيتى الأول » قـد قام بإصلاحات أصلية كما يتضح من النقوش ، فضلا عن اغتصابه هـذا الأثر، ولهذا يعتقد أن هذا المعبد كان قد هجـر وعفت الأيام على دمنه قبل توليه العرش .

واسم الوادى الذى يقـع فيه هذا المعبد (اسطبل عنتر) يسمى « سرو » على حسب أحدث البحوث[١] . أما المعبـد نفسه فكان يشار إليـه فى النقوش بالعبارة التـالية : " معبدها (أى الإلهة «بخت») فى الوادى الوعر" و « بخت » إلهـة بجسم لبؤة ورأس قطة .

والواقع أن المتون الأصليـة التى نقشتها « حتشبسوت » قد أصلحها « سيتى الأول » فى أماكن كثيرة، ولم يكتف بتجديد الأجزاء الناقصة من المتن وحسب، بل كذلك أعاد اسم الملكة على الرغم من أنها لم تكن ملكة شرعيـة فى نظره ، فقد رأينا أنه أسقط اسمها من قائمة الفراعنة التى نقشها على جدران «معبد العرابة» كما سلف. ولكن نشاهد من جهة أخرى أن «سيتى» قد استغل بعض جدران هذا المعبد لنقش المتون الخاصة به شخصيا، ولم يقم مع ذلك بأى مجهـود لاغتصاب أعمـال « حتشبسوت» عندما كان يجد سبيلا لإصلاحها، ومن الجائز إذا أن المساحات التى استعملها « سـيتى » لنقش متونه الشخصية كانت نقوشها لا يرجى إصلاحها

(١) راجع : J. E. A. Vol. 33, p. 13

قط . ومتون « حتشبسوت » هى خطابات على لسان الإله « آمون » يؤكد فيها أن « حتشبسوت » كانت ابنته، والوارثة الشرعية لملك مصر .

وعلى الجدار الداخلى من الممر الجنوبى من المدخل الرئيسى نقرأ متن إهداء « لسيتى الأول» (١) وهو: « يعيش « حور » طو يلا الثور القوى الذى ينعش الأرضين ، والمنسوب للسيدتين صاحبتى البأس العظيم جدا ، ومن يقهر الأقواس التسعة ، حور الذهبى ، الكثير الرماة فى الأراضى كلها ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ، نسل الآلهة ، وصورة « رع » وابن « آمون » رب الأرضين « من ماعت رع » بن « رع » ، والذى يهدئ الآلهة « سيتى مرنبتاح » ، لقد أقام هذا بمثابة أثر منه لأمه « بخت » العظيمة سيدة « سرو » فى معبدها فى الوادى الوعر الذى نحتته بنفسها مثل « رع » (٢) ، وتستمر النقوش على يمين الباب : ''يعيش «حور» طو يلا الثور القوى منعش الأرضين ، والمنسوب للسيدتين صاحبتى البأس الشديد جدا ، ومن يقهر الأقواس التسعة حور الذهبى الكثير الرماة فى الأراضى كلها ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ، ومن يقبض على تاج الوجه القبلى وسيد الأرضين «من ماعت رع» ابن «رع» ، ومن يهدئ الآلهة «سيتى مرنبتاح» . لقد أقام هذا بمثابة أثر منه لوالدته «بخت» العظيمة سيدة « سرو » فى معبدها فى الوادى الوعر ، وهو الذى نحتته بنفسها ، مثل رع مخلدا وسرمديا '' .

أما متن الإهداء الكبير فقد نقشه «سيتى» على الجدار الأيسر من الجزء الخارجى من الممر القصير المؤدى للحراب ، وهاك النص :

التاريخ : السنة الأولى ''بداية الأبدية وفاتحة الخلود ، والاحتفال بملايين الأعياد الثلاثينية ، ومئات آلاف السنين التى يسودها السلام ، وأبدية «رع» فى السماء وملكية «آتوم» على الأرض '' .

ألقاب «سيتى» : ''حور الثور القوى الذى يجعل الأرضين تنتعشان ، والمنسوب للسيدتين صاحبتى البأس الشديد جدا ، ومن يقهر الأقواس التسعة « حور» الذهبى الكثير الرماة فى الأراضى كلها ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ، وسيد الأرضين «من ماعت رع» ابن «رع» «سيتى مرنبتاح» معطى الحياة مخلدا وسرمديا ، محبوب « آمون رع » ملك الآلهة ... ... المشرق على عرش « حور » الأحياء مثل والده « رع » يوميا '' .

---

(١) راجع : J. E. A., Vol. 33. p. 21

(٢) ولا بد أن هذه العبارة تشير إلى أسطورة عزى فيها لهـذه الإلهة أنها نحتت المعبد أو الوادى ، ومن الجائز أن هذه الخرافة لها علاقة باسم الوادى الذى كتب بعلامة التل والسكين دلالة على حفر المعبد بالسكين (راجع J. E. A., Ibid. p. 15) .

مقدمة : "والآن كان جلالتـه فى بلدة « حت كا بتـاح » (منف) يعمل ما يرضى والده « آمون رع » رب عروش الأرضين ، والمـبرز فى الكرنك (ابت إسـوت) و « آتوم » رب الأرضين فى «هليو بوليس» و «رع حور اختى» و«بتاح»العظيم القاطن جنوبى جداره وسيد«غنخ تاوى »(حى من أحياء « منف ») والإلهة «بخت» العظيمة سيدة «سرو» وسيدة السماء ، والساحرة وكل آلهة وإلهات مصر بقدرما يقدمون له بقاء « رع » ، وملك « آتوم » ، وكل أرض منخفضة ، وكل أرض جبلية قد سقطت تحت قدميه سرمديا ".

إطراء الفرعون : "الإله الطيب ابن « باستت » وربيب الإلهة « سخمت » سيدة السماء ، وبيضة « رع » ، والذى ولدته «بخت» ، ومن ربته الساحرة ، والبذرة المقدّسة الخارجة من «آتوم» ، ومن هذبته « وازيت » ...... بعناية الملك اليقظ المحسن " .

وأسّ أولاد التاسوع كله .

ومن أقام المعابد ، ووسع المحاريب (التى غطيت بالتراب) .

ومن .... المعابد .

ومن جعل الصور المقدّسة تسكن محاريبها .

ومادّ مائدة القربان العظيمة بالقرب يوميا .

.... القربان المقدّسة ....

والذى أعلى لهم الآثار طبقا للقانون وجعلها أكثر عددا مما كانت عليه قبلا ، وأوانيها العدّة صيغت من الذهب والفضة والنحاس .

وقلائدهم (منت) مصوغة من الذهب والفضة .

ومخازنهم مملوءة بالحبوب .

وخزاناتها تحتوى على الثراء .

والعبيد قد تضاعفوا فى المعابد .

والمأجورون ....

والحقول والحدائق ... فى أماكنها اللائقة .

...... مزوّدة بالرجال الذين يضعون الأحجار فى أماكنها (؟) .

والمعابد قد مونت بفخامة .

دون أن يقال قط : "إذا كان لى فقط هناك" (1) .

---

(١) معنى هـذه العبارة : أن المعابد كانت مجهزة تماما حتى أصبح كل إنسان لا يشعر أنه فى حاجة إلى أى شىء فلا يقول : "إذا كان لى كذا وكذا رضيت " .

وذلك لأجل حياة وفلاح وصحة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى .

« من ماعت رع » ابن الشمس « سيتى مرنبتاح » معطى الحياة مخلدا وسرمديا .

... ...

والذى كافأته والدته بأعياد ثلاثينية وأعوام يسودها السلام .

وقد اتخذت مكانتها بين حاجبيه .

ومكانها هناك مدى بقاء السماء .

وعندما تمتد ذراعاها (للساعدة) .

تخضع له البلاد الأجنبية .

وتستولى له على قلوب الأقواس التسعة .

وإنه يضرب بدو السودان .

ويهزم اللوبيين (تحنو) .

ويضع حدوده حينما أراد .

... ...

بطل شجاع القلب فى ساحة القتال

ومخلاب الأسد الذى يقتل فى لمح البصر أمام كل الناس .

ولم ير مثله فى كل سجلات الأجداد .

والقصة لم تتناقل من فم إلى فم

إلا تشير إلى جلالته نفسه

... ... فى لمح البصر .

ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « من ماعت رع » .

ابن رع «سيتى مرنبتاح» محبوب « بخت » سيدة « سرو » .

إصلاح «سبيوس» (المعبد) : والآن بحث جلالته عما يفيد والدته «بخت» سيدة «سرو» لتجديد [... ... ... الخاص بالآلهة أسياد « سرو »] لأجل أن يجدد ما ينعشهم فى داخل معبدها ، فجدد جلالته معبدها وأغلق أبوابه على غرار المأوى العظيم لأجل أرباب « سرو » .

الإلهة « بخت » تحدث للإله « تحوت » : وتحدثت « بخت » سيدة « سرو » إلى «تحوت» سيد الكلمات المقدسة : " تعال انظر إلى هذا الأثر العظيم جدا الخالد الذى أقامه لى ابنى المحبوب سيد الأرضين « من ماعت رع » على حسب ما أمرت به فى الأزل عندما قلت بفمك سيعتلى ابنى العرش

وسيمكث على السدة مخلدا ابن «رع» «سيتى مرنبتاح» . وإنه سيقيم آثارا للآلهة على حسب ما أمر به ملك الأبدية ، وسيشيد آثارا للإلهة «بخت» وسينحت تماثيل آلهة «سرو» ، وليته يفعل ما أمرت به يا ملك الأبدية امنحه كل الحياة والفلاح والفرح الذى ينبعث منك .

امنحه الأبدية مثل جلالتك وتلك السرمدية التى أنت فيها .

امنحه النصر تلو النصر مثل «مين» ... ... امنحه عظيم ... ... حى .

امنحه عظيم ... حتى يخدموه متحدين ؟ .

امنحه قطعانا عدة سليمة الجسم ، وكلأ وفيرا مثل وفرة الجراد .

امنحه نيلا عاليا بهجا بكل الخيرات .

امنحه أراضى فى سلام ... وقلبه فى كل مكان يرغب فيه .

واجعل كل الآلهة يتمكنون من بسط حمايتهم حوله بالحياة والثبات والسعادة على حسب صلاة ابنتك العظيمة دون حذف أى شىء قلته " .

جواب «تحوت» : " كلام «تحوت» رب الكلمات المقدسة ، ما أطيب كلماتك يا «بخت» ، يا سيدة «سرو» . إنى سأمكن ابنى رب الأرضين «من ماعت رع» ابن «رع» مرضى الآلهة ، رب التيجان «سيتى مرنبتاح» بوصفه ملك الخلود ، فى إقامة الآثار لأمه «بخت» العظيمة ، وسيدة «سرو» أبديا ، وإنه سيكون على رأس الأحياء كلهم مخلدا " .

«وادى الحمامات» : تدل النقوش التى عثر عليها فى إقليم «وادى الحمامات» ، على أن الملك «سيتى الأول» كان صاحب نشاط فى استغلال محاجر هذا الإقليم العظيمة لإقامة آثاره ، وقد كان آخر ملك قبل «سيتى» وجد اسمه منقوشا على صخور تلك الجهة ، هو الملك «اخناتون» الذى كان بلا شك يقطع الأحجار منها لبناء عاصمته الجديدة ، فنشاهد «سيتى» على لوحة منقوشة نقشا بديعا راكعا ، ومقدما إناء خمر للإله «آمون رع» الذى كان بدوره جالسا على العرش أمامه ، ويلاحظ أمام هذا الإله مائدة قربان صغيرة عليها طاقة أزهار ، وفوق الإله قرص الشمس يتدلى منه صلانّ يخرج منهما أشعة تنتهى بأيد بشرية ، وهذا الأثر بلا شك من أعمال «اخناتون» كما يوحى بذلك صراحة قرص «آتون» وأشعته الخاصة . ولا نزاع فى أن «سيتى» قد اغتصبه من «اخناتون» عمدا انتقاما وتشفيا منه ومن

معبوده ، وأضاف الصلّين لقرص « آتون » ، كما أضاف نقشا فوق المائدة وهو : " «آمون رع » حاكم « طيبة » ، رب السماء وسيد الأرض ". أما طاقة الأزهار والمائدة فقد نقشت على طغراءات « اخناتون » التى محيت قصدا ، وقد كان المعروف عن « سيتى الأول » أنه لم يخرّب أو يغتصب آثار أسلافه ، وهذا المثل الذى نحن بصدده يعدّ استثناء ارتكبه انتقاما للإله « آمون » من الرجل الذى سعى فى القضاء على ديانته ردحا من الزمن (١) ، وكذلك لدينا فى نفس الجهة نقش كبير يمثل « سيتى الأول » وهو يقدّم صورة العدالة للإله « مين » حامى الطرق الصحراوية . أما طغراء « سيتى » فهى « سيتى مرنبتاح (٢) » . هذا إلى نقش دقيق الصنع إلى حدّ بعيد يشاهد عليه صورة « سيتى الأول » يقدّم طاقة أزهار للإله « آمون رع » رب السماء (٣) .

«قفط» : الظاهر أنه لم يعثر «لسيتى الأول» على آثار فى «قفط» حتى الآن إلا قاعدة تمثال « بولهول » منحوت فى الحجر الرملى ، وقد ذكر لنا « بترى » هذا الأثر دون أية تفاصيل (٤) .

«المدمود» : تدل نتائج الحفائر التى قام بها «بيسون دى لاروك» فى «المدمود» على وجود معبد فى تلك الجهة كان قد بدأه « سيتى الأول » وأتمه ابنه «رعمسيس الثانى » ، وهذا المعبد — على ما يظهر — كانت مساحته عظيمة ، وأقيم من الحجر الرملى ، ولم يبق من البناء الأصلى إلا دمن ضئيلة تدل على آثاره ، فقد عثر على قطع ضخمة من الحجر عديدة عليها نقوش « لسيتى الأول » وقد وجدت مبنية فى أصل بوّابة الامبراطور «تيبريوس» الرومانى (Tiberius) ، وقد عثر كذلك فى كومة

(١) راجع : Couyat & Montet Les Inscrip. Hierog et Hierat. du Ouadi Hammamat p. 69. No. 94. pl. XXIII.
(٢) راجع : Ibid. p. 105. No. 213. pl. XLI.
(٣) راجع : Ibid. p. 105. No. 214. pl. XL
(٤) راجع : Petrie, Koptos p. 15

من الأتربة والمخلفات المحطمة الواقعة خارج سور المعبد المتأخر وعلى عمق سبعين سنتيمترا من مستوى رقعة المعبد البطليموسى على قاعدة تمثال من الجرانيت ، عليها نقوش خاصة «برعمسيس الأول» و «سيتى الأول» ، وكذلك عثر على قطع أخرى عليها طغراء الفرعون « سيتى الأول » فى داخل سور المعبد .

«طيبة» : ومن بين الآثار الصغيرة التى عثر عليها فى « طيبة » لوحة من الحجر الرملى مؤرخة بالسنة الأولى، وكان قد أهداها لمعبد « بتاح » ويشاهد فى أعلاها منظران : على الشمال نشاهد « سيتى » يقدّم خمرا « لآمون » و « موت » ، وعلى اليمين يقدّم صورة العدالة للإله « بتاح » ، وخلف الفرعون تقف الإلهة «حتحور» تعده ملايين السنين ومئات آلاف الأعياد الثلاثينية ، ثم يأتى بعد ذلك متن طويل تذكر فيه ألقاب الفرعون وصفاته ، وبطشه وجبروته على البلاد الأجنبية التى يأتى إليه أهلها محملين بجزيتهم على ظهورهم، وكذلك الأسرى الأحياء فيقودهم الملك بدوره إلى والده «آمون» وتاسوعه ليملئوا مخازنهم بالعبيد والإماء من كل بلد أجنبى، وبعد ذلك يذهب جلالته إلى المدينة الجنوبية (طيبة) ليقدّم شكره لوالده الإله «آمون» رب تيجان الأرضين جميعا والإله «بتاح» رب العدالة، القاطن فى « طيبة » و « حتحور » وكل الآلهة والإلهات الخ .

وقد وجد بين كنوز خبيئة الكرنك تمثاله الضخم الغريب المنحوت فى المرمر وهو الآن بالمتحف المصرى (انظر ص ١٤١) ، وقد ركب هذا التمثال من قطع متفرّقة ألصق بعضها ببعض بملاط ذى ألوان مناسبة لقطعه، وقد يكون السبب فى تعدّد أجزائه عدم استطاعة الحصول على قطعة واحدة من المرمر سليمة كبيرة الحجم وافية بالغرض، وعينا التمثال كانتا مرصعتين فى محجريهما غير أنهما فقدتا الآن، وقد كان يحيط

(١) راجع : Bisson De La Roque Fouilles de Medamoud (1925) p. 4. fig. 4, 45, 46; Ibid (1930) p. 28, 68, 69 fig. 46.

(٢) راجع : Legrain. Le Temple de Ptah Ris Anbouf dans Thebes A. S., III, p. 112, 113.



(٨) تمثال « سيتي الأول » من المرمر (بالمتحف المصري)

به إطار من الذهب قد نهب أيضا والتمثال بديع الصنع، ونوع الحجر — وبخاصة الجزء الذى يتألف منه الجسم — من أحسن أنواع المرمر . وقد نقش بالقرب من ساقه الأيسر المتن التالى على القاعدة : " الإله الطيب والروح العظيم للاله « آمون رع » وتمثاله اليقظ ... الخارج من صلبه ليعطيه النصر ، والذى يقتل الأعداء بقوة « حور » ، « وست » ، وقد عمل الآثار بقلب محب مثل الابن الذى يعمل كل صالح لمانحه ... وجدد ... الآلهة فى مساكنهم ، وضاعف تماثيلهم على الأرض وزاد ما كان أمامهم ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى رب الأرضين « من ماعت رع » ابن الشمس من صلبه « سيتى مرنبتاح » ... من المرمر النقى ليخلد اسمه فى بيت والده «آمون » الذى وهبه الأرض جميعا ، وإنه الملك رب الأرضين « من ماعت رع » الجالس على عرش « حور الأحياء » ... والأرض كلها والأراضى الأجنبية وفرح القلب كله والقوة كلها والنصر كله ... وتجديد شباب الملك (١) " .

«جبل سلسلة» : إن أهم أثر للفرعون «سيتى الأول» فى « سلسلة » هو لوحة مؤرخة بالسنة السادسة وقد دوّن عليها متن خاص بقطع الأحجار ، ويرى « سيتى » على الجزء الأعلى منها يقدم خمرا للإله « آمون رع » والإله « بتاح » ثم الى إلهه . وأسفل هذا المنظر المتن التالى : " السنة السادسة الشهر الرابع من الفصل الأول ، اليوم الأول من الشهر فى عهد جلالة «سيتى الأول» [تأتى بعد ذلك الألقاب الفرعونية مهشمة] فى هذا اليوم كان جلالته — له الحياة والسعادة والصحة — فى المدينة الجنوبية يقوم بالأحفال البهجة لوالده «آمون رع» ملك الآلهة ، وممضيا الليل يقظا طلبا فى عمل الخيرات للآلهة أرباب مصر ، وعندما أضاءت الأرض وطلع النهار أمر جلالته — له الحياة والفلاح والصحة — بإرسال مبعوث ملكى من قبل جلالته مع طائفة من الموظفين من رجال الجيش عددهم ألف نفس ... فى طوائف لنقل آثار والده «آمون رع أوزير» وتاسوعه المقدس من الحجر الرملى الجميل " .

جرايات الجنود : "وقد زاد جلالته — له الحياة والسعادة والصحة — ما كان يموّن به الجيش من عطور ولحم بقر وسمك وكذلك الخضر الوفيرة التى لا حصر لها ، وكان نصيب كل رجل منهم عشرين دبنا (أربعة أرطال) من الخبز يوميا ، وحزمتين من الخضر ، وشواء من اللحم ، وثوبين من الكتان شهريا ، ولذلك

(١) راجع : Legrain Stat. et Statuettes II, p. 1, pl. I

كانوا يشتغلون بقلب ملؤه الحب لجلالة الملك — له الحياة والفلاح والصحة — وكانت خططه سارة فى أفواه الناس الذين كانوا برفقة المبعوث الملكى لجلالته .

جراية رسول الملك وحاملى أعلامه : "كان ما لديه : الخبز الجيد ولحم البقر ، والخمر ، والزيت الحلو ، وزيت الزيتون ، والشحم ، والشهد والتين ، والسمك ، والخضر يوميا . وكذلك إكليل الفرعون الذى كان يدفع له من بيت الإله «سبك» رب «السلسلة» يوميا ، وكان يورّد عشرين ثوبا إلى مخزن حاملى أعلام جيشه أيضا (١) ... ... " .

ومما يلفت النظر أن النقوش تنتهى عادة بالجمل الاصطلاحية التقليدية التى تتبع اسم الفرعون ، غير أن هذا النقش كان من نوع آخر يدل على طبيعة الفرعون الطيبة التى رأيناها فيما سبق فى نقوش « وادى مياه » أو « وادى عباد » . ولسنا فى حاجة للتنويه عما جاء فى هذا المتن من حسن معاملة العمال وإطعامهم وكسائهم .

ولدينا أثر آخر فى «جبل سلسلة» من عهد «سيتى الأول» وهو نقش فى محراب مقطوع فى الصخر ، ومما يؤسف له أن ماء النهر أتلفه تقريبا ، وفيه نشاهد الفرعون يقدّم بخورا وقربانا للآلهة « منتو » و « آتوم » و « أنحور » و «تفنوت» و « جب » و « تحوت » و «نوت» (٢) .

«الكاب» : وفى «معبد الكاب» الكبير عثر على بعض قطع من الحجر عليها طغراء «سيتى الأول» مما يدل على أنه أقام بعض مبان هناك (راجع J. E. A., VIII, p. 37.) ، وفى سنة ١٩٣٧م عثرت البعثة البلچيكية على صورة أسد ضخمة قدّمه «سيتى الأول» للإله « حور » الذى يطرد الشر ، وقد عثر على مثل هذه الصورة فى معبد « أمنحتب الثالث » الصغير فى مدينة « الكاب » (٣) ووجدت قطع منقوش عليها اسم « سيتى الأول » مبنية فى أساس معبد داخل سور أو قلعة « الكاب » (٤) .

(١) راجع : Br. A. R., III, §§ 205 ff.

(٢) راجع : Porter & Moss V, p. 218

(٣) راجع : A. S., XXXIII, p. 639

(٤) راجع : Petrie Hist., III, p. 22; Neu Entdeckte Denkmaler Von Nubien an den Ufer des Nil (Stuttgart 1921-28) p. 13 .

«إلفنتين» : أقام «سيتى الأول» لوحة فى ركن من أركان أحد المعابد فى «إلفنتين» وقد نقل نقوشها «شامبليون» ، والظاهر أنها غطيت ثانية بالأتربة لأنها لم تكن ضمن اللوحات التى نسختها بعثة «دى مرجان» (١) ، والمنظر الذى فى أعلاها يظهر فيه «سيتى الأول» يتعبد للإلهين «خنوم» و «آمون رع» ، وفى الجزء الأسفل متن مؤلف من ثمانية عشر سطرا جاء فيه صلاة الفرعون للإله «خنـوم» والمتن مهشم جدا وأهم ما بقى منـه الجمل التاليـة : "... ... لقـد غمرت معبدك بقربانهم من المأكولات ... ... من الفضة والذهب واللازورد والتوتية ، وقد ملأت مخزنك ... ... ومنحتنى الجنوب وكذلك الشمال والغرب والشرق تحت موطئ قدمى". ويعتقد الأستاذ «برستد» أن هذه الجمل لا تعبر عن شىء حقيقى بل مجرد جمـل اصطلاحية (٢) ، ويقول «بترى» : إن هذه اللوحة مقامة فى معبد «خنوم» (٣) .

«أسوان» : لقد ذكرنا فيما سبق النقوش التى فى «أسوان» الخاصة بقطع المسلات والتماثيل ، من حجر الجرانيت ، وكذلك لدينا نقش آخر مهشم مؤرخ بالسنة التاسعة ويقع على الطريق القديمة بالقرب من «أسوان» ، والمنظر الذى عليه يظهر فيه «سيتى» أمام الإله «آمون» (٤) .

«كلبشه» : وفى بلدة «كلبشـه» نقش يظهر فيـه الملك «سيتى الأول» بين الإلهين «حـور» و «ست» كما هى الحـالة فى مناظر «هليوبوليس» و «الكرنك» (٥) .

«دكة» : عثر «أيزن لور» على بعض أحجار نقش عليها طغراء «سيتى الأول» فى معبد «دكة» وهى الآن بمتحف مدينة «هيدلبرج» بألمـانيا ، وذلك يبرهن على أنه أقام بعض المبانى فى هـذه البلدة نفسها (٦) .

---

(١) راجع : Champ. Notices Desc. I, 223 - 4. (٢) راجع : Br. A. R., III §, 204, Note 6. (٣) راجع : Petrie Hist., III, p. 8 (٤) راجع : L. D. Text IV (٥) راجع : L. D. III, 124 (٦) راجع : Weigall. Description of the Antiquities of Lower Nubia p. 85.

«أمدا» : أقام « سيتى الأول » معبدا صغيرا فى «أمدا» متصلا بالمعبد الكبير المهدى «لآمون رع» و «حور اختى» ، وقد جاء عليه النقش التالى : " لقد جدّد آثار والده ملك الوجه القبلى وملك الوجه البحرى « من ماعت رع » ابن الشمس « سيتى مرنبتاح » المحبوب من « حور اختى » و « آتوم » رب الأرضين فى « عين شمس »[(١)] " .

وكذلك أقام « سيتى الأول » فى معبد « أمدا » الكبير بوابة بين قاعة العمد والاستراحة[(٢)] ، كما أنجز إصلاحات فى المناظر القديمة والنقوش الخاصة بالإله « آمون رع » التى شوّهتها يد شيعة « إخناتون »[(٣)] .

كوبان (قوبان) : عثر على لوحة من عهد « رعمسيس الثانى » فى خرائب « كوبان » جاء فيها كيف أن « سيتى الأول » قد حفر بئرا فى الطريق الصحراوية المؤدّية من النيل إلى « كوبان» فمناجم الذهب فى «وادى علاق» ، وهذه البئر كانت لسقاية العمال الذين كانوا يعملون فى المناجم ، وسنتكلم عن هذه اللوحة فيما بعد[(٤)] .

«دوشه» : توجد فى صخور « دوشه » لوحة جميلة منحوتة فى الصخر يظهر فيها « سيتى الأول » يقدّم قربانا وبخورا وشرابا للآلهة « خنوم » و « ساتت » و « عنقت » ، وفى أسفل هذا المنظر صورة صغيرة لنائب الملك فى « كوش » المسمى « أمنمآبت » ، غير أن النقوش الأفقية التابعة له قد هشمت[(٥)] .

«قصر أبريم» : يوجد فى « قصر أبريم » لوحة مقطوعة فى واجهة الصخرة المطلة على النهر ويظهر فيها « سيتى الأول » يذبح عدوّا أمام إله لم تحقق شخصيته ، وبالقرب منه تقف العربة الملكية ، والجزء الأعلى من اللوحة قد اختفى ، وفى الجزء

(١) راجع : Gauthier Le Temple d'Amada p. 183

(٢) راجع : Ibid p. 183

(٣) راجع : Weigall, Ibid. p. 103

(٤) راجع : Br. A. R. III § 283

(٥) راجع : L. D. III, pl. 141. k

الأسـفل الباقى نقش أحد عشر سـطرا وصورة نائب الفرعون فى بلاد « كوش » « أمنمآبت » السالف الذكر، وقد رأى هـذه اللوحة الأثرى « سايس » ونقلها(١)، وهاك النص الذى نقله : " يعيش « حور» الثور القوى الظاهر فى «طيبة» منعش الأرضين والمنسوب للسيدتين، ومجدّد التوالد، صاحب السيف البتار، وقاهر الأقواس التسعة « حور الذهبى » قوى القوس فى كل الأرضين ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « من ماعت رع » « ستبن رع » ابن الشمس « سيتى مرنبتاح» معطى الحياة مخلدا وسرمديا ، الملك الطيب ضارب الأقواس التسعة قوى القلب ومجدل أعدائه وذابحهم ، وهازم أهـل « رتنو » ، وحاملوجز يتهم يأتون أسرى أحياء أمامك ... ... مثل ابن «نوت» (أى الإله ست) الملك القوى الذى يمدّ حدوده حتى نهاية قرن الأرض ... ... " .

«جبل بركل» : زاد الملك « سيتى » وابنه « رعمسيس الثـانى » فى معبد «آمون رع» الذى أسسه الفرعون «توت عنخ آمون» فى جبل «بركل»المقدّس، ومن هذا المكان جاءتنا كذلك اللوحة التى سجل عليها « سيتى الأوّل » إعادة بنـاء معبد «آمون»، ومتن هذه اللوحة مؤرّخ بالسنة الحادية عشرة وهو على ما نعلم حتى الآن أرفع تاريخ فى حكم «سيتى» وصلنا، ومتن هذه اللوحة مهشم جدا(٢) .

«سيسبى» : كان المؤسس الأوّل لمعبد «سيسبى» الذى وجدت على جدرانه نقوش للفرعـون « سيتى الأوّل » هو الملك « إخناتون » ويعتقد أنه هو المعبـد المسمى فى النقوش « جم آتون » فى بلاد النوبة ، ويقع فى الركن الشمالى الغربى من قلعة «جم آتون»قبالة «دنقلة» ،و يعدّ المعبد الوحيد الباقى حتى الآن للإله «آتون» فى هـذه الجهات ، ويلاحظ أن كل النقوش الأصليـة التى نقشها « إخناتون » قد محيت ونقش مكانها متون باسم «سيتى الأوّل» ، وهذا مثل آخر نجد فيه «سيتى» قد اغتصب عن قصـد وروية آثار سلفه الزائغ فى نظره(٣)، ففى أحد المناظر يظهر « سيتى » مقدّما قربانا للإله « آمون رع » وأمامه مائدة قربان عليها إناء وأزهار بشنين، وخلف « آمون رع » نرى يدا مرفوعة لشخص محيت صـورته ، وتدل

(١) راجع : Rec. Trav. XVI, p, 170

(٢) راجع : Reisner A. Z., LXIX p. 73

(٣) راجع : Baedeker's Egypt (1929) p. 447

النقوش على أنه صورة الإلهة « موت »، وفوق رأس «سيتى» يحلق قرص شمس يتدلى منه صلان، والمحو ظاهر فى كل أرجاء المناظر والنقوش فى هذا المعبد[١] .

آثار أخرى لسيتى الأول : يوجد بالمتحف البريطانى لوحة باسم « سيتى الأول » فقد منها جزء كبير، والمتن المهشم الباقى عليها يشير إلى شجاعة « سيتى » الحربية وقد شبه فى انقضاضه على العدو بالصقر، غير أن الغرض الأصلى من اللوحة على ما يظهر، كان إعادة تأسيس عيد من الأعياد ، إذ يقول المتن : " وقد أمر جلالته أن يقام من جديد العيد الذى كان يحفل به فى اليوم العاشر من الشهر الرابع من فصل الزرع فى «طيبة»" وليس فى استطاعتنا تعيين اسم هذا العيد بالضبط[٢] ، وهذا مثل آخر يدل على غيرة « سيتى الأول » لإحياء العادات والأحفال القديمة التى كانت سائدة فى البلاد قبل عهد « إخناتون »، و يعتقد الأستاذ « شورتر » أن ما ذكرهنا عن أعمال الحرب وما أحرزه «سيتى» فيها لا يشير إلى حملة معينة، بل مجرّد جمل فرعونية الصيغة .

وفى متحف « تورين » لوحة يظهر فيها « سيتى » يقدم القربان للملك « أمنحتب الأول »، وهذا دليل على استمرار وتشجيع عبادة هذا الفرعون المؤله الذى أصبح كما ذكرنا آنفا الإله الحامى للجبانة فى « طيبة » الغربية[٣] (راجع ج ٤ ص ٢٤٤)، وسنرى أن ملوك الأسرة التاسعة عشرة وعظماءها كانوا مغرمين بعبادة الملوك الأقدمين و بخاصة ملوك الأسرة الثامنة عشرة الذين أسسوا مجد مصر الامبراطورى .

إصلاحات سيتى البنائية : أشرنا فيما سبق إلى الإصلاحات والترميات التى قام بها «سيتى الأول» فى الآثار القديمة التى عدا عليها الدهر أو خربت عمدا،

---

(١) راجع : L. D., III, pl. 41 n.

(٢) راجع : J. E. A., Vol. XIX, p. 60-1

(٣) راجع : Lanzone Catalogue of Turin. 1466.

وتمتاز كل هــذه الإصلاحات بحسن صنعها والنقوش جمـة التواضع التى كان ينوّه فيها « سيتى » بإصلاحاته، إذ كانت توضع على الآثار فى الأماكن التى أصلحت بحيث لا تتدخل قط فى النقوش الأصلية التى دوّنها صاحب الأثر الأصلى . وهذه الإصلاحات نجدها فى طول البلاد وعرضها، وهاك بعض الأمثـلة التى تدل على صدق ما قررناه هنا :

«بوصير» : نقش «سيتى» متنا فى المعبد القديم الذى أقامه الفرعون «سحورع» أحد ملوك الأسرة الخامسة، أشار فيه إلى معبد الإلهة « موت سخمت » (باستت) الذى أقامه الملك « سحورع » .(١)

«الكرنك» : أصلح «سيتى الأوّل» منظرا على البوّابة التاسعة، فيقول فى المتن الخاص بذلك : "تجديد الآثار التى عملها ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «من ماعت رع» فى بيت والده « آمون »"(٢)، وكذلك نشاهد على البـوّابة العاشرة منظرا ظهر فيــه الملك « سيتى » واقفا أمام الإله « آمون رع » وخلفه يقف الإله « منتو » وتاسوع «هليو بوليس» وهم : « آتوم »، و « شو »، و « تفنوت » و «جب» و « نوت » و« أوزير » و«ست» وصورته ممحوّة، ثم « إزيس » و «نفتيس» . والمتن الذى يتكلم عن الإصـلاح هو : " يقـول الابن المحبوب رب الأرضـين « من ماعت رع » لقد أقمت المعبد من جديد حتى وصل إلى عنان أفق « نوت» (السماء) وقلبى ممتلئ بحبك، وفرح بجمالك، وأعطيت الحياة والسعادة"(٣) .

وكذلك أصلح « سيتى الأوّل » اسم « آمون » على لوحة الفرعـون «تحتمس الثالث » وكان قد هشمه « إخناتون »(٤)، وقد جاء فى النقش الذى كتبه « سيتى » أنه عمـله لوالده « آمون رع » رب تيجان الأرضين ، وقـد عمل إصلاحا مشابها

(١) راجع : Brochardt Grab denkmal des Konig Sahura I, p. 104
(٢) راجع : Champ. Notices. Desc. II, p. 191-2
(٣) راجع : Ibid. II, p. 188.
(٤) راجع : Legrain. A. S., V, p. 17

لذلك فى لوحة « لتحتمس الثالث » فى معبد « بتاح القاطن جنوبى جداره »[١]، هذا بالإضافة إلى إصلاحات أخرى نشاهدها فى مسلة « حتشبسوت »[٢] ولوحة « أمنحتب الثانى »[٣] .

وفى «القرنة» «بطيبة» الغربية نشاهد إصلاحاته فى لوحات «أمنحتب الثالث»[٤] .

«الدير البحرى»[٥] : وقد قام « سيتى » بإصلاحات فى معبد الدير البحرى ، وكذلك فى معبد « تحتمس الثالث » فى مدينة « هابو » (راجع L. D., III, pl. 202 d.) ، وفى معبد « أمنحتب الثالث » فى « الكاب » نجد كذلك أن الإصلاحات التى قام بها كانت تعظيما لوالدته الإلهة « نخبت »[٦] .

وفى «إلفنتين» أصلح «سيتى الأول» معبد « أمنحتب الثانى الصغير » الواقع جنوبى مقياس النيل[٧] وقد ذكرنا من قبل إصلاحاته فى « أمدا » .

الأسرة المالكة

الملكة « تويا » : لم تسجل لنا الآثار زوجا للفرعون «سيتى الأول» إلا الملكة «تويا» ، ويقول « مسبرو » : إن هذه الملكة كان لها حق الملك أكثر من أى عضو آخر من الأسرة المالكة[٨]، وألقابها التى تنحصر فيما يأتى : "الأميرة الوراثية، والمربية العظيمة، والتى ترى « حور » و « ست » وزوج الإله ، وزوج الملك العظيمة ، ومحبوبته، والحظية العظيمة ، والمنضمة « لحور » ، وأم الملك التى حملت الثور القوى « رعمسيس الثانى » والممدوحة ، وصاحبة الحظوة عند سيد القصر ، والأم الملكية، ورئيسة نساء « آمون » ، وسيدة النساء " . لا يوجد من بينها لقب ابنة

(١) راجع : A. S., III, p. 107.   (٢) راجع : L. D., III, pl. 23, 24
(٣) راجع : Rec. Trav. XIII, p. 160. pl. X, XI   (٤) راجع : Petrie Six Temples
(٥) راجع : Ebers Oberagypten p, 237
(٦) راجع : Taylor El Kab. Amenhotep III, p. I, III.
(٧) راجع : Nestor. l'Hote. Mss. 20402, 2
(٨) راجع : Maspero, The Shruggle of the Nations p. 369

الفرعون ، أو لقب أخت الفرعون . من أجل ذلك يصعب أن نعـرف الأساس الذى استحقت من أجله الملك أكثر من غيرها ، اللهـم إلا إذا فهمنا معنى لقب الأميرة الوراثيـة بمدلوله الحقيق لا بمعناه التقليدى ، إذ كان لقب شرف فقط ، ولم تكن «تو يا» تحمل ألقابا أعلى من ألقاب الملكة «تى» زوج «أمنحتب الثالث» التى لم تكن من أسرة مالكة ، والظاهر أن «تو يا» قد عاشت مدّة بعد وفاة زوجها ، و يقول « مسبرو » : إنها كانت وصية على عرش ابنها «رعمسيس الثانى» فى أثناء غيابه فى الحروب التى شنها على « خيتا » (١) ، غير أننا لا نعرف الأسباب التى بنى عليها هـذا الرأى .

والآثار التى خلفتها « تو يا » أو ذكر اسمها عليها هى ما يأتى :

(١) تمثال من الجرانيت الأسـود للملكة من الأسرة الثانيـة عشرة اغتصبه « رعمسيس الثانى » كعادته ، ونقش عليـه اسم والدته ، و يلاحظ أن الوجه قـد نحت من جديد . ولذلك نجد الأذنين الكبيرتين لهذا التمثال قد صغرتا ، كما أن الشعر المستعار الكثيف الذى كان طرازا محببا فى عهد الدولة الوسطى قد حوّل إلى شعر مستعار يتفق مع زى الأسرة التاسعة عشرة ، ولباس الأسرة الثانية عشرة البسيط الذى كانت ترتديه هذه الملكة قد أعيد تفصيله إلى جلباب (مكشكش) على غرار طراز الأسرة التاسعة عشرة ، وهذه التغيرات قد حتمت أن تكون الذراعان نحيلتين ، وكذلك الفخذان ، وقد حاول المثال أن يسبغ على اليدين نحافة أنيقة فى منظرهما ، وذلك بتضييق الإبهامين ، غير أن محاولته أخطأت التوفيق ، وهـذا التمثال عثر عليه فى « تانيس » وهو الآن « بالمتحف المصرى » (٢) .

---

(١) راجع : P. S. B. A. Vol. XI, p. 194

(٢) راجع : Petrie. Tanis I, pp. 6, 7, pl. II, 11 - 12, pl. XIV, I & A. S., II, p. 195.

(٢) ولهذه الملكة تمثال «بمتحف الفاتيكان»، وقد رسم عليه صورة ابنتها « حنت مى رع » [١] .

(٣) ولها تمثال آخر عثر عليه فى مدينة « هابو » نقش عليه ألقابها واسمها فكانت تلقب عليه بأم الملك، وقد أضيف الى ذلك أنها ... ... « لحور » حملت ابنها للإله « رع » [٢] ، ويظهر أن هذا اللقب جعل « رعمسيس الثانى » يدّعى أنه من أصل إلهى .

(٤) ولها تمثال نحت على يسار تمثال « رعمسيس الثانى » الضخم القائم أمام معبد « أبو سمبل » العظيم [٣] .

(٥) وجد اسمها فى نقوش « معبد الرمسيوم » [٤] .

(٦) وتظهر مع ابنها « رعمسيس الثانى » فى مجموعة « مريمار » [٥] .

(٧) وجد طغراؤها فى نقش فى « تانيس » مع اسم «رعمسيس الثانى» [٦] . ونقش اسمها على لوحة ألوان كاتب محفوظة «بالمتحف البريطانى» ، ومن صورتها نفهم أنها كانت رشيقة القوام ، قوية الإرادة، ولكنها لم تكن على شىء من وداعة الخلق وسهولته (راجع L. D., III, p. 297) .

أولاد « سيتى الأول »

«رعمسسو» : لقد ذكرنا فيما سبق أن «رعمسسو» أكبر أولاد «سيتى الأول» يحيط باسمه و بوجوده على ما يظهر شىء من الغموض والإبهام، وقد كان يحمل

(١) راجع : Petrie Hist. III p. 22
(٢) راجع : L. D. Text III, p. 148
(٣) راجع : Baeder Egypte (1929) p. 432; L. D., III, 291, 55
(٤) راجع : Quibell. The Ramesseum pl. XXIX
(٥) راجع : Petrie Hist. III, 9
(٦) راجع : Rec. Trav. IX, p. 18

الألقاب التالية : ابن الملك ، والأمير الوراثى ، وعمدة المدينة ، والوزير ، والأمير الوراثى لكل الأرض قاطبة ، والمشرف على جياد رب الأرضين ، ورئيس القضاة ، وكاهن «ماعت» ، والأمير الوراثى ابن رب الأرضين (راجع A. S. XLIII, p. 133) .

وفى لوحة فى « متحف بروكسل » نشاهد « سيتى الأول » واقفا أمام ثالوث «العرابة» وبصحبته أسنّ أولاد الملك من صلبه «رعمسيس» ، وقد ظهر «رعمسيس» هذا ممثلا فى صورة شاب صغير السنّ جدّا يحمل الرمز الذى يدل على لقب حامل المروحة على يمين الملك ، غير أن هـذا اللقب لم يذكر فى النقوش ، فهل هو نفس الشخص المسمى «رعمسسو» الذى ذكر فى نقوش تابوت مدينة «هابو» وعلى تابوت بلدة « غراب » ؟ والمرجح أنه يمثل « رعمسيس الثانى » قبل اشتراكه مع والده فى الملك ، لأن «رعمسسو» الذى ذكر على التابوتين كان وزيرا فى عهد والده ، مما يدل على أنه كان قـد بلغ مبلغ الرجال فى تلك الفترة ، ولم يكن طفلا حدث السـنّ ، يضاف إلى ذلك أن الصـورة التى على اللوحة السالفة الذكر تشبه كثيرا صورة « رعمسيس الثانى » فى معبد « سيتى الأول » فى «العرابة» [١] .

وكان له ابن آخر يدعى « آمون نفـرنبف » ابن الملك الأكبر من جلالته ، وقد عثر على اسم هذا الأمير فى لوحة فى جزيرة «سهل» «بأسوان» [٢] .

ابنتـــه : وكان «لسيتى» ابنة تدعى «حنت مى رع» ظهرت على تمثال والدتها « تويا » كما ذكرنا من قبل ، وكذلك فى مجموعة « رعمسيس الثانى » التى عثر عليها فى « أبوكبير » [٣] ، وقد تزوجت من « رعمسيس الثانى » شقيقها ، وكانت تحمـل الألقاب التالية : ... ... بنت الملك ، وزوج الملك ، وبنت الملك من صلبه ،

---

(١) راجع : Engelbach Gurob pp. 19-25 pl. XXXII; Speelers. Rec. Trav. XXXIX, pl. IV

(٢) راجع : Wiedemann. Rec. Trav. XVIII, p. 121 & Gauth L. R. III, pp. 30-32

(٣) راجع : Rec. Trav. XII, p. 211

وزوج الملك العظيمة . وقد ذكر موضوع إعادة دفنها فى ورقة «صولت» (راجع Salt, Pap. 124 Verso i—11) ، وقد عثر على تابوتها المصنوع من الجرانيت الوردى فى مدينة « هابو » وهو الآن « بالمتحف المصرى » (١) .

الموظفون والحياة الأجتماعية فى عهد « سيتى الأول »

تدل الوثائق التى فى متناولنا حتى الآن على أن الوظائف الكبرى سواء أكانت ادارية أم سياسية أم دينية فى عهد الأسرة التاسعة عشرة كانت فى أغلب الأحيان فى يد أسر خاصة وفروعها ، وبخاصة منذ أن استقرت الأحوال فى البلاد فى عهد « سيتى الأول » ، حتى أنه لما جاء عهد « رعمسيس الثانى » برز نفوذ إحدى هذه الأسر بدرجة عظيمة جدًا تسترعى النظر ، فجمعت معظم وظائف الدولة العالية فى أيدى أفرادها ، ويرجع السبب فى ذلك إلى تسلط رجال الدين فى هذا العهد ، وما كان لهم من سلطان ونفوذ وبخاصة فى « العرابة المدفونة » التى كانت تعدّ كعبة المصريين ومحط أنظار الملوك وموضع رعايتهم ، فقد كان الإله « أوزير » هو الإله الذى وجه إليه « سيتى » معظم عنايته وبذلك كان كهنته وكهنة الآلهة الآخرين فى « العرابة » هم أصحاب النفوذ والسيطرة على مشاعر الفرعون وعواطفه ؛ ولذلك نجد أن طائفة الكهنة هناك قد عملوا على جعل كل الوظائف الدينية منحصرة فى دائرة أسرتهم ، ثم أخذوا بعد ذلك يعملون بما لهم من نفوذ حتى جعلوا الفرعون ينصب أفراد أسرتهم فى كل مناصب الدولة الكبيرة ، فكان منهم رئيس الوزارة ، ورئيس كهنة معبد آمون ، وقواد الجيش ، ورؤساء المالية ، ورئيس الشرطة ، ونائب الملك فى بلاد « كوش » وغير ذلك من الوظائف العالية . ولم يقف الأمر عند تولى رجال هذه الأسرة الوظائف الدينية والادارية الكبرى ، بل وجدنا نساءهم يشغلن أهم الوظائف الكبرى الدينية ، فكان ينتخب من بينهنّ رئيسات الحريم للمعابد وكبيرات المغنيات للإله « آمون » و « أوزير » و « أنحور » وغيرهم . وسنرى أن

(١) راجع سجل (No. 6252)

دائرة الوظائف فى عهد «رعمسيس الثانى» كانت محصورة معظمها كما قلنا فى أسرة واحدة وهى أسرة الكاهن «وننفر» بوجه عام، وذلك بفضل ما كان لكهنتها من نفوذ دينى . ولا نزاع فى أن ذلك النفوذ هو الذى أخذ يتزايد ويعظم خطره شيئا فشيئا من الوجهتين المادية والدينية حتى انتهى الأمر فى عهد الأسرة الحادية والعشرين، الى أن قفز الكاهن الأكبر « لآمون » إلى عرش ملك البلاد وأسس أسرة من الكهنة .

وسنحاول هنا أن نتحدث أوّلا عن كبار رجال الدولة فى عهد « سيتى الأوّل » وما خلفوه لنا من آثار تميط اللثام عن حياة البلاد فى هذه الفترة، وكذلك سنتكلم عن صلة هؤلاء الموظفين بعضهم ببعض كلما وجدنا لذلك سبيلا بادئين بالكلام عن الكهنة الأول « لأوزير » الذين سيكون لأسرهم شأن عظيم فى تسيير أمور الدولة فى عهد «رعمسيس الثانى» .

وننفر وأسرته :

«مرى» الكاهن الأوّل للاله «أوزير» : وجدت لهذا الكاهن مجموعة تمثله هو وابنه « وننفر » الذى خلفه فى وظيفته هذه فى « العرابة المدفونة » وهى الآن فى «متحف القاهرة» . والمجموعة مصنوعة من الجرانيت الرمادى، وقد مثل «مرى» جالسا بجانب ابنه «وننفر»، وقد عاش «مرى» فى عهد «سيتى الأول» إذ نجد طغراء هذا الفرعون على كتفه الأيسر، وقد كتب على الشريط الذى وضع فى وسط جلد الفهد الذى يرتديه هذا الكاهن : ”الإله الطيب رب الأرضين «من ماعت رع» محبوب «أوزير»“ وكتب على الجزء الأمامى من قميصه : ”الكاهن الأوّل للإله « أوزير » المسمى « مرى » المرحوم وابنه الذى يحيى ذكر والده الكاهن الأوّل للإله «أوزير» «وننفر» الذى وضعته «معيانى»“. وقد صوّرت زوجة «مرى» هذه على جانب كرسى من هذه المجموعة وكتب عنها : ”ربة بيته «ميعانى»

ووالدها هو الكاهن الأوّل للإله « أوزير » المسمى « تا » المرحوم الذى وضعته « بو يا » المرحومة ".

أما تمثال « وننفر » فقد نقش على كتفه الأيمن اسم « رعمسيس الثانى » ولقبه مما يدل على أن والده كان كاهنا أوّلا « لأوزير » فى عهد « سيتى » كما ذكرنا ، وقد خلفه فى هذه الوظيفة فى عهد « رعمسيس الثانى » ابنه « وننفر » ، هذا وقد كتب على (مريلة) تمثاله : " الكاهن الأوّل للإله «أوزير» و «وننفر» المرحوم ابن الكاهن الأوّل « لأوزير » ، والمشرف على كهنة «العرابة» «مرى» المرحوم، الذى وضعته « معيانى » المرحومة ".

و يقف أمام الكرسى شخص صغير رافعا يده اليمنى نحو « وننفر » وقد كتب عليه : " أخوه الكاهن المطهر الذى يعلم مايحدث فى بيت الحياة للأرضين «مرى» ".

وعلى الجهة اليمنى من الكرسى رسمت امرأة جالسة على كرسى تشم زهرة البشنين، وقد كتب عنها المتن التالى : " أخته ربة البيت ورئيسة حريم « أوزير » (المسماة) «تى» ووالدها المشرف على مخازن الغلال «قنى» الذى وضعته «و يا» المرحومة ".

أما ظهر الكرسى فقد كتب عليه متن مؤلف من سبعة أسطر جاء فيها : "حامل الخاتم الإلهى، والذى فى المقدّمة، والكاهن الثانى «لحور» الحامى لوالده، والكاهن الأوّل لأوزير (المسمى) « وننفر » المرحوم كاتم الأسرار ، وكاهن « ماعت » ، والذى يصب لها الماء فى « العرابة » الكاهن الأوّل للإله « أوزير » (المسمى) « وننفر » المرحوم ، كاهن الساحرة العظيمة ، وكاهن «وازيت» والكاهن الأوّل « لأوزير » (المسمى) وننفر .

والد الكاهن الأوّل « لأوزير » «مرى» المرحوم الذى ابنه الكاهن الأوّل « لأوزير» (المسمى) «حات» الذى ولدته «أوى» المرحومة ووالدتها «معيانى» المرحومة ووالدها الكاهن الأوّل لأوزير «تا» المرحوم، وقد وضعته «بو يا» وربة

بيته تدعى «تى» رئيسة حريم الإله «أوزير» الذى يدعى والدها «قنى» المشرف على خزائن الغلال والذى تدعى أمه «ويا»". وسنتحدث عن سلسلة هذا النسب عند الكلام على الموظفين فى عهد «رعمسيس الثانى» (راجع Rec. Trav. XXXI, p. 206 ff.).

الوزراء فى عهد «سيتى الأول»

الوزير «نب آمون»: لم نعثر حتى الآن على قبر هذا الوزير، وكل ما نعرفه عنه هو ما جاء على تمثال له محفوظ الآن «بمتحف القاهرة»، وهو مصنوع من الحجر الجيرى الأبيض وقد عثر عليه «مريت باشا» فى «العرابة المدفونة» (راجع Borchardt Statuen und Statuetten pp. 76-78 & Mariette Abydos II, 56 d-f.) وكذلك ما جاء عنه على تمثال أخيه «وننفر» الذى كان يشغل وظيفة الكاهن الأول للإله «أوزير». هذا بالإضافة إلى ما كتب عنه فى ورقة حسابات من عهد «سيتى الأول» (راجع Spiegelberg; Rechnunurg aus der zeit Sethos I b/a (= Pap. Rollin (1882,) 2/4. 2). وألقابه ونعوته التى نستخلصها من هذه الآثار هى: الأمير الوراثى، والحاكم، وحامل المروحة على يمين الفرعون، وعمدة المدينة، ورئيس القضاة، ومدير كل أعمال بيت الأبدية (الجبانة)، ومدير كل الأعمال الممتازة فى الأرض المقدسة (الجبانة)، ومن فى قلب حور (أى الملك) فى بيته (يقصد الذى يطلعه على كل أسرار بيته)، والمشرف على قصر الملك، ومن ينعطف له القلب كثيرا، ومن يجعل كل رجل يعرف خطواته، صادق القلب، ونائب «نخن» وكاهن العدالة، وحاجب جلالته، والعظيم الوحيد فى الأماكن العشرة (؟)، ومن يقوم بالمعجزة لحمايته (أى الملك)، ومن تظهر مهارته فى إدارة مكانه (؟) ورئيس القصر، ومن يدير قوانين سيده، والقاضى فى محكمة المحكمين الثلاثين، ومن يميل إليه الشعب بسبب جوابه، ورسول الفرعون فى الريح الرخاء (؟) ومن تهتم كل الأراضى لسماع كلامه.

ومن هــذه الوظائف والنعوت نستطيع أن نفهم مقدار مكانة الوزير فى هذا العصر وبخاصة فى حرصه على إقامة العدالة وإرضاء الفرعون .

الوزير « حات تى » (؟) عثر لصاحب هذا الاسم على لوحة ضمن اللوحات التى كشفنا عنها بجوار معبد « بو لهول » وهو يحمل لقب رئيس الوزراء، ويشاهد على هــذه اللوحة الفرعون « سيتى الأوّل » يقدّم قربانا من النبيذ أو المــاء لتمثال « بو لهول » الذى يُرى جاثما أمامه، وقد نعت التمثال على اللوحة باسم «حول» . ويحتمل أن هذا الوزير قد أقام هذه اللوحة تذكارا لمصاحبته للفرعون «سيتى الأوّل» عندما جاء لأداء فريضة الحج لتمثال « بو لهول » كما كانت العــادة المتبعة منذ عهد الأسرة الثامنة عشرة على ما نعلم، ويشاهد هذا الوزير فى الجزء الأسفل من اللوحة راكعا يتعبد برأس عارٍ ويدين مرفوعتين ويقرأ الأنشودة التالية : (تقــديم الحمد للإله) «حول» وتقبيل الأرض « لحور ام أخت » ليهب الحياة والسعادة والصحة لروح رئيس (؟) الوزراء لرب الأرضين (المسمى) «حات تى»، ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن « حات تى » هــذا قد عدّ « حول » و« حور ام أخت » بمثابة إله واحد . وهذان هما الاسمان اللذان كانا متداولين لتمثال « بو لهول » فى هذه الفترة من التاريخ على ما نعلم .

الوزير « باسر » : كان « باسر » الوزير الأوّل فى عهدى « سيتى الأوّل » وابنه « رعمسيس الثــانى » وسنفصل القول عن حياته وأعمــاله فى عهد « رعمسيس الثانى » .

« نبترو » الكاهن الأكبر للإلــه « أمون » « بالكرنك » .

لم تصارحنا الآثار التى كشفت حتى يومنا هذا عن الشخص الذى كان يشغل وظيفة الكاهن الأوّل للإله « آمون » فى « الكرنك »، ولكن من المحتمل جدا أن

(١) راجع : Histoire des Grands Pretres D'Amon de Karnak p. 246

« نبنترو » كان يشغل هـذا المنصب فى عهد الفرعون « حور محب » أو فى عهد «رعمسيس الأول» ، وكذلك فى عهد خلفه وابنه «سيتى الأول» . والواقع أن هؤلاء الملوك الثلاثة قد أظهروا برهم وغيرتهم على عبادة الإله « آمون » ، وذلك بما أقاموا له من مبانٍ ضخمة فى «الكرنك» ، وبخاصة قاعة العمد التى تعدّ فريدة فى ضخامتها بين كل مبانى العـالم الدينية . والظاهر أن نفوذ هـذا الكاهن كان عظيما لأن ابنـه « باسر » كان هو الجالس على كرسى الوزارة فى عهد « سيتى الأول » ، وقد انتقلت إليه أوقاف الإله آمون فى « أرمنت » على ما يظنّ ، غير أنه لم يتقلد قط وظيفة رئيس كهنة «آمون» فى «الكرنك» كما يظنّ البعض وسنتحدّث عن ذلك فيما بعد . وقد كانت أسرة «نبنترو» على ما يظهر مسيطرة على الوظائف الدينية ، فكانت زوجه « مريت رع » تحمل لقب رئيسة حريم « آمون » بالكرنك كما كانت ابنتـه «تى» تلقب رئيسة حريم «آمون» ، وكان « نبنترو » يتقلد الوظائف والألقاب التالية : الكاهن الأوّل للإله آمون ، وكاهن «آمون» فى «أرمنت» ، والكاهن «سم» فى معبد « بتاح » (بطيبة) ، ورئيس كهنة الوجهين القبلى والبحرى (أو وزير الأوقاف) ، ورئيس الأسرار فى المعابد ، والوجيه ، والأمير الوراثى ، والحاكم ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسمير الوحيد . والألقاب الخمسة الأخيرة كلها ألقاب فخرية . ومما سبق نفهم أن الكاهن الأكبر للإله « آمون» لم تكن وظائفه دينية وحسب ، بل كان كذلك يقوم بمهام دنيوية محضة كما كانت العادة فى عهد الأسرة الثامنة عشرة (راجع مصر القديمة جـ ٤ ص ٥٢٨ الخ) .

« أمنمأبت » (المسمى «إبى») المدير العظيم لبيت «آمون» فى المدينة الجنوبية (طيبة)، وقبر هذا الموظف الكبير يقع فى جبانة « شيخ عبد القرنة » (رقم ٤١) وتدل نقوشه على أنه عاصر كلا من « رعمسيس الأوّل » « وسيتى الأوّل » (؟)، وعلى أن صاحبه قد عنى بنقشه وزخرفته عناية بالغة لما فيه — على الرغم مما أصابه من تهشيم — من صور وزخرف رائع . وقاعتـه الرئيسية ترتكز على عمـد

فى صورة الإله «أوزير» المزمل، وقد نقش عليها اسمه واسم زوجه «نزم»، ويرى على جدران هذه القاعة منظر الحفل بفتح الفم ومعه نائحات يندبن المتوفى (راجع Wresz .I, 166)، كما نشاهد المتوفى فى محراب (Ibid. 163.)، ويلفت النظر مشهد محاسبة المتوفى فى عالم الآخرة، إذ نشاهد على غير المعتاد فى مثل هذا المنظر أن الإله «تحوت» قد جلس فى محرابه وفتح نافذته ويشير إلى الميزان الذى كان يوزن فيه المتوفى نفسه — لا قلبه — فى كفة وفى الأخرى إلهة العدالة يحلى رأسها الريشة الدالة على العدالة نفسها باللغة المصرية (راجع Champ. Notices I , P. 527, 849.) .

ومن المناظر الطريفة كذلك الخاصة بالشعائر الدينية صورة طريفة للقبر الخاص فى هذا العصر، ويحتوى على هرم صغير وبوابة ضخمة وطريق ذى عمد على هيئة نبات البشنين المزهر، ومن الجائز أن هذه الصورة هى المقصورة التى بداخل القبر، ونشاهد على يسار هذه الصورة لوحة رسم عليها علامة الغرب بذراعين ممتدتين لاستقبال المومية وبجانبها الكهنة الذين يؤدون شعائر الاحتفال بفتح الفم على المومية نفسها التى كان أقارب المتوفى يقبلون قدميها، ويصحبهم بعض رجال قد ظهر على محياهم الحزن الصامت فى حين كانت النسوة يصحن ويلطمن، وفى أسفل هذا المنظر نشاهد تمثال المتوفى فى محراب وأمامه كاهن يحرق البخور ويصب الماء وآخر كان يرتل من إضمامة بردى فى يده . وقد أبدع المثال هنا فى تصوير جماعات المشتركين فى تشييع المتوفى إلى مقره الأخير . حقا قد رسمت صورهم دون تفاصيل دقيقة التمثيل، بل كانت خشنة وقبيحة، إلا أنها قد مثلت فى أوضاع مختلفة، فنرى الحزن قد استولى على بعضهم فغلبهم البكاء وقاموا بحركات عصبية عنيفة، ملقين بأنفسهم فوق الأديم، وناثرين التراب على رءوسهم، وشادين شعورهم، على حين نرى آخرين قد غمرهم الحزن فكتم أفواههم، وحبس دموعهم ووضعوا رءوسهم بين أيديهم ووجوههم واجمة ونفوسهم مفعمة بالحزن العميق (راجع Wresz I, pl. 167.) .

« أمنأبت » : حامل المروحة على يمين الفـرعون ونائب بلاد « كوش » (راجع مصر القديمة جـ ٥ ص ١٦٩) . وقبر هذا العظيم لم يعثر عليه حتى الآن ، غير أنه عثر له على لوحات منحوتة فى الصخور القريبة من مقرّ حكمه ، ففى الصخور المجاورة «لأسوان» نقش مثّل فيه حاملا على ظهره المروحة رمز وظيفته وهو راكع أمام « سـيتى الأوّل » الذى كان يضرب أسيرا بسيفه (راجع L. D., III, 141 n & De Morgan. Cat. Mon. I, 28 (5)) . وله نقش آخر فى الصخور التى على الطريق القديمة بالقرب من «أسوان» ، وقد ظهر فيه «سيتى» واقفا خلف عربته وبيده أسير سورى راكعا ، وكان « امنأبت » راكعا كذلك أمامه ، وقـد نقش أمامه سائق عربة الفـرعون وابن الملك حاكم « كوش » (De Morgan. Cat. Ibid I, 20) . وتوجد فى «دوشه» لوحة مثل عليها « سيتى » يحرق البخور ويقدّم القربان والمـاء لثالوث منطقة الشـلال وهم الإله « خنوم» والإلهتان « عنقت » و « ساتت » . وفى أسفل اللوحة صورة صغيرة لابن الملك « أمنأبت » وبيـده مروحة وهو راكع يتعبد وقـد لقب هنا ابن الملك . أما النقش الكبير فقـد هشم (راجع L. D., III, pl. 141 k.) .

وقد نحت فى قصر «ابريم» لوحة نقش عليها اثنا عشر سطرا ، ثلاثة منها خاصة «بسيتى الأوّل» وثلاثة أخرى خاصة «بأمنأبت» . والمنظر فى هذه اللوحة مهشم ومع ذلك نستطيع أن نشاهد فيه «سيتى» يقتل أسيرا وخلفه عربة وخيل ، وفى أسفل اللوحة يرى «أمنأبت» قابضا بيده على المروحة رمز وظيفته (راجع Rec. Trav. XVI, p. 169-172.) .

«أمنمس» الكاهن الأوّل للفرعون أمنحتب الأوّل صاحب «الردهة الأمامية»[١] : — هذا الكاهن قبره فى «جبانة ذراع أبو النجا» (رقم ١٩) (راجع G. W. Cat. No 19; & Porter & Moss I, p. 61) . ويحتوى هذا القبر على مناظر هامة تكشف لنا عن بعض نواحى الحياة الاجتماعية والدينية وأهمها ما يأتى :

(١) كان هـذا لقبا يطلق على تمثال خاص يتعبد اليـه العال فى جبانة « طيبـه » التى كان فيها « أمنحتب الأول » ،ؤلها .

(١) منظر سفينة « آمون رع » المقدسة التى كانت تنقل تمثال « آمون» من المعبد إلى الشاطئ الأيمن فى احتفال «عيد الوادى» وقد تحدثنا عنه (راجع مصر القديمة ج ٣ ص ٥١٧) .

(٢) منظر للألعاب الرياضية وبخاصة اللعب بالعصا (الذى لا يزال موجودا حتى الآن فى ريف مصر وصعيدها)، والمصارعة أمام محراب الفرعون المؤله «أمنحتب الأول» . ولما كان موضوع الألعاب الرياضية من الموضوعات الهامة على ما يظهر فى عهد الدولة الحديثة فقد آثرنا أن نشير إليه هنا وبخاصة لأنها ألعاب شعبية لا تزال باقية حتى الآن فى جميع أنحاء القطر، فنشاهد اللعب بالعصا فى الأفراح التى تقوم فى حفلات الزواج، ويتقدم للعب بها مهرة من القرى المجاورة للقرية التى أقيم فيها الفرح . أما المصارعة فعلى الرغم من أنها معروفة بين الألعاب الرياضية عند كل الأمم ، كان لها طابع خاص بقيت آثاره فى مصر حتى اليوم بين أفراد الشعب لاسيما فى الأرياف، ويعبر عنه «بالملابطة» وفيها يظهر كلا المتلابطين قوته الجسمية على قرينه وهو ما نشاهده فى الصور المصرية القديمة .

وقد بحث هذا الموضوع الأستاذ « جون ولسن » بجمع كل ما عثر عليه من مناظر خاصة بهذا الموضوع فى الدولة الحديثة وشرحها شرحا لا بأس به (J E A., XVII, p. 211 ff.) وأهم هذه المناظر ما يأتى :

(١) منظر على جدران معبد مدينة «هابو » (راجع Wresz Atlas II, 158, 15, 8 a & Meyer Darstellung Der Fermd. 335 ff.) .

(٢) منظر باسم «رعمسيس الثانى» بمدينة « هابو » نقل من مكانه الأصلى « بالرمسيوم » .

(٣) منظر قبر « امنمسو » الذى نحن بصدده الآن .

(٤) منظر فى مقبرة «مرى رع الثانى» من عهد « إخناتون » (راجع مصر القديمة ج ٥ ص ٤٢٩) .

(٥) منظر على قطعة استرا كا محفوظة الآن « بالمتحف المصرى » تحت رقم ٢٥١٣٢ من معبد « رعمسيس السادس » (راجع Daressy Ostraca. pl. XXV, p. 26.) .

ففى مناظر « تل العمارنة » يظهر الفرعون أمام الشعب على عرشه ليتقبل جزية الجنوب . فيعبر أفراد الشعب عن فرحهم بهذا الحادث بالمصارعة والملاكمة واللعب بالعِصِىّ . أما فى المنظر الذى على الاسترا كا المحفوظة « بالمتحف المصرى » فنشاهد عليها مصريين يبدءان بشوط مصارعة — كما يدل المتن المفسر — أمام الفرعون أيضا .

وفى مقبرة « أمنمسو » رقم ١٩ نشاهد الصراع يعقد أمام محراب الملك المؤله « تحتمس الثالث » الذى كان يعد من أكبر الملوك الرياضيين فى عهد الأسرة الثامنة عشرة كما ذكرنا (راجع مصر القديمة ج ٤ ص ٤٨٠) فنشاهد فى المنظر رجلين يتنازلان بعصاوين (راجع J. E. A. Vol. XVI, pl. XXXVII, 8) ، وفى أسفل هذا المنظر نجد اثنين يتصارعان (Ibid 9) ويحاور واحد منهما قرنه قائلا : " وا أسفاه عليك يأيها الجندى التعس الذى يتشدق بفمه " . (والقرن هنا مصرى ويدعى « التعس ») . إنى سأجعلك تقول : "من الجنون أن يقبض الإنسان على يد جندى من جنود جلالته " . وفى الأسفل منهما على اليمين نشاهد اثنين قد فرغا من شوط مصارعة (Ibid. pl. XXXVII, fig. 10). ويلاحظ أن الظافر يواجه المحراب فى هيئة المنتصر وهو يقول : "إن «آمون» هو الإله الذى يقرر الحماية من كل أرض لها كم أنتم ياجنود «وسرماعت رع» حاكم الأرضين يأيها القائد " . وإنه لمن المهم أن ننوه هنا بأن هذه الألعاب كانت تقام تكريما لملك متوفى فى أعيادهم كما نشاهد الآن فى مصر الحديثة .

وفى أسفل منظر المصارعة فى هذا القبر نشاهد قاربا فيه محراب صغير يحتوى على تمثال الملكة « أحمس نفرتارى » المؤلهة ، وأمام المحراب كاهن يحرق البخور للتمثال ، ونلحظ أن القارب يجر قاربا آخر أصغر منه وهو على وشك الرسو فى الميناء بجوار المعبد حيث يوجد منحدر يكتنفه سلمان يؤديان إلى حافة الماء ،

ويظهر أنه كان هناك كهنة قد أتوا لاستقبال التمثال وحاشيته (راجع Wresz I, pl. 118) . وفى منظر آخر نشاهد تمثال الفرعون المؤله « أمنحتب الأول » محمولا على أعناق كهنة من المعبد ، ويلحظ أنه قد جلس على عرش مزخرف ويصحبه كهنة يحملون فى أيديهم المراوح والمظلات ، وهذا مظهر من المظاهر الكثيرة التى نشاهد فيها « أمنحتب » وأمه « أحمس نفرتارى » مؤلهين (راجع مصر القديمة الجزء ٤ ص ٢٤٤) .

«باشدو» : رسام آمون : قبر هذا الرسام فى جبانة « دير المدينة » (رقم ٣٢٣) (راجع Bruyere Fouilles des Dier el Medineh (1923-4) p. 80.) . ويمتاز هذا القبر بأن صاحبه قد ذكر لنا أنساب أسرته حتى الجيل الثالث . وزوجه تسمى « موت نفرت » وأمه تسمى « موت مويا » وولده يدعى « إرو نفر » وجده « مان نختوف » كان رساما « لآمون » أيضا . وجدته الأولى تدعى « تنت أمنت » وتلقب ربة البيت ، وجده الثانى يسمى « باشدو » ، ويحمل نفس اللقب الذى كان يحمله والده وهو رسام « آمون » فى بيت الإله « سكر » (إله الآخرة) . أما جدته الثانية فكانت تسمى « نفر تارى » وتلقب ربة البيت ومغنية « آمون » . وجده الثالث يحمل لقب رسام « آمون » فى معبد « سكر » أيضا . وجدته الثالثة تدعى « موت نفرت » وتلقب ربة البيت أو سيدة البيت كما هو الشائع عندنا الآن (ست بيت) . ومما سبق نرى أن وظيفة رسام « آمون » كانت وراثية فى هذا البيت ، يتعلمها الابن عن والده . ووجد على جدران هذا القبر لوحة مثل فيها « سيتى الأول » يقدم زهرة البشنين للإله « أوزير » وهو لابس شعرا مستعارا بسيطا يحليه الصل على جبينه ويرتدى جلبابا طويلا ومجعدا ويلبس فى قدميه حذاء ، وخلف الفرعون يشاهد الرسام « باشدو » واقفا بصورة تقرب من صورة الفرعون فى الارتفاع ورأسه حليق ويلبس قميصا طويلا ولكنه عارى القدمين . ويلفت النظر فى هذه الصورة أن « باشدو » قد مثل بصورة تماثل

صورة الفرعون فى الحجم ، إذ يلحظ أن قمة رأسه تصل إلى صل الفرعون الذى على جبينه ، وقد انحنى « باشدو » بعض الشيء ولذلك فإنه إذا وقف منتصبا تماما فى الصورة كان حجمه مثل حجم الفرعون فى الطول ، وهـذا منظر غير مألوف فى الرسوم التى يظهر فيها الفرعون ، إذ قد جرت العادة فى كل المناظر أن الملك يرسم بصورة ضخمة بالنسبة لمن حوله الذين يظهرون كالأقزام .

وفى أسفل اللوحة يشاهد « باشـدو » راكعا أمام الإله « أنو بيس » موجها أنشودة للإله « خنتا منتى »[١] . هذا ويشاهد فى حجرة الدفن عدد عظيم من الأشخاص يتعبدون لآلهة مختلفة .

« وسرحات » كاتب حرس « منماعت رع » الذى يحمى « آمون » وجنوده .

نحت هـذا الكاتب بالاشتراك مع بعض الموظفين لوحة أقيمت فى « العرابة المدفونة » تبركا وحبا فى الإله « أوزير » سيد هذه البلدة ، وبخاصة فى هذا العهد الذى أحييت فيه عبادة « أوزير » على يد الفرعون « سيتى الأول » . أما الموظفون الذين اشتركوا فى إقامة هذه اللوحة فهم :

(١) « واز رمبت » رئيسـة حريم ومغنيات « آمون » . وابنها الذى أقام اللوحة هو الكاتب « وسرحات » .

(٢) حامل العلم المسمى « حوى »[٢] .

(٣) « خعى » وكان يحمل لقب ضابط .

« با كا » ويحمل لقب مقدم الأعمال فى مكان الصدق (جبانة دير المدينة) . ويوجد لهـذا الموظف لوحة فى « متحف تورين »[٣] وقـد ذكر معه ابنـه وبعض أشخاص لا نعرف نسبتهم وهم :

---

(١) راجع : Bruyère Ibid. p. 86 fig. 5

(٢) راجع : Lieblein Dic Noms. No. 2062

(٣) راجع : Lanzone, Cat. Turin 1549

(١) ابنه « حورمويا » : الخادم فى «مكان الصدق على الجبل الغربى» .

(٢) « باشدو » : رئيس الصناع فى «مكان الصدق» .

(٣) « أمنمس » : الخادم فى «مكان الصدق»[١] .

ومن ذلك نفهم أنه يجوز اشتراك عدّة أشخاص فى إقامة لوحة فى هذا المكان المقدّس و إن لم تربطهم ببعضهم صلة نسب .

« معى » : كاتب القربان المقدّس لثالوث العرابة (أى « أوزير » ، و « حور » ، و « إزيس ») وكل الآلهة الذين فى معبد «من ماعت رع» (معبد « سيتى الأوّل » بالعرابة) .

وجد لهذا الكاتب لوحة عثر عليها فى « العرابة المدفونة » وهى الآن « بمتحف بروكسل » ببلجيكا[٢] ، وقد كشف عنها « جارستانج » فى « العرابة المدفونة » بين عامى ١٩٠٦ ، ١٩٠٩ م وتعدّ من أهم اللوحات الجنازية من حيث مادتها ، كما أنها فى الوقت نفسه نحتت نحتا جميلا . والواقع أن هذه اللوحة تحتوى على أنشودة للإله « أوزير» بوصفه إله الآخرة فتعدّد لنا ما كان له من نفوذ وسلطان فى نفوس الشعب ، وهى فى الأصل رواية لأنشودة قديمة كتبت فى عهد الدولة الوسطى عندما كان نفوذ هذا الإله قد بلغ شأوا بعيدا فى التسلط على أذهان الشعب ، و بخاصة بعد أن تحرّر من القيود والامتيازات التى كانت خاصة بالملوك بعد الثورة الاجتماعية التى أشعل نارها أهل الطبقة الدنيا المظلومة المكبوتة من أصحاب الاقطاع ، وقد كان من جرائها أن نال عامة الشعب بعض حقوقهم الدنيوية ، ولكنهم قد تساووا مع الملوك فى حقوقهم فى عالم الآخرة ، فأصبح فى مقدور كل من الملك والفلاح البسيط والعامل الصغير أن يكون «أوزيرا» فى عالم الآخرة إذا كان تقيا ورعا مؤدّيا ما عليه من حقوق لله والناس . والأنشودة التى نحن بصددها تعدّ تجديدا لهذا العهد الغابر بعد أن

---

(١) راجع : Speelers. Rec. Trav. XXXIX p. 113-144 pl. IV

كان قد طغى على ديانة أهله « أخناتون » ، وقد جمعت إحدى عشرة رواية لهذه الأنشودة الهامة فى كتاب الأناشيد الدينية لعهد الدولة الوسطى[1] . وقبل أن نورد هنا ترجمة هـذه الأنشودة نصف اللوحة وما عليها من نقوش ومناظر أخرى : يشاهد على الجزء الأعلى المستدير من هذه اللوحة قرص الشمس المجنح محلى بصلّين، أحدهما يلبس تاج الوجه القبـلى ، والآخر يلبس تاج الوجه البحرى . وعلى يمين هذا الجزء من اللوحة نشاهد الفرعون «سيتى مرنبتاح» لابسا قبعة يزينها الصل الملكى، ويرتدى ثوبا طويلا مزركشا وهو يقدّم للإله « أوزير » الجالس أمامه على عرشه علامات الحياة والثبات والعافية، وخلف « سيتى » نرى صبيا صغيرا يتبعه تتدلى من رأسه خصلة شعر غزيرة ويرتدى قميصا بسيطا ويحلى رقبته قلادة وقـد نقش فوقه المتن التالى : "ابن الملك الأكبر من صلبه «رعمسيس»" وخلف «أوزير» نشاهد الإلهة « إزيس » واقفة وتلقب « إزيس العظيمة والأم المقدّسة»، وخلفها الإله « حور » ابنها وبيده علامة الحياة ويلقب « حور المنتقم لوالده » .

وقد عرف صاحب هـذه اللوحة فى خمسة أسطر عمودية كتبت فوق صورته وهى : " المنفرد فى كماله ، والمستقيم ، والصادق، والذى يرضى سيده، ومنفذ تعاليم جلالته ، كاتب القربان المقدّس « لأوزير » و « وحور » و « إيزيس » وكل آلهة معبد «سيتى» ، «معى» صادق القول الذى يثوى فى سلام فى «مكان الصدق» (الجبانة) ، ابن رئيس الرماة « بس » ، صادق القول فى أمان فى الغرب ، وهو الذى وضعته ربة البيت « ورنور » صادقة القول فى سلام " .

وفى أسفل هـذا المتن يرى « معى » واقفا رافعا يده يشـير إلى الأنشودة التى نقشت أمامه فى أربعة عشر سطرا عموديا كأنه يقرؤها، ويرى أمامه مباشرة مائدة

---

(١) راجع : S. Hassan, Les Hymnes Religieux du Moyen Empire p. 5 ff.

قربان صف عليها ألوان من الطعام، و يلاحظ أن «معى» كان يرتدى شعرا مستعارا طو يلا كما كان يلبس ثو با طو يلا مجعدا .

وهاك نص الأنشودة :

"الدعاء لك يا «أوزير» من كاتب القربات المقدّسة لكل الآلهة فى بيت « من ملعت رع » على لسان « معى » صادق القول يقول " :

"السلام عليك يا «أوزيرونتفر» يا ابن «نوت» (ربة السماء) و يا سيد القرابين، و يا رفيع التاج، و يا سيد القوة وعظيم الاحترام، و يا من أعطى التاج المزدوج والفرح على رأس « هرا كليو بوليس » (أهناسيا المدينة التى كان يعظم فيها « أوزير ») ومن الإله «رع» قد أذاع الخوف منه، ومن أوجد « آتوم » الرعب منه فى قلوب الناس والآلهة والمنعمين والموتى، ومن أعطى روحه فى «منديس» ، ومن يخاف فى « هرا كليو بوليس » ، ومن ثواه قد اتخذت مكانتها فى « هليو بوليس » ، ومن صوره عظيمة فى « بوصير » ، وسيد الخوف فى المكانين المقدّسين (أى المعبدين) ، ومن الفزع منه عظيم فى « روستاو » (عالم الآخرة) ، وسيد القوة فى « تنين » (قبرأوزير) ومن حبه عظيم على الأرض ، وصاحب الذكرى الحسنة فى القصر، والعظيم الظهور فى العرابة (خلال أعياده)، ومن أعطى صدق القول (أى برئ) أمام الإله «جب» (إله الأرض) وتاسوع الآلهة مجتمعين، ومن لأجله ذبحت الذبائح فى القاعة العظمى الشاسعة التى فى « حرور » (أى بلدة «قصر هور» فى الشمال الشرق من «الأشمونين»)، ومن يخافه الأقوياء والعظماء لأنه قد وهب الخوف، ومن يقف العظماء له على حصرهم، ومن نشر الإله «شو» (أى إله الفضاء) الذعر منه، ومن الإلهة « تفنوت » قد أوجدت سلطانه . و إنه ملك الآلهة وصاحب القوة المطلقة فى السماء ، وحاكم الأحياء (يقصد الأموات)، وملك من هم هنالك (أى الأموات) ، ومن تقوم له الملايين بالأحفال فى «بابليون» (مصر عتيقة إشارة الى أن « أوزير» هنا يمثل النيل) ، ومن تبتهل له الإنسانية بصياح الفرح فى «هليو بوليس» ، وصاحب القطع المنتخبة (من اللحم) فى البيوت العالية (أى المكان الذى تذبح فيه الذبائح) ، ومن جزرت له الذبائح فى « منف » ، ومن احتفل له بعيد اليوم السادس من الشهر، وعيد اليوم السابع فى « هليو بوليس » عندما ينادى فى محط « بنو » (قصر فى عين شمس) ، ومن عملت له الوجبات الليلية فى «ليتو بوليس» (أوسيم الحالية) ، ومن أعطى السيف والنصر فى « هليو بوليس » ، وعندما تراه الآلهة يقدمون له الخضوع ، وعندما يراه المنعمون (الأموات) يهللون له . هذا هو « أوزير » بن « نوت» عظيم الرهبة وعظيم السطوة ، ومن يأتى إليه الرجال والآلهة والمنعمون والأموات خاشعين .

وكذلك تهرول نحوه الجماهير فى «جحستى» (المكان الذى قتل فيه أوزير) مهللين ومعهم من فى العالم السفلى . وإنى ابنك «حور» وقد أتيت وضربت لك أعداءك وضحيت بهم لك مثل حيوانات الأضاحى وأهلكتهم مثل الثيران وقد سقطوا على وجوههم من أجلك ، وإنى أرضيك لأنك محبب فلتكن راضيا عنى رضاء طيبا فى هذا اليوم (يوم الحساب) ، وتقصى عنى شرى وتسمع عندما أدعوك وتخرج (لتبعد عنى الشر) بسبب ما قلته من خير فى هذا اليوم". وهذه الأنشودة على الرغم مما فيها من إشارات بعيدة لشعائر دينية خاصة وأساطير عتيقة وصفات خاصة بالإله «أوزير» المهيمن على عالم الآخرة، والحاكم الأول على الأرض، تضع أمامنا صورة صادقة عن هذا الإله ومقدار نفوذه على عقول عامة الشعب وبخاصة إذا علمنا أن كل إنسان كان يرجو بعد الحياة الدنيا أن يصير «أوزيرا» فى عالم الآخرة ولذلك نجد كل فرد كان يعمل لآخرته ويعد لها العدة بشتى الطرق وبالتقرب إليه بخاصة وإقامة أثر بجوار ضريحه المقدس الذى كان فى «العرابة المدفونة» . ولذلك نرى «معى» — كاتب هذه الأنشودة — يرجو من هذا الإله بعد أن عدد كل مناقبه وكل ما عمل له من خير أن يبعد عنه الشر ويجعله من المقبولين فى «هذا اليوم» (أى يوم تجزى كل نفس بما عملت) ، ومن ثم نرى أن الفرد أخذ يناجى ربه .

والأمر الهام الثانى الذى نلحظه فى صور هذه اللوحة هو صورة الأمير الصغير «رعمسيس» بكر أولاد «سيتى الأول» ، غير أننا لا نعلم إذا كان «ميى» قد كتب هذه اللوحة فى أول عهد «سيتى الأول» عندما كان ابنه «رعمسيس» الذى توفى فيما بعد وهو الذى كشف قبره فى «سد منت» وتابوته فى مدينة «هابو» هو «رعمسيس» هذا أم هو «رعمسيس» الذى أصبح فيما بعد «رعمسيس الثانى» والأرجح أن الذى صوّر على هذه اللوحة هو «رعمسيس الثانى» فيما بعد ، إذ قد محا «سيتى الأول» اسم «رعمسيس» المتوفى من نقوش معبد الكرنك على حسب قول «كيث سلى» ووضع مكانه صورة «رعمسيس» الذى أصبح وارثه فى الملك . هذا فضلا عن أننا لا نجد آثار محوٍ هنا (راجع ص ١٥٠) .

« حوى » الكاتب الذى يدير آثار رب الأرضين ورئيس الأعمال . عثر لهذا الموظف على لوحة فى محاجر « الدبابية » فى جبلين(١). واللوحة تشير إلى أن « سيتى الأول » قد استخرج أحجارا من هذا المكان لإقامة معبده الجنازى « بالقرنة » فى « طيبة الغربية » وهو المسمى ببيت « من ماعت رع لملايين السنين فى غربى طيبة »، ومما يؤسف له أن المتن الذى نقله « دارسى » من هذه اللوحة مهشم جدا، ولكن مع ذلك يفهم منه أن الفرعون قد أرسل بعثا إلى هذه المحاجر بما يلزم من المال والعتاد لقطع الأحجار من هناك .

« حوى شرا » : حاسب الفضة والذهب لرب الأرضين فى مصر السفلى ومصر العليا، وقد وجدت له لوحة محفوظة الآن بمتحف « استوكهلم »(٢) .

« حور مين » : (كاتب الملك الحقيق ومحبوبه(٣)) عثر على قبر هذا الكاتب فى « سقارة » بالقرب من هرم الفرعون « وناس » أحد ملوك الأسرة الخامسة، ومن ألقابه : حامل الخاتم، والمشرف على (حريم) الفرعون فى بيت ... فى « منف » . وما تبقى من نقوش قبره هى صيغ قربان عادية للآلهة « أوزير » و « حور » و « إزيس » و « نفتيس »، وزوجته تدعى أخته محبوبته ربة البيت مغنية إزيس : « معى » . هذا بالإضافة إلى أننا نشاهد فيه صورة رجل يضرب حمارا (راجع .Porter and Moss III, p. 177) .

وتوجد له لوحة عثر عليها « مريت » فى « السربيوم » تدعى أحيانا باسم لوحة الأطواق أو القلائد وذلك لأن الفرعون « سيتى الأول » يظهر فيها واقفا فى شرفة قصره مانحا « حور مين » الذى كان يحمل لقب المشرف على (حريم) الفرعون القلائد الذهبية، وفى الصورة خادمان قد شغلا بتحلية جيد « حور مين » هذا بالقلادات

(١) راجع : Br. A. R. III, § 210; Rec. Trav. XI, p. 134

(٢) راجع : Lieblein Dic. Noms. No. 882

(٣) راجع : Roeder. Agyptische Insch Berlin II, pp. 153-6, 236-9

الذهبية فى حين أن المنعم عليه كان يرفع ذراعيه فرحا واعترافا بالجميــل . والواقع أن منح القلائد كان إنعاما ملكيا كما هى الحال الآن كما تكلمنا عن ذلك من قبل .

والمتن فى هــذه اللوحة يشمل خطاب الفرعون وجواب المنعم عليه وصــلاة مؤلفة من أربعة أسطر موجهة للإله « بتاح» رب منف (راجع Boreux Guide Tom. I, p. 80).

« حعبى » : رئيس أتباع جلالته ومحبوبه .

وجد لهــذا العظيم لوحة فى جبل « السلسلة » وقــد مثل فيها متعبدا لطغراء الفرعون « سيتى الأول » وكان يحمــل غير اللقب السالف لقب المشرف على جنود قلعة سيد الأرضين (١) .

« سايمبترف » : رئيس (٢) صــياغ ملك الأرضين ، أو رئيس صــياغ بلاط «سيتى الأول» . تدل الشواهد على أن قبر هذا الصائغ كان فى «سقارة» ، وتوجد منه الآن خمس قطع فى «متحف لاهاى» وقطعة واحدة فى «متحف القاهرة» . ويقول التاجر الذى اشتريت منه القطعة الأخيرة إنه ابتاعها من «سقارة» ، وهذه القطع عليها منظر غريب فى بابه إذ نشاهد عليها صورة من صور الآلهة التى تخرج من شجرة الجميز .

والمدهش أن الإنسان عندما يفحص الآلهــة لأول وهلة يخيل إليه أن لهــا أربع أذرع بدلا من اثنتين ، ويلحظ أن اثنتين تحمل كل منهما إناء ماء ، أما الذراعان الأخريان فتحملان مائدة قربان عليها خبز وطاقة أزهار وخيارة ، ولكن نشاهد أن ورق شجرة الجميز تعلوه نخلة ، وأمام الآلهــة نرى المتوفى راكعا ورافعا يده ليتقبل المــاء الذى تصبه له الآلهــة ، وتحت المتــوفى زوجه المسماة « ناشايت » راكعة . وتحت الشجرة طائران برأس آدميين وهما يمثلان روحا الرجل وزوجه ، وأمام هذين

(١) راجع : L. D. texte. IV, p. 97 (6)

(٢) راجع : A. S. XXIX, pp. 81 - 88

الروحين وضعت مائدة قربان تشبه التى أمام الرجل وزوجه، والحوض المستطيل الذى نبتت فيه الجميزة هو حوض مقدّس .

وعلى حسب الاعتقاد المصرى كان المتوفى فى أثناء سياحته فى عالم الآخرة تستقبله إلهة «طيبة» فتطعمه وتسقيه، وكان اسمها بوجه عام الإلهة «نوت» أو «حتحور» أو «ازيس» ولكن فى غالب الأحيان كانت تسمى «سيدة الجميزة» فحسب، والواقع أن شجرة الجميزة كانت تلعب دورا هاما فى المتون المصرية، غير أن رسم هذه الآلهة الخارجة من شجرة الجميزة لم يظهر إلا منذ الأسرة الثامنة عشرة .

والآن يتساءل الإنسان عن السبب فى أن لهذه الإلهة أربع أذرع، ولماذا نجد نخلة تعلوها ؟ والجواب على ذلك أنه لا بدّ أن تفصل هذه الصورة على الوجه الآتى . نرى فى الصورة أوّلا المنظر المعروف الذى يمثل الآلهة فى شجرة الجميز، وأن جذع الجميزة هذه كان يغطى جذع النخلة ولا نرى من الأخيرة إلا جزءها الأعلى الذى يفوق الجميزة فى ارتفاعها ، وكذلك نشاهد أن إلهة الجميزة كانت تغطى إلهة النخلة التى لا نرى منها إلا ذراعيها، وهذا هو السبب الذى من أجله نرى فى الرسم إلهة بأربع أذرع . والمنظر كما يقول الدكتور «كيمر» منقطع القرين فى كل المناظر المصرية التى عرفها حتى الآن من هذا النوع، ولكن يجب أن تكون هناك مناظر أخرى مماثلة . على أنه من جهة أخرى توجد بعض مناظر من الدولة الحديثة نشاهد فيها إلهة الجميزة و إلهة النخلة مجتمعتين معا فى صورة واحدة .

أما المتن الذى على هذا الحجر فهو : كلام الجميزة البارة بسيدها : " إنى أقدّم لك الخبز والماء العذب إلى «أوزير» (أى لك) يارئيس صياغ ملك الأرضين «سايمبترف» " .

والواقع أن كلا شجرة الجميزة والنخلة لم تزل موضع تقديس عند العامة حتى الآن ، وأنه محرّم عند العامة قطع شجرة الجميز، وبخاصة ما كان منها فى الجبانة، لأن العامة يعتقدون أنها تروى الموتى وتظلهم بظلالها .

وكذلك تعد النخلة شجرة مقدّسة لا يستحسن قطعها أبدا، حتى أن بعض القرى و بعض المدن قد غير نظام تخطيط بعض البيوت فيها لوجود شجرة نخيل فى مكان البناء ، هذا بالإضافة إلى أن سعف النخل لا يزال يوضع على قبور الموتى عند زيارتهم و بخاصة فى الأعياد وهذه العادة منتشرة كثيرا فى ريف مصر وصعيدها ، ولا أظنّ ذلك إلا من بقايا الاعتقاد القديم .

« ستى » [1] حامل المروحة على يمين الفرعون : يقع قبر هذا الموظف الكبير فى جبانه قرية « الخوالد » الحالية عند سفح الجبل الشرقى المواجه لبلدة «أبو تيج» .وقد عثر عليه أحد الأهالى عندما كان يحفر قبرا لأسرته ، وقد نحت «ستى» قبره فى مكان أحجاره هشة ، ويظهر أنه أقام سقفه من الحجر الجيرى الأبيض ، و يصل الانسان إلى الضريح بوساطة بئر يبلغ عمقها نحو ثلاثة أمتار وسبعين سنتيمترا ، وفى الجدار الشرقى باب يوصل إلى قاعة تستند على ستة عمد من الحجر الجيرى ، وقد نقشت جدرانها بصيغ دينية للإله «أوزير» وألقاب المتوفى . فعلى الجدار الأيسر لهذه القاعة نقرأ الألقاب التالية : "حامل المروحة على يمين الملك ، والكاتب الملكى ، وقائد الجيش الأعظم لجلالته ... ... رب الأرضين ، والمشرف على بيت المال لمعبد « ستى » المقدّس فى بيت «آمون ستى»" . وعلى جانبى الباب مثل المتوفى يقدّم قربانا للإله «أوزير» ، وعلى العتب صورة سفينة « رع » المقدّسة التى كان يقوم فيها المتوفى بسياحته من الشرق إلى الغرب ومن الغرب إلى الشرق مع الإله « رع » ، وفوق صورة أوزير نقرأ : "«أوزير» رب الغرب ، الإله العظيم ، حاكم الأبدية" ، وفوق صورة المتوفى نقشت صيغة قربان « لأوزير » وكذلك ألقاب « ستى » ، وقد جاء فيها غير ما ذكرنا أنه "المشرف على بيت مال الفرعون فى كلا الأرضين" وكذلك نقش على العتب صيغ قربان للآلهة « أوزير » و « بتاح » و « أنوبيس » ، ثم الإله « آمون رع » رب تيجان الأرضين ، ورئيس الكرنك ، ورب السماء ، وحاكم الأبدية وكذلك للإله

(١) راجع : A. S., II, p. 137-140

« حور اختى » . وقد وجد فى هـذه القاعة بعض التماثيل الصغيرة المصنوعة من الجرانيت تمثل المتوفى . وعلى يمين هـذه القاعة حجرة خالية من النقوش، وتؤدّى قاعة العمد من الشرق إلى حجرة مقسمة ثلاثة أقسام، ففى الجزء الأوسط الذى تبلغ مساحته ٤,٦٥ + ٢,٣٥ مترا نجد عند المدخل بئرا مكسوّة بالحجر الجيرى الأبيض، وقد دفن فيها «ستى» ، ووضعت جثته فى تابوت من الجرانيت له غطاء من نفس المـادة ، غير أن التابوت وجد مهشما، وقد نقش كل منهما بالمتون والصـور التى تشمل ألقاب المتوفى ، والصيغ الدينية و بخاصة أسماء الآلهة الذين يحرسون المتوفى أمثال « حابى » و « دواموتف» و « أنو بيس » و « أوزير» . أما الجزء الثانى فهو حجرة وجد فيها بعض عظام، وفى الجهة الشرقية نجـد سلما يؤدّى للتابوت ، أما الجزء الثالث فيقع على اليسار، ويحتوى على ممر يؤدّى إلى حجرة أخرى توصل إلى حجرة تحتوى على بقايا مومية وعلى قطع من أوانى الأحشاء المصنوعة من المرمر .

وقد تكلمنا عن هذه المقبرة ببعض التفصيل لأنها كانت لرجل من كبار رجال الدولة فى عهد الأسرة التاسعة عشرة، وهذا العظيم لم يدفن بجوار مليكه فى «طيبة» بل فضل — على ما يظهر — أن يدفن فى مسقط رأسه، و بذلك قدّم لنا نموذجا للقبرة التى كانت تقام فى الأقاليم فى هذا العصر وهى قليلة لدينا ، و يلاحظ أن «ستى» كان يتعبد جريا على التقاليد المتبعة للآلهة العظام فى الدولة وقتئذ وهم : «آمون رع» و «بتاح» و «حور اختى» و «أوزير» ، وكان آمون يلقب «آمون رع» رب تيجان الأرضين، ورب السماء، وحاكم الأبدية؛ مما يدل على مكانته فى العاصمة والأقاليم .

ومحتو يات هذا القبر التى بقيت لنا حتى الآن تدل دلالة واضحة على أن صاحبه كان من عظماء القوم ، كما تدل على ذلك ألقابه ، فقـد صنع تابوته من الجرانيت وكذلك تماثيله المجيبة من نفس المـادة كما نحتت أوانى أحشائه من المرمر، ولا بدّ أن التابوت كان يحـوى بعض المجوهرات و بخاصة أن صاحبه كان يحمـل لقب المشرف على بيت مال رب الأرضين .

ومما يلحظ هنا أن هـذا الموظف الكبير قد تسمى باسم مليكه ، غير أنه لم يستعمل فى كتابة اسمه صورة الحيوان الدال على الإله « ست » مما يبرهن على أن هذا الإله، على الرغم من انتشار عبادته فى هذا الوقت، كانت صورة الحيوان الدال عليه مكروهة ، وقـد تحاشى كتابتها الملك « سيتى » فى اسمه فى كثير من الأحيان كما شرحنا ذلك من قبـل . ومع ذلك نجـد أن « ستى » صاحب المقبرة، قد نقش اسم سـيده « سيتى الأول » بصورة الحيوان « ست » ، ولعـله فعل ذلك فى داخل قبره لأنه بعيد عن أعين النظارة بخلاف المعابد التى كانت تحت نظر القوم فى كل وقت .

« رر » : المشرف على جياد رب الأرضين والمدير العظيم لبيت الملك: توجد بمتحف « اللوفـر » لوحة جميلة الصنع لهـذا الموظف الكبير وزوجه ربة البيت مغنية « آمون » و « سخمت »، وقد نقشت هـذه اللوحة نقشا بديعا من طراز نقش « سيتى الأول » الدقيـق ، وكان « رر » هـذا يحمل ألقابا أخرى وهى : " كاتب الفرعون، والمدير العظيم ، والكاهن « سم » فى معبد « من ماعت رع » راحة القلب، والذى يملأ قلب سيد رب الأرضين " .

ونشاهد صاحب اللوحة وزوجه فى الجـزء الأعلى يتعبدان أمام « أوزير » الذى كان يتبعه « إزيس » و « حور » والإله « وبوات » . وفى الجزء الأوسط من اللوحة نرى صاحب اللوحة يتقبل القربان والبخور من كاهن يصحبه خمس من بنات المتوفى ، وفى الجزء الأسفل من اللوحة نجد خمسة آخرين من أفراد الأسرة يقدمون الأزهار لوالد المتوفى المسمى « باكا » ولزوجه مغنية « آمون » وتدعى « حنت إيون » .

وهذه اللوحة تقدم لنا صورة صادقة عن ارتباط أفراد الأسرة بعضهم ببعض حتى فى عالم الآخرة، إذ نجد الرجل وزوجه يتعبدان لثالوث العرابة وهم « أوزير » ، و « إزيس » و « حور » ، ثم الى الإله الحارس « وبوات » الذى يحرس الموتى

من عبث الحيوان المفترس، ثم نرى بعد ذلك الكاهن (ولا بدّ أن يكون ابن المتوفى) يقدّم له القربان هو وأخواته. وأخيرا نجد فى الصف الأخير خمسة أفراد من الأسرة يقدّمون لجدّهم وجدّتهم الأزهار ترحما عليهما، وعلى الرغم من أننا لا نعرف مصدر هذه اللوحة فإننا نكاد نقطع بأنها كانت منصوبة فى «العرابة المدفونة»، وبخاصة أنها كانت لكاهن معبد «سيتى» فى «العرابة المدفونة» (١).

«نيانى»: فى متحف «اللوفر» لوحة باسم رجل يدعى «نيانى»، والظاهر أنه كان مدير (الحريم) فى معبد «سيتى»، وتدل النقوش التى عليها على أنه قد أقامها تذكارا لذكرى والده المسمى «خعمواست» وكان يحمل لقب مدير بيت «العيد» (؟) ووالدته تسمى «كام» وزوجه تدعى «حنت نفر» وله أخ يحمل لقب صف ضابط ويدعى «نب ور» (٢).

«نب زفا» (٣): رئيس فرقة عمال: عثر على قبر هذا الموظف فى جبانة «دير المدينة». وقد وجد فيه بعض آثار مهشمة منها قطعة من لوحة نقش عليها صورة «أمنحتب الأوّل» والملكة «أحمس نفرتارى»، باللون الأسود، وكذلك بعض قطع من موائد قربان وأشياء أخرى باسم «نب زفا»، وقد نقش عليها صيغ دينية وتقديم القربان لآلهة مختلفة، منها الإله «سكر» والإله «حوراختى» والإله «آتوم» و«أمنحتب الأوّل» و«نفرتارى» المؤلهان، وقد لقب «نب زفا» على بعض هذه الآثار خادم مكان الصدق. وقد عثر على قطع آثار كثيرة باسمه فى المنطقة المجاورة لقبره.

ولهذا الموظف كذلك لوحتان فى «المتحف البريطانى» وحوض، وله لوحة فى «متحف فلورنس» بإيطاليا مهداة للإله «بتاح» وزوجه «سخمت»، وكذلك باب محراب من الحجر الجيرى الأبيض مهدى للإلهة «نوت»، وهو محفوظ الآن

---

(١) راجع : Boreux: Guide - Catalogue I, p. 82

(٢) راجع : Boreux Ibid. I, p. 88

(٣) راجع : Bruyére. Fouilles de Dier El Medineh (1933-4) p.45ff

« بالمتحف المصرى » (رقم ٦٣٦٤٤) . وعلى كل هذه الآثار نجد أن «نب زفا» يعدّد لنا أفراد أسرته، ومن مجموعها نعلم أنه عاش فى أوائل الأسرة التاسعة عشرة، وأنه أضاف إلى لقب زملائه الذين كانوا يعملون فى هـذه الجبانة — وهو لقب خادم مكان الصدق — لقبا آخر يظهر أن أسرته كانت أول من حمله وأنه خلعه على ابنيه « حور نفر » و « تحوت حر مكتف »، وهذا اللقب يظهر أنه يعنى رئيس فرقة أو إدارة عمـل ، وكان حامله تحت إدارة رئيس العمال فى الجبـانة مباشرة ، والظاهر أنه كان لقبـا مدنيا خاصا بالمعامل والمصانع فى الجبانة الملكية، وليس له دخل بالأمور الدينيـة ، والظاهر أن هذه الوظيفة قـد أوجدها « سيتى الأول » لضرورة وقتية خاصة بالأعمال العظيمة التى قام بها فى أوائل حكمه، وعين فيها كلا من « نب زفا » وموظف آخر يدعى « عم كت » وحسب .

وقد خلعها كل منهما بدوره على ابنه، غير أنه على ما يظهر قد بدا لأولى الأمر أن هذه الوظيفة كانت منبع شقاق ومخاصمات بين كبار رجال جبانة « دير المدينة » فألغيت، وهذا هو التفسير الوحيد لعدم وجود هذا اللقب قبل هذا العهد و بعده .

« تحوت حر مكتف » : وهو ابن « نب زفا » السالف الذكر . وقد عثر على قبره فى « دير المدينـة » أيضا (رقم ٣٥٧) ويحمل لقب خادم مكان الصدق ولقب رئيس فرقة وهو الذى ورثه عن والده . وقد وجدت فى قبره أدوات وتماثيل عجيبة، وكذلك عثر له على آثار عدّة موجودة الآن فى مختلف متاحف أوربا (١) ، ومن كل آثاره أمكن وضع سلسلة نسب هذه الأسرة وهو :

« نب زفا » : تزوّج من «حتحور حنرا» وأنجب منها «تحوت حر مكتف» الذى تزوّج من « تاورت » (ورنرا) وأنجب منها « نخت تحوتى » .

كما أنجب «نب زفا» ولدا آخر هو «حور نفر» الذى تزوّج من «حمت نتر»، ولكل هؤلاء آثار عثر عليها فى جبانة « دير المدينة » (٢) .

(١) راجع : Bulletin de L'Inst Franc XXIV, p. 178

(٢) راجع : Bruyere Ibid. (1929) p. 80

مقبرة الكاهن « وسرحات »

من أهم المقابر التي تسترعى النظر بصفة خاصة فى عهد الأسرة التاسعة عشرة مقبرة الكاهن الأول لروح الفرعون « تحتمس الأول » ، وهو الذى وكل إليه أمر القيام بأداء الشعائر الدينية فى معبد هذا الملك الجنازى الذى أقامه لنفسه فى الجهة الغربية من « طيبة » ، والظاهر من نقوش قبر هذا الكاهن أن وظيفته هذه كانت وراثية فى أسرته التى يدّعى أنها كانت عريقة فى المجد ، وأنه كان منها الوزراء ورؤساء كهنة « آمون » وما إلى ذلك مما كان يفخر به المصرى عادة على جدران مقبرته التى كانت تعدّ فى نظره بمثابة سجل لأعماله وتاريخ عصره ، غير أننا نجد فى هذه النقوش المبالغة الصارخة ، والافتراء على التاريخ ، ولذلك يشعر الأثرى الحديث الذى خبر مقابر هذا العصر ودرس نقوشها ، أن صاحب هذه المقبرة إما أنه كان يكتب لشعب لا يعرف التاريخ فيزوّر فيه ويخترع كيف يشاء ، وإما أننا لم نصل إلى حقيقة الأمر فى فهم كنه ادّعاءات « وسرحات » كما سنبين بعد ، وتمتاز نقوش مقبرة هذا الكاهن بميزات نذكرها فيما يأتى :

(١) تقدّم لنا مناظر هذه المقبرة صورة واضحة عن حالة فن التصوير وما طرأ عليه من تغير وبخاصة التلوين وإدخال التظليل فى التصوير المصرى مما لم يسبق له مثيل من قبل .

(٢) وكذلك نفهم من النقوش مقدار ما كانت عليه البلاد من رخاء ، ونستنتج ذلك من الهدايا التى كانت تقدّم للتوفى من مليكه وما فيها من صناعات وفنون دقيقة تستحق الإعجاب ، وكذلك تضع أمامنا صورة ناطقة عن زى هذا العصر والتأنق فى الملبس وحب الأزهار ومباهج الطبيعة .

(٣) نشاهد فيها التغييرات التى حدثت فى هذا القبر ونقوشه من محو وإثبات مما يدل على محاولة اغتصابه من صاحبه ، والدور الذى كان يلعبه كل من الكاهن والمرأة ، وكذلك المنافسات التى كانت تقوم بين نساء الرجل الواحد .

(٤) تقدّم لنا مناظر هذا القبر صورة واضحة عن الشعائر الدينية التى كانت تؤدّى للتوفى عند دفنه، وصورة عن محاسبته فى عالم الآخرة وما طرأ على ذلك من تغير وبخاصة الميزان، والدور الذى كان يلعبه فى حساب المتوفى . وقد ظهرت أمامنا ظاهرة غريبة فى هذا الصدد، وذلك أن المتوفى وقت حسابه فى عالم الآخرة كان يوضع قلبه فى كفة والعدالة توضع فى كفة أخرى ، أما الآن فقد وجدنا فى مقبرة « وسرحات » أن جسم الرجل نفسه كان يوضع فى كفة وقلبه فى كفة أخرى ، وفى مقبرة أخرى وجدنا أن جسم المتوفى نفسه كان يوضع فى كفة والعدالة فى كفة أخرى ، أنظر ص ١٥٨ ومن ذلك يمكن أن نستخلص أن الإنسان فى هذا العهد قد بدأ يشعر بمحاسبة ضميره له، ولذلك كان يوضع ضميره الذى عبر عنه بالقلب فى كفة وجسمه فى كفة أخرى ، وهـذا بالطبع أعلى ما وصل إليه الخلق الإنسانى من الرقى ، ولا غرابة فى ذلك فقد كان لتأثير ديانة « إخناتون » التى كانت تدعو للوحدانية ، والعدالة المطلقة أثر قوى حتى بعد التغلب على مبادئها والعودة إلى الديانة القديمة ، يضاف الى ذلك أننا نجد أن محاسبة الإنسان لنفسه ولضميره ومناجاته لربه والتنسك، كل ذلك قد ظهر بصفة بارزة فى هذا العهد، وبخاصة بين أفراد الشعب كما سنبين ذلك بعد، وسنحاول هنا أن نصف مناظر هذا القبر الذى يعدّ من أجمل المقابر الباقية لنا من هذا العهد على حسب الرسوم التى نقلها المستر « ديفز » (١) الأثرى والمفتن العظيم .

نحت الكاهن « وسرحات » قبره فى الجزء الأسفل من واجهة علوة « شيخ عبد القرنة » بالقلعة التى تسمى «الكوم الأحمر »، وقد عاصر الكاهن «وسرحات» كلا من الفرعونين «رعمسيس الأوّل » و « سيتى الأوّل » كما يستدل على ذلك من نقوش هذا القبر .

(١) راجع : Two Ramasside Tombs at Thebes. by Davies,Oxford 1927 نلفت النظر هنا إلى أن أرقام اللوحات التى أوردناها فى الكلام عن هذا الموظف تشير إلى كتاب الأثرى « ديفز » هذا .

ويحتوى القبر على ردهة صغيرة تمدّنا بتاريخ الفن فى النصف الأول من الأسرة التاسعة عشرة ، ويصل إليها الإنسان من الشرق ، وقد نحت فى ركنها الشمالى الغربى لوحة جنازية . وتوصل هذه الردهة إلى قاعة مستطيلة بوساطة مرقاة مرتفعة بعض الشيء ، وهذه القاعة تمتدّ على يمين الداخل ويساره، وقد نقشت جدرانها بالرسوم والأشكال الزاهية الألوان، ومنها يصل الإنسان إلى حجرة أخرى بابها فى المحور غير أنها عارية من النقوش، ويرتكز سقفها على أربعة عمد مقطوعة فى أصل الصخر، والظاهر أن إطار مدخل هذه الحجرة كان مغطى بملاط من الجبس كما أن عمدها وسقفها قد غطيت بطبقة من الطين، وفى نهايتها باب يؤدّى إلى حجرة صغيرة بمثابة استراحة، وهذه الحجرة توصل إلى الحجرة التى دفن فيها الكاهن « وسرحات » ، وبابها صغير جدا .

هذا وفى قاعة العمد مكانان أعدّا للدفن ، ويلحظ كذلك أن سقف القاعة الأولى مقبب وقد نقش عليه اسم صاحب المقبرة .

والمناظر التى على جدران هذه القاعة تنحصر فيما يأتى :

(١) مناظر خاصة بخدمة الكاهن «وسرحات» للآلهة، والملك «تحتمس الأوّل» ومكافآته على هذه الخدمات .

(٢) مناظر تصف لنا محاكمة المتوفى وبراءته فى عالم الآخرة، وكذلك ماناله من مكافآت فى الحياة الدنيا على يد الفرعون وما كسبه فى الحياة الآخرة أيضا .

(٣) منظر مثل فيه تمتع « وسرحات » بحديقته الجنازية .

وصف المقبرة

المناظر التى على الجدار الشمالى الخاصة بعبادة «أوزير» : يشاهد على هذا الجدار محراب للإله «أوزير» وضع تحت جوسق، وهو محلى بالأزهار والأكاليل، ويلفت النظر أن حب المفتن للزخرفة قد حوّل قاعدة المحراب الذى يجلس فيه الإله

« أوزير » إلى بحيرة نبتت فيها سيقان السق المزهرة، وقد وقف على أربعة من أزهارها أولاد الإله « حور » الأربعة الذين كانوا يحمون أوانى الأحشاء كما هو معلوم فى الشعائر الدينية، وقد التفت حولها أعشاب نضرة . أما الآلهة الذين كانوا بصحبة « أوزير » فى هذا المنظر فهم: الإلهة «حتحور سميت»، والإلهة «ماعت» والإله « أنوبيس » (راجع pl. V.) ، ويلحظ هنا أن الإله « أوزير » قد لون جسمه كله باللون الأخضر علامة على أنه إله الخضرة النضرة وإله النيل الذى يبعث الخضرة[1] ، وقد جلس على عرش مزخرف بالألوان الزاهية ، وقد حلى جيده ويداه بالقلائد الفخمة والأساور الثمينة، وقد وضعت أمام المحراب كومة من الطعام على أربع قواعد فيها من اللحوم قلوب حيوانات وضلوعها ورءوسها وشحم وأفخاذ لحم ، هذا بالإضافة إلى خيار قد شق ليرى ما فى داخله ، وقد حليت كل هذه الأطعمة بالأكاليل وكذلك نشرت عليها الأعشاب النضرة وطاقات الأزهار . ويسترعى النظر ما نشاهده من قطع فحم أسود قد وضعت بين القرابين ليستمر حرق الزيت العطر (راجع pl. VI a.) .

ويقف أمام الإله « أوزير » صاحب المقبرة « وسرحات » ويقوم بدور الكاهن فيصب البخور على كومة الطعام السالفة الذكر، وقد مثل هنا «وسرحات» برأس عار، ويحلى جيده قلائد من أقراص الذهب وغيره من الأحجار الثمينة ويرتدى قميصا قصيرا ، ويتدلى من خلفه شريط ، ويرتدى فوق القميص جلبابا فضفاضا وفوق كل هذا يرتدى فراء فهد وهو رمز لوظيفة الكاهن ، وهذا الفراء قد نمق بتفاصيل مدهشة لا تتفق مع مايشاهد فى الطبيعة ، وهو يختلف عما كان يلبس من قبل فى عهد الأسرة الثامنة عشرة، إذ كان الفراء ينقش بنقوش طبيعية، وقد سجل على كتف فراء « وسرحات » طغراءان خاليتان من النقوش ، ويجب أن تكونا

(١) ومن الطريف أن الموتى فى مصر الآن على وجه خاص يكفنون فى لفافة خضراء، وهذه عادة شائعة فى مصر، ولا شك أنها ترجع فى أصلها إلى الفكرة المصرية القديمة ، وبخاصة أن العامة يقولون إن الأخضر هو لون الجنة .

للفرعون « رعمسيس الأول » وهو الملك الذى عاش فى عهده « وسرحات » ، وكذلك وجد على (مريلته) نقوش خاصة بهذا الفرعون وهى : "الإله الطيب رب الأرضين وسيد الشعائر، عظيم القوة ، ومن عدالته جميلة أمام «آمون» ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ، رب الأرضين « من يحى رع » ابن « رع » رب التيجان «رعمسيس الأول» معطى الحياة مثل « رع »". ويظهر أمامنا جليا الغرض المادى الأصلى الذى من أجله كتب هذا النقش عندما نرى أن كاتبه قد نقش فوق صورة « وسرحات » الجملة التالية :

"لأجل روح «وسرحات» الكاهن الأول لروح الملك «عاخبر كارع» (تحتمس الأول)". وتقف خلف « وسرحات » زوجه « شبسوت » برشاقة ، وقد زاد فى جمال وقفتها ساق البردى المزهر الطويل المنحنى بعض الشىء الذى تحمله فى يدها . وهنا نلحظ أن المفتن قد رسمه بالوضع الطبعى لا حسب التقاليد الدينية العتيقة التى نشاهده فيها يرسم بصورة جافة مستقيمة لاعوج فيها كأنه خلق فى صورة خط مستقيم .

ويسترعى النظر فى ملابس هذه الزوجة أنها تلبس شعرا ضخما غزيرا ولكنه كان مستعارا، إذ قد ظهر من تحته بعض خصل من شعرها الحقيقى، وقد استعمل المثال هنا — فى تمثيل بشرة الجلد — ألوانا مختلفة ، فرسم بشرة الرجل باللون الأسمر الزاهى، وكذلك باللون الأحمر اللامع، أما بشرة المرأة فقد مثلت باللون البرتقالى أو اللون الأسمر الخفيف ، وقد استعمل اللونان الكميت والأصفر لكل من الجنسين ، وقد كان هذان اللونان لا يستعملهما المفتن من قبل بهذه الكيفية، وقد نقش بجوار زوجة «وسرحات» المتن التالى: "زوجه (أخته) وربة البيت، ومغنية آمون «شبسوت». (وهذا الاسم هو مصغر اسم «حتشبسوت»") . ويشاهد بجوار «شبسوت» ولد صغير فى يده طاقة أزهار وأوزة، ويلقب ابن الكاهن الأول للملك «عا خبر كا رع» « تحتمس » ، أما السيدة التى تأتى بعده فى المنظر فتدعى زوجه (أخته) ربة البيت ومغنية « آمون » ... ..." والظاهر أن اسمها قد محى هنا عمدا .

والواقع أن تاريخ العلاقات بين أفراد هذه الأسرة يحيطه الغموض كما سنرى بعد .

عبادة تحتمس الأول (المنظر السفلى) : يشاهد فى هذا المنظر « تحتمس الأول» جالسا فى جوسق وقد وقفت خلفه الملكة «أحمس نفرتارى» ، و يسترعى النظر هنا أن تاج عمود الجوسق الذى جلس فيه هذا الفرعون قد جمع بين زهرتى السوسن والبردى اللهم إلا إذا كان يمثل عمودين معاً .

وسرحات كاهن شعائر هذا الفرعون : والظاهر أن ما تقدّمه أسرة « وسرحات » من احترام « لتحتمس الأول » لا يرجع إلى ما لهذا الفرعون من شهرة تاريخية ، بل إلى ما كان يجنيه أفراد هذه الأسرة من فوائد مادّية من الأوقاف التى حبسها هذا الفرعون على معبده الجنازى ، وبخاصة إذا علمنا أن وظيفة الكاهن الأول لروح هذا الفرعون كانت وراثية فى أسرة « وسرحات » منذ وفاته .

والقربان الذى وضع أمام هذا الفرعون وأمه المؤلهين قد كدس فى إناء جميل من الذهب ، هذا فضلا عن أن «وسرحات» كان يقدّم أوزة تشوى على موقد ، وقد مثل لابسا شعرا مستعارا ولحية قصيرة وفراء نقش على كتفه اسم « سيتى الأول » كما نقش كذلك على (مريلته) وهاك النص : "الإله الطيب ، رب الأرضين ، وسيد الشعائر لعظماء الأبدية و «لرع» والآلهة الآخرين ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ، رب الأرضين «من ماعت رع» ، ابن الملك من صلبه ، ابن الشمس ومحبوب «سيتى» معطى الحياة مثل « رع » أبديا " .

أقارب « وسرحات » من النساء : وهنا تتبع « وسرحات » والدته الملقبة " والدته ربة البيت ، ومغنية « آمون رع » ملك الآلهة « حنت تاوى »[1] " وتحمل هذه السيدة فى إحدى يديها ثلاث بطات وصاجات وعقد منات من الطراز الجديد يظهر فيه الرأس الملكى ، وكذلك يتدلى من ذراعها طاقة أزهار شكلت على هيئة رمز يدل على الحياة ☥ وعلى طاقة أزهار فى آن واحد ، و يأتى بعد ذلك صورة

---

(١) يلحظ هنا أن اسم هذه المرأة قد كتب على طبقة من الجص وضعت فيما بعد ، و إذا كانت هذه الكتابة أصلية فان « حنت تاوى » تكون زوج والد « وسرحات » لأن أمه الحقيقية هى « توازورت » .

امرأة كتب عليها : " زوجه ربة البيت ومغنية ... " ويلفت النظر هنا أنها لم تلون باللون الزاهر وصاجاتها غير ظاهرة وملابسها ليست منمقة مثل سالفتها .

وبعـد ذلك نصل إلى أربعة مناظر صغيرة ذات طابع مختلف ، فى كل منهـا المتوفى وزوجه قد جلسا إلى مائدة قربان على اليمين ، وعلى اليسار كاهن يطهر القربان بالبخور والمـاء ، وكذلك نرى أربع نسـوة كنّ يقمن بدور النائحات على المتوفى مما لا يتفق مع العقيدة الصحيحة ، وفى ثلاثة من هذه المناظر نعرف أن الرجل وزوجه هما «وسرحات» و«شبسوت» ، ولكن نجد أن القربان فى الصف الأسفل مقدّم لروح موظف آخر يدعى «نب محيت» وزوجه التى لم يذكر اسمها ، هذا إلى أن الكاهن الذى يقوم بخدمتهما قد كتب فوقه : "طهور لأوزير «تا» المرحوم" ؛ وذلك يدل على ظهور أشخاص آخرين فى القبر مما يبرهن على أن نقشه قد تم بعـد موت « وسرحات » على يد أشخاص معادين له ، وهذا ما يفسر لنا انحطاط التلوين فى الجزء الغربى من المقبرة (راجع .pl. XVII) ، هذا بالإضافة إلى المحو والإثبات اللذين نشاهدهما كثيرا فى أجزاء مختلفة من القبر مما يدل على أن النية كانت متجهة لحرمان «وسرحات» من قبره . ويظنّ الأثرى «ديفز» أن الذين قاموا بهذه المؤامرة هم أمه « توازرت » وأولاد أخيها ، وذلك لأنها قد تزوّجت من « نب محيت » بعد موت والد « وسرحات » .

ونشاهد فى المنظر الأعلى من هذه المناظر الأربعة أن الشعيرة التى كانت تؤدّى هى تقديم المياه والقربان وتقديم حزمة بصل أخضر هيئت على شكل إكليل ، ويرى الدخان يتصاعد من القربان كأنمـا قد وضع عليه بخور .

تقديم البصل : ويلاحظ فى هذا العصر تقـديم البصل قربانا فى حالات كثيرة وذلك لمـا له من مفعول قوى فى إنعاش جسم المتوفى وإعادة حواسه [1] ، أما

(١) ولا يزال البصل من الأطعمة المحببة إلى عامة الشعب ويستحب أكله فى عيد شم النسيم وقد كان له عبادة خاصة عند المصريين . (راجع Keimer in Egyptian Religion Vol. I, July. 1933. No. 2 p. 52 ff.)

المنظر الثانى فقد نقش عليه صيغة القربان المعروفة التى كانت تتلى عند تقديم كل أنواع الطعام للمتوفى .

المنظر الثالث : والمنظر الثالث له أهمية كبرى إذ يمثل لنا عملية الإضاءة للمتوفى ، وهى تختلف هنا عن عملية الإضاءة المعتادة التى كانت تنحصر فى وضع الشريط على الدهن الذى يشعل فيه النار ، فانها كانت توضع على الأرض ولا تحمل على اليد ، وتتألف من ثلاثة أشرطة ملفوفة كالحبل ومربوطة من الوسط . والظاهر أن كل خيط من هذه الخيوط الثلاثة قد أشعل على حدة ، وبين هذه المشاعل شموع من نوع مختلف جدا وهى التى تصور كثيرا فى مقابر هذا العصر . ويخرج اللهيب من قمتها . وتشبه المشاعل ذات الخيوط الثلاثة التى ذكرناها الآن المشاعل التى تستعمل فى الأرياف الآن فى الأفراح .

الجدار الجنوبى للجهة الشرقية Pl. XI.

عبادة « منتو » : وعلى الجدار المقابل نشاهد عبادة «أوزير» وقضاة محكمته وكذلك عبادة الإله « منتو » ، وهو الذى كانت والدة « وسرحات » ضمن موظفى معبده ، والصورة السفلى تؤلف جزءا من مناظر المحافل المرسومة التى على الجدار الذى بحثنا مناظره الآن . والإله الذى يتقبل القربان الآن هو الإله «منتو» ، ويمثل هنا برأس صقر وجسم إنسان ، وهذا الإله القديم الذى أخرج من « طيبة » قد اتخذ مقره فى بلدة «أرمنت» وأخذ يناهض الإله « آمون » من مقره هذا والإلهة التى تتبعه هى الإلهة « مرت سجر » سيدة الغرب و ... ... بيت التحنيط . وهذه الإلهة بوصفها رفيقة آلهة الموتى (واسمها يعنى محبوبة القاهر) كان عامة الشعب يقدرونها كثيرا فى « طيبة » . وفى المنظر نشاهد « وسرحات » يطهر الطعام الذى أمام الإله « منتو » يصب زيت بخور أحمر بين القرابين ، ويتبعه كاهنان يلبسان نفس الملابس التى كان يرتديها ويحملان نفس الوظيفة التى كان يحملها ، ثم يأتى بعد ذلك ثلاث سيدات يحتمل أنهن زوجاتهم ، وأحد هؤلاء الكهنة يسمى « عاخبر

كارع سنب » وسنصادفه فيما بعـد . والظاهر أنه كان ضمن الكهنة المرصودين لخدمة «تحتمس الأول» ، أما الكاهن الثانى فهو « نب محيت » الذى شاهدنا أنه قـد حشر نفسـه فى المناظر السالفة الخاصـة « بو سرحات » على غير استحياء ، والكتابة التى عليـه وكذلك التى على « شبسوت » زوجة « وسرحات » : "ربة البيت ومحبوبة « حتحور » سـيدة السماء وربة الأرض " أصلية . والسيدة التى تأتى بعد ذلك فى الصورة قد كتب عليها : "زوجه وموضع حبه"، وعلى الرغم من أن المنظر هنـا يدل على ذلك فان اسمها قد محى ؛ والسيدة الأخيرة فى المنظر قـد محى اسمها ولقبها معا (راجع .Pl. XII) ولا يسع الإنسان أمام كل هذه الألغاز وهذا المحو والإثبات إلا الحيرة والدهشة من أمر هذه الأسرة .

الصف الأعلى — أوزير القاضى : نشاهد فى هذا المنظر الإله «أوزير» جالسا فى جوسقه ومعه قضاة محكمته ، فمنهم « تحوت » سـيد « الأشمونين » ، والكاتب العادل لجماعة الآلهـة ، « وأنو بيس » الذى يشرف فى المحراب المقدّس على خدمة الإله الأكبر رب الأبدية و بارئ السموات والأرض . ويتقمص « تحوت » صورة القمر فى تمـامه وفى بدوره معا ، وهو الذى ينظم بعلمه حركاتها ويدونها بالدواة التى يحملها . ثم يشاهد « وسرحات » جالسا فى النهاية الأخرى من المنظر كأنه لم يجسر أن يجلس بجوار الآلهة إلا بعد أن يطهر .

تطهير « وسرحات » : بعد ذلك نشاهد « وسرحات » راكعا على قاعدة ضاما إلى صدره جُعل القلب ، وهو الذى كانت تنقش عليـه صيغة سحـرية حتى لا يشهد على صاحبه يوم القيامة، بل يكون فى جانبه . وحول «وسرحات» ثمانية من الكهنة فى يد كل منهم أبريق لتطهيره . و يدل المتن التابع لهذا المشهد على أن أصدقاءه قد خانوه، ذلك لأن المتن الذى كان يتلوه الكهنة فى أثناء التطهير لم يكن «لأوزير وسرحات» بل نجد اسمه قد محى ووضع مكانه اسمان آخران وهما : "«عاخبر كارع سنب » وابنه ..." على طبقة من الملاط وضعت فوق اسم « وسرحات » .

ومتن الطهور هو : " طهر طهر لأجل أوزير « وسرحات » المبرأ والضامن لعزلة شريفة فى سلام " .

صلوات « وسرحات » لقضاته : وبعد أن أتم « وسرحات » طهوره جلس أمام « أوزير » وأمامه مائدة قربان، وكان قرير العين مطمئنا. والظاهر أن تقاه كان أحسن حالا من كلامه، لأن لغة صلاته كانت ركيكة إذ يقول : ما قاله « أوزير » لأجل روح الكاهن الأوّل لروح الملك «تحتمس الأوّل» «وسرحات» والمنتصر. يقول: "الخضوع لك يارب الأبدية وللأمراء أصحاب الأبدية السرمدية ليمنحوا حياة سعيدة فى مصاحبة روحك بعد شيخوخة ودفن حسن فى غربى «طيبة» فى مكان العدل (الجبانة) لروح الكاهن الأوّل « وسرحات »". وقد كان الأجدر به ألا ينطق بالجملة الافتتاحية إذ ليس لها معنى هنا .

وليس من الغريب أن يتلعثم فى كلماته فقد كان يجلس بين ثلاث مجاميع من الآلهة كل منها يتألف من ثمانية آلهة . وبإضافة اسم « أوزير » لمجموعتين منها يتألف تاسوعان . فالبيت الذى كان فيه التاسوع الأوّل فى المنظر يحتوى على «أوزير» رئيس آلهة السماء الشرقية ورب الأبدية وكل الآلهة الذين يأوون إلى الجبانة وكل أرباب الأبدية فى حضرة « وننفر » . وفى المجموعة الثانية نجد « أوزير » يشرف على مجاميع آلهة جنوبى وشمالى وغربى السماء . أما مجموعة الآلهة الثمانية الأخرى فلم يعرف منها « وسرحات » إلا الآلهة الأربعة الذين يحرسون أحشاء المتوفى (راجع .pl. XVII ä) .

الجدار الشرقى : كرم الآلهة « نوت » راجع P. LIX.

يعدّ تلوين هذا المنظر ورسمه على ما يظنّ أحسن ما أخرجته يد «المفتن» فى عهد الرعامسة . حقا إن الاستقبال الكريم الذى استقبلت به الإلهة «نوت» إلهة الجميزة، موضوع عادى جدا فى مناظر الأسرة الثامنة عشرة"، غير أنه كان يرسم عادة بصورة مصغرة، حيث نشاهد الإلهة تطلع علينا من شجرة الجميزة، غير أن المفتن فى المنظر الذى

أمامنا قد رسم الصورة بحجم كبير لما فى ذلك من ذوق حسن، يضاف إلى ذلك أنه راعى أن الفائدة البشرية لا بدّ أن تتغلب على شخصية هــذه الإلهة الخاملة الذكر، ولذلك رأى أن الشجرة التى يجلس تحت ظلالها ضيفانها لا بدّ أن تكون ظلا ظليلا لهم لا مأوى لها . هــذا فضلا عن أنه قد استعمل فى الرقعة التى رسم عليها صورته اللون الأصفر، وبذلك أضفى على ورق الشجرة الخفيف متانة وبهجة .

وتحت ظل هذه الشجرة جلس « وسرحات » فى ثوب عيد وعلى رأسه تاج يجوز أنه صنع من ورق النضار على شريط أحمر وعريض مشغول بالخرز، وفوق ذلك لبس مخروط العيد، وهو عبارة عن كتلة من العطور توضع فوق قمــة الرأس لتضوع منها الرائحة الذكية، والظاهر أنه فى هذا الوقت كان هذا المخروط يوضع لمجرد الرمز لذلك وحسب . ويتقبل « وسرحات » المــاء فى قدح مزخرف تصبه له الإلهة «نوت» كما أنه كان يقطف بيده الأخرى ثمرة الجميز من الشجرة بنفسه. وقد جلست بجانبه كل من والدته وزوجه على كرسى وكانتا تتقبلان كذلك المــاء السماوى من الإلهة « نوت » .

وقــد كتب اسم كل منهما على ساعدها : "زوجه ربة البيت، ومغنية آمون، «حتشبسوت» ؛ وأمه مغنية الإله «منتو توازرت»" . والواقع أن جمال وجهيهما الطبعى قد أضفى على المنظر بهاء ورونقا ، إذ نشاهد « حتشبسوت » بلونها الأسمر الجذاب « وتوازرت » أمه بلونها الأسمر الفاتح يظهران بمظهر أنيق . وبجانب هذا نشاهد كلا من روحى «وسرحات» وزوجه قد رسم بصورة طائر وجسم إنسان وهو يشرب بحفنته من بركة، فى حين أن الإلهة «نوت» نفسها قد رسمت خارج الشجرة على غير المألوف واقفة وعلى رأسها شجرة وتحمل فى يدها إناء .

إدخال التظليل فى التصوير : أما الظاهرة الغريبة الأخرى التى نشاهدها فى هذه الصورة للمرة الأولى فى تاريخ الفن المصرى فهى استعمال التظليل، مع أن الأدلة على ذلك قليلة ، إذ قد مثل هنا التظليل بتغميق لون خدود زوجتى « وسرحات »

وكذلك تحت الذقن و بين الشفتين وتحت كعب «حتشبسوت» ، ثم بدرجة خفيفة تحت الحاجب . وقد يعدّ البعض ذلك مجرّد إبراز موضعى اللون لا تظليلا ، و بذلك يحرم الرسام المصرى كشفه كيفية تصوير الأشياء بالنور والظل . غير أن ما نشاهده فى مقبرة الملكة « نفرتارى » (زوج « رعمسيس الثانى ») من تقدّم فى استعمال الظلال ، كما يشاهد ذلك على بشرة الملكة الوردية لدليل ناطق على أنه فن مقصود ، وإن كان ذلك لم يستعمل على بشرة الآلهة والإلهات . ولا نزاع فى أن المفتن قد لحظ الدور الذى يلعبه كل من النور والظل على هذه الصور التى كان يرسمها ثم استعمله ثانية بدوره إلى حدّ ما و إن لم يكن بدرجة شيقة .

خطاب الإلهة نوت : والنقوش التى نقشت فوق رأس الإلهة « نوت » قد هشمت ولكن يمكن إصلاحها من نقوش أخرى مماثلة وهى : "خطاب «نوت» الواحدة العظيمة التى تقوم بالمعجزات باسمها الجميزة ، لقد منحتك هذا الماء السائغ لأجل أن ينعش قلبك به — هذا الماء الذى يأتى من البركة فى الجبانة التى فى غربى « طيبة » ، و إنك تسلمت طعاما لذيذا يخرج من أعضائى . وطائر روحك يجثم فى ظلى و يشرب ماء بقدر ما يحب قلبه " .

المنظر الثانوى : أما المنظر الثانوى فى هذه الصورة فيمثل رحلة المتوفى إلى « العرابة » والعودة منها (راجع الجزء الثالث ص ٥٠٦) .

مناظر الجدار الغربى (منظر تنزهه) : لقد لاحظنا أن فائدة «وسرحات» الشخصية فى قصته ومصيره كانت ظاهرة فى الصورة العظيمة التى فى الجزء الشرقى من المقبرة ، والظاهر أن نفس الدافع نجده فى الصور التى على الجزء الأسفل من الجدار المقابل (راجع .pl. XV) ، غير أنه مما يؤسف له قد وجد فى حالة خربة ، فعلى الجهة اليسرى نشاهد « وسرحات » وزوجه جالسين معا تحت تكعيبة كرمة وقد نشرت شجرة عنب ظلالها اللطيفة على عمدها . وتجلس « حتشبسوت » على كرسى خلف زوجها الذى يجلس على كرسى بدون ظهر ، و يشاهد وهو يقدّم قضيبا لصيد

السمك لزوجه فتتسلمه منه محبوبة «حتحور»، وفى الوقت نفسه كانت تقدّم شيئا لزوجها . ويلحظ هنا أن المفتن كان حرا فى رسم شجر العنب ولكنه قد بالغ فى زخرفتها، فنشاهد أن ورق العنب كان حقيقيا، يضاف إلى ذلك أن المثال كان يظهر ورقة العنب الملفوفة عندما يرى ذلك ضروريا لإبراز صورته فى هيئة طبعية» .

ونشاهد كلب صيد « وسرحات » جالسا تحت كرسيه . ومما يؤسف له أن باقى المنظر مهشم، ولكن كان بالقرب من الكرمة (التكعيبة) بركة حليت شواطئها بالأعشاب المزهرة .

الأسرة تتعبد للإله « منتو » : والمنظر الذى فوق السالف مهم لأهمية المتن المفسر له، لأن رسمه رخيص جدّا لا يدل على أى فن . وهو يمثل عبادة إله برأس صقر ويحتمل أنه الإله « منتو »، ويتعبد اليه ثلاثة رجال أولهم يلبس حول رقبته خاتم الوزير، والاثنان الآخران يلبس كل منهما فراء الكهانة، وقد كتب اسماهما على طبقة من الطين خشنة الصنع كان تحتها المتن الأصلى الذى أصبح مغطى والأسماء هى : "الأمير الوراثى، وعمدة المدينة، والوزير «أمنحتب» ابنه، ومحبوبه الكاهن الأكبر لآمون «حبوسنب»، ووالده (أى والد وسرحات) كاهن « آمون الأوّل» « خنسمحب » (؟) وابنه (أى نسله) الذى يخلد أسماءهم الكاهن الأكبر لزوج «عاخبر كارع» «وسرحات» الذى يسمى (كذلك) «نفرحبف»" .

وقد فسر هذا الاقتباس من تاريخ أسرة « وسرحات » بأنه قلب للحقائق مقصود، وأن الغرض منه أن يعطى الكاهن « وسرحات » أهمية لا يستحقها (راجع .A. S., VIII, p. 258). ولكن التاريخ الشخصى للوزراء والكهنة الأول للإله آمون فى مصر لا بدّ كان قد استعمل هنا فعلا، ويمكن مراجعة هذا الموضوع والوقوف على كنهه من تاريخهم ومما دوّن على قبر « حبوسنب » القريب من قبر « وسرحات » هذا . والغرض هنا ليس وضع تاريخ سلالة « وسرحات » أمامنا، ولكن إظهار ارتباط أسرته بالملك « عاخبر كارع » فى أثناء حياته قبل

خدمته و بعد مماته عنـدما أصبح إلها ، وأن أفرادها كانوا يشغلون وظائف مدنيـة ودينية سامية خلال حكم أخلاف هذا الفرعون ، والظاهر أن الحاجة كانت ملحة لإظهار ذلك فى هذه الفترة لضمان تسلسل وراثة وظيفة «وسرحات» فى أخلافه من بعده لإلهه هو. ويخيل إلىّ كثيرا أن كتابة بعض عظماء رجال الأسرة هنا هو من عمل نفس اليد التى وضعت أسمـاء الأفراد الذين لا صلة لهم بالأسرة فى أماكن أخرى من المقبرة وذلك بقصد إظهار أن هذه الأسرة كانت منذ الأزمان القديمة هى مصدر الكهنة الأول للشعائر، وأنه كان منها الكهنة الأول «لآمون» والوزراء، وعلى حسب المصادر التاريخية نجد أن كل هؤلاء الأشخاص لهم وجود فى التاريخ المصرى . فنعلم أن « أمحتب » كان وزيرا فى عهد «تحتمس الأوّل» ، و «حبوسنب» كان كذلك الوزير الأوّل والكاهن الأوّل لآمون فى عهد «حتشبسوت» (راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٣٧٨)، وقد ذكرنا « حبوسنب» فى نقوش قبره أن والده «حبو» كان يشغل وظيفة مرتل ثالث للإله «آمون» ، غير أنه ليس لدينا أى برهان على أن « حبو » كان حتى ابن «امحتب» . وإذا فرضنا أن «ابن» هنا يعنى «ابن ابنه» فان العـلاقة على أية حال تكون ممكنـة . فقد وجد فعـلا وزير اسمه « حبو » (راجع Tomb. 66 .& Daressy, Recueil de Cones funeraires No. 270.) . وقد دفن بالقـرب من « حبوسنب » ، غير أنه لا يمكننا أن نقدر أنه هـو والد « حبوسنب » ، هـذا إذا فرضنا أن هذا اللقب كان قد اعترض عليه وأنه مات بسرعة وترك الوظيفة لابنه الذى لم يشغلها بدوره إلا مدّة قصيرة، وذلك لأن الأخير لم يدّع هـذه الوظيفة لا لنفسه ولا لوالده فى قبره ، ومن المحتمل إذا أن « حبو » وابنه كانا قد تقلدا الوزارة فى عهد « حتشبسوت » على غير إرادة الحزب المعارض لها فى اعتلاء العرش ، وأن كلا منهما قد دفع بحياته ثمنا لذلك (راجع ما كتب عن الوزير «وسر» ووالده «عمثو» فى مصر القديمة الجزء ٤ ص ٥١٦)، وأنه لم يعترف بواحد منهما وزيرا بالحزب المنتصر فيما بعد .

وعلى أية حال فالمرجح أن هذه القائمة قد بنيت على تقاليد أسرية وليس لها قيمة تاريخية على الأقل فى نظرنا حتى الآن إلا إذا كشف بما يؤكدها .

والد «وسرحات» : كان «أمحتب» — والد و«سرحات» كما يدعى النقش — مربى أولاد «تحتمس الأول» وليس من المؤكد أنه كان «خنسم ...» الكاهن الأول « لآمون » وعلى ذلك فيكون هذا الرجل والد «وسرحات» الذى بوساطته يتصل بهؤلاء العظماء الغابرين وعلى ذلك يكون زوج «توازرت» . وليس لدينا وثيقة تدل على حامل هـذه الوظيفة فى عهد «حور محب» (؟) والواقع أن « وسرحات » قد أحيا أسماء أجداده ثانية بصورة ناقصة وغير مرضية من الوجهة التاريخية كما ذكرنا .

الجدار الشمالى ، الحفل السنوى لدفن « تحتمس الأوّل » : والمنظر الذى على الجهة الغربية من الخلف «الشمال» (راجع pl. XVI.) مقسم ثلاثة أقسام فى ثلاثة صـفوف ، وليس من السهل علينا أن نحكم إذا كانت كلهـا تتحدّث عن موضوع واحد ، فالمناظر العلوية يحتمل أنها تمثل أمامنا الاحتفال بعيد ودفن الملك «تحتمس الأوّل» الذى كانت تمثل فيه الشعائر ثانية على المـاء والأرض . وقد كان التمثال فى هـذه الحالة يحل محل المومية الموضوعة فى تابوتها . فالمنظر السفلى خاص بعرض الأثاث الجنازى ، غير أن دلائل الأحوال تشعر بأنه كان أثاث «وسرحات» وأن هذا العرض لا بدّ أن يكون متصلا بما جاء على الجدار الجنوبى من الجهة الغربية (راجع pl. XIII.) .

السفينة الجنازية : فى وسط المنظر الأعلى نشاهد باب المعبد الذى دخل منه « وسرحات » توا إلى الردهة الداخليـة أو المحراب ليتعبـد للملك الذى أخفى عن الأنظار بستائر مسبلة داخل المقصورة التى فى سفينته . ويلبس الفرعون على رأسه الذى يحلى مقدّمة السفينة ومؤخرتها التاج « آتف » ، ويحرق البخور أمامه فى أطباق موضوعة على قواعد للقربان ، ونشاهد من بينها طاقة يقدّمها كاهن «لوسرحات»

علامة على رضاء الملك المؤله ، وكذلك يشاهد صف من الخدم خارج الردهة يحضرون مؤنا أخرى لأجل إقامة الشعائر .

تمشية التمثال : وفى وسط الصف نجـد تمثال الإله قد كشف عنـه غطاؤه وألبس ملابس العيـد الكاملة ، ويجرّه رجال على قاعدة تشبه الزحافة ليظهر للملأ كأنه يمشى فعلا . وحبكا لهذه الحيلة كان يمشى على جانبى التمثال مرتلان يظللان وجه الملك من أشعة الشمس ، غير أن استعمال البخور يظهر الحقيقة . والتمثال لونه أسود ، وذلك لأن تمثال الشعائر بلا شك فى بادئ الأمر كان من الأبنوس . وكان فى الحفل كذلك خمس نسوة يستقبلن ظهور الملك بعلامات الحزن كما كنّ يفعلن لو كان المتوفى جديدا ، وكذلك نجد خمسة رجال يقودون الموكب ، و يؤلفون جمـاعة من الموظفين لم يرتبوا على حسب مراكزهم . و يظهر أن أوّلهم — الذى كان يقف على حدة — أمير يدعى على ما يظنّ «أحمس» و يتبعه مشرف على الخزانة يسمى «نب محيت» (؟) ومشرف ... « أمنحتب » ، ونائب الجيش (؟) « مام حكا » وفرد آخر يدعى « أمحتب » (؟) ، وأمام الموكب بحيرة تحيطها حديقة . وهنا يبتدئ الجزء الثانى من منهج الاحتفال ، فقد أنزل التمثال الملكى فى قارب و يقوم بخدمته كهنة فيه على حين نشاهـد ثلاثة رجال على الشاطئ يجرّون القارب حول البحيرة ، وفى خلال ذلك يقوم عوّام بتطهير الطريق للقارب من الأعشاب التى تعترضه . ونشاهد جواسق بسيطة محاطة بعصى لراحة المتوفى فى يوم دفنه ونجدها منتشرة بين أشجار الحديقة .

جهاز «وسرحات» الجنازى : وليس من الغريب أن نجد «وسرحات» — الذى كان يقرأ الصلاة مرارا وتكرارا لروح «تحتمس الأوّل» فى معبده الجنازى — يعلق آماله على أن يدفن دفنا يتناسب مع دفن سيده الملك . و يمكننا أن نتصوّر «وسرحات» (الكاهن الأوّل للفرعون « تحتمس الأوّل» فى معبد «خنمت عنخ») جالسا لأن يده قد ظهرت ممتدّة لتلمس أنواع الهدايا التى منها صدرية ووجه مستعار من النسيج المقوى وهمـا اللذان قد أهـداهما إياه ابنه ... ... الذى يخلد اسمـه . و يشاهد

خلف هذا الابن مهدون آخرون يحملون قربانا من الطعام وصفا من الأثاث، ويشمل أطواقا وأدوات جنازية ومبخرة وموقدا وإناء ماء القربان وثلاثة وجوه مستعارة، وعدّة أغطية مومية وتوابيت وتماثيل صغيرة ومواد طعام أخرى .

الجدار الجنوبى ، الجانب الغربى

آمال المتوفى فى الحياة الآخرة : والواقع أن المناظر التى على الجانب الغربى من الجدار الجنوبى (pl. XIII.) يمكن وصفها بأنها لوحة قبر مصوّرة تلخص فى الجمل الثلاثة التالية: "كرّمه الملك فى الحياة الدنيا، وبكاه أصدقاؤه عند موته، ورحب به الآلهة فى السماء". ولا نزاع فى أن المصرى كان بعيدا كل البعد عن النظر إلى الحياة بأنها وصمة ذات ألوان متعددة على ضياء الآخرة الأبيض، بل على العكس كان ينظر للحياة بأنها صورة من عالم الآخرة إلى حدّ ما ، ذلك العالم الذى كان يرجو أن يكون وجه الخلاف بينه وبين عالم الدنيا هو أنه أقوى وأكثر تنوعا ، وإن كان بعض الأحيان ينساق للخاوف التى كانت تمثل له الآخرة بأنها ليست إلا ظلا من الأرض أشدّ كآبة وأكثر حلوكة . وليس من الغريب أن نجده ينتظر معاملة كريمة من ملك الأبدية لما أسداه من خدمات لمليكه ، ولذلك نجد « وسرحات » يضع الهبات التى أعطاها إياه الفرعون عند طلبه للظهور أمام « أوزير » لتكون شاهدا عدلا على إخلاصه ورضاء الملك الذى كان يعدّ ابن الإله عنه .

مكافآته فى الحياة : والهبات الملكية نجدها ممثلة فى أسفل صف، وقد مثلت على وجه عام بصور الأشكال التى كانت فى «تل العمارنة»، وقد حذف فى المنظر هنا استقبال الملك الفعلى وقد مثل بصورة مختصرة برسم القصر الذى يحتل وسط المنظر فحسب ، والصورة تمثل واجهة قصر لا معبد ومع ذلك نجد خلف هذه الواجهة تمثالين كل منهما فى هيئة « أوزير » يمثلان ملك مصر العليا ، كما نشاهد لوحين للقربان بجانبيهما . وعلى مسافة بعيدة على اليمين مائدة قربان، والخدم يحضرون الطعام أو يحضرون المؤن ، وعلى اليسار « وسرحات » المقدّم فى القصر

(أو الكاهن الأول فى معبد الملك) يغادر المبنى الذى احتفل به فيه وحوله الخدم وطاقات الأزهار، وقد أثقل نحره بالقلائد من الذهب كما حليت ذراعاه اللتان كان يرفعهما ليظهر ما أنعم به عليه من أساور أمام أصحابه . أما المجوهرات التى لم يمكنه لبسها فقد وضعت على منضدة . وقد جاءت نساؤه ليرحبن به بالموسيقا والغناء، ولم ينس الفرعون زوجه «حتشبسوت» فقد كان ضمن الهدايا التى نالها «وسرحات» أقراط، وكذلك كان الخادم يحمل اليها شيئا فى يديه . وقد غنت النساء مديحا لكرم الفرعون وهاك النص : " إن ثروته عظيمة ذلك الذى يعرف الهدايا التى أعطاها « آمون » ليسر قلبه ، الفرعون، سيد مصر . وإنك ستمنح ثروة لأجيال لم تأت بعد يأيها الفرعون يا سيد كل واحد منا ".وكانت عربة «وسرحات» فى انتظاره وكان سائسه يقف عند رأس خيله ، أما السائق فكان يتحدّث مع « البوّاب » . هذا إلى أن الاستعداد للوليمة كان قدتم، إذ نشاهد ثانية هدايا، ويحتمل أنها من مائدة الفرعون قد صفت على الموائد .

تكريمه فى الممات : والصف الثانى يمثل أمامنا الموكب الجنازى وهو ذاهب نحو مقر المتوفى الأخير فى الغرب . فيأتى أوّلا القارب النموذجى وفيه المحراب المزخرف الذى وضع فيه التابوت ويجر القارب على زحافة ثلاث بقرات . ويشاهد طاقات عظيمة من الأزهار على هيئة عمد (مما يذكرنا أن العمود المصرى لا يخرج عن كونه طاقة أزهار بسيطة أو مركبة) منصوبة فى أركان القارب الأربعة ومتصل بعضها ببعض بأكاليل نضرة . وبجانب الطريق التى يسير فيها الموكب أوانى ماء محلاة بأزهار ، وقد حلت محل الجواسق التى تكلمنا عنها فيما سبق (pl. XVI.) . ويسير خلف التابوت مشيعون ثلاث وقد وضعوا أيديهم على أفواههم رمزا للسكوت الرهيب أو خوفا من ازعاج قداسة الاحتفال بالمتوفى . والأشخاص الثلاثة الأول قد عرفت شخصياتهم وهم : الكاهنان المطهران ، و « وسربحتى » و « أمنحتب » ، ثم المشرف على مصانع « آمون » « نب موسى » . والثلاثة

البـاقون هم : الكاهنان المطهـران « نفرحبف » ، « و « نبسنى » ، وكاتب خزانة الإله « تحوت » ؛ أما الثلاثة الأخيرون فقـد وضعوا سويا ولكن لم يمكن قراءة لقبهم . والأنشودة الجنازية المحزنة التى كانوا يرتلونها هى : "يا « وسرحات » يارئيس الكهنة فى معبد « خنمت عنخ » الذى تجدّد حياته : يا « وسرحات » يأيها الكاهن الأكبر لروح «تحتمس الأول»" . ويشاهد رجلان يمشيان بجانب البقرات حاملين صناديق فيها جهاز الدفن ومراوح . والواقع أن هـذه الهبات كانت قليـلة بالنسبة للعطايا التى كانت تقدّم عادة فى العصور السالفة، ولكن يجب أن نضيف — الى هذه — الهدايا التى ذكرناها من قبل (pl. XVI.) .

شعيرة الدفن : وقد قابل الموكب طائفة من النساء النائحات عددهنّ سبع كنّ ينثرن التراب على رءوسهنّ بسخاء حتى أن أثره الأخير كان يرى عليهنّ من الرأس إلى الكعب . وقد رسمن بصورة قبيحة . ويشاهد كذلك امرأتان — هما بلا شك أم «وسرحات» وزوجه — وقد التفتتا إلى التابوتين المنصوبين أمام القبر (التابوت الثانى لزوجه باعتبار ما سيكون) فى حين أن كاهنا مرتلا كان يقرأ صيغة القربان، وآخر يقوم بأداء الشعيرة وأمامهم مائدة تحتوى طعاما وستة عشر إناء لصب المـاء المطلوب (والستة عشر هذه كانت لعملية التطهير أربع مرات) .

الترحاب بالكاهن «وسرحات» فى الغرب : ويشاهد فى الصورة أنه كان لا يفصل بين الحياة وبين الموت إلا طاقة أزهار وضعت خلف التابوتين ، وذلك لأنه يوجد على الجانب الآخر المتوفى وقد منح قوة الحياة المجدّدة، ترحب به «حتحور» ربة الغرب وهى واقفة أمام بناء غريب الشكل لابدّ أنه يمثل القبر وإن كان على النقيض من الضريح الذى يوجد فيه المتوفى . وعلى أية حال فإنه يشبه كثيرا منظرا جانبيا لهرم مقابر عهد الرعامسة فى «ذراع أبو النجا» ، وتتمثل فيه الخصائص البارزة لمعبد «منتوحتب» (١) فى الدير البحرى الذى كان يحتوى على محـراب « حتحور » ، وكان النموذج على ما أعتقـد للقبر الهرمى الشكل . ومن الجائز أنه لم يكن واضحا لمصممه

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٩٣ الخ .

وكذلك لنا، إذا كان هذا البناء يمثل المعبد الذى تسكن فيه « حتحور » أو إذا كان القبر المثالى الذى لا يوجد بينه و بين قبر «وسرحات» — ولا الأغلبية العظمى من مقابر « طيبة » — أى شـبه قط . وقمة الهرم هنا قد لونت بالأسود كأنه مصنوع من البازلت، ومنحدراته قد كللت بأكاليل على حسب خيال المفتن .

سعادة و«سرحات» الأبدية قد عرضت للخطر على يد مغتصب :

تدل شـواهد الأحوال على أن رجال الكهانة قـد نمت فى نفوسهم هبـة النفاق إلى درجة عظيمة، إذ نجد أن ما بذله «وسرحات» للحصول على سعادة أبدية لروحه فى عالم الآخرة قد مُحى خيانة فى آخر لحظة، وذلك لأن اسم الرجل الذى قبلته الآلهة فى عالم الغرب قد تغـير بالحيلة المألوفة فى كل عهد من عهود التـاريخ المصرى، وتنحصر فى تغطية الاسم الأصلى بملاط من الجص وكتابة اسم الشخص المراد إحلاله محله بالمداد، وهنا نجد أنه قد كتب بدلا من «وسرحات» اسم كاهن آخر يدعى «أمنوسى» (وهو الخامس فى عداد الكهنة الأول لعبادة «تحتمس الأوّل») وقد أراد بذلك أن يغتصب ما للكاهن «وسرحات» من حقوق فى عالم الآخرة أمام الإله «أوزير» المنتقم من الظالم، وهذا الكاهن معروف لدينا (راجع Daressy Cones Funeraires No. 93.) .

والواقع أن عمـل « أمنوسى » لا يدل على الحقد بل على الدناءة ، ومع ذلك لم تكن حالة « وسرحات » موئسة لأنه كان عليه أن يحصل كذلك على جواز مرور لأجل أن يدخل فى مملكة « أوزير » الواقعة فيما وراء القبر .

الحساب الأخير : والصورة العلوية (pl. XI.) يظهر فيها «أنوبيس» يقود «وسرحات» وزوجه إلى قاعة الحساب . وهنا نجد كاتب الإلهة «تحوت» والإلهة « ماعت » ربة العدالة يشرفان على الميزان الذى كان على خلاف المعتاد يوزن فيـه المتوفى فى كفة والقلب فى الكفة الأخرى وذلك بدلا من وزن القلب قبالة العدالة كالمعتاد . وقد ظنّ البعض أن الفكرة المليئة بالمعانى التى تتجلى فى محاسبة الإنسان

بضميره هى فكرة لم تنضج بعد فى الأخلاق البدائية وأنه لا بدّ من وجود خطأ هنا من الرسام (راجع .Davies. Ibid. p. 28. & Note. 1) . وقد فاتهم أن هذا المنظر ليس الوحيد فى بابه بل وجد له ما يشابهه (راجع ص ١٥٨)، والواقع إذن هو أن هذا العصر كان عصر التنسك الشخصى ومحاسبة الإنسان ضميره كما فصلنا القول فى ذلك فى مكانه وقد جاء ذلك عن طريق تأثير عبادة « إخناتون » .

وبجانب الميزان يرى مارد ملتهم برأس تمساح ومقدمتى كلب ومؤخرتى فرس البحر رابض ينتظر نتيجة الميزان ، ولكن كما جرت العادة تتعادل الكفتان وبذلك ينجو «وسرحات» من فكى هذا الوحش المفترس . ومن ثم نراه غير مكترث بمصير زوجه راكعا بوصفه روحا مبرأة أمام عرش «أوزير» ، وهذا الإله فى محرابه تحيطه إلهة الغرب بذراعيها وجناحيها ذوى الريش ، وهذه طريقة جديدة لتحل مكان الأيدى التى كانت تتدلى من قرص الشمس فى عهد « إخناتون» .

وبعد أن اجتاز « وسرحات » عقبة الميزان الإلهى أصبح ضمن أهل الغرب (راجع .pl. XIV) ، وقد رحب به إلهة أهل الغرب عندما ركع باحترام أمام التلال المقدّسة لأنه يعلم أنها هى المدخل الذى تمرّ منه الشمس المغربة فى مملكتها الليلية . وهذه التلال قد مثلت ببساطة فى أشكال بدائية وقد لوّنت بلون قرنفلى مائل للصفرة ، ومن المدهش أن هذا هو نفس اللون الذى تصبغ به التلال المصرية عند الغروب وتشترك فى هذا التعبد أرواح « نخن » وأرواح « بوتو » (الملوك الذين توفوا)، وكذلك كانت تشترك[1] القردة التى قد لوّنت بلون باهت لدرجة أنها تظهر كعفاريت الجن، فى حين أن صورة أرواح « نخن » و « بوتو » كانت ألوانها ظاهرة . وتتقبل إلهة الغرب الطارق الجديد بعلامة الترحاب المعروفة .

---

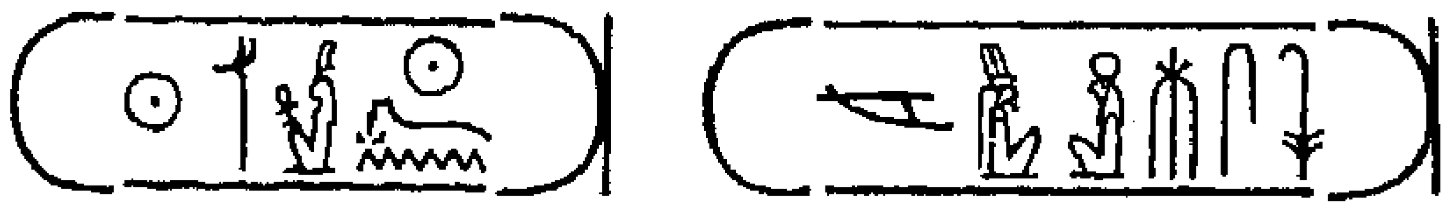
(١) كان المصرى يعتقد أن القردة تسبح للشمس عند شروقها وعند غروبها ، وهذه الظاهرة نجدها حتى الآن فى أواسط أفريقية حيث تجمع القردة وتصبح عند الشروق وعند الغروب .

اللوحة الجنازية : ويلحظ أن آخر شعائر لدفن المتوفى قد كررت على اللوحة التى أقيمت فى الردهة (راجع pl. XIX.) ونشاهد عليها تابوت «وسرحات» منفردا وتتبعه زوجه « حتشبسوت » وابناه ، وكان يقوم بالشعائر كاهنان ويبكيه واحد أو اثنان من أقاربه والمتن التابع لذلك هو : "قربان يقدم « لآمون » ، و« آتوم » ، و« حورأختى » و« جب » ، و « أوزير » و « إزيس » سيدة الغرب ، و« حتحور » المشرفة على الجبانة ، و « أنوبيس » المشرف على قاعة الإله وجماعة الآلهة ... ... وللآلهة والإلهات هناك ولعظماء الجبانة ولمعبد الجنوب ومعبد الشمال ولسفينة الليل ولسفينة النهار وللآلهة الذين فى السماء والأرض ، لأجل أن يمنحوا مياها باردة (؟) وعبير النسيم ، وحتى لا تصد الروح أبدا وحتى ينادى اسمك ويخرج فى كل عيد على الدوام وحتى تستطيع أن ترى «رع» عند الفجر وتتبع «سكار» رب «روستاو» ولتستطيع رؤية الإله على العرش ولأجل أن يمنحك «رع» السفر فى سفينة الليل ويستقبلك الغرب وتصب ماء الطهور على القربان وتتسلم قربان الإله ، ويعطيك حعبى (النيل) من كل أنواع الطعام ألفا ، من الخبز والجعة والثيران والطيور والخيط والكتان والشحم والبخور والخمر واللبن ، والخضر والأزهار العطرة ...... لأجل روح الكاهن الأول للملك «تحتمس الأول» ، و«سرحات» المنتصر . يقول : إن وظيفتى كانت كاهنا مطهرا (؟) ...... محراب الإله الكاهن الأول ... ... الذى وضعته ربة البيت مغنية « منتو » رب « أرمنت » « توازرت » . وزوجه ربة البيت « حتشبسوت » ، وابنه « رع مويا » . وابنه « حوى » وابنه ... ..." .

والنقوش التى على السقف تحتوى على صيغ دينية من الطراز المعتاد وليس فيها من جديد .

هذه لمحة عن قبر هذا الكاهن ومحتوياته وهى فى الواقع تضع أمامنا صورة عن حياة القوم الدينية وعقائدهم بالنسبة للآخرة كما تمثل لنا صفحة من الأحقاد الشخصية وبخاصة بين الكهنة أنفسهم ، بل الكهنة الذين من أسرة واحدة ومقدار عبثهم وغشهم ، بل افترائهم ونفاقهم حتى أمام الآلهة ، هذا فضلا عن افترائهم على التاريخ لبلوغ مآربهم الشخصية على الرغم من إيقاظ الضمير فى ذلك الوقت الذى مثل أمامنا فى أجل مظاهره وأرقاها ، فقد انتزع الإنسان من نفسه فى هذا العهد ضميره وهو قلبه وجعله فى كفة وهو فى يوم الحساب ليلقى عقابه أو ثوابه .

رعمسيس الثانى



اشتراك « رعمسيس » الثانى فى الملك مع والده « سيتى الأول »

من الموضوعات المعقدة التى كانت ولم تزل تعترض المؤرخ عند فحص تاريخ «رعمسيس الثانى » لأول وهلة ، مسألة اشتراكه فى الحكم مع والده« سيتى الأول» قبل أن يتربع على عرش البلاد منفردا مدة طويلة بلغت أكثر من جيلين من الزمن . وقد تناول بحث هذا الموضوع أخيرا الأثرى « كيث سلى » فى مقال رائع فصل القول فيه على ضوء الآثار العدّة التى أقامها هذا الفرعون هو ووالده «سيتى الأول» ، وقد وصل فعلا إلى بعض نتائج تستوقف النظر، وسنتكلم عنها هنا بعض الشىء ليرى القارئ مقدار ما فيها من صواب (١) .

فقد دلت الوثائق التى وجدت على آثار « رعمسيس الثانى » التى أقامها أو اشترك فى إقامتها فى أثناء حكمه مع والده ، على أن ادّعاء هذا الفرعون باشتراكه مع والده فى الحكم كان ادّعاء حقيقيا لا غبار عليه ، غير أن هذه الحقيقة قد أنكرها الأستاذ « برستد » وشايعه فى رأيه بعض المؤرخين (٢) مثل الأستاذ « زيته » وغيره .

فقد فسر الأستاذ « برستد » كما ذكرنا آنفا إضافة «رعمسيس الثانى» صورته إلى بعض نقوش المناظر الحربية التى لوالده على جدران معبد الكرنك بأنها غش وتزوير فى الوثائق التاريخية الأصلية ، وأن غرض «رعمسيس» من ذلك قلب الحقائق ليبرهن للعالم مقاسمته لوالده فى الحروب التى قام بها ، وأن والده قد أشركه منذ نعومة أظفاره

(١) راجع : The Coregency of Ramses II, with Seti I, and the Date of the Great Hypostyle Hall at Karnak p. 23 ff.

(٢) راجع : Breasted A. R. III. §§ 123 - 131



رقم (٨) تمثال رعمسيس الثانى فى عنفوان شبابه (محفوظ فى متحف تورين)

معه فى عرش الملك مدّة حياته ، ثم انفرد به من بعده ، ولكن التحليل والفحص الدقيق لنقوش المعابد من حيث موضوع مادتها وطراز نقشها وترتيبها قد أسفر عن ظهور صورة واضحة تتفق فى معظم تفاصيلها مع الاقتباس الذى يدّعى «رعمسيس الثانى» أنه مقتبس من كلمات والده التى فاه بها ، كما وردت فى نقش الإهداء العظيم الذى حفره « رعمسيس » على جدران معبد « العرابة المدفونة » بعد موت والده ، وقد أرّخ بالسنة الأولى من حكم هذا الفرعون ، وهو أعظم وثيقة وصلت إلينا عن فاتحة حكمه ، عند ما انفرد بالملك بعد وفاة والده ، وفى هذه الوثيقة يدّعى « رعمسيس » أن والده قد عينه "الابن الأكبر ، والأمير الوارثى ، ورئيس المشاة والفرسان " ثم يستمر قائلا : " وعندما ظهر والدى للملأ كنت لا أزال طفلا بين ذراعيه ، وقد قال عنى : توجوه ملكا حتى أستطيع رؤية جماله وأنا عائش معه " [وعلى ذلك اقترب (؟)] رجال البلاط ليضعوا التاج المزدوج على رأسى وقد تكلم عنى وهو لم يزل على الأرض قائلا : " ضعوا له التاج على رأسه " .

ونجد مثل هذا الادّعاء فى نقوش لوحة « كوبان » المؤرّخة بالسنة الثالثة من حكمه عندما خاطب رجال البلاط « رعمسيس » قائلين : " لقد وضعت خططا حينما كنت لم تزل فى البيضة فى وظيفة طفل أمير ، وكانت تلقى عليك شئون البلاد حينما كنت صبيا تحلى بالضفيرة ، ولم ينفذ أثر إذا لم يكن تحت سلطانك ، ولم يقطع بأمر إلا كنت تعلمه ، وكنت رئيس الجيش منذ أن كنت طفلا فى العاشرة[1] " . ومع ما فى هذه العبارات من مبالغات ، فإن نواة الحقيقة ظاهرة فيها ، إذ الواقع أن « رعمسيس » اشترك فى شئون والده الفعلية وهو فى سنّ العاشرة ، فقد أعلن وليا للعهد فى سنّ مبكرة ، وتوج شريكا لوالده فى الملك ، وعلى أثر ذلك كلف القيام ببعض مسئوليات الدولة وشئونها كإقامة المبانى وغيرها ، ولا نعلم — على وجه

(١) راجع : Breasted. Ibid. § 288

التأكيد — التاريخ الذى توج فيه على التحديد ، غير أن حوادثه ظاهرة وواضحة، فقد ذكر لنا « رعمسيس الثانى » حوادث الاشتراك فى الملك بألفاظه هو، وكذلك مثل أمامنا حادث تتويج[1] « رعمسيس » على يد الإله « آمون » فى حضرة الفرعون «سيتى الأوّل» والده، الذى كان يقف خلف الإله «خنسو » فى المنظر، ويقبض على القضيب المعقوف ، والسوط فى يده اليسرى، وعلامة الحياة فى يده اليمنى وهذا المنظر ممثل فى معبد «سيتى الأوّل» «بالقرنة» بنقوش بارزة، وقد لقب فيه « رعمسيس الثانى » بلقبه البسيط « وسر ما عت رع » [أى رع قوى العدالة][2] .

ولدينا منظر تتويج له آخر حدث فى مدينة « هليو بوليس » على يد الإله « آتوم » كما سيأتى بعد .

والواقع أن « رعمسيس الثانى » قد أعلن اشتراكه فى الملك مع والده فى أثناء حياته ، وكتب اسمه ولقبه فى طغرائين ، وقد اتخذ « رعمسيس » لنفسه اللقب الرسمى التالى : « وسر ماعت رع » [أى رع قوى العدالة] مقلدا فى ذلك والده الذى كان يحمل اللقب الرسمى «من ماعت رع»[رع ثابت العدالة]، ولكن «رعمسيس» كان يضيف فى حالات خاصة إلى لقبه هذا نعوتا مختلفة مثل « مرى رع » (محبوب «رع» ، أو« تيت رع» «صورة «رع» ، أو«أعورع» وارث رع ، أو «ستبن رع » ، (مختار رع) ، وكان فى هذا كله مقلدا والده أيضا ، وقد استمر فى استعمال هذه النعوت كلها مدة قصيرة بعد وفاة والده مع اللقب القصير« وسرماعت رع» الذى كان له غالبية الاستعمال على كل الألقاب الأخرى الطويلة التى كان يتألف كل منها من هذا اللقب القصير مع إضافة نعت من النعوت السابقة ، وفى النهاية اتخذ لقب « وسر ماعت رع ، ستبن رع » [رع قوى العدالة ومختار رع] لقبا مختارا ونبذ كل النعوت الإضافية التى كانت تضاف إلى اللقب « وسرماعت رع » .

---

(١) راجع : Breasted. Ibid.

(٢) راجع : L. D. III, 150 c.

من أجل ذلك يمكن القول بأن اللقب البسيط « وسر ماعت رع » كان من مميزات مدّة اشتراك « رعمسيس الثانى » فى الملك مع والده ، هذا بالإضافة إلى استعماله مع النعوت السالفة بدرجة قليلة فى تلك الفترة مع مراعاة أنه كان يستعمل نادرا مع النعت «ستبن رع» . أما اللقب « وسرماعت رع ، ستبن رع » فكان يحمله « رعمسيس الثانى » فقط على الآثار التى تنسب إلى عهد حكمه المنفرد بعد وفاة والده .

وإذا ألقينا نظرة فاحصة على كثير من المعابد التى كان العمل مستمرا فيها خلال السنين الأخيرة من حكم «سيتى الأول» ، ظهر لنا واضحا حقيقة اشتراك «رعمسيس» مع والده ، فإن « سيتى الأول » كان يستعمل بوجه عام النقش البارز طرازا رئيسيا لتزيين جدران معابده .

ويظهر أن « سيتى » قد وكل أخيرا لضرورة حربية تزيين معابده لابنه الصغير وشريكه فى الملك « رعمسيس الثانى » ، وربما كان هذا هو السبب الذى نجد من أجله رجال بلاطه يخاطبونه كما جاء على لوحة « كوبان » المؤرّخة بالسنة الثالثة من حكمه ، واصفين بعض نواحى حياته الملكية الأولى قائلين : "وإنه لم ينفذ أثر إذا لم يكن تحت سلطانك" . وقد قفا «رعمسيس» فى بادئ الأمر تقاليد والده الهندسية باستعمال النقش البارز ، ولكن بعد فترة من الزمن — لا يمكن تحديد مداها — نبذ استعمال هذا الطراز من النقش كلية ، واتخذ بدلا منه طراز النقش الغائر ، وجعله طرازا سائدا متبعا فى مبانيه كلها ، ولذلك محا عندما انفرد بالحكم كل نقوشه ، وقليلا من نقوش والده البارزة وأعادها بالنقش الغائر ، وهذا التحوّل فى طراز النقش من بارز الى غائر ، يمكن الاهتداء إليه بسهولة عظيمة على جدران المعابد التى أقامها .

ويمكن القول بأن التدرّج الذى حدث مدّة حكمه من هذه الناحية قد مرّ فى أربعة أطوار تاريخية متتالية معلمة ، من حيث الألقاب التى كان يحملها ، ومن حيث نقش المعابد وهى :

الطور الأوّل : كان «رعمسيس» يحمل اللقب القصير «وسر ماعت رع»، وكان يضيف إليه أحيانا نعتا من النعوت السالفة الذكر . هذا الى أن النقش البارز كان هو الطراز الشائع الاستعمال .

الطور الثانى : كان «رعمسيس» يحمل فيه نفس أشكال لقب الطور الأوّل المختلفة ، غير أن النقوش التى استعملها كانت من الطراز الغائر كلها ، والطوران الأوّل والثانى كانا فى عهد اشتراكه فى الملك مع والده ، هذا الى أن الطور الثانى قد امتدّ بعض الشىء فى مدّة حكمه المنفرد .

الطور الثالث : يبدو فيه جليا أن « رعمسيس الثانى » قد حوّل طراز النقش من بارز الى غائر، وبخاصة فى « معبد العرابة » وقاعة العمد العظمى فى الكرنك، وكذلك نشاهد أنه زاد فى لقبه القصير « وسر ماعت رع » بإضافة النعت « ستبن رع » [أى مختار رع] .

الطور الرابع : نجد أن « رعمسيس » حفر نقوشا جديدة من الطراز الغائر فقط واستعمل اللقب « وسر ماعت رع ستبن رع » . ويجب أن نضع الطورين الثالث والرابع فى فترة انفراده بالحكم، ومن الجائز أنهما كانا يتداخلان تاريخيا .

ومن أهم الشواهد التى قد تبرهن لنا على صحة اشتراك « رعمسيس الثانى » مع والده « سيتى الأوّل» مانجده محفورا حفرا غائرا على جدران معبد « بيت الوالى» الواقع فى منتصف الطريق بين الشلال الأوّل والشلال الثانى ، وكله منحوت فى الصخر ، فنشاهد منظر جزية بلاد النوبة يقدّمها للفرعون «رعمسيس» طائفة من وجهاء المصريين ، ومن بينهم ولده البكر المسمى «آمون حرونمف » الذى مات قبل إتمام نقش هذا المنظر، وكذلك « أمنمابت » الذى كان يحمل لقب نائب الملك فى بلاد النوبة ، وقد أشار الأستاذ « ريزنر» عند درسه نوّاب الفرعون فى بلاد النوبة، الى أن ابن الملك صاحب « كوش » « أمنمابت » ابن « باسر » شغل هذه الوظيفة نحو عشرين عاما ، قضى معظمها فى خدمة « سيتى الأوّل » ،

وأنه قد مثل بلقبه نائب الملك فى منظر « بيت الوالى » ، الذى يقدّم فيه الجزية ، وقد أخذ بعد ذلك «ريزنر» يقول : "إنه كان يوجد ابن ملك صاحب «كوش» يدعى « يونى » ممثلا على جدران معبد « وادى ميـاه » أو « وادى عباد » وهو المعروف عند الأثريين بمعبد « الرديسية » ومعه نقوش ذكر فيها « سيتى الأوّل » ، وأنه كان لم يزل على قيد الحياة ، وأن « يونى » هـذا نفسه قد مثل ثانية بوصفه « ابن الملك صـاحب كوش » على لوحة منقوشـة فى الصخر تقع شمال معبـد « بو سمبل » الصغير ، فى عهد « رعمسيس الثانى » ، ثم يقرّر بعد ذلك « ريزنر » أنه لم يكن فى مقدوره أن يجـد بين نوّاب الملك فى « كوش » مثالا واحدا لنائبين حكما فى وقت واحد فى بلاد النـوبة مدّة أربعة القرون التى أمكنه خلالهـا بحث تاريخ هذه الوظيفة ، و بذلك يقرّر « ريزنر » أنه إذا كان « أمنمآبت » نائبا للملك فى بلاد « كوش » فى عهد كل من « سيتى » و « رعمسيس » ، فمن الواضح جدّا أن يكون « يونى » قد خلف « أمنمآبت » فى مدّة اشـتراك الملك « سيتى » مع ابنـه فى حكم البـلاد (١) . ولـما كان « أمنمآبت » قد ظهر ممثـلا فى النقش الذى فى « بيت الوالى » ، (وهو الذى كان قد نحت فى مدّة الطور الثانى ، عندما كان « رعمسيس » يستعمل لقب « وسرماعت رع ») فلا شـك فى أن هذا اللقب القصير كان من مميزات عهد اشتراك الملكين فى الحكم ، و إذا كان « سيتى » على قيد الحياة عندما زين معبد « بيت الوالى » ، كانت الحملات الحربية التى شنها على « سوريا » و « لوبيا » وبلاد « النوبة » ، (وهى الممثلة على جدرانه) قد حدثت فى عهد اشتراك الوالد والابن فى حكم البلاد ، ولذلك يمكن العدول عن التفسير الذى ذكره « برستد » وهو الذى يقول فيه : " إن «رعمسيس الثانى» قد أقحم صورته فى نقوش حروب « سيتى الأوّل » التى حفرها على جدران معبد الكرنك ، إذ الواقع أن « رعمسيس » قد أضاف صـورته لاشتراكه فعـلا فى بعض الحملات ، ومن

(١) راجع : J. E. A. VI, pp. 39 - 40

المحتمل أنه كان — كما جاء فى لوحة « كوبان » — رئيس الجيش عندما ... ... كان طفلا فى العاشرة من عمره" .

وللبرهان الذى عثرنا عليه فى نقوش معبد « بيت الوالى » نتائج أخرى، إذ لم يقتصر الأمر على أن « رعمسيس » كان مشتركا فى ثلاث حملات على الأقل فى حياة والده وحسب بل إن اثنين من أولاده كانا يصحبانه ، وهذا يضع أمامنا مسألة بحث عمره عندما اشترك فى الملك مع والده « سيتى » .

ولما كنا نعلم أن حكم « رعمسيس » قد امتدّ نحو سبع وستين سنة — على أقل تقدير — فمن المعقول أنه كان لم يزل حدث السنّ نسبيا عندما اشترك فى الحكم مع والده . وتدل موميته بوضوح على أنه كان رجلا طاعنا فى السنّ عند وفاته ، ولكنا مع الأسف لا نستطيع من فحصها تقدير سنه على التحديد، ومن نقوش السنة الأولى من حكمه، (وهى التى عثر عليها فى مقبرة الكاهن الأعظم « نب وننف » وما يتبعها من رسوم) نعلم أنه كان فى هذا الوقت قد بنى بزوجته المحببة إلى قلبه الملكة « نفر تارى » .

ولما كانت نقوش معبد « بيت الوالى » قد مثل فيها ابناه الأميران « آمون حر ونمف » و « خعمواست » فلا بدّ أنهما قد ولدا بطبيعة الحال قبل ذلك ببضع سنين، وبذلك يجوز لنا أن نحكم بأن الملكة « نفر تارى » قد تزوّجت من « رعمسيس » فى صباه المبكر جدّا، ويحتمل أن ذلك كان قبل اشتراكه مع والده فى الحكم، وأنها كانت أم ولديه السالفى الذكر .

والآن يتساءل الإنسان، كم كان عمر « رعمسيس » وقتئذ، وبخاصة أنه كان قد أنجب ولدين فى مقدورهما أن يشتركا معه فى ساحة القتال ويقودا العربات ، ويقدّما الجزية عند الاحتفال بالنصر النهائى وهو لم يبدأ السنة الأولى من حكمه المنفرد ؟

والجواب على مثل هذا التساؤل يقتضى — كغيره من الأسئلة التى يطلب تفسيرها فى التاريخ المصرى — أن يكون مبنيا إلى حدّ بعيد على الظنّ والاستنباط، يضاف الى ذلك ماقد يكونّ لدينا من الحقائق الثابتة التى تسعفنا بها الآثار، ومع ذلك فإن لدينا براهين تستحق النظر، غير أنها مع ذلك مبهمة لا يعتمد عليها اعتمادا تاما . ففى مناظر معبد « بيت الوالى » نشاهد كلا من الأميرين ولدى « رعمسيس » قد رسم محلى بضفيرة جانبية، وهــذه الضفيرة تعدّ فى الفنّ المصرى والتقاليد المصرية رمز صغر السنّ والطفولة ، غير أنه كان يحتفظ بهــا أحيانا عند الأمراء لمدة طويلة بوصفها شارة لرتبــة ملكية، ولكنها أقل من رتبــة الملك الحاكم ، ومن المحتمل إذا أنهما كانا صــغيرى السنّ . وقد ذهب « ادوردمير » إلى أبعــد من ذلك، إذ قال : "إنهما ماتا فى طفولتهما . وإذا كانا قد تبعا والدهما فى ساحة القتال ، فكما يفعل الأطفال حين يتبعون مربياتهم"[(١)]، وليس هناك ما يمنع من أن يكون قد سمح للطفلين الصغيرين بالظهور أمام الملأ فى الحفل الذى أقيم تكريما لانتصار والدهما، كما يحتمل أن يكون ظهورهما لأجل أن يقدّما لوالدهما بصورة رسمية الجزية التى جبيت من بلاد العــدو المقهور، أما رسمهما وهما يقودان عربتيهما فى ساحة القتــال فيمكن التجاوز عنه لأن الصورة لا تمثل إلا الكبرياء الفرعونى والمبالغة المعهودة فى فراعنة مصر عنــد تمثيل الحــوادث ، ولا أدل على ذلك ممــا نشاهده فى صور الحروب التى مثلت على غطاء صندوق « توت عنخ آمون » وهو يحارب الأعداء، ولم يكن بعــد قد تجاوز سنّ العــاشرة، وعلى ذلك يمكن القول بأن ابنى « رعمسيس » كانا فى طفولتهما عند تمثيلهما على جدران معبد « بيت الوالى » ، ومن الجائز كذلك أنهما كانا قد ماتا فى طفولتهما على الرغم من أنهما رسما بالحجم الطبيعى الذى يمثل الرجولة .

وعندما نطبق هــذا القياس على صور « رعمسيس الثــانى » نفسه فى الصور التى ربمــا كانت تمثله من بداية مجال حياته، نجد فيه ما يمكن أن نعتمد عليه بحق

(١) راجع : Ed. Meyer Gèsch. II, 1 p. 547. Note. 1

فى استنباط براهين على صدق ما نقــول بوجه عام، حقا إن هــذه البراهين لا تخلو من الإبهام ولكنها مقبولة، فمثلا فى نقوش «الكرنك» التى اقتبسها «برستد» ليبرهن على أن «رعمسيس» لم يكن يوما ما وارثا للعرش إلا بعد أن أزال من الوجود أميرا آخر نجده (رعمسيس) قد رسم عليها بصورة أصغر من أى شخص آخر معه ، وتعليل ذلك أن ضيق المكان هو الذى دعا إلى حشر كل صور «رعمسيس» فى مساحات صغيرة جدّا بالنســبة للصور الأخرى . وأغلب الظنّ أن هــذه الأشكال المحشورة لا يمكن أن تعــدّ معاصرة للنقش الأصلى؛ ومن الجائز أنهــا قد أضيفت إليه بأمر من « رعمسيس » بعــد مضى سنين على الحوادث التى أراد تخليدها بنفسه، وإذا ألقينا نظرة فاحصة على منظر التتويج الذى رسمه «رعمسيس» فى معبد «القرنه» ، شاهدنا أن « رعمسيس » نفسه قد رسم بنفس الحجم الذى رسم به والده « سيتى » وبحجم الآلهة الثلاثة الذين أقيم هــذا الحفل فى حضرتهم . وإذا كان هذا المنظر يمثل فعلا تتويج « رعمسيس» مشتركا فى الملك مع والده كما سنرى، فإن ذلك يدل على أنه قد بلغ سنّ الرشد على الأقل من حيث النمّو الجسمى، اللهم إلا إذا اعترفنا — وذلك ممكن — أن « رعمسيس » لم يكن ليسمح أن تنحت صــورته فى هذا المنظر بالذات بحجم أصغر من صور والده أو الآلهة الذين كانوا معه، وعندنا على أية حال ثلاثة مناظر فى معبد والده « بالعرابة المدفونة» رسم فيها «رعمسيس» بوصفه ولى عهــد بصورة أصغر من صورة والده « سيتى الأوّل » ، ويلاحظ فى كل من هــذه المناظر أن اسمه لم ينقش فى طغراء فى نهــاية سلسلة الألقاب التى لقب فيها « رعمسيس » "بالأمير، بكر وأولاد الملك من صلبه" .

وفى منظر آخر نشاهد الأمير يحمل الطغراءين اللذين يحتويان اسمــه وألقابه على مقدمة ردائه ، ويلاحظ أن لقبه قد كتب بالصيغة القصيرة أى « وسرماعت رع» ، وعلى أساس ما استنبطناه من براهين فى نقوش معبد« بيت الوالى» كان«رعمسيس» فعلا وقتئذ مشتركا فى الملك مع والده عندما حفرت نقوش « العرابة » وأنه كان لم يزل وقتئذ صغيرا لدرجة أنه مثل فى هذه المناظر فى صورة صبى صغير .

والآن يحق لنا بعد كل ما ذكرناه أن نذهب إلى أن « رعمسيس » عند ما بدأ حكمه المنفرد الذى ظل نحو ٦٧ عاما كان فى نحو العشرين من عمره، وكان قد تزوّج فى الرابعة عشرة أو قبل ذلك من الملكة «نفرتارى» ، ولما بلغ السادسة عشرة صار والدا للأميرين « آمون حرونمف » و « خعمواست » ، وقد صحبه هذان الطفلان مع مربيتيهما فى مغامراته الحربية على حسب ما جاء فى حقائق مشابهة دوّنت فى نقوش موقعة « قادش »(١) . والواقع أن الأولاد فى الشرق ينضجون غالبا قبل السنّ المعتادة ، فلسنا مبالغين إذا قلنا إن ولديه قد اشتركا فى الاحتفال بنصر والدهما كما شاهدناهما مصورين على جدران معبد « بيت الوالى » ، والظاهر أنهما قد لقيا حتفهما وهما فى السادسة والثامنة من عمريهما على التوالى ، ومع أنهما قد اختطفا فى سنّ الطفولة إلا أن حياتهما القصيرة قد خلدت على نقوش جدران معبد « بيت الوالى » الذى نحته والدهما فى صخور بلاد النوبة .

ولدينا مناظر ونقوش عديدة فى معبد «القرنة» حفرت فى الطور الأوّل والثانى وتمثل الموقف التاريخى الذى شاهدناه فى معبد « بيت الوالى » فقد رسم — كما ذكرنا — على جدران هذا المعبد منظر تتويج « رعمسيس » مشتركا مع والده فى الملك ، وقد نقش بالحفر البارز المميز للطور الأوّل من أطوار حكمه التى ذكرناها سابقا ، هذا ونشاهد فى مناظر ثلاثة شعائر متتابعة من طراز الطور الثانى ، اسم كل من « رعمسيس » و « سيتى » يذكر بالتوالى فى أحوال يمكن فهمها على الوجه الأكمل إذا كانا مشتركين فى حكم البلاد بمرتبة متساوية . هذا ويوجد إفريز محلى بعلامات « خكر » أقيم فوق سلسلة المناظر السالفة الذكر، وقد كرر عليه اسما الملكين بالتوالى، مما يدل كذلك على صحة مشاطرتهما ملك البلاد معا . وفى «العرابة» نجد فى كل من معبد « سيتى الأوّل » ومعبد « رعمسيس الثانى » ما وجدناه من مادة فى كل من معبد « بيت الوالى » ومعبد « القرنة » ، إذ الواقع أن جزءا كبيرا

(١) راجع : Ed. Meyer op. cit. p. 457. Note 1

من معبد «رعمسيس الثانى» كان قد تم بناؤه وزخرفته قبل موت والده، أما فى معبد « سيتى » نفسه فقد صوّر « رعمسيس » بوصفه ولى العهد فى حضرة والده لابسا رداء مزينا بطغراء نقش فيه لقبه القصير الخاص بعهد اشتراكه فى الملك مع والده ، وقد أتم « رعمسيس » معبد « سيتى الأول » بعد وفاة والده حيث نشاهد أنه قد حوّل نقوش والده البارزة فى الردهة الثانية إلى نقوش غائرة باسمه، وقد استعمل لقبه الطويل كما كان المنتظر فى هذا الطور من تاريخ حياته .

والآن نلقى نظرة على قاعة العمد العظيمة «بالكرنك» التى كان الغرض الأساسى فى طراز بنائها محاكاة قاعة عمد معبد « الأقصر » ، وتدل شواهد الأحوال على أن العمل قد بدئ فيها فى عهد الفرعون « حور محب » كما أسلفنا ، غير أن التصميم الأصلى قد غير فى عهد « رعمسيس الأول » ، وقد تم تزيين الممر الشمالى فى عهد «سيتى الأول» ، وتم تزيين الممر الجنوبى فى عهد «رعمسيس الثانى» وكان إنجاز معظمه فى عهد اشتراكه فى الملك مع والده .

وإذا أنعمنا النظر وجدنا أن كل الأطوار الأربعة التى تقلب فيها عهد « رعمسيس الثانى » كما أسلفنا ممثلة فى زخرفة هذه القاعة الشاسعة الأرجاء وفى زينتها ، فنشاهد أن أكثر من نصف الصور التى على الواجهة الشرقية لبرج البوّابة الجنوبى ، وكذلك أغلبية الصور التى على الجدار الجنوبى كانت كلها محفورة حفرا بارزا من طراز الطور الأوّل ، ويلاحظ أن هذه النقوش بعينها مضافا إليها بعض مناظر « سيتى الأوّل » المحفورة حفرا بارزا ، قد حوّلت إلى نقش غائر فى الطور الثالث ، عندما أضاف « رعمسيس الثانى » إلى لقبه البسيط نعت « ستبن رع » وأصبح يلقب « وسر ماعت رع ستبن رع » ، ويلاحظ أن النقوش الغائرة من الطور الثانى التى كانت تحمل اللقب القصير « وسر ماعت رع » قد بقيت كما كانت دون إحداث أى تغيير .

منظر سفينة أمون المقدسة « وعيد الوادى »
وصلتهما بعهد اشتراك « رعمسيس » في الحكم

ومن المناظر التى لها علاقة هامة جدا بموضوع اشتراك « رعمسيس » مع « سيتى الأوّل » منظران رسما على الجانب الجنوبى لقاعة العمد العظيمة «بالكرنك» وهما يمثلان سفينة « آمون » المقدّسة ، وقد صوّر على محرابها صورة رمزية لكل من « سيتى الأوّل » و « رعمسيس الثانى » أحدهما بالنقش البارز المميز للطور الأوّل الذى حوّل إلى نقش غائر ، والثانية بالنقش الغائر الخاص بالطور الثانى ، وقد حافظ « رعمسيس الثانى » عندما غير النقش فى الصورة الأولى من بارز إلى غائر على لقب والده ، وهذا يعدّ برهانا ساطعا على رغبته فى المحافظة على ذكرى اشتراكه فى الملك معه ، وتمثل إحدى هاتين الصورتين الاحتفال بعيد الوادى السنوى الذى تكلمنا عنه فيما سبق (راجع الجزء الثالث ص ٥١٧) . وقد أخطأ الأستاذ « زيته » فى تفسير منظر هذا العيد وقال عنه إنه الاحتفال بعيد «إبت»(١) أى عيد معبد « الأقصر » الذى ذكر فى كثير من نقوش « رعمسيس الثانى » الخاصة بالسنة الأولى من حكمه ، وهذا المنظر فى الواقع يمثل « رعمسيس الثانى » وهو يؤدّى وظيفته المزدوجة بوصفه فرعونا وبوصفه كاهنا أكبر فى حين أن والده « سيتى الأوّل » قد مثل فى نفس المنظر يسير فى موكب السفينة المقدّسة إمّا بشخصه أو بنيابة تمثاله عنه ، ويحتمل أن هذا المنظر يمثل الاحتفال بعيد عام بعد تتويجه ، أى فى بداية عهد الاشتراك فى الملك قبل موت «سيتى» ببضع سنين ، ويلاحظ هنا أن اسم « سيتى » لم ينعت بعبارة « صادق القول » [أى المتوفى] فى كل الأحوال مما يدل فى هذا النقش وغيره من نقوش الطور الأوّل والثانى على وجود عبادة لهذا الملك فى «الكرنك» فى أثناء عهد الاشتراك فى الملك ؛ ولذلك كان يظهر « سيتى » بشخصه فى خلال إقامة الشعائر الدينية عندما يكون موجودا فى طيبة وكان ينوب عنه تمثاله إذا غاب ، وعلى ذلك يمكن أن نعطى أهمية لاستعمال

---

(١) راجع : A. Z. LXII, p. 113

عبارة (صادق القول) بعد اسمه إذا كانت تستعمل باعتبار ما سيكون من إقامة الأحفال لعبادته عندما يكون حضوره بنفسه أمرا مستحيلا . والواقع أن «سيتى الأول» كان مؤلها فى معبده « بالعرابة » كما ذكرنا آنفا ، وأخيرا يتساءل الإنسان فى هذا البحث ، لماذا نبذ « رعمسيس الثانى » فى أوائل عهد اشتراكه فى النقش البارز المميز لحكم « سيتى الأول » حبا فى النقش الغائر الذى يميز الطور الثانى من أطوار حكمه ، وهو فى ذوقنا أقل جمالا من سابقه ؟

والجواب على هذا السؤال لا يخرج عن دائرة التخمين والحدس ، فمن الأشياء التى تلفت النظر هو أن هذه الظاهرة توجد فى كل المعابد التى أقامها « رعمسيس الثانى » التى استعرضناها حتى الآن (١) . وكذلك من الأمور التى لها أهمية ، ما نلاحظه فى كل المعابد التى له فيها أثر ، وهو أن هذا التحول قد ظهر فى عهد اشتراك الملكين فى الحكم عندما كان « سيتى » لا يزال حيا ، ومن ذلك يتضح لنا أن تغيير الطراز لم يحدد لنا موت « سيتى » ، وكذلك لما كان « رعمسيس الثانى » قد حفر عددا عظيما من النقوش البارزة فى أوائل عهد اشتراكه فى الملك ، فإنه من الواضح أن اتخاذ طراز الحفر الغائر لا ينطبق مع اشتراكه مع والده فى الملك . وإذا أردنا أن نبحث فى المصادر المصرية لتفسير ذلك كان جديرا بنا أن نولى وجهنا ثانية نحو ما ينطق به « رعمسيس » نفسه حين يقول : لا يوجد أثر أنجز لم يكن تحت سلطانى [حرفيا تحت سلطانك] وبذلك نجد « رعمسيس » يؤكد عن قصد تسلطه على عمليات البناء وقتئذ مما يجعل الإنسان يميل إلى الاعتقاد بأنه كان صاحب اليد الطولى شخصيا

(١) ويجد الأستاذ «حمزة» بك الجواب عن دهشته عندما وجد « رعمسيس الثانى » يغير نقوشه من بارزة الى غائرة فى النقوش التى عثر عليها فى « قنتير » ، وربما كان ذلك من البراهين التى تدل على أن « بررعمسيس » قد بدأ العمل فى إقامتها فى عهد « سيتى الأول » وهذا محتمل جدا ، وبخاصة عندما نعلم أنه كان « لسيتى » قصر هناك ، بل يحتمل أنها كانت قد تمت قبل وفاته وأن « رعمسيس الثانى » قد اتخذها عاصمة الملك فى الوجه البحرى فى أثناء اشتراكه مع والده كما قد يدل على ذلك ما جاء فى لوحة الإهداء التى نقشها فى معبد « سيتى » « بالعرابة المدفونة » .

فى تصميم أمثال هذه المبانى وإنجازها . ومن المحتمل أنه فى عهد اشتراك الملكين كان « سيتى » فى غالب الأحيان غائبا عن مصر فى حروبه المختلفة، فى حين كان « رعمسيس » مقيما فى البلاد يدير شئون الملك على وجه عام ، ومن الجائز إذن أنه فى مثل هذه الأحوال قد تأثر بمبادئ مدرسة جديدة للنحت كانت تعتقد أن طراز النحت البارز من بقايا عصر بائد ولا بدّ من التجديد . وعلى أية حال فإن «رعمسيس» الشاب لم يكن بعيدا عن عصر «اخناتون» الذى كان قد بدأ يظهر فيه النقش الغائر بصفة واضحة، ومهما يكن تأثير العوامل الخارجية على فكره ، فإنا نعلم أنه خضع لنفوذ هذا الطراز من النقش ، ولابدّ أنه قد اعتنق هذا التجديد عن عقيدة قوية كانت تزداد كل يوم ، لأنه لم ينبذ النقش البارز حبا فى النقش الغائر فحسب، بل إنه بعد مدّة قصيرة ذهب فى حبه لهذا الطراز إلى حد أنه — على الأقل فى « العرابة » و « الكرنك » — كشط كل نقوشه البارزة ونقشها من جديد بالحفر الغائر، ومن الجائز أنه كان هناك دوافع أخرى قد شجعته على ذلك، منها أن النقش الغائر يمكن إنجازه بسرعة، وهو أبقى على الزمن من الحفر البارز ، وعلى أية حال فإنا نعجب بحماسه وغيرته فى هذا الصدد أكثر مما نعجب بذوقه ، ولن نحيد إذن عن الصواب إذا قلنا : إن « رعمسيس الثانى » قد وجد الطراز الجديد فى عينه أكثر جمالا من القديم ، وأنه كان مقتنعا بحكمة شبابه أكثر من أى ملك قديم محنك . هذا ملخص عام للآراء التى أوردها « كيث سيلى » فى كتابه عن عهد اشتراك «رعمسيس الثانى» مع والده فى الحكم،وهى بلا شك تعدّ مقدّمة لا بدّ منها لمن أراد أن يدرس تاريخ « رعمسيس الثانى » من الآثار ، وعلى الرغم مما فيها من فروض — قد تصيب وقد تخطئ — فإنها فى مجموعها تعدّ أساسا صالحا لدرس حياة هذا الملك العظيم الذى ملأ الامبراطورية المصرية بآثاره التى — كما هى الآن — يخطئها العدّ .

والآن نبتدئ بعد درس الوثائق التى خلفها لنا هذا الفرعون عندما أخذ مقاليد الحكم فى يده منفردا بعد أن ألقينا نظرة عامة على ما قام به فى عهد اشتراكه

فى الحكم مع والده وأهم هذه الوثائق من الوجهة التاريخية والدينية والهندسية وثيقة الإهداء التى دونها على جدران الجزء الذى أضافه لمعبد والده " بالعرابة المدفونة " وهى التى أرخت بالسنة الأولى من تربعه على عرش الملك بعد وفاة والده .

وثيقة الاهداء الكبرى فى معبد العرابة المدفونة

(١) خطاب أوزير للملك : خطاب « أوزير » رب الأبدية لابنه ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « وسرماعت رع ستبن رع » : " إن قلبى فى راحة بفضل ما فعلت لى ، وإنى لمبتهج بما قد أمرت به لى ، وإنى لفرح بتقديمك العدالة لى قربانا لأنى أعيش بأعمال الخير التى أهديتنيها مدة أمد السماء ، وإن أعمالك الصالحة تشبه [أعمال] قرص الشمس ، وستبقى أنت ما بقى « آتوم » لأنك تسطع على عرشه ، وكذلك ما دام « رع » مزدهرا عندما يخترق السموات العلا حينما تكون أنت ملكا على الوجه القبلى والوجه البحرى بفضل أعمالك الصالحة داخل قصرك - وخططك محببة إلى قلبى ، وما فعلته فى الأفق كان مقبولا ، والمحراب يكون فى حبور عندما يسمعك تلق قصة أعمالك الصالحة والإله « تاتنن » (إله الآخرة) قد منحك مئات ملايين السنين " .

(٢) خطاب « إزيس » : خطاب « إزيس » العظيمة والدة الإله : " يا بنى العزيز محبوب « آمون رعمسيس » إن طول أمد حياتك مثل طول أمد حياة ابنى « حور » ، فهكذا أنت وهكذا سيكون من خرج من بطنى ، وإنك بارّ بنا مثله ، وإن مدة أجل السماء وممالك السيد المهيمن « أوزير » جميعها وسنى « حور » و « ست » ستمنح لك بوصفك ملكا على الأرض " .

(٣) خطاب «سيتى الأول» : خطاب « أزير » الملك «منماعت رع» (صادق القول) : "فليفرح قلبك ياملك الوجه القبلى والوجه البحرى « وسرماعت رع ستبن رع » لأن « رع » إله الشمس يهبك الخلود ، و « آتوم » يبتهج باسمك « حور » الغنى بالسنين ، تأمل إنى فى حبور يوميا لأنى أعود إلى الحياة من جديد ، وإنى لفى سرور لما فعلته لى منذ أن دعيت صادق القول (أى توفيت) . ولقد عظمنى « ونتفر » (أوزير) لما فعلته لى " .

(٤) خطاب «رعمسيس الثانى» : خطاب ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « وسرماعت رع ستبن رع » لوالده « أوزير » : " إنى أتضرع لوجهك كما كان يفعل ابنك «حور» ، وإنى أفعل

---

(١) راجع : A. Z. 48. pp. 53 ff.

ما يفعله فأعمل لك آثارا فى المكان المقدس (الجبانة) وأضاعف الأوقاف لروحك، وإنى أنا المحبوب عن والدى وهو فى عالم الآخرة السفلى، وإنى تحت تصرفك وتحت سلطانك. ولما كنت أعرف أنك تحب العدالة فانى أقدمها لجلالك حاملا إياها على راحتى أمام وجهك حتى تجعل الأرض ملكا لى فى سكينة وحتى تهبنى الخلود بوصفك ملكا، والأبدية بوصفك راعيا للأرضين. وإنى على استعداد لتنفيذ ما يحبه قلبك كل يوم بلا انقطاع".

(٥) رحلة رعمسيس الثانى إلى «طيبة» وسرد أعماله التى قام بها تكريما لوالده :

"لقد كان ولدا بارا بأبيه مثل «حور» عندما انتقم لوالده «أوزير»، فهو الذى صوّر من سوّاه ونحت تمثال من أنجبه وأحيا اسم من وضع بذرته ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «وسر ماعت رع ستبن رع» ابن الشمس الذى يحبه ورب التيجان «آمون مرى رعمسيس» معطى الحياة مثل «رع» مخلدا «أوزير» سيد «العرابة» فقد ظهر سيد الأرضين ملكا ليحافظ بتق على ذكرى والده فى السنة الأولى فى أثناء سياحته الأولى إلى «طيبة»، وقد نحت تمثالين لوالده الملك «من ماعت رع» أحدهما فى «طيبة» والآخر فى «منف» فى المعبدين اللذين أقامهما هناك، وزاد فى جمال ما كان موجودا فى «تاور» فى ضاحية «العرابة»، لأنه كان يحب ما يميل اليه قلبه (أى قلب والده) منذ أن وجد على الأرض (أى) على تربة «وننفر» (أوزير)، وقد جدّد إصلاح آثار والده التى فى الجبانة ليجعل اسمه باقيا، وقد بدأ فى نحت تماثيله وتخصيص قربان ثابت لروحه المبجل وإمداد معبده وتموين قربانه وإصلاح ما كان قد تخرّب فى المثوى الذى يعزه. وكذلك أقام العمد فى معبده وبنى جدران سوره وأخذ فى تدعيم أبوابه، وفى إقامة أنهار فى مثوى والده فى بقعة «أوزير» (؟) ... والبوّابة المزدوجة المقامة فى الداخل (؟)، ويرجع الفضل فى ذلك لأعمال الملك الشجاع ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «وسر ماعت رع ستبن رع» ابن «رع مرى آمون رعمسيس» معطى الحياة لوالده «أوزير من ماعت رع» صادق القول. وقد أسس له أملاكا وأمدّها بالأرزاق لما له من سمعة بين الملوك، وكان قلبه رفيقا بمن أنجبه ولبه شفيقا على من نشأه".

(٦) وصف حالة آثار العرابة التى وجدها عليها الملك عند عودته من «طيبة» :

"واتفق ذات يوم فى السنة الأولى فى الشهر الثالث من الفصل الأوّل فى اليوم الثالث والعشرين أنه منذ العيد (؟) ... بعد أن سار فى ركاب «آمون» حتى «الكرنك» طلع الملك مغمورا بالثناء من «آمون — آتوم» فى «طيبة» لشجاعته وبطشه، وقد كافأه هذا الإله بملايين من السنين أكثر عددا من سرمدية «رع» فى السماء، وعندما سمع ... ... هادئا (؟) فى خلود الزمن والأبدية وقد رفع ذراعه حاملا

المبخرة نحو أفق الذى يستقر فى الحياة (؟)، ولقد كانت قرباته طيبة ومقبولة عند والده رب الحب، وعاد جلالته من البلدة الجنوبية (طيبة)... «رع»، وقد بدأ السير فى طريقه بعد أن أعدّت العدّة ومخرت السفينة الملكية عباب الماء متجهة صوب الشمال إلى مكان الشجاعة بيت (مرى آمون رعمسيس)، العظيم الشجاعة .

وقد دخل جلالته ليرى والده مقلعا فى مياه قناة «تاور» ليقرّب القرابين للإله «ونفر» فى المكان الجميل الذى يحبه روحه وليسلم على ٦ ... أخاه «أنحور» ابن «رع حقا» وهو مثله تماما .

وقد وجد مبانى الجبانة التى من عهد الملوك الأقدمين، وكذلك مقابرهم التى فى «العرابة» آيلة للخراب، ولايزال البناء جاريا فى نصفها ... ... ساقطا على الأرض، وجدرانها منبوذة على الطريق ولم تكن لبناتها متماسكة . وقد درس ما كان قائما منها ولم يكن هناك إنسان ليبنى ... ما كان قد عمل تخطيطه أبدا(؟) منذ أن طار إلى السماء أصحابها ولم يكن هناك ابن يقوم بإصلاح ما تركه والده من آثار فى الجبانة .

أما معبد الفرعون «من ماعت رع» فكان البناء جاريا فى واجهته ومؤخرته عندما دخل الملك السماء، وكانت مبانيه لم تنجز بعد ولم تكن قواعد عمده قد أقيمت، وكان تمثال الفرعون ملقى على الأرض، ولم يكن قد نحت بعد على حسب القواعد المتبعة فى محاجر «حتنوب» (؟) وكانت قد انقطعت قرباته وكهنته غير المحترفين أيضا . وقد استولى على ما كان قد جلب إليه، لأن حقوله وحدودها لم تكن قد ثبتت تماما على الأرض" .

(٧) «رعمسيس الثانى» يعقد مجلسا من رجال بلاطه وموظفيه : تحدّث جلالته لحامل خاتم الوجه البحرى الذى كان بجانبه : "تكلم ادع رجال البلاط والأشراف ورؤساء البلاط جميعا ومديرى الأعمال بجملتهم، والمشرفين على بيت الكتب، وقد أحضروا لجلالته وأنوفهم تقبل الأرض راكعين مهللين فرحا رافعين أكف الضراعة لجلالته، ثم أخذوا فى إطراء هذا الإله الطيب وعظموا فضائله فى حضرته، وتكلموا بخير عما أنجزه وتأثروا أعمال شجاعته كما وقعت، وكل كلام خرج من أفواههم يطابق ما فعله سيد الأرضين بحق . وبعد ذلك انبطحوا على بطونهم وتمرغوا على الأديم أمام جلالته قائلين : لقد أتينا إليك يا سيد السماء ويارب الأرضين يا «رع» يا حياة العالم كله، ويا سيد الأبدية ويا قويا فى دوراته يا «آتوم» الإنسانية، ويا صاحب الحظ السعيد، ويا خالق الكثرة، ويا «خنوم» بارئ البشر، ويا واهبا أنوف المخلوقات نفس الحياة، ويا من يجعل التاسوع الإلهى كله يعيش، ويا عماد السماء وقوام الأرض ومنظم شاطئ النيل ومعدلهما ورب الغذاء وصاحب الغلال الوفيرة . أنت يا من تحت قدميه الإلهة «رنوتت» إلهة الحصاد، ويا من يخلق العظماء ويسوّى الصغار، ويا من كلامه طعام، يأيها السيد

الساهر اليقظ عندما ينام الناس ، و يا من تحمى شجاعته مصر ، و يا شديد البأس على الأجانب ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (؟) ، ومن خنجره يحمى الدلتا ، و يا محبوب الإلهة «ماعت» والعائش بالقوانين التي سنتها و يا مدافعا عن شاطئ النيل ، والغنى فى السنين ، والعظيم الانتصارات ، و يا من سحق البلاد الأجنبية خوفهم إياه ، يا مليكا و يا شمسا ، و يا من كلامه حياة «آتوم» ، تأمل إنا أمام جلالتك لتأمر بمنحنا الحياة التى تهبها يأيها الفرعون الحى السليم القوى يا نسيم أنوفنا و يا حياة كل البشر عندما تسطع عليهم" .

(٨) **الملك يقص خبر توليته عرش الملك و يستعرض مشاريعه :** ثم تحدث إليهم جلالته قائلا : "تأملوا لقد أمرت بدعوتكم لما جال بخاطرى عندما شاهدت مبانى الجبانة ومقابر «العرابة» لم تنجز أعمالها بعد منذ زمن أصحابها حتى اليوم ، ذلك أنه عندما يخلف ولد أباه على عرش الملك يجب عليه أن يتم ما شرع فيه ووضع أسسه أبوه . من أجل ذلك قلت لنفسى : إذا أعاد المرء إقامة ما تهدم جلب لنفسه سعادة الحظ ، وإنه لعمل صالح أن يفكر الإنسان فى ذلك ، وإنه لجميل أن يهتم لب الابن بوالده . و بمثل هذا يدفعنى قلبى لعمل أشياء نافعة « لمرنبتاح » (سيتى الأول) ، و إنى سأعمل حتى يقول الناس إلى الأبد السرمدى إنه ابنه الذى جعل اسمه يحيا ، ومن أجل هـذا سيخصنى والدى « أوزير » بحياة ابنـه « حور » الطويلة جزاء ما سأقوم به من الأعمال الطيبة لوالدى ، لأنى كنت بارا به كما كان « حور » بارا بمن أنجبه و إنى خرجت من « رع » ... قولوا أنتم (أى (؟)) إن « من ماعت رع » والرب العالى نفسه (أوزير) قد نشأنى وجعلنى أنمو حينما كنت لا أزال طفلا حتى أصبحت ملكا وأعطانى الملك (؟) ، ومنـذ أن كنت لا أزال فى البيضة وكان العظماء يقبلون الأرض أمامى وأنا لم أزل أنشأ بوصفى البكر والأمير الوراثى على عرش « جب » و إنى وضعت التقرير (؟) (٤٥) عن أحوال الأرضين بمثابة قائد المشاة والخيالة . وعندما كان يظهر والدى أمام الشعب كنت طفلا صغيرا بين ذراعيه وكان يقول عنى : "توجوه ملكا حتى أرى جماله وأنا لا أزال حيا" ، وعلى ذلك دعى المهندمون ليضعوا التيجان على جبينى وقيل : " ضعوا له التاج على رأسه " . حتى ينظم هذه البلاد و يدير شئون مصر... وليول وجهه شطر النـاس [هكذا تكلم (؟)] (٤٧) ... ... با كيا بسبب الحب العظيم الذى كان يكنه لى فى جوفه ، وقد أمدّنى بإماء ، ووصيفات فاتنات (؟) مع عذارى من القصر ، وقد انتخب لى زوجات من بين اللائى يؤخذ منهن مغنيات [آمون] ... وأراد أن يخصنى من بين نساء القصر مربية (؟) ، تأمل لقد كنت « رع » (الشمس) فوق الناس فأهل الجنوب وأهل الشمال كانوا تحت نعلى ... ... وإنه أنا الذى ... ... (٤٩) ... ... قد صنعت تمثال والدى من الذهب وثبت حقوله ... ... وحبست القربان على روحه (٥٠) ... ... من خمر وزيت وخروع وكل أنواع الفاكهة وكل باكورات المحاصيل ، ونميت المزارع له . تأمل لقد وضع معبده تحت ملاحظتى وكل أشغاله كانت تحت مراقبتى منذ أن (؟) ......

حينما كنت طفـلا (٥١) ... ... لأجل (؟) والدى وسأكبرها بإعادة إقامة المبانى ، ولن أهمل مكانها كما فعـل أولئك الأطفال الذين نسوا والدهم . وسأعمل حتى يقول الناس (٥٢) ... ... ولد كان يعمل الطيبات والأعمال الجبارة التى أنجزتها إكراما لوالدى عندما كنت لا أزال طفـلا أريد أن أتمها الآن وأنا سيد القطرين ، وإنى سأستعمل بإخلاص أحسن وسيلة (؟) ...... (٥٣) ...... وإنى سأقيم جدرانا فى معبد من أنجبنى ، وسأكل لرجل ممن أختار العناية بإدارة الأعمـال وسأسد الثغرات التى فى الجدران وإنى ... هـذه البوّابات وسأغطى بيته [بسقف] وأقيم واجهته ، وسأضع قطعا من الحجر فى أماكن الأسس . وإنه لجميل أن يقيم الإنسان أثرا فوق أثر فهما شيئان مفيدان يعملان دفعـة واحدة ويحملان اسمى واسم والدى فهكذا كان الأب وهكذا من أنجبه أيضا" .

(٩) جواب المستشارين : وعندئذ تكلم السمار الملكيون مجيبين الإله الطيب : "إنك «رع» الشمس وجسمك جسمه ، ولا يوجد قط ملك يشابهك ؛ فأنت وحدك مثل ابن «أوزير» وتعمل على حسب خططه (٥٦) ... «حور» بن « إزيس » ؛ ولم يفعل أى ملك هكذا (؟) منـذ عهد «رع» إلا أنت وابنه ، وإن ما فعلته أعظم مما فعله منذ أن تولى الملك بعد «أوزير» ، وإن قانون البلاد يثبت ويستقر عندما يكون الابن مهتما بشأن من أنجبه ، والبذرة المقدسة ... ... ذلك الذى سوّاه ، والبيضة (؟) تحيط بالعناية مربيها المبجل (أى والده) ولم يفعل بعد إنسان مافعله «حور» لوالده إلى هذا اليوم إلا جلالتك... فقد عملت ما لم يعمل من قبل فأى مثال فضيلة يوجد (٥٨) فى استطاعتنا أن نأتى به لنذكره أمامك (؟ ومن ذا الذى يأتى لينصحك عنـدما يفكر فى الذى أتيته (بمحض عبقريتك) ؟ لقد صيرت الجاهل ... حلوا ، وإن فى قلبك لحلاوة لوالدك «من ماعت رع» الوالد الإلهى محبوب الآلهة «مرنبتاح» صادق القول ، ومنذ عهد «رع» (!) ومنذ عهد أن توج الملوك لم يوجد آخر مثلك ، إذ لم ير مثلك وجه ولم يسمع لمثلك قول كما لم يوجد ابن آخر قد جدّد آثار والده ، ولا أحد اعتلى العرش مثلك قد حافظ بصـلاح على ذكرى والده إذ كان كل واحد يعمل لما فيه فائدة اسمـه إلا أنت و «حور» هذا ، ولذلك فانك وابن « أوزير» سيان .

تأمل إنك وارث ممتاز مثله ، إذ تدير ملكه بنفس طريقته ، و ذا فعل (أى فرد) ما فعله الإله كان له نفس طول عمره (اى عمر الإله) وإن قلب «رع» فى السماء لفرح والآلهة مبتهجون بمصر منذ تتويجك ملكا على الأرضيـين جميل ... ... وإن عدالتك لممتازة وإنها تصل إلى السماء وإن خططك مستقيمة لقلب «رع» ، وإن « آتوم » لممتلىء جبورا ، والإله « وننفر» منتصر بفضل مافعله جلالتك لروحه ، ويقول ... ... إنى [أمنحك (؟)] أمدّ هاتين السماءين وآلهة المكان ...رى (؟) لصاحبه سيد العـا السفلى يقولون (؟) إنك ستكون على الأرض مثل « آتون» ...ص شمس) ، وإن قلب «مرنبتاح»

لفرح لأن اسمه قد أحيي من جديد وإنك تصوغه من ذهب وأحجار كريمة حقيقية ... ... من السام ... وإنك تصنعه من جديد باسمك وكل الملوك الذين فى السماء والذين كانت مبانيهم لم تزل فى دور التنفيذ ليس لهم ولد قد عمل ما عمله منذ عهد «رع» حتى هـذا اليوم ... (٦٥) ... جلالتك ، والذى فعله قـد جددت ذكراه بعد أن كان قد نسى ، ولقد جددت آثارا فى الجبانة كما أن كل المشروعات التى كانت مهملة قد أنجزتها على الوجه الأكمل (؟) ... (٦٦) ... والأجيال تمر ويحل غيرها وجلالتك ملك الوجه القبلى والوجه البحـرى لأنك أنت الذى تعمل الخـير وقلبك مرتاح لإقامة العدل ، وما عمـل فى زمن الآلهة سيسمع (؟) ... ... (٦٧) ... ... وعند ما ترفع إلى السماء ستصعد أعمالك الصالحـة حتى الأفق ؛ والأعين ترى أعمـالك العظيمة التى أنجزت أمام الآلهة والناس ، وإنك أنت الذى تعمل ، وإنك أنت الذى تكرر الأثر فوق الأثر للآلهة على حسب أوامر والدك «رع» (٦٨) ... واسمك فى كل بلد من أول بلاد النوبة جنوبا وشمالا من أول شواطئ البحر حتى بلاد «رتنو» حيث القبائل البدوية (؟)، وفى الأماكن الملكية الحصينة ، وكذلك فى المدن المشيدة والتى يسكنها الناس (٦٩) ... ... وكل الأماكن تعرف أنك إله لكل الموجودات والناس يسهرون ليقوموا لك بتقـديم البخور على حسب أمر والدك « آمون » الذى تعظمه مصر وكذلك تفعل الأرض الحمراء (الصحراء) " .

(١٠) تقديس معبد «سيتى» الذى أتمه «رعمسيس الثانى» (٦٩ — ٧٥) :

وبعد أن سمعت هذه العبارات التى فاه بها هؤلاء العظماء أمام سيدهم أعطى جلالته الأمر بأن توكل الأعمال لمهندس البناء ، فانتخب جنودا وعمـالا بنائين ونقاشين ورسامين محترفين (؟) وعمـالا من كل طوائف الصناع لبناء قدس أقداس والده ولأجل إصلاح ما كان قد تخرب فى الجبانة ، وفى مثوى والده الجنازى . تأمل ! إنه قـد بدأ فى نحت تمثاله فى السنة الأولى وفى الوقت نفسه ضاعف القربان لأجل روحه ، حتى أصبح معبده ممونا كما يجب وكذلك أمده بمـا يلزمه . وقد عمل قائمة أملاكه دفعـة واحدة بما تحويه من حقول وزراع وقطعان ماشية ، وعين الكهنة وحدد اختصاصاتهم تمـاما ، لخادم الإله لتكون السجلات تحت إدارته ، وهؤلاء النـاس تحت ... ... لأجل إدارة ممتلكاتهم (؟) ... وهـذه المخازن كانت غنية بالحبوب (٧٤) ... ... وأملاكه الشاسعة فى الجنوب والشمال قد وضعت تحت مراقبة مديره ، ويرجع الفضل فى ذلك لمـا فعله مدير الوجه القبلى والوجه البحرى « وسرماعت رع » « سـتبن رع » ابن رع محبوب آمون «رعمسيس» معطى الحياة سرمديا ومخلدا ، لأجل والده الملك « من ماعت رع » صادق القول (٧٥) ... تحت إدارة « ونتفر » وقد أعاد ما كان قد فعله لروحه فى « طيبه » و« هليوبوليس » و « منف » وتماثيله جاثمة مكانها فى طرق الصحراء كلها " .

(١١) خطاب الفرعون لوالده «سيتي» (٧٥ — ٩٨) : "وهاك كلام ملك الوجه القبلي والوجه البحري « وسرماعت رع » «ستبن رع» ابن الشمس سيد التيجان ، محبوب «آمون» « رعمسيس » معطي الحياة ، عندما أعلن ما فعله لوالده « أوزير » الملك « من ماعت رع ، صادق القول إذ يقول : "تنبه وول وجهك قبل السماء لترى «رع» يا والدي «مرنبتاح» أنت يامن أصبحت إلها . انظر لقد جعلت اسمك يحيا ، وإني أرعى صلاح ذكراك إذ أعتني بمعبدك (٧٧) وقربانك ثابت دائم وإنك تثوى في العالم السفلي مثل « أوزير » في حين أني أشرق مثل « رع » على الإنسانية ، وأجلس على عرش « آتوم » مثل حور ابن « إزيس » ، الذي انتقم لوالده . ما أجمل ما فعلته لك (؟) فانه مضاعف الحسن (؟) لأنك عدت به إلى الحياة من جديد ! فقد صنعت لك تمثالا ، وبنيت مثواك الذي كنت ترغب فيه ، والذي فيه صورتك في جبانة العرابة ، (إقليم الأبدية) ، وإني أضع قرابين لتماثيلك ، كما تقدم لك هبات يومية ، وما فعلته كان بطريقة محكمة حتى إذا نقصك شيء فعلته لك ، لأن كل ما يرغب فيه قلبك مفيد لسمعتك (؟) ، وإني أعين لك خدما للمائدة (٨٠) ليحملوا الطعام لروحك ، وليصبوا الماء له على الأرض من خبز وماء على التوالي ، ولقد أتيت بنفسي مرتين (؟) لأزور معبدك الذي بجوار « وننفر » ملك الأبدية ، ولقد عكفت على أعمال هذا المعبد فبنيت رقعته (غطيتها بالبلاط) (٨١) وإني ... ما رغبت فيه ، وأقمت كل مساكنك التي نبت فيها اسمك سرمديا ، ولقد فعلت كذلك لأجل حالة معبدك الطبعية (أي لتكون هذه الحالة الطبعية باقية ثابتة) . وإني أهبك أقوام الجنوب ، الذين يحملون العطايا لمعبدك ، وأقوام الشمال الذين يحملون جزيتهم لوجهك الجميل ، وقد جمعت كل من يعمل لك هدايا في مكان واحد تحت ملاحظة (؟) كاهن معبدك حتى تبقى ملكيتك كتلة موحدة (لا تقسم) على حين أن الأشياء تحمل إلى معبدك مدى الخلود .

وقد جعلت خزانتك فاخرة إذ ملأتها بالخيرات على حسب رغباتك (؟) وإني أقدمها لك في الوقت نفسه مع الجزية التي تستحقها (؟) ، وإني أهديك سفينة نقل بحمولتها على البحر الأبيض مشحونة بالذخائر العظيمة من بلاد الآلهة ، والتجار يتجرون في سلعهم وطرائقهم المشغولة (؟) من ذهب وفضة ونحاس ، ودونت من أجلك قوائم حقول كانت من قبل معروفة شفويا فقط (؟) ... على الأراضي العالية المقدرة بالحقول ، وإني أمدها بملاحظين ومزارعين لحصد الحبوب للقرابين المقدسة . وإني أقدم لك سفنا بنواتيها ، والنجارون يشتغلون حتى لا يكون هناك ما يعوق سير السياحة إلى المعبد .

وقد جمعت لك قطعانا من كل نوع من الحيوان الصغير لإمداد قرابينك بطريقة منظمة ، وخصصت لك أوزا مجلوبا من حظائر التسمين (؟) وأخرى (٨٧) ... وكذلك أوزا حيا للتربية وهي تلك التي كانت

قد فضت (؟) وعينت صيادين على المياه فى البحيرات ليحصلوا لك على دخل يقدّر بحمولة سفن (؟) ، وقد أمددت معبدك بكل الحرف (٨٨) وجلالتى يسهر على الإشراف على المعبد (؟) وكهنة الساعة كاملون من جهة عدد الرءوس (؟) والفلاحون قد أجبروا على عمل النسيج اللازم للابس ، أما عبيد حقولك فى كل مركز فيحمل كل رجل جزيته لملء بيتك . تأمل ! فانك قد دخلت السماء فى صحبة « رع » تختلط بالنجوم و بالقمر! و إنك ترتاح فى العالم السفلى مثل الذين يسكنون بجانب «وننفر» سيد الأبدية ، وذراعاك تجرّان سفينة «آتوم» فى السماء وعلى الأرض مثل النجوم السيارة ومثل النجوم الثابتة (القطبية) حينما تكون فى مقدّمة «سفينة ملايين السنين» وعندما يشرق « رع » فى السماء تصوّب عينيك إلى جماله ، (٩١) وعندما يخرج « آتوم » من العالم السفلى تكون بين أتباعه ، و إنك قد دخلت القاعة السرية فى حضرة سيدها ، وخطواتك تذهب بعيدا فى أعماق العالم السفلى . و إنك تتآخى مع تاسوع الجبانة المقدّس ، تأمل ! لقد طلبت الهواء لخيشوميك الفخمين ؛ و إنى أعلن اسمك كثيرا يوميا (؟) ، و إنى ... والدى ... (٩٣) و إنى أعلن أعمالك العظيمة عندما أكون فى الممالك الأجنبية . و إنى أصنع هدايا لك وذراعاى محملتان بالقربان باسمك [لروحك] (؟) فى أماكنك كلها . ليتك تقول «لرع» ... (٩٤) امنح الحياة ابن « وننفر » بقلب محب وأعط حياة طويلة فوق حياة طويلة موحدة فى أعياد ثلاثينية للملك « وسر ماعت رع ستبن رع » معطى الحياة ، و إنه لمن الخير لك أن أكون ملكا مخلدا (٩٥) لأنك ستكون ... بابن بارّ سيذكر والده . و إنى أستشير فى أمر معبدك كل يوم عما يخص شئون روحك فى كل أنواع المواد ، فاذا سمعت أن تلفا على وشك أن يحدث أعطيت الأمر بتجنبه فى الحال بكل أنواع المواد (اللازمة) ، و إنك ستكون كأنك لم تزل عائشا مادمت أحكم ، و إنى أسهر على معبدك كل يوم يطلع (؟) ، و إن قلبى يحيطك بالعناية ، و إنى أرعى صلاح ذكرى اسمك وأنت فى العالم السفلى ، وكل شىء سيصير على ما يرام لك ما دمت أحيا عمرا طويلا بوصفى محبوب « آمون رعمسيس » معطى الحياة مثل رع ابن رع ".

(٩٦) شكر «سيتى الأوّل» لابنه (٩٨ — ١١٦) : "كان الملك « من ماعت رع» « صادق القول » (متوفى) ذا روح سامية « كأوزير » ، مبتهجا بالسرور من أجل كل ما فعله ابنه ، منفذا الأشياء الممتازة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ، ورئيس الأقواس التسعة ، سيد الأرضين ، « وسر ماعت رع ستبن رع » ابن الشمس رب التيجان محبوب « آمون رعمسيس » مخلدا وسرمديا ، وقد أعلن كل أعماله الصالحة ، أمام « رع حوراختى » ، وأمام الآلهة الذين فى العالم السفلى . تأمل ! إنه تكلم بقوّة كما يتكلم والد على الأرض لابنه قائلا : فليبتهج قلبك كثيرا يا بنى العزيز . « وسر ماعت رع ستبن رع » ، معطى الحياة بسبب (؟) ... إن « رع » يمنحك ملايين السنين ، والأبدية على

عرش حــور(١٠١) الأحياء ، وإن « أوزير » يرجو لك بقاء السماء التى تشرق فيها مثـل « رع » كل صباح ، وإن الحيـاة والصحة معك ... والصدق والقوّة ، وابتهاج القلب هى من عمــل من هو غنى بالسنين (١٠٢) ، وإن القوّة والنصر ملكك أنت يا عظيم الانتصار ، والصحة ملك أعضائك مثل ما هى ملك أعضاء « رع » فى السماء . والفرح والسرور فى كل الأماكن التى توجد فيها يأيها الملك يا حامى مصر ، وغال الأقوام الأجنبية ، وإن الأبدية قد عملت لتكون عمرك ، بوصفك ملك الوجه القبـلى والوجه البحرى مثل « آمون » عندما يكون مزدهرا حينما يشرق ، وعندما يغيب ، تأمل ! ما قلته لرع بقلب محب . امنحه الخــلود على الأرض مثل « خبر رع » وقد كررت على « أوزير » عنــدما دخلت أمامه ضاعف له عمر ابنك «حور» ، وعلى ذلك تأمل فقد أجاب «رع» فى أفق السماء ، ليت الخلود والسرمدية وملايين السنين تكون ملك ابن « رع » فى صــورة أعياد ثلاثينية ، وهو الخارج من ظهره والعزيز محبوب « آمون رعمسيس » معطى الحياة ، ومنفذ الأشياء السامية ! ، وقد وهبــك « آتوم » مدى عمره بوصفك ملكا ، وقد تجمعت القوّة والانتصارات (١٠٦) فى ركابك ، وقد دوّنها « تحوت » بجانب السيد العالمى ، وقد صاح التاسوع المقدّس : نعم إن « رع » فى سفينته ، وهو سيد سفينة الليل ، وقد جمعها له ، وعيناه تريان ما فعلته من الأشياء الممتازة ، عندما يخترق السماء فى ريح رخاء كل يوم ، وإن خلفه لفى بهجة عظيمة عندما يستذكر أعمالك الصالحات ، وحبك فى صدره كل يوم إلى أن يغيب «آتوم» فى الأرض الغربية . تأمل ! فان « ونفر » أصبح منتصرا بمـا فعلته جلالتك له بكل إخلاص (؟) ، وقد أيقظه « حــور » لذكرى أعمالك الصالحات ، وإن قلبى لفى سرور مضاعف بالخــلود الذى منحه إياك ، تأمل ! فانى أتسلم الأشياء التى أعطيتنيها — خبزى ومائى — بقلب حنون . وإن نسمات الريح تصل إلى أنفى من أجل ما آتاه ابن سليم القلب وحام مبرّأ من الإهمال ، عارف كل جميل (؟) ، وإنك تعيد أثرا فوق أثر « لأوزير » ، تحت ملاحظتى (؟) فى حضرتى ... (١١١) فى داخل « تاور » (إقليم العرابة) ، ولقد أصبحت عظيما من أجل ما فعلتــه لى ، وقد وضعت على رأس دولة الأموات (؟) وقــد تحوّلت (؟) وتألهت أكثر ممـا تستحقه فضائلى منذ أن اهتم قلبك بى فى أثناء وجودى فى العالم السفلى ، وإنى والدك الحق الذى أصبح إلها ، ولقد اختلطت بالآلهة المرافقة « لآتوم » وكنت (١١٣) ... ... الذى فى السفينة ... ... « رع » (؟) مثل واحد من الذين ... ... منذ أن سمعت (١١٤) أنه يذكر طيبتك ... ... تأمل فإنه سيكون لك بقاء طويل فى الحياة ، وإن « رع » قد منحك ... ... أبديا مثل ... ... وإن صورة « آتوم » الحية ، وكل كلامك يتحقق مثل كلام سيد العالمين ، وإنك بيضة « خبر رع » الممتازة ، والبذرة المقدّسة الخارجة منه ، ومن أنجبته هو ما خلقه « رع » نفسه ، ويقول لك ... ... مثـل منفذ (؟) ... ... المربى ، وإنك تأتى

بوصفك «رع» (منبع) الحياة للناس ، فالجنوب والشمال تحت قدميك ويرجوان أعيادا ثلاثينية لأجل «ومر ماعت رع ستبن رع» وكذلك دوام رب العالمين عندما يشرق وعندما يغيب فى خلود سرمدى" .

تعليق : لا نزاع فى أن هــذا المتن على ما به من عبارات تقليــدية ومراسيم دينية وأساطير، يقدّم لنا ملخصا رسميـا حقيقيا عن المبـانى والأوقاف التى أخذ « رعمسيس الثانى » على عاتقه القيام بإنجازها فى مدينة « العرابة المقدّسة » لأجل الآلهة العظام ولأجل عبادة والده « سيتى الأوّل » المتـوفى ، وكذلك يضع أمامنا بهذه المناسـبة تاريخ شباب « رعمسيس » وتتويجه ملكا على البلاد منفردا ، وقد حاول مؤلف هذه النقوش التى دوّنت بطبيعة الحال على حسب تعليمات خاصة من « رعمسيس » نفسه أن يضعها أمامنا فى صورة تمثيلية رائعــة جمع فيها بين الدين والأخلاق والتاريخ والآثار معـا ، فيظهر أمامنا على المسرح أوّلا الإله « أوزير » الذى يعدّ أعظم آلهة بلدة « العرابة المدفونة » التى أقام فيها « سيتى الأوّل » معبده العظيم تكريما لهذا الإله وغيره من آلهة الدولة العظام مما فصلنا فيه القول عند التحدّث عن حياة « سيتى » فيخاطب « أوزير » « رعمسيس الثانى » مظهرا له اغتباطه بما قام له به من جليل الأعمال الخالدة فى معبده ، وبخاصة تقديمه له العدالة ، وهى أعز شىء عند الآلهة — بمثابة قربان يعيشون عليه ولذلك يقول له : "إنى سأعيش على أعمال الخير التى قدّمتها لى طوال أبدية السماء وإنك ستبقى ما بقى الإله «آتوم» لأنك تسطع على عرشه بأعمال الخير التى قمت بها ، وكذلك يقول له : "إن الإله « تاتنن » وهو صـورة من صور « أوزير » فى العـالم السفلى قد أعطاك ملايين السنين تحياها حياة طيبة " .

وبعد أن ينتهى « أوزير » من خطابه هذا الموجه لابنه « رعمسيس » تظهر الإلهة «إزيس» على المسرح وهى زوجه وأم الإله «حور» فتخاطب «رعمسيس» قائلة له : "إن طول حياتك سيكون مثل طول حياة ابنى «حور»" وقد كان «حور» هذا أوّل ملك حكم على الأرض بعد موت « أوزير » والده ، هــذا الى أن جميع ما كان يتسلط عليــه « أوزير » وكذلك السنين التى حكمها الإله « حور » والإله

« ست » معا سيمنحها « رعمسيس » أيضا ، و بعد أن تفرغ « إزيس » من خطابها الموجه لابنها « رعمسيس » يأتى دور والده « سيتى » الذى أصبح مثل « أوزير » يحكم فى عالم الأموات ، فيظهر على المسرح مبشرا « رعمسيس » بأن الإله « رع » سيمنحه الخلود وأن الإله « آتوم » مسرور لأنه قد أصبح « حور » أى ملكا بعد وفاته هو ، ثم يخبره بأنه مبتهج بما قام له به من جليل الأعمال فى « العرابة المدفونة » منذ أن أصبح « صادق القول » أى منذ أن ذهب إلى عالم الآخرة ، ولكن تأثير أعمال ابنه الصالحات قد جعلته يعود للحياة من جديد بما يقدّمه له من قربان ، هذا إلى أن الإله « وننفر » (الكائن الطيب) وهو الذى يمثل الإله «أوزير» فى عالم الآخرة قد رفعه إلى مكانة علية بسبب ما فعل الابن لأبيه . ولسنا فى حاجة إلى التنويه بما فى هذه العبارات من مبادئ قويمة عن معاملة الابن لأبيه ، مما وصت به كل الأديان السماوية التى جاءت بعد العهد الذى نحن بصدده .

و بعد فراغ الوالد من التحدّث لابنه جاء دور « رعمسيس الثانى » فظهر على المسرح ووجه خطابه للإله الأعظم « أوزير » فى أدب جم واحترام بالغ ، وافتتح كلامه بالصلاة والدعاء له كما كان يفعل له «حور» ابنه ، ثم طمأنه بأنه سيسير على نهج « حور » الذى كان يعدّ ملكا مثاليا ، وأنه سيجدّد ما أفسده الدهر من آثاره فى جبانة «العرابة المدفونة» التى كانت تعدّ كعبة المصريين و بيت تقديسهم ، وأنه سيقرّب له قربانا مضاعفا لروحه ، وأنه سيكون رهن إشارته وتحت تصرفه فى كل ما يطلب ثم يقول له : إنه قد قدّم له العدالة قربانا لأنه يعرف أنه يحبها أى «ماعت» وهى النظام الكونى الذى كان يسير عليه العالم منذ بدأت الخلقية على يد « رع » أوّل ملك حكم العالم .

والواقع أننا نرى «رعمسيس» ممثلا فى المنظر الذى يتبع هذا المتن وهو يضع تمثال العدالة على راحته ويقدّمها إلى وجه « أوزير» حتى يجعل الأرض تسير فى طريق السلام ، وكذلك يمنحه الخلود لأنه راعى الأرضين ، وهكذا نرى أن العدالة

(ماعت) كانت محببة للآلهـة، وأنها كانت الهـدى الذى يرشد الملوك لأنهم من نسل «رع» والشعب إلى الطريق السوىّ فى كل زمان ومكان، وقد أراد المصرى كما كانت سليقته أن يقرب الأشياء المعنوية الى الأذهان، فصوّر لنا العدالة فى صورة امرأة جالسة على رأسها ريشة، ثم أصبح يرمز لهـا بالريشة فقط، وما أشبه الليلة بالبارحة، فالريشة رمز العدالة فى معظم بلدان العالم فى أيامنا هذه .

وبعد أن تحدّث «رعمسيس الثانى» عن مناقب والده «أوزير» أخذ يسرد علينا ما قام به لوالده «سيتى الأوّل» بعد وفاته . وتدل شواهد الأحوال على أنه لم يكن وقتئذ فى عاصمة ملكه، بل كان فى جهـة ما من جهات دولة والده الشاسعة فعاد إلى عاصمـة الملك «طيبة» فى السـنة الأولى من انفراده بالحكم . وفى خلال عودته الأولى إلى عاصمة الملك نحت تمثالين لوالده «سيتى» أحدهما فى «طيبة» والآخر فى «منف» فى المعبدين اللذين أقيما له هناك مما زاد فى جمال آثاره وبخاصة ما كان قد عمـله فى «العرابة» والسؤال الهـام هنا هو : أين كان «رعمسيس» عندما صعدت روح والده إلى السماء؟ هل كان يحارب فى السودان كما يقول «ماسبرو» ورجع إلى العاصمة عندما سمع بموت والده(١) ؟

يقص علينا «رعمسيس» أنه فى أثناء عودته عرج على «منف» وأقام لوالده هناك تمثالا مما يدل على أنه كان فى شمالى امبراطوريته عندما قضى والده لا فى جنوبيها كما يزعم «ماسبرو» . ولكن فى أى بلدة أو أى مكان كان مقيما؟ . هـل كان فى «منف» لأنها العاصمة الثانية للبلاد وقتئذ، ولقربها من أملاكه فى آسيا التى كانت شغله الشاغل مدّة حياته، ولأن «سيتى» كان من أسرة تنسب إلى الدلتـا؟ إن الكشوف الحديثـة فى شمال الدلتـا دلت على أن «لسيتى الأوّل» قصرا فى بلدة «قنتير» التى يكاد يكون من المحقق أنها كانت العاصمة الجديدة لملك «رعمسيس الثانى» كما أشرنا إلى ذلك من قبل، ولا يبعد إذن أن «سيتى الأوّل» كان أوّل من وضع

(١) راجع : Maspero, The Struggle of the Nations p. 879. Note 5

أساس هذه العاصمة بإقامة قصره فى هذه الجهة . ثم قام «رعمسيس الثانى» خلال اشتراكه معه فى الملك بتخطيط هذه المدينة واتخاذها عاصمة ثانية للملك فى الشمال ، وبخاصة أن « رعمسيس » كان مشتركا مع والده فى الملك ، فكان « سيتى » يقطن فى العاصمة القديمة فى الجنوب فى حين كان « رعمسيس » يقطن فى عاصمته الجديدة التى سماها « بررعمسيس » على الأرجح ، وهى التى جاء ذكرها للمرة الأولى فى نقش الإهداء الذى نحن بصدده الآن ، وما ذكرناه هنا هو محض فرض تعززه شواهد الأحوال فحسب إذ لا يزال موضع « بررعمسيس » وموقعها بالضبط موضوع نقاش طويل بين علماء الآثار وإن كانت الكفة تميل الآن إلى الرأى القائل بأن « بررعمسيس » هى « قنتير »(١) لا « تانيس » .

وبخاصة بعد ما جاء فى بردية « أمنوبى » أنهما بلدان مختلفان ذكر كل منهما على حدة(٢) ، هذا بالإضافة إلى ما كتب من المقالات التى تحبذ هذا الرأى(٣) . ولا يبعد إذن أن «رعمسيس» عاد من عاصمة الملك الثانيه التى لم تكن قد تمت بعد(٤) ، ومر « بمنف » فى طريقه إلى عاصمة الملك « طيبة » حيث احتفل بجنازة والده بما يتفق من مظاهر الفخامة والعظمة ، وبعد أن احتفل بعيد « آمون » قفل راجعا إلى الشمال ليجعل سلطانه محسا فى هذه البقاع من ملكه الشاسع ، على أن أعظم

---

(١) راجع : Gardiner Ancient Egyptian Onomastica II, p. 171, 199, 278.

(٢) راجع : Gardiner Ibid II, p. 173

(٣) راجع : Ibid, p. 278

(٤) راجع : ما كتبه «جاردنر» عن هذه المدينة (J. E. A. V, p. 181) حيث يقول فى سياق كلامه عنها : "لم نذكر للآن شيئا عن النقوش التذكارية العظيمة التى نقشها «رعمسيس الثانى» على جدران معبد والده فى «العرابة» لأن المتفق عليه بوجه عام أنه على الرغم من إشارة النقوش إلى السنة الأولى من حكم هذا الفرعون لا يمكن أن تكون قد نقشت إلا حوالى منتصف حكمه ، وبداية هذه النقوش تحدثنا أن «رعمسيس الثانى» بعد أن مكث فى «طيبة» لأجل أن يصلح آثار والده «سيتى الأول» غادر المدينة =

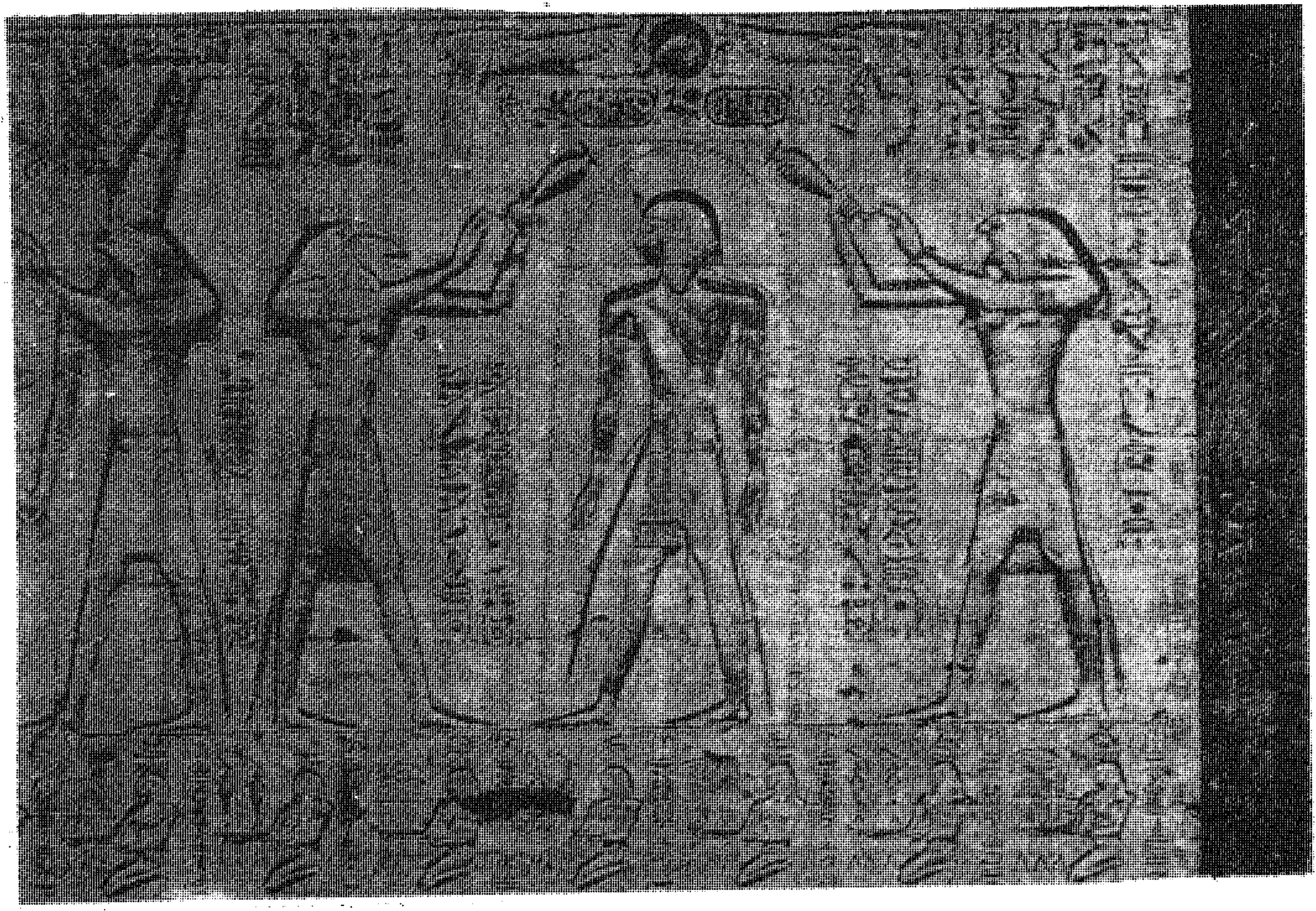
ما كان يهتم به بعد دفن والده هو إظهار بره ومحبته له ولذلك كان أوّل وقفة له — بعد تركه عاصمة الملك القديمة — فى «العرابة المدفونة» التى أقام بها والده أعظم أثر له فى كل أنحاء الامبراطوريه ولكن لم ينجزه؛ إذ قد عاجلته المنية والبناء فى دور التنفيذ، وكان قـد وقف فى العرابة فى أثنـاء عودته إلى « طيبة » ، وعندئذ أمر بتجميل تلك البقعة المقدّسة أكثر ممـا كانت عليه من قبل، وكذلك أمر بنحت تمثاله وحبس الأوقاف لتكون قربانا لروحه العظيم ، وإصلاح ما كان قد تخرّب . ولمـا عاد من عاصمة الملك إلى الشمال فى السـنة الأولى الشهر الثالث من الفصل الأوّل فى اليوم الثالث والعشرين سار فى النيل حتى وصل إلى « العرابة » ، فوجد معظم المبانى التى أقامها أسلافه من عظماء ملوك مصر قد آلت إلى الخراب ، وكذلك وجد أن بعضها لا يزال البناء جاريا فيه وقد تركها والده ولم تتم بعد ، كما وجد تمثال والده ملقى على الأرض ولم يتم نقشـه بعد . هذا إلى أن القـربات التى كانت تقرّب إلى هـذه المنشآت قـد انقطعت ، وتفرّق شمل الكهنة الذين كانوا يقومون بأداء شعائرها ، لأن الأراضى التى كانت محبوسة على هذه المبرات الدينية قد ضاعت معالمها واختفت حدودها واعتدى عليها .

= الجنوبية وبدأ برحلة ، وأقلع وكانت السفن الفرعونية تضىء الفيضان ، وولى وجهه منحدرا فى النيل نحو المكان العظيم « بيت رعمسيس » محبوب « آمون » عظيم الانتصارات ، وأخذ المتن بعـد ذلك يصف لنا زيارة إلى العرابة قام بها الفرعون فى أثناء سيره فى طريقه ، ثم تحدّث عن المسألة التى وضعت أمامه وهى الخاصة بمعبد « سيتى » الذى لم يكن قد تم بعد ، وقد شغلت كل ما تبقى من موضوع النقوش ، وعلى ذلك نجد أن الغرض النهائى لهـذه الرحلة قد اختفى ، أما الإشارة إلى « بر رعمسيس » فقـد جىء به هنا لأجل أن يفسر لنا كيف أن الفرعون قد أتى ليزور العرابة فى طريقه مما يقدّم لنا برهانا ساطعا على أن « بررعمسيس » كانت العاصمة الشمالية فى هذا التاريخ ، فقد رسا « رعمسيس الثانى » بسفينته عند « العرابة » فى خلال سياحته بين عاصمتى ملكه ، وقد كان من واجبنا ألا نتحدّث طويلا عن هذه النقطة الواضحة لولا أن « جوتييه » الذى كان آخر من نشر هذه النقوش يقول عن « بررعمسيس » إنه بناء أقامه « رعمسيس الثانى » يحتمل أنه يقع فى « العرابة » نفسها أو فى إقليمها (راجع Gauthier, La Grande Insc. Dedicatoire d'Abydos Biblioth. D'Etude p. 58.) وهذا التفسير طبعا يترك أمامنا التسمية (عظم المكان) والنعت (عظيم الانتصارات) بدون أى تفسير .

من أجل ذلك دعا «رعمسيس» رجال بلاطه وعظماء موظفيه من كل صنف، فجاءوا إليه وخروا ساجدين وأخذوا فى إطرائه وتمجيده حتى رفعوه إلى منزلة أعظم من منزلة الآلهة أنفسهم، وبعد أن أحاطوه بسياج من القوة والعظمة بعباراتهم المنمقة التقليدية المتواترة، قالوا : "وها نحن إذن أمام جلالتك لتمنحنا الحياة التى تتحكم فيها يأيها الفرعون الحى السليم القوى ويا نسيم أنوفنا ويا حياة كل البشر عندما تشرق فى أعينهم"، وهكذا كان حكم الفرعون المنحدر من صلب الآلهة فكان يعد نفسه إلها وعندئذ أخذ «رعمسيس» يقص على رجال دولته أعجوبة توليته العرش أولا، ثم يستعرض أمامهم المشروعات التى يريد تنفيذها فى تلك البلدة المقدسة التى اصطفاها والده وأقام فيها معبده المنقطع الفذ.

وقد بدأ «رعمسيس» بإلقاء درس على رجال بلاطه وموظفيه فى واجبات الابن نحو أبيه وبخاصة إحياء ذكراه بإقامة الآثار له، وأنه لن يكون كأبناء الملوك الآخرين الذين أهملوا آثار آبائهم فدرست وعفت وأصبحت كأن لم تغن بالأمس، بل صمم على أن يحيي ذكرى والده حتى يقول عنه الخلف : "إنه ابنه الذى جعل اسمه يبقى"، وبتلك الوسيلة فقط يحبوه الإله «أوزير» بالملك المثالى كما حبا به ابنه «حور» الذى خلفه على عرش الأحياء، وبعد ذلك أخذ يحدثنا «رعمسيس» عن عناية والده به وكيف أنه خصه بالملك وتوجه على عرش البلاد وهو لم يزل حيا فكان شريكا له فى الملك حتى قضى كما فصلنا القول فيه من قبل.

وبعد أن فرغ من قصة توليه العرش، أمر بتنظيم معبد والده على الوجه الأكمل؛ على أن ينجز ما كان ناقصا فيه ويمد بالحقول ويحبس عليه الأوقاف اقر بانه من كل أنواع الخمر والزيوت والفاكهة والماشية والطيور، وجعل إدارة أملاكه فى يد رجل ممن اختصهم بثقته. وأظهر ما فى هذا المعبد الجزء الذى أقامه «رعمسيس الثانى» إذ أن طراز نقشه ظاهر للعيان لأنه قد نقش بالحفر الغائر (أنظر ص ٢٢٨) فى حين أن الجزء الذى أقامه والده كان بالحفر البارز كما أسلفنا، ولذلك يختم



(٩) منظر تطهير «رعمسيس الثانى» فى معبد «سيتى» بالعرابة يقوم به الإلهين «تحوت» و «حور» ويرى أسفل آلهة النيل يحملون القرب لرعمسيس
من خيرات مقاطعات البلاد (بالحفر الغائر)

كلامه عن ذلك بقوله : "وإنه لجميل أن يقيم المرء أثرا على أثروهما شيئان مفيدان فى الوقت نفسه ويحملان اسمى واسم والدى"، وبهذه الكيفية يكون الابن، وكذلك من أنجبه باقيين على مر الدهور بآثارهما ، وبعد أن فرغ الفرعون من سرد ما يريد عمله أو ما كان قد قام به فعلا — لأن هذه النقوش تشعر بأنها كانت على ما يظنّ قد دوّنت بعد إتمام ما أمر به هذا الفرعون وإن كان تاريخها يرجع إلى السنة الأولى من حكمه — أجابه مستشاروه بما يجاب به ملك عزيز الجانب قوى البطش ، وقد أسرفوا فى إطرائه حتى فضلوا أعماله على أعمال « حور » الملك المثالى كما فضلوه هو على كل من سبقه من الفراعنة .

والظاهر أن هذا المتن كان قد نقش قبل قيام « رعمسيس » بحروبه الأخيرة التى ادّعى فيها أنه وصل بفتوحه إلى نهر «دجلة والفرات» إذ يقول له مستشاروه "واسمك فى كل بلد من أوّل بلاد النوبة جنوبا وشمالا لأوّل شواطئ البحر حتى بلاد « رتنو » حيث القبائل البدوية الخ" .

وسنرى فيما بعد أنه بعد حروبه مع مملكة « خيتا » كان يقول إنه مدّ سلطانه حتى بلاد نهرين (بابل) أو (متنى) .

وعلى أثر تلك التحية التى قابل بها المستشارون دعوة الفرعون لهم وعرض مشروعاته عليهم . أمر بالبدء فى العمل فوكل أمر البناء للهندسين المهرة، وانتخب الجنود والعمال والنحاتين والرسامين والصناع ممن كان يحتاج إليهم لإنجاز هذا العمل العظيم ، وقد أقام قدس الأقداس وأصلح ما تخرب، ثم أمدّ المعبد بكل ما كان يلزمه من حقول ومزارعين وماشية وكهنة، وحدّدت أملاك المعبد تحديدا دقيقا حتى لا يتعدّى عليها أحد، ثم وكل أمر إدارتها إلى رجل من عظماء القوم. وبعد أن أتم « رعمسيس» كل ما أراد بناءه وإصلاحه فى «العرابة المدفونة» لإحياء ذكرى والده، خاطبه وهو فى مثواه الأبدى فى عالم الآخرة ليعدّد له ما قام به من الأعمال

الباقية التي تخلد اسمه فيقول : " تنبه وول وجهك قبل السماء لترى الإله « رع » ياوالدى « مرنبتاح » أنت يامن أصبحت إلها " .

ثم يعدّد له ما قام به من مبان عظيمة وما صنع له من تماثيل، وما وقفه لروحه من قربان يقدّم له يوميا من كل ماتنتجه أرض مصر وما كان يرد عليها من الأراضى الأجنبية، والواقع أن ماورد فى هذه الفقرة يذكرنا بما خصصه «سيتى» لهذا المعبد — كما جاء على لوحة نورى — مما يضع أمامنا صفحة ناصعة عن حالة البلاد المصرية فى ذلك العهد من حيث فنّ المبانى والصناعة والتجارة والحرف التى كانت تزخر بها البلاد ، ثم يعود « رعمسيس » فيصف لنا حالة والده فى عالم الآخرة فيقول لنا : " إن مثله هنا كمثل أهل النعيم المقربين، إذ كان يسير فى ركاب «رع» فى سياحته فى السماء فى سفينته من الغروب الى الشرق ثم من الشرق الى الغرب يوميا، فكان يحيا حياة إله الشمس نفسه ، وهناك يختلط بالنجوم السيارة والنجوم الثابتة وبالقمر، فيسبح مع « رع » فى سفينة الليل ثم ينتقل معه فى سفينة النهار وهكذا. وبذلك كان يسير فى جنة السماء مع الشمس نهارا وفى عالم « أوزير » السفلى ليلا حتى مطلع الفجر ، ثم يطلب منه بعد ذلك أن يسأل الإله « رع » أن يمنح ابنه «رعمسيس» الخلود والسرمدية والأعياد الثلاثينية التى يخطئها العدّ ، وهى التى كان يجدّد بها شباب الملك بعد حكمه ثلاثين عاما ، وإنه فى مقابل ذلك سيقوم بكل مايتطلبه معبده ، وكذلك يسهر على أداء كل ما يلزمه وهو فى العالم السفلى ما دام « رعمسيس » حيا " .

وعلى الرغم من أن « سيتى الأوّل » كان فى عالم الأموات إلا أنه كان ذا روح عظيم مثل الإله « أوزير» الذى كان يحكم فى العالم السفلى ، ولذلك كان قد شمله السرور وغمره الفرح بما عمله ابنه «رعمسيس» ، فأعلن ذلك أمام الآلهة وتكلم بقوة كما يتكلم ملك حى، فشكره على ما أسداه إليه من أعمال جليلة وسيمنحه الإله «رع» مكافأة له على ذلك ملايين السنين على عرشه، وأن «حور» يطلب له بقاء «رع»

فى السماء، وكذلك أصبحت الحيـاة والصحة والقوة والفرح والنصر ملك يديه ، ثم غير ذلك من الصفات والنعوت والهبات التى أغدقتها الآلهة المختلفة على «رعمسيس» ، وكان كل ذلك من أجل ما فعله لوالده ، إلى أن قال : "إنك تأتى بوصفك «رع» منبع حياة الخلق ، والجنوب والشمال تحت قدميك يرجوان أعيادا ثلاثينية «لرعمسيس» وكذلك خلود الرب المهيمن عند شروقه وعند غروبه طوال الزمن السرمدى"(١) .

هذا ما قام به «رعمسيس» لوالده وللآلهة وللملوك السابقين فى «العرابة المدفونة» ومعابدها وما حباه به الإله الأعظم «أوزير» وغيره من الآلهة العظام وبخاصة والده مكافأة على حسن صنيعه وبره بهم ، وهكذا نرى ما جمعته هـذه الوثيقة من حقائق تاريخية وأساطير دينية وفضائل خلقية وأوصاف اجتماعية كان لا بدّ للمؤرخ من نخلها ليصل إلى استخلاص ما فيها من تاريخ صريح هام .

« لوحة كوبام » وباكى

وقد كان من الضرورى «لرعمسيس» أن يحصل على الذهب اللازم لتزيين هذه المعابد ونقشها وعمل التماثيل ، وبخاصـة إذا علمنا أنه قـد صنع تمثالا من الذهب لوالده « أوزير » وقد مهد له والده «سيتى» طريقا لاستخراج الذهب من مناجمه ، هـذا فضلا عمـا كان يرد منه إلى خزائنه من جزية بلاد النوبة ، وبخاصـة إقليم « واوات » . وقد ذكرنا سابقا أن أكبر هـذه المناجم وأعظمها إنتاجا هى مناجم (وادى مياه) أو « وادى عباد » التى فصلنا القول فيها .

وقد حاول «سيتى» أن يجعل الطريق الموصلة إليها معبدة مجهزة بالمـاء الوفير وسبل الراحة ولكنه لم يصب الفلاح كله فى ذلك ، ولكن ابنه « رعمسيس » قـد حاول محاولة أخرى لتوفير المياه فيها ، فحفر بئرا عميقة تدفق منها ماء سائغ للشاربين ،

---

(١) راجع : A. Z. 48. pp. 52 - 66 (٢) راجع : Tresson, Stéle De Kouban. Bibliotheque. D'Etude; Breasted A. R. Vol. III §§ 282 - 293.

وبذلك أصبح فى مقدوره أن يرسل حملاته لاستخراج الذهب بدون تكبد عناء كبير أو خسارة جسيمة فى الأنفس والحيوان مما يدل على أنه كان حريصا على حياة رجاله حرصه على منفعته الشخصية، ولما عزم على إصلاح الطريق الموصلة إلى هذه المناجم بحفر بئر عميقة، جمع مجلس شوراه لعرض الأمر عليهم، وقد دوّن هذا الحادث على لوحة عثر عليها فى «كوبان» عاصمة المقاطعة الثانية عشرة من مقاطعات بلاد النوبة وتقع على الشاطئ الشرقى للنيل على مسافة ثمانية ومائة كيلو مترا جنوبى «أسوان»، واللوحة من الجرانيت؛ وسنترك المتن المصرى يقص علينا ما قاله الفرعون، وما أجاب به مجلسه، وما تم بعد ذلك من إجراءات على يد نائب بلاد «كوش» الذى وكلت إليه هذه المهمة الشاقة.

مقدّمة : السنة الثالثة، الشهر الأوّل من الفصل الثالث، اليوم الرابع فى عهد جلالة «حور» النور القوىّ محبوب العدالة، ومحبوب الإلهتين، حامى مصر، وغالّ المتوحشين، حور الذهبى، الغنى فى السنين، والعظيم النصر، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «وسر ماعت رع ستبن رع» ابن الشمس، محبوب آمون «رعمسيس»، معطى الحياة مخلدا وسرمديا، محبوب «آمون رع»، رب تيجان الأرضين والمشرف على الكرنك، والمضىء على عرش «حور» الأحياء مثل والده «رع» يوميا، والإله الطيب، رب الأرض الجنوبية، «وحور» أدفو، ذو الريش الزاهى، الصقر الجميل المصنوع من السام، الذى يحمى مصر بجناحيه، ومن يظل الناس، وحصن القوّة والنصر، والذى خرج من الجسم (أى ولد) مرهوب الجانب فى السلب، وكانت قوّته تزيد فى حدود بلاده، ومن كانت قوته فى أعضائه مثل شدّة بأس الإله «منتو»، وهو السيد المزدوج «حور» «وست»، ومن فى يوم ولادته كان السرور فى السماء، والآلهة قالت: "إن بذرتنا فيه"، والإلهات قلن: "إنه خرج منا ليدبر ملك «رع»"، وقال آمون: "إنى أرسو" (أى الذى خلقته)، وقد وضعت العدالة مكانها، واستقرّت الأرض وارتاحت السماء، وسرّ التاسوع الإلهى بصفاته، الثور الشجاع أمام أهالى «كوش» الخاسئين، وضارب الخارجين حتى أرض الزنوج، ومن حوافره تدوس أهل «كوش» ومن قرناه تنطحانهم، وشهرته عظيمة فى بلاد «خنتنفر» (بلاد النوبة). أما رهبته فقد وصلت حتى «كاراى» واسمه ينتشر فى البلاد كلها بسبب انتصاراته التى أحرزتها يداه، والذهب يخرج من جوف الجبل عند ذكر اسمه مثل (اسم) والده «حور» سيد «باكا»، المعظم الحب فى الأراضى الجنوبية، ومثل «حور» فى أراضى «ميعام» (الدر) سيد «بوهن»، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى، «وسرماعت رع ستب ان رع» ابن «رع» من صلبه، رب التيجان «مرى آمون رعمسيس» معطى الحياة مخلدا وسرمديا مثل والده «رع» يوميا.

فحص أرض أكيتا : وعندما كان جلالته فى « منف » يؤدّى شعائر والده السارة ، وشعائر آلهة الجنوب والشمال بمقدار ما أعطوه من قوّة ونصر وحياة طويلة تقدّر بعشرات آلاف السنين — حدث أنه ذات يوم (تأمل) ! كان جلالته جالسا على عرش عظيم من السام ، ومرتديا تاجا ذا ريشتين ، ومعدّدا الممالك التى يأتى منها الذهب ، وواضعا خططا لحفر آبار على الطرق التى ينقصها الماء ، بعد أن سمع عن وجود ذهب وفير فى إقليم « أكيتا » لأن الطرق اليها كان ينقصها الماء جدّا ، فإذا ذهب عدد عظيم من رجال القوافل الذين ينظفون الذهب الى هناك ، كان لا يصل إلا نصفهم ، لأنهم كانوا يموتون عطشا على الطريق مع غيرهم التى كانوا يسوقونها أمامهم ، إذ كان لا يوجد ماء كاف فى القرب فى أثناء صعودهم ونزولهم (فى الصحراء) ، وعلى ذلك لم يؤت بذهب من هذا الإقليم لقلة الماء فى الطريق .

الفرعون يعقد مجلس البلاط : وقد قال جلالته لحامل الخاتم الملكى الذى كان بجانبه : "ادع أمراء البلاط" لأن جلالته يريد مشاورتهم فى أمر هذا الإقليم ، وكيف يمكننى أن أتخذ الإجراءات الضرورية (بشأنه) . فأحضروا فى الحال أمام الإله الطيب رافعين أيديهم لحضرته مهللين ومقبلين الأرض أمام وجهه الجميل ، فأخبرهم الملك عن طبيعة هذا الإقليم ، وشاورهم فى خطة حفر بئر على الطريق المؤدّية اليه .

خطاب رجال البلاط إلى الفرعون : قالوا أمام جلالته : "إنك مثل « رع » فى كل ما تفعل ، وكل ما يرغب فيه قلبك ينفذ ، وإذا رغبت أمرا فى أثناء الليل وقع بسرعة فى الصباح ، لقد كنا نشاهد عددا عظيما من أعاجيبك منذ أن ظهرت ملكا على الأرضين بما لم نسمع به ولم تره أعيننا ، ومع ذلك وقعت ، أما كل ما يخرج من فمك فإنه مثل كلمات « حور اختى » ، ولسانك كفتا ميزان ، وشفتاك أكثر من قسطاس « تحوت » المستقيم دقة ، وأى شىء لا تعرفه ؟ ومن يعجزه مثلك ؟ وأين المكان الذى لم تره ؟ على أنه لم يوجد إقليم لم تطأه قدمك ، وكل الأمور تلقى فى أذنيك منذ أن مارست سلطتك ، ولم يحدث شأن دون علمك ، وقد كنت رئيس الجيش وأنت صبى فى العاشرة ، وكل عمل تمّ يرجع الفضل فيه إلى يدك التى وضعت أساسه ، وإذا نطقت تفجر على الجبل الماء ، لأن الفيضان ينبع بسرعة بعد كلمتك ، لأنك « رع » فى أعضائه ، والإله « خبرى » فى صورته الحقة ، وإنك صورة « آتوم هليوبوليس » الحية على الأرض ، فالذوق فى فمك ، والعقل فى لبك ، ومكان لسانك هو محراب الصدق ، والإله يجلس على شفتيك ، وكلماتك تنفذ كل يوم ، وقلبك صنع فى صورة قلب « بتاح » خالق الحرف ، وإنك تبق مخلدا ، وسنعمل على حسب خططك ، وكل ما تقوله مسموع يأيها الملك ياسيدنا" .

مقال نائب الملك فى « كوش » : أما إقليم « أكيتا » فقد قال عنه ابن الملك صاحب « كوش » أمام جلالته . "إنه كان ينقصه الماء بهذه الكيفية ، فقد ماتوا (أى روّاده) عطشى فيه ،

وكل ملك قبلك رغب فى فتح بئر هناك ، ولكن لم يصب نجاحا ، وقد حاول ذلك الملك « من ماعت رع » (سيتى الأول) وأمر بحفر بئر عمقها عشرون ومائة ذراع فى زمنه ، ولكنها نبذت على الطريق لأن الماء لم ينبع منها ، ولكن إذا تكلمت بنفسك لوالدك « حعبى » (النيل) والد الآلهة وقلت له : " دع الماء يفض على الجبل " فإنه سيعمل على حسب كل ماقلته ، شأن كل مطالبك التى حدثت أمامنا ، وإن لم يكن قد سمع حديثها ، وذلك لأن والدك وكل الآلهة يحبونك أكثر من أى ملك كان منذ زمن « رع » " .

« رعمسيس » يصمم على حفر بئر فى « أكيتا » : وقال جلالته لأولئك الأمراء : " ما أصدق ما نطقتم به من أنه لم تحفر ماء فى هذا الإقليم منذ زمن الآلهة كما قلت ، ولكنى سأفتح بئرا هناك تمد بالماء يوميا ، كما هى الحال فى وادى النيل ، وذلك بأمر والدى « آمون رع » رب « طيبة » وكل آلهة بلاد النوبة بقدر مايرتاح إليه قلبهم لما يرغبون فيه ، وسأجعل الناس يقولون فى هذه البلاد ... ... " ، وبعد ذلك مدح أولئك الأمراء سيدهم ، مقبلين الأرض ومنبطحين على بطونهم فى حضرته ، ومهللين حتى عنان السماء ، وقال جلالته لكاتبه الأول : " ... ... الخاص بطريق « أكيتا » اجعل الشهر يصير يوما عندما ترسل ... ... " (وعندئذ أرسل كاتب الملك الأول إلى ابن الملك صاحب « كوش » على حسب ما أمر به : تأمل !) اجمع الأهلين [لحفر بئر] ... ... [ولكنهم قالوا ما الذى سيفعله ابن الملك (؟) هل ستسمع المياه التى فى العالم السفلى له (؟) بعد ذلك حفروا البئر على الطريق المؤدية إلى إقليم « أكيتا » ، ولم يفعل قط مثل ذلك منذ زمن الآلهة الذين سلفوا ... ... ووضع سمكا فى برك إقليم من مستنقعات الدلتا ، سارّا قلبه بإيجاد ... ... كسكان فى الهواء .

خطاب من نائب الملك فى « كوش » يعلن نجاح المشروع : وقد حضر إنسان حاملا رسالة من ابن الملك صاحب « كوش » الخاسئة قائلا : ... ... " إن البئر قد أنجزت " ، وما قاله جلالتك قد حدث ، إذ أن الماء قد نبع منها (أى من البئر) بعد اثنتى عشرة قدما ، وعمقها (أى الماء) أربع أقدام ... .. خارج كما يفعل الإله لإرضاء القلب بما يرغب فيه ، ولم يفعل [مثلها منذ زمن الآلهة] ، و « أكيتا » تبتهج بفرح عظيم ، وأولئك البعيدون ... ... الحاكم . والماء الذى فى العالم السفلى يصغى اليه عندما يحفر ماء على الجبال ... .

خاتمة : ... ... إليه من ابن الملك معلنا ما فعله ، وكانوا فرحين بذلك ... ... الممتاز الخطط والجميل فى ... ... ، وقد أمر جلالته أن يطلق على هذه البئر اسم بئر محبوب « آمون » « رعمسيس » العظيم النصر . مثل ... ...

فهذه اللوحة على الرغم من تهشيم الجزء الأكبر من الأربعة عشر سطرا الأخيرة منها تقدّم لنا صورة صادقة عن اهتمام هذا الفرعون البالغ — كما كان والده من قبل — فى العمل على استغلال مناجم الذهب ، كما تقدّم لنا صورة أخرى عن قيمة المجالس الاستشارية التى كان يجمعها الفراعنة على حسب التقاليد المرعية منذ القدم ، فكان القول فيها ما قال الفرعون لا تبديل ولا تغيير ، بل فضلا عن ذلك كان المجلس يقابل سيده بقرض آيات الثناء وكل أنواع النعوت والصفات التى كان لا ينعت بها إلا الآلهة ، وكيف يجوز لهؤلاء المستشارين أن يأتوا برأى يخالف رأى سيدهم ، وإلههم الأعلى الذى أنجبه الإله « رع » رأس كل آلهة مصر ؟ والواقع أننا لم نسمع بمجلس عقد بحضرة الفرعون ، وعارض فى الآراء التى أبداها سيدهم إلا فى ظرف واحد وهو حينما عقد « تحتمس الثالث » مجلسه الحربى عندما أراد اختراق ممر «عرونا» ليصل إلى ساحة القتال بسرعة فى موقعة «مجدو» من أقصر طريق ، وحتى فى هذا فإنه عندما أبدى المجلس مخالفة «تحتمس الثالث» فى رأيه إشفاقا عليه فإن شجاعته وإقدامه وسرعة خاطره أملت عليه خطته الحكيمة التى أدّت إلى نصره المؤزر بعد أن ضرب بآراء مجلسه عرض الحائط ، ولذلك خضعوا لخطته وهم صاغرون مقدّمين فروض الطاعة والإذعان، ومن ذلك نعلم أن المجالس الاستشارية فى تلك الأزمان السحيقة — وفى كثير من الأحيان فى أيامنا — على الرغم مما كان عليه عظماء القوم من تحضر ورقى أمام الفرعون مجرّد بطانة لاحول لأعضائها ولا طول ، وكل الحكمة وصواب القول فى نطق سيدهم وأمره ، فما أشبه البارحة باليوم فى كثير من مجالسنا الاستشارية التى يذعن أعضاؤها للرئيس الأعلى، وإن كان رأيه خاطئا وتفكيره سقيما . هذا مع الفارق أن المصرى فى العهد الفرعونى كان يعتقد أنه يسير على نظام إلهى (ماعت) موضوع منذ القدم وضعه الإله « رع » أوّل ملك حكم العالم وسار على نهجه وعدله الملوك الذين خلفوه من نسله ، فكانوا لا يحيدون عن النظام الكونى العادل (ماعت) الذى وضعه والدهم « رع » ، ولهذا كان الشعب ينقاد لرأى الفراعنة وينفذ أوامرهم .

حروب رعمسيس الثانى

على الرغم من تضحية « رعمسيس الثانى» بجزء كبير من مجهوداته وثروة بلاده فى إتمام المعابد التى لم يكن قد أنجزها والده ، فانه مع ذلك لم يهمل المحافظة على الإرث الذى خلفه له والده — وإن كان ضئيلا — فى سوريا بعد حروب طاحنة لاستعادة مجد مصر الامبراطورى فى تلك الجهات ، والواقع أنه كان إرثا محفوفا بالمخاطر ، لأن « سيتى » كما قلنا لم يكن فى مقدوره إجلاء الموقف بينه وبين مملكة « خيتا » على حسب مطامعه العظيمة . حقا لم يظهر ما يكدر صفو السلم فى الامبراطورية المصرية التى لم تكن وقتئذ عظيمة كما كانت فى عهد « تحتمس الثالث » عند تولية « رعمسيس » الملك منفردا . هذا وتدل الأحوال كلها على أن « مواتالو » ملك « خيتا » قد استمر على مراعاة شروط معاهدة الصلح التى كانت على ما يقال قد عقدت بينه وبين «سيتى» عندما سمع بانفراد « رعمسيس » بحكم مصر .

ولدينا من جهة أخرى لوحة منقوشة فى صخور « أسوان » ومؤرخة بالسنة الثانية من حكمه ، وفيها يفتخر الفرعون «رعمسيس الثانى» بأنه حارب الأسيويين واستولى على مدنهم وحطم أجانب الشمال ، وهزم « التمحو » وأهلك محاربى البحار ، وجاءت إليه «بابل» و «خيتا» منحنيتين مما يدل على أنه كان فى حروب بعد توليه الملك مباشرة وهاك النص : " السنة الثانية . الشهر الحادى عشر ، اليوم السادس والعشرون فى عهد جلالة «رعمسيس الثانى» ، محبوب « آمون رع » ملك الآلهة ، «وخنوم» رب إقليم الشلال ، يعيش الإله الطيب «منتو» صاحب الملايين القوى البأس مثل ابن «نوت» المحارب من أجل الأسد القوى القلب ، ومن هزم عشرات الألوف ، والجدار العظيم لجيشه فى يوم الواقعة ، ومن نفذ خوفه فى كل الأراضى ، ومن تبتهج مصر عندما يكون الحاكم فى وسطها (أى الأراضى الأجنبية) ولقد وسع حدودها إلى الأبد ناهبا الأسيويين ، ومستوليا على مدنهم ، ومن حطم أجانب الشمال ، ومن سقطت «التمحو» (اللوبيون) خوفا منه ، والأسيويون يرجون نفس الحياة منه ، ومن يرسل مصر

(١) راجع : L. D. III, p. 175; Breasted A. R. III § 478 - 9

للقيام بحملات ، وقلوبهم ملأى بخططه عندما يجلسون فى ظل سيفه ، ولا يخافون أية بلاد ، وقد أهلك محاربى البحر ، ومضى الوجه البحرى الليل نائماً فى سلام[١] ، وإنه ملك يقظ دقيق الخطة لا يخيب ما يقوله ، ويأتى الأجانب إليه حاملين أطفالهم ليسألوه نفس الحياة ، وصوته عظيم فى حرب بلاد النوبة ، وقوته تصدّ الأقواس التسعة ، و « بابل » و « خيتا » و ... ... تأتى إليه خاضعة لشهرته " .

وإذا ألقينا نظرة فاحصة على محتويات هذا المتن — على الرغم مما يشيع فيه من عبارات المدح وقرض الثناء للفرعون على شجاعته ، وأمثال ذلك من الجمل التقليدية التى نجدها فى كل متن خاص بالفراعنة ، وجدنا أن هذا الفرعون قد شنّ حروبا على قوم جدد ، غير النوبيين واللوبيين والأسيويين الذين يستفتح فرعون عهده بمحاربتهم ، وهؤلاء القوم هم أهل البحار الذين يعرفون « بالشردانا » ، ولا بدّ أنهم كانوا قد أغاروا على مصر فى السنة الثانية من عهد هذا الفرعون فقضى عليهم الأسطول المصرى ، وأصبح أهل الوجه البحرى ينامون فى سلام ، وهذا يفسر لنا وجود جنود « شردانا » فى موقعة « قادش » وهم الذين كانوا عماد الفرعون فى هذه الموقعة لأنهم كانوا حرسه الخاص كما سنرى بعد .

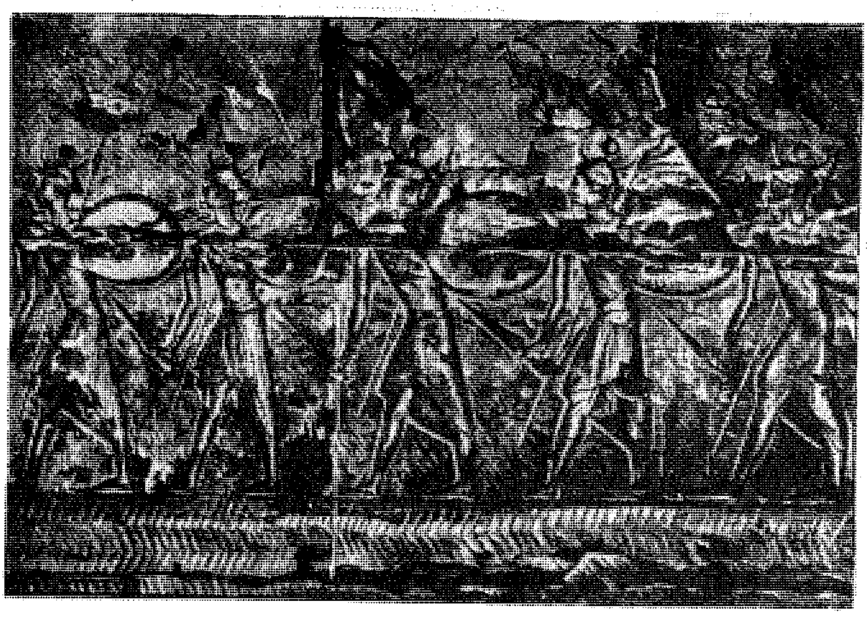
« شردانا » . أصلهم وحروبهم : و « شردانا » قوم من أقوام البحر الأبيض المتوسط ، ومن المحتمل أن اسم جزيرة « سردينيا » مشتق من اسم هذا الشعب كما يدل على ذلك نقش فينيقى وصل إلينا من عهد القرن التاسع قبل الميلاد ، وأول ظهور لفظة « شردانا » كان فى خطابات « تل العمارنة[٢] » حيث نجدهم كانوا تابعين للحامية المصرية فى « جبيل » (ببلوص) ، وهذا يشعر بقيام حرب مع أقوام البحر الأبيض المتوسط فى عهد « أمنحتب الثالث » أو قبل ذلك عندما أخذ بعض هؤلاء الأقوام أسرى ، وقد جاء ذكرهم صراحة بوصفهم أسرى على حسب ما ذكر فى « ورقة أنسطاسى » (رقم ٢[٣]) حيث أشير إلى إعداد « شردانا » فى « الأخضر

(١) راجع ترجمة هذه الجملة المخالفة لترجمة « برستد » (Onomastica I, p. 195)

(٢) راجع : Mercer. Amarna Tablets: 122, 35; 123, 15

(٣) راجع : Late Egyptian Misce. p. 20

العظيم » (البحر الأبيض المتوسط) بالسلاح ، وهم من أسرى جلالته ، وكذلك ذكروا فى ورقة «أنسطاسى» مرة أخرى بوصفهم فرقة فى الجيش المصرى[١]، وكذلك جاء ذكرهم فى قصيدة « رعمسيس » العظيمة فى حديثه عن حملته الكبرى على « خيتا » ، حيث يصف كيف أنه أعدّ جيشه وفرسانه ، وجنود «شردانا» ، الذين أسرهم جلالته . ولا شك فى أن تخصيص هؤلاء القوم الأجانب بالذكر فى الجيش المصرى دليل على الدور الهام الذى لعبوه بين فرق هذا الجيش، وقد حافظوا على مكانتهم الهامة بين الجنود المصريين ، وبين المصريين عامة حتى عهد « رعمسيس الثالث » كما يدل على ذلك ماجاء فى فقرات عدّة فى ورقة « هارس »[٢] ، وكان أوّل ذكر « شردانا » بوصفهم أعداء مصر فى اللوحة المهشمة التى وجدت



(٩) جنود شردانا الذين كانوا فى حرس « رعمسيس الثانى »

(١) راجع : Anast. I, 17, 4

(٢) راجع : Harris pap. 75, 1

فى « تانيس » [1] حيث نقرأ : " ... ... شردانا الثائرة قلوبهم ... ... سفن حربية فى وسط البحر ... ... " ، هذا بالإضافة الى ما جاء فى اللوحة التى نحن بصددها فى مدح « رعمسيس الثانى » وهو : " وقد أهلك محاربين من سكان « الأخضر العظيم » ، وبذلك أمضى الوجه البحرى الليل نائماً فى سلام " .

وهذان الاقتباسان معا يدلان على أن الدلتا قد هوجمت منذ سنوات عدّة من البحر قبل عهد « مرنبتاح » ، وأن قوم « شردانا » كانوا من بين المهاجمين ، ومن حقنا إذن أن نشك فى أن « رعمسيس الثانى » كان أوّل من صدّ هذا الهجوم ، إذ يجوز أنه قد حدث فى عهد أحد الملوك الذين سبقوه مباشرة .

وقد عرفنا شخصية هؤلاء القوم الأجانب من منظر على جدار فى مدينة «هابو» [2] حيث نجد رسم سلسلة أمراء أجانب ، ويتبع رسم كل أمير منهم عبارة مفسرة لشخصيته وقد كتب فوق الأمير الشردانى : " شردانى البحر " وهو يميز عن كل الأمراء الآخرين بالخوذة التى يلبسها المثبتة فيها قرون وشوكة بارزة تنتهى بقرص أو كرة . كما يمتاز وجهه بأنف أقنى ولحية طويلة ، ويتحلى بقرط كبير . ونلحظ أن تلك الخوذة الخاصة كان يلبسها جميع أفراد هؤلاء الأقوام الذين نشاهدهم فى مناظر الجيش المصرى أو فى مناظر مواقع القتال ، غير أن معظمهم كان حليقا . أما القرط فقد خص به الأمراء ، ويلحظ كذلك أن الخوذة كانت خالية من الشوكة أو القرص المثبت فيها ، غير أنها تحتوى على شسع يمر تحت الذقن ، أما أسلحتهم فكان من بينها السيف ، ولكن سلاحهم الرئيسى الحربة ، ولم يستعملوا قط القوس والنشاب ، (أنظر ص ٢٣٨) ووطنهم الأصلى الذين هاجروا منه هو كما ذكرلنا «زخاروف» بأدلة أثرية هامة توحى بأنهم قد وفدوا إلى جزر البحر الأبيض وآسيا الصغرى من بلاد القوقاز ، إذ قد وجدت فى هذه الجهات تماثيل صغيرة من البرنز من عصر البرنز بخوذات

(١) راجع : Petrie Tanis II, pl. 2. No. 78

(٢) راجع : Wresz. Atlas II, 160. A, 160. B.

تشبه الخوذات التي على رءوسهم تماما، تلك التي كان يلبسها الشرداني، وهي التي قد وجد نظائرها في « سرديدنيا »، وأهم من ذلك في نظر الباحثين في هذا الموضوع، أمثال الدكتور « هول » والأثري « سمث » ماوجد لهم من سيوف طويلة عريضة تشبه التي وجدت مصوّرة مع جنـود « شردانا » على جدران معبد « بو سمبل » ومدينة « هابو »، كما عثر كذلك على سيوف قصيرة أو خناجر مثلثة الشكل مثل التي كان يستعملها « الشردانا » و « الفلسطينيون » على السواء (١).

حروب رعمسيس الثاني مع التمحور أي اللوبيين

جاء على لوحة « أسوان » المؤرخة بالسنة الثانية من عهد « رعمسيس الثاني » أن « التمحو » قـد هزموا خوفا منـه، وهـذه العبارة لا تدل على شيء معين، فضـلا عن أن لدينا ثلاثة مناظر تصوّر لنـا انتصاره على هؤلاء القـوم، اثنان منها في معبد « بيت الوالي » والأخير في معبد « بوسمبل » (٢) ولكن النقوش المفسرة لها لا تحدثنا بشيء خاص اللهم إلا الجمل العادية مثل إخضاع أراضي « التمحو » الخارجة. والواقع أن النقوش التي تركها لنـا « رعمسيس الثاني » مفسرة لمناظر حروبه مع بلاد «التمحو» وانتصاره عليهم فيها شك كبير، ومن المدهش أنه لم يوجد بين صور المواقع العدّة التي خاض غمارها «رعمسيس الثاني» واقعة معينة حدثت بينه وبين اللوبيين، ولذلك يتساءل الإنسان إذا كانت هـذه النقوش تدل على حروب وانتصارات حقيقية، أو أنها صـور انتصارات وهمية من التي يصوّرها الفراعنة إشادة بقوّتهم وتغلبهم على الأقوام والممـالك المجاورة، وبخاصـة إذا علمنا أن منظر انتصار « رعمسيس » على اللوبيين في معبـد « بو سمبـل » هو صـورة طبق الأصل من المنظر الذي تركه لنـا والده « سيتي الأول » على « معبد الكرنك »، وقد استنبط « برسـتد » من متن لوحة عثر عليهـا في « تانيس » أنه قد عقدت

(١) راجع : Gardiner Onomastica I, 194 - 199

(٢) راجع : Wresz. Atlas II, 164; L. D. III, 176 c.; Wresz ibid. II, 182

معاهدة بين « اللوبيين » و « شردانا » بعد موقعة حربية، ويعزز ذلك بما جاء في أنشودة « رعمسيس الثاني » في ورقة انسطاسي الثانية (١) ، غير أن المتن مهشم، ولا يساعد على استنباط هذا الرأي، وإذا كانت قد وقعت حروب بين «رعمسيس الثاني » واللوبيين ، فلا بدّ أن تكون قد حدثت بعد السنة الخامسة ، وعلى ذلك يمكن الإنسان أن يقبل — على حسب ما جاء في لوحة أسوان المؤرّخة بالسنة الثانية — وقوع حرب بين «رعمسيس» وبلاد النوبة، وأن الحرب التي قامت بين « رعمسيس » و « خيتا » في السنة الخامسة هي حملته الثانية المظفرة، وعلى ذلك لا يمكن أن تكون الحرب مع « لوبيا » قد حدثت في السنة الأولى كما يقول « بترى » (٢) .

وعلى أية حال فإن الحروب التي رسمت على معبد « بيت الوالي » يعزوها « سيلي » كما ذكرنا قبلا إلى عهد اشتراك « رعمسيس الثاني » مع والده في الحكم .

حروب رعمسيس الثاني في بلاد النوبة

ذكرنا فيما سبق على حسب ما استنبطه الأثري « كيث سيلي » أن الحروب التي صوّرت على معبد « بيت الوالي » ، وهي التي قامت بين « رعمسيس الثاني » وبلاد النوبة، كان قد احتدم أوارها بين البلدين في عهد اشتراك « رعمسيس » مع والده في الحكم، غير أن هذه المناظر التي تصوّر لنا تلك الحروب في بلاد النوبة على جدران معبد « بيت الوالي » وغيره من المعابد المصرية ، لم تضع أمامنا حربا معينة لها تواريخها وحوادثها كما هي الحال في حروب « رعمسيس الثاني » مع بلاد آسيا . بل نجد مناظر حروب بلاد النوبة والبلاد الأخرى يختلط بعضها ببعض حتى أصبح من المستحيل علينا أن نتكلم على كل منها على حدة . فلدينا فضلا عن

---

(١) راجع : Br. A. R. III, § 491

(٢) راجع : Petrie History of Egypt III, p. 46; Holscher Libyer & Agypter. p. 61.

مناظر « بيت الوالى » مناظر على معبد « بو سمبل » ومعبد الأقصر، و « معبد العرابة » هذا غير ماذكر على لوحتى « أسوان » و « تانيس » اللتين تحدثنا عنهما ، ولا نعلم إن كانت مجرد مناظر فخرية لتبرز قوة الفرعون وشدة بأسه وانتشار نفوذه، أو كانت هناك وقائع حربية حدثت فعلا وغابت عنا تفاصيلها وتواريخها، والغالب أنها من النوع الأول كما شاهدنا فى أحوال الملوك السابقين أمثال « توت عنخ آمون » وغيره ، ومع كل ذلك سنضع أمام القارئ بعض مناظر هذه الحروب كما جاءت على هذه المعابد .

معبد « بو سمبل » : ففى معبد « بو سمبل » منظر يظهر فيه « رعمسيس الثانى » وفى يده السيف والقوس ممتطيا عربته على مهل ، ومعه جيش يسير فى ركابه ، وبجانب جواداه وأسده الأليف يتبعه، ويسير أمام العربة أحد أتباع الفرعون يحمل قوسا وكنانة وعصا ونعلى الفرعون، وسيق أمامه صفان من الأسرى السود مكبلين فى الأغلال، والمتن المفسر لهذا المنظر يقول :

" الإله الطيب الذى يضرب الجنوب ويحطم الشمال، والملك المحارب بسيفه، والطارد إلى أبعد مدى أولئك الذين يتعدون أماكنه الحصينة، وعندما يحط جلالته رحاله فى الممالك يهزم عشرات الألوف ويخربها ، وقد ... ... « رتنو » ذابحا رؤساءهم ، وجاعلا السود يقولون : ابتعدوا إنه مثل اللهيب عندما يندلع ولا يوجد ماء يطفئه ، وإنه يجعل الخارجين يصمتون عن المتناقضات التى تخرج من أفواههم عندما استولى عليهم "(١) .

وفى منظر آخر نشاهد « رعمسيس » وبيده القوس يقود صفين من الأسرى السود يقدمهم إلى ثالوث «طيبة» وهم « آمون » و «حوت» وابنهما « خنسو» .

وقد كتب المتن التالى فوق صورة « رعمسيس » والسود :

(١) راجع : Champ. Monuments, 15, 16; Rosellini Monumenti Storici 84, 85; & Br. A. R. III, § 450 - 451

"إحضار الجزية بوساطة الإله الطيب لوالده «آمون رع» رب «طيبة»، بعد وصوله من بلاد «كوش» هازما الأقاليم الخارجة، ومحطما الأسيويين فى أماكنهم، وتشمل فضة وذهبا، ولازوردا وتوتيسة وكل حجر فاخر غال بمقدار ما كتبه له من قوة ونصر على البلاد كلها .

ورؤساء «الكوش» الخاسئون الذين أحضرهم جلالته من انتصاراته فى بلاد «كوش» ليملئوا مخازن والده الفاخر «آمون رع» رب «طيبة» هم بقدر ما أعطاه قوة على الجنوب، وانتصاراً على الشمال مخلدا وسرمديا[1] » .

والمناظر التى على جدران معبد «بيت الوالى» قد تكلمنا عنها فيما سلف[1] .

حروب «رعمسيس» فى اسيا

مقدمة : تكلمنا عن حروب «رعمسيس» مع بلاد «شردانا» و«لوبيا» والنوبة فيما سبق، وقد رأينا أنها كانت كلها حروبا مبهمة لا يمكن تحديد مواقعها أو أسبابها، لأننا لا نعرف عنها إلا النزر اليسير، وتدل شواهد الأحوال على أن معظمها حدث فى عهد اشتراك «رعمسيس» مع والده وحتى حروبه الأولى فى «سوريا» إذا كانت هناك حروب إلى السنة الخامسة لا نعلم عنها شيئا معينا لقلة ما لدينا من المصادر الواضحة، وقد كان أكبر مناهض له فى آسيا مملكة «خيتا» التى تعدّ أكبر دولة وقفت فى وجه مصر فى الأصقاع الأسيوية، وقد بقى النضال بينهما محتدما مدّة تربى على عشرين عاما، ويمكن تقسيمها ثلاثة أطوار مميزة . ففى الطور الأوّل، كانت حدود «رعمسيس الثانى» الفينيقية تمتدّ شمالا حتى «بيروت» ثم أوغل بعد ذلك حتى نهر «العاصى»، وهناك قابل «خيتا» فى موقعة «قادش» ولم تكن نتائجها مرضية للجانب المصرى إلى حدّ كبير، إذ أن «قادش» قد بقيت فى يد «خيتا» بعد الواقعة . والطور الثانى نجد فيه «رعمسيس الثانى» يحارب أهالى

(١) راجع : Champ. Ibid. p. 35

« فلسطين » الذين حرضهم « ملك خيتا » على الخروج على مصر، وقد أطفأ « رعمسيس » نار الثورة هناك، وعادت « فلسطين » خاضعة للحكم المصرى ، أما الطور الأخير، فنجد فيه « رعمسيس » فى بلاد « خيتا » يغزوها فتابع فتوحه حتى وصل إلى بلدة « تونب »،وعندئذ خاف ملك « خيتا » على بلاده وأرسل إلى « رعمسيس » يطلب عقد محالفة دائمة بين البلدين، وقد لوحظ فى شروطها أنه لم تعين حدود معلومة تفصل أملاك البلدين بعضها عن بعض .

وسنفحص كل طور من هذه الأطوار على حدة :

بداية الحروب مع « خيتا » : كانت الخطة الحكيمة التى اخترعها عقل « تحتمس الثالث » الجبار فى حروبه مع آسيا للاستيلاء على « سوريا » والإيغال فى داخلها ،هى أن يبدأ بتأمين طرق مواصلاته بالاستيلاء أولا على موانئ الساحل، ومن ثم يوغل فى الداخل حيث يلتقى مع « خيتا » للمرة الأولى .

ولذلك كانت أوّل حملة أو زيارة قام بها « رعمسيس » موجهة إلى ساحل «فينيقيا» وقد أوغلت فى سيرها حتى «بيروت» وهناك أقام لوحة على نهر «الكلب» فى السنة الرابعة، وقد وجدت كذلك لوحتان فى هذه الجهة، غير أن تاريخهما ليس معروفا تماما لتآكل ما عليهما من نقوش ولا نعرف على وجه التأكيد إذا كان « رعمسيس الثانى » قد حارب فى هذه الجهة أم لم يحارب ، والأمر الهام الذى نستخلصه من وجود هذه اللوحة فى تلك البقعة أنها تعدّ على وجه التقريب آخر ما وصلت إليه فتوح « سيتى » أو بعبارة أخرى حدود امبراطوريته ، وأن « رعمسيس » قد جاء بشخصه إلى «فينيقيا» وأخيرا تبين لنا التقدّم الذى وصل إليه نحو الشمال (راجع Br. A. R. III, § 297) .

الحملة الثانية : موقعة « قادش »

وتعدّ الموقعة التى تقابل فيها « رعمسيس الثانى » مع « الخيتا » وجها لوجه لأوّل مرة عند بلدة «قادش» نهاية الطور الثانى من حروبه مع هذه المملكة العظيمة .

والمصادر التي استقينا منها معلوماتنا عنها تنحصر في ثلاث وثائق وهي :

(الأولى) ملحمة «قادش» ، وهي التي تسمى — خطأ — قصيدة «بنتاور» ، لأن « بنتاور » لم يكن الشاعر الذي ألف هـذه الملحمة بل هو الكاتب الذي نسخها بخطه .

(الثانيـة) الوثيقة الرسمية عن موقعة « قادش » .

(الثالثـة) المناظر والنقوش الخاصة بالموقعة ، وهي التي رسمها «رعمسيس» على جدران معابده العظيمة في مختلف جهات القطر، وقبل أن نتحدث عن الواقعة والخطط الحربيـة التي رسمها « رعمسيس » لنفسه يجدر بنا — كما هي عادتنا — أن نضع أمام القارئ ترجمة نصوص هذه الوثائق، حسب آخر الكشوف الحديثة التي قام بهـا المؤلف شخصيا في معبد « الأقصر » كما يجـدها القارئ في كتابه عن ملحمة « قادش » [1] .

ملحمة « قادش » : لقد ظلت الروايات المختلفة التي رويت بها هذه الملحمة مبعثرة على جدران أهم معابد القطر، وبلاد السودان التي نقشت عليها دون أن يجمع شتاتها في كتاب واحد، وقرن بعضها ببعض .

هـذا فضلا عن أن النسخة التي وصلت إلينـا بالخط الهيراطيقي منقوصة غير كاملة، ولذلك لم يكن في مقدور أي أثري درس هذه الملحمة على الوجه الأكمل، وقد عنى بجمع هذه النصوص المختلفة بقدر الطاقة وترتيبها في مجلد واحد بحيث أصبح في الإمكان الحصـول على متن كامل يمكن الاعتماد عليـه من كل الوجوه، والمتون التي سنورد ترجمتها هنا تمتاز بأنها نسخة مطابقـة للروايات المختلفة بعض الشيء التي دونت على جدران المعابد العـدة مع قرنها ببردية « ريفـا » ، وبردية « ساليبه » التي تكمل إحداهما الأخرى وهما تقدمان نسخة كاملة للملحمة لا ينقصها إلا بعض

(١) راجع : Selim Hassan. Le Poeme Dit De Pantaour Et Le Rapport Sur La Bataille De Qadesh. (1928)

سطور ، ولدينا — خلافا للبردية — سبع نسخ أخرى نقشت على جدران المعابد التالية كما توجد نسخ أخرى تشمل بعض كلمات أضربنا عنها صفحا وهى :

(الأولى) نقشت على بوابة معبد الأقصر الكبرى التى أقامها «رعمسيس الثانى» .

(الثانيــة) على الجدارين الجنوبى والجنوبى الشرقى لردهة هذا المعبد نفسه .

(الثالثــة) منقوشة على الجهة الخارجية من الجدار الغربى لردهة « أمنحتب الثالث » فى نفس المعبد .

(الرابعــة) دوّنت على الجدار الخارجى لقاعة العمد العظيمة فى معبد «الكرنك» .

(الخامسة) حفرت على الجدار الخارجى الواقع بين البوّابتين التاسعة والعاشرة من هذا المعبد .

(السادسة) كتبت على الجــدار الشمالى الغــربى الخارجى لمعبد « رعمسيس الثانى » الذى أقامه بالعرابة المدفونة .

(السابعة) صوّرت على البوّابة الثانية لمعبد « الرمسيوم الجنازى » الذى أقامه « رعمسيس الثانى » لنفسه .

ويمتاز هــذا المتن الذى ننشر ترجمته هنا — على حسب كل الروايات المختلفة السالفــة الذكر — بأنه لم يعتمد فيــه على أية مطبوعات سابقة، بل على الأصول مباشرة ، وعلى قدر ما وصلت إليه معلوماتنا ، لم ينشر من المتون التى ذكرناها هنا إلا متن بوابة « الأقصر» ومتن معبد « الكرنك » الذى على الجدار الخارجى لقاعة العمد العظيمة (١) .

أما المتون الأخرى ، وكذلك الجزء الأســفل من المتن الذى على بوابة معبــد « الأقصر » — وهو الذى كشفنا عنــه لأوّل مرة — فنضعها أمام القــارئ الذى يريد أن يرجع إلى الأصول المصرية لدرس هــذه الواقعة . وهاك ترجمــة الملحمة على حسب نصوص الروايات المختلفة يكمل بعضها بعضا :

(١) وقد نشر الأثرى « كونز » الملحمة والتقرير فى كتاب غير أنه ينقصه ما كشفنا عنه ، وكذلك لم يوازن بين روايات الملحمة والتقرير (راجع Kuentz: Bataille de Qadech) .

نص ملحمة قادش : بداية انتصارات ملك الوجه القبلي والوجه البحري « وسر ماعت رع ستبن رع » ابن الشمس محبوب « آمون رعمسيس » معطى الحياة مخلدا ، وقد أحرزها على بلاد « خيتا »(١) وبلاد « نهرينا »(٢) وبلاد « إرثو »(٣) « وبدس » .

(١) أرض « خيتا » وتنطق بالمصرية « خت » وقد جاء ذكرها في المتون المصرية لأوّل مرة في عهد « تحتمس الثالث » (راجع Urk IV, p. 701, L 11) حيث نجد ذكر هدايا من أميرها لفرعون مصر ، ومعنى مثل هذه الهدايا يظهر لنا من فقرة على لوحة « منف » العظيمة التي أقامها « أمنحتب الثاني » وهي التي كشف عنها حديثا الدكتور « أحمد بدوى » حيث نجد أمراء « نهرين » ، و « ختى » ، و « سنجار » أي أعظم ملوك ثلاثة في شمال آسيا قد مثلوا حاضرين لمصر لوضع أسس المصادقة مع الفرعون على إثر سماعهم بانتصاراته في سوريا ، وفي عهد « رعمسيس الثاني » نجد أن هذه البلاد تذكر باسم بلاد « ختى » كما نجد في المتن الذي نحن بصدده الآن ، وهذه البلاد العظيمة عاصمتها « خاتوشا » (بوغازكوى) وتقع على الهضبة المرتفعة التي في أواسط آسيا الصغرى شرق نهر « هاليس » (راجع Gardiner Onomastica I, p. 127) . وتعرف باسم « ختوشا » (راجع الجزء الخامس ص ٦٣٩) .

(٢) أرض « نهرين أو نهرن » وهي البلاد التي يقع معظمها بالقرب من شرق نهر الفرات في مجراه العلوى ، وتنطق بالبابلية « نخريما » أو « ناريما » وبالعبرية « نهرايم » ، وقد جاء أول ذكر لها في المتون المصرية في عهد « تحتمس الأوّل » (راجع Urk. IV, p. 9, 10) ويقصد بها المصريون بلاد « متن » في عهد الأسرة الثامنة عشرة من أول عهد « تحتمس الثالث » وما بعده ، وفي عهد الأسرة التاسعة عشرة أي بعد سقوط بلاد « متنى » في عهد « حور امحب » أو قبله توجد لدينا براهين تدل على أن امتداد بلاد نهرين قد وصل إلى بلدة « حلب » أو ما بعدها غير أننا لا نعرف سبب ذلك بالضبط (راجع Gardiner Onomastica I, 171 ff) (راجع الجزء الخامس ص ٦٢٩) .

(٣) أرض « إرثو » (إرزاوا) بالبابلية : — وهي معروفة تماما من خطابات تل العمارنة وسجلات « بوغازكوى » وليست بلدة بل أرضا أو عدّة أراض ، وتقع على حسب رأى « جوتس » على ساحل البحر الأبيض المتوسط في الجهة الغربية من الجنوب الغربي من بلاد « خيتا » وهي تشغل بوجه عام مكان إقليم « بامفيليا » (Pamphlia) الذي ظهر فيما بعد ، ولغة هذه البلاد أي (إرزاوا) — وقد عرفت للمرة الأولى من خطابين من « تل العمارنة » — تنسب إلى اللغة الهندية الأوربية ، وتنسب إلى اللغة الخيتية أيضا ، وهي تعرف الآن باللغة اللوية (راجع Ibid. p. 129) .

(٤) « بدس » = « بداسا » وبالخيتية « بتاشتا » ويقول عنها « سمث » إنها تقع في الجنوب الشرقي من « خاتوشا » أي « بوغازكوى » وشمالي « إرزاوا » وفي المصور الذي وضعه « جوتس » حديثا في كتابه عن إقليم « كزواتنا » تقع بالقرب من أرض « إيكونيم » (Iconuium) خلف الحدود الشمالية الشرقية من بزيديا (Ibid. p. 128 - 9) .

وبلاد « دردنى »[1] وأرض « ماسا »[2] وأرض « قرقيشا »[3] وأرض « لك » أو « لوكى »[4] وبلاد « كركميش »[5] (أو جرجميش) وأرض «قدى»[6] وأرض « إركاثا »[7] وبلاد « موشنات »[8] .

وعندما كان جلالته سيدا غض الشباب شجاعا لا مثيل له قوى الساعدين ثابت القلب (كالجدار) يماثل الإله « مونتو » فى قوته الجسمية فى ساعته (أى ساعة غضبه) جميل الطلعة مثل الإله « آتوم » والنظر إلى جماله يبعث السرور، عظيم الانتصارات على كل البلاد الأجنبية، ومن لا يعرف أحد كيف يأخذه لينازله ، وإنه جدار قوى يحمى جنوده ودرعهم فى يوم القتال ولامثيل له فى الرماية، وقوته تفوق مئات الألوف مجتمعين وهو الزاحف فى المقدمة موغلا فى الجموع وقلبه مفعم بالشجاعة ، قوى حين ينازل القرن كالنار عندما تلتهم؛ ثابت القلب كالثور المتأهب لساحة القتال لايجهله أحد فى الأرض قاطبة، ومن لايقدر ألف رجل أن يثبت أمامه، ومن يتخاذل مئات الألوف عند رؤيته، وهو رب الخوف وذو الزئير

---

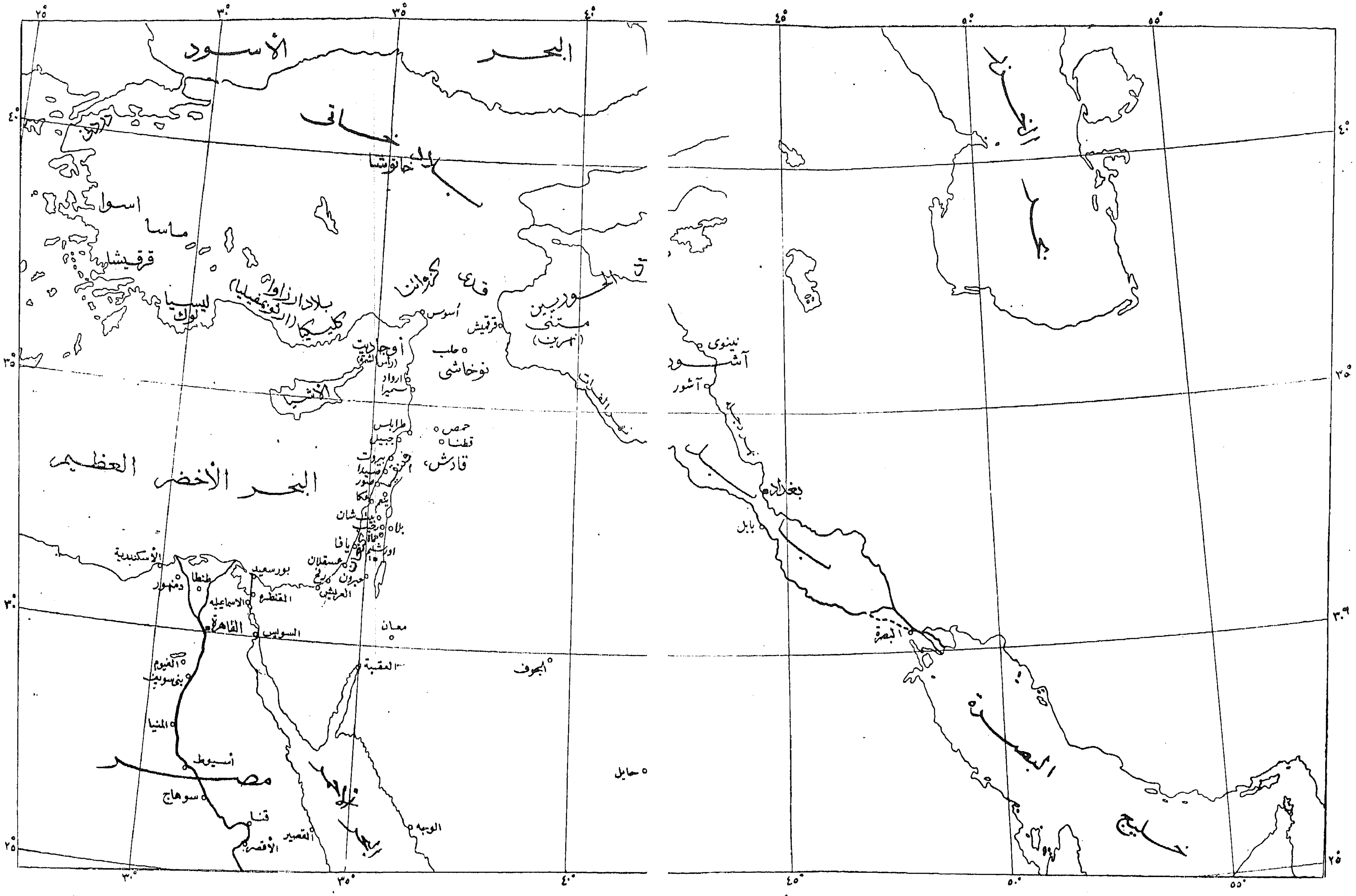
(١) بلاد « دردنى » (أى الدردنيل) حاليا .

(٢) « ماسا » تقع فى « كاريا »(Caria) جنوبى نهر « مياندر » على الشاطىء الجنوبى الغربى لآسيا الصغرى . (٣) أرض «قرقيشا» تقع كذلك فى إقليم « كاريا » جنوبى نهر « مياندر » على الساحل الجنوبى الغربى لآسيا الصغرى (راجع Onomastica I, p. 128.) .

(٤) أرض « لك » أو « لوكى » موقعها فى إقليم « ليسيا » الإغريق ، ولا تبعد كثيرا عن « كركميش » من الجنوب الشرقى على الشاطىء الجنوبى (Ibid. 128.) .

(٥) « كركميش » وهى المدينة المشهورة على أعالى نهر الفرات على مسافة تربى بقليل على مائة كيلومتر من الشمال الشرقى من حلب (Ibid. p. 132.) .

(٦) «قدى» : يقع إقليم قدى فى شمال بلاد سوريا غير أنه لا يصل إلى خليج « إيسوس » ولكن يظهر أنه يمتد إلى مسافة بعيدة نحو الشرق عن « كزواتنا » كما عين موقعها كل من «سمث» و «جوتس» (راجع Ibid. p. 136.) . (٧) « إكارثا » إقليم فى سوريا شمالى « قادش » شرقى نهر الأرنت (العاص) . (٨) « موشنات » إقليم فى شمالى سوريا لا يعرف موقعه بالضبط .



خريطة الفتوح المصرية والأمم التى حاربتها مصر فى آ لصغرى فى عهد « سيتى » و « رعمسيس الثانى »

ك » أو
ركانا »(٧)

ن ثابت
ى ساعة
ر، عظيم
لينازله ،
ة ، وقوته
ع وقلبه
ب كالثور
ى رجل أن
وذو الزئير

ى الجنوبى
هر « مياندر »

سد كثيرا عن

ى بقليل على مائة

سوس » ولكن
» و « جوتس »
دش » شرق نهر
بالضبط .

الهائل (الذى يدوى) فى قلوب البلاد كلها، عظيم الرهبة (التى يبعثها) فى قلوب الأجانب الخاسئين) وكالأسد الهصور فى وادى البهم، ومن يغزو مظفرا و يعود منتصرا أمام الناس من غير مفاخرة، تدابيره ممتازة، ونصيحته حسنة، سديد فى جوابه، حام مشاته يوم النزال ... ... والفرسان والقائد لأتباعه، ومن يحمى مشاته، وقلبه كجبل من البرنز، السيد ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « وسر ماعت رع ستبن رع » ابن الشمس «مرى آمون رعمسيس» معطى الحياة، ولقد جهز جلالته مشاته وخيالته « شردانا » وهم من سبى جلالته، وقد أحضرهم بانتصارات سيفه مدججين بكل أسلحتهم، وقد أعطاهم التعليمات للواقعة، ولما وصل جلالته إلى جهة الشمال، كان معه مشاته وفرسانه بعد أن سلك الصراط السوى فى سيره . وفى السنة الخامسة الشهر الثانى من فصل الصيف اليوم التاسع اجتاز جلالته قلعة « ثارو » (تل أبو صيفه الحالية) وكان شديد القوى مثل الإله «منتو» فى طلعته فى حين كان كل بلد أجنبى يرتعد أمامه، وقد حمل إليه كل الأمراء جزيتهم وكان الثائرون منهم يأتون مطأطئى الرءوس خوفا من بطش جلالته، وكان مشاته يسيرون فى طرق ضيقة وكأنهم يسيرون على طرق مصر المعبدة .

و بعد مضى أيام على ذلك كان جلالته — له الحياة والسعادة والصحة — فى بلدة « مرى آمون رعمسيس » — له الحياة والسعادة والصحة — وهى المدينة التى فى وادى الأرز (مدينة فى لبنان) ثم تقدم جلالته نحو الشمال وبعد أن وصل جلالته إلى هضبة « قادش »، تأمل! كان جلالته يتقدم جيشه مثل والده «منتو» رب « طيبة » وعبر نهر الأرنت خوضا بجيش « آمون الأول» المنتصر لسيده « وسر ماعت رع ستبن رع » — له الحياة والسعادة والصحة — ابن الشمس « مرى آمون رعمسيس» . ثم اقترب جلالته من مدينة قادش، وكان أمير «خيتا» الخاسئ قد أتى و جمع حوله البلاد الأجنبية كلها من أقصى حدود البحر، وقد جاءت أرض « خيتا» قاطبة وكذلك « نهرين » و بلاد « إرثو » و بلاد « دردنى » و بلاد

« كشكش[1] » و بلاد «ماسا» و بلاد « بداسا » و بلاد « آرون[2] » و بلاد « قرقيشا » و بلاد « لك » و بلاد « قزودا[3] » و « كركميش » و « إكريث[4] » و بلاد « قدى » وأرض « نجس[5] » كلها و « موشنات »و «قادش» ، ولم يترك أرضا واحدة دون إحضارها معه ، وكذلك كان معه رؤساؤهم وكان كل واحد يقود مشاته وكان خيالته كثيرين جدا يخطئهم العدّ ، وقد غطوا بكثرتهم الجبال والوديان كأنهم جراد منتشر ولم يترك فى أرضه ذهبا ولا فضة ، وقــد جرد نفسه من كل متاعه إذ أعطاه البلاد الأجنبية ليحضرها معه للقتال ، ولكن كان أمير «خيتا» الخاسئ والممالك الأجنبية العديدة معه ، وقد وقفوا مختبئين على استعداد للقتال فى الشمال الشرقى من «قادش» ، وعندما كان جلالته — له الفلاح والصحة — وحيدا مع حرسه كان جيش « آمون» يسير خلفه ، وجيش «رع» يعبر مخاضة بالقرب من جنوب مدينة «شبتون»على مسافة فرسخ واحد من المكان الذى كان فيه جلالته ، أما جيش « بتاح » فكان جنوب بلدة « إرنام » وجيش « ستخ » كان لا يزال سائرا على الطريق ، وكان جلالته قد نظم أول قوة للميدان من كل ضباط جنوده الخواص حينما كانوا لا يزالون بالقرب من شاطئ أرض « آمور[6] » وعندئذ أمر أمير « خيتا » الذى كان يقف بين جنوده الذين كانوا معه ،

---

(١) كشكش : يوحدها جوتس ببــلاد « جشجش » التى ذكرت فى خطابات « تل العمارنة » وفى لوحة « بوغازكوى » وهذه الأرض تقع على حدود «خيتا» و « إزى » والأخيرة تقع شمالى المنحنى العظيم فى نهــر الفرات أسفل « خربوت » و يقول جوتس إن موقع « جشجش » فى الشمال الشرقى من «خاتوشا» أى (بوغاركوى) ويحتمل على ساحل البحر الأسود شرق «سمسون» (Onomastica I, p. 129. & Goetze. Kizzuwatna p· 22 ff, & 40.) .

(٢) بـــلاد « أرون » = طـررادة (؟) .

(٣) « قزودنا » = « كلكيا » أو « سلسيا » (Onomastica Ibid. p. 129.) .

(٤) « اكريث » = أوجاريت وهى « رأس الشمرة » الحالية شمالى« اللاذقية » على البحرالأبيض .

(٥) « نجس » هى « نوخشى » المذكورة فى « تل العمارنة » وهى بلاد تشــغل مساحة غير معروفة بالضبط بين حمص وحلب (Ibid. p. 178.) .

(٦) هذه البلاد قد جاء ذكرها كثيرا فى خطابات « تل العمارنة » وقــوم العموريين أو الأموريين كانوا يسكنون بلاد « يوده » وكذلك فى ما وراء نهر « الأردن » غير أننا هنــا لا نبحث عن حالهم فى ذلك الوقت . و يقــول الأستاذ « ســدنى سمث » (Sidney Smith Early Hist. of Assyria p. 43) عند كلامه على كلمة «آمور» إنها كانت تستعمل =

ولم يخرجوا للقتال خوفا من جلالته، بإحضار رجال وعربات كثيرة العدد كالرمال . وكان لكل عربة ثلاثة فرسان، وقد نظموا فرقا وكان كل محارب من « خيتا »

= طوال التاريخ لتدل على هضبة صحراء « سوريا » ، وكان يختلف امتدادها عندما يتحدث الإنسان عنها بوصفها وحدة سياسية فى خلال الألف الثانية ق . م . ، فقد كانت حدودها أحيانا تنحصر فى الإقليم الجبلى المعروف الآن بجبل « الدروز » وأحيانا كانت تشمل أراضى من البحر الأبيض المتوسط حتى « حت » ، ونحن نتكلم هنا عن هذه البلاد فى طورها الأخير من عهد « تل العمارنة » وما بعده، ومع ذلك لا يمكننا أن نحددها بصورة أكيدة لأن هذا الموضوع خاص بالمصادر المسمارية ، ففى خطابات « تل العمارنة » ، كانت بلاد « آمور » كما ذكرنا بلادا معروفة وميناؤها « سميرة » وهى أهم مدنها ، وكان لها حاكمها الخاص أو أميرها ، وهو « عبدى أشرتا » وكان يعترف بالخضوع والطاعة للفرعون ، غير أنه فى واقع الأمر كان يخضع لنفوذ ملك « خيتا » القوى ، وكان ابن « عبد أشرتا » المسمى « أزيرو » فى أول أمره يميل كل الميل إلى جانب مصر ولكنه لما يئس فيما بعد من وصول أية مساعدة من « إخناتون » الذى كان منهمكا فى إصلاحه الدينى أبرم معاهدة مع الفاتح الخيتى « شوبيليوليوما » وقد استمر « أزيرو » فى حدود بلاد « آمور » حتى استولى على بلدة « تونب » ولكنه فيما بعد خضع للفرعون وبقى سجينا فى مصر مدة ثم عاد فيما بعد ملكا على بلاده ، ومن ثم بقى محافظا على ولائه « لخيتا » .

وقد كان أول ذكر فى المتون المصرية لبلاد « آمور » فى نقوش « سيتى الأول » أى بعد عهد « إخناتون » بنحو نصف قرن تقريبا ، فعلى الجدار الشمالى لمعبد « الكرنك » نجد العبارة المقتصرة القائلة إن هذا الفرعون قد سار لتخريب بلاد « قادش » و بلاد « آمور » (إمور) ، وقد عثر على معاهدتين فى سجلات « بوغازكوى » تقص علينا معاملات ملوك « خيتا » لأمراء « آمور » فى تلك الفترة (راجع Ed. Meyer Gesch II, 1 p. 151) أما فى متون موقعة « قادش » التى نحن بصددها الآن فقد ذكرت بلاد « آمور » مرتين ولكن لما لم تكن هذه الإمارة ضمن الحلف الخيتى فلا بد أنها إذن كانت إما موالية لمصر أو على الحياد — وذلك كما جاء فى المتن بعد وصف مواقع الفرعون وفيالقه الأربعة قبل نشوب المعركة — ويلاحظ هنا أنه قبل ذكر حضور « خيتا » فى وسط جيشه قد حشرت الجملة الغامضة التالية وهى التى قد ترجمها « برستد » (Br. A. R. III § 310) (وقد ألف جلالته الصف الأول من كل قواد جيشه عندما كانوا على الشاطئ فى أرض « آمور » وهو فى هذا يشير إلى التوزيع المبدئى الذى قام به « رعمسيس » فى جيشه فى جنوبى « لبنان » فى نقطة ما حيث سار من هناك إلى الداخل ، ولكن يقول « جاردنر » فى ذلك : إنه يخيل لى أن هذه الجملة تشير إلى القوة التى صورت على كل مناظر =

الخاسئة مجهزا بكل أسلحة القتال ، وجعلهم يقفون كامنين خلف مدينة « قادش » (فى الشمال الغربى) ثم خرجوا من الجهة الجنوبية من « قادش » واخترقوا قلب فيلق « رع » الذى كان يتابع السير ، ولم يعرفوا المكان الذى كانوا فيه ، ولم يكونوا على استعداد للحـرب ، عندئذ تخاذل مشاة جلالتـه وفرسانه أمامهم ، وكان جلالته عسكر شمالى « قادش » على الشاطئ الأيمن من نهر « الأرنت » ، وفى هذه اللحظة جاء رجل وأخبر جلالته بذلك . وظهر جلالته آنئذ مثل «منتو» (إله الحرب) بعد أن أخذ عدة الحـرب ولبس درعه ، فكان مثل « بعل » فى ساعته وكانت العربة العظيمة التى تقـل جلالته المسماة « النصر فى طيبة » من الاسطبل العظيم للسـيد « وسر ماعت رع ستبن رع » محبوب « آمون » ، وقد ركب جلالتـه

= المعابد وهى القوة التى وصلت — على حين غفلة — إلى المعركة ، ولما وجدوا أن معسكر الفرعون محاط بالعدو هجموا على جنود « خيتا » من الخلف وقد كتب فوق صورة هذه القوة العبارة التالية : "وصول جنود الفـرعون الشباب من أرض « آمور » " وقـد فسر وصول هؤلاء الجنود الجـدد بآراء مختلفة (Br. Battle of Kadesh p. 8) ومن الجائز أنهم كانوا ضمن الفارين من فيلق « آمون » وقد عادوا الآن بعـد أن رأوا العدو لم يقتف أثرهم بعـد ، وقد ظن الميجر « بيرن » — كما سترى بعد — أنهم كانوا تابعين لمؤخرة فيلق « رع » غير أن « برستد » نفسه قد عارض كلا الظنين فقال : لماذا يقال عن هؤلاء الجنود إنهم حضروا من أرض « آمور » ؟ ، والجـواب الوحيد الذى يمكن قبوله فى هـذا الصدد هو ما قاله المؤرخ (إدورد مير) (Ed. Meyer Ibid. p. 142) إذ يقـول : إنهم كانوا جنود ميدان خاصين ، وهو ما عبر عنه فى المتن المصرى بجملة (أوّل قوّة ميدان) وهذه الترجمة يمكن وضعها بدلا من ترجمة « برستد » (الصف الأوّل) وهذه الفرقة هى التى اندفعت على الساحل الى ماوراء « طرابلس » ، ومن ثم سارت فى الداخل على الطريق الهام الذى يعبر النهر الكبير و يوصل إلى « حمص » ، أو بطريق أخرى على بعد قليل جنوبا . وإنه لمن الطبعى أن نرى « رعمسيس » يريد هنا أن ينتهز هذه الفرصة الى أقصى حد فى وصف أعمال شجاعته فيقدّم لنا تفاصيل قليلة بقدر المستطاع عن القوّة التى كانت سببا فى نجاته . والظاهر أن بلاد « خيتا » قـد أخضعت بلاد « آمور » (أو « عمور ») فى السنين التى تلت موقعة « قادش » ولذلك نرى « رعمسيس » فى السـنة الثامنة من حكمه حكمت عليه الضرورة أن يحاصر بلدة « دابور » وهى إحدى بلاد « آمور » وتقع على ما يظهر فى إقليم « حلب » .

مسرعا ، واندس فى أعماق الأعداء من «خيتا» الخاسئة، وكان وحده — ولم يكن معــه إنسان آخر — ولمـا تقدّم جلالته ونظر خلفه وجد أن طريق مخـرجه قد أحيطت بألفين وخمسمائة عربة مع كل نوع من محاربى بلاد «خيتا» الخاسئة، وكذلك الممالك العديدة التى كانت معهم ، وبخاصة بلاد « إرثو » وبلاد « ماسا » و « بداسا » و « كشكش » و « أرونا » و « كزواتنا » و « حلب » و « أكارثى » أو (جاريت) و « قادش » و « لك » ، وكان فى كل عربة ثلاثة رجال وقـد نظموا فصائل ، ولم يكن معى رئيس ولا قائد عربة ولا ضابط مشاة ، ولا حامل درع ،ومشاتى وخيالتى قدتركونى فريسة أمامهم ،فلم يثبت واحد من بينهم لمحاربتهم . وعندئذ قال جلالته : ”ماذا جرى يا والدى «آمون» ؟ هل من عمل الوالد أن يهمل الابن ؟ أم هل عملت شيئا بغير علم منك ؟ هل مشيت أو وقفت إلا على حسب قولك ؟ هل تعــدّيت الخطط التى أمرت بها (من فمك) ؟ “ وإنه لأمر جلل إذ جعل الأجانب يقتربون من حافة طريق سيد مصر العظيم (أى بالقرب منها) فأين هم من قلبك أولئك الأسيويون التعساء الذين ينكرون الإله؟ يا « آمون» ألم أقم لك آثارا عدّة جدّا لأملأ معبدك بأسلابى ، وبنيت لك معبدى لملايين السنين ، ووُهبتك كل أملاكى بوصية ؟ وأدرت (قــدتُ) لك الأرض قاطبة لإمداد قربانك ، وعملت على أن تعطى عشرات الآلاف من الثيران مع كل أنواع النباتات الزكية الرائحة ! ! ولم أهمل شيئا واحدا طيبا دون أن أجعله يعمــل فى ردهة معبدك ، وأقمت لك بوابات ضخمة من الحجر ، ونصبت لك عمــد أعلام بنفسى ، وجلبت لك مسلات من « إلفنتين » وإنى أنا الذى أمر بإحضار الحجـر ، وقد جعلت السفن تسير من أجلك فى البحر لتنقل لك جزية البلاد الأجنبية ، والناس يقولون ليحق الويل بمن يتصدّى لخططك ، والطيبات تعمل لمن يؤمن بك يا « آمون» ، نعم إن الناس سيعملون لك بقلب محب ، وقدناديتك يا والدى «آمون» عندما كنت فى وســط الأعداء ، وأنا لا أعرف الممــالك الأجنبية التى قــد تجمعت علىّ حين

كنت وحيدا دون أن يكون فرد آخر معى ، وكان جنودى العديدون، قد نبذونى دون أن يلتفت نحوى واحد من فرسانى ، ولقد ناديتهم ولكن لم يصغ إلى واحد من بينهم ، وعندما دعوت وجدت « آمون » أكثر نفعا من ملايين الجنود ، وكثير من مئات آلاف العربات ، وأكثر من عشرات آلاف الرجال ، ومن كل الإخوة والأطفال الذين يكونون (على وئام فيما بينهم) متحدين فى قلب واحد . على أن مجهودات الرجال العديدين تتبدّد ، لأن « آمون » أكثر منهم نفعا ، وبعد أن وصلت الى هنا على حسب نصيحة فمك يا « آمون » لم أتعد خططك ، وعندما وجهت نداءاتى من أقصى أعماق البلاد الأجنبية انطلق صوتى حتى « أرمنت » وإذ ذاك وجدت « آمون » قد أتى على إثر ندائى له ، ومدّ إلىّ يده ، وحينما كنت فى ابتهاج كان يصيح خلفى : إلى الأمام أمامك يا « مرى آمون رعمسيس » إنى معك ، وإنى والده ويدى معك ، إنى أكثر نفعا من مائة ألف رجل مجتمعين معا فى مكان واحد ، وإنى سيد الانتصار الذى يحب الشجاعة ، ولقد وجدت لبى ثابتا وقلبى مبتهجا ، وكان الفلاح نصيب كل ما فعلته لأنى كنت مثل « منتو » عندما أشدّ قوسى بيمينى ، وعندما كنت أحارب بيدى اليسرى ، لأنى كنت مثل « بعل » فى لحظته أمامهم (أى الأعداء) وقد وجدت الخمسمائة والألف العربة التى كنت فى وسطها قد تحوّلت إلى كومة أمام خيلى ، ولم يكن فى مقدور واحد منهم أن يجد (يستعمل) يده ليحارب بها لأن قلوبهم سقطت فى جوفهم خوفا منى ، وأذرعتهم قد شلت ، فلم يكن فى مقدورهم أن يفوّقوا السهام ، وكان من المستحيل عليهم أن يستردّوا قلوبهم ليقبضوا على حرابهم ، وقد جعلتهم يتساقطون فى الماء كما يسقط التمساح ، وقد خرّوا على وجوههم الواحد فوق الآخر ، وذبحت منهم من أردت ، ولم يلتفت أحد منهم وراءه ، وكذلك لم يعد واحد منهم ، ومن سقط منهم لم يقم ثانية . وعندما وقف رئيس « خيتا » الخاسئ فى وسط مشاته وخيالته ليشاهد جلالته يقاتل وحيدا بدون مشاته وخيالته معه ، ظل واقفا

متلفتا بوجهه ومرتعدا وخائفا يترقب ، فأمر بإحضار رؤسائه العديدين ومع كل منهم عرباته ، وكانوا مدججين بأسلحتهم الحربيــة ، وهم : أمير « إرثو » وأمير « ماسا » وأمــير « أرون » وأمير « لوكى » = « لســيا » ، وأمير « بداسا » وأمير « دردنى » وأمير « كركميش » وأمير « قرقاشــا » وأمير « حلب » وأخوه أمير « خيتا » كلهم مجتمعون فى مكان واحد، ومعهم فيلق مؤلف من ألف عربة أتت أمامهم نحو النار ، (الورقة = من الفين وخمسمائة عربة) . وقد انقضضت عليهم مثل « منتو » وجعلتهم يذوقون يدى فى لحظة ، وقد حاربتهم (الورقة = قتلتهم) فى مكانهم حينما كان الواحد يصيح على صاحبه قائلا : إن الذى بيننا ليس بشرا ، إنه « ستخ » صاحب القوّة العظيمة ، و « بعــل » فى أعضائه (أى بعل نفسه) ، إذ أن البشر لا يمكنهم أن يأتوا بما يأتيه من الأعمال ، فعمله فرد وحيد يصــدّ (أى يمكنه أن يصدّ مئات الآلاف دون أن تكون معه مشــاة أو خيالة) هلموا نسرع ونول الأدبار أمامه ، ونبحث لأنفسنا عن الحياة حتى نستطيع أن نستنشق الهــواء ! ! تأمل ! إن مما لاشك فيه أن الخــور منه سيصيب يد وجميع أعضاء من يقترب منه ، فالإنسان لا يمكنه أن يقبض على القوس ولا على الحربة عندما يراه من بعيد آتيا يعدو بسرعة ، لأن جلالته كان خلفهم مثل المــارد المجنح (جرفون) ، وقد أعملت السيف فيهم دون هوادة ، ورفعت السوط وصحت على مشاتى وخيالتى قائلا : قفوا وثبتوا قلوبكم يا مشاتى و يا خيالتى ، شاهدوا انتصاراتى عندما كنت وحيدا و « آمون » كان حامىّ ، ويده معى ، ما أشدّ ضعف قلوبكم يا فرسانى ، لهذا لا يحق أن يملأ الإنسان قلبه بكم (أى أن يهتم بأمركم)، حقا إنه ليس بينكم واحد سأعمل لخيره فى بلادى ، ألم أقم فيكم سيدا فى حين كنتم بين اليائسين ؟ ومع ذلك رضيت عن طيب خاطر أن تصبحوا عظماء بوســاطة حضرتى كل الأيام ، فقد ورّثت الابن متاع الوالد ، وأبعدت كل الظلم الذى كان فى هذه الأرض . وتركت لكم جزية أرضكم ، ومنحتكم أخرى إذا اغتصبت منكم ، وأنصفت من استنصفنى

وكنت أقول له كل يوم تأمل ! وليس هناك سـيد عمل لجنوده ما عمـل جلالتى على حسب ما تهوى قلوبكم ، وقد منحتكم أن تبقـوا فى مدنكم دون القيـام بمهام الجندية ، وكذلك جعلت لخيالتى طريقا إلى مدنهـم (أى سمحت لهم بالعودة إلى مدنهم) على شرط أن أستدعيهم لمثل هـذا اليوم ، وقت خوض المعارك ؛ ولكن انظروا فقـد أتيتم جميعكم أفرادا ، إذ لم يقف رجل واحد منكم ليمـدّ يده لى وأنا أحارب ، و إنى أقسم بروح والدى « آمون — آتوم » ، ليتنى كنت مثل والد آبائى الذين لم يرهم السـوريون ، والذين لم يشنوا حربا عليهم فى مصر ؛ أرقص (يقصد بذلك اخناتون الذى لم يرسـوريا قط ، ولم يشنّ حربا هناك) ، على أن ليس بينكم واحد سيأتى مصر ليقص مفاخره (أحواله) .

ما أجملها من فرصة لإنشاء آثار عدّة فى «طيبة» بلد « آمون » ، لأن الجريمة التى ارتكبها مشاتى وخيالتى أعظم بكثير من أن أقصها ، ولكن انظروا فإن «آمون» قد وهبنى قوّته دون أن يكون معى المشاة أو الخيالة ، وقد جعل البـلاد كلها ترى انتصاراتى وشجاعتى عندما كنت وحيدا دون أن يكون عظيم خلفى (يشد أزرى) ، لا سائق عربة ولا جنـديا من الجيش أو أى ضابط ، وقد نظرت إلى الممـالك الأجنبية لدرجة أنهـم تحدّثوا باسمى حتى البلاد النائية التى لم تكن معـروفة . أما أولئك الذين أفلتوا من يدى منهـم فإنهم إذا وقفوا متطلعين وراءهم رأوا ما كنت أعمـله ، فإنى كنت أزحف على ملايين عدّة من بينهم ، وسـيقانهم لا تسـتطيع الوقوف فى مكانها بل كانوا يولون الأدبار ، وكل من كان يفوّق سهما نحوى طاش وسها مهـم كانت تسقط إذا صـوّبت إلىّ . ولكن عنـدما رأى « مننا » سائق عربتى أن عددا عظيما من العـربات قد أحاط بى تخاذل واستولى الخور على قلبـه ودخل الخوف قلبه ، وعندئذ قال لجلالتى : يا سيدى الطيب ، يأيها الحاكم الشجاع ، يأيها الحامى العظيم لمصر فى يوم الواقعة عندما نقف وحيدين وسط الأعداء . انظر ؛ لقد نبـذنا المشاة والخيالة فلماذا نقف لننجيهم ؟ ليتنا نوهب الخـروج سالمين !

نجنا يأيها السيد « وسر ماعت رع ستبن رع » له الحياة والسعادة والصحة (يا سيدى الطيب) . وعندئذ قال جلالته للسائق : قف وثبت قلبك يا سائق عربتى ، إنى أريد أن أدخل بينهم كما ينقض الصقر مذبحا ومقتلا ومجدلا من على الأرض، من هؤلاء المخنثون الذين لا يمكن أن يصفر وجهى أمام مليون منهم ؟ وعلى أثر ذلك كر جلالته بخطا واسعة فى وسط الأعداء (من الخيتا الخاسئة) حتى الكرّة السادسة، وهو يدخل وسطهم ، وقد كنت خلفهم مثل « بعل » فى ساعة شدّة بأسه، وأعملت السيف فيهم دون أن أخطئ ، وعندما رأى مشاتى وخيالتى أنى مثل الإله «منتو» القوى الشديد البأس، وأن الإله «آمون» والدى فى الوقت نفسه كان معى، وقد جعل البلاد الأجنبية كالهشيم أمامى، أخذوا يقتربون واحدا فواحدا متسللين نحو المعسكر فى وقت الغروب ، وقد وجدوا أن الأقوام الأجانب كلهم الذين شققت طريقى بينهم قد جدلوا أرضا مضرجين بدمائهم، وبخاصة خيرة محاربى « خيتا » ، وكذلك أطفال أميرهم وإخوته، وقد جعلت ميدان قتال « قادش » أبيض اللون (أى بالجثث وملابسها البيضاء) حتى لم يستطع أحد أن يجد مكانا يمشى عليه لكثرة جموعهم (من القتلى) ، وعندئذ جاء جنودى يدعون الله باسمى ،وشاهدوا ما فعلت . وقد أتى عظمائى ليمجدوا قوتى ،وأتى خيالتى ليشيدوا باسمى قائلين : " يأيها المحارب الجميل الذى يثبت القلب ، لقد نجيت مشاتك وخيالتك لأنك ابن «آمون» الذى يعمل (يحارب بساعديه)، لقد خربت أرض « خيتا » بسيفك البتار لأنك محارب جميل منقطع النظير، وملك يحارب لمشاته يوم القتال، لأنك واحد عظيم القلب والمقدام فى المعمعة، ولا تستطيع الأرض قاطبة أن تحيطك بالنظر ، لأنك واحد عظيم الظفر أمام الجيش، وأمام وجه الأرض قاطبة من غير إسراف فى القول، وإنك حام لمصر، وقاهر للبلاد الأجنبية، وإنك قصمت ظهر « خيتا » أبدا " ، وعلى ذلك قال جلالته لمشاته وعظمائه وكذلك لخيالته : "من هم إذًا عظمائى ومشاتى وخيالتى الذين يعرفون كيف يقاتلون؟ أليس فى استطاعة

الرجل أن يجعل نفسه عظيما فى بلدته إذا عاد أمام سيده آتيا بعمل شجاع؟ و بذلك يكون صاحب سمعة طيبة،لأنه قد حارب بشدّة بأس، لأن الرجل يمدح بشجاعته منذ القدم. ألم أعمل عملا صالحا لواحد من بينكم حتى تنبذونى وحيدا بين الأعداء؟ هل استطبتم جمال الحيـاة واستنشاق النسيم عنـدما كنت وحيـدا ؟ ألا تعلمون فى قرارة نفوسكم أنى سياجكم الحديدى بخاصة ؟ .

سيتحدث الناس بترككم إياى وحيدا لا رفيق لى ولا عظيم معى ولا ضابط صف يمدّ يده إلىّ، وكنت أحارب الملايين من البلاد الأجنبية منفردا، وكان معى «النصر فى طيبة» و «موت الراضية» وهما جواداى العظيمان لأنهما اللذان وجدتهما (قد أتيا) ليأخذا بيدى = (لمساعدتى) حينما كنت وحيدا أحارب ممالك أجنبية عدّة، والواقع أنى كنت متمسكا بإعطائهما علفهما من الشعير فى حضرتى يوميا حين كنت فى قصرى، لأنهما هما اللذان وجدتهما (عضدا لى) وسط الأعداء، وكذلك سائق عربتى « مننا » ، والساقون فى البـلاط الذين كانوا إلى جانبى وشاهدوا القتال . تأملوا : لقد وجدتهم، وقد عاد جلالتى فى قوة ونصر بعد أن كنت جذلت بسيفى البتار مئات الآلاف مجتمعين فى مكان واحد، وعند الفجر نظمت الصفوف للقتال وكنت مستعدا للنزال كالثور المتأهب، وظهرت أمامهم مثل «منتو» عندما يكون مدججا بآلات الشجاعة والنصر لهجمة كالصقر، وكان صلى الذى على جبينى يجدل العدو، ويرسل لهيبا من النار فى وجه أعدائى، وكنت مثل « رع » (الشمس) عند إشراق فى الصباح المبكر يحرق شعاعى أعضاء العدوّ . وكان الواحد من بينهم ينادى صاحبه قائلا : "استعدّوا، خذوا حذركم ولا تقتربوا لأنها «سخمت» العظيمة التى معه على فرسه، و يدها معه، ومن يقترب منه يقابل لهيبا من النار يحرق أعضاءه". من أجل ذلك وقف رجال « خيتا » بعيدا مقبلين الأرض، وأيديهم (متجهة) نحوى، ولكن جلالتى هجم عليهم، وأعملت فيهم السيف دون أن يفلتوا منى، وقد صاروا كومة من الجثث أمام جيادى مجدلين مضرجين بدمائهم، فأرسل أمير «خيتا»

الخاسئ متضرعا لاسم جلالتى العظيم كما يتضرع الانسان لإسم «رع» قائلا : "إنك «ستخ» و «بعل» فى أعضائه، والفزع منك كالنار فى أرض «خيتا» ، فقصمت ظهر هؤلاء الخيتا إلى الأبد" . ثم أرسل بعد ذلك رسوله بخطاب سارّ للقلب فى يده باسم جلالتى العظيم ، واتجه به إلى جلالة قصر « حور » له الحياة والسعادة والصحة (الثور القوى محبوب العدالة) الملك الذى يحمى جيشه ، والقوى بساعده، والجدار لجيشه يوم القتال ، والسيد وملك الوجه القبلى والوجه البحرى، سيد الأرضين ، فرح القلب (الغنى فى قوته والعظيم الفزع) « وسر ماعت ستبن رع » ابن الشمس ، عظيم النصر، وسيد السيف « رعمسيس مرى آمون » الذى يمنح الحياة أبدا . إن الخادم هنا(1) يقول ويعلن ، (ويجعل الناس يعرفون) : أنك ابن « رع » وخارج من صلبه (أعضائه) ومن أجل ذلك أعطاك كل الأراضى موحدة جميعا ، ولما كانت أرض مصروأرض «خيتا» خدمك حقا وتحت قدميك وهبك «رع» والدك المفخم إياهما ، فلا تعاملنى بقسوة . إن قوتك عظيمة ، وسلطانك عظيم فى الأرض (خيتا)، فهل من الخير أن تقتل عبيدك، وأن يكون وجهك عابسا لهم ، ولا تأخذك الشفقه بهم ؟ إنك قد قمت بمذبحتك أمس ، وأعملت السيف فى رقاب مئات، وقد جئت اليوم دون أن تترك لنا وارثين . لا تتباطأ فى قرارك أيها الملك القوى ، إن السلام أكثر خيرا من الحرب . امنحنا النفس . وبعد ذلك عاد جلالتى فى حياة ورضا ، وعملت مثل « منتو » فى ساعته ، وهو المظفر فى هجومه، وعندئذ أمر جلالتى أن يؤتى بكل قوّاد المشاة والفرسان، وجمعت عظمائى لأجعلهم يسمعون السبب الذى من أجله بعث (ملك خيتا) رسالة، وبعد ذلك أسمعتهم الكلام الذى أرسله إلى رئيس « خيتا » الخاسئ ، فنطقوا بصوت واحد : إن السلام شىء ممتاز جدّا أيها الملك يا سيدنا ، فلا ضرر فى الصلح الذى ستبرمه ، فما من أحد يستطيع أن يرجوك فى اليوم الذى تكون غاضبا فيه . وعند ذلك أمر جلالته أن يسمع كلامهم (أى يصلح مع ملك خيتا) ثم توجه فى سلام نحو

(١) يقصد رسول « خيتا » الذى حمل الرسالة للفرعون .

الجنوب ، وعاد جلالته فى أمان نحو أرض الكنانة ومعه مشاته وخيالته ، ويرافقه كل الحياة وكل الثبات وكل الرضى ، كما كان الآلهة والإلهات يحفظون جسمه بعد أن صدّ الأراضى كلها بالفزع الذى كان يبعثه عليهم ، وبعد أن حمت شجاعته جيشه ، فى حين كانت كل البلاد الأجنبية تتعبد إلى وجهه الوضاء، واقترب فى سلام نحو أرض مصر إلى بيت « رعمسيس » محبوب « آمون » عظيم النصر ونزل فى قصره «طيبة» مثل «رع» فى أفقه ، فى حين كان آلهة هذه الأرض كانوا يحيونه (قائلين) : " تعال تعال يا ابننا الذى نعزه يا سيد الأرضين ، يا ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ، يا « وسر ماعت رع ستبن رع » ، وابن الشمس « رعمسيس » محبوب « آمون » " . وقد وهبوه ملايين أعياد ثلاثينية مخلدا على عرش والده « رع » ، والأراضى المختلفة والممالك الأجنبية كلها قد خرت تحت نعليه طول الحياة و إلى الأبد .

التقرير الرسمى لموقعة « قادش »

أما المصدر الثانى الذى يعتمد عليه فى فهم ما دار فى موقعة « قادش » فهو « التقرير الرسمى » وهو أبسط وأقصر مما جاء فى الملحمة ، والمصادر التى استقينا منها الترجمة التالية هى سبع نسخ كتبت كلها على جدران المعابد الهامة :

(أولا) على الجدار الغربى الخارجى من ردهة « أمنحتب الثالث » فى معبد « الأقصر » .

(ثانيا) على الجدار الجنوبى الشرقى لردهة « رعمسيس الثانى » .

(ثالثا) على بوابة معبد « الأقصر » الذى أقامه « رعمسيس الثانى » .

(رابعا) على الجدار الجنوبى الغربى لمعبد « العرابة المدفونة » .

(خامسا) على البوابة الأولى لمعبد « الرمسيوم » .

(سادسا) على الجدار الشمالى للردهة الثانية من معبد « الرمسيوم » .

(سابعا) على الجدار الشمالى لمعبد « بو سمبل » .

ويلاحظ أن الجزء الأسفل من متن الأقصر كان تحت الأرض ولم يكن قد كشف عنه بعد، وقد كشف المؤلف عنه واستفاد مما جاء فيه فى هذه الترجمة .

الترجمة : السنة الخامسة الشهر الثالث من فصل الصيف اليوم التاسع فى عهد جلالة « حور » الثور القوى، محبوب العدالة، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «وسر ماعت رع ستبن رع» ابن الشمس محبوب « آمون » « رعمسيس » معطى الحياة مخلدا . كان جلالته فى أرض « زاهى » (أو جبال زاهى) فى حملته الثانية المظفرة، وكان استيقاظا مبكرا (راجع Onomastica I, p. 141) فى حياة وعافية وصحة فى سرادق جلالته على الهضبة الجنوبية من « قادش » ، وعندما طلع الفجر أشرق جلالته كما يشرق « رع » (الشمس) ودجج بأسلحة والده « منتو » ثم سار شمالا حتى وصل جلالته جنوبى بلدة «شبتونا »وهناك أتى إليه اثنان من(الشاسو) (البدو) وقالا لجلالته : إن زملاءنا من أكابر أسر « شاسو » مع «خيتا» جعلونا نسعى إلى جلالته قائلين : إننا سنكون خدما للفرعون — له الحياة والفلاح والصحة — وقد فررنا من أمير « خيتا » الخاسر، وعندئذ قال لهم جلالته : "من أين أتيتم لتقصوا على جلالتى هذه الخطة؟" فقالوا : "من المكان الذى فيه رئيس «خيتا»" لأن «خيتا» الخاسئ يقيم فى أرض « حلب » فى الشمال، وهو يخاف أن يأتى الفرعون — له الحياة والفلاح والصحة — جنوبا فى حين أن الفرعون — له الحياة والفلاح والصحة — يسير شمالا . ثم تكلم هذان البدويان هذا الحديث الذى تحدثنا به لجلالته، لأن آثم « خيتا » الخاسئ قد جعلهم يأتون ليروا المكان الذى كان فيه جلالتى حتى لا يكون جيش جلالته مستعدا للقتال مع « الخيتا» الخاسئين، وهكذا فان « خيتا » الخاسئة أرسلت هذين البدويين ليقولا هذا الكلام لجلالته، وقد أتى بمشاته وخيالته وعظماء كل أرض من أقطار أرض « خيتا » بمشاتهم وخيالتهم التى أحضرها معه بالقوة ووقف مسلحا للحرب خلف « قادش » المخادعة فى حين كان جلالته لا يعرف بالتحديد أين كانوا لأنه صدق ما قاله البدويان، ولذلك سار جلالته شمالا حتى وصل

إلى الشمال الغربى من « قادش » الخاسئة دون أن يعرف جلالته أين هم . وضرب هناك جلالته سرادقه ، ثم جلس جلالته على عرش من «السام» فى شمالى «قادش» على الشاطئ الغربى من نهر « الأرنت » وأتى كشاف من أتباع جلالتــه وأحضر جاسوسين من «خيتا» ، الخاسئة وجىء بهم إلى الحضرة ، فقال لهم جلالته : من أنتما؟ فقالا أما نحن فإن «خيتا» الخاسئ جعلنا نأتى لنرى المكان الذى فيه جلالتك ، وعندئذ قال لهما جلالته : وأين « خيتا » الخاسئ الآن ؟ انظر! لقد سمعت حقا أنه فى إقليم شمالى « حلب » فى الجهة الشماليــة من مدينة « تونب » ، فقالا لجلالته : تأمل إن رئيس « خيتا » الخاسئ قــد عسكر مع ممالك عديدة أحضرها معه بالقوة من كل البلاد الأجنبية التى فى إقليم بلاد « خيتا » وبلاد «دردنى» وأرض «نهرين» وبلاد « كشكش » وبلاد « ماسا » وأرض « قرقشا » وأرض « لك » وأرض « كركميش » وأرض « إرثوا » وأرض « إكريث » وبــلاد « أرونا » وبــلاد « إنسا » وبلاد « موشنات » و « قادش »[1] و « حلب » وأرض « قدى » كلها ،

---

(١) «قادش» بلدة على نهر «الأرنت» (نهر العاصى) وقد وحدت على وجه التأكيد بالمكان المسمى الآن « تل نبى مند » الواقع على الشاطئ الأيسر لهذا النهر داخل الزاوية التى تكونت من اتصال نهر صغير الى هــذا النهر من الغرب على مسافة بضعه كيلو مترات جنوبى النهاية الجنوبية للبحيرة الصناعية المسماة بحيرة «حمص» كما برهن على ذلك « برستد » (راجع Breasted Battle of Kadesh p. 13) ، وكما جاء فى كتاب تاريخ « أبى الفداء» الذى عاش فى القرن الرابع عشر بعد الميلاد ، وكانت هذه البحيرة تسمى وقتئذ بحيرة « قدس » أيضا ، ولدينا براهين حديثة تدل على وجود هذا الاسم فى هذه البقعة ، فقد عملت حفائر ناجحة قام بها « بزارد » (Peszard) فى موقع «قادش» ، وعلى الرغم من أنه لم يحصل على نقوش تثبت توحيد هذا الاسم إلا أنه قــد عثر على لوحة ممحوّة جدا للفرعون « سيتى الأوّل » . وفى عهد « تحتمس الثالث » كتب هذا الاسم فى تواريخه التى تركها لنا على جدران معبد « الكرنك » بلفظ « كدشو » وقد حفظ لنا الكتاب المقدّس هجاء هــذه البلدة بلفظ «قادش» وفى خطابات « تل العمارنة» (Knutzon pp. 1118 f.) كانت تسمى هــذه البلدة باسم « كنزا » أو « كنشى » وفى روايات « كيتشا » أو «جيزا» ويحتمل أن رأى المؤرخ « إدورد مير » مصيب عند قوله إن الاسمين مميزان إذ أن الأوّل هو الاسم الحقيق والثانى هو اسم معناه المحراب ، من الأصل السامى «قدش» أى مقدّس ، وفى التوراة يلاحظ أن « قدش » «وقادش» هما اسما مكانين فى جنوبى فلسطين ، ومما يحتمل الشك كثيرا أن « قادش » التى على نهر « الأرنت » قد ذكرت هناك قط ، والواقع أنه بعد عهد « رعمسيس الثانى » اختفت هذه =

وهى مجهزة بالمشاة والخيالة والسلاح ، وكانوا أكثر عددا من رمال الشاطئ . وانظر ، لقد وقفوا على أهبة الاستعداد للواقعة خلف «قادش» المخادعة ، وعندئذ

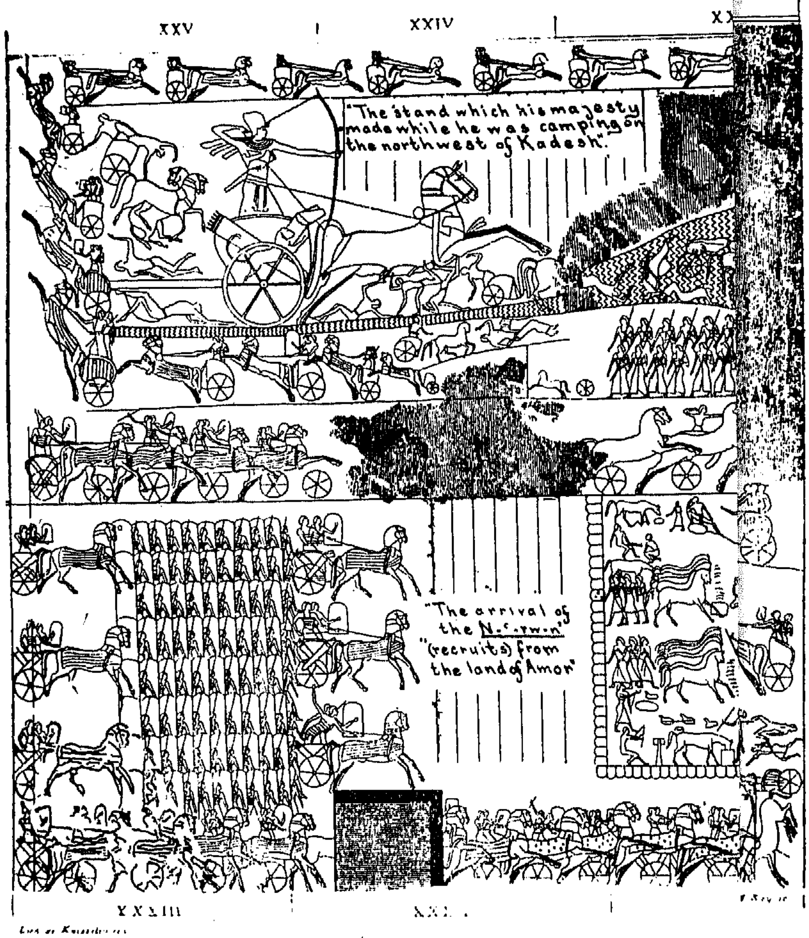
= المدينة من التاريخ عدا إشارتين فيهما شك كبير فى عهد الملك «داود» والفرعون «نخو» (راجع C. A. H. III, No. 356.) ؛ وذكرها فى القوائم الهيروغليفية الخاصة بالفرعونين « شيشنق » و « تبرهاقا » (Simons lists XXXIII,XXXVI,) لا يخرج عن التقليد ، وعلى العكس ، فانه مما لا يحتمل أن توجد إشارة إلى « قادش » فى المتون أو القوائم المصرية تشير إلى أى اسم مكان ، إلا إلى المعقل الشمالى العظيم المسمى « قادش » إذ أن الحفائر التى عملت فى هذا الموقع تدل على أن البلدة كانت قد خربت بعد الموقعة الشهيرة الذى نحن بصددها الآن ببضع عشرات السنين وهى الموقعة التى نشبت بين «رعمسيس الثانى» و «الخيتا» وهى التى نحن بصددها الآن ، ولكن جدرانها قد أقيمت ثانية فى العهود المتأخرة وكان آخر عهدنا بذلك زمن الرومان .

وترجع أهمية هذه البلدة من الوجهة الاستراتيجية والسياسية لموقعها الهام فى النهاية الشمالية لإقليم «البقاع» ، وهو الإقليم الذى يقع بين لبنان والإقليم المقابل له ، وقد كان لزاما على الجيوش التى تمر شمالا أو جنوبا فى هذا السهل الداخلى أن تمر بها اللهم إلا إذا كانت تفضل السير على الساحل الضيق بطريق « إرواد » أو « رأس الشمرة » .

وفى عهد « تحتمس الثالث » عرفنا أن أمير «قادش» جمع كل الأمراء الذين كانوا حوله فى هذا الجزء من العالم ليصدّ تقدّم ملك مصر ، ومن البدهى أن غرض الفرعون لم يكن هذه البلدة نفسها بل كان بلاد «نهرين» ، ولأجل أن يصل إليها كان لزاما عليه أن يغزو إقليم «قادش» على نهر «الأرنت» ، ولابدّ من إبراز هذه النقطة هنا ، وقد لاحظها تقريبا كل المؤرّخين ؛ وقد أبدى بعض رجال التاريخ الحديث الرأى مرارا فى أن « قادش » التى كانت على رأس هذا الحلف لم تكن « قادش » التى على نهر «الأرنت» بل هى قادش الواقعة فى شمال «فلسطين» والتى لا تزال تحمل هذا الاسم ، وتقع على مسافة سبعة كيلومترات من الشمال الغربى لبحيرة « حله » (راجع Simons Lists p. 36. & Jerku p. 5 Note 2.) ، والظاهر أن الخطأ جاء عن طريق ذكر كلمة « قدشو » قبل « مكتى » (مجدو Magiddo) فى قائمة الأقوام الشمالية الذين تغلب عليهم «تحتمس الثالث» فى أوّل معركة له ، وقد دوّنت هذه الأقوام فى ثلاث نسخ على جدران معبد الكرنك (Urk. IV. 779 ff.) ، ففى النسخة الأولى والثالثة نجد العنوان الثانى : قائمة الممالك الواقعة فى « رتنو العليا » التى حبسها جلالته فى بلدة «مجدو» وهى التى أحضر جلالته أولادها أسرى أحياء إلى « طيبة » فى أوّل حملة مظفرة له ، ويمكننا أن نؤكد أن سبعة عشر ومائة اسم قد جاء ذكر أصحابها فى الحملة الأولى وأن بعض الأسماء يشير إلى الأمراء =

أمر جلالته أن يدعى فى حضرته العظماء ليسمعوا كل كلمة قالها جاسوسا « خيتا » المخادعة اللذان كانا فى الحضرة ، فقال جلالته : تأملوا خطط أولئك الرؤساء الذين على الأراضى الأجنبيـة ، وكذلك كبار الموظفين الذين يديرون أرض الفرعون — له الحياة والفلاح والصحة — فانهم قد ظلوا يقولون للفرعون — له الحياة والفلاح والصـحة — يوميا : إن « خيتا » الخاسئ موجود فى أرض « حلب » فى الجهة الشمالية من « تونب » وأنه فرّ أمام جلالته منـذ أن سمع . تأمل إن الفرعون — له الحياة والفلاح والصحة — قد أتى . وهكذا تحدّثوا إلى جلالته يوميا ، ولكن انظروا لقد عقدت جلسة فى هذه الساعة نفسها مع جاسوسى أرض «خيتا» الخاسئة فاعترفا أن ملعون « خيتا » قد أتى مع ممالك عديدة برجال وخيل كعدد الرمال . تأملوا لقـد عسكروا مختبئين خلف « قادش » المخادعة دون أن يعـلم حكام بلادنا الأجنبيـة وكذلك عظماؤنا المكان الذى هم فيـه من أرض الفرعون — له الحيـاة والفلاح والصحة — وبعـد ذلك قال الأمراء الذين كانوا فى حضرة جلالته : إن ما ارتكبه أمراء البلاد الأجنبية وعظماء الفرعون — له الحياة والفلاح والصحة — بعدم الإخبار عما سمعوه عن خاسئ «خيتا» وعن كل مكان كانوا فيه خطأ عظيم ، وكان عليهم أن يقدّموا تقريرا لجلالتـه — له الحياة والفلاح والصحة — يوميا . وعندئذ أمر الوزير أن يسرع بجنود جلالته الذين كانوا يسيرون جنوبى «شبتونا» ليحضرهم إلى المكان الذى فيـه جلالته ، ولكن بينما كان جلالته جالسا يتحدّث إلى الأمراء إذ أقبل خاسئ «خيتا» مع مشاته وخيالته ، وكذلك كانت معه البلاد

= الذين كانوا قد أسروا فى قلعة بلدة « مجدو » (ولا بدّ أن نلاحظ هنا أن لوحة جبل «بركل» تذكر ثلاثين وثلثمائة أمير بين خلفاء « قادش » وتلمح أنهم كانوا محصورين فى « مجدو » مدة سبعة الأشهر التى دام فيها الحصار وإن لم يذكر ذلك صراحة ، وإذا اعترفنا بأن القائمـة تحتوى أمثال هؤلاء الأمراء كنا فى حل من أن نحتم وصـول الفرعون «تحتمس الثالث» فعـلا فى السنة الثالثة والعشرين إلى كل البلاد المـذكورة إذ أنـ بعضها كان بعيد عمـا وصل إليـه فعلا . (راجع مناقشة هـذا الموضوع فى : Gardiner Onomastica I, p. 137 - 141).



XXV
XXIV
"The stand which his majesty made while he was camping on the northwest of Kadesh."
"The arrival of the N-ᶜ-rw-n" "(recruits) from the land of Amor"

الأجنبية العديدة، وعبروا المخاض الواقع جنوبى «قادش»، ومن ثم اقتحموا قلب جيش جلالته الذين كانوا يسيرون دون علم منهم بذلك، فتخاذل مشاة جلالته وخيالته أمامهم، متجهين شمالا نحو المكان الذى كان فيه جلالته، وعندئذ أحاط الأعداء — الخيتا الخاسئون — بحرس جلالته الذين كانوا بجانبه؛ وعندما حقق جلالته النظر فيهم انقض عليهم غاضبا مثل والده «منتو» رب «طيبة» بعد أن دجج بعدّة الحرب ولبس درعه، وكان مثل «ستخ» (بعل) فى ساعة شجاعته وعندئذ أسرع بجواده العظيم المسمى «النصر فى طيبة» ثم انقض بسرعة منفردا بنفسه، وكان جلالته وقتئذ شجاع القلب، وسقط أمامه كل إقليم، ووجهه جذوة نار تحرق كل بلد أجنبي باللهيب، وقد صار كالأسد الهصور عندما رآهم وقوته ترسل عليهم شواظا من نار، فلم يكفه مليون من الأجانب لأنه عندما رأى أعداءه «الخيتا» الخاسئين ومعهم عدّة ممالك أجنبية، كان جلالته مثل الإله «ستخ» عظيم القوة ومثل الإلهة «سخمت» فى وقت غضبها فأخذ فى تذبيحهم وتقتيلهم ... وكذلك ... عظماؤه وإخوته كلهم. هذا إلى كل أهل البلاد الأجنبية الذين أتوا معه، ومشاتهم وعرباتهم، فقد سقطوا على وجوههم الواحد فوق الآخر وقتلهم جلالته فى مكانهم مجدّلين تحت سنابك خيله ولم يكن معه آخر، وبعد ذلك أطاح جلالته بأعدائه «الخيتا» الخاسئين على وجوههم الواحد فوق الآخر كما يطاح بالتماسيح فى ماء نهر «الأرنت» وكذلك كل البلاد الأجنبية، وكنت وراءهم كالمارد الطائر، و(حيوان خرافى ذو جناحين) ... وحيدا وقد نبذنى مشاتى وخيالتى، ولم يقف واحد منهم ليلتفت وراءه إلىّ، وإنى أقسم بحب «رع» وبحظوة «آتوم» لى بأن كل شىء قاله جلالتى فعلته حقا أمام مشاتى وخيالتى".

هاتان هما الوثيقتان اللتان سنعتمد عليهما فى فحص موقعة «قادش»، وهما كما يرى القارئ من جانب واحد وهو الجانب المصرى، أما المصادر الخيتية فلم يصلنا عنها إشارة عن هذه الواقعة.

أما المصـدر الثالث المصرى فهو الصـور التى رسمها « رعمسيس الثانى » على جدران المعابد العظيمة مع هذه الوثائق وهى :

(أولا) معبد العرابة : بقى لنا من رسومه المعسكر والموقعة وحصر الغنائم .

(ثانيـا) معبد الكرنك : نشاهد على جدار قاعة العمد فوق نص الملحمة رسم الغنائم التى قدمت لثالوث « طيبة » .

(ثالثـا) وكذلك نشاهد شمالى نص الوثيقة فى الكرنك المعسكر وكذلك الموقعة .

(رابعا) وعلى جدار الردهة التى بين البوّابة التاسـعة والعاشرة لمعبـد الكرنك نشاهد المعسكر والموقعة و إحصاء الغنائم .

(خامسا) وفى معبد الأقصر نرى على جدران البوّابة المعسكر (انظر الصورة) والموقعة فى الجهة الشرقية، وفى معبـد الأقصر كذلك على الجـدار الغربى من ردهة «أمنحتب الثالث» نشاهد صورة المعسكر والموقعة و إحصاء الغنائم ورجوع الفرعون منتصرا (؟) .

(سادسا) وفى « الرمسيوم » نشاهـد على البوّابة الأولى من الشمال المعسكر، ومن الجنوب الموقعة .

(سابعـا) وفى «الرمسيوم» على البوّابة الثانيـة نشاهد صورة الموقعة فى الجهة الشمالية . (انظر الصورة) .

(ثامنـا) وفى «الرمسيوم» على الجدار الشمالى للردهة الثانية نشاهد منظر المعسكر.

(تاسعا) وفى «بو سمبل» على الجـدار الشمالى نشاهد منظر المعسكر والموقعة و إحصاء الغنائم . (انظر الصورة) .

وقد ذكر الأثرى «ڤيدمن» واقتبسه آخرون آن فى معبد «الدر» فى بلاد النوبة رسوما توضح « موقعـة قادش » غير أن الكتاب الذى نشر حديثا عن هـذا المعبد ورسومه لا يحتوى شيئا من ذلك (راجع Wiedemann Aegyptische Gesch II, (1884) p. 434. Note. 5.) .

وهذه هى كل المصادر التى ستكون عمادنا فى مناقشة حوادث هذه الموقعة .

موقعة قادش

والآن بعد أن سردنا ما جاء فى قصيدة «رعمسيس» أو ملحمة «رعمسيس» والتقرير الرسمى، ونوهنا بالمناظر التى على جدران المعابد بالإضافة إلى ما سنستخلصه من المناظر الملحقة بالنقوش قد أصبح لدينا مادة يعتمد عليها فى تصوير سير موقعة «قادش» التى كادت نتائجها تكلف «رعمسيس الثانى» حياته وتضيع على مصر الجزء الذى أعاده لها «سيتى الأول» من إمبراطوريتها بعد حروب طويلة طوال مدّة حكمه لولا شجاعة «رعمسيس»، وقد رأينا فيما سبق أن «سيتى الأول» قد اشتبك مع مملكة «خيتا» فى حروب كان يبغى من ورائها أن يستعيد أملاك مصر فى آسيا برمتها، غير أنه لما فطن إلى أن الوقت لم يحن بعد للقيام بحملة يكون فيها القضاء المبرم على دولة «خيتا» القوية الفتية فضل إبرام معاهدة مع عاهلها وبذلك ساد السلام وخيم الأمن على ربوع الدولتين.

ولكن على الرغم من ذلك وجدنا ابنه «رعمسيس الثانى» قد سار على رأس جيشه فى السنة الخامسة من حكمه لمنازلة مملكة «خيتا» فى حملة قد مهد لها ووضع خططها فى السنين التى سبقت قيامه بها، إذ قد استولى على ساحل «فينيقيا» حتى «بيروت» وأقام لوحة حدود إمبراطورية فى هذه الجهة عند شواطئ «نهر الكلب» كما ذكرنا آنفا. والواقع أنه لا يمكن الجزم بمن كان المعتدى الأول من البلدين وخرق المعاهدة التى أبرمها «سيتى»، والصورة التى نكوّنها من خطابات «تل العمارنة» عن هذا العصر تصوّر لنا غربى آسيا فى حالة اضطراب ودسائس تظهر فيها بلاد «خيتا» تعمل جهد الطاقة للاستيلاء على الأصقاع الأسيوية كلما سنحت الفرصة لتوسيع رقعة بلادها ومدّ سلطانها، وفى استطاعتنا من جهة أخرى أن نتصوّر «رعمسيس الثانى» منذ نعومة أظفاره مشبعا بروح والده الحربى جاهدا فى أن يعيد لمصر إمبراطوريتها بالغزو والفتح. والواقع أن «رعمسيس الثانى» عند توليه عرش الملك كان حدث السنّ كما قدّمنا، وكان نشطا فى الوقت نفسه، وطموحا إلى

أقصى غاية بفضل دم الشباب ساعيا فى توسيع رقعة بلاده . ورجل هـذه أطماعه ومقاصده يرى فى كل معاهدة تحول دون تنفيذ أغراضه قصاصة ورق وحسب، ومع ذلك لا يمكننا الجزم هنا برأى والده «سيتى الأول» فى تشجيع مواصلة الحرب مع « خيتا » عند سنوح الفرصة ليستولى على شمالى « سوريا » أم لا ، ولكنا نعلم أن ملك خيتا « مواتالو » بقى مسالما، ومن المحتمل أن البعث الذى أرسله ، وهو الذى سنتكلم عنـه فيا بعـد ، كان الغرض منـه الوصول إلى محادثات تؤدّى إلى إيجاد علاقات سلمية، ولكن لم يكن فى استطاعة مملكة « خيتا » أن تصر على إيغال مصر فى «سوريا» ، وهذا ما كان قد شرع فيه «رعمسيس» ، ثم تبقى مكتوفة اليدين . وفوق ذلك كله كان لا بدّ للنظر فى أمر سقوط بلاد الآمورين التى كانت منذ جيلين داخل دائرة نفوذهم ، ويجب ألا تبقى مكشوفة غير محصنة ، وعلى ذلك وطد الملك «مواتالو» العزم على القيام بهجمة مضادّة، فقام بتجنيد شامل كما ذكرت لنا النصوص المصرية، لجمع كل ما فى البلاد من ذهب وفضة حتى نزف دماء أهلها وأعدّ بتلك الثروة العظيمة جيشا عظيما، وجمع حوله كل البلاد المحالفة له أى التى كانت تحت سلطانه ، وهى التى جاء ذكرها فى نقوش الملحمة وفى نقوش التقرير الرسمى عن الموقعة، وهذا الجيش كان يتألف من مشاة مسلحين بالحراب والسهام، ومن عربات حرب ، و بذلك أصبح كل سهل آسـيا الصغرى ، وشمـالى سوريا (بلاد نهرين) حتى ما وراء « قادش » مشتركا معه فى شنّ الحرب على مصر، وقد كان غرضه الأوّل استرجاع بلاد «آمور» وكان على رأس فرق هذا الجيش أمراء الحلف الذين كانوا مع ملك « خيتا » (مواتالو) ، وكذلك كان معه « خاتوسيل » الوصى على «البلاد المرتفعة» ، وقد صوّر لنا «رعمسيس الثانى» صورة ناطقة لهؤلاء الجموع فى النقوش والصور التى تركها لنا على جدران معابده المختلفة التى على الرغم من اختلاف الروايات فى جزئياتها تعدّ من أهم المصادر التى يعتمد عليها، و بخاصة ما تركه لنا من المناظر على معبد الأقصر وفى معبد « بو سمبل » وعلى جدران «الرمسيوم» ،

(أنظر المصوران الخاصان بذلك)، وكذلك على الجزء الأسفل من جدران معبد « العرابة المدفونة » فنشاهد فيها مع طرازى « خيتا » الممثلين على هذه الجدران ساميين لهما لحيتان وخصلة شعر ، كما نجد آخرين معظم شعورهم حليقة أو قصت قصا قصيرا جدًا ، وأهل البدو الذين ميزوا تميزا تاما بتقاسيم وجوههم وملابسهم وقد مثلوا هناك كثيرا ، وهم الذين يعرفون فى المتون المصرية باسم « شاسو » ؛ وتدل الظواهر على أنهم كانوا يتدفقون على الجيوش حتى من دائرة النفوذ المصرى ، ومن ثم تظهر العلاقات القديمة ثانية بين « الخيتا » وأولئك الأقوام من الساميين البدو أى «الخبيرى» الذين كانوا ينزحون إلى البلاد صاحبة الثقافة للنهب والسلب من شمالى « سوريا » وبلاد « مسوبوتاميا » كما ذكرنا ذلك من قبل (راجع ج ٥ ص ٣٥٤) . وهذه المناظر تشمل الجزء الأعظم من مشاة الخيتيين الذين اشتركوا فى موقعة «قادش»، وهم الذين وقفوا بجوار مليكهم أمام «قادش»، وكانوا يتألفون من فرقتين: واحدة منها نحو ثمانية آلاف، والثانية نحو تسعة آلاف مقاتل، يضاف إلى ذلك بعض جنود من « خيتا » وبخاصة مشاة حلفائها ، أما عدد عربات القتال التى كان يستعملها ملك « خيتا » وحلفاؤه فهى على حسب الصور المصرية نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة ، فإذا كان هذا العدد صحيحا وأن كل عربة كانت تحمل ثلاثة مقاتلين كما تقول النصوص فإن قوام خيالتهم كان نحو خمسمائة وعشرة آلاف مقاتل ، والواقع أن عدد مشاة جيش « خيتا » لم يبالغ فيه كما بالغ اليونان فى عدد مشاة الفرس، وتدل الظواهر على أن كل قوتهم كانت نحو خمسة وعشرين وثلاثين ألف مقاتل ، غير العربات والرجال الذين يقومون بخدمة الجيش وحراسة عتاده ، ولا شك فى أن هذه القوة كانت عظيمة إذا راعينا بعد الشقة ، وما كان يتطلبه الجيش من تموين لا بد أن يصل إليه فى ساحة القتال لمدة قد يطول أمدها فى بلاد نائية عن موطنهم الأصلى . والآن بعد أن ألقينا نظرة خاطفة على تكوين جيش « خيتا » يجب أن نفحص عدد

الجيش المصرى عندما قام «رعمسيس» بهذه الحملة على عدوه العنيد ، ومما يؤسف له أنه لا توجد لدينا أسس حقيقية نعتمد عليها لمعرفة قوة الجيش المصرى وقتئذ كما كان لدينا عن جيش «الخيتا» ، ومن المدهش أن المصرى كان يقدّم لنا الأعداد الحقيقية عن الرجال الذين كانوا يستخدمون فى حملات أقل أهمية ،وكان عدد الجيش المحارب عندهم سرا من الأسرار ، ولا أدل على ذلك من إعطاء المصرى عدد رجال البعوث التى ترسل للعمل فى المناجم أو إلى بلاد النوبة ، ولكن من جهة أخرى لم نعثر فى أية وثيقة بقيت لنا على عدد الجنود فى أية معركة حربية كبيرة، ولدينا وثيقة واحدة من عهد «رعمسيس الثالث» ذكر لنا فيها عدد الرجال وكلهم من الأجانب المرتزقة الذين أرسلوا إلى « وادى حمامات »، وهؤلاء من جنود «شردانا» وعددهم ألف وتسعمائة جندى، ومن جنود « كهك » ستمائة وعشرون، ومن جنود « مشاواشا » ستمائة وألف ، ومن العبيد ثمانون وثمانمائة، ومجموعهم خمسة آلاف جندى (١) .

وإذا رجعنا إلى عهد الأسرة الحادية عشرة وجدنا أن الملك «نب تاوى رع» « منتو حتب » جمع جيشا قوامه عشرة آلاف رجل من المقاطعات الجنوبية (٢)، وثلاثة آلاف بحار من الدلتا فيكون مجموعهم ثلاثة عشر ألف رجل أرسلهم جميعا إلى « وادى حمامات » لاستخراج الأحجار، وفى زمن الأسرة نفسها أرسل الملك « سعنخ كارع » ثلاثة آلاف رجل فقط لنفس المحاجر (٣) ، وفى عهد الأسرة الثانية عشرة أرسل حاكم المقاطعة «أمينى» أربعمائة رجل فى حروب بلاد النوبة لمساعدة الفرعون ، وستمائة رجل إلى « قفط » لحراسة قافلة لاستخراج الذهب (٤) ، وأرسل « أمنحات الثالث » جيشا مؤلفا من ألفين وخمسمائة رجل إلى «وادى حمامات»

---

(١) راجع : Pap. Anastasi I, pl. XVII; II, 3, 4 (٢) راجع : L. D., II, pl. 149 d.
(٣) راجع : L. D., II, pl. 150 a (٤) راجع : Beni Hassan Vol. I, 12; II, 14, 15.

ومعهـم ثلاثون رجلا من قاطعى الأحجار، وثلاثون بحارا ، وعشرون شرطيا من حراس الجبانة[١] ، وكذلك أرسـل قوة مقدارها ثلاثون وسـبعمائة جندى إلى مناجم وادى مغارة[٢]، ويدعى « مرنبتاح » بن « رعمسيس الثانى » أنه أرسل سـتة وسبعين وثلثمائة وتسعة آلاف جندى فى حملة على بلاد «لوبيا»[٣]، ويحتمل أنه قد أسر عددا أكبر من هـذا فى هذه الحملة، ويقال : « إن رعمسيس الثالث » ذبح فى حملة واحدة سـتة وثلاثين وخمسمائة واثنى عشر ألف رجل من العدو[٤] ، ولكن فى حملتـه الثانية لم يذبح سوى خمسة وسـبعين ومائة وألفى رجل ، وأسر اثنـين وخمسين وألف رجل[٥] ، فمن كل ما سـبق يظهر أن الجيش المصرى لم يكن ضخما ، ولا بدّ أنه كان لا يزيد على خمسة وعشرين ألفا أو ثلاثين ألف مقاتل فى أى حملة قام بهـا الفراعنة ، وكان جيش « رعمسس الثانى » فى موقعة « قادش » يتألف من أربعة فيالق بعضهم من جنود «شردانا» وهم الذين يتألف المشاة الثقال منهم، غير أنه ليس من المستطاع معرفة عددهم بالنسبة للجيش كله، كما لا يمكننا أن نعطى نسبة المشاة للفرسان، وقد ذكر لنا « مسبرو » أن جنود « خيتا » وحلفاءهم كانوا يقدّرون بنحو عشرين ألف مقاتل[٦]، ولم يكن فى استطاعة « رعمسيس » أن يغزو بلاد عدوّه بأقل من مثل هـذا العدد ، وعلى ذلك يحتمل أن قوام كل فيلق من فيالق جيشه كان نحو خمسة آلاف محارب، ويقـدّر « مسبرو » قـوّة جيش « رعمسيس الثانى » بنحو خمسة عشر ألفا أو ثمانية عشر ألف مقاتل، ولكن هذه التقديرات كلها لا تخرج عن الحدس والتخمين . ويمكن أن نتصوّر حملة «رعمسيس الثانى » على « خيتا » كما يأتى :

---

(١) راجع : L. D., II, 138 c. (٢) راجع : L. D., II, 137 c.

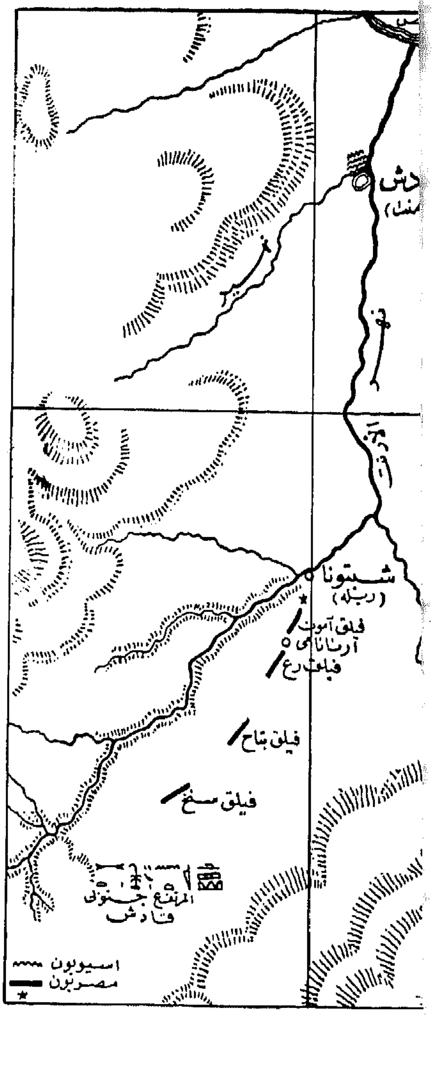
(٣) راجع : Breasted. Battle of Kadesh p. 9 (٤) راجع : Ibid. p. 10

(٥) راجع : Dumichén Hist. Inschrift. I, 26-7

(٦) راجع : Maspero Struggle of the Nations. p. 212. Note. 5

سار «رعمسيس الثانى» فى السنة الخامسة من حكمه، الشهر التاسع، اليوم العاشر (حوالى ١٧ أبريل سنة ١٢٩٦ ق . م) مجتازا حدود مصر عند قلعة « ثارو » القريبة من القنطرة الحالية على رأس جيشه الذى كان يتألف من أربعة فيالق ، فكان فيلق « آمون » الذى تحت قيادته مباشرة يتقدم الفيالق الأخرى، أما الفيالق الأخرى وهى فيلق « رع »، وفيلق « بتاح » وفيلق « ستخ » فكانت تتبعه على حسب الترتيب، ولا نعلم على وجه التأكيد الطريق التى اتخذتها هذه الجيوش فى « فلسطين » ولكن نعلم أنها وهى فى جنوبى « لبنان » كانت تسير على امتداد الطريق الساحلى ، وتشير القصيدة فى أولها إلى أن الملك كان قد نظم أول قوة لميدان من كل ضباط جنوده الخاصين حينما كانوا لا يزالون بالقرب من شاطئ أرض « آمور » (راجع .pl. 28) ، وهذه الفرقة هى التى كتب عليها فى المناظر : "وصول جنود الفرعون الشباب (نعرن) من أرض آمور" . وسنتكلم عن عمل هذه الفرقة فيما بعد . أما بلاد « آمور » فهى الجزء الساحلى من شواطئ بلاد البحر الأبيض المتوسط الذى استولى عليه فى السنين السالفة لهذه الحملة كما ذكرنا من قبل، وبالقرب منه تقع بلدة «وسرماعت رع» (مرى آمون رعمسيس ماعت) الواقعة فى وادى الأرز ، ولا نزاع فى أن هذه البلدة كانت قاعدة « رعمسيس » البحرية، ولا بدّ أنها كانت عند مصب نهر الكلب أو بالقرب منه، بجوار اللوحة التى كان قد أقامها فى هذا المكان من قبل ، وأطلق عليها لوحة «نهر الكلب» . ومن ثم أوغل «رعمسيس الثانى» وجيشه فى داخل البلاد موليا وجهه شطر «قادش» ، وهذه المدينة كما ذكرنا آنفا موحدة بالمكان المسمى «تل نبى منده» الحالى، وتحدثنا نقوش الوثائق المصرية على أن آخر مكان ضرب فيه الجيش المصرى خيامه قبل نشوب الواقعة كان على الهضبة التى جنوب « قادش » (انظر المصور) . ويقول «ميجر برن»(١) الذى ناقش تصوير الأستاذ «برستد» لهذه الواقعة من الوجهة الحربية(١) : " إن الجيش المصرى حتى هذه النقطة كان يسير بلا انقطاع مدة ثلاثين

(١) راجع : Burne. Some Notes on the Battle of Kadesh. J.E.A. VII, p. 192. & The Art of War on Land p. 36 - 47


شبتونا
(ربلة)
فيلق آمون
آرنانا مى
فيلق رع
فيلق بتاح
فيلق سخ
المرتفع جنوبى
قادش
اسيويون
مصريون

يوما ، بمعدّل ثلاثة عشر ميلا فى اليـوم " ، ولا نزاع فى أن هـذه كانت سرعة عظيمة كلفت الجنود المشاة جهدا أكثر من المعتاد ، ونعلم من جانبنا من تواريخ « تحتمس الثالث » أن أوّل حملة قام بها على «مجدو» تحدّثنا أنه ترك قلعة «ثارو» وسار بجيشه إلى « غزا » فقطع المسـافة بينهما وهى مائة وخمسة وعشرون ميلا فى عشرة أيام (أى بمعدّل اثنى عشر ميلا ونصف ميل فى اليوم) (مصر القديمة ج ٤ ص ٣٩٧) ، وبذلك نرى على حسب رأى « الميجر برن » أن سرعة سير جيش « رعمسيس الثانى » كانت تفوق سرعة جيش « تحتمس الثالث » أو تعادلهـا . ولمـا وصل «رعمسيس» إلى الهضبة الواقعة جنوبى «قادش» ضرب خيام جيشه فيها وهـذه الهضبة توجد الآن عند قلعة "الهرمل" ، وهى ضمن هضاب البقاع ، وهو الوادى المرتفع الواقع بين جبال لبنان(1)، وكان على «رعمسيس» أن يسير مسافة يوم كامل ليصل إلى «قادش»، ومن ثم سار الفرعون بجيوشه شطر الشمال فوصل جلالته جنوب مدينـة « شبتونا » (ربلة)، وكان «رعمسيس» الذى بقيادته فيلق «آمون» يسير شمالا على الشاطئ الشرقى من نهر «الأرنت»، أما الفيالق الأخرى فكانت خلفه تتبعه فى سيره على مسافات مختلفة، والظاهر — كما تدل النقوش — أن رجال الكشافة لم يكن فى مقـدورهم أن يستطلعوا مواقع العدوّ بالضبط ، وكانت الفكرة السائدة بينهـم هى أن جيش العدوّ كان لا يزال بعيدا جهة الشمال ، وعندما اقترب « رعمسيس » من مخاضة « الأرنت » الواقعة فوق بلدة « شبتونا » حضر إليه جاسوسان من العـدوّ (شاسـو) ليخبراه بأنهما ومواطنيهما كذلك يرغبون فى التخلص من جيش « خيتا » والانضمام إلى المصريين ، وأن ملك « خيتا » قد تقهقر إلى حلب فى شمالى « تونب » ، وأن العـدوّ يتوجس خيفة من أن يأتى جنوبا لمحاربة المصريين ؛ وهـذا البلاغ كان — بطبيعة الحـال — مختلقا من أساسه، إذ الواقع أن ملك « خيتا » الخاسئ كان مختبئا بعيدا عن الخطر

(١) راجع : Breasted. The Battle of Kadesh p. 19

هو وجيشه خلف مدينة «قادش» وتقول النقوش المصرية صراحة: إن العدو كان يكمن للجيش المصرى خلف مدينة «قادش» أو فى الشمال الغربى من مدينة «قادش» كما جاء فى نص البردية، وهذا هو الموقع الذى بنى عليه الأستاذ «برستد» مصوّره الجغرافى التخطيطى (انظر المصوّر) لمركز الجيوش المصرية[1]، غير أن «الميجر برن» قال: إن الشمال الغربى لا بدّ أن يكون غلطة من جانب كاتب البردية، وهذا ليس ببعيد، لأن المتون الأخرى التى على جدران المعابد لم يأت فيها تحديد الجهة، بل ذكرت كلها على أنه كان خلف «قادش» وحسب. وحقيقة الأمر أن هذا المكان بعينه هو الذى عسكر فيه «رعمسيس» بعد بضع ساعات فيما بعد فى أثناء النهار بعدما تحرك بجيشه إلى الشمال. والآن يتساءل الإنسان كيف يتسنى للمصريين أن يضربوا خيامهم دون أى حذر فى مكان قد أخلى فى الوقت نفسه من عدد عظيم من الرجال والخيل والعربات دون أن يلحظ المعسكرون الجدد أى أثر يدل على أنه كان محتلا بالعدو من قبل؟ وكذلك يتساءل «الميجر برن» كيف يتسنى لكاتب القصيدة أو التقرير أن يعرف موقع الجيش المعادى قبل أن يشتبك فى القتال؟ ولذلك يعتقد أن الشمال الشرقى هو الوضع الصحيح لا الشمال الغربى[2]، إذ الواقع أن «رعمسيس» قد عبر النهر عند «شبتونا» (ربله) متجها نحو «قادش» على الشاطئ الغربى. وعلى ذلك يحتمل أن الكاتب عندما كان يتكلم عن «خيتا» واختبائهم خلف «قادش» كان يفكر فى أنهم لا بدّ كانوا فى الشمال الشرقى من «قادش» مختفين عن أعين المصريين وراء منازل المدينة والتل المرتفع فى وسطها، يضاف إلى ذلك أن «رعمسيس» كان فى هذا الوقت معسكرا فى الشمال الغربى من «قادش». وكان جيش «خيتا» وقتئذ بلا نزاع معسكرا شرقى المدينة. وإذا كانوا كما يقول «برستد» فى الأصل فى الشمال الغربى، وكما جاء فى متن البردية فان هذا الانتقال كان يحتم نقل جيش

---

(١) راجع: Breasted A. R. Vol. III, p. 128 fig. 8

(٢) راجع: J. E. A., VII, p. 161

قوامه حوالى عشرين ألف مقاتل عبر النهر فى رائعة النهار، و يظنّ «برن» أنه كان لا يمكن ذلك فى تلك المدة الوجيزة التى ذكرت .

والواقع أن «رعمسيس» قد خانه الحظ بعدم استطاعة كشافته معرفة موقع العدوّ. هذا بالإضافة إلى أنه على ما يظهر قد صدّق ما قصه عليه الجاسوسان، وعلى ذلك سار بحرسه فى سرعة خاطفة على بلدة « قادش »، وقد كان سيره سريعا إليها لدرجة أن جيش « آمون » لم يكن فى استطاعته أن يجاريه فى السير إذ لم يكن بصحبته إلا حرسه الخاص . وقد كانت المسافة بين جيش «آمون» وجيش «بتاح» نحو ميل ونصف، فى حين كان جيش « ستخ » يتعثر فى سيره فى المؤخرة بعيدا حتى أن مؤلف القصيدة قد ذكر بإبهام أنه كان سائرا على الطريق، والواقع أنه لم يشترك فى الموقعة قط، ولا نزاع فى أن مثل هذا التوزيع للجيوش المصرية يعدّ طريقة فاشلة فى القيادة الحربيـة ، هـذا على زعم أن « رعمسيس » كان يعرف أن جيش العدوّ قريب منه . ولكن الحقيقـة أنه ظنّ أن أمير « خيتـا » الخاسئ كان على مسافة لا تقل عن مائة ميل بعيدا عنه عند «حلب» ، ولذلك كان لسير جيوشه على هذا النظام الذى يفصل بعض الفرق عن بعض مسافات ما يبرره . هذا فضلا عن أن سيرها متباعدة بعضها عن بعض يريح الجنود ، إذ يجعلهم يصلون إلى ساحة القتال دون أن يصيبهم إعياء كبير قد يؤثر على سير الواقعة .

بعـد ذلك تحدّثنا القصيدة والتقرير الرسمى على السواء أن « رعمسيس » قد وصل إلى شمالى مدينـة « قادش » على الشاطئ الغربى من نهر « الأرنت » يتبعه فيلق «آمون » وعسكر هناك وقت الظهيرة، أما فيلقا «رع» و «بتاح» فكانا وقتئذ لا يزالان يسيران على الطريق مخترقين غابة « أرنانامى »، أما فيلق «ستخ» فلم يأت له ذكر فى المتن (انظر المصوّر) .

وكان « رعمسيس » فى موقفه هـذا فى غفلة عما ينتظره من أحداث جسام، بل ظنّ أنه يحسد على ما قام به من خطط مرضية ينتظر من ورائها النصر العاجل،

ولكن آماله كلها قد تبدّدت إذ أنه فى أثناء جلوسه على أريكته الذهبية فى معسكره أحضر إليه كشافان من الأعداء، وبعد أن ضربا ضربا مبرحا ليطلقا عقال لسانيهما كى ينطقا بالحقيقة أذعنا وصدعا، فأسمعا الفرعون الأخبار المفجعة التى أنبأته أن العدوّ واقف له بالمرصاد خلف « قادش » المخادعة ، وعندئذ أخذ « رعمسيس » يكيل لجنوده اللوم والتقريع ، وفى ساعة تو بيخهم انقض العدوّ، بعد أن عبر النهر، على فيلق «رع» فى أثناء سير جنوده، نحو مكان الفرعون وقد أمر الفرعون وزيره — غير عالم بالكارثة الأخرى — أن يحث فيلقه أى فيلق « رع » على الإسراع ، وأطاع الوزير الأمر، وعندئذ وصل إلى « رعمسيس » رسول يخبره بالكارثة التى حلت بفيلق « رع »، وفى هذه اللحظة بدأ الملك الفتى يدرك الخطر المحدق به الذى جلبه عليه طيشه وتسرعه .

وعلى أثر ذلك مباشرة أخذ الفارّون من فيلق « رع » يهرعون إلى معسكر « رعمسيس » والعدوّ يطاردهم بعنف وشدّة ، وقد ساد الهلع وانتشر الفزع والرعب والتفرقة بين رجال فيلق « آمون » فأطلقوا لسيقانهم العنان مولين مدبرين مع الفارّين ، وبذلك استولى جيش « الخيتا » على معسكرهم وأخذوا ينهبون ما فيه، وفى هذه اللحظة أظهر « رعمسيس » للملأ عظمته الحقيقية إذ انتهز فرصة جشع



ضرب الجاسوسين ليقرّا بمكان موقع العدوّ

جنود العدوّ فى السلب والنهب ، وقبض على ناصية الموقف وهجم على العدو — ولم يكن معه إلا حرسه — فى أضعف نقطة بشدّة بأس وعنف بالغين حتى أنه قذف بهم فى النهر .

وقد كان فى مقدور « رعمسيس » أن يثبت فى ميدان القتال بشجاعته الشخصية حتى وصلت إليه نجدة أشار إليها المتن المصرى « بالمدد » مما جعل كفة ميزان الموقعة تميل إلى جانبه ، ولم تأت الظهيرة حتى سيطر المصريون على الموقف . على أنه — لا متن القصيدة ولا تقرير الموقعة — قد فسر لنا كنه أولئك الجنود الذين أخذوا بناصر « رعمسيس » وهم — بلا شك — لم يكونوا من أحد الفيالق السالفة الذكر .

وقد فحص الميجر « برن » هذا الموضوع بعناية واستنبط أنهم لا بدّ كانوا يؤلفون جزءا من الحامية التى كان « رعمسيس » قد تركها فى قاعدته البحرية فى السنة السالفة . وقد ساقهم معه فى سيره إلى « قادش » ، وقد ضمهم إما لمؤخرة فيلق « رع » أو جعلهم يسيرون فى مقدّمة فيلق « بتاح » ، وقد حدّد « برن » مكان هؤلاء الجنود بين الفيلقين السالفى الذكر على المصوّر الذى رسمه « برستد » ، ويظنّ أن الوزير — حين حاقت به الكارثة — قفل راجعا على جناح السرعة ليحث فيلق « بتاح » فمرّ بهم (أى جنود المدد) فى طريقه وحضهم على الإسراع قُدُما بكل ما لديهم من جهد للحاق « برعمسيس » ونجدته ، وفى الحق وصل هؤلاء الجنود فى اللحظة الأخيرة ، إذ من البدهى أن « رعمسيس » لم يكن فى مقدوره أن يقاوم أكثر مما قاوم أمام تلك الجنود الجبارة التى حشدها ملك « خيتا » عليه . غير أن هذا الرأى الذى قدّمه لنا الميجر « برن » قد عارضه الأستاذ « إدوردمير » وتناوله كذلك « جاردنر » وجاء بتفسير آخر ويتلخص فيما يأتى : جاء فى متن القصيدة بعد وصف مواقع الفرعون وفيالقه الأربعة قبل نشوب المعركة مباشرة ، وكذلك قبل ذكر حضور أمير « خيتا » فى وسط جيشه ، جملة مبهمة حشرت فى سياق الكلام وقد ترجمها « برستد » (راجع Br. A. R. III § 310)

كالآتى : "إن جلالته قد ألف الصف الأول من كل قواد جيشه حينما كانوا على الشاطئ فى بلاد آمور" . وهو يشير بذلك الى التوزيع الأول الذى قام به «رعمسيس» بين جنوده فى نقطة ما فى جنوب بلاد « لبنان » ومن ثم اتجه « رعمسيس » بجيشه فى الداخل . ويخيل لى على أية حال أن هذه العبارة لا بدّ أنها تشير الى القوّة التى صوّرت فى مناظر الموقعة على جدران المعابد كلها، وهم الذين قد حضروا على حين غفلة الى الميدان ، وعندما وجدوا معسكر الفرعون قد أحيط من كل جهة هاجموا «الخيتا» فى المؤخرة. والنقش الذى كتب عنهم هو: وصول الجنود الشبان (نعرن) — وهم صنف من الجنود فى الجيش المصرى (راجع Onomastica I, p. 171) — من بلاد « آمور » . والتفسير الوحيد لذلك هو ما قاله «إدوردمير» عندما صحح ترجمة «برستد» للجملة المبهمة السالفة الذكر بقوله : «إنهم كانوا أوّل قوّة ميدان خاصين» لا « الصف الأوّل من كل قوّاد جيشه» ، وكانوا قد اندفعوا على الساحل بعد « طرابلس » ، ومن ثم أوغلوا فى الطريق الهام التى تعبر «النهر الكبير» وتؤدّى الى «حمص» أو جاءوا عن طريق آخر على مسافة قصيرة جنوبا . ومن الطبعى أن نلحظ هنا أن « رعمسيس » كان يريد أن يبسط أمامنا معظم أعماله العظيمة التى تبرهن على شجاعته ، ولذلك لم يضع أمامنا إلا تفاصيل ضئيلة مختصرة بقدر المستطاع عن هذه القوّة التى كانت سببا فى نجاته من هزيمة ساحقة . وهذا فى الواقع هو التفسير المعقول لنجدة « رعمسيس » بالإضافة الى انصراف جنود « الخيتا » عن متابعة هزيمتهم لجنود الفرعون الى نهب معسكره وأخذ ما فيه من نفائس .

ولدينا أمر غريب لم يفسر بعد وهو ما السبب فى أن ملك « خيتا » — بعد ما أحرزه من تقدّم حتى الآن، وبعد أن كاد النصر يكون فى قبضة يمينه — لم يفكر فى إرسال فيلق مشاته ، الذى كان يبلغ ثمانية آلاف مقاتل إلى ساحة القتال، وبذلك يضمن عقد لواء النصر النهائى لنفسه؟ وقد ناقش الميجر «برن» هذه المسألة فقال :

من المحتمل أن المخاضة كانت أعمق مما يجب على المشاة مما لم يشجعه على العبور [١]، ولكنى أظنّ أن السبب الأرجح لذلك هو انعدام تلك الهبة العالية فى القائد العظيم عند ملك « خيتا » وأعنى بذلك قوة الأعصاب والعزيمة الجبارة عند ساعة الخطر، والواقع أن هجوم نجـدة الأموريين من الخلف هى التى أوقعت الرعب فى جنود « خيتا » وشتتت شملهم (راجع مواقع الجيش المصرى فى المصوّر المقابل لهـذه الصحيفة) .

وعندما خيم الظلام ، ولى الأحياء من جنود « خيتا » الأدبار نحو المدينة وكان « رعمسيس » ومدده الظافرين فى هـذا النزال . والواقـع أنه حاق « بالخيتـا » خسائر فادحة . وكان من بين القتلى كثير من أسرة الملك وموظفيه ولكنه لم يكن النصر الفاصل «لرعمسيس» وجيشه ، ولا بدّ أن الجيش المصرى قد حاقت به خسائر فادحة، غير أن النقوش لا تعترف بذلك ، وقد لخص الأستاذ « برستد » الموقف فى العبارة التالية : "على أن ما جعل النتيجة نصرا « لرعمسيس » هو إنقاذه لنفسه من الدمار الساحق ، أما أنه استولى فى النهاية على ساحة القتال فلم يضف هذا إلى النصر إلا فائدة قليلة فعلية" .

ومما هو جدير بالذكر هنا أن كشف سجل « بوغازكوى » عاصمة خيتا القديمة ودرس ماجاء فيها قد أثبت بصورة قاطعة ماجاء فى النقوش المصرية عن العلاقات التى كانت بين الدولتين، ومن هذه السجلات قطعة صغيرة من النقوش عن موقعة « قادش » نفسها مكتوبة بوجهة نظر « خيتا » [٢]، وكذلك وجد بين هذه السجلات لوحتان عليهما جزء من مسودّة المعـاهدة التى عقدت بين الدولتين [٣] وسنفحصهما

(١) راجع : J. E. A. VII. P. 194-195

(٢) راجع : Hogarth. Cambridge Ancient History II, p. 265.

(٣) راجع : Ibid. p. 266

فيما يلى . وعلى الرغم من أن نتائج موقعة «قادش» كانت منبع سرور شخصى وابتهاج « لرعمسيس الثانى » لمـا كشفت عنه من الشجاعة العاليـة والعبقرية الكامنة التى ظهرت عند اشتداد الخطوب وحرج الموقف ، فانها لم تكن من جهـة أخرى كل ما تتوق إليـه نفسه وتطمح إليـه آماله الكبار ، إذ لم يستول « رعمسيس » على « قادش » بل اضطر إلى العـودة إلى مصر دون أن يصل إلى مأربه الأصـلى ، وفضلا عن ذلك فانه فقد معظم رجال فيلق من جيشه الذى زحف به من «ثارو» . ولا نزاع فى أن هذه الحوادث كان لها أثر سيئ العاقبة بالنسبة لسمعة مصر وسيادتها فى آسيا، ولم يترك «الخيتا» هذه الفرصة تفلت من أيديهم إذ أثاروا الفتن والقلاقل فى الأملاك المصرية للقضاء على سلطانهـا، فقامت الثورات فى الإقليم الشمالى من فلسطين التى كان قد أعادها «سيتى» لمصر، ثم انتشرت الفتن جنوبا حتى أبواب المعاقل المصرية الواقعة فى الشمال الشرقى من الدلتا، وبذلك تبخرت تلك الامبراطورية التى اكتسبها « سيتى» لمصر فى آسيا فى بضع سنين قليلة، غير أن روح «رعمسيس» الحربى وحبـه للغزو اضطره أن يبدأ فتح امبراطوريته من جديد . والمصادر التى لدينا عن الحروب التى تلت موقعة «قادش» ضئيلة . هذا إلى أن ترتيب وقوعها غير مؤكد .

الثورة فى فلسطين

وكل ما نعرفه حتى الآن أنه بين السنة الخامسة، والثامنة هب كل أمراء «فلسطين» بالثورات على «رعمسيس» بتحريض من «خيتا» ولذلك اضطر إلى إعادة فتح كل أملاكه الأسيوية من جديد مبتدئا «بعسقلان» ؛ ولدينا على جدران معبد «الكرنك» منظر يمثل الهجوم على مدينة «عسقلان» ، والنقوش المفسرة للمنظر تشير إلى قيام عصيان فيها، والواقع أن «عسقلان» لم تكن المدينة الوحيدة التى شقت عصا الطاعة، بل لا بد أنها كانت فى حلف مع مدن «فلسطين» الأخرى . وفى هذا المنظر نشاهد الملك فى عربته يهاجم الأسيويين ذوى اللحى وهم مصطفون فوق شرفات المدينـة

الواقعة على مرتفع من الأرض ، ويلاحظ أن سلالم الهجوم قد نصبت ، وأن ضابطا مصريا يهدم بوابة المدينة ببلطته ، فى حين نشاهـد السكان على الجـدران يطلبون الرحمة ، وقد نقش مع منظر المدنة المتن التالى : " مدينة « عسقلان » الخاسئة التى استولى عليها جلالته عندما ثارت ، وتقول (أى المدينة) إنه لسرور أن تكون رعاياك ، وإنها لبهجة أن نعبر حدودك . خذ إرثك حتى نحدّث عن شجـاعته فى كل البلاد المجهولة " . ولم تحل السنة الثامنة من حكم « رعمسيس » حتى كان قد وصل إلى شمال « فلسطين » ثانية واستولى على مدينة « الجليـلى الغربى » . والوثيقة الوحيدة التى لدينا عن هذه الفتوح[1] هى قائمة تظهر فيها صفوف مدن ذوات شرفات يسوق فيها ضباط مصريون الأسرى . وكل مدينة نقش عليها المتن التالى : "مدينة نهبها جلالته فى السنة الثامنة" ، وبعد ذلك يذكر اسم المدينة ، غير أنه لم يبق من هذه الأسماء إلا قليل قد لخصه « مولر »[2] .

حصار « دابور » : والمكان الوحيد من بين هذه المدن الذى لا يقع غربى إقليم « الجليل » هو مدينة فى أرض «آمور» تدعى «دبور» وتقع — على ما يظهر — فى إقليم حلب على حسب أحدث الآراء[3] .

وقد مثل المفتن المصرى الاستيلاء على هذه المدينة فى صورة رائعة حية بتفاصيل شيقة على جدران معبد « الرمسيوم »[4] . وفيها يظهر أولاد « رعمسيس » يقومون بدور هام فى الموقعة (انظر ص ٢٨٢) .

والنقوش المفسرة لهـذا المنظر على الرغم من أنها تكاد تكون كلها عقود مدح للفرعون إلا أنها مع ذلك تظهر لنـا حقيقة هامة هى أن «خيتا» كانوا منذ واقعة « قادش » قد أوغلوا فى هذه الأصقاع جنوبا واحتلوا مؤقتـا بلدة « دبور » التى

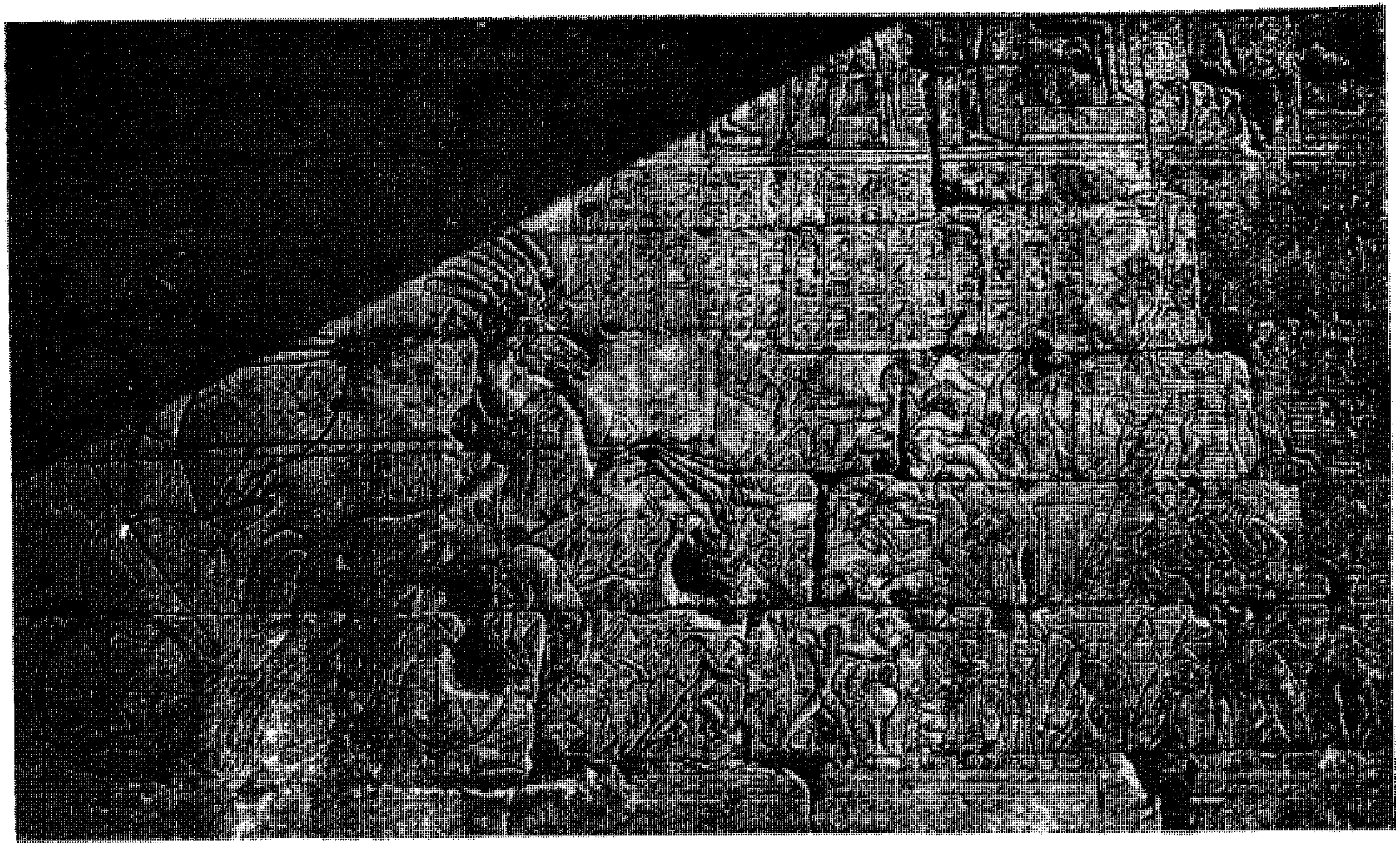
---

(١) وتقع على الجانب الغربى من البرج الشمالى للبوابة الأولى من معبد « الرمسيوم » (راجع Champ. Notices I, 870 - 1 ; L. D., III, 156 & Texte III, 127 - 8.

(٢) راجع : Muller. Asien Und Europa 220 - 222

(٣) راجع : Gardiner Onomastica I, p. 179, 189

(٤) راجع : Champ. Mon. 331 = L. D., III, 166; Br. A. R., III, § 357



حصار حصن دابور

يقصيهم عنها « رعمسيس » وتعدّ هذه البلدة أقصى بلدة فى الجنوب وصل إليها « الخيتا » فى إيغاله ، وهذا الإيغال كان بطبيعة الحال وقتيا ، إذ لم نجد لهم آثارا جنوبى «حماة» والواقع أن هذا التقدم العظيم كان له علاقة بالثورة فى فلسطين .

ومن المحتمل — فى هذه الفترة — أن إقليم شرق الأردن (أى حوران) كان قد عاد ثانية فى قبضة الفرعون «رعمسيس الثانى» ، إذ قد دوّن هناك موظف نقشا تذكاريا لنفسه مثل عليه وهو يقدّم القربان لأحد الآلهة المحلية ، ويحمل على ما يظهر اسما ساميا (١) .

أما المنظر الذى يمثل الاستيلاء على بلدة «دبور» — وهو أكبر وثيقة لدينا عن تاريخ هذه الفترة فى حروب سيتى مع «خيتا» — فيحتوى النقش التالى : "قال خاسئ «خيتا» فى مدح الإله الطيب : أعطنا النفس الذى تهب ، يأيها الحاكم الطيب ، تأمل إننا تحت نعليك ، وإن الفزع منك قد نفذ إلى أرض « خيتا » وإن أميرها قد سقط بسبب شهرتك ، وإننا مثل قطيع من الخيل عندما ينقض عليه الأسد ذو العين المفترسة ، وإنه الإله الطيب العظيم الشجاعة فى الممالك ، والقوى القلب فى ساحة القتال ، الثابت على الجواد ، والجميل فى العربة عندما يقبض على القوس ليرمى به أو يحارب يدا ليد ، الثابت الذى لا يفلت منه أحد ... والذى يرتدى الزرد الجميل فى ساحة القتال ، والذى يعود بعد انتصاره على أمير « خيتا » الخاسئ ، وعندما تغلب عليه ذرّاه مثل التبن فى الهواء حتى أنه تخلى عن مدينته خوفا منه ، وقد وضع «رعمسيس» شهرته هناك لكل يوم ، وقد كانت قوته فى أعضائه مثل النار ، وإنه ثور يناضل عن حدوده ويستولى على الأشياء التى وقعت فى قبضته ، ولم تترك يده إنسانا حيا ، وإنه عاصفة فى الممالك ، عظيم فى المعمعة ، مرسل الصاعقة على الرؤساء لتخريب مدنهم ومصير كل أماكنهم أصقاعا صحراوية ، وسهامه خلفه مثل « سخمت » عندما تنقض كالريح ... ... أرض «خيتا» الخاسئة عدوّته ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «وسر ماعت رع ستبن رع» ابن الشمس «رعمسيس» محبوب «آمون» .

وفى هذا المنظر ذكر لنا أسماء ستة من أولاده وهم : «خعموا ست» و« منتو» و«مرى آمون» و «آمون مويا» و «سيتى» ثم «ستبن رع» . ولدينا نقش آخر على قطعة من الحجر فى «الرمسيوم» تدل على أن «دبور» تقع فى إقليم «تونب» فى أرض النهرين ، إذ قد جاء فيه : "بلد خاسئ و«خيتا» الواقعة فى إقليم بلدة «تونب» فى أرض نهرين" وقد ظهر فى الصورة أن المدافعين عن البلد كانوا من « خيتا » .

(١) راجع : Zeitschrift des Deutschen Palestina Vereins XIV, p. 142 ff.

ومن ثم نعلم أن «رعمسيس» أوغل فى بلاد «نهرين» التى كانت تحت سيطرة «خيتا»، وفى نهاية هذه الحروب التى دامت ثلاث سنوات أصبح «رعمسيس» يمدّ سلطانه على البلاد التى كانت تحت قبضته بعد موقعة «قادش»، بل زاد عليها، غير أن هذه البلاد التى استولى عليها من «خيتا» لم تكن تحت الحكم المصرى تماما، بل كان يحكمها حكام من «خيتا» بإشراف «رعمسيس».

وعلى حسب قائمة فتوح «رعمسيس» نجد أنه قد استولى على بلاد «نهرين» و«رتنو» السفلى (شمالى سوريا) و«إرواد» وبلاد «كفتيو» و«قطنة» على نهر «الأرنت»، وخلاصة القول أن «رعمسيس الثانى» بعد أن ارتكب غلطته الطائشة فى بادئ حروبه مع «خيتا» عندما سار بجيشه وألقى بنفسه ببراءة وسذاجة فى الفخ الذى نصب له عند «قادش» أصبح — بعد أن حنكته التجارب وصهرته ميادين القتال وحيل الأعداء وثوراتهم العديدة — جنديا ثابت الجنان، واسع الحيلة مما جعله فى نظر جيرانه «الخيتا» خطرا حقيقيا على دولتهم فى سوريا.

وبعد حروب دامت أكثر من خمسة عشر عاما مات «مواتالو» ملك «خيتا» أوقتل على حسب بعض الآراء وخلفه على العرش أخوه «خاتوسيل» وكان سياسيا قديرا، ففطن فى الحال إلى أن سقوط دولة «متنى» قد عرضت حدود بلاده الشرقية لهجوم «آشور» القوية، فعمل على أن تكون علاقاته مع «بابل» علاقة سلم ومهادنة، ثم شرع فى اتخاذ التدابير لإنهاء الحرب بينه وبين مصر، ولذلك نجده قد طلب إبرام معاهدة مع مصر قوامها السلم الدائم والودّ الأكيد كما سنرى.

والواقع أننا نعلم أنه على الرغم من هذه الانتصارات لم يكن فى مقدور «رعمسيس» أن يضم إلى أملاك مصر — لا شمالى سوريا، ولا وادى نهر «الأرنت»، ولا معظم أراضى «آمور». ولم يستطع أن يبقى تحت سلطانه الفعلى إلا بلاد «فلسطين» وإقليم «لبنان».

(١) راجع : Gardiner Onomastica I, 179

وقد وصلتنا بردية[1] تحدّث عن جنوبى «سوريا» وفلسطين من الوجهة التجارية، ومنها نعلم أن «سميرا» كانت تدعى باسم «رعمسيس الثانى» «سميرا سسو» و«سسو» تصغير اسم «رعمسيس الثانى» وذلك يبرهن على أن هذا الحصن كان ضمن أملاك مصر وبذلك بقى نهر «الكلب» الحدّ الفاصل لأملاك مصر فى آسيا[2].

معاهدة التحالف التى أبرمت بين «خاتوسيل» ملك خيتا وبين الفرعون «رعمسيس» الثانى

مقدّمة : لقد كان لنشر سجلات مملكة «خيتا» التى كشف عنها فى «بوغازكوى» الأثرى «هوجو فنكلر» فى أثناء الحرب العالمية الأولى أهمية عظمى للتاريخ العالمى، إذ جعلت من السهل قرن الرواية المسمارية بالرواية المصرية بالتفصيل للمعاهدة الشهيرة التى أبرمت بين الملك «خاتوسيل» ملك «خيتا» و«رعمسيس الثانى» فرعون مصر، والواقع أن علم الآثار — وما احتواه من حوادث عجيبة — ليس لديه مايسديه للعالم من مصادفات عجيبة مفيدة خارقة للمألوف أكثر من الكشف فى قلب آسيا الصغرى التى تبعد نحو ألف ميل عبر البحر الأبيض المتوسط عن هذه اللوحات المصنوعة من الآجر التى نقش عليها باللغة والكتابة البابلية نفس المعاهدة التى خلد ذكرها «رعمسيس الثانى» على لوحتين باللغة المصرية القديمة فى معبدى «الكرنك» و«الرمسيوم» «بطيبة».

ولما كانت قصة هذا الكشف غير معروفة لمعظم المصريين فانى سأعرضها هنا ببعض الاختصار قبل أن أتناول الكلام عن المعاهدة نفسها من الوجهة التاريخية والسياسية، والواقع أن «شامبليون» عندما أخذ فى حل رموز النقوش التى على المعابد المصرية وجه عناية خاصة للمتون والنقوش الخاصة بحروب «رعمسيس الثانى» مع قوم سماهم «شيتو»، وكانت نتائج هذه الحروب معاهدة نقشت

(١) راجع : Pap. Anastasi I, 18, 8

(٢) راجع : Ed. Meyer, Cesch II, 1. p. 471

شروطها التامة باللغة المصرية على لوحتين عظيمتين فى معبدى « الكرنك » و « الرمسيوم » على التوالى .

وقد نقل كلتيهما « شامبليون »[١] غير أنه لم يفهم مضمون ما جاء فى النقوش وكان أوّل من فهمها تلميذه «روز-لليني» ، إذ كان أوّل من حاول ترجمتها كلها[٢] . ومنذ ذلك العهد لم يقم أحد من علماء الآثار بنقل هاتين اللوحتين نقلا علميا واضحا ، وأحسن طبعة لدينا لها هى التى قام بوضعها « مولر » عام ١٩٠٢[٣] ، وقد وضع لهذه المعاهدة الأستاذ « برستد » ترجمة لا بأس بها[٤] ، وقد كان « شامبليون » يميل إلى توحيد ما نسميه أهل « شيتو » « بالسيثين » . وفى عام ١٨٥٨ ذهب « بروكش » إلى أن هؤلاء القوم هم « الخيتيون » الذين ذكروا فى التوراة[٥] .

على أن ما كان ظنا من جانب « بروكش » قد تحوّل تدريجا حقيقة ، إذ أخذت تظهر آثار « خيتا » شيئا فشيئا فى شمالى سوريا وآسيا الصغرى ، فقد كشفت لنا خطابات « تل العمارنة » عن وجود مملكة خيتية عظيمة كان حكامها المحاربون يوغلون جنوبا نحو « فينيقيا » و « فلسطين » فى عهد « أمنحتب الثالث » وخلفه «أخناتون» ، وأخيرا كشف « هوجوفنكلر » عام ١٩٠٦ عن عاصمة أهل «خيتا» أنفسهم وهى مدينة «خاتوشا» الشاسعة التى قامت على أنقاضها مدينة «بوغازكوى» فى محيط نهر« هاليس» ، فقد عثر فى مخازن أكبر قصور هذه المدينة وفى مكان آخر على عدّة لوحات من الآجر ، دل البحث على أنها سجلات وزارة الخارجية لدولة « خيتا »[٦] ، وكل هذه اللوحات مكتوبة بالخط المسمارى ، ولكن فى كثير منها كانت

(١) راجع : Champ. Notices Desc. II, pp. 195

(٢) راجع : Monumenti Storici Vol. III, Part II, pp. 268-82

(٣) راجع : Der Bundnisvertrag Ramses II, und des Chetiterkonig in Metteilungen der Vorderasiatischin Gesellschaft (1902) 5. W. Keiser Berlin.

(٤) راجع : Br. A. R. III, §§ 367

(٥) راجع : Brugsch Geographische Insch. II, p. 20

(٦) راجع : Ed. Meyer Reich und Kultur der Chetitér pp. 127 ff.

لغتها هى التى يتكلم بها أهل « خيتا » ، وكانت المراسلات فى تلك الأيام تكتب باللغة « البابلية » ، فكان مثلها كمثل اللغة الفرنسية فى أيامنا تستعمل فى المخابرات السياسية وإبرام المعاهدات مع الممالك المجاورة . وقد كان « ڤنكلر » أوّل من فطن إلى وجود نص معاهدة « رعمسيس الثانى » مع « خيتا » بين لوحات « بوغازكوى » ، غير أن المتن لم يفسر كاملا إلا عام ١٩١٦ أى بعد عشر سنين من الكشف عنه . والواقع أنه وجدت بين هذه اللوحات قطعتان عليهما جزءان من نصوص المعاهدة وقد كتبتا بلهجة كنعان البابلية ، وعلى الرغم من وجود بعض اختلافات عن النص المصرى ، فإن الفحص دل على أن نقوش « بوغازكوى » هى الأصل الذى ترجم عنه إلى المصرية ، وقد قام بعض العلماء بترجمة هذه النصوص وموازنة بعضها ببعض ، وآخر ترجمة يعتمد عليها حتى الآن هى ماوضعه الأستاذ « لنجدن Langdon » للأصل الخيتى ، وترجمة الأستاذ « جاردنر » للنص المصرى . (راجع J. E. A· Vol. 6. p. 179 ff.) .

نص المعاهدة فى اللغتين

مقدّمة إيضاحية (بالمصرية فقط) :

(١) السنة الحادية والعشرون ، الشهر الأوّل من فصل الشتاء ، اليوم الواحد والعشرون فى حكم عهد جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « وسرماعت رع ستبن رع » بن « رع » « رعمسيس مرى آمون » معطى الحياة أبدا ومخلدا ، محبوب « « آمون رع » و « حوراختى » و « بتاح جنوبى جداره » ، سيد « عنخ تاوى » والإلهة « موت » سيدة « إشرو » و « خنسو نفرحتب » الذى اعتلى عرش « حور » الأحياء مثل والده « حوراختى » مخلدا وسرمديا .

(٢) فى هذا اليوم عندما كان جلالته فى بلدة « بر رعمسيس مرى آمون » يعمل مايسر والده « آمون رع » و « حوراختى » و « آتوم » رب أرض « هيليو بوليس » و « آمون » و « رعمسيس مرى آمون » و « بتاح رعمسيس مرى آمون » و « ستخ » عظيم الشجاعة ابن « نوت » بقدر مايعطونه أعيادا ثلاثينية لا عداد لها ، وأبدية سنين سلم ، وكل البلاد وكل الممالك الجبلية تحت نعليه سرمديا ، (فى هذا اليوم) أتى رسول الملك والقائد نائب (الفرعون) ... ورسول الملك ... « وسرماعت رع ستبن رع » ... « تشب » ورسول « خانى » ... حاملا (اللوحة الفضية التى) أمرنا باحضارها رئيس « خيتا » العظيم « خاتوسيل » إلى الفرعون ليرجو الصلح من جلالة « وسرماعت رع ستبن رع » ابن « رع » « رعمسيس مرى آمون » معطى الحياة مخلدا وسرمديا مثل والده « رع » يوميا .

التعليق : هذه المقدّمة تكاد تعدّ صورة تقليدية فى النقوش المصرية التاريخية ، إذتبدأ بالتاريخ والألقاب ، ثم يأتى بعد ذلك المقر الذى يسكنه الفرعون ، وما يقوم بعمله عندما ينظر فى الأمر الذى يعرض عليه . وتاريخ اللوحة وهو العام الواحد والعشرون مهم بطبيعة الحال ، وكان « رعمسيس » كما جرت العادة يقطن فى عاصمته الشمالية « بررعمسيس » (قنتير الحالية) . ومما يؤسف له هنا أن الفقرة التى ذكر فيها أسماء رسل ملك « خيتا » وجدت مهشمة ولا يمكن استنباط شئ منها . والظاهر أن اسمى الضابطين الحربيين اللذين يحتمل أنهما كانا القائدين على الحدود المصرية ، هما اللذان صحبا رسول ملك « خيتا » إلى حضرة الفرعون . هـذا وتدل ألفاظ المقدّمة على أن بلاد « خيتا » كانت تطلب صلحا ، ولكن الواقع أن الرسل قد حضروا لعقد معاهدة ومحالفة مع ملك مصر كما سنرى بعد .

عنوان للترجمة المصرية : صـورة من اللوحة الفضية التى أمر باحضارها رئيس « خيتا » العظيم « خاتوسيل » إلى الفرعون على يد رسـوله « ترتشوب Tartesub » ورسـوله « رع موسى » رجاء الصلح من جلالتـه « وسرماعت رع ستبن رع » (ابن رع) « رعمسيس مرى آمون » ثور الحكام ، ومن يقيم حدوده حيث يريد فى كل أرض . وتدل عبارة « رجاء الصلح » على أن النص هنا فى أصله مصرى لأنه تعبير مصرى صريح .

ديباجة المعاهد الحقيقية

المتن المصرى : المعاهدة التى عقدها أمير « خيتا » العظيم « خاتوسيل » القوى ابن « مورسيلى Mursili » رئيس « خيتا » العظيم القوى ابن ابن « شوبيليوليوما » رئيس « خيتا » العظيم على لوحة من الفضة لأجل « وسرماعت رع ستبن رع » حاكم مصر العظيم القوى ابن « من ماعت رع » حاكم مصر العظيم القوى ابن ابن « من حتى رع » (رعمسيس الأوّل) حاكم مصر العظيم القوى : المعاهدة الطيبة للسلام والإخاء والتى تهب السلام والإخاء (؟) ... بيننا بوساطة معاهدة (؟) « خيتا » مع مصر أبديا .

المتن الخيتى البابلى

وهكذا يكون ، فإن « رياماساسا ماى أمانا » الملك العظيم ملك مصر القوى قد أبرم هدة مع « خاتوسيل » الملك العظيم ملك أرض « خيتا » أخيه لأجل أن يمنح صلحا وحسن إخاء ، وليحصل على مملكة (؟) عظيمة بينهما ما دمنا[1] أحياء إلى الأبد .

(١) يلاحظ هنا عدم الدقة فى استعمال الضمائر .

المتن المصرى	المتن الخيتى البابلى
	« ريا ماساسا ماى أمانا » ملك مصر العظيم القـوى فى كل الأراضى ابن « منمـواريا » الملك العظيم ملك مصر القوى ابن ابن «منباخيريتاريا » الملك العظيم ملك مصر القوى إلى « خاتوسيل » الملك العظيم ملك أرض «خيتا» القوى ابن «مورسيل» الملك العظيم ملك أرض «خيتا» القوى ابن ابن «شو بيليوليو ما » الملك العظيم ملك أرض « خيتا » القوى ، انظر الآن فانى أقدّم إخاء حسنا وسلاما حسنا بيننا إلى الأبد ، لأجل أن تعطى سلاما طيبا و إخاء حسنا بتحالف مصر مـع « خيتا » إلى الأبد ، وهكذا يكون .

التعليق : يلاحظ هنـا أن المتنين كليهما متفقان فى محتوياتهما كما أنه يوجد تشابه فى التعبير والفـرق الرئيسى فى المتنين أن المتن الخيتى يذكر نسب الملك إلى الجد الثانى .

٢ — المعـاهدة تـدل على استئنـاف العلاقات الودية القديمة بين البلدين

المتن المصرى	المتن الخيتى البـابلى
والآن فى الزمن السالف منـذ الأبدية فيا يخص سياسة حاكم مصر العظـيم ، ورئيس « خيتا » العظيم فان الإله لم يسمح بخصومة تحـدث بينهما وذلك بوساطة معاهدة ، ولكن فى عهـد « مواتالو » رئيس « خيتا » العظـيم أخى تحارب مع « رعمسيس مرى آمون » ملك مصر العظيم ، ولكن بعد ذلك من ابتداء هذا اليوم تأمل ! فان « خاتوسيل » رئيس « خيتا » العظيم أصبح فى معاهـدة لأجل أن تكون السياسة التى عملها « رع » والتى عملها « ستخ » دائمة لأرض مصر مع أرض « خيتا » حتى لا يسمح بقيام مناوشات بينهما أبدا .	تأمل سـياسة الملك العظيم ملك مصر ، والملك العظيم ملك « خيتا » منـذ الأبدية ، فان الإله لم يسمح بقيام خصومة بينهما وذلك بوساطة معاهـدة سرمدية ... ... تأمـل ! « رياما ساسا ماى أمانا » الملك العظيم ملك مصر فإنه لأجل أن يجعل السياسة التى عملها «شاماش» و « تشب » لمصر مع أرض « خيتا » بسبب سياسته التى كانت منذ الأبد آثمـة ؟ (فإنه لن يكون خصام أو عداء بينهما إلى الأبد و إلى الزمن السرمدى) .

٣ — اعلان المعاهدة الجديدة

المتن المصرى

تأمل ! إن « خاتوسيل » رئيس « خيتا » العظيم قد جعل نفسه فى معاهدة مع « وسرماعت رع » « ستبن رع » ملك مصر العظيم ، وقد ابتدأ بهذا اليوم فأمر بإبرام صلح طيب و إخاء حسن بيننا أبدا ، وأنه فى إخاء معى وفى صلح معى و إنى فى رضى معه وفى صلح معه أبدا .

ومنذ أن أسرع « مواتالو » رئيس « خيتا » العظيم أخى إلى قدره (توفى) وأخذ مكانه « خاتوسيل » رئيسا عظيما « لخيتا » على عرش والده ، تأمل ! لقد أصبحت مع « رعمسيس مرى آمون » حاكم مصر العظيم ، نحن معا فى صلحنا و إخائنا ، و إنه لأفضل من الصلح والإخاء السابقين اللذين كانا فى الأرض (بين البلدين) . تأمل ! إنى بوصفى رئيس « خيتا » العظيم مع «رعمسيس مرى آمون» حاكم مصر العظيم فى صلح طيب وفى إخاء حسن ، و إن أولاد أولاد رئيس «خيتا» العظيم سيكونون فى صلح و إخاء مع أولاد أولاد « رعمسيس مرى آمون » ملك مصر العظيم ، وأنهم سيكونون فى سياستنا الأخوية ، وسياستنا السلمية ، وأرض مصر ستكون مع أرض « خيتا » فى سلام وفى إخاء مثلنا أبدا ، و إن التخاصم لن يقوم بينهما سرمديا .

المتن الحيثى البابلى

إن « رياماساماساى — أمانا » الملك العظيم ملك مصر قد جعل نفسه فى معاهدة على لوحة من الفضة ، مع « خاتوسيل » الملك العظيم ملك أرض « خيتا » أخيه منذ هذا اليوم ليقدم صلحا طيبا و إخاء حسنا بيننا أبدا ، و إنه أخ لى وفى مهادنة معى ، و إنى أخ له وفى مهادنة معه أبدا .

وقد عقدنا إخاء وسلاما وحسن نية أفضل من الإخاء والسلام الذى كان فى الأزمان السالفة بين مصر و « خيتا » .

تأمل ! إن « رياماساماساى — أمانا » الملك العظيم ملك مصر فى سلام طيب و إخاء حسن مع « خاتوسيل » الملك العظيم ملك أرض « خيتا » .

تأمل ! إن أولاد « رياماساماساى — أمانا » ملك مصر سيكونون فى صلح و إنهم إخوة مع أولاد « خاتوسيل » الملك العظيم ملك أرض « خيتا » أبدا ، و إنهم سيكونون على حسب سياستنا فى إخائنا ومهادنتنا ، و إن مصر مع الأرض « خيتا » فى وئام و إنهما أخوان مثلنا أبدا .

٤ — تبادل الثقة بالنسبة للغزو

المتن المصرى

ولن يعتدى رئيس « خيتا » العظيم على أرض مصر أبدا بأخذ أى شىء منها ، ولن يعتدى « وسر ماعت رع ستبن رع » حاكم مصر العظيم على أرض « خيتا » لأخذ أى شىء منها أبدا .

المتن الخيتى البابلى

ولن يعتدى « رياما ساسا ماى — أمانا » الملك العظيم ملك مصر على أرض « خيتا » لأخذ أى شىء منها أبدا ، ولن يعتدى « خاتوسيل » الملك العظيم ملك أرض « خيتا » على مصر بأخذ أى شىء منها أبدا .

٥ — التجديد الرسمى للمعاهدة السابقة

أما عن المعاهدة الرسمية التى كانت فى عهد « شوبيليو ليوما » رئيس « خيتا » العظيم ، وكذلك المعاهدة الرسمية التى كانت فى عهد « مواتالو »[(١)] ؟ رئيس « خيتا » العظيم والدى فإنى أحافظ عليها — تأمل ! فإن « رعمسيس مرى آمون » حاكم مصر العظيم يحافظ على السلم الذى تعلمه (؟) معنا ، كذلك منذ هذا اليوم ، وسنعمل على حسب هذه السياسة المحكمة .

المتن الخيتى البابلى

تأمل ! المرسوم الأبدى الذى أصدره « شماش » و « تشوب » لمصر وأرض « خيتا » للهادنة والمؤاخاة ، حتى لا تقوم مخاصمة بينهما .

وتأمل ! « رياما ساسا ماى — أمانا » الملك العظيم ملك مصر يتسلمه لأجل أن يبرم صلحا منذ هذا اليوم ، وتأمل ! إن مصر و « خيتا » فى سلام وهما إخوة أبدا .

(١) المقصود هنا هو « مورسيلى » .

٦ — الشروع فى معاهدة دفاعية

المتن المصرى

فإذا أتى عدو آخر لأراضى « وسر ماعت رع ستبن رع » حاكم مصر العظيم ، وأرسل إلى رئيس « خيتا » العظيم قائلا : " تعالى معى مساعدا عليه " ، فإن على رئيس « خيتا » العظيم أن يأتى إلىّ ، وينبغى على رئيس « خيتا » العظيم أن يذبح عدوّه ، ولكن إذا لم يكن لرئيس « خيتا » العظيم رغبة فى المجىء ، فعليه أن يرسل خيالته ويذبح عدوّه .

المتن الحيتى البابلى

وإذا أتى عدوّ آخر على أرض « خيتا » وأرسل إلىّ « خاتوسيل » ملك بلاد « خيتا » العظيم قائلا : تعال إلىّ لمساعدتى عليه فعلى « رياماساسا ماى — أمانا » الملك العظيم ملك مصر أن يرسل جنوده وعرباته ، ويجب أن يقتل عدوّه ويعيد الثقة (؟) إلى أرض « خيتا » .

٧ — العمل المتبادل الذى يتخذ ضد الرعايا الثائرين

المتن المصرى

أو إذا غضب « رعمسيس مرى آمون » ملك مصر العظيم على خدم له ، وارتكبوا جريمة أخرى ضدّه ثم ذهب لقتل عدوّه ، فإن رئيس « خيتا » العظيم يجب أن يعمل معه للقضاء على كل فرد سيغضبان عليه .

المتن الحيتى البابلى

وإذا (غضب) « خاتوسيل » الملك العظيم ملك أرض « خيتا » على خدم له ، وارتكبوا ذنبا ضدّه ، وأرسل إلى « رياما ساسا » الملك العظيم ملك مصر بهذا الخصوص ، فإن جنود وعربات « رياما ساسا ماى — أمانا » يجب أن ترسل فى الحال وتقضى على كل من أصبحت غاضبا عليه .

٨ — مادة متبادلة تقابل المادة ٦

المتن المصرى

ولكن إذا أتى عدو آخر ضد ملك « خيتا » العظيم، فإن حاكم مصر العظيم « وسر ماعت رع ستبن رع » يجب أن يأتى إليه مساعدا لقتل عدوه (ولكن) إذا لم تكن رغبة « رعمسيس مرى آمون » حاكم مصر العظيم فى أن يأتى فإنه ... ... « خيتا » (ويجب أن يرسل جنوده وخيالته)، هذا عدا إرسال رد لأرض « خيتا ».

المتن الخيتى البابلى

(وإذا) أتى عدو آخر ضد مصر، وأرسل « رياما ساسا ماى — أمانا » ملك مصر إلى أخيه « خاتوسيل » ملك أرض « خيتا » قائلا: تعال تعال لمساعدتى عليه، فإنه على « خاتوسيل » ملك أرض « خيتا » أن يرسلّ فى الحال جنوده (وعرباته)، وعليه أن يذبح عدوّى.

٩ — مادة متبادلة تقابل المادة ٦

المتن المصرى

ولكن إذا تعدّى خدم رئيس « خيتا » العظيم عليه و « رعمسيس مرى آمون » حاكم مصر العظيم ... ...
... ...

المتن الخيتى البابلى

وإذا أصبح « رياما ساسا » الملك العظيم ملك مصر غاضبا على خدام له ثمّ ارتكبوا إثما ضدّه، وأرسل إلى « خاتوسيل » ملك « خيتا » أخى بخصوص ذلك فعندئذ يجب على « خاتوسيل » الملك العظيم أن يرسل لملك مصر جنوده وعرباته، وأن يقضى عليهم كلهم، وإلى « سا ... ... (؟)

١٠ — مادة خاصة بالوراثة

المتن الحيثى البابلى

(٤٠) وتأمل ! إن ابن «خاتوسيل» ملك أرض « خيتا » (المعاهدة التى أبرمناها (؟) ... ...) (٤١) فى قصر «خاتوسيل» والده بعد سنين ... ... (٤٢) ... ... أرض قد ارتكبوا جريمة ... ... (٤٣) ... ... عربات حيث كنت سأعود ... ... (٤٤) ... ... فى أرض « خيتا » (؟) ... ...

المتن المصرى

... ... أرض « خيتا » وأرض مصر ... ... (٢٠) ... ... الحياة على فرض إنى سأذهب إلى مصيرى ، وبعد ذلك فإن « رعمسيس مرى آمون » حاكم مصر العظيم عائشا أبديا سيعمل ؟ ... آتيا إلى أرض « خيتا » ... ... ليجعله يعمل (؟) ... ... (٢١) ... ... هم (؟) ليعملوه لأنفسهم ليسيطروا حتى يجعل « وسرماعت رع ستبن رع » ملك مصر العظيم يصمت بفمه أبدا ، وبعد ... أرض « خيتا » ويرجع (؟) لينصب رئيس « خيتا » العظيم وكذلك ... ...

تعليق : يلاحظ أنه عند هذه النقطة أصبح كل من المتنين مهشما حتى أن ما يفهم منهما لا يخرج عن الحدس والتخمين فحسب . ويظن الأثرى « ميسنر Meissner » أن المتن البابلى يشترط أن يعترف « رعمسيس » بأن وارث « خاتوسيل » هو الابن الذى اختاره الأخير مدة حياته ، وبرهن على ذلك باقتباس ما جاء فى معاهدة عقدت بين ملك « خيتا » و « شوناشورا » ملك « كزواتنا » . أما المتن المصرى فإن الكلمات الحساسة فيه التى قد سيء فهمها حتى الآن تميل للأخذ بهذا الرأى ، وإن كان واضحا أن كلا من الروايتين يختلف عن الأخرى فى التفسير اللفظى ، وما تبقى من المتن المصرى يمكن الإنسان من الظن بأن « خاتوسيل » كان يفكر فى حالة موته أن « خيتا » بلاده قد تنتخب حاكما لها لم يكن على حسب اختياره .

١١ — تسليم الفارين من المذنبين العظم

المتن المصرى : إذا فر رجل عظيم من أرض مصر وجاء إلى أراضى رئيس « خيتا » العظيم أو إلى بلد (أو مركز ...) تابع لأراضى « رعمسيس مرى آمون » حاكم مصر العظيم، وأتى إلى رئيس « خيتا » العظيم فعلى رئيس « خيتا » العظيم ألا يستقبله بل يجعله يعاد إلى « وسر ماعت رع ستبن رع » حاكم مصر العظيم سيده بسبب ذلك (أى فراره) .

ومن هذه النقطة فى المعاهدة ليس لدينا إلا المتن المصرى، غير أن التشابه بين ما جاء فيه وما سبقه من المتون الخيتية ظاهر .

١٢ — تسليم الفارين من صغار المذنبين

إذا فر رجل أو رجلان غير معروفين (٢٣) وأتوا إلى أرض « خيتا » ليكونوا عبيدا لفرد آخر فيجب ألا يقيموا فى أرض « خيتا »، بل يجب أن يرسلوا إلى « رعمسيس مرى آمون » حاكم مصر العظيم .

١٣ — مادة متبادلة تقابل المادة الحادية عشرة

أو إذا هرب رجل من أرض « خيتا » وأتى إلى أراضى « وسر ماعت رع ستبن رع » حاكم مصر العظيم أو إلى بلدة أو مركز أو (٢٤ ...) تابع لأرض « خيتا » وأتوا إلى « رعمسيس » محبوب « آمون » حاكم مصر العظيم، فعلى « وسر ماعت رع ستبن رع » (أى رعمسيس) حاكم مصر العظيم ألا يستقبلهم، بل عليه أن يجعلهم يرسلون إلى رئيس ... ... ويجب ألا يبقوا .

١٤ — مادة متبادلة تقابل المادة الثانية عشرة

وكذلك إذا ذهب رجل أو رجلان ليسا بمعروفين إلى أرض مصر ليكونوا رعايا لآخرين، فعلى « وسر ماعت رع ستبن رع » حاكم مصر ألا يتركهم، بل يجب عليه أن يأمر باحضارهم إلى رئيس « خيتا » العظيم .

١٥ — آلهة خيتا ومصر شهود فى المعاهدة

وألفاظ المعاهدة التى أبرمها رئيس « خيتا » العظيم مع « رعمسيس » محبوب « آمون » حاكم مصر العظيم كتابة على هذه اللوحة الفضية، قد شهد كلماتها معى عليها ألف إله من الذكور والهات من الإناث من آلهة أرض مصر السامعين لهذه الكلمات (أى كلمات المعاهدة) وهم : « برع » رب السماء، و « برع » بلدة « أرينا »، و « ستخ » رب السماء، و « ستخ » رب « خيتا »، و « ستخ »

رب « أرينّا » ، و « ستخ » إله بلدة « زبالاندا » ، و « ستخ » إله بلدة « بتيارك » ، و « ستخ » إله بلدة « جيشا شابا » ، و « ســتخ » إله بلدة « سارشا » ، و « ســتخ » إله بلدة « حلب » ، و « ستخ » إله بلدة « لخزن » ، و « ستخ » إله بلدة ... ، و « ستخ » إله بلدة ... ، و « ستخ » إله بلدة « سمس » ؟ ، و « ستخ » إله بلدة « سبخن » ، و « عشتارت » صاحبة أرض « خاتى » ، وإله « زيخار ياش » ، وإله « كارزيش » ؟ ، وإله « خابنتار ياش » ، وإلهة « كارخنا » ، وإلهة بلدة « صــور » ، وإلهـــة ... ، وإلهة « زن » (؟) ، وإله « بنت » (؟) ، وإله ... ، وإله « خبت » (؟) ، وملكة السماء ، والآلهة أرباب القسم ، وهــذه الإلهة سيدة الأرض ، وسيدة القسم « إشخارا » ، وسيدة ... ، وجبال وأنهار أرض « خاتى » ، وآلهة أرض « كزواتنا » ، و « آمون » ، و « برع » ، و « ستخ » ، والآلهة الذكور ، والإلهات الإناث ، وجبال مصر وأنهارها ، والسماء والأرض ، والبحر العظيم ، والرياح والسحاب .

ومما تجدر ملاحظته فى هذه المــادّة من المعاهدة ، أن تفصيلها فى مجموعه مصبوغ بالصبغة البابلية الخيتية ، غير أن الكلمات الافتتاحية هنــا نجد لها صورة معروفة فى المعاهدات الخيتية ، أما عن الآلهة الذين جاء ذكرهم هنا ، فيلاحظ أن معظم المدن التى كانوا يعبدون فيهــا مهشمة أو مبهمة ، وبخاصة الإله « ســتخ » الذى يقابل عند الخيتيين الإله « تشب » رب السماء .

أما الإله « برع » رب السماء المصرى ، فيقابل « برع » ربة بلدة « إرنن » وهى الإلهة الحامية لأرض « خيتــا » ، وبلدة « إرنن » موحدة ببلدة « أرينّا » على نهر « ساروس » فى « كبادوشيا » بآسيا الصغرى .

١٦ — اللعنات على الذين ينقضون هذا العهد والرحمات على الذين يحافظون عليه

أما الكلمات التى على هذه اللوحة الفضية الخاصة بأرض « خيتا » وأرض « مصر » فان من لا يرعاها ينقض ألف إله من آلهة أرض « خيتا » ، وألف إله من آلهة أرض مصر سيخرب بيته وخدمه ، أما من يرعى هــذه الكلمات التى على هــذه اللوحة الفضية خيتيين أو مصريين ، وكذلك من لا يهملها ، فان ألف إله من آلهة أرض « خيتا » وألف من آلهة أرض مصر سيجعلونه معافى ، ويعيش مع بيوته وأرضه وخدمه .

١٧ — العفو عن الأشخاص المذنبين الهاربين

إذا فر رجل من أرض مصر أو رجلان أو ثلاثة رجال ، وأتوا إلى رئيس « خيتا » العظيم ، فإن رئيس « خيتا » العظيم ينبغى عليه أن يقبض عليهم و يأمر باعادتهم إلى « وسر ماعت رع ستبن رع » حاكم مصر العظيم ، أما الرجل الذى سيحضر إلى «رعمسيس» محبوب «آمون» حاكم مصر العظيم فيجب ألا توجه إليه جريمة ، ولن يضارّ فى بيته وزوجته أو يقضى على أطفاله ، ويجب ألا يقتل ، وألا يضارّ فى عينيه أو أذنيه أو فمه ، أو ساقيه ، ويجب ألا توجه أية جريمة إليه .

١٨ — مادة متبادلة مع المادة السابعة عشرة

وكذلك إذا فـرّ رجل من أرض «خيتا» أو اثنان أو ثلاثة ، وأتوا إلى «وسر ماعت رع ستبن رع» حاكم مصر العظيم ، فعلى «رعمسيس» محبوب « آمون » أن يأمر بارسالهم لرئيس «خيتا» العظيم وعلى رئيس « خيتا » العظيم ألا يوجه إليهم تهمة جريمتهم ، كما ينبغى ألا يقضى على بيته وأزواجه أو أطفاله ، ويجب ألا يقتل ولا يضارّ فى أذنيه أو عينيه أو فى فمه أو ساقيه ، ويجب ألا توجه أية جريمة نحوه .

١٩ — وصف اللوحة الفضية

ما يوجد فى وسط اللوحة الفضية على واجهتها الأمامية : منظر (؟) يحتوى صورة الإله «ستخ» يضم صورة أمير «خيتا» العظيم محاطا بمتن(؟)جاء فيه : خاتم «ستخ» حاكم السماء وخاتم المعاهدة التى أبرمت بين « خاتوسيل » رئيس « خيتا » العظيم القـوى ابن « مورسيلى » رئيس « خيتا » العظيم القـوى . أما ما يوجد داخل الإطار المحيط بهـذا المنظر فهـو : " خاتم [ستخ حاكم السماء] " . وعلى الجانب الآخر : منظر يحتـوى على صورة إلهـة « ختى » تضم صـورة رئيسة « خيتا » يحيط بها متن ينص : " خاتم « برع » ربة بلدة « أريّنا » ربة الأرض ، وخاتم « بودوخبا » رئيسة أرض « خيتا » بنت أرض « كروانتا » كاهنة بلدة (؟) « أرينا » سيدة البلاد ، خادمة الإلهة " ، أما ما يوجد داخل الإطار المحيط بالمنظر فهو " خاتم « برع » صاحب « أرينا » رب كل أرض " .

التعليق : لا نزاع فى أنه من الصعب على الإنسان أن يتصور منظر هذه اللوحة الفضية أمام عينيه كما وصفها المترجم المصرى . حقا إن مخصص كلمة لوحة هو : شكل مستطيل به حلقة مستديرة يعلق منها ، غير أنه ليس من المؤكد لدينا أن هذا الرسم يمثل الصورة الحقيقية للوحة التى أرسلها «خاتوسيل» للفرعون «رعمسيس الثانى» ،

هذا على الرغم من أن اللوحات المسمارية كانت دائما مستطيلة الشكل، ولكن لا تمثل اللوحات المصنوعة من الآجر، ومع ذلك نستطيع أن نتصوّر أن المتن المسمارى الذى كان يغطى وجهى اللوحة إلا وسطها كان يحتوى صورة خاتم يشهد بصحة الوثيقة.

والظاهر أن الكاتب المصرى قد تورّط عندما صادفته كلمة (شمس) وكذلك كلمة إله الشمس « رع » وهو فى المصرية مذكر فى حين أن إلهة الشمس (ارينا) مؤنث فى الديانة الخيتية، ولذلك نجده فى هذا المتن يكتب «سيد كل أرض» بدلا من « سيدة كل أرض » . ويلحظ أن ملكة « خيتا » قد اشتركت فى توقيع هذه المعاهدة .

العلاقات التى بين الروايتين

يدل الفحص الدقيق على أن هذه المعاهدة فى صورتها الأولى قد اتفق على موادها فى بلدة «بوغاز كوى» (خاتوشا) بالتشاور مع سفراء مصر هناك، — على ما يظهر — وعندما تم الاتفاق على صورتها النهائية كتبت على لوحة من الفضة وأحضرت إلى مصر حيث وقع « رعمسيس » بالموافقة عليها، وأعطى التعليمات للكتّاب البابليين بكتابة صورة منها باسمه هو ، وهذه الصورة كانت تحوى بطبيعة الحال معظم الجمل التى فى الأصل الخيتى ، مع حذف الإشارات إلى « مواتالى » ملك «خيتا» . هذا بالإضافة إلى تغييرات بسيطة كان لا بدّ منها ، وأخيرا نقشت الصورة التى ألفت « لرعمسيس » بدورها على لوحة من الفضة ، وختمت بخاتم الفرعون وأرسلت إلى بلاد «خيتا»، وقد وضع الأصل عند قدمى الإله « تشوب » إله بلاد «خيتا» فى حين أن نسخا أخرى لا بدّ أنها كتبت على الآجر لتحفظ فى السجلات الملكية وهى التى عثر عليها الأثرى « فنكلر » .

وهذه النظرية التى ذكرناها هنا قد تعدّ أحسن تفسير ممكن لتوضيح الرواية التى كتبت بالخط المسمارى، غير أنها مع ذلك لا تخرج عن مجرّد نظرية وحسب .

على انه من جهـة أخرى ليس لدينا أى ظل من الشك فى أن اللوحتين اللتين عثر عليهما فى معبـد « الكرنك » و « الرمسيوم » يحـوى كل منهما النص النهـائى للعاهدة التى قبلها « خاتوسيل » .

والظاهر أن المـادتين السابعة عشرة والثامنة عشرة ، وهمـا الخاصتان بالعفو عن المجرمين السياسيين قد أضيفتا بعد وضع صيغة المعاهـدة النهائية ، ومن الجائز أن يكونا قد وضعا فى اللوحة الفضية أوّلا ، ولكن ليس من الواضح لدينا أن الواضع لهما هو « خاتوسيلى » أو « رعمسيس الثانى » .

ومما تجب الإشارة اليه هنا أن علماء الآثار والتاريخ لم يستنبطوا النتيجة الصحيحة عن الفقرات التى تشير إلى « مواتالى » ، وهى فقـرات كتبت فى المتن الخيتى كما برهنا على ذلك ، وتدل شواهـد الأحوال على أنها تحتـوى على نوع من الخضوع من ناحية ملك «خيتا» ، والواقع أنه كانت توجد فكرة قبل ذلك تميل إلى القول بأن المصريين هم الذين خسروا الحروب مع « خاتوسيل » ، ولكن البحوث التى وصلنا إليها تظهر أن « خاتوسيل » هو الذى سعى إلى الصلح ، وأنه هو الذى نادى بإبرامه بين البلدين .

الموقف التاريخى لهذه المعاهدة

لقد انتهت الحروب التى نشبت بين « مصر » وبلاد « خيتا » فى عهد الملك « خاتوسيل » . وقد شنّ « رعمسيس الثانى » أوّل حرب سورية قام بها فى السنة الرابعة ، وفى السنة الخامسة حارب فى موقعة «قادش» التى فاخر بها كثيرا على جدران معـابده ، وإن لم تكن فى الوقت نفسه من المواقع الحاسمة ، وكان قرنه فيهـا على ما يظهـر ملك « خيتا » المسمى « مواتالى » ابن « مورسـيلى » ، والظاهر أن « مواتالى » بعـد حروب أخرى مع « رعمسيس » قد مات حتف أنفـه ، يدل على ذلك أن التعبـير الخيتى (أسرع إلى مصيره) وهو الدال على الموت ، قد أطلق على موت ملك « خيتا » هذا فى المتن المصرى كما جاء فى المـادة العاشرة من

المعاهدة ، وكذلك فى المعاهدة التى أبرمها أخوه وخلفه مع ملك الآموريين ، وقد كان « خاتوسيل » فى مناوشات فى بادئ حكمه مع ملك مصر ، يدل على ذلك إشارة جاءت فى خطاب طويل كتبه « كاداشمان أنليل » ملك «بابل» الكاسى (١) ، وفى هـذا الخطاب يدّعى «خاتوسيل» أنه عقد معاهدة مع « كاداشمان تورجو » (١٣٠٠ — ١٢٨٤ ق.م) والد « كاداشمان أنليل » ، وقد جاء فيه : "إن والدك وأنا قد أبرمنا معاهدة ، وبهـا رجعنا إلى الإخاء ، ولم نتحوّل عنها يوما واحدا . ألم أبرم الإخاء والمحالفة إلى الأبد" ؟ ، وبعد ذلك يذكر الملك الكاسى كيف أنه على أثر موت والده كتب إلى أشراف البلاط مصرا على الاعتراف بأن يكون « كاداشمان أنليل» هو الملك ،ولا شك فى أن ذلك قد عمل وفاء لمـا جاء فى معاهدة أخذ فيها كل من « كاداشمان تورجو » و «خاتوسيل» على نفسه أن يعترف بوارث العـرش الشرعى الذى تم الاتفاق عليـه بينهما . والمعاهدة التى أبرمت بين مملكتى « متنى » و « كزواتنا » فيها مادة مثل هـذه أيضا ، وكذلك يظهر أن فى المعاهدة المصرية بقايا كلمات تدل على مادة مشابهة لهذه المـادة ، ثم نجد أن ملك «خيتا» بعد ذلك يشكو من « أن الآشوريين وقبيلة « أخلامو » الآرامية كانوا يتدخلون فى العلاقات السياسية بين « بابل » و«خيتا» وأنه يوبخ الملك « كادشمان إنليل » لحجز الرسـل وفتور الصـداقة بينهما» ، ثم تأتى بعـد ذلك إشارة هامة عن مصر :

"... ورسـول مصر الذى كتب بخصوصه أخى (أى كادشمان إنليل) [... الملك] وقد أبرمت معاهـدة وبها عدنا إلى الإخاء . [وكادشمـان تورجو والدك] وأنا أبرمنا معاهـدة سويا وبها عدنا إلى الإخاء... وتحادثنا قائلين : إنا أخوان قائلين : سنكونان مخاصمين لعدوّ يكون خصما مشتركا لنا ، ومع صديقنا المشترك سنكون حقا فى سلام ، وبعـد أن كنت أنا وملك مصر متخاصمين سويا كتبت إلى والدك « كادشمان تورجو» قائلا : إن ملك مصر فى حرب معى ، وعلى ذلك كتب والدك قائلا : إذا أتت جنود ملك مصر فعندئذ سأذهب معك ، وسآتى فى وسط الجنود والعربات ، ولما كان والدك مستعدا للذهاب معى فهكذا الآن يأخى ، فانك إذا طلبت الى جنودك فانهم سـيقولون لك دعنا نذهب

(١) راجع : H. H. Figulia and E. F. Weidner Keilschrifttexte aus Boghazokoi Part I, (Leipzig) p. 38,7 - 8.

بالجنود والعربات ، وحقا قد تكلموا هكذا رغبة فى الذهاب معى ... ولماذا أخذ (؟) عدوّى لأرض أخرى ... ذهب بخصوص مصر . وعندما كتب ... فان عدوّى لم يجعلها تحضر ، وأنا وملك مصر كنا غاضبين سويا وأنا ووالدك قد ذهبنا سويا لنهب عدوّى [والآن ... فان (؟) رسول] مصر قد قطع ، وبعد أن كنت أنت يا أخى قد كتبت بخصوص موضوع رسول ملك مصر ومسألة الرسول ... ...(١) ".

وهذه الفقرة الممزقة لها أهمية عظمى لما جاء فيها من توافق زمنى فى تاريخ مصر و« بابل » و« خيتا » وقد ترجمت بطريقة جعلتها تشير إلى المعاهدة التى أبرمها «خاتوسيل» مع مصر(٢) . غير أن القطعة التى كانت بالقرب من بداية آخر الاقتباس يجب أن تصحح لتشير لا إلى هذه المعاهدة، بل إلى المعاهدة التى أبرمت بين «خاتوسيل» و« كادشمان تورجو» ، والواقع أن هذه الفقرة مثلها كمثل القطعة الأخرى التى نجدها فى خطاب من «خاتوسيل» إلى « كادشمان إنليل» تشير إلى حروب بين « خاتوسيل » و«رعمسيس الثانى » فى عهد « كادشمان تورجو » الذى ساعد ملك «خيتا» على حسب شروط المعاهدة التى كانت مبرمة بينها ، وعندما كتب الخطاب الذى نحن بصدده الآن كان السلم سائدا بين «خيتا» و«مصر» لأن « خاتوسيل » و«كادشمان إنليل » كانا ثائرين على قوم قطعوا المواصلات بين مصر وبابل ، وهذا هو السبب الذى جعل ملك « خيتا » يلتجئ لملك « بابل » لاحترام المعاهدة بشن حرب مشتركة على المشاغبين ، أى على « الآشورين » أو على « الآرامين » ، وهذا الموقف التاريخى يؤدى بنا إلى استنباطين هامين :

(١) كان « خاتوسيل » فى حرب مع « رعمسيس الثانى » قبل موت « كادشمان تورجو » .

(٢) أنه أعلن الصلح مع « رعمسيس » قبل موت « كادشمان تورجو » .

وإذا أخذنا أقل التقديرات التاريخية الكاسية وقرناها بالتواريخ المصرية المعتمدة لملوك مصر وجدنا اختلافا مقداره بضع سنين ، فأقل تقدير لحكم الملك

(١) راجع : K. T. B. I, p. 37, 55–72

(٢) راجع : Meissner, zur Geschichte Chattireiches p. 24

« كاد شمان تورجو » هو ١٣٠٠ — ١٢٨٤ ق . م ، أما « كاد شمان إنليل » فهو حوالى ١٢٨٣ — ١٢٧٨ ق . م[١] . ويؤرخ « برستد » هذه المعاهدة المصرية الحيثية (السنة الواحدة والعشرين من حكم «رعمسيس») بـ (١٢٧١ ق.م) فى حين أن « ادورد مير » قد أرخها بسنة ١٢٧٩ ق . م وأرخ « برستد » موقعة «قادش» بعام ١٢٨٧ ق . م ويؤرخها « ادورد مير » ١٢٩٥ ق . م .

والتواريخ « الكاسية » لا يمكن أن تكون أقل من ذلك ، وإذن يكون الحل الوحيد هو رفع نسبة التاريخ المصرى قليلا ، فإذا جعلنا تاريخ المعاهدة عام ١٢٨٠ ق.م (أى تسع سنوات) قبل التاريخ الذى وضعه «برستد» ، فإن موقعة «قادش» تكون قد حصلت فى عام ١٢٩٦ ق . م وتولية «رعمسيس الثانى» فى عام ١٣٠١ ق . م ، وهذه التواريخ التى تقرب مما اتبعه « ادورد مير » تحل لنا معظم الصعوبات التاريخية ، ونعلم من خطاب كتبه الملك « شوبيليو ليوما » إلى « أمنحتب الرابع » (إخناتون) من بين خطابات « تل العمارنة » أن هذا الملك قد أبرم معاهدة مع « أمنحتب الثالث » . وهذا يسمح لنا أن نضع اقتراحا لتواريخ هذا العصر بشىء من التأكد ، وعلى حسب هذا الاقتراح يمكننا أن نفهم أن الفرعون الذى أبرم معه « مورسيلى » معاهدة لا يمكن أن يكون إلا الفرعون « حور محب » . وقد دلت البحوث الدقيقة فى متون « بوغاز كوى » على أنه لا توجد إشارة إلى معاهدة مصرية مع الملك « خاتوسيل » ، وقد نشر حديثا الأستاذ « ألبرخت جوتس » قطعة من خطاب جديد أرسله الفرعون « رعمسيس الثانى » إلى « خاتوسيل الثانى » ، وقد بحث على ضوئه قطعة من خطاب آخر معروف منذ زمن بعيد ، وهذا الخطاب الآخير قد أرسله « رعمسيس الثانى » إلى «خاتوسيل الثانى» ، وقد أرخ قبل تولى الأخير الملك بزمن قليل ، والخطاب الأول

(١) راجع : Weidner Studien zur Assynisch-Babylonischen Chronologie.

فقد منه الجزء الذى يحتوى على المراسيم الدبلوماسية ، غير أن ذكر اسم مصر وأسماء الأعلام الكثيرة التى نجدها فى خطابات أخرى من مكاتبات « رعمسيس الثانى » تشعر بأنه متصل بهذه الرسالة ، والظاهر أن مضمون هذا الخطاب هو أن « خاتوسيل » كان يشكو من أن « رعمسيس الثانى » لم يعامله معاملة الملوك وقد أجابه « رعمسيس » بألقاب الملك ، ويرى الأستاذ « جوتس » أن فى ذلك إشارة إلى العقبات التى أدت إلى خلع الملك المسمى حتى الآن «أورنحى تشوب» ؛ وقد كان معروفا فعلا أن ملك « آشور » قد تردّد فى الاعتراف بهذا المغتصب ، وبعد ذلك يتكلم عن رسل — وبخاصة عن طبيب مصرى — إلى البلاط الخيتى (١) . ولدينا من جهة أخرى خطابات من « رعمسيس الثانى » لملك « ميرا » وهى أرض مجهولة لنا قد تكون بلاد « ماير » القديمة (Maer) ، ومضمون الخطاب أن ملك «ماير» قد وصله خبر عن سوء تفاهم حدث بين ملك مصر وملك «خيتا» ، ولكن « رعمسيس الثانى » يعلن فى صراحة أن هذا الخبر لا أساس له من الصحة ، ويؤكد احترامه للمعاهدة التى بين البلدين ، وكذلك نعلم من هذه الوثيقة أن نص المعاهدة التى أرسلها « رعمسيس الثانى » إلى الملك « خاتوسيل » قد وضعت تحت قدم الإله « تشوب » فى حين أن النص الذى أرسله « خاتوسيل » إلى « رعمسيس » قد وضع تحت قدمى « شاماش » أى « رع » ، ومن المحتمل إذن أنه كانت قد جرت العادة أن توضع المعاهدات فى معابد الآلهة الذين كانت تطلب إليهم الموافقة عليها . وكذلك لدينا إشارة أخرى لمعاهدة بين « خيتى » و « مصر » فى خطاب أرسلته « نبترا » (أى نفرتارى محبوبة الإلهة « موت ») زوج « رعمسيس الثانى » إلى ملكة « خيتا » (بودى خبا) تقول فيه :

” إنى فى سلام وأرضى فى سلام وإنى أتمنى لك يا أختى السلام ولأرضك السلام . تأملى إنى أسمع أنك يا أختى قد كتبت إلىّ تسأليننى عن سلامتى ، وأنك قد كتبت إلىّ عن علاقة الودّ الطيب ، وعن علاقة

(١) راجع : Chronique D'Egypte 45 - 46 Avril 1948 p. 88

الإخاء الطيب الذى بين الملك العظيم ملك مصر و بين المـلك العظيم ملك أرض « خيتا » أخيه ، و إنى أرجو أن يرفع رأسك « شاماش » و « تشوب » وأن يمنح «شاماش» السلام لتحل الطيبة ، وأن يمنح إخاء طيبا بين الملك العظيم ملك مصر و بين الملك العظيم ملك أرض « خيتا » أخيه إلى الأبد "[(١)] .

ومن هذا الخطاب نعلم جليا أن المعاهدة التى أبرمت بين « رعمسيس الثانى » والملك « خاتوسيل » فى السنة الواحدة والعشرين كانت نهاية عهد مخاصمة ، سواء أكانت ممثلة فى حروب فعلية أم فى منازعات سياسية ، وهذه الخصومات قد ظلت حتى بعد موقعة «قادش» ، ولكن منذ السنة الواحدة والعشرين نجد أن السلام قد خيم على ربوع كل من « خيتا » ومصر ، وقد أدّت العلاقات الطيبة بينهما إلى زواج « رعمسيس الثانى » من بنت ملك « خيتا » كما هو مدوّن على لوحة « بوسمبـل » ونسختها المؤرّخة بالسنة الرابعة والثلاثين من حكم هذا الفرعون كما سنرى بعد .

العلاقات بين مصر و« خيتا » بعد المعاهدة

عاش « رعمسيس الثانى » بعد عقد هذه المعاهدة مع ملك « خيتا » ما يربى على ست وأربعين سنة كان السلام فى أثنائها بين البلدين تاما لم يعكر صفوه أى حادث أليم .

هذا إلى أنه لم تجسر دولة أسيوية على منازلة « رعمسيس » بعد إبرام معاهدته مع « خيتا » القوية السلطان العزيزة الجانب ، والواقـع أن « رعمسيس الثانى » كان يعد إبرام هذه المعاهدة من جانبه بمثابة نصر لمصر ، ولذلك كان دائما يشير بعد إبرامها فى نقوشه إلى أنه قاهر بلاد « خيتا » كما نشاهد ذلك حتى فى القصيدة التى نقشها على جدران معبده كما ذكرنا ذلك من قبل ، وعلى جدران معبد « بو سمبل » نقرأ بوجه خاص ما يأتى : " الذى صير أرض «خيتا» كأن لم تغن بالأمس والذى جعل أرض «خيتا» تحجم عن المعارضة بفمها ... ضارب أرض «خيتا» ...... ضارب أرض خيتا التى أصبحت أكداسا من الموتى الخ »"[(٢)] ، ونجد نفس هذه النغمة فى النقوش التى تركها لنا «رعمسيس الثانى»

---

(١) راجع : K. T. B. No. 29

(٢) راجع : L. D. III, 195

على مسلاته التى أقامها فى « تانيس » إذ جاء فى إحداها : " أنه ساق رؤساء « رتنو » أسرى أحياء وحطم أرض « خيتا » " وعلى مسلة أخرى يقول : " إنه اقتحم أرض « خيتا » هذه واستولى عليها بشجاعة وعمل مذبحة عظمى بين أبطالها "(١) وعلى الرغم من هذه النغمة التى كانت عادة متبعة عند ملوك مصر فى أثناء تحدّثهم عن أى قوم حاربوهم، فإن أواصر السلام لم تنفك عراها بين البلدين . وتحدّثنا النقوش التى وصلتنا حتى الآن عن العلاقات الودّية التى بقيت مرعية بين البلدين نحو ست وأربعين سنة وهى المدّة الباقية من عهد « رعمسيس الثانى » ، بل لقد ظلت تلك العلاقات السلمية حتى فى عهد خلفه وابنه « مرنبتاح »؛ ولدينا وثائق عدّة تحدّثنا عن هذه العلاقات أو تشير إليها فى أثناء سرد ما تحتويه من حوادث وأخبار لها فى ذاتها أهمية فى كشف النقاب عن أحوال هذا العصر من الوجهة الدينية والاجتماعية والهندسية، ولذلك نجد لزاما علينا أن نسرد هنا بعض تلك الوثائق التاريخية عن هذا العصر الذى كانت ترفرف عليه أجنحة السلام وتنعم فيه البلاد بالرخاء والثروة الوفيرة ، ومن أهم هذه الوثائق اللوحة المعروفة باسم « بركات بتاح » فاستمع لما جاء فيها من وصف رائع لحالة مصر وقتئذ .

قصيدة « بركات بتاح »(٢) :

" السنة الخامسة والثلاثون ، الشهر الأوّل من الفصل الثانى ، اليوم الثالث عشر فى عهد جلالة « رعمسيس الثانى » معطى الحياة " .

---

(١) راجع : Petrie. Tanis I, VII, No. 45 & VIII, No. 49

(٢) هذه الوثيقة منقوشة على لوحة عظيمة فى القاعة الأولى من معبد « بوسمبل » (راجع Naville Trans. S. B. A. VII, 119 ff. & L. D, III, 194.) وقد انتحلها فيما بعد « رعمسيس الثالث » ونقشها على البوّابة الأولى من معبده بمدينة هابو (Br. A. r. III, 394 ff.) مع بعض تغييرات تتفق مع الأحوال التى قيلت بسببها الترجمة هنا مقتبسة من النصين معا ، لأن النص القديم غامض فى بعض النقط Dumichen Historische Insch. I, 7 - 10; & De Rougé Inscrip. Hierog II, 131 ff

مقدّمة : خطاب « بتاح تاتنن » صاحب الريشتين العاليتين ، والمتأهب بقرنيه ، ومنجب الآلهة لابنـه ومحبوبه وبكره من صلبه ، الإله المقدّس ، ملك الآلهة ، العظـيم الأعياد الثلاثينية الملكية مثل « تاتنن » الملك « رعمسيس الثانى » معطى الحياة .

خطاب « بتاح » وولادة « رعمسيس » : إنى والدك الذى أنجبك مثل الآلهة ، فكل أعضائك أعضاء آلهة . ولقد تشكلت فى صورة الكبش سيد « منديس » (تل الربع الحالى) ووضعتك فى (فرج) أمك الفاخرة منذ أن عرفت أنك ستكون حاميا لى ، وإنك ستقوم حقا بعمل أشياء مفيدة لحضرتى ، ولقد سوّيتك لتشرق مثل « رع » (الشمس) ورفعتك أمام الآلهـة يأيها الملك يا « رعمسيس الثانى » معطى الحياة ، ورفيقات « بتاح » هنّ منشآتك ، والإلهات اللائى ساعدت فى وضعك (مسـخنت) يمرحن فى السرور منذ أن رأوك صورة من جسمى الفاخر القوى (أى أنه عندما يرون « رعمسيس » كأنهم يرون « بتاح ») وكاهنات بيت « بتاح » والإلهات « حتحور » فى بيت « آتوم » فى عيد وقلوبهنّ فى حبور ، وأكفهنّ مرفوعة بالتصفيق منذ أن رأين صورتك الجميلة ، ولطفك مثل لطف جلالتى ، والآلهة والإلهات يهللون لجمالك مادحين ومقـدّمين لى الثناء قائلين : إنك والدنا الفاخر الذى سوّيت لنـا إلها مثلك وهـو « رعمسيس الثانى » معطى الحياة .

الإله « بتاح » يعد الفرعون منحة السعادة : وعندما أشاهدك يفرح قلبى وأستقبلك بضمة ذهبية ، وإنى أحيطك بالبقـاء والثبات والرضا ، وإنى أمنحك الصـحة وفرح القلب ، وإنى أغمسـك فى الابتهاج والفرح وسرور القلب والحبور أبدا .

« بتاح » يعد « رعمسيس » الحكمة : إنى أجعل قلبك قدسيا مثلى ، وإنى أنتخبك ، وإنى أزنك ، وإنى أعدك ليستطيع قلبك التبصر وليكون نطقك مفيدا ، ولا يوجد شىء مهما كان لا تعرفه لأنى قد أتممتك هذا اليوم ومن قبل حتى تستطيع أن تجعل كل الناس تعيش من معرفتك يأيها الملك يا « رعمسيس الثانى » معطى الحياة .

« بتاح » يعد « رعمسيس » القوّة : لقد مكنتك ملكا مخلدا وحاكما مثبتا أبدا ، وصنعت أطرافك من السام وعظمك من النحاس وأعضاءك من الحديد ، وإنى منحتك الوظيفة المقدّسـة لتستطيع أن تحكم الأرضين بمثابة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (بمثابة مملكتك) .

الإله « بتاح » يعد « رعمسيس » ثروة زراعية : إنى أمنحك نيلا عظيما ، وأجرى على الأرضين من أجلك ثروة ومحصولا وطعاما وطرائف ، وأبذل الرخاء فى أى مكان تطؤه ، وإنى أمنحك حصادا دائما لتغـذى الأرضين وحزم قمح (فى رواية أخرى الحبـوب) ومخازن غلالها تناهض السماء (فى علوها) وعرم

حبو بها مثـل الجبال ، والفرح والحبور يعمان عند رؤيتك لأن وفرة السمك والدواجن تحت قدميك ، والجنوب والشمال راضون بحضرتك ، والسماء وما فيها قد أعطيتها ، والأرض قد سيقت إليك بما فيها ، والبرك تأتى إليك حاملة دواجنها ، والإلهة « سخات حر » (مرضعة أولاد حور) تحمل متونتها وهى أحسن طعام «رع» ، وقد وضعها «تحوت» على كل جانب من جانبيك حتى تستطيع أن تفتح فمك لتغنى من تحب بقدر ما أنت «ختوم» الحى ، وأملاكك فى ظفر ، وقوتك مثل قوة « رع » عندما كان يحكم الأرضين يأيها الملك « رعمسيس الثانى » معطى الحياة .

«بتاح» يعد ثروة معدنية وصناعية : إنى أجعل الجبال تصوّر لك آثارا عظيمة ضخمة تامة ، وأجعل الممالك تسوّى لك كل حجر فاخر ثمين لتستعمله فى الآثار باسمك ، وأجعل كل الأعمال مثمرة لك ، وأجعل كل الصناع فى خدمتك : من كل من يمشى على ساقين أو على أربع ، ومن كل ما يطير ومن كل ما يحلق فى الجو ، وأضـع فى قلب كل بلاد أن يتقرّب أهلها إليك وأن يعملوا لك بأنفسهم ، والرؤساء والعظماء والصغار يعملون متحدين أشياء مفيدة لحضرتك يا « رعمسيس الثانى » معطى الحياة .

المدينة التى اتخذها رعمسيس مقرّا له ومبانيها : لقـد أقمت مقرّا فخما لتجعل حـدود الأرضين متينة (وسميتها) بيت « رعمسيس محبوب آمون » معطى الحياة حتى تنمـو على الأرض مثل عمد السماء الأربعة ... ... ملكا فيها حتى تقيم الأعياد الثلاثينية الملكية التى احتفلت بها فيها ، وإنى أتوجك بيدى عندما تظهر على السلم العظيم المزدوج ، والناس والآلهة يهللون باسمك مثلما يهللون باسمى عندما تحتفل بالأعياد الثلاثينية الملكية ، وإنك تحت التماثيل وتقيم أماكنها المقدّسة مثل ما فعلت فى الأزل .

«بتاح» يعد الفرعون حياة طويلة وفلاحا : إنى أمنحك سنين أعيادا ثلاثينية وكذلك أمنحك حكمى ومكانتى وعرشى ، وإنى أجزل الحياة لأعضائك والرضا والحماية خلفك وكذلك الفلاح والصحة ، وإنى أحمى مصر تحت سلطانك والأرضين تملؤهما الحياة الرضية (التى يتمتع بها رعمسيس) معطى الحياة .

«بتاح» يعد «رعمسيس» القوة : لقد مكنت لك القوة والنصر وبطش سيفك فى كل أرض ، وغللت لك قلوب كل الأراضى (أراضى الأسيويين) ووضعتهم تحت قدميك ، وعندما تشرق كل يوم يحضر إليك أسرى الأقواس التسعة ، والرؤساء العظام فى كل البلاد يقدّمون لك أطفالهم ، وإنى أهب سيفك البتار إياهم لتتصرف فيهم كيف تشاء ، يأيها الملك يا «رعمسيس» معطى الحياة . ولقد وضعت الرعب منك فى كل قلب ، وحبك فى كل جسم ، ومكنت سلطانك فى كل مملكة ، والخوف منك يحيط بالجبال والرؤساء يرتعدون عند ذكرك ، وإن جلالتك تفلح على الدوام بوصفك رئيسهم ، وإنهم يأتون إليك صائحين معا يرجون السلام منك ، وإنك تترك من تريد ليحيا وتذبح من تشاء .. تأمل إن عرش كل أرض تحت سلطانك .

«بتاح» رب نعمة «رعمسيس» : وإنى أجعل معجزاتك العظيمة تحدث . وكذلك كل شىء طيب يصيبك ، والأرضان اللتان تحت إدارتك فى ابتهاج ، ومصر تسعد فرحة يا «رعمسيس» معطى الحياة ، وإنى نقلت عزتى إليك ، وسموك العظيم المدهش يصل إلى عنان السماء ، والأرضان فى حبور ، ومن فيهما يبتهجون بما حدث لك ، أما الجبال والمياه والمبانى التى على الأرض تتحرك ثانية عند اسمك الطيب (المظفر) عندما يشاهدون هذا الأمر .

زيارة الحيثيين لأرض مصر : قد جعلت أرض « خيتا » رعايا قصرك ، وقد وضعت فى قلوبهم أن يقدّموا أنفسهم لحضرتك بخطوات خائفة حاملين جزيتهم التى استولى عليها رؤساؤهم ، وكل متاعهم جزية لشهرة جلالته له الحياة والفلاح والصحة ، وبكر بناته قد سارت فى المقدّمة لتسر قلب رب الأرضين الملك « رعمسيس الثانى » معطى الحياة . وإنها لأعجوبة غامضة ، فهى لا تعرف الأمر الممتاز الذى عمله على حسب رغبتك ، حتى يكون اسمك العظيم ساميا أبدا ، وإن نجاح البطل المظفر سر عظيم يصلى من أجله ، ولم يسمع به منذ زمن الآلهة ، والوثائق السرية كانت فى بيت الصحف منذ زمن « رع » حتى عهد جلالته له الحياة والفلاح والصحة (ولكن) علاقة « خيتا » بمصر متحدتين لم تكن معلومة من قبل . تأمل ! لقد صدر الأمر الكريم بقتلهم تحت قدميك ليجعل اسمك باقيا أبدا يأيها الملك « رعمسيس الثانى » .

جواب «رعمسيس» للإله تاتنن : نطق الملك المقدّس رب الأرضين السيد من صورته مثل « خبرى » ، ومن فى أعضائه « رع » ، والذى خرج من « رع » ، ومن أنجبه « بتاح تاتنن » ، الملك « رعمسيس الثانى » معطى الحياة لوالده ، والذى خرج من صلبه ، « تاتنن » والد الآلهة : " إنى ابنك الذى أجلسته على العرش ، لقد منحتنى مملكتك وخلقتنى فى صورتك وهيبتك التى أعطيتنيها وسوّيتها ، وإنى سأعمل ثانية كل شىء جميل ترغب فيه حينما أكون السيد الفرد كما كنت لأجل أن أضع أمور البلاد فى نصابها ، ولقد خلقت لك مصر من جديد ، وقد جعلتها كما كانت فى البداية ، وصنعت أشكال الآلهة من أعضائك حتى لونهم وأجسامهم ، وجهزت مصر على حسب رغبتهم ، وقد شيدتها بالمعابد " .

إقامة معبد «منف» : لقد وسعت بيت « منف » وجعلته محليا بالأعمال المخلدة ، والصناعة الممتازة بالحجر المغشى بالذهب والأحجار الكريمة الأصلية ، وبنيت الردهة الأمامية الواقعة فى الشمال بواجهة فخمة مزدوجة أمامك ، وبواباها مثل أفق السماء مما جعل جميع الناس حتى الأجانب يمدحونك ، وقد أقمت لك معبدا فاخرا فى وسط السياج ، وأنت يأيها الإله الذى شكلته ، إنك فى مقصورته السرية (أى المعبد) جالسا على عرشها العظيم (فى قدس الأقداس) .

أوقاف معبد « منف » : ''وإنه مجهز بالكهنة المطهرين ، وبالكهنة خدام الإله ، وبالعبيد الفلاحين ، وبالأرض وبالماشية ، وأصبح فى عيد القربان الإلهية التى يخطئها العد ، والتى تشمل كل الأشياء الطيبة ، وإنى حفلت بأعيادك الثلاثينية الملكية العظيمة كما أمرتنى به ، وكل الأشياء الموجودة قد أتى بها إليك قربات عظيمة كما ترغب من ثيران وماشية لاتحصى ، وقد أحضرت كل عددهم بالملايين ، أما الشحم المستخرج منها فقد وصل إلى عنان السماء وتسلمه أهل السماء'' .

الفتوح الخارجية : ''لقد جعلت كل أرض ترى جمالك فى الآثار التى أقمتها لك ، وإنى وسمت أهل الأقواس وكل البلاد باسمك ، فهم ملك حضرتك أبدا لأنك أنت خالقهم بأمر ابنك هـذا الذى على عرشك يا سيد الآلهة والناس ، الملك المحتفل بالأعياد الثلاثينية مثلك عند ما تحمل الصاجتين ، ابن التاج الأبيض ، ووارث التاج الأحمر ، ومالك الأرضين فى سـلام « رعمسيس الثانى » معطى الحياة مخلدا وسرمديا'' .

مغزى هـــذه الوثيقة : هذه اللوحة نقشت على جدران القاعة الأولى من جدران معبد « بو سمبل » ، ويشاهد فى أعلاها صـورة تمثل « رعمسيس الثانى » يضرب ثلاثة من الأسيويين الأعداء أمام الإله «بتاح تاتنن» الذى كان يقود أمامه ستة من الأسرى ، واحد منهم أسود والآخرون ذوو لحى ، ومن أسمائهم نعلم أنهم لا بدّ كانوا من السود أيضا .

وعلى الرغم من الطابع الدينى الذى ظهرت به هذه الوثيقة فإنها تمدّنا بمعلومات تاريخية واجتماعية عظيمة تكشف النقاب عن نقط هامة فى تاريخ هذا الفرعون ، بل فى استطاعتنا أن نعدّها ملخصا لكل أعماله التى قام بها بعد تولية الملك ، وهى تلك الأعمال التى أوضحها لنا فى نقشه العظيم الذى تركه على جدران معبد « العرابة المدفونة » ، وقد سبق تفصيل القول فيه .

وأوّل ما يلفت النظر هنـا أن هـذه اللوحة لم تكن مقدّمة لأحد الآلهة الذين يسكنون فى الجهة التى أقيم المعبد فيها الذى نقشت اللوحة على جدرانه ، بل أهديت للإله « بتاح تاتنن » رب « منف » وأعظـم آلهتها ، ولا غرابة فى ذلك فان «رعمسيس» وأسرته كانوا من أهل الدلتا التى كانت عاصمتها «منف» منذ القدم ، وبقيت صاحبـة نفوذ وسلطان فى كل عصور التـاريخ المصرية . ولقـد أهدى

« رعمسيس » لهـذا الإله تلك اللوحة لأنه ناصره وعززه على أقوام الشمال فى آسيا المجاورين لهذا الإله العظيم لأنه ابنه ، إذ قد تمثل «الإله بتاح» لأمه فى صورة كبش «منديس» ووضع فيها بذرته ، ومثله فى ذلك مثل بعض ملوك الأسرة الثامنة عشرة ، وبخاصة «حتشبسوت» و «أمنحتب الثالث» اللذين تمثل لأميهما الإله « آمون» فى صورة الملك ووضع بذرته فيهما ، من أجل ذلك نجد أن الإله « بتاح » قد ناصر «رعميس الثانى» وعنى بتربيته وثقافته عناية بالغة ، فوهبه السعادة والصحة فى الحياة الدنيا ، كما نفخ فيه من روحه وجعل قلبه قدسيا مثل قلبه ، ثم أعطاه القوّة ومكن له فى الأرض وجعله ملكا على العباد . وأسعد البلاد التى كان يحكمها ، فجعل النيل يفيض على مصر الخصب والنماء حتى أصبحت غلات البلاد وفيرة كرمال الشاطئ وصارت مخازن الغلال تناطح السماء فى علوها ، وأكوام القمح كالجبال الشامخات ، كما جعل له من الماء لحما طريا ، ومن طيور السماء لحما شهيا تفيض بهما البلاد من بين أيديهم ومن تحت أرجلهم ، وكذلك منحه السماء وما فيها ، وأتت اليه الأرض طائعة بما تخرج من بطنها ، فبرك الماء تجود بطيورها ، والإلهة «سخات حور» رمز الغذاء تحمل له كل مؤنها ، وهو الذى جعل الجبال الراسيات تخرج له الأحجار التى يشيد بها آثاره العظيمة ، كما جعل كل البلاد تصنع له الأحجار الغالية اللازمة لآثاره ، وكذلك أوحى لكل ما يمشى على اثنين وعلى أربع وكل ما يطير وكل ما يحلق ليكون فى خدمته ، كما أوحى فى نفوس كل البلاد أن يعمل أهلها ويقدموا له القربان ، وفضلا عن ذلك شيد له مقرا للحكم ليحمى حدود الأرضين وسماه « بر رعمسيس » معطى الحياة ، وهى العاصمة الجديدة التى أقامها فى الجزء الشمالى من ممتلكاته ليكون بعيدا عن نفوذ رجال الدين فى « طيبة » وقريبا من البلاد التى استردّها لمصر فى آسيا ، وتدل كل المعلومات التى وصلت إلينا حتى الآن على أنها فى أغلب الظنّ (قنتير الحالية) كما سنتحدث عن ذلك فيما بعد . هذا إلى أن « بتاح » قد وعد ابنه حياة طويلة وفلاحا عظيما على الأرض ، وقوة جبارة وسيفا بتارا يهزم به الأعداء ،

حتى أصبحت كل الممالك التى فتحها طوع بنانه ورهن إشارته ، يضاف إلى ذلك أنه قد سلمه كل عزته وكرامته وسلطانه حتى أن الجبال والمياه وما على الأرض من مبانٍ كانت تسير إليه عندما يصدر أمره بذلك .

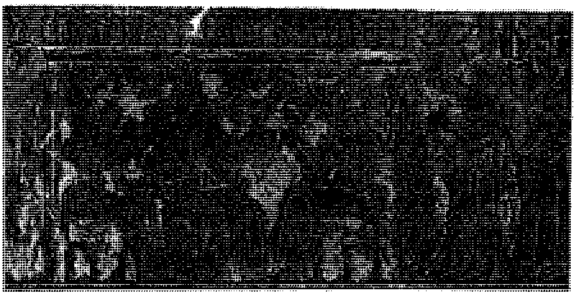
وأعظم من ذلك أن جعل هذا الإله ملك « خيتا » وبلاده من رعايا قصره يأتون إليه بالهدايا وهم يتوجسون خيفة كما حمل إليه ملك هذه البلاد كبرى بناته معه لتكون زوجة لهذا الفرعون العظيم ، وبعد أن سرد الإله « بتاح » كل هذه النعم التى أنعم بها على ابنه الذى أنجبه من صلبه أجابه هذا الفرعون معترفا بأنه ابنه ، وأنه هو الذى وضعه على عرش الملك ، وأنه قد خلقه صورة ناطقة منه ، وأنه فى مقابل ذلك سيفعل كل ما يرغب فيه هذا الإله . وهنا يشير «رعمسيس» إلى أنه خالق له مصر من جديد وجعلها كما كانت من قبل ، وربما يشير بذلك إلى العهد الذى كانت عليه قبل الفوضى الذى أحدثها «إخناتون» وشيعته ،فأعاد بذلك تماثيل الآلهة كما كانت عليه من قبل حتى ألوانها وأجسامها ، وأمدّ البلاد بما يلزمها ، وأقام فيها المعابد . ومن أهم ما لفت نظره فى هذه الناحية توسيع معبد « بتاح » «بمنف» وتزيينه بكل النفائس ، كما أقام له معبدا فى وسط سور المعبد الكبير ونحت له تمثالا وضعه فى قدس الأقداس على عرشه العظيم . ثم أجزل لمعبده العطاء ، فحبس عليه الأوقاف ، وأمدّه بالكهنة من كل صنف ، واحتفل بأعياد ثلاثينية كما أمر هذا الإله ، أما القرابين التى كانت تقترب إلى « بتاح » فكانت من البقر والماشية التى تحصى بالملايين ، وفى نهاية المطاف نجد « رعمسيس الثانى » يظهر اعترافه بالجميل للإله لما حباه به من نصر على البلاد الأجنبية ، إذ جعلهم يشاهدون ما أقامه لهم من آثار عظيمة . هذا إلى أنه قد وسم قوم الأقواس التسعة وكل الأرض باسمه لأنهم ملكه ، وهو خالقهم وذلك بأمر منه ، ومن هذه النظرة العجلى التى تكشف لنا القناع عن سلطان « رعمسيس » فى السنة الخامسة والثلاثين من حكمه ، نعلم أن البلاد كانت فى رخاء ، وأنها تمتع بأحسن نعمة وهى نعمة السلام الذى كان

« رعمسيس » لهذا الإله تلك اللوحة لأنه ناصره وعززه على أقوام الشمال فى آسيا المجاورين لهذا الإله العظيم لأنه ابنه ، إذ قد تمثل «الإله بتاح» لأمه فى صورة كبش «منديس» ووضع فيها بذرته ، ومثله فى ذلك مثل بعض ملوك الأسرة الثامنة عشرة ، وبخاصة «حتشبسوت» و «أمنحتب الثالث» اللذين تمثل لأميهما الإله « آمون» فى صورة الملك ووضع بذرته فيهما ، من أجل ذلك نجد أن الإله « بتاح » قد ناصر «رعميس الثانى» وعنى بتربيته وثقافته عناية بالغة ، فوهبه السعادة والصحة فى الحياة الدنيا ، كما نفخ فيه من روحه وجعل قلبه قدسيا مثل قلبه ، ثم أعطاه القوة ومكن له فى الأرض وجعله ملكا على العباد . وأسعد البلاد التى كان يحكمها ، بجعل النيل يفيض على مصر الخصب والنماء حتى أصبحت غلات البلاد وفيرة كرمال الشاطئ وصارت مخازن الغلال تناطح السماء فى علوها ، وأكوام القمح كالجبال الشامخات ، كما جعل له من الماء لحما طريا ، ومن طيور السماء لحما شهيا تفيض بهما البلاد من بين أيديهم ومن تحت أرجلهم ، وكذلك منحه السماء وما فيها ، وأتت اليه الأرض طائعة بما تخرج من بطنها ، فبرك الماء تجود بطيورها ، والإلهة «سخات حور» رمز الغذاء تحمل له كل مؤنها ، وهو الذى جعل الجبال الراسيات تخرج له الأحجار التى يشيد بها آثاره العظيمة ، كما جعل كل البلاد تصنع له الأحجار الغالية اللازمة لآثاره ، وكذلك أوحى لكل ما يمشى على اثنين وعلى أربع وكل ما يطير وكل ما يحلق ليكون فى خدمته ، كما أوحى فى نفوس كل البلاد أن يعمل أهلها ويقدموا له القربان ، وفضلا عن ذلك شيد له مقرا للحكم ليحمى حدود الأرضين وسماه « بر رعمسيس » معطى الحياة ، وهى العاصمة الجديدة التى أقامها فى الجزء الشمالى من ممتلكاته ليكون بعيدا عن نفوذ رجال الدين فى « طيبة » وقريبا من البلاد التى استردّها لمصر فى آسيا ، وتدل كل المعلومات التى وصلت إلينا حتى الآن على أنها فى أغلب الظنّ (قنتير الحالية) كما سنتحدث عن ذلك فيما بعد . هذا إلى أن « بتاح » قد وعد ابنه حياة طويلة وفلاحا عظيما على الأرض ، وقوة جبارة وسيفا بتارا يهزم به الأعداء ،

حتى أصبحت كل الممالك التى فتحها طوع بنانه ورهن إشارته ، يضاف إلى ذلك أنه قد سلمه كل عزته وكرامته وسلطانه حتى أن الجبال والمياه وما على الأرض من مبانٍ كانت تسير إليه عندما يصدر أمره بذلك .

وأعظم من ذلك أن جعل هذا الإله ملك « خيتا » و بلاده من رعايا قصره يأتون إليه بالهدايا وهم يتوجسون خيفة كما حمل إليه ملك هذه البلاد كبرى بناته معه لتكون زوجة لهذا الفرعون العظيم ، و بعد أن سرد الإله « بتاح » كل هذه النعم التى أنعم بها على ابنه الذى أنجبه من صلبه أجابه هذا الفرعون معترفا بأنه ابنه ، وأنه هو الذى وضعه على عرش الملك ، وأنه قد خلقه صورة ناطقة منه ، وأنه فى مقابل ذلك سيفعل كل ما يرغب فيه هذا الإله . وهنا يشير «رعمسيس» إلى أنه خالق له مصر من جديد وجعلها كما كانت من قبل ، وربما يشير بذلك إلى العهد الذى كانت عليه قبل الفوضى الذى أحدثها «إخناتون» وشيعته ، فأعاد بذلك تماثيل الآلهة كما كانت عليه من قبل حتى ألوانها وأجسامها ، وأمدّ البلاد بما يلزمها ، وأقام فيها المعابد . ومن أهم ما لفت نظره فى هذه الناحية توسيع معبد « بتاح » « بمنف » وتزيينه بكل النفائس ، كما أقام له معبدا فى وسط سور المعبد الكبير ونحت له تمثالا وضعه فى قدس الأقداس على عرشه العظيم . ثم أجزل لمعبده العطاء ، فحبس عليه الأوقاف ، وأمدّه بالكهنة من كل صنف ، واحتفل بأعياد ثلاثينية كما أمر هذا الإله ، أما القرابين التى كانت تقترب إلى « بتاح » فكانت من البقر والماشية التى تحصى بالملايين ، وفى نهاية المطاف نجد « رعمسيس الثانى » يظهر اعترافه بالجميل للإله لما حباه به من نصر على البلاد الأجنبية ، إذ جعلهم يشاهدون ما أقامه لهم من آثار عظيمة . هذا إلى أنه قد وسم قوم الأقواس التسعة وكل الأرض باسمه لأنهم ملكه ، وهو خالقهم وذلك بأمر منه ، ومن هذه النظرة العجلى التى تكشف لنا القناع عن سلطان « رعمسيس » فى السنة الخامسة والثلاثين من حكمه ، نعلم أن البلاد كانت فى رخاء ، وأنها تتمتع بأحسن نعمة وهى نعمة السلام الذى كان

ناشرا ألويته على ربوع البلاد كلها وبخاصة مع بلاد «خيتا» التى كان «رعمسيس» على ما يظهر صاحب مكانة عند عاهلها الذى سعى إليه ومعه كبرى بناته لتكون من بين زوجاته ، وقد خص الفرعون هـذا الحادث الذى كان يعـدّ فى نظره أمرا جللا بنقوش تحدثنا عن هذا الزواج وعلاقاته بملك « خيتا » الذى أصبحت بلاده حاجزا بين مصر والبـلاد المتمدينة الأخرى التى قـد تهدّد مصر من جهة حدودها الشمالية ، لأن « خيتـا » كانت مسلحة تسليحا قويا يمكنها من الوقوف فى طريق المغيرين ، ومن ثم كانت سدّا منيعا تقف أمامه قوى العدو إذا أراد أن ينفذ منها إلى أرض الكنانة .



(ملك خيتا وابنته أمام رعمسيس الثانى)

وفى الحق كان العاهلان المصرى والخيتى يحافظان كل المحافظة على المعاهدة التى أبرمت بينهما ، وقد كان من أكبر علامات الودّ والمصافاة بينهما وحسن النية زيارة ملك « خيتا » لفرعون مصر « رعمسيس الثانى » عند تولية عرش الملك وحمـله الهدايا إليه على ما يظهر مما سنتكلم عنه بعد ، ثم زواج «رعمسيس الثانى» من ابنة عاهل «خيتا» «خاتوسيل» مما زاد فى رابطة الودّ بين البلدين ، بعد أن قامت بينهما حروب طاحنة فصلنا فيها القول ، وقد كان الفرعون بوجه خاص فخورا بهذا الزواج ، ولذلك ترك لنا وثيقة ساذجة فى وصفها ، وقد نقشها على الجدار الجنوبى من ردهة معبد «بوسمبل» وغيره كما سيأتى . وقد بدأها «رعمسيس» بعبارات التفاخر وما طبع عليه

من شجاعة وما قام به من أعمال البطولة، والخوف الذى بعثته انتصاراته فى أرجاء العالم، وتسابق ولايات سوريا لقضاء مآربه، وما ذكره من أن أمير «خيتا» كان يرسل إليه هدايا فاخرة فى كل فرصة ممكنة . ولما لم يكن لديه وسيلة أخرى للتقرب منه والتحبب إليه، خاطب عظماء رجال بلاطه مذكرا إياهم بأن بلادهم كانت قد اجتيحت بالحروب، وأن إلههم «ستخ» قد حاربهم، وأنهم قد تخلصوا من شرورهم ومصائبهم بلين جانب شمس مصر ورحمته، و بعد ذلك قال لهم ملك «خيتا»: ”فلنأخذ متاعنا ونضع كبرى بناتى على رأسه، ثم نذهب إلى بلاد ذلك الإله العظيم حتى يعترف بوجودنا“. والواقع أنه فعل ما اقترحه وذهب رسوله بالهدايا من الذهب والفضة والخيل المسوّمة، وحاشية من الجنود، وكذلك ساق معه الماشية وحمل المؤن لطعامهم على الطريق، وعندما وصل «خارو» (بلاد سوريا) كتب الحاكم هناك فى الحال للفرعون قائلا: ”إن أمير «خيتا» ومعه وفد قد حضروا ومعهم كبرى بناته، وعدد من الهدايا من كل نوع، وأن هذه الأميرة قد وصلت ومعها رئيس كل بلاد «خيتا» إلى تخوم جلالتك بعد أن قطعا الجبال العديدة وقاسيا رحلة شاقة من بلاد نائية، ونحن فى انتظار التعاليم التى ستتبع معهما“. وقد كان الفرعون عندما وصلته هذه الأخبار فى عاصمة ملكه «بر رعمسيس»، فلما ألقيت على مسامعه أعلن سروره رسميا لأنه لم يسمع من قبل فى تاريخ البلاد أن أميرا عظيم الشأن قوى السلطان مثل ملك «خيتا» يحمل نفسه هذه المتاعب الجسيمة ويأتى مصر ليزوج ابنته من حليف له، وعلى أثر ذلك أرسل الفرعون أمراء قومه ومعهم جيش لاستقباله، غير أنه كان حريصا طوال هذه المدّة على إخفاء قلقه، وكما جرت العادة استشار ربه «ستخ» على مألوف العادة فسأله عن القوم الذين أتوا برسالة فى هذا الوقت لأرض «زاهى»؟ وقد طمأنه الوحى الإلهى على مقاصدهم، فأسرع فى الاستعداد لمقابلتهم كما يجب، ودخل الوفد بفخامة وعظمة مقرّ ملك «رعمسيس» وعلى رأسه الأميرة وفى ركابها الجنود المصريون الذين أرسلوا لهذا الغرض، ومعهم

مشاة « خيتا » وفرسانهم الذين كانوا يؤلفون نخبة جيش هـذه البلاد ، وقد أقام الفرعون حفلا مهيبا تكريما لهم مقدما فيه الطعام والشراب بسخاء مصرى وفى نهايته عقدت مراسيم الزواج على الأميرة من « رعمسيس الثانى » فى حضرة عظماء القوم وأمراء كل الأرض .

ولما كان « رعمسيس الثانى » لا يريد أن يضع أميرة من أصل رفيع مع حظياته العاديات فإنه خلع عليها لقب ملكة كأنها من دم شمسى (أى بنت الإله رع) ووضع اسمها فى طغراء، وأطلق عليها اسم « مات نفرورع » (أى التى ترى جمال «رع») ، وقد احتلت منذ تلك اللحظة فى الأحفال وعلى الآثار المكانة التى كانت تحتلها نسوة الفرعون اللائى من دم ملكى طاهر ، ومن الجائز أن هذا الشرف العظيم الذى انفردت به على غير المألوف قد جعل هـذه الأميرة الغضة الإهاب تتجاوز عن ارتفاع سنّ « رعمسيس » عندما تأهل بها ، إذ كان فى هذا الوقت يربى على الستين من عمره . هذا هو ملخص هذه الوثيقة التى وصلتنا ممزقة بعض الشىء .

لوحة زواج « رعمسيس الثانى » : (A. S. XXV, p. 181 - 228)

وقد عثر على عدّة نسخ من لوحة زواج « رعمسيس الثانى » من ابنة ملك « خيتا » وهى :

(١) لوحة « بوسمبل » وقد نقشت على الجدار الخارجى للمعبد[١] .

(٢) لوحة « إلفنتين »[٢] .

(٣) لوحة « الكرنك »[٣] .

---

(١) راجع : L. D. III, p. 196; Rec. Trav. XVIII, p. 160 - 166.

(٢) راجع : A. S. XXV, p. 182.

(٣) راجع : Ibid. p. 183.

وقد جمع الأثرى « كونز » كل هذه النسخ التى يكمل بعضها بعضا إلى حدّ ما ، وكتب عنها وهاك ما جاء فى هذه الوثيقة :

فى أعلى اللوحة يشاهد ملك « خيتا » وكبرى بناته فى حضرة الفرعون ، وأمام ابنة ملك « خيتا » الكلمات التالية (انظر الصورة ص ٢١٢) :

لقب أميرة «خيتا» : الزوجة الملكية العظيمة «مات نفرورع» بنت رئيس « خيتا » العظيم .

خطاب رئيس «خيتا» العظيم : "لقد أتيت إليك وإنى أعبد جمالك ... وإنك حقا محبوب « ستخ » ، وإنه قد جعل أرض «خيتا» من نصيبك ، ولقد جردت من كل أملاكى ، وكبرى بناتى على رأسها لأقدمها لوجهك البهى ، فهل تتعطف أن نظل عند موقف قدمك أبد الآبدين ، وكذلك بلاد «خيتا» قاطبة ، ومع ذلك فانك تظهر على عرش « رع » وكل الممالك تحت قدميك أبدا" .

تاريخ اللوحة ومديح الفرعون : السنة الرابعة والثلاثون فى عهد جلالة الصقر ، الثور القوى محبوب «ماعت» ، سيد الأعياد الثلاثينية مثل والده «بتاح تاتنن» ؛ المنسوب للإلهتين ، حامى مصر ، وقاهر البلاد الأجنبية ، (محبوب) « رع » ، والد الآلهة ومؤسس القطرين ، الصقر ، قاهر «ست» ، الغنى بالسنين ، العظيم الانتصارات ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ، وسيد القطرين ، المسمى « قوية عدالة رع» ، والمنتخب من « رع » ابن الشمس ، سيد الإشراق ، محبوب « آمون » ، وإن «رع» هو الذى خلقه : (رعمسيس) معطى الحياة ، وهو الذى فتح كل البلاد بشجاعته وقوته ، ومن تذكر الأقطار القصوى انتصاراته ، ومن خوفه فى كل القلوب أبدا : « رعمسيس » رب مصر وسيد الصحراء ، عاهل الأرضين مثل « آتوم » وسور من الطران حول مصر . وبطل مشاته ، وحامى خيالته ، وحمى البلاد و « بعل مصر » ، ومانحها النصر على كل البلاد الأخرى ، جميل الوجه عندما يرتدى التاج الأزرق ، فائق الوجه عندما يلبس تاجى الوجه القبلى والوجه البحرى ، لأنه جمع المملكتين فى سلام مثل والده « حورتنن » ، وقد أجلسه « رع » على عرشه ليحمى هذه المملكة على حسب رغبته ، ومن اسمه عظيم ، ومن ألقابه فاخرة ، ولا يوجد إله مثله ، ومن كلامه مختار ، ومن أفكاره مستحبة ، ومن قلبه يقظ ، ومن يحكم الأرض بقراراته : «رعمسيس» .

المديح الثانى : وهنا يبتدئ هذا الأثر الذى لا يفنى والذى مآله هو تعظيم قوة رب الساعد ، وتفخيم شجاعته ، والافتخار بشدة بأسه ، وهو الأثر الذى يذكر بالمعجزات العظيمة الخفية التى وقعت لرب

الأرضين ، وأنه « رع » فى شخصه أكثر من كل الآلهة ، وهو الذى على أثر وضعه فى عالم الوجود كان من نصيبه الشجاعة : « رعمسيس » .

وهو ملك يقظ ، وفرعون شجاع ، ابن « ست » ومحبوب « منتو » ونجم الأرض ، وقمر مصر ، وشمس الدنيا ، معطيهم النور ، وقرص الشمس ، المضىء للناس ، ومن النظر اليه يجعلهم يحيون ، ومن عدد سنيه مرتفعة ، ومن حكمه عظيم ، ومن أعياده الثلاثينية فخمة ، وأعاجيبه عديدة ، ومن خيره يفيض على الأرضين ، وثروته تفيض على الصعيد والدلتا ، فالمئونة فى يديه والخير العميم تحت قدميه ، والمأكولات موضوعة تحت نعليه ، ومن اسمه عزيز فى قلوب الآلهة ، ومن يحبه الناس حبا عميقا ، وإنهم يفرحون عندما يرونه كما يرون «رع» عندما يشرق فى الأفق : «رعمسيس» . ومن عرشه ثابت ، ومن ... ... مبجل ، ومن حكمه ... بسرور ، ومن اسمه بارز ، وإنه يصل إلى السماء مثل «رع» فى أعماله الأولى ، ومن قراراته كاملة ، وتعلياته ثابتة ... شجاع ... : «رعمسيس» ؛ وجلالته له الحياة والفلاح والصحة ملك الأقواس التسعة ، السيد العظيم لكل الممالك ، وإن السماء أغلقت ، والأرض زلزلت عندما استولى على مملكة «رع» ، وإنه استولى على تيجان « آتوم » مع صل سيد الكون على رأسه ، واجتمع على شخصه رمز السيدين «حور» و «وست» ، وسلطانهما وملكهما فى متناوله ، وقد فتح الجنوب والشمال ، والغرب والشرق يحنيان رأسيهما ، وإنه البذرة المقدسة لكل إله وأنه وضع من كل إلهة ، وقد نشأه الكبش سيد « منديس » فى المأوى العظيم فى « هليو بوليس » : (رعمسيس)...وثامن آلهة « الأشمونين » عندما خلقوا (؟) ، وأنه مثل « خبرى » عندما يرتفع ، ومثل « شو » و « تفنوت » أمام « حورتنن » لأجل أن ينظم مصر كما يجب عليه ، وعندما يمدّ الأرض بالمعابد : (رعمسيس) . وإنه صورة « رع » الحية ، ورمز من يسكن « هليو بوليس » ومن لحمه من ذهب وعظامه من فضة ، وأعضاؤه من حديد ، ابن «ست» ، ومربى «عنتا» ، والثور القوى مثل « ست » صاحب « أمبوس » « حور » المقدّس (؟) محب الناس ، والإله العظيم بين الآلهة ، حامى مصر ، والمدافع عن القطرين ، ومن يجعل حدوده على حسب ما يريد ، وكل البلاد فى سكينة ، وليس بجانبه خارجون ، والماهر فى غزواته ، إذ يسير اليها ويحرز النصر : (رعمسيس) ... لمصر ، والثمين للناس من الجنسين...ويأتون اليه...وكل فيضاناته تأتى بالخير ... : « رعمسيس » ؛ والمفيد فى الصعيد ، والمحبوب فى الدلتا ، ومن برؤيته تبتهج كل الأنام ، ومن جماله لهم بمثابة الماء والهواء ، وحبه كالطعام واللباس ، وقرص الشمس لمصر قاطبة والإله « شو » للقطرين ، والقطران متحدان معا كرجل واحد قائلين «لرع» عند شروقه : امنحه الأبدية فى الملك حتى يسطع لنا كل يوم مثلك ، واجعله يجدد لنا دائما مثل القمر ، وأن ينعم كنجوم (؟) السماء . امنحه الأبدية كما منحتها ابنك « ست » الذى فى قارب ملايين السنين : « رعمسيس » . وإنه «رع» الحى والجميل من الذهب ، وسام الآلهة ، ومن يملأ الأرضين بانتصارات

يمينه ، والفخار فى الأعمال التى يأتيها ساعده ، وهو بكر « بتاح تنن » الذى أنجبه ...: « رعمسيس » ، ... وهذا الإله الكامل هـو « آتوم » ووارث « رع » والصورة المعظمة لمن فى « عين شمس » ومن يكون معه جسما واحدا ، ومن يشرق كل يوم فى الأفق ليسمع التضرعات التى يوجهها اليه عندما يخاطبه كل شروق فى الصباح : ماذا تريد ؟ لأجل أن أفعله لك ، وهو يتكلم على الأرض ويسمع فى السماء ... على طريقة الإله نفسه بقلب منبسط مثل « رسى انيف » (أى الذى جنوبى جداره يقصد الإله بتاح) فإنه ... مثل جلالة «تحوت» : «رعمسيس» ، والذكى مثل ... جاسا الأجسام مثل «رع» رب السماء و إن خوفه هو الذى ... الناس هذه البلاد فى عيد لشجاعته عندما ... كل البلاد بقوّته : « رعمسيس » .

الموضـوع : تأمل ! لقد كان رؤساء البلاد العظام يتعلمون تلك الأخلاق الهائلة التى فطر عليها جلالته ، فقد تقهقروا مذعورين ، إذ كان الفزع من جلالته فى قلوبهم ، وكانوا يعبدون شهرته مقدمين الخضوع لوجهه الكامل ... وأطفالهم ورؤساء «رتنو» العظام ، والبلاد التى لا يصل الإنسان اليها والمجهولة لأجل أن يهدءوا قلب الثور القوى و يطلبوا اليـه السلام : « رعمسيس » ، و إنه استولى على أملاكهم جزية تقدّم كل سنة ، وكان أولادهم على رأس هدايا هم متعبدين منبطحين على الأرض... «رعمسيس» ، وكل البلاد الأجنبية قد أحنت رءوسها حتى الأقدام لهذا الإله الكامل ، وقد عمل حدوده معهم ... (٢٤) ... إلا ... بلاد « خيتا » التى لم تكن منضمة إلى هؤلاء الرؤساء ، وكما أنه حقا — قال جلالته — إن والدى «رع» قد خصنى أبدا ملكا على القطرين وجعلنى أشرق مثل قرص الشمس ، وأرتفع مثل « رع » ، وكما أن السماء ترتكز حقا على عمدها الأربع ، فإنى سأصل إلى نهاية حدود «خيتا» القصوى وأجذلها تحت قدمى أبدا . و إنى أنا «رعمسيس» سأجعلهم يفرّون ، وهم يحاربون فى ساحة القتال حتى يسكتوا عن وقاحتهم فى بلادهم ، وذلك لأنى أعلم أن والدى «ستخ» ، قد جعل من نصيبى النصر على كل البلاد ، وقد قوّى يمينى حتى جعله يصل إلى عنان السماء ، وجعل سلطانى شاسعا مثل الدنيا ، وعلى ذلك جهز جلالته مشاته وخيالته ، وانقض بهم على بلاد « خيتا » ففتحها منفردا بنفسه ... جميعا وقد اكتسب شهرة أبدية : «رعمسيس» حتى إنهم حفظوا ذكرى انتصار ساعدى ، أما الذين تركتهم يده فقد لعنهم وكانت أرواحهم فيهم كأنها شعلة متقدة ، ولم يترك الرؤساء على عروشهم ... : «رعمسيس» ؛ وقد أمضوا سنين فى البؤس ، و... من سنة لسنة تحت سلطان أرواح الإله العظيم الحى ملك الأرضين وسيد الأقواس التسعة : «رعمسيس» ؛ ولكن ملك « خيتا » العظيم أرسل رسالة إلى جلالته معظما أرواحه ومفخما ... قائلا ... غضبك ... نفس الحياة ... بلاد « خيتا » الضرائب وسنحملها إلى قصرك الفاخر ، وهانحن عند موطئ قدميك يا أيها الملك القوى فافعل بنا ما قد عزمت عليه يا « رعمسيس » ، ولقد أرسل رئيس « خيتا » رسلا لإرضاء جلالته السنة بعد السنة و «رعمسيس» لم يعرهم أذنا صاغية مرة واحدة ، ولكن لما رأوا بلاهم فى هذا الموقف البائس

تحت سلطان الأرواح العظيمة لسيد الأرضين : « رعمسيس » عندئذ قال الرئيس « خيتا » العظيم لجيشه ولرؤسائه ثم ماذا؟ إن بلادنا قد خربت ، وسيدنا « ستخ » غاضب علينا ، والسماء لا تمنحنا ماء أمامنا ... فلنجرد أنفسنا من ملك متاعنا وعلى رأسه كبرى بناتى ، ولنحمل هدايا خضوعا للاله الكامل ليمنحنا السلام ولنعيش : «رعمسيس» . وعلى ذلك أمر باستصحاب كبرى بناته مع الجزية الثمينة أمامها من ذهب وفضة وطرائف عدة وهامة وخيول يخطئها العد ، وثيران وغنم بعشرات الألوف وكل محاصيل بلادهم قاطبة (رعمسيس) ، وقد جاءت الأخبار لجلالته تقول : " تأمل : إن رئيس « خيتا » العظيم حقيقة قد جاء بكبرى بناته وهدايا عديدة ، وطرائف من كل صنف ... بنت ملك « خيتا » وابنته ملك «خيتا» والموكب ، قد اجتازوا جبالا وعرة ، ومسالك شاقة يا « رعمسيس » وسيصلون الى تخوم جلالتك ، فأرسل جنودا ووجهاء ليستقبلوهم يا « رعمسيس » " ، وقد أخذ جلالته ... ... والقصر كان فى فرح عندما سمع بهذا الخبر الخطير ، وهو ما لم يسمع بذكر مثله فى مصر منذ الأبد ، فأرسل الجيش مسرعا ، والعظماء ليتقدموا الوافدين : « رعمسيس » وقد تناقش وفكر جلالته مع لبه فيما يخص هذا الجيش قائلا : " ما حالتهم إذن : هؤلاء القوم الذين أرسلتهم وهم الذين سيذهبون فى بعثة نحو بلاد « سوريا » فى أثناء تلك الأيام المطيرة ، والمتساقطة الثلوج التى تنزل فى الشتاء ؟ " وعندئذ قدم قربانا عظيما لوالده « ستخ » ودعاه ... ... بهذه العبارات : " إن السماء على يديك ، والأرض تحت قدميك ، وكل تخرجه بإرادتك ، ليتك تجعل المطر وريح الشمال والثلوج تسكن الى أن تحدث على يدى المعجزات التى وهبتنيها : «رعمسيس» " وقد حقق والده « ستخ » كل تضرعاته فهدأت السماء وهلت أيام الصيف ... ... وجنوده وكانوا سعداء كلهم ، وارتاحت أجسامهم ، وفرح قلبهم : «رعمسيس» وبنت رئيس « خيتا » العظيم ... ... سارت نحو مصر وقد سار المشاة والعظماء والخيالة فى ركابها ، وكان مختلطا بالجنود والخيالة وعظماء «خيتا» والجنود المحاربين الأسيويين ، وكذلك المشاة : « رعمسيس » ، وكذلك خيالته وكل أهل «خيتا» وقد امتزجوا بأهل مصر ، وأكلوا وشربوا سويا وأصبحوا قلبا واحدا كالإخوان الذين لا ... ... الواحد من الآخر ، وقد ساد السلام بينهم مثل الإله نفسه ، و « رعمسيس » .

وقد مر الرؤساء العظام من كل بلد ... ... متقهقرين وملتفتين برءوسهم مشدوهين عند رؤية أهل « خيتا » ممتزجين بجنود الملك «رعمسيس» ، وهؤلاء الرؤساء كانوا يتحدثون فيما بينهم فيقول الواحد للآخر : هل صحيح ما قاله جلالته ... ... مثل ما أنهم عظماء ، وهذه ... ... الذين نراهم بأعيننا ؛ وكل بلاد همه بمثابة خادم ... ... فأصبحوا قلبا واحدا مع مصر ... ... « رعمسيس » .

ـ ... وبلاد «خيتا» له مثل مصر ، وحتى السماء تحت خاتمه ويعمل كل شىء كما يريد «رعمسيس» .

وحقا بعد ... ... وصل فى مقر «رعمسيس» ... ... المظفر بالمدهشات العظام ، وبالقوة والشجاعة فى السنة الرابعة والثلاثين الشهر الثالث من الشتاء : « رعمسيس » .

وقد جيء ببنت رئيس « خيتا » العظيم تتهادى نحو مصر أمام جلالته وسارت خلفها هدايا هامة جدا يخطئها العد ... ... ، وحقا وجد جلالته أنها صبيحة الوجه ... ... آلهة ، وقد كان حادثا عظيما غامضا بل أعجوبة ممتازة محيرة"، ولم يدر مثلها فى أفواه الناس ، ولم يذكر مثلها فى سجلات الأجداد ، البنت ... ... «رعمسيس» ، وكانت محببة لقلب جلالته الذى أحبها أكثر من كل شيء ، وذلك بالسعادة التى منحها إياه والده « بتاح تنن » : « رعمسيس » ؛ وقد جعل اسمها الزوجة الملكية « مات نفرو رع » — لتعيش — بنت ملك « خيتا » ... ... العظماء والمواطنون (؟) ... ... وعندما يذهب رجل أو امرأة الى بلاد «آسيا» فى بعثة كانوا يصلون بلاد «خيتا» دون أى خوف فى قلبهم بسبب انتصارات جلالته ... ...".

وقد فهم الأستاذ «برستد» المعنى العام لهذا المتن فهو كما قال يبحث فى تحالف بين « رعمسيس الثانى » مع الأسرة الحاكمة فى بلاد « خيتا » وذلك بوساطة الأميرة « مات نفرو رع » (التى ترى جمال رع) وقد قرن « برستد » بين اسم هذه الأميرة وبين اسم آخر ساعة من ساعات الليل «مات نفرو رع» ، وفى رواية أخرى «مات نفرو نبس» أو «بترت نفرو نبس» (أى أن اسمها يمثل بنور الفجر).

والواقع أن هذه القصة على مايظهر يرجع تاريخها إلى عهد سحيق فى القدم فى تاريخ العلاقات بين مصر وبلاد « خيتا » ولذلك يجب أن نحاول هنا أن نوفق بين مايمكن استخلاصه من هذا المتن وبين مايعرف من مصادر أخرى ، غير ماذكرناه من شرح مجمل سابقا .

ففى المتن الذى بين أيدينا نستخلص إشارات للحوادث التالية :

(١) امتنعت بلاد « خيتا » أن تنضم الى الرؤساء الأسيويين الذين كانوا يحملون جزيتهم إلى « رعمسيس » الثانى (٢٤) .

(٢) وقد قام ملك مصر بدوره وأعلن الحرب عليهم ، وخرب البلاد الخارجة (٢٤ — ٢٧) .

(٣) كانت بلاد « خيتا » مستعدّة كل سنة لتحمل للفرعون جزيتها ، ولكن عرضها هذا كان يرفض دائما (٢٨ — ٣٠) .

(٤) ولكن فى إحدى السنوات انتقل ملك « خيتـا » إلى دور العمل ، ولأجل أن يجبر « رعمسيس » على العفو عنه أحضر إليه فضلا عن الهدايا الفاخرة التى جلبها — كبرى بناته (٣١ — ٣٣) .

(٥) وعندما سمع « رعمسيس » هـذا الخبر أمر بإرسال ركب على جناح السرعة لمقابلة الوفد (٣٤ — ٣٥) .

(٦) ولمـا كان ذلك فى فصل الشـتاء وكانت أحوال الجوّ فى آسـيا رديئة فقد أتى « رعمسيس » بمعجزة على يد الإله « ست » فانقلبت الأحوال الجوّية (٣٦ — ٣٨) الرديئة إلى جوّ معتدل لطيف .

(٧) وقد وصل الركب الخيتى إلى مصر فى رفقة مصريين، فوصل إلى أرض الكنانة فى السـنة الرابعة والثلاثين ، الشهر الثالث من الشتاء فى وسط أفراح عظيمة (٣٨) . وعند هذه النقطة أصبح المتن ممزقا وناقصا ولكن يمكننا أن نخمن أن الأميرة أعجبت الفرعون وصارت ملكة ، ومن ثم أصبح ذلك الحـادث بداية عهد علاقات ودّية بين البلدين .

ونقط الاتصال المعروفة عن تاريخ العـلاقات بين مصر و بلاد خيتـا هى كما ذكرنا من قبل نتلخص فى النقط الآتية :

(١) الحمـلة التى قام بها « رعمسيس الثانى » على « خيتا » وانتهت بموقعـة « قادش » . على الرغم من أنه كان على ودّ ومصافاة مع ملك خيتا فى أوّل حكمه كما سنشرح ذلك بعد .

(٢) إعادة فتح « فلسطين » و « سـوريا » من السنة الخامسة حتى السنة الثامنة من حكمه ثم المعاهدة مع ملك « خيتـا » فى السـنة الواحدة والعشرين . ولكن كيف يمكن ربط هـذه الحوادث بقصـة اللوحة التى نحن بصددها ؟ ففى استطاعتنا أن نقدّر أن الحمـلة المظفرة التى جاء ذكرها فى لوحتنـا من (٢٤ — ٢٧) نتفق مع حملة موقعة « قادش » فى السنة الخامسة، ولكن يتساءل المرء لمـاذا مرّ متن اللوحة على معاهدة السنة الواحدة والعشرين دون الإشارة إليها

من قريب أو بعيد ، من أجل ذلك يجوز لنا أن ننظر إلى هذا العصيان وإلى قمعه بأنهما وقعا بعد المعاهدة ، وأن هذه اللوحة تحدثنا حينئذ عن الحوادث التى وقعت بين العام الحادى والعشرين والرابع والثلاثين . والتاريخ الأخير يعلم لنا المهادنة التى قامت بين « خيتا » و « مصر » والزواج الذى عقد بين « رعمسيس » والأميرة الخيتية وعيده الثلاثينى الثانى .

وتدل شواهد الأحوال على صحة هذه المحالفة الجديدة وتاريخها بين البيتين الخيتى والمصرى ، فقد أكدتها النقوش كما أظهر ذلك بحق « برستد » بالآثار التى نجد فيها ذكرها .

ماعت نفرو رع : قد دعيت بلقب ملكة وهى التى كانت فى الأصل تسمى بنت ملك «خيتا» وكما جاء على لوحة «بو سمبل» المؤرخة بالسنة الخامسة والثلاثين وهى التى تشير إلى وصول الخيتيين بهداياهم وفى مقدمتهم الأميرة،وهذه اللوحة تبرز بنوع خاص الصيغة المدهشة التى صيغ بها هذا التحالف، ويلاحظ فى الفقرة الثانية التى جاءت فى الوصف الشعرى لمدينة « رعمسيس » أن ملك « خيتا » قد كتب الى أمير « قدى » يدعوه للرحيل الى مصر ليكسب عطف الفرعون لأن إلههما «ستخ» أبى قبول قربانهم لحرمهم ماهو ضرورى لهم وهو الغيث .” والإله لم يتقبل قربان «خيتا»،وهذه بدورها لم تر بعد الماء”، وهذه الظاهرة، نجدها ثانية الآن فى فقرة من فقرات لوحة الزواج ذكرت بصفة قاطعة فى متن الكرنك(A. 31 = K 24)، ” والإله « ستخ » غاضب علينا، والسماء لم تعد تهب ماء أمامنا “ . وهذه الصيغة الخاصة بالإله سيد العناصر، وبنوع خاص عنصر الغيث لا تقتصر على الإله «ستخ» المصرى وحسب بل هى كذلك من خواص الإله « بعل » وآلهة أخرى أسيوية كثيرة. ويرجع الفضل إلى «ستخ» فى أن «رعمسيس » كان قادرا على أمر الغيث والثلج بالوقوف . أما موضوع المعجزة الجوية التى نسبت إلى « رعمسيس »

و « ستخ » ، فإنها تفسر بدون شك بظاهرة رجوع الحرارة المؤقتة فى وسط فصل الشتاء ، وهذه الظاهرة يطلق عليها عند الأوربيين " صيف القديس مارتن " غير أن متن هذه القصيدة يشير إلى حادث آخر سنشرحه فيما يلى :

زيارة ملك خيتا لمصر عند تولى رعمسيس الملك : والظاهر أنه حدثت زيارة قام بها ملك «خيتا» الى أرض الكنانة وكانت هذه الزيارة مفخرة « لرعمسيس» يتحدث بها على آثاره كما كانت الحال فى عهد « تحتمس الثالث » وأخلافه ، غير أننا لم نعثر حتى الآن على المتن الدال على ذلك فى النقوش المصرية التى على جدران المعابد ، بل وجدنا إشارة اليها على بردية (١) ، ولا بدّ أن مثل هذه الزيارة كان قد سبقها محادثات ورسائل كما نجد أمثال ذلك فى خطابات « تل العمارنة » ؛ والمتن الذى لدينا وضع فى صورة شعرية جاء فيه :" إن ملك « خيتا » قد طلب إلى أمير «قدى » الذهاب لزيارة فرعون مصر« رعمسيس الثانى » " فاستمع إلى ما جاء فى هذه القصيدة :

" أعد نفسك للرحيل إلى مصر .
لنستطيع أن نقول : إن أمر الإله ينفذ .
ردعنا نفاتح « رعمسيس الثانى » له الحياة والفلاح والصحة .
لأنه يمنح النفس من يريد .
وكل بلاد توضع تحت تصرفه .
فالخيتا تحت سلطانه وحده .
وإذا لم يقبل الإله قربانه .
فإنها لن ترى الغيث .
لأنه فى سلطة « رعمسيس الثانى » (له الحياة والفلاح والصحة) .
الثور المحب للشجاعة " .

---

(١) راجع : Papyrus Anastasi II, pl. II, 1 - 5; Ibid IV, pl. VI, 7 - 10.

وقد ظل سبب هــذه الزيارة والغرض منها مجهولا، وظنّ بعض الباحثين أن مثل هذا الشعر لا يخرج عن نسج الخيال الذى حاكه أحد شعراء البلاط كما نشاهد ذلك فى شعراء الشرق عامة، ولكن البحوث الحديثة قد أظهرت أن ملك «خيتا» قد تقابل مع ملك « مصر » قبل موقعة «قادش»، وقد بحث الأثرى « كافنياك» هذا الموضــوع على ضوء وثيقة من الوثائق التى حللها الأستاذ « سومر » (١) فى كتابه الأخير، وقبــل أن نبحث هذا الموضوع نعيد الى ذاكرة القارئ شـيئا مما مضى لربط الحوادث بعضها ببعض، فقد كانت مصر حتى بداية حكم «أمنحتب الثالث» أى قبل عام ١٤٠٠ ق م لم يكن لديها ما يشغل بالها كثيرا من جهة بلاد « خيتا » على وجه عام، غير أن العلاقات بين البلدين بدأت تأخذ شكلا جدّيا عندما أخذت بلاد « خيتا » تنتعش ثانية على مسرح التاريخ ، وتهــدّد كيان دولة « متنى » ومع ذلك بقيت العلاقات بين «مصر » و «خيتا» سليمة محترمة حتى تولى « أمنحتب الثالث » الملك أى حوالى عام ١٣٨٢ ق م .

وقد بدأت تلك العلاقات تسوء عندما أخذ «شو بيليوليوما » يزحف بجيوشه فى « سوريا » الشمالية ، وقد بدأ أوّل تصادم حربى بين البلدين فى نهاية حكم هذا العاهل أى حوالى نحو ١٣٥٥ ق م. كما سبق (راجع ج ٥ ص ٣٨٢ الخ) . وفى عهد « مورسيل » ملك « خيتا » (حوالى ١٣٥٠ — ١٣٢٠ ق م) نعلم أن المناوشات التى كانت بين البلدين لم تزل فى بدايتها ، وفى السنتين السادسة والسابعــة من حكم هــذا العاهل تدخلت مصر بقوّتها المسلحة بسبب الاضطرابات التى كانت قائمــة فى «سوريا» الشمالية ، وتحدّثنا النقوش أن جنود الفرعون قد انسحبوا أمام قوّاد « خيتا » المظفرين . وفى الســنة التاسعة من حكم هــذا العاهل كذلك نقــرأ عن اضطرابات قامت فى «نوخاشى» و «قادش» (كنزا)، ومع أن اسم مصر لم يذكر صراحة فى هــذه الاضطرابات ، فإنه يستغرب ألا تكون مصر هى المحرّضة للثوار

(١) راجع : Sommer, Die Ahhijava Urkunden. c IV, p. 242

من وراء ستار[١] . والواقع أنه عثر على أشكال جنود من أهـل الشمال فى مناظر مقبرة «حور محب»[٢] ، وعلى وجه عام يظهر أن مصر لم تكن قد فقدت سيادتها فى «فلسطين» إلا عند نهاية حكم « حور محب » .

أما باقى مدّة حكم « مورسيل » فليس فيه ما يخص موضوعنا ، ومن الجائز أنه قد عقدت معاهدة بين الفرعون « حور محب » و « مورسيل » .

ولكن فى بداية عهد الفرعون «سيتى الأوّل» (حوالى ١٣٢١ — ١٣٠٢ ق م) حدث تصادم بين الدولتين ، وقـد افتخر « سيتى » فى نقوشه أنه قهر « خيتا » ، كما فصلنا القول فى ذلك من قبل ، ولذلك ظنّ بعض المؤرّخين أن المعاهدة لم توقع بين «حور محب» و «مورسيل» بل بين «سيتى» وملك «خيتا» ونحن نعلم السبب الذى دعا الى هذا الزعم ، فقد جاء فى المعاهدة التى عقدت بين « رعمسيس الثانى » و «خاتوسيل» (حوالى عام ١٢٨٠) إشارة الى معاهدتين سابقتين كما ذكرنا آنفا ، واحدة منهما قديمة جدّا من عهد الملك «شوبيليوليوما» والثانية "من عهد والدى «مواتالو»" كما يقول «خاتوسيل» ، ونعلم أن والد «خاتوسيل» هو «مورسيل» ، أمّا «مواتالو» فكان أخاه ، وعلى أية حال فلا بدّ أنه توجد هنا غلطة كما ذكرنا آنفا ، فإما أن يكون « خاتوسيل » قد استعمل التعبير « والدى » بالمعنى الذى يستعمله غالبا ملوك الشرق « سلفى » أو أن الكاتب المصرى قـد كتب « مواتالو » بدلا من « مورسيل» ، وعلى أية حال كانت توجد فترة سلام بعد حكم «شوبيليوليوما» بين « مصر » و « خيتا » ، ولكن هل نضع تلك الفترة بعـد معاهدة أبرمت بين « مورسيل » و « حور محب » أم قبل حملة « سيتى الأوّل » على بلاد « خيتا » أو بعد انتهاء هذه الحملة بمعاهدة أبرمت بين « مورسيل » أو « مواتالو » ، وبين

(١) راجع : Cavaignac. Subbiluliuma, et Son Temps p. 72 ff.

(٢) راجع : Rev. D'Assyr (1929) p. 168 ff.

« سيتى الأول » (١) ، وقد تناول الأستاذ « زيتة » هذا الموضوع بالبحث ، وفضل النظرية الثانية (٢) .

فقد أثبت أن القصيدة التى ذكرناها فيما سلف ، وهى التى جاء فيها : مشروع زيارة ملك « خيتا » لمصر — لا علاقة لها بزواج « رعمسيس الثانى » بل يعزوها إلى بداية حكم هذا الفرعون (حوالى عام ١٣٠٢ ق م) . وسواء أكانت هذه الزيارة قد تمت أم بقيت مجرّد مشروع يراد تنفيذه، أو أن هذا المشروع نفسه لم يفكر فيه إلا فى مخيلة الشاعر المصرى، فإن القصيدة تدل على العلاقات الودّية بين المصريين وأهل « خيتا » عندما اعتلى « رعمسيس الثانى » عرش الملك ، وفى اعتقادى أنه يجب أن يكون ذلك هو موضوع الوثيقة التى حللها الأستاذ « سومر »، فقد جاء ذكر رحلة قام بها ملك «خيتا» إلى «مصر» مرات عدّة ، ويقول « سومر » إنه لم يتردد أحد قبل ما كتبه الأستاذ « زيته » من ملاحظات فى أن يربط هذا المتن بالرحلة الشهيرة التى قام بها ملك « خيتا » إلى مصر ، من أجل زواج ابنته « مات نفرو رع » من «رعمسيس الثانى» . وفى مقدورنا الآن أن نحدّد لهذا الحادث تاريخاً أقدم من تاريخ رحلة الزواج ، وذلك أننا نجد فى هذه الوثيقة التى لخصها « سومر » إشارات تشير بوضوح إلى عهد « مواتالو » إذ نعلم أن ملك « خيتا » المجهول اسمه الذى كتب الوثيقة بعد أن قال إنه لايسكن العاصمة «خاتوشا» قال أنه ولى وجهه شطر مصر ثم قال، "وفى السنة المقبلة نقلت أشياء ثمينة من «خاتوشا»"، وبعد عدّة أسطر تتحدث الوثيقة عن بلدة « داتاشاش » فى فقرة ممزقة (٣) .

ونعلم من ترجمة « خاتوسيل » لنفسه أن « مواتالو » هجر « خاتوشا » التى كانت مهدّدة بغزو « جاسجاس » (حوالى ١٣٢٠ — ١٣١٠ ق م) ، وحمل معه

(١) راجع : Maspero Hist. Anc. II, p. 372

(٢) راجع : Sethe. Deutsche Literaturz., (1926), p. 1873 ff

(٣) راجع : Keilschr. a. Boghazkoi II, V, I, 9-10, I. 20

آلهته إلى البلاد المنخفضة فى مدينة «داتاشاش» وقد بقيت عاصمة الملك مدة نهاية حكم «مواتالو» ثم فى عهد ابنه «أوهى تشوب» وحتى بداية عهد «خاتوسيل» .

والمعلومات التى جاءت فى الخطاب (أو الوثيقة) الذى نحن بصدده تشير إلى هذه الفترة ، ولذلك فإن الهدايا الخاصة التى حملت إلى الفرعون ، (وهى التى ورد ذكرها فى هذا الخطاب بجانب هدايا ملوك « أهيفا ») لابدّ كانت أرسلت « لرعمسيس » بمناسبة توليه العرش (١) ، ويوجد فى المجلد الأخير من (K. U. B.) قطعة صغيرة خاصة جاء فيها ذكر «بيامارادو» و «أهيفا» مما يدل على السنين الأولى من حكم الملك « مواتالو » (٢) وقد جاء ذكر مصر فى هذه القطعة أيضا .

ومهما يكن من أمر فإن « مواتالو » قد قام برحلة إلى « مصر » (حوالى عام ١٣٠٢) ولا نعلم إذا كانت هذه الرحلة قاصرة على محادثة بينه و بين «رعمسيس الثانى» جرت على شواطئ النيل أم كانت فى « فلسطين » وحسب ، ونحن من جانبنا نعلم السبب الذى من أجله لم تبق العلاقات طيبة بين البلدين ، إذ قام سكان «آمور» بثورة نقضوا بها ولاءهم لبلاد « خيتا » وولوا وجوههم شطر مصر ، وقد كان من جراء ذلك حملة «رعمسيس الثانى» فى السنة الخامسة والقتال الذى وقع فى «قادش» (حوالى عام ١٢٩٧ ق م) كما فصلنا القول فى ذلك .

لوحة « بنترش » أو لوحة « بختان » : والظاهر أن موضـوع زواج « رعمسيس الثانى» من ابنة ملك «خيتا » كان له أثر عظيم فى نفوس الشعب المصرى الذى لم يتعود أمثال تلك المناظر منذ عهد « أمنحتب الرابع » مما جعل هذا الحادث ينتشر بينهم وتتناقله الأجيال ، وخلطوه بقصة زواج أخرى حدثت فى عهد أسلافه خلال الأسرة الثامنة عشرة من أجنبية أيضا ، إذ الواقع أنه كما ذكرنا من قبل قد

(١) راجع : Keilschr. a Boghazkoi II, II, V, I, 13

(٢) راجع : Keilschrift Urk. a. Boghazkoi XXVI, 76

أرسل «دوشرتا» ملك « متنى» إلى مصر الإلهة «عشتارت» إلهة «نينوى» فى العام الخامس والثلاثين أو السادس والثلاثين من زمن العاهل العظيم «أمنحتب الثالث» لتشفيه من سقامه (راجع جـ ٥ ص ٣٦٥)،وكانت هذه الإلهة قد ذهبت إلى مصر فى عهد جدّ والد العاهل «دوشرتا» ، وكذلك أرسل ملك «خيتا» يطلب إلى فرعونها الإله «خنسو» أن يشفى ابنته ، وهى الأخت الصغرى للملكة «مات نفرو رع» زوج «رعمسيس الثانى» وقد أجاب «رعمسيس» رغبة ملك « خيتا» ، ولكن على الرغم من أن هذا الحادث لم يدوّن فى وثائق هـذا العهد فإنه قد بقى تتناوله الألسن حتى صبح ضمن أساطير القوم وقتئذ، و بعـد مضى ما يقرب من تسعة قرون على هذا الحادث أى فى العهد الفارسى . أراد كهنة الإله « خنسو » أن يعظموا من شأن إلههم ، و يرفعوا مكانتـه الطيبة فى أعين الشعب المصرى الذى كانت الخرافات قد طغت عليه بدرجة عظيمة وبخاصة فى عهود الانحلال، كما يقول الأستاذ «ارمان» فوضعوا لذلك قصة بلغة عتيقة بقدر ما سمحت لهم معلوماتهم ليوهموا الشعب أنها وصلت إليهم باللغة القديمة نقشوها على لوحة من الحجر وهى مصدرنا الوحيد (١) .

وقد درس الأثرى « بوزنر » هذه اللوحة و بعد بحث طو يل يقترح أن هـذه اللوحة قد كتبها الكهنة قاصـدين إظهار ما كان لمصر من عظمة وقوة سلطان فى الأزمان السالفة وأنها كانت سيدة بلاد الفرس (بكتريان = « بختان ») التى كانت تحكم مصر فى ذلك العهد ، و بذلك أيقظوا العزة القومية فى نفوس الشعب المصرى وذكروهم بماضيهم المجيـد (راجع B. I. F. A. O. Vol. 34 p. 75 ff على الرغم من حكم الفرس لهم . وفى اعتقادى أن هذا هو الرأى الصواب لأن المصرى يعتز دائما بقوميته وماضيه المجيد فى كل أطوار حياته وفى كل مناسبة .

(١) راجع : A. Z. (1883) p. 54; A Propos de La Stele de Bentresh, B.I.F.A.O., 34 (1933), p. 75; Hermann Die Agyptische Konigsnovelle, Leipziger Agyptologische Studien, Helft, 10 (1938) p. 56; Chroniqu D'Egypte No. 38 (Juillet) 1944 p. 214 .

وقد عثر عليها فى معبد صغير من العهد الإغريقى الرومانى كان قائماً بجوار معبد «خنسو» فى الكرنك ، وكان أول من عرف حقيقة هذه اللوحة هو الأستاذ «ارمان» إذ وجد أن الملك الذى يتحدث عنه فى اللوحة هو «رعمسيس الثانى» محبوب «آمون» غير أن الكهنة لجهلهم على ما يظهر لما أرادوا أن يضعوا ألقاب «رعمسيس» الرسمية قبل اسمه كما جرت العادة، وضعوا ألقاب «تحتمس الرابع» وهو أول من تزوج بأجنبية بدلا منها، هذا بالإضافة إلى أنهم لم يكونوا على علم بالتاريخ يؤهلهم لحذف المتناقضات فى القصة، فقد قالوا إن المدة اللازمة لقطع المسافة ما بين «مصر» و «بختان» وهى بلاد غير معروفة لنا تستغرق نحو سبعة عشر شهرا، (ويحتمل أنها ضمن بلاد فارس القديمة) ولذلك كتبوا اسم الأميرة «نفرورع» بدلا من «مات نفرورع» وهو الاسم الذى أطلقه «رعمسيس» على ابنة ملك «خيتا»، وكذلك جعلوا زواج «رعمسيس» من هذه الأميرة قبل العام الثالث والعشرين ، والواقع أن الزواج حدث فى السنة الرابعة والثلاثين، وهذه الأغلاط وغيرها تجعلنا على حذر من قبول ما جاء على لسان أولئك الكهنة فى العصر المتأخر وبخاصة «منيتون» الذى كان يعيش فى هذا العهد عندما كتبت هذه الأقصوصة وأمثالها .

أما اللوحة نفسها كما حاكها خيال الكهنة فتتألف نقوشها من جزأين : الجزء الأعلى ويشغل ربع مساحة اللوحة، عليه منظر يتألف من قاربين مقدسين للإله «خنسو» (ثم رسم على كلا جانبى اللوحة) ويحمل كلا منهما عدد من الكهنة ، فالقارب الذى على اليمين يسمى خنسو فى طيبة نفرحتب» ويحرق له «رعمسيس الثانى» البخور ، أما القارب الذى على اليسار فيسمى «خنسو» واضع الخطة فى «طيبة» الإله العظيم، ضارب الأرواح الشريرة، وأمامه كاهنه يطلق البخور ، والنقش المفسر التالى : اسم خادم الإله كاهن «خنسو واضع الخطة فى طيبة» ، هو «خنسو حات نترنب» (ومعنى الاسم خنسو سيد كل الآلهة) .

أما الجزء الثانى من اللوحة فيشمل المتن التالى : وهو القصة كما رواها كهنة العهد الفارسى .

مقدمة : «حور» الثور القوى شبيه التيجان، الباقى فى الملك مثل «آتوم» ، حور الذهبى ، عظيم القوة ، طارد الأقواس التسعة ، ملك الوجه القبلى ، والوجه البحرى رب الأرضين « وسرماعت رع ستبن » ابن الشمس، من جسده «رعمسيس مرى آمون» محبوب « آمون رع رب طيبة» وكل آلهة «طيبة» الإله الطيب ابن «آمون» ونسل « رع حور اختى» ، ومن تنبئ له بالانتصارات على أثر خروجه من البيضة .

جزية بلاد «نهرين» : تأمل ! لقد كان جلالته فى بلاد « نهرين » على حسب عادته السنوية عندما أتى الرؤساء من كل مملكة منحنين أمامه فى أمان لما لجلالته من شهرة، وكانت جزيتهم من المستنقعات (عند نهاية حدود الأرض) ، فالفضة والذهب واللازورد وكل خشب حلو من أرض الإله كانت على ظهورهم ، وكان كل واحد منهم يقود جاره .

زواج «رعمسيس» وبنت رئيس «بختان» : وعندئذ أمر رئيس «بختان» بإحضار جزيته ووضع كبرى بناته أمامها مادحا جلالته ملتمسا عنده الحياة ، وكانت آية فى الجمال لقلب الفرعون الذى أحبها أكثر من أى شىء، وبعد ذلك دوّنوا لقبها بوصفها زوجة الملك العظيمة «نفرو رع» ، وعندما وصلت إلى جلالته فى مصر أدّت كل وظائف الزوجة الملكية .

وصول الرسول من «بختان» : ولما حلت السنة الثالثة والعشرون، الشهر العاشر، اليوم الثانى والعشرون، عندما كان جلالته فى «طيبة» المظفرة سيدة المدن يؤدّى شعائر والده «آمون رع» سيد «طيبة» فى عيده الجميل الخاص بالأقصر مقرّه الجميل المحبب منذ الأزل لجلالته جاء جلالته : أن رسولا من رئيس «بختان» قد

حضر يحمل هدايا عدّة لزوج الملك وبعــد ذلك مثل أمام جلالته ومعه الهدايا فقال مادحا جلالته : " الحمــد لله يا شمس الأقواس التســعة " ، امنحنا الحياة منك ، وهكذا تكلم مقبــلا الأرض أمام جلالتــه ، ثم تكلم ثانية أمام جلالتــه : " إنى آت إليك يأيهــا الملك يا سـيدى بسبب « بنــترش » " = (بنت السرور) الأخت الصغرى(١) لزوج الملك «نفرورع» لقد نفذ المرض فى أعضائها ليت جلالتك ترسل طبيبا ليفحصها .

إرسال الطبيب إلى «بختان» : وعندئذ قال جلالته أحضروا إلىّ الكتّاب الإلهيين، وموظفى البلاط، فأحضروا إليه فى الحال، فقال جلالته : فليقرأ لكم واحد حتى تسمعوا هــذا الأمر ، ثم أحضروا إلىّ واحدا ذا تجربة فى قلبه فى استطاعته أن يكتب بأصبعه من بينكم، فمثل أمام جلالته كاتب الملك «تحوت محب» فأمره جلالته بالذهاب إلى « بختان » مع هذا الرسول .

وصول الطبيب إلى «بختان» : ووصل الطبيب إلى «بختان» ووجد «بنترش» فى حالة إنسان تحت سلطان عفريت ، ووجد فضلا عن ذلك أنه كان عدوّا يمكن محاربته ، وقد كرر "رئيس بختان فى حضرة جلالته قائلا : يأيها الملك يا سيدى، ليأمر جلالته بإحضار هذا الإله " (وبعد ذلك رجع الطبيب الذى أرسله جلالته) فى السنة السادسة والعشرين ، الشهر التاسع فى وقت عيــد « آمون » عند ما كان جلالته فى « طيبة » .

«رعمسيس» يتحدّث مع الإله «خنسو» : وبعد ذلك أعاد جلالته (هذا القول) أمام الإله «خنسو» فى «طيبة» «نفرحتب» قائلا : "ياسيدى الطيب، إنى أعيد أمامك حالة بنت رئيس «بختان»" وبعد ذلك قادوا «خنسو واضع الخطة»،

(١) راجع التصحيحات التى أدخلت على هذه الترجمة فى Chronique D'Egypte No. 38 (Juilet 1944) p. 214 – 218.

الإله العظيم ضارب الأرواح الشريرة ، ثم قال جلالته أمام «خنسو فى طيبة نفرحتب»[1] : أنت أيها الرب الطيب ، إذا أحنيت وجهك إلى «خنسو واضع الخطة» ، الإله العظيم ، ضارب الأرواح الشريرة فإنه سيحمل إلى « بختان » ، وقد حدث انحناء عنيف ، وعندئذ قال جلالته : "أرسل حمايتك معه حتى أجعل جلالته يذهب إلى «بختان» لينجى بنت رئيس بختان" ، فهز بعنف « خنسو فى طيبة نفرحتب » رأسه ، وعندئذ عمل حماية « خنسو واضع الخطة » أربع مرات (بتحريك رأسه طبعا) .

سفر «خنسو واضع الخطة» : وقد أمر جلالته بأن يحمل «خنسو واضع الخطة» إلى سفينة ومعها خمس سفن نقل وعربات عديدة وخيل من الغرب والشرق .

وصول الإله إلى «بختان» : وقد وصل هذا الإله فى مدى سنة وخمسة أشهر ، وعندئذ جاء رئيس « بختان » بجنده وأشرافه أمام «خنسو واضع الخطة » وانبطح أمامه على بطنه قائلا : "لقد أتيت إلينا فمرحبا بك عندنا بأمر الملك «وسرماعت رع ستبن » « رعمسيس الثانى " .

شفاء «بنترش» : وبعد ذلك ذهب هذا الإله إلى المكان الذى فيه «بنترش» وعندئذ عمل على حماية بنت رئيس « بختان » فشفيت فى الحال .

مصالحة العفريت . وعندئذ قال هـذا العفريت الذى كان يتقمصها أمام « خنسو واضـع الخطة فى طيبة » : إنك تأتى فى سـلام أنت أيهـا الإله العظيم ضار با الأجانب ، و إن «بختان» مدينتك ، وأهلها خدامك ، و إنى خادمك ، فسأذهب من حيث أتيت لأرضى قلبك فيما يخص الأمر الذى أتيت من أجله ، ولكن مر بأن يقام يوم عيد لى مع رئيس «بختان» ، وعندئذ هز هذا الإله رأسه لكاهنه قائلا : دع رئيس « بختان » يقدّم قربانا عظيما أمام هـذا العفريت ، وحينما كانت تحدث هـذه الأشياء التى عملها « خنسو واضـع الخطة فى طيبة » مع العفريت كان

---

(١) « نفرحتب » = لقب الإله « خنسو » . فى «طيبة» .

رئيس « بختان » واقفا مع جنوده يتوجس خيفة ، و بعـد ذلك قدّم قربانا عظيما أمام « خنسو واضـع الخطة فى طيبة » والعفريت ، واحتفل رئيس « بختـان » بيوم عيد معهما ، ومن ثم برح العفريت فى سلام إلى المكان الذى يرغب فيه بأمر من « خنسو واضع الخطة فى طيبة » ، وفرح بذلك رئيس « بختـان » غاية الفرح مع كل رجل كان فى « بختان » .

حجز الإله فى « بختان » : ولكنه بعد ذلك تشاور مع قلبه ، قائلا : ” سأجعل هذا الإله يبـقى معى فى « بختان » ولن أسمح له بالعودة إلى مصر وعلى ذلك لبث هذا الإله فى «بختان» ثلاث سنين وتسعة أشهر “ .

رؤيا رئيس «بختان» : ثم نام رئيس «بختان» على سريره فرأى هذا الإله مقبلا عليه ليهجر محرابه فكان فى هيئة صقر من الذهب وطار عاليا نحو مصر ، وعندئذ استيقظ رئيس « بختان » منزعجا .

سفر الإله إلى مصر : وعلى أثر ذلك قال لكاهن « خنسو واضـع الخطة فى طيبة » ” إن هذا الإله لا يزال معنا ، ولكن دعه يرحل إلى مصر ، دع عربته تنزح إلى مصر “ و بعد ذلك جعل رئيس «بختان» هذا الإله يسير إلى مصر وأعطاه هدايا عديدة جدّا من كل الأشياء الطريقة وعددا عظيما من الجنود والخيل .

وصول الإله إلى مصر : فوصلوا إلى «طيبة» فى سلام ثم ذهبوا نحو مدينة « طيبة » و « خنسو واضـع الخطة فى « طيبة » الى بيت « خنسو » فى «طيبة» نفرحتب » ، فوضع الإله الهدايا من الأشياء الطريفة التى أعطاها إياه رئيس بختان أمام « خنسو فى طيبة نفرحتب » ، غير أنه لم يقدم كل شىء أخذه هـذا البيت . وقد وصـل « خنسو واضع الخطة فى طيبـة » إلى مكانه فى أمان فى العـام الثالث والثلاثين ، الشهر الثانى ، اليوم التاسع من حكم «وسر ماعت رع ستبن رع» ليته يعطى الحياة مثل « رع » أبدا (راجع Br. A. R. III § 429 ff.) .

وهكذا يرى الباحث المدقق كيف تشوه الحقائق التاريخية عندما ينقلها من لا يعرف كنهها عن أفواه العامة والروايات المشوهة إلى أن يقيض لها علماء يغلونها وينقونها من كل شائبة، ويبنون استنباطهم للحقائق على قواعد علمية لا يتسرب إليها الشك، كما يعتمدون فى كتاباتهم على أسس متينة ترتكز على الحقائق التاريخية الثابتة، ولولا ذلك لظلت هذه الحادثة التاريخية وغيرها من الحوادث التى لها شأن فى تاريخ القوم أساطير تعدّ من نسج الخيال وقصة يتحدّث بها للأطفال؛ والواقع أنها كانت قد كتبت كما قلنا لإظهار فضل مصر وعظمتها على «الفرس» الذين كانوا يحكمونها فى تلك الفترة التى كتبت فيها القصة، وأن مصر قد حكمت الفرس وسيطرت عليها فى الأزمان الغابرة .

اثار رعمسيس الخالدة

النقوش الأثرية التى تركها «رعمسيس» الثانى فى بلاد النوبة والسودان على مبانيه العظيمة : كان «رعمسيس الثانى» أعظم ملك أقام مبان من حيث الضخامة والروعة فى طول البلاد وعرضها، ولن نكون مبالغين ولا مسرفين فى القول إذا قررنا هنا أنه لا يكاد يوجد مبنى أثرى فى البلاد من الشلال الثانى شمالا حتى مصب النيل إلا عليه اسم «رعمسيس الثانى» . يضاف إلى ذلك المبانى والآثار التى خلفها فى «فلسطين» وغيرها من البلاد التى فتحها فى آسيا ثانية مما تكلمنا عنه فى حينه، ولذلك فإن من العبث أن يحاول الإنسان وصف آثاره كلها هنا بالتفصيل، وسنكتفى بالتحدّث عن أهمها وبخاصة التى كان له اليد الطولى فى إقامتها، إذ الواقع أن «رعمسيس الثانى» قد جار على أسلافه كثيرا باغتصاب كثير من آثارهم ونسبتها لنفسه مدّة حكمه الطويل الذى قارب السبعة والستين عاما. على أنه لو فحصنا كل الآثار التى تنسب اليه حقا لوجدناه على الرغم من ذلك أعظم الفراعنة المشيدين للآثار فى مصر وغيرها من أملاك الامبراطورية فى آسيا وبلاد النوبة .

مبانيه فى بلاد النوبة : ففى بلاد النوبة حيث تكنف الصحراء النيل نراه قد انتهج نهجا جديدا فى إقامة الآثار ، إذ أنه بدلا من قطع الأحجار وبناء المعابد للآلهة المحلية أخذ فى نحت تلك المعابد فى الصخر نفسه ، وبخاصة لأنه لم يكن لديه الفضاء الكافى لإقامة هذه المعابد بين النيل والتلال الصخرية التى تكتنفه من الجانبين . على أن فكرة قطع المعابد الكهفية لم تكن فكرة مبتكرة «لرعمسيس الثانى» ، بل ترجع فى الواقع إلى عهد الدولة القديمة منذ الأسرة الرابعة ، بل منذ الأسرة الأولى عندما كان أولاد الأسرة المالكة وعظماء القوم ينحتون مزاراتهم فى الصخور التى بنيت بجوارها الأهرام العظيمة لإقامة شعائرهم فيها ، وربما لم يفكر مصريو الدولة القديمة فى نحت معابد الآلهة أو الملوك فى الصخر لأنه لم يكن الطراز الشائع فى ذلك الوقت بالنسبة للآلهة ، ولكن لم يحل عهد الدولة الوسطى حتى رأينا هذا الطراز من المعابد والمزارات يظهر ، فنجده فى «بنى حسن» وفى «أسيوط» فى عهد الأسرة الثانية عشرة ، كما نجده فى « الدير البحرى » و « الكاب » و « جبل سلسلة » كما ذكرنا من قبل . ومما هو جدير بالملاحظة فى هذه المعابد الكهفية أنه قد روعى فيها أن تكون على غرار المعابد المقامة بالحجر من حيث التخطيط ، اللهم إلا بعض تغييرات تحتمها طبيعة الصخر الذى نحت فيه المعبد ، ويشاهد أنه من الأمكنة التى فيها متسع على ضفة النيل كان ينحت جزء من المعبد فى الصخر فقط ، أما الجزء الأمامى منه فكان يبنى فى الهواء الطلق بقطع أحجاره من المحاجر المجاورة ، وبهذه الكيفية كان المعبد يتألف من جزءين : أحدهما مبنى ، والآخر مقطوع فى أصل الصخر . وأهم هذه المبانى وأعظمها من الوجهة التاريخية والفنية ما يأتى :

(١) معبد «بيت الوالى» : وعلى هذا النسق نظم مهندسو « رعمسيس الثانى » ردهة معبد « بيت الوالى » وبوابته ، وقد نحتت حجراته فى الصخر عند فوهة وادٍ جانبى ، ويتألف من دهليز وقاعة عمد منحوتة فى الصخر ، ومحراب صغير ودهليزه الذى لم يبق منه إلا جدرانه المنحوتة من الصخر ، وقد استعمل فى العهد

المسيحى كنيسة ، وأهم ما يلفت النظر فى هذا المعبد النقوش التاريخية التى نقشت على جدران الدهليز ، وقد عملت منها — لجمالها وأهميتها — نماذج محفوظة الآن بالمتحف البريطانى، والواقع أن هذه المناظر لهـا أهمية تاريخية عظمى فى حياة « رعمسيس الثانى » قبـل انفراده بالحكم كما سبق الكلام عن ذلك (راجع ص ٢٠٣) .

فعلى الجدار الذى على يسار الداخل يشاهد منظران يمثلان انتصار الفرعون على النوبيين، ويرى الملك فى المنظر الأوّل جالسا على عرشه تحت قبة . وفى الصف الأسـفل فيه نشاهد عظماء القوم يقدّمون له الجزية من مختلف الأنواع، وأهم ما يلفت النظر من بينها لوحة محلاة بالنباتات يتدلى منها حلقات وجلود ، وخلف ذلك يرى نوبيان مكبلان ثم يأتى خلفهما نوبيون يحمـلون القرب ، وتتألف من قردة وكلاب صـيد وفهود وزرافـة ونعامة وماشية، وكذلك نساء معهنّ أطفالهنّ إحداهنّ تحمل طفلها على ظهرها فى سلة بوساطة سير مربوط على رأسها، ويلاحظ أن أحد الثيران المهداة له قرنان ممثـلان كالذراعين بينهما رأس عبد أسـود يطلب الرحمة .

وفى الصـف الأعلى نشاهـد اللوحة السالفة الذكر موضـوعة أمام الفرعون فى حين كان نائب السودان (ابن الملك) يحلى صدره سـلاسل شرف من الذهب ممـا أنعم به الفرعون عليه، ويشاهد بعد ذلك حلقات من الذهب وكراس وأسنان فيـلة وأقواس ودروع وجلود فهود وأبنوس ومراوح ومواد أخرى قدّمت جزية، وكذلك نرى عبيدا يتقدّمون بهداياهم التى تتألف من ماشـية وغزلان وأسود وغير ذلك . وفى المنظر الثانى نشاهد الملك وولديه يظهرون فى عرباتهم يهاجمون الأعداء من السود، فيهرب العبيـد إلى قريتهم التى تقع بين خمائل الدوم . ويلاحـظ أن نوبيا مجروحا قد قاده صـديقان له إلى زوجه وأولاده فى حين نرى امرأة أخرى تقعد بجانب نار تطهو طعاما .

أما المنظــر الذى على الجــدار الأيمن فيمثل حروب الفرعون مــع السوريين واللوبيين، ففى الصورة الأولى من جهة اليمين نشاهد الفرعون يقف فوق عدوّين مطروحين أرضا ويقبض على ثلاثة آخرين من السوريين من نواصيهم، على حين نشاهد أميرا يسوق أسرى موثقين أمامه .

وفى المنظر الثانى نشاهد الفرعون أمام حصن سورى على شرفاته رجال ونساء يطلبون الرحمــة ومن بينهم امرأة تحمل طفلا بين ذراعيها، ويرى الملك قابضا على أحد الأعداء (الذى كان ممســكا بقوس مهشم) من شــعره ليقتله، وفى أســفل نشاهد أحد الأمراء يهشم بابا ببلطته .

وفى المنظر الثالث يشاهد الفرعون فى عربته يهاجم السوريين الفارّين ويقتل اثنين من الأعداء ، على حين يرى اثنان آخران مربوطين فى عربته .

وفى المنظــر الذى يلى ذلك نرى الفرعون يضرب لوبيــا فى حين كان كلبــه يقبض على العدوّ ، وفى آخر المطاف نشاهد الفرعون جالسا تحت قبته على عرشه وبجانبه أسده الأليف وابنه المسمى « آمون حرونمف » يقدّم له أسيرا سوريا .

ولا نزاع فى أن هذه المناظر تقدّم لنا صفحة ناصعة عن حالة البلاد التى حاربها « رعمسيس الثانى » وما كان عليــه أهلها من رخاء ومدنية . فأهــل بلاد النوبة كانوا — على ما يظهر — فى ســعة من العيش إذا كان ما يقدّمونه للفــرعون من جزية واقعيا، كما يضع أمامنا صــورة ناصعة عن محاصيل هــذه الأصقاع فى تلك الأزمنة ، وبخاصة الذهب وأنواع الحيوان ، والمصنوعات التى كانوا يحذقونها ، كما تعطينا صــورة عن قراهم وحياتهم المنزليــة . وتدل كل ظواهر الأحوال على أن حالة بلاد «السودان» كانت فى ذلك العهد فى رخاء مثلها فى ذلك مثل الوادى نفســه . أما فى « ســوريا » فنرى أن القوم كانوا متحصنين فى قلاعهم التى كان يهاجمها « رعمسيس » وابنــه فى المقدّمة ، وممــا يلفت النظر كذلك أن الفرعون

كان يستعين فى حروبه بالكلاب كما كانت الحال فى عهد الدولة الوسطى (راجع جـ ٣ ص ٥١)، وكذلك كان يصحب أسده الأليف فى كل مكان[1] .

(٢) معبد «جرف حسين» : يقع هذا المعبد على الضفة اليمنى، وقد سماه مؤسسه « رعمسيس الثانى » « برپتاح » (بيت بتاح) ، وقد أقامه « ستاو » (راجع جـ ٥ ص ١٧١) حاكم بلاد النوبة فى تلك الفترة باسم «رعمسيس» وأهدى للإله «بتاح» رب «منف» وزوجه « سخمت » وابنهما « نفرتم »، ويلاحظ أن بوابة هذا المعبد قد هدّمت ولم يبق منها إلا بعض آثار مبعثرة ، ولكن جزء المدخل الذى كان يحيط بالردهة لا يزال قائما ، وكذلك جزء من العمد والتماثيل التى ترتكز بظهورها على هذه العمد لا تزال فى مكانها . وبعد هذا المدخل نجد قاعة عظيمة مقطوعة من الصخر، يرتكز سقفها على ستة أعمدة مقطوعة فى الصخر، كذلك يستند على كل واحد منها صورة الفرعون ، وكذلك توجد أربع كوات فى كل جانب من جوانب هذه القاعة ، مثل على جدرانها الفرعون بين « آمون رع » و «موت» وبين « حور » سيد « باكى » (كوبان) و « حور » رب « بوهن » وبين « بتاح تنن » والبقرة « حتحور »، وبين « بتاح » و « سخمت » ، وكذلك نشاهده بين « خنوم » و « عنقت » وبين « نفرتم » و « ساتت » وبين « حور » رب « معم » (عنيبة)، وبعد ذلك نصل إلى قاعة أخرى مثل فيها الفرعون أمام آلهة أخرى كما نجده هو مؤلها ، ومن هذه الحجرة يصل الإنسان الى قدس الأقداس فى نهاية المعبد، حيث نجد فى وسطها طوارا مقطوعا من الصخر كان يوضع عليه القارب المقدّس[2] .

---

(١) راجع : Roeder, Der Felsentempel Von Bet el Wali p. 31 ff.

(٢) راجع : Baedeker's, Egypt (1929) p. 420 ff.

(٣) معبد «السبوعة» : يقع معبد «السبوعة» — كما يسمى الآن — على الضفة الغربية من النيل ، ويسمى بالمصرية « برآمن » (أى بيت آمون)، وقد أهداه « رعمسيس الثانى » لكل من الإله « آمون » وإله الشمس « رع حور اختى » ، وقد بنى بنفس التصميم الذى وضع لمعبد « جرف حسين » ، وكان « رعمسيس » ضمن الآلهة الذين كانوا يعبدون فيه، وهذا المعبد كان محاطا بجدران من اللبن حطمت الآن ، وبوابته من الحجر ، يكنفها تمثال « رعمسيس الثانى » وتمثال « بولهول » يمثل الفرعون أيضا، وهذه البوابة تؤدى إلى الردهة الأمامية من المعبد ، وقد حلى ممرها الأوسط بستة تماثيل « بولهول » فى صورة أسد يرتدى كل منها التاج المزدوج ، ومن ثم أطلق على المعبد الاسم الحديث « السبوعة » ، وبعد ذلك ينفذ الإنسان من بوابة ثانية من اللبن إلى الردهة الثانية المحلاة من جانبيها بتمثالين فى صورة « بولهول » ورأسه رأس صقر ، وهو رمز للإله « رع حور اختى » ، ومن ثم يصل الإنسان إلى المعبد الأصلى بوساطة سلم يؤدى إلى بوابة من الحجر ، أقيم أمامها أربعة تماثيل للفرعون ، ومن هذه البوابة يدخل الإنسان الى القاعة العظمى المزينة بالأعمدة والتماثيل الضخمة للفرعون ، ومنها الى قاعة العمد العظمى ، التى تؤدى بالزائر إلى قدس الأقداس ، وقاعة أخرى جانبية مثل على جدرانها الفرعون مع آلهة مختلفين ، ولكن مما يلفت النظر فى هذه النقوش صورة « رعمسيس الثانى » يقدم قربانا لصورته هو (أى أن « رعمسيس الثانى» كان يتعبد لتمثاله هو) (١) .

ونقش الإهداء الذى تركه لنا « رعمسيس » هو : « رعمسيس الثانى » قد عمله بمثابة أثر لوالده « آمون رع » ملك الآلهة » (L. D. III, 180.) .

وكذلك نقش على عمود فى الردهة الأمامية الإهداء التالى : " «رعمسيس مرى آمون» فى « بيت آمون » قد أقامه بمثابة أثر لوالده «آمون رع» صانعا له عمودا

(١) راجع : Baedeker's Egypt (1929) p. 424

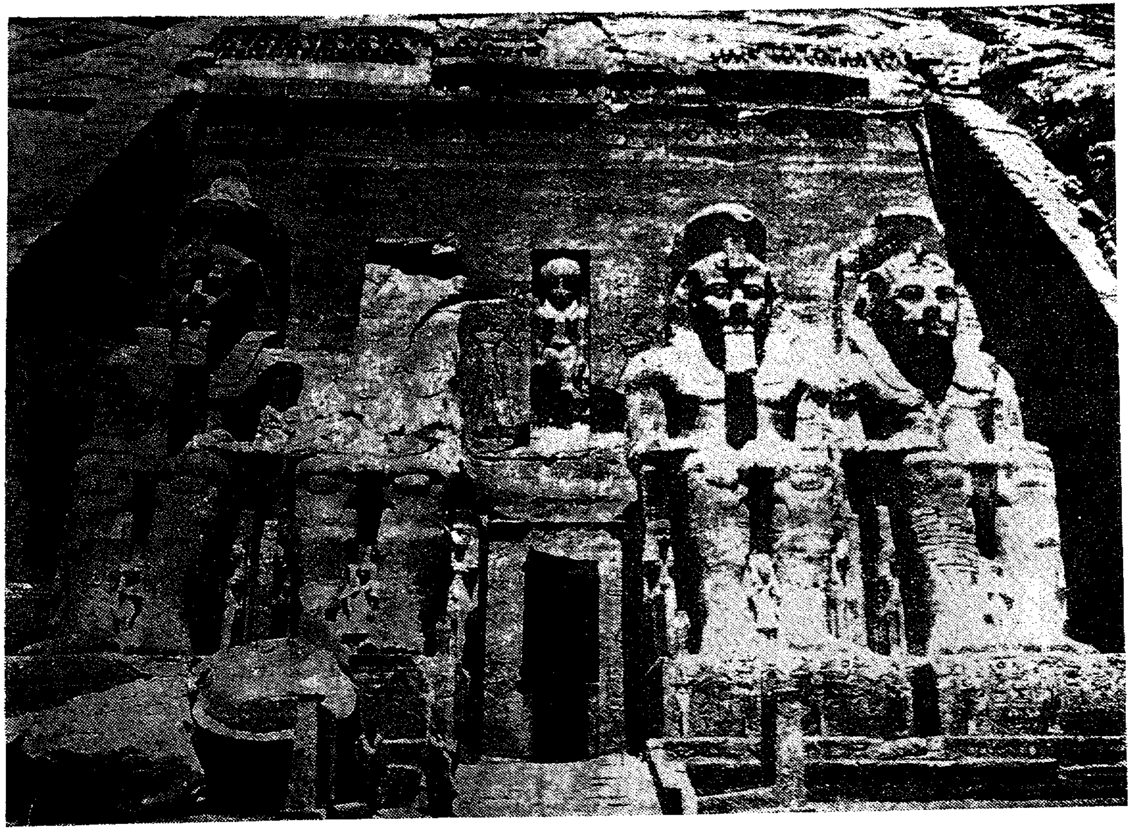
عظيما وفاخرا ، محلى بكل حجر ثمين غال ، ليعطى الحياة والثبات والرضا مثل « رع » يوميا " .

(٤) معبد «الدر» : يقع عند سفح التلال ، وهو مقطوع فى الصخر أيضا ، ويسمى معبد « رعمسيس » فى بيت «رع» ، وقد أقامه « رعمسيس الثانى » ، وأهداه الى إله الشمس « حور اختى » . وهاك نص الإهداء : " لقد أقامه « رعمسيس الثانى » بمثابة أثر لوالده « حور اختى » فعمل له بيت « وسر ماعت رع مرى آمون فى بيت رع » " .

كذلك نجد نقش إهداء آخر وهو : "«رعمسيس الثانى» أقامه بمثابة أثر لوالده « آمون رع » رب « طيبة » (وملك الأرضين فأقام له معبدا فى بيت رع) " .

وبوابة هذا المعبد وردهته قد محيتا ، والزائر يدخل الآن أولا قاعة مخربة ، لم يبق منها إلا بعض أعمدة فى نهايتها ، ترتكز عليها تماثيل ضخمة للفرعون ، أما جدران هذه القاعة فلم يبق منها إلا الجزء الأسفل ، وقد نقش على تلك الجدران مناظر لها أهمية تاريخية . إذ نشاهد مناظر من حملة على بلاد النوبة على الجدار الأيمن ، يظهر فيها الفرعون وهو يقود بعض الأسرى أمام الإله ، وفى الصف الأسفل من هذا المنظر يشاهد الفرعون وهو فى عربته يفوّق سهامه على العدو الهارب ، كما نشاهد الهاربين يحملون جرحاهم الى الجبال ، حيث نشاهد أسرة راع محاطة بمواشيها تنظر فى حزن وأسى إلى الجرحى . ومما يلفت النظر فى أحد هذه المناظر أن الأسد الذى يتبع الفرعون كان يقبض على أحد الأسرى من ساقه . وهذه القاعة تؤدّى إلى قاعة عمد تكاد تكون مربعة الشكل ومنحوتة كلها فى الصخر ، ويشاهد على جدارها الخلفى صور الآلهة الذين كانوا يعبدون فى هذا المعبد ، وهم « بتاح » و « آمون رع » ، والملك و « حور أختى » ، وهكذا كان يؤله « رعمسيس » فى هذا المعبد أيضا[1] .

(١) راجع : Baedeker's. Egypt p. 428



معبد «بوسمبل» الذى أقامه «رعمسيس الثانى»

(٥) معبد « بو سمبل » : قد لا نكون مبالغين إذا قررنا هنا أن معبد « بو سمبل » يعد أعظم بناء ضخم صنعه الإنسان على وجه البسيطة فى زمانه ، والواقع أن بانيه كان يقصد أن ينحت لنفسه مبنى منقطع النظير، يفوق به كل من سبقه ، ولذلك نجد أنه حوّل صخرة « بو سمبل » إلى أثر يدل على عظمته وضخامة ملكه بين الفراعنة . حقا إن صخور الشاطئ هنا تبرز تجاه النيل ، وتؤلف نتوءا مخروطىّ الشكل، وقد حلى وجهها « رعمسيس الثانى » بنقش لوحات مجد وظفر يقرأ فى سطورها الملاحون أو الجنود الذين يحدرون فى النهر أو يصعدون فيه مدائح هذا الفرعون وأعماله العظيمة التى كتبها لنفسه فى سجل التاريخ[1] . وإذا وازنا هذا المعبد بالمبانى الفرعونية الأخرى فى مصر نفسها نجده يفوقها من كل الوجوه، وهو منحوت كله فى الصخر الصلب ، وقد أهداه بانيه أوّلا للإلهين « آمون رع » رب طيبة و « حور اختى » إله « هليو بوليس » وهما الإلهان الرئيسيان فى مصر، ولكن نجد أن الإله « بتاح » رب « منف » و « رعمسيس الثانى » نفسه كانا يقدّسان كذلك فيه ، والقول المشهور عن تأسيس هذا المعبد أنه ينسب إلى « رعمسيس الثانى » ، غير أن الأستاذ « برستد » يقول : إنه كان قد بنى منه جزء كبير عند تولية « رعمسيس » الملك ، وقد عزز رأيه هذا بقوله : إنه يوجد نقش باسم « سيتى الأوّل » على المدخل فى نهاية القاعة الأولى ، وهذا المدخل هو الذى يصل منه الإنسان للقاعة الثانية ، والواقع أن الأستاذ « برستد » قد بنى رأيه هذا على اعتقاده أن « رعمسيس الثانى » لم يشترك مع والده فى الملك عدّة سنين قبل انفراده بالملك كما بينا ذلك من قبل . وعلى ذلك قد يجوز أن يكون البناء كله وتصميمه من عمل « رعمسيس الثانى » فى أثناء اشتراكه مع والده فى الحكم، أما نقش الإهداء فيصحبه منظر يرى فيه « رعمسيس الثانى »

(١) راجع : Ed. Meyer Gesch. II, I, p. 500; Maspero, The Struggle of the Nations p. 411 ff.

على عرشه ومعه موظف يدعى « رعمسيس عشاحب » منحنيا أمامه، والمتن يدل على أن « رعمسيس » يعطيـه التعليمات ليقيم معبـدا باسم الإله « حورحا » ومن المحتمل أنه معبـد « سرة » المسمى « إكشه » لا معبد « بوسمبـل » . ويقول « برستد » كذلك إن الإشارة الهـامة إلى استعمال الأسرى الأجانب فى بناء المعبد، تدل على أن المعبد قد أقيم بعد بداية حروب هـذا الفرعون ، ولا بدّ أنه يعنى هنا عنـدما انفرد بالملك، ونحن لا نعرف حروبا شنها فى السنة الأولى من حكمه ، بل الواقع أن هؤلاء الأسرى كانوا من الذين اسـتولى عليهم فى حروبه قبـل انفراده بالحكم، هذا إذا صدّقنا كل ما حدّثنا به الأثرى « كيث سلى » فى كتابه عن اشتراك « رعمسيس » مع والده فى الحكم (راجع ص ١٩٨ الخ) . ونجـد أمام الموظف « رعمسيس عشاحب » المتن التالى : ”الساقى الملكى لجلالتـه له الحياة والفـلاح والصحة ، « رعمسيس عشاحب » . المظفر يقول : أما وصف كل ما يخرج من فيك فهو مثـل كلمات الإله «حور اختى»“.

ونجد كذلك فوق هذا الموظف وخلفه نقشا يبتدئ بألقاب هذا الفرعون كاملة ويتلوها بعض نعوت شعرية مثل ”من ينشر جناحيه على جيشه“ ثم تنتهى هذه النعوت بقوله : ”صانع الآثار فى بيت «حور» والده الفاخر“ و بعد ذلك يقول المتن :

”تأمل أما جلالته — له الحياة والفلاح والصحة — فإنه يقظ فى البحث عن كل فرصة مفيدة ، بعمل أشياء ممتازة لوالده « حور » رب « حا » (وهو الإقليم الذى يقع فيه معبد « بوسمبل ») مقيما له بيت عشرات آلاف السنين بحفره فى جبل «حا» هذا ، وهو ما لم يأته أحد من قبله إلا ابن «آمون» ، فقوّته فى كل الأراضى، وقد أحضر له جما غفيرا من العمال ممن استولى عليهم بسيفه فى كل مملكة ، ولقد ملأ بيوت الآلهة بأولاد «رتنو» ، وبعد ذلك أعطى ساقى فرعون «رعمسيس عشاحب» الأوامر لإعداد بلاد « كوش » من جديد باسم جلالته العظيم له الحياة والفـلاح والصحة فقال : ”الحمد لك يأيها الملك الشجاع ياشمس الأقواس التسعة . إنه لا يوجد ثائر فى زمنك ، بل الأرض كلها فى سلام .

---

(١) راجع : L. D. III, 191 m.n.

(٢) راجع : L. D. III, p. 187, a. b.

وقد قرر والدك «آمون» من أجلك أن تصير كل أرض تحت قدميك و إنه يمنحك الجنوب والشمال والغرب والشرق ، والجزر التى فى وسط البحر " .

و يوجد إهداء للإله « حور اختى » وهو :

" إن « رعمسيس الثانى » قد عمــله بمثابة أثر لوالده « حور اختى » الإله العــظيم رب النوبة "

وســنفصل القول بعض الشيء فى وصف نقوش هــذا المعبد لمــا لها من الأهمية العظمى من الوجهة الحربية والدينية والسياسية فى تاريخ البلاد فى ذلك العهد .

يتألف هذا المعبــد من ردهة أمامية قطعت فى الصخر أمام المعبد الأصلى ، وكانت محاطة فى الأصل بسور من اللبن ، و يتصل بهذه الردهــة طوار يصل إليه الإنسان بســلم ، وعلى اليمين واليسار منــه كوتان ربما كانتا تحتو يان على أحواض للطهور لزائرى المعبد ، وعلى جدرانه نقوش «لرعمسيس الثانى» وهو يقدّم القربان و يحرق البخور للآلهة «آمون» و «رع» و «حور اختى» و «بتاح» ،وعلى جدران هذا الطوار صفوف من الأسرى تنتهى بشرفة نقش عليها متن الإهــداء الذى نقشه «رعمسيس» ، وخلف هذه الشرفة أر بعة تماثيل هائلة الحجم للفرعون مقطوعة فى الصخر (انظر ص ٣٤٠) كل منها يربى على خمس وستين قدما فى الارتفاع أى أعظم حجما من تمثالى « ممنون » اللذين أقامهما «أمنحتب الثالث» أمام معبده الجنازى بطيبة الغربية (راجع ج ٥ ص ٦٩) . وقد نحت على يمين وشمال كل من هذه التمــاثيل الجالسة صورتان لبعض أفراد الأسرة، نذكر منها الأميرة « نب تاوى » والأميرة « بنت عنتا » ثم الملكة « تو يا » والدة « رعمسيس الثانى » وزوجه « نفر تارى » و بين ساقى تمثال منها الأمير « آمون حر خبشف » .

أما واجهــة المعبد التى تمثل هنــا البوّابة فى المعبد المبنى بنــاء عاديا فمتــوّجة بكرنيش على هيئة جريد النخل و يعلوها صف من القردة يتعبدون للشمس المشرقة، وهنا نجد نقش الإهداء «لآمون رع» و «حور اختى» ،و بعد المرور من هذه البوّابة ندخل المعبد المقطوع فى الصخر و يبلغ عمقه حوالى ثمانين ومائة قدم من الأسكفة

حتى آخر حجرة داخلية، (أى حتى قدس الأقداس) والحجرة الأولى من هذا المعبد، وهى قاعة العمد العظيمة، تقابل فى المعبد العادى الردهة المفتوحة ذات العمد المسقوفة، ويبلغ عرضها أربعا وخمسين قدما، وعمقها ثمانٍ وخمسون قدما، ويرتكز سقفها على ثمانية أعمدة مربعة الشكل يستند على كل منها صورة الملك فى هيئة «أوزير» وسقف الطريق الوسطى فى هذه الحجرة محلى بعقبان طائرة، أما الطريقان فيحلى سقفيهما نجوم.

ويشاهد على النصف الأيمن من جدار المدخل الملك وهو يضرب زمرة من الأعداء فى حضرة «رع حوراختى» الذى يقدم له السيف المعقوف، وعلى النصف الأيسر من الجدار منظر آخر يماثل الأول، غير أن الملك فى هذه المرة يقف أمام الإله «آمون رع»، وعلى الجدار الجنوبى نشاهد الملك فى عربته يهاجم قلعة سورية، على حين نرى المحاصرين يطلبون الرحمة وهم فوق الشرفات والسهام نافذة فى أجسامهم، ويتبع الملك ثلاثة من أولاده، وفى أسفل هذا المنظر نشاهد راعيا يفر بقطيعه إلى المدينة، كما نشاهد الفرعون يضرب بحربته لوبيا، وفى النهاية يعود الملك مظفرا من الواقعة ومعه الأسرى من السود.

أما الجدار الشمالى فقد مثل عليه منظر من مناظر حملة الملك على «الخيتا» وهى التى مثلت على معابد «الرمسيوم» و«الأقصر» و«العرابة» وغيرها كما ذكرنا. (أنظر صورة موقعة قادش بمعبد بوسمبل).

ففى النصف الأسفل من الجدار نشاهد أولا سير الجيش المصرى الذى يحتوى على مشاة وخيالة، والمعسكر المصرى ودروع الجنود مصفوفة حوله كأنها أقيمت حاجزا، وجلبة الجيش ممثلة هنا بصورة حية، ونشاهد الخيل غير المسرجة يوضع أمامها علفها، كما نشاهد الجنود يأخذون نصيبهم من الراحة، وكذلك أتباع الجيش الذين يحملون الأمتعة. وعلى اليمين نشاهد السرادق الملكى، والصورة الثالثة على هذا الجدار يظهر فيها الفرعون على عرشه عاقدا مجلسا حربيا استشاريا مع ضباطه. وأسفل هذا نرى جاسوسين تنتزع منهما الاعترافات بالضرب،

وفى المنظر الأخير (على اليمين) ترى عربات المصريين «والحيتا» مشتبكة فعلا فى معركة، أما المنظر الذى على النصف الأعلى من الجدار فنشاهد فيه الواقعة على أشدها، فيرى الفرعون على اليسار وهو ينقض بعربته على العدو الذى أحاط بعرباته، وفى الوسط نشاهد قلعة « قادش » محاطة بنهر « الأرنت » والمدافعون عنها يرقبون سير القتال من الشرفات ، وفى أقصى اليمين نشاهد الملك فى عربته يفحص ضباطه الذين يعدّون أيدى العدو المقطوعة كما يحضرون أسرى مكبلين بالأغلال ، وعلى الجدار الخلفى على يمين الباب الأوسط نرى « رعمسيس الثانى » يقود صفين من أسرى « خيتا » أمام الإله « حور اختى » وأمام تمثاله المؤله (تمثال « رعمسيس الثانى ») والإلهة « ورت حكو » برأس أسد ، وعلى اليسار يقدّم صفين من العبيد للإله « آمون » ، ولصورة « رعمسيس » المؤله وللإلهة « موت » ، ويوجد بين آخر عمودين فى هذه القاعة من جهة اليسار لوحة مؤرّخة بالسنة الخامسة من حكم « رعمسيس » نقش عليها متن يذكر فيه « رعمسيس » أنه قد أقام معبدا للإله « بتاح » فى « منف » واوقف عليه منحا عظيمة كما ذكرنا . ويتصل بهذه القاعة العظيمة ثمانى حجرات صغيرة ربما كانت خاصة بأددوات العبادة وبعد ذلك يدخل الزائر قاعة عرضها ست وثلاثون قدما، وعمقها خمس وعشرون قدما ترتكز على أربعة أعمدة، وعلى جدرانها مناظر يظهر فى أحدها الملك وزوجه « نفرتارى » يقدّمان البخور أمام القارب المقدّس للإله « آمون » محمولا على أعناق كهنة، ومن هذه القاعة نصل إلى حجرة أخرى من ثلاثة أبواب ، ومن ثم إلى قدس الأقداس الذى يحتوى على قاعدة منحوتة فى الصخر ليوضع عليها القارب المقدّس ، وخلفها نشاهد صور الآلهة الأربعة الذين يقدّسون فى هذا المعبد وهم : « بتاح » و « آمون » و « رعمسيس » المؤله ثم « حور اختى » (راجع Baedeker Ibid. p. 431)، ويوجد خارج هذا المعبد بعض آثار صغيرة تابعة له من عمل « رعمسيس الثانى » منها لوحة نقشت على الجدار الجنوبى للردهة الأمامية وهى

المعروفة بلوحة الزواج ، وقــد نقشت فى السنة الخامسة والثلاثين من حكم هــذا الفرعون تذكارا لزواجه من بنت ملك « خيتا » التى أحضرها والدها إلى مصر . ففى أعلى هــذه اللوحة يرى الفرعون جالسا بين إلهين تحت قبة فى حين أن ملك « خيتا » وابنته يتعبدان له (نظر ص ٣١٢) .

(٦) معبد «حتحور» : وعلى مقربة من هذا المعبد العظيم معبد آخر أقامه «رعمسيس» للإلهة «حتحور» و «نفرتارى» زوجه التى ألهت مثله ، وواجهة هذا المعبد التى تقوم مقام البوابة عرضها اثنتان وتسعون قدما ، والظاهر أنه لم يكن أمامها ردهة ، وعلى كلا جانبى الباب نحت «رعمسيس الثانى» تمثالين ضخمين له يتوسطهما تمثال لزوجه «نفرتارى» و بجانب هذه التماثيل نحتت تماثيل بعض أولاد الفرعون ، فبجانب تمثال « نفرتارى » نحتت صورة الأميرة « مريت آمون » على اليمين وصورة الأميرة « حنت تاوى » على اليسار ، و بجانب تمثالى الملك نحتت صور الأمراء أولاد الملك وهم : «مرى آتوم» و «مرى رع» و « آمون مرخبشف» و «بارع حرونمف» .

وقاعة العمد العظمى فى هذا المعبد منحوتة فى الصخر ومحمولة على عمد مزينة من الأمام بصاجات « حتحور » ورأسها . أما أوجه العمد الأخرى فمحلاة بصورتى الفرعون وزوجه « نفرتارى » و بآلهة أخرى ، والمناظر التى على جدران هذه القاعة ليست لها أهمية تاريخية ، بل تمثل تعبد الفرعون وزوجه للالهة « حتحور» والإلهة «ست» و «حور » و «عنقت» و «آمون» و «بتاح» و «حرشفى» و «حوراختى» و « موت » . وفى الجهة الشمالية نجد لوحة المهندس « رعمسيس عشاحب » ، وكذلك يوجد جنوبى المعبد الكبير معبد صغير مهدى للإله « تحوت » وهو مقطوع فى الصخر أيضا [1] .

---

(١) راجع : L. D., III, 195 b. c., Petrie Hist. III. p. 81; Baedeker Egypt (1929) p. 435 f.f

(٧) محراب «فرس» : وعلى الضفة اليمنى للنيل نحت «رعمسيس» محرابا للإلهة « حتحور » لا تزال بقاياه محفوظة حتى الآن ، وبه مقصورة صغيرة لحاكم السودان «ستاو» الذى كلف تولى العمل فيه (راجع مصر القديمة ج ٥ ص ١٧١) .

(٨) معبد «سره» : وقد أقام « رعمسيس الثانى » فى جنوب بلدة «سره» على الضفة اليمنى للنيل على مسافة عشرة أميال شمالى حلفا معبدا لا تزال بقاياه محفوظة حتى الآن ، وقد باد نقش الإهداء الذى كان على الواجهة ، غير أنه لحسن الحظ قد حفظ لنا حتى الآن على أحد الأبواب النقش التالى مكررا : الباب العظيم للفرعون « وسر ماعت رع ستبن رع » قد عمله بمثابة أثره لصورته الحية فى بلاد النوبة ، واسمه الجميل الذى وضعه جلالته هو « وسر ماعت رع سام فى قوته » . ومن ذلك نعلم أن « رعمسيس » كان نفسه رب هذا المعبد كما كان « أمنحتب الثالث » رب معبد « صولب » فى بلاد النوبة[١] .

(٩) وفى «نباتا» : بنى «رعمسيس الثانى» معبدا للإله «آمون» فى المعبد الكبير الذى أسس فى عهد الأسرة الثامنة عشرة فى حكم « توت عنخ آمون[٢] » .

المعابد الضخمة التى أقامها « رعمسيس » فى القطر المصرى ونقوشها التاريخية

والمعابد التى أقامها « رعمسيس » داخل القطر لا تقل فى روعتها وبهائها وكثرتها عن التى شيدها فى بلاد النوبة والسودان بل أكثر منها عددا وتنتشر فى البلاد من أقصاها إلى أقصاها ، وسنذكر ما تبقى منها حتى الآن مبتدئين من الجنوب .

(١) معبد «الكاب» : ففى مدينة «الكاب» أقام «رعمسيس» معبدا صغيرا داخل أسوار المدينة القديمة للإلهة « نخبت » وقد وجد فيه الإهداء التالى :

(١) راجع : Sayce Recueil, XVII, 136 f., Br. A. R. III, § 502

(٢) راجع : Petrie Hist. III, p. 81. ; Baedeker Ibid. p. 446

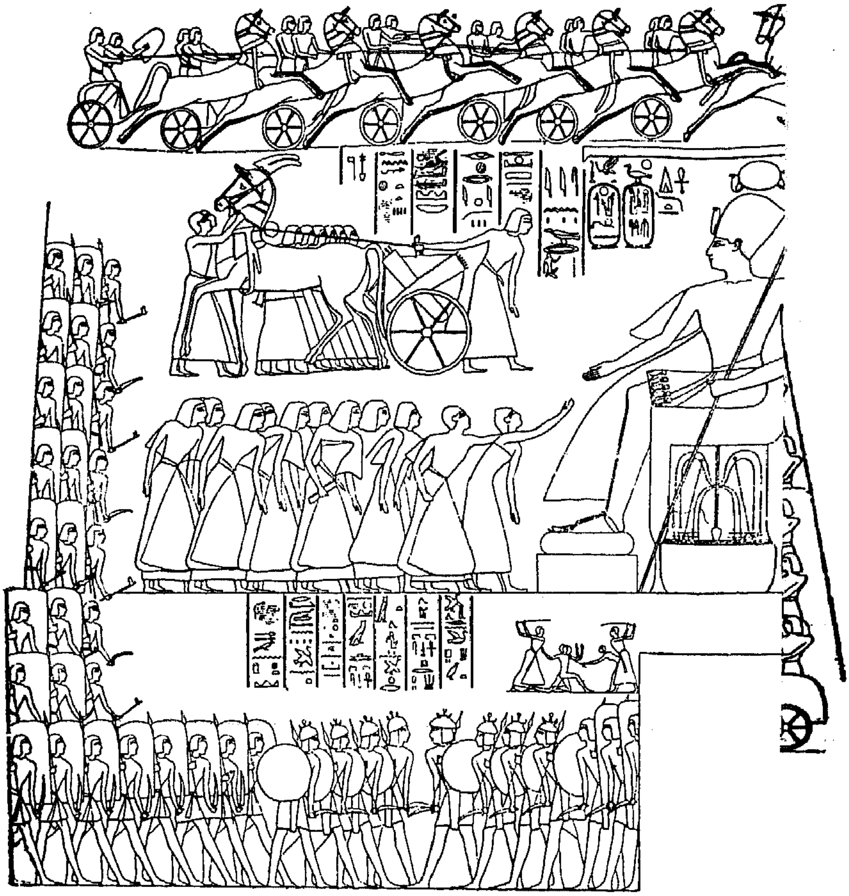
لقد أقامه «رعمسيس الثانى» بمثابة أثره لأمه «نخبت» فشيد لها بوابة عظيمة ... من الحجر الرملى الجميل، وطوله خمس عشرة ذراعا ، وبابه من خشب الأرز ، ومغشى بالنحاس باسم جلالته العظيم ... ...(١)

(٢) معبد «الأقصر» : كان المؤسس لهذا المعبد — كما ذكرنا فى (الجزء الخامس ص ٨٠) — « أمنحتب الثالث » وكان « تحتمس الثالث » قد أقام مقصورة من الجرانيت قبالة هذا المعبد، غير أنه فى عهد الثورة الدينية محيت صور الإله « آمون » ، وبنى هناك محاريب للإله « آتون » بجوار المعبد الكبير ، وقد أزيل معبد « آتون » فى عهد «سيتى الأول» وأعيدت صور « آمون » كما كانت ، ولما تولى الحكم «رعمسيس الثانى» الذى يعدّ بحق أكبر مقيم للمبانى الدينية وغيرها لم يسعه إلا أن يضيف شيئا لمعبد الأقصر ، فأقام ردهة عظيمة ذات عمد أمام المعبد الذى كان يعدّ كاملا . ولكن قضت الأحوال — لأجل إتمامه — أن يغتصب مقصورة « تحتمس الثالث » السالفة الذكر ، فمحا نقوشها القديمة ونقش غيرها جديدة باسمه ، وكذلك أقام البوّابة الضخمة التى لا تزال قائمة حتى الآن .

وقد أقام « رعمسيس الثانى » أمام البوّابة الرئيسية ستة تماثيل ضخمة لنفسه وأمام هذه التماثيل نصب هذا الفرعون مسلتين من الجرانيت الوردى بمناسبة ذكرى أحد أعياده الثلاثينية . وتوجد إحداهما الآن فى ميدان «الكونكورد بباريس» منذ عام ١٨٣٦ م ، ونقوش هذه المسلات تحتوى نعوتا وألقابا ضخمة يدّعى فيها أنه هو الذى أسس المبنى الفاخر فى الأقصر الجنوبية (إبت)، أما الثانية فلا تزال فى مكانها .

وتزين جدران هذه البوّابة العظيمة نقوش غائرة تشير إلى حملة «رعمسيس» على «خيتا» فى السنة الخامسة من حكمه (أنظر صورة المعسكر لموقعة قادى على بوّابة معبد الأقصر) . فعلى جدران البرج الأيمن من جهة الشمال نشاهد الفرعون على عرشه

(١) راجع : L. D. Text. IV, 37; Br. A. R, III. § 505



عاقدا مجلسا حربيا مع أمرائه ، وفى وسط المعسكر المحصن بدروع الجنود يهاجمه جيش « خيتا » ، وعلى اليمين يشاهد الفرعون فى عربته يندفع وسط المعركة .

أما المناظر التى على البرج الأيسر فتضعنا فى وسط معمعة القتال، فالفرعون ينقض على الأعداء الذين أحاطوا به و يفوّق سهامه عليهم . ولذلك نجد ساحة القتال مغطاة بالقتلى والجرحى فى حين أن جنود « خيتا » يولون الأدبار فى ارتباك متجهين نحو قلعة « قادش » التى كان يبرز منها جنود جدد . وعلى مسافة من ذلك شمالا نشاهد بلدة « قادش » محاطة بالماء ، وعلى شرفاتها يقف المدافعون عنها كما يرى بعيدا عن ساحة القتال أمير بلاد « خيتا » واقفا فى عربته محاطا بحرسه وهو يرتعد خوفا أمام جلالته . وتحت هذه المناظر نقرأ على جدران البرج الغربى القصيدة التى تصف هذه الحروب وضروب الشجاعة التى أظهرها الفرعون .

وتؤدّى هذه البوّابة الرئيسية إلى الردهة العظيمة التى أقامها «رعمسيس الثانى» وكانت محاطة بالعمد التى يبلغ عددها أربعة وسبعين عمودا بردية الشكل، وجدرانها مغطاة بالمناظر والنقوش الدينية والحربية .

والمهندس الذى أشرف على بناء هذا الجزء من معبد « الأقصر » هو « باكنحنسو » الكاهن الأكبر للإله « آمون » وقد ترك على تمثاله ملخصا عن بناء هذا المعبد (راجع حياة « باكنحنسو ») .

أما الوثائق الثلاث الوحيدة التى نشرت عن هذا البناء فهى الإهداءات التالية الأوّل : ”الثور القوى مفخِّم «طيبة» ، محبوب الإلهتين ، ممكن الآثار فى الأقصر لوالده «آمون» الذى وضعه على عرشه ، «حور» الذهبى الذى يبحث وراء الأشياء الممتازة لمن صوّره ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «وسرماعت رع ستبن رع» . لقد أقامه بمثابة أثره لوالده « آمون رع » ملك الآلهة مقيا له معبد «رعمسيس مرى آمون» فى بيت « آمون » من الحجر الرملى الدقيق الذى عمله له «ابن رع» (رعمسيس) معطى الحياة مثل رع أبدا“ .

أما النقشان الآخران فهما كالأوّل حتى جملة بيت «آمون» . ثم يستمر واحد منهما بالكلمات : ”أمام الاقصر مقيا له بوابة جديدة تقترب عمد أعلامها من الأفق ، وهى التى

أقامها ابن «رع» " والمتن الثالث يستمر "وجماله يصل إلى عنان السماء وهو مكان الأزهار لرب الآلهة في عيده بالأقصر"[1] .

أعمال « رعمسيس » فى معبد «الكرنك» : لقد كان الرأى السائد عند علماء الآثار أن ينسبوا — دون برهان مقنع — تصميم قاعة العمد العظمى بالكرنك والبوّابة الثانية للفرعون « حور محب » . وكذلك ينسبون إتمام هذين البناءين إلى أخلافه « رعمسيس الأوّل » و «سيتى الأوّل» ثم «رعمسيس الثانى»[2] . ويستندون على وضع تاريخ هذه المبانى قبل «رعمسيس الأوّل» الذى نجد طغراءاته على خمسة مناظر على الوجهة الشرقيــة من البرج الشمالى للبوّابة الثانيــة وعلى السمك الشرقى للخارجة الشمالية للجــزء الجنوبى من الدهلـيز الواقع أمام البوّابة ، إلا أن هذا الفرعون الذى لم يدم حكمه أكثر من سنتين لا يستطيع فى هذه المدّة القصــيرة أن يتم مثل هــذه الأبنية الضخمة التى تحتويها قاعة الأعمدة العظمى . وقــد أجاب الأثرى « كيت سلى » عن هذا الاعتراض بما يلى[3] :

لمــا كان « رعمسيس الأوّل » هو أوّل ملك زين جدران البوّابة الثانيــة على حسب التخطيط الجديد لقاعة العمد، ولمــا كانت النقوش التى قام بهــا تدل على وجود نقش ثانوى مضاف إلى أحجار السقف، فقد أصبح من الضرورى بداهة أن نفحص فيما إذا كانت فكرة قاعة العمد كما نعرفها من ابتداعه أو قد ورثها عن أسلافه[4]

(١) راجع : A. Z. (1896) p. 122-38 f

(٢) راجع : Legrain. Les Temples de Karnak Bruxcelles (1929) p. 133; Ed. Meyer, Gesch, II, I p. 428 Note 2; Petrie Hist. III, p. 20.

(٣) راجع : K. Seele Coregency, § 33-38.

(٤) لانزاع فى أن تأثير كهنة «آمون» وخططهم وميولهم كانت تلعب دورا هاما فى هذه الأمور الخاصة بالآلهة . وربما تعدّ قليلة الأهمية للذين يكتبون فى هذا الموضوع ، ولكن الواقع أن طائفة الكهنة هم الذين كانوا بلا نزاع يرشدون ويلهمون الملوك بالقيام بالمشاريع البنائية فى المعابد . ونشاهد ذلك بنوع خاص فى العهد الذى أعقب إعادة ديانة «آمون» ، بل من الجائز أنهم كانوا هم القوّة العاملة وراء الفرعون ، فكانوا فى مكانة تؤهلهم أن يملوا على الملوك ما يشاءون فى هذا الصدد وبخاصة من عهد «توت عنخ آمون» حتى عهد «رعمسيس الثانى» وهى الفترة التى كان التحمس فيها للدين القديم على أشدّه من العنف والتعصب

والجواب على هــذا السؤال على ما يظهر يتوقف على ما يمكن استنباطه من أمرين رئيسيين، وإن كانت معلوماتنا عنهما محدودة للغاية .

فالأمر الأول هو طول مدّة حكم « رعمسيس الأوّل » التى نعلم أنها كانت على ما يظنّ قصيرة جدّا ، والتاريخ الوحيد المحقق لدينا هو السنة الثانية، اليوم العشرون من الشهر الثانى من فصل الزرع ، وهذا التاريخ يعدّ أقل مدّة لحكمه ، وقد يجوز



(قاعة العمد بالكرنك)

أنه حكم خمسة أعوام على أكبر تقدير غير أن معظم علماء الآثار يعتقدون أنه لم يحكم أكثر من سنتين ،وقد كان من الطبعى أن يوجه الفرعون جل همه لبناء معبد جنازى له لا إلى إقامة المبانى فى «الكرنك» ، اللهم إلا إذا كان قد أجبر على ذلك إجبارا من كهنة « آمون » أو بعوامل أخرى ساعدته على ادّعائه بأحقيته فى تولى عرش البلاد، ومع ذلك لم نجد أن هذا الفرعون قد أتم بناء واحدا باقيا للآن، إذ الواقع أن ابنه « سيتى الأوّل » هو الذى أقام له معبده الجنازى الصغير فى « العرابة » وقد حفظ جزء منه فى متحف « مترو بوليتان » ، وكذلك شاركه ابنه فى معبده الخاص ولم يتممه «سيتى» بدوره فى عهد حكمه الذى بلغ اثنتى عشرة سنة أو أكثر، وهذه الحقيقة تجعلنا نعتقد أن ماقام به «رعمسيس الأوّل» من المبانى كان محدودا، اللهم إلا إذا كانت هناك ظروف خارجة عن حدّ المألوف جعلته يشحذ من عزيمته ويضاعف من همته .

أما الأمر الثانى فينحصر فى فهمنا طرق البناية عند المصريين للعابد الضخمة، وقد اتفق علماء الآثار المهرة والمهندسون منهم بخاصة على أن قاعة العمد قد أقيمت باستعمال الطوارات الخارجية لبناء الجدران الجانبية، وباستعمال طريقة الملء والتفريغ فى إقامة قاعة العمد . وتفسير ذلك أنه بعد وضع أسس الأعمدة و إقامة قواعده كانت تملأ القاعة بالتراب حتى قمة قواعد العمد التى وضعت ، وبعد ذلك كانت تجلب قطع الأحجار الأخرى اللازمة لبناء العمد مع تعلية الأتربة بعد بناء كل قطعة، فإذا ما أنتهى تركيب قطع كل أحجار الأعمدة تكون القاعة قد ملئت بالأتربة . ومن الأمور الثابتة التى لها أهمية قصوى أن النقوش الوحيدة التى تنسب « لرعمسيس الأوّل » فى قاعة العمد العظمى توجد فى الصف الأعلى تحت الإطار الذى يلى أحجار السقف، وأقصى منظر نقشه فى الجهة الجنوبية من القاعة يبتدئ مباشرة على مسافة اثنتى عشرة أو عشرين بوصة من قطعة عارضة السقف التى تمتدّ من البوّابة حتى العمود الحادى والثمانين، وفوق هذا المنظر نشاهد منظرا نقشه «حور محب»

وقد ه « رعمسيس الأول » بعض الشيء ، هـذا بالإضافة إلى أننا نجـد الكوة التى نقرت فى بنـاء البوّابة لتوضع عليها العارضة الثانيـة من جهة الجنوب ظاهرة للعيان فيها الإطار الثعبانى الشكل الذى ينسب إلى عهد ما قبـل الرعامسة ، وهو منقوش نقشا غائرا ، وربمـا يعزى عدم محوه إلى أن هذا الجزء من الجدار لم يكن معرضا لنظر الجمهور، ولأن محو النقوش الأولى قد حدث بعد التغييرات الهندسية ، وبعد الانتهاء من الإضافات التى عملت .

وفى اعتقادى أن إعادة نقش البوّابة وبناء قاعة العمد كان كالآتى :

على أثر وضع تصميم لقاعة العمد كان من البدهى أن النقوش الغائرة الأصلية التى عملها « حور محب » لم تعـد صالحة لأسباب مختلفة ، ولذلك أزيلت، وعلى ذلك بدأت أعمال محـو المناظر — وكانت هـذه العملية تجرى فى أثنـاء إقامة الأعمدة — عندما كانت القاعة تملأ تدريجا بالأتربة لرفع الأحجار اللازمة ، وقـد استمرت عملية المحو حتى وصلت إلى كل الأحجار التى كانت مخبأة وراء (مداميك) السقف هذه ، وهذه العملية ربما تمت فى عهد « حور محب » إذا كان هو الذى أمر بتغيير تصميم المبنى فى أواخر حكمه، وبذلك يكون قد محا نقوشه التى عملها ، أو أن الذى قام بهـذه العملية هو « رعمسيس الأول » ويحتمل أنه أشرك ابنـه « سيتى الأول » معه فى ذلك، والرأى الأخير هو المرجح .

وعند الانتهاء من بنـاء قاعة العمد كان كل البناء قـد ملئ بالأتربة ، وكانت الأعمدة الخالية من الزينة المقامة حديثا بطبيعة الحال مدفونة تحت هذه الأتربة ، ولم يكن ظاهرا للعيان غير أحجار السقف ، وعند هذه المرحلة من البناء كان الصناع على استعداد لبـدء تهذيب وجـوه الأعمدة كلمـا أزيلت عنها الأتربة التى كانت تغمرها ، وهى التى كانت تستعمل بمثابة « سقالات » فى أثناء بناء القاعة ، وقـد نقش «رعمسيس الأول» نقوشه الجميلة عندما بدئ فى إزالة هذه الأتربة فى الصف

الأعلى من البرج الشمالى للبوّابة ، وقد كان مضطرّا أن يعمل نقوشـه على الصف الأعلى لأن باقى القاعة كان مغطى طبعا بالأتربة .

ويدل انتهاؤه من نقش خمســة مناظر فقط — وهو عمل لا يتطلب أكثر من بضعة أسابيع — على أن إقامة هــذا الجزء من قاعة العمــد يمكن أن ينسب إليه بدون أى شك، ويقدّر كل من المهندس «كلارك» و « انجلباخ » لردم قاعة العمد بالتراب ستة أسابيع [(١)]،وهذا التقدير يجعل من المرجح إمكان إقامة كل الأعمدة مدّة حكم « رعمسيس » القصيرة، وبخاصــة إذا كانت عملية قطع الأحجار منظمة لمدّ البنائين بالأحجار اللازمة. ونحن من جانبنا نعلم أن كثيرا من نشاط«حور محب» الذى خلفه « رعمسيس الأوّل » وهو الذى بنى الدهليز والبوّابة الثانيــة والبوّابتين التاسعة والعاشرة فى الكرنك كان متجها طوال مدّة حكمه إلى إعادة تنظيم الحكومة بعد سقوطها فى عهد العمارنة ، وعلى ذلك لا يبعد أنه قد سار فى إصلاح كل فروع الأشغال العامّة بدرجة عظيمة من القوّة والنظام ممــا كانت تتمتع به البلاد من قبل عدّة أجيــال على الأقل، ولا أدل على هــذا النظام وحسن سيره ممــا تم فى عهــد « أمنحتب الثالث » الذى أنجز حفر بحيرة النزهة المشهورة للملكة « تى » فى مــدّة خمسة عشر يوما ، ويبلغ طولها سبعمائة وثلاثة آلاف ذراع وعرضها سبعمائة ذراع (راجع ج ٥ ص ٧٣) .

وسواء عزونا إلى «رعمسيس الأوّل» إقامة طريق واحد من قاعة العمد هذه أم لم نعز، فمن المؤكد أنه توفى قبل أن يتقدّم كثيرا فى إعادة نقش البوّابة ، وقد أخذ « سيتى الأوّل » فى إتمام هذا العمل الذى قام به والده من النقطة التى انتهى إليها ، ومن ثم استمرّ «سيتى» فى تزيين هذا الصف وتابع العمل بالتوالى فى الصفوف الباقية كلما أزيل التراب ، وكانت الطريق الشمالية كلها من القاعة من عمل «سيتى الأوّل» ولم يحمل واحد من عمدها اسم «رعمسيس الأوّل» ، والسبب فى ذلك ظاهر إذ أنه عند

(١) راجع : Ancient Egyptian Masonery p. 91

موت « رعمسيس » كانت كل الأعمـدة مغطاة بالتراب الذى كان قد ملأ القاعة لرفع الأحجار عليه لوضعها فى أماكنها من البناء، ومما سبق نفهم أن الذى رفع بنيان عمد هذه القاعة هو « رعمسيس الأول » على الأرجح وأن ابنه « سيتى » قد نقش عمدها ، ولما اشترك « رعمسيس الثانى » مع والده فى الملك شاركه فى هذا العمل كما يدل النقش الغائر الذى اتخـذه « رعمسيس الثانى » طرازا له ، بل نجـد أنه فضلا عن ذلك نسب معظم هذه القاعة لنفسه كما اغتصب الاسم الذى وضعه لها والده ، ولكن ذلك لم يحدث إلا بعد موت « سيتى الأول » فقد كان اسم القاعة أولا «معبد روح سيتى محبوب آمون فى بيت آمون» . وبعد موت « سيتى » محا «رعمسيس» هذا الاسم وجعله «معبد روح رعمسيس محبوب آمون فى بيت آمون» ، فإذا قبلنا ما استعرضه « كيث سيلى » فى نظريتـه الخلابة هـذه أصبح إدّعاء «رعمسيس الثانى» فيما نسبه لنفسه من إقامة قاعة العمد تشبه تماما ما ادّعاه لنفسه من إقامة آثار عدّة فى طول البلاد وعرضها . وهاك نص الإهداء الذى ينسب فيه « رعمسيس » قاعة العمد لنفسه :

”«رعمسيس الثانى» الملك القوى، المقيم الآثار فى بيت والده «آمون» ، والبانى بيته بناء مخلدا ثابتا أبدا . تأمل ! إن الإله الطيب قد مال قلبه ليقيم آثارا ، وسواء أكان نائما أم يقظا فانه لم يفتر عن البحث فى عمل أشياء ممتازة ، وقد كان جلالته الذى وضع الأنظمة وقاد العمل فى آثاره ، وكانت كل خططه تنفذ فى الحال مثل خطط والده « بتاح جنوبى جداره » ، وهـو صورة فى الواقع مما عمله ذلك الصانع الممتاز الذى يضع الأشياء الممتازة التى عملها جلالته ... من عمل ممتاز مخلد . وكل مملكة تحت قدميك يأيها الملك يا حاكم الأقواس التسعة يا رب الأرضين «رعمسيس الثانى» . لقد عمله بمثابة أثره لوالده «آمون رع» رب «طيبة» فأقام معبد «روح رعمسيس محبوب آمون فى بيت آمون» بالكرنك من الحجر الرملى الأبيض بمثابة مثوى لرب الآلهة ، ومأوى للتاسوع المقـدّس ، وقد أحيط ب ... عمد ، وجدرانه مثل جبلى أفروديتبوليس (كوم اشقاو) ثابتة ، وقد عمل ... وجماله يصل الى عنان السماء“ .

الإله «آمون» يخاطب الآلهة : ” تأملوا أنتم هذا الأثر الطاهر الباقى الذى أقامه لى ابنى من صلبى محبوبى الملك « رعمسيس الثانى » ، وهو الذى نشأته وهو فى الرحم ليعمل أشياء ممتازة ليتى ، وهو الذى أنجبته فى صورة أعضائى نفسها ليحتفل بخروج قربان قربنى (روحى) وإنكم ستمنحونه حياة راضية ،

وستصيرون أتباعه الحامين له ، وستكونون إخوانه عندما يكون منكم ، وسيكون روحا كما أنتم أرواح وسيفلح اسمه مثل ما تفلح أسماؤكم ، حتى نهاية جيلين (ستين سنة) ومخلدا وذلك من أجل ما بنى لمعبد الكرنك للرة الأولى من الحجر الرملى الجميل ، وإنه قد منح مقامى السرور أكثر مما عمله أسلافه (١) ... ...

لقد أقامه «رعمسيس الثانى» بمثابة أثره لوالده «آمون» رب «طيبة» فعمل له معبد «روح رعمسيس» «محبوب آمون فى بيت آمون» من الحجر الرملى الجميل ، وجماله يصل إلى عنان السماء فى الكرنك ، وأعمدته الفخمة من السام عملت مثل كل مكان فى السماء ، وإنها سيدة الفضة وملكة الذهب ، وتحتوى كل حجر فاخر ثمين ، وقد أقته لك بقلب محب كما يعمل الابن البار لوالده وذلك بتوسيع آثار من أنجبه وتمكين بيت من جعله يستولى على كل الأرض .

يعيش الإله الطيب الذى يقيم آثارا لوالده «آمون رع» (٢) ".

أما الإهداءات التى على واجهات القاعة فوق النوافذ فهى «لرعمسيس الثانى» أيضا ، والمهندس الذى أقام هذه الأعمدة من قاعة العمد يدعى «حاتى» وهو يشير إلى أعماله العظيمة فى ألقابه كما يأتى (٣) :

" الرئيس الأعلى للأعمال فى كل آثار جلالته ، الذى يقيم أعمدة عظيمة فى بيت «آمون» " .

وإذا كان ما يقوله هذا المهندس حقا فإن ذلك حدث — ولا بد — فى أثناء اشتراك «رعمسيس» مع والده فى الحكم كما يقرر ذلك «سيلى» .

مقبرة «رعمسيس الثانى» : وقد حفر «رعمسيس الثانى» لنفسه مقبرة فى «وادى الملوك» وتعرف برقم ٧ ، وليس للقبرة شهرة واسعة مثل قبر والده «سيتى الأول» ، ويرجع ذلك إلى أنها مملوءة بالرمال والطين ، وقد نهبت فى الأزمان القديمة ، ولكن القبر يعد من الأعمال العظيمة التى عملها «رعمسيس الثانى» فقد حفره إلى عمق أربعمائة قدم فى الصخر ، وممره الذى يبلغ نحو مائة وخمسين قدما

(١) راجع : Br. A. R. III § § 510-512

(٢) راجع : Champ. Notices II, p. 79

(٣) راجع : Budge: Some Account of Egyptian Antiquities in the Possession of Lady Meux p. 143.

يؤدّى إلى قاعة عظيمة تبلغ مساحتها أربعة وأربعين قدما مربعا ، كما يحتوى على أربع حجرات أخرى ، وهو فى الواقع مثل قبر والده فى الطول إلا أنه أعظم منه مساحة ، أما من جهة النقش والرسوم التى على جدرانها فإنها تتضاءل أمام مقبرة والده ، ومما يلفت النظر أننا نجد على كلا جانبى المدخل متنا من قصيدة فى مديح إله الشمس نقشت بالحروف البارزة ، وعلى اليسار نشاهد صورة الفرعون أمام إله الشمس « رع حور اختى » وصورة تمثل إله الشمس برأس كبش ، وجعران ونقوش هذه المقبرة عادية .

أما مومية « رعمسيس » فلم توجد فى قبره بل وجدت فى خبيئة الدير البحرى والسبب فى ذلك أنه كما سبق ذكره فى غير هـذا المكان عند نهاية الدولة الحديثة ، لم يكن فى استطاعة الحكومة المصرية أن تحمى مقابر ملوكها العظام ، إذ لم يكن التعدّى مقصورا على «جبانة ذراع أبو النجا» ، بل كذلك على مقابر الملوك المنعزلة فى وادى الملوك ، ولذلك اكتفى رجال الإدارة بالمحافظة على موميات الفراعنة فحسب ، فنشاهد أن موميات ثمانيـة من الملوك قد وضعت فى حجـرة جانبية من مقـبرة الملك « أمنحتب الثانى » ، ولنفس هذا السبب نقلت مومية « رعمسيس الثانى » من مثواها الأصـلى بأبواب الملوك إلى مقـبرة « سيتى الأول » ، وفيما بعد إلى مقـبرة «أمنحتب الأول» وأخيرا فى نهاية الأسره الثانية والعشرين صممت السلطة الإدارية على صيانة الموميات الملكية من العبث بها مرة أخرى ، فدفنوها معا حيثما اتفق مع ملوك الكهنة المنتسبين للأسرة الحادية والعشرين فى مقبرة قديمة يرجع تاريخها إلى الأسرة الحادية عشرة بالقرب من الدير البحرى ، وهكذا بقيت مومية «رعمسيس الثانى» مع الملوك الآخرين الذين دفنوا معها فى مقبرة والده « سيتى » فى أمان حتى سـنة ١٨٧٥م عندما كشف فلاحو هذه الجهة المكان الذى دفن فيه الفراعنة ، ثم بدأت المقابر الملكية تنهب ثانية ، وفى عام ١٨٨١ م تعقب رجال الأمن أثر السرقة ، واستولوا على ما وجدوه وسلم للمتحف المصرى وبقى فيه .



مومية « رعمسيس الثانى »

ومما يؤسف له جدّ الأسف أن التنقلات الأخيرة التى حدثت للموميات الملكية قد سببت بعض العطب لها، و بخاصة مومية « رعمسيس الثـانى »(١) . فقد نقلت الى ضريح «سعد» و بعد فترة نقلت ثانية الى بيت مدير مصلحة الآثار وأخيرا نقلت الى المتحف المصرى فى الطابق العلوى .

معبد «الرمسيوم» : يقع معبد «الرمسيوم» الذى بناه « رعمسيس الثانى » ليكون معبده الجنازى على الضفة اليمنى من النيل ، وتدل الآثار الباقية على أن هذا الفرعون قد بنى معه فى نفس المكان قصرا منيفا لسكناه، وقد أطلق «رعمسيس» على هذا المعبد اسم «بيت وسر ماعت رع ستبن رع » (رعمسيس الثانى) له الحياة والفلاح والصحة فى بيت « آمون » .

ومن المحتمل أن هذا المعبد هو الذى قال عنه « ديدور الصقلى » الذى عاش فى القرن الأوّل بأنه قبر « أوسيمـاندياس Osymandyas » ، وهو تحريف للقب « رعمسيس الثـانى » « وسر ماعت رع » . والمعبد الآن فى حالة خربة، وما بقى منه يدل على أن نقوشـه كانت تعـدّ سجـلا تاريخيـا ودينيا لأعمـال « رعمسيس الثانى » .

و يعتقد الأستاذ « بترى » أن « معبد الرمسيوم » كان تصميمه فى الأصل ليكون معبدا للفرعون «سيتى الأوّل» ، وأن «رعمسيس الثانى» قد اغتصبه لنفسه كما اغتصب لوالده معبد « القرنة » الذى كان مخصصا لجدّه « رعمسيس الأوّل » فيقول ما معناه :

إن جل النشاط الذى أظهره « رعمسيس الثانى» فى بداية حكمه على ما يظهر كان موجها لإقامة معبد «الرمسيوم» . فالتواريخ التى وجدناها على أوانى الخمر التى عثر على بقاياها فى أكوام الفخار هناك كلها من السنة الأولى حتى الثامنة دون ذكر

(١) راجع : Baedeker Egypt 1929. p. 101 ff.



بقايا معبد الرمسيوم « رعمسيس الثانى »

اسم الفرعون، وقد نسبها بعض الباحثين إلى أحد أخلاف « رعمسيس » وفى ذلك شك كبير، لأنه ليس لدينا مجموعة عظيمة أخرى من التواريخ يمكن نسبتها لتلك الأكوام الضخمة من الأوانى المتخلفة فى هذا المكان، وهى التى لا يمكن إلا أن تكون قد تخلفت من بناء معبد فخم مثل «الرمسيوم» (راجع مقبرة سنموت الجزء الرابع ص ٣٧٣). أما المؤرخة بالاسم الفرعونى فعلا الأوانى فهى: أربعة للفرعون « سيتى »، وستة وأربعون للفرعون « رعمسيس الثانى » فى حين أنه لم يوجد إناء باسم ملك آخر (١). ومن ثم نعلم أن «الرمسيوم» كان قد بنى من السنة الأولى حتى الثامنة من حكم «رعمسيس الثانى» هذا فضلا عن أنه قد ظهرت صيغة اسم لهذا الفرعون — لم تكن معروفة — فيما بعد وهى: «وسر ماعت رع ستبن رع حرحر ماعت» ويمكن تخمين السبب فى أن هذا المعبد الجنازى كان باكورة أعمال شبابه عندما نفحص مبانى معبد «القرنة»، وذلك أن هذا المعبد، كما قلنا آنفا، يظهر فى بنائه قصد غريب مختلط، فالنقوش التى عليه تدل على أنه أقيم لكل من « رعمسيس الأول » و« سيتى الأول » على أن هذا الاشتراك فى معبد واحد لا يعرف له مثيل قط ومن البدهى على ما يظهر أن « سيتى » قد أقام معبد « القرنة » لوالده فى حين كان قد بدأ فى الوقت نفسه بناء «الرمسيوم» ليكون معبده الخاص، غير أنه لاقى حتفه عقب ذلك مباشرة، وقد غير ابنه « رعمسيس الثانى » العاق الغرض الذى كان يرمى اليه والده، إذ أتم النقوش فى معبد « القرنة » باسم « سيتى » وجعله معبدا جنازيا لكل من والده وجده، فى حين أنه استولى لنفسه على معبد « الرمسيوم » الضخم الذى كان قد بدأ العمل فيه والده « سيتى » لنفسه، وأتمه ونقشه ليكون مفخرة له، ومما يؤسف له جد الأسف أنه لم يحفظ لنا إناء من أوانى الخمر التى عثر عليها باسم

(١) راجع: Spiegelberg Hieratic Ostraca, 139, 141, 168, 230

« سيتى » لأن التواريخ التى على قطع الفخار المستخرجة من هذه البقعة يمكن فى الواقع أن تحدّد لنا مدّة حكم « سيتى الأوّل » لو وجد شىء منها باسمه . (راجع Petrie Hist. III, p. 42 ff.) .

والواقع أن ما ذكره الأستاذ « بترى » مقبول ومعقول فى ظاهره ؛ ولكن عندما نطبق عليه النظرية التى جاء بها الأستاذ « كيث سلى » فى موضوع اشتراك « رعمسيس الثانى » مع والده فى الحكم تنهار نظرية الأستاذ « بترى » من أساسها بالنسبة لاغتصاب « رعمسيس الثانى » معبد « الرمسيوم » لنفسه ، إذ لا يدل على حسب هذه النظرية — وجود اسم « سيتى » فى هذا المعبد على شىء قط لأنه من المحتمل جدّا أن « رعمسيس الثانى » قد بدأ بناء معبده الجنازى أيام والده ، واستمر فى بنائه مدة انفراده بالحكم ، وأن «رعمسيس» لم يبدأ فى بنائه بعد أن جلس وحده على عرش البلاد .

وقد حفظت لنا بعض قطع « الاستراكا » المتخلفة من نحت الأحجار وقطعها وهى التى كان يستعملها الكتّاب الذين كان يوكل إليهم عمل الحسابات والمذكرات فى أثناء بناء هذا المعبد بعض تفاصيل هامة عن سير البناء فيه ، كما لاحظنا ذلك عند الكلام على بناء مقبرة «سنموت» بالقرب من الدير البحرى (راجع ج ٤ ص ٣٧٣) ؛ فمن هذه الاستراكا نعلم أن الأحجار التى أقيم بها «الرمسيوم » كانت تنقل فى سفن صغيرة الحجم بحجم السفن النيلية التى تستعمل فى عصرنا الحاضر ، وهى التى تحمل نحو خمسة عشر طنا أو عشرين طنا أو سبعين إلى مائة أردب من الغلال ، وكانت كل سفينة تحمل خمس أو ست قطع من الحجر ، وأكبرها كان يبلغ طوله نحو خمس أقدام ، أما حمولة السفينة فكانت ما بين أربعين وخمسة وخمسين ذراعا مكعبا ، وكانت السفن تسير فى النيل من محاجر السلسلة فى طوائف كل منها خمس ، وتدل نقوش اللوحات الخاصة بالحسابات التى وصلتنا على أنه قد دوّن عليها أبعاد نحو مائة وعشرين حجرا ، وهى أكثر من عدد الأحجار التى بنى بها الجدار الذى نقش عليه منظر حرب «خيتا» وحصار قلعة « دابور » السالفة الذكر . ومما يلفت النظر

أن هــذه السفن كانت تميز بأسماء ملاكها أو رؤسائها ، وهى من الطراز الذى كان شائعا فى هــذا العهد[(١)] وقد وضعت أحجار الأساس خلف المعبــد فى النهاية الغربية كما يدل على ذلك وجود اسمــه على الجانب الأسفل من قطعة حجــر ، وكذلك على ودائع الأساس نفسها .

أما نقش الإهداء فقد دوّن على أحجار الواجهة وهو[(٢)] : " لقــد أقامه « رعمسيس الثانى » بمثابة أثر لوالده « آمون رع » فعمل له قاعة شاسعة عظيمة فخمة من الحجر الرملى الأبيض الجميل ووسطها مزين بالعمد الزهرية الشكل ، محاط بعمد على هيئــة براعيم ليكون مقاما يأوى اليــه رب الآلهة فى « عيد الوادى الجميل » وليمنح أبدية الحياة — وقد وضع سفينته المقدّسة مثل أفق الإله ، وحابسا له قربات يومية ، ومنفذ الأشياء التى تسر والده ، وجاعلا بيته له مثل « طيبة » مموّنا بكل شىء طريف من مخازن غلال تصل الى عنان السماء ، و بيت مال فاخر يحتوى فضة وذهبا وكتانا ملكيا ، وكل حجر ثمين ، أحضرها له الملك « رعمسيس الثانى » " .

وتخطيط هذا المعبد العام مثله كمثل تصميم المعابد الكبرى التى أقيمت فى هذا العهد ، فكان يحتوى على بوّابة عظيمة أقيمت أمام المعبد ، وكانت الردهة الأولى مكشوفة ، أما الثانيــة فكانت مزينة بصفين من الأعمــدة حولها ، والقاعة الثالثة كانت قاعة العمــد العظيمة المسقوفة ، وخلفها أربع حجرات يتــلو بعضها بعضا ، يكتنفها من كل جانب حجرات صغيرة جانبية ، وكان يحوط كل البناء جدران طويله تخفى كل معالم المعبد للناظر إليه من الخارج ، ولم يبق من هذا البناء الضخم إلا البوّابة الأمامية والأعمدة ، وكذلك الأعمدة التى لم يمكن نقلها واستعمالها مادة للبناء ، ونحو واحد من عشرة من الجدران المسطحة التى كانت مغرية للصريين القدماء والأحداث لاستعمالها فى مبانيها ، ولذلك لم يبق من المناظر التى كانت تزين جدران هذا المعبد

(١) راجع : Spiegelberg Heiratic Ostraca, 134-7

(٢) راجع : L. D. III, 183 - 4; Sharpe Egyptian Insc. II, p. 53; A. Z. (1883) p. 32; Br. A. R. III, § 514 ff.

والتى كانت سجلا تاريخيا عظيما إلا نحو سبع ما كان منقوشا فى الأصل ، وهذه البقية الباقية لا تعطينا إلا فكرة ناقصة عن المعبد ومحتوياته .

أما المبانى التى أقيمت حول هذا المعبد فتعد أعظم مثال باق لنا عن المبانى المقامة باللبن وبعضها ينسب إلى عهد « رعمسيس الثانى » كما نعلم ذلك من الأختام التى على اللبنات ، ومن بين هذه المبانى بعض قباب محكمة البناء كانت فى الأصل مغطاة بطوار مسطح ، وبدرس قطع أوانى النبيذ التى بقيت والسدادات المختومة ، أمكننا أن نستخلص بحق أن هذه المبانى كان بعضها يستعمل مخازن للعبد . ومما يلفت النظر فى هذه المبانى أيضا طريقة الإضاءة فيها بوساطة نوافذ ضيقة طول الواحدة منها نحو قدم ، وتبعد الواحدة عن الأخرى نحو اثنى عشرة قدما ويمكن رؤية حوالى سبعين قاعة طويلة كل منها نحو ثلاثين قدما أوما يقرب من ذلك ، وأكثر من أربعين قاعة أقصر من السابقة ، إذ يبلغ طول الواحدة نحو خمس عشرة قدما ، وقد كشف عنها وعمل تخطيطها (١) . وقد كشف عما يبلغ مساحته أكثر من نصف ميل من الأروقة التى يبلغ عرضها اثنى عشرة قدما . ومن طرق الإضاءة يمكن أن تكون قد استعملت ثكنات للجنود فضلا عن المخازن (٢) .

أما النقوش التى على الجدران الباقية فى هذا المعبد فتنحصر أهميتها بوجه خاص فى المناظر الحربية ، فعلى البوابة العظيمة التى كان عرضها نحو عشرين ومائتى قدم نشاهد على الجزء الداخلى من جدرانها المحفوظة مناظر توضح لنا حملة «رعمسيس الثانى» على بلاد «خيتا» وبخاصة فى السنة الخامسة من حكمه (موقعة قادش) .

على البرج الشمالى : نشاهد فى أقصى الشمال الحصون التى استولى عليها «رعمسيس» فى السنة الثامنة من حكمه ، ويمكن التعرف على ثلاثة عشر من الثمانية عشر المعروف

(١) راجع : Quibell Ramesseum, 6, 1

(٢) راجع : Petrie Hist. III, p. 45; Baedeker, Egypt (1929) p. 327

كل منها بالاسم الدال عليه، ويلاحظ الأسرى وهم يساقون، وفى الوسط نشاهد مناظر من الحرب مع « خيتا » وتستمر هذه المناظر على البرج الجنوبى، ففى أسفله نشاهد الجيش المصرى يتابع السير، وفوق ذلك يظهر المعسكر المصرى فى صورة سور من الدروع وجنوده فى حركة عظيمة، فالعربات تصف فى أماكنها وبجانبها جيادها غير مسرجة، وعلى مقربة منها نشاهد عربات الأمتعة الثقيلة بحيواناتها التى لا تهاب أسد الفرعون الأليف الرابض أمامه ، وترى الحمير التى كانت تستعمل لحمل الأثقال وراء الجيش بصورة بارزة فى المعسكر ، إذ نشاهدها بعد أن وضعت عنها أثقالها تظهر الرضا ، بوساطة حركات وأوضاع كان لا يمل المفتن من إظهارها . وكذلك نشاهد الجنود يتجاذبون أطراف الحديث معا، ويرى واحد منهم وهو يشرب من قربة ماء ، هذا ولا نعدم رؤية قيام المشاحنات والمخاصمات فيما بينهم ، وفوق هذا المنظر من جهة اليمين نرى أن صفو هذه السكينة قد عكر بقوة انقضاض جيش « خيتا » على المعسكر المصرى، وعلى اليمين نشاهد الفرعون يعقد مجلسا حربيا مع الأمراء، وتحت هذا المنظر نرى جاسوسين يعذبان ليعترفا بمكان موقع العدوّ، أما النصف الأيسر من جدار البرج الجنوبى للبوّابة فقد صوّر عليه موقعة «قادش» وقد شاهدناها على بوّابة معبد الأقصر (راجع صورة المعسكر) فيمتطى هنا «رعمسيس الثانى » عربته وينقض بها على الأعداء فيرديهم بسهامه ، ويهربون فى ارتباك مفزع ، ويسقطون فى نهر الأرنت « العاصى » ويتبع الفرعون عربات الحرب) .

وكذلك نشاهد على اليمين من ساحة القتال أمير « خيتا » واقفا على بعد. وفوق هذا نشاهد منظرا «للخيتا» وهم يهربون إلى حصنهم. أما النقوش التى على اليمين فتمثل الفرعون يقبض على الأعداء من نواصيهم منها لا بالضرب عليهم . وعلى مسافة من ذلك من جهة اليمين يرى الفرعون قابضا على صولجان طويل يتبعه حاملو

المراوح ، وعلى الجدران الداخليـة لمدخل هـذه البوابة نرى مناظر عادية يقترب فيها « رعمسيس الثانى » القربان للآلهة المختلفين .

الردهة الأولى : هذه القاعة قـد هدمت تماما ولم يبق منهـا إلا بقايا تمثال ضخم جدا « لرعمسيس الثانى » و يعدّ من أكبر التماثيل التى عثر عليها ، وقد وجد عليه اسم هذا الفرعون على ذراعه وعلى القاعدة ، وما بقى منه يدل على دقة صنع هذا الأثر الضخم ، و يبلغ ارتفاعه على ما يظهر $\frac{٢}{٥}$ ٥٧ قدما ، ووزنه نحو ألف طن .

الردهة الثانية : وجدت كذلك مهشمة إلا أنهـا أحسن حالا من الأولى ، وفيها بعض تماثيل للفرعون على هيئة « أوزير » ، وعلى جدارها الأمامى مناظر تمثل موقعة « قادش » وتمجد ضروب الشجاعة التى أظهرها « رعمسيس » فى أثنائها ، (راجع منظر موقعة « قادش » الذى على جدار البوّابة الثانيـة لمعبد الرمسيوم) ، ففى الصف الأسفل نشاهد « رعمسيس » فى صورة أضخم بكثير من الجنود الذين حوله منقضا بعربتـه ، فتخترق سهامه « الخيتا » وتدوسهم عربته و يجدلون على الأرض مكدّسين بعضهم فوق بعض ، كما يرى بأحشاد منهم فى نهر العاصى ، وعلى مسافة من ذلك من جهة اليمين تظهر قلعة «قادش» ذات الشرفات و ينساب حولها نهر العاصى ، و بجانبها من الجهة الأخرى من النهر يرى جنود من «الخيتا» لم يشتركوا فى الموقعة . ولكن بعضهم كانوا يمدّون يد المساعدة لزملائهم الغارقين فى النهر .

أما الصف الأعلى فيمثل منـاظر من عيـد « مين » إله الحصـاد وقد كان يحتفل به عندما يعتلى ملك عرش ملكه كما هو ممثـل فى معبد مدينـة « هابو »(١) . فعلى اليمين يقف الفرعون ينتظر الموكب الذى يرأسـه كهنة يحملون صور المـلوك القدامى ، وقـد نصب أمام الفرعون قضيبان طو يلان يحملان تاج الفرعون ، وبجانب هـذا كهنة يطلقون أربعة طيور لتحمل الأخبار إلى جهات العالم الأربع

(١) راجع : Baedeker, Egypt (1929) p. 350

بأن الملك قـد اعتلى العرش . وعلى اليمين يظهر الفرعون يحصـد حزمة من القمح ليقدمها للإله . وتشمل الردهة الثانية تماثيل ضخمة للفرعون، ومنها يصل الإنسان إلى دهليز مقام على طوار يصـعد إليه فى درج ، ولم يبق من جدرانه إلا جزء من الجدار الخلفى الجنوبى، وعليه ثلاثة صفوف من النقوش عليها أحد عشر ولدا للفرعون.

وخلف الدهليز قاعة العمد العظمى التى لهـا ثلاثة مداخل ، ومثلها كمثل قاعة عمـد الكرنك تشمل صحنا يحتوى على ثلاثة ممرات من العمد أعلى من الممرات الستة الجانبية (١)، وعلى سيقان عمد هـذه القاعة « رعمسيس الثانى» يقدم القربان للالهة .

(١) (راجع ما كتب حديثا عن سبب ارتفاع صحن المعبـد Chronique d'Egypte No. 34 (Juillet 1942) p. p. 169-76) وهذا المعبد له شهرة كبيرة عند كتاب اليونان ، فقد ذكر «ديدور الصقلى» بأنه قبر «أوسيمانداياس Osymandyas» كما ذكرنا ، وقد حقق « مسبرو» أن المقصود هو « رعمسيس الثانى » والواقع أن اسم معبد هذا الفرعون كان يدعى « حات وسر ماعت رع مرى آمون» (أى قصر «وسر ماعت رع» محبوب «آمون») وقد درس « جو دفروى جو سنس» وصف « ديدور » لهذا المعبد وقال عنه إنه نقله عن « هكاتا أبدير » اليونانى، واستخلص النتيجة التالية بعد قرنه « بمعبد الرمسيوم» : إن معبد «الرمسيوم» قد استعمل بمثابة محجر منذ تاريخ لا يمكن معرفته على وجه التأكيد، غير أننا نعلم أن « رعمسيس الثالث » قد نقل منه بعض أحجار إلى معبده بمدينة « هابو » . ومن المحتمل أن اقتفى أثر هـذا الملك ملوك آخرون منذ أن عاد النشاط إلى إقامة هـذا المعبد فى عهـد الأسرة الرابعـة والعشرين . فنرى أنه لم يمض خمسون عاما على موت « رعمسيس الثـانى » حتى بدئ بتخريب معبده فى « الرمسيوم » ، وبعـد ذلك بألف سنة لم يبق من هذا المعبد قائمـا إلا نصفه ، وفى أيامنا لا نرى منه إلا خرائب باقيـة . وتماثيله الشامخة أصبحت طريحة الأرض بعد ذلك البهاء الذى انطفأ مصباحه ، وهاك ترجمـة النقوش التى قرأها « ديدور » على تمثاله الضخم : إنى « أوسيمانداياس » ملك الملوك « فإليفوقنى فرد ما فى عمل من أعمالى ... » .

فهل هذه ترجمته من نسج خيال الكاتب القديم ، أم خرافة ؟ نعم إنها كذلك ولكنها تعبر عن روح هذا الفن الزخرفى الذى يمثل الفخر الكاذب، والغرور اللذين كانا يمثلان فى النظام الحكومى الذى أوحى بهما ، وأعنى بذلك تلك العظمة التى أرادها « رعمسيس » من الأحجار (راجع Ibid. p. 177)، ومع ذلك فإنا نجد ضمن ألقاب « رعمسيس الثانى » أنه كان يدعى « حاكم الحكام » أو بعبارة أخرى ملك الملوك فى بعض نقوشه . (راجع ص ٣٨٧ و Hall, Egyptian Scarabs p. 223) .

وعلى النصف الجنوبى من الجدار الشرقى يرى الهجوم على حصن « دابور » الخيتيـة فى الصف الأسفل ، وعلى اليسار هجوم الفرعون على العـدو بعربته فيقتل بعضهم و يولى البـاقى من خيالة ومشاة وعربات الأدبار . وعلى اليمين القلعـة التى يحميها « الخيتا » والمصريون يهاجمونها متسلقين سلالم ، أو يقتحمون الجدران تحت حماية المظلات والدروع . وهنـا نرى أولاد الملك بأسمائهم يظهرون شجاعتهم فى حومة الوغى .

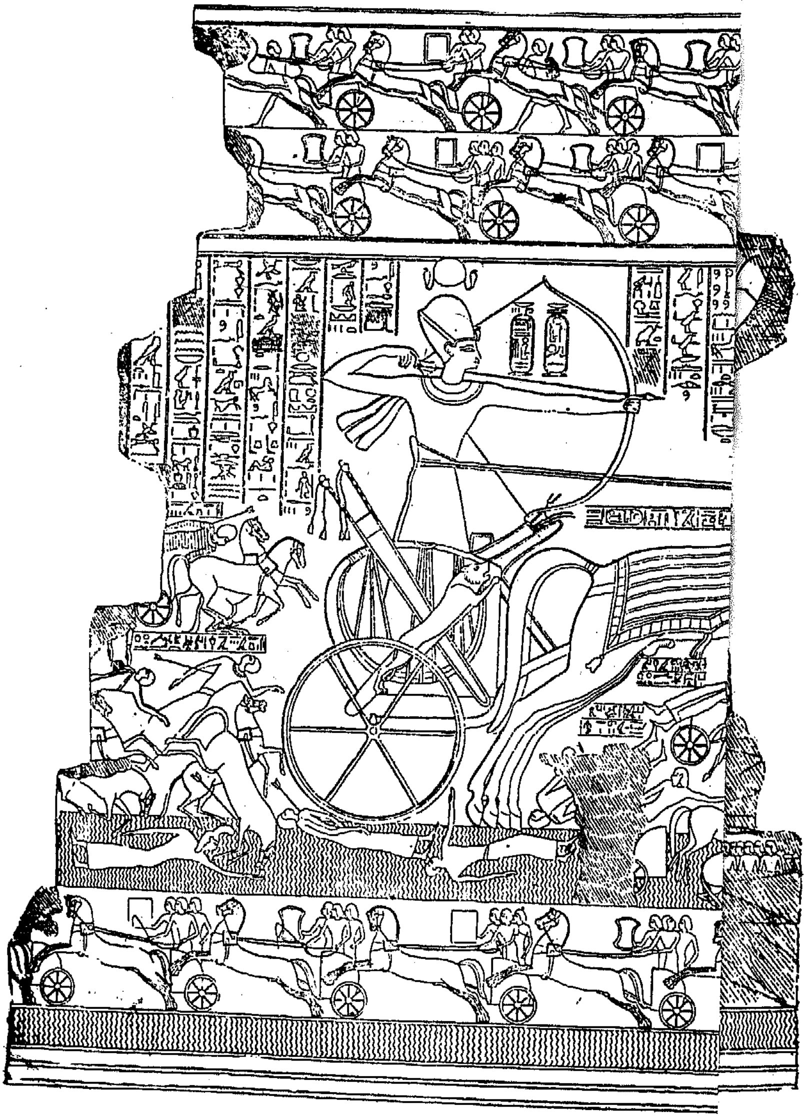
أما قاعة العمـد الصغرى ، فقد زين نقشها بصـورة ملكية و بصور للفرعون والآلهة ، وأهم منظر يلفت النظر على جدران هذه القاعة على الجدار الغربى ، تمثيل الفرعون جالسا تحت شجرة « هليو بوليس » المقدسة ، والإله « آتوم » يكتب اسم الفرعون على أوراقها : والإلهة «سشات» ربة الكتابة ، والإله « تحوت » إله العلم على يساره ، وقاعة العمد الصغيرة الثانية لم يبق من جدرانها إلا جزء بسيط (١) .

معبد القرنة : تكلمنا فيما سبق عن تاريخ هـذا المعبد الذى تركه « سيتى » قبل أن يتمه (راجع ص ١١٤)، وقد حدثنا « رعمسيس الثانى » نفسه عن إتمامه له ، غير أنه عندما قص علينا ذلك فى نقش الإهداء قد غطى على ما قام به والده فيه ، فاستمع لمـا يقوله فى هـذا الصدد : "لقد أقامه بمثابة أثره لوالده « آمون رع » ملك الآلهة وسيد السماء وحاكم «طيبة» ، فقد أصلح بيت والده الملك «سيتى الأول» المرحوم ، تأمل لقد ذهب إلى مثواه ورفع إلى السماء فى حين كان البناء لا يزال جاريا فى بيته هذا ، وكانت أبوابه مخربة فى محاطها ، وكل جدرانه من الحجر واللبن ، ولم ينجز فيه عمل كتابة ولا صور . وعندئذ أمر ابنه رب الأرضين «رعمسيس الثانى» بإقامة الأعمال فى بيته لملايين السنين قبالة « الكرنك » ، وبعث صورته التى تبق فى بيته مغشاة بالسام — عندما يقلع الإله بشخصه فى « عيد الوادى » ليأوى إلى بيته بوصفه أول الملوك — .

نطق الآلهة والإلهات الذين فى الأرض الشمالية ، لابنهـم الملك « رعمسيس الثانى » معطى الحياة :

---

(١) راجع : Baedeker. Egypt (1929) p. 324 ff.



لقد أتينا إليك وأذرعتنا تحمل القربان مؤنة بالزاد والطعام ، وقد جمعنا لك كل شيء مستطاب مما تخرجه الأرض لأجل أن تجعل بيت والدك في عيد ، وبما أنك ابنه المحبوب فانك إذن مثــل « حور » حامى والده تأخذ وراثة الأرضين ، فما أبر الابن الذى يصلح ما خرب ! لقد أقمت بيت والدك وأنجزت عمله ، ولقد سوّيت صورته لأجل ... من الذهب وعندك ... قربات مقــدّسة ... وعندى ... ما فعلته ثانية لبيت والدك ، ومنحته حياة رضية وبقدر ما يكون الابن بارًّا كنت كذلك (١) .

وكذلك نجد الإهداء التالى : "لقد أقامه « رعمسيس » الثانى بمثابه أثره لوالده « آمون رع » رب طيبة والمشرف على « الكرنك » مصلحا بيت والده الملك « سيتى الأوّل » ... فأقاموا كل جدرانه من ... حجر ، ولم يكن قد تم فيه عمل ولا نقش ولا نحت" (وباقى النقش كالكلام السابق (٢)) .

ولدينا إهداء آخر وهو : " لقد أقامه « رعمسيس الثانى » بمثابة أثره لوالده « آمون رع » مصلحا له بيت والده الملك « سيتى الأول » . تأمل إنه فى السماء ... وأبوابه من خشب الأرز الحقيقية محوّط بجدران من اللبن وممكن للأبد ، وهو الذى عمله له ابن « رع » « رعمسيس محبوب آمون (٣) »" .

وقد ذكرنا من قبل أن « رعمسيس الثانى » قد أعدّ هذا المعبد ليكون مكان تقديس لجدّه « رعمسيس الأوّل » وهاك النقوش الدالة على ذلك : "لقد أقامه بمثابة أثره لجدّه الطيب « رعمسيس الأوّل » صادق القول (المرحوم (٤)) " .

وجاء فى نقش آخر : "تجديد الآثار التى أقامها « رعمسيس الثانى » لوالد والده الإله الطيب « رعمسيس الأوّل » فى معبد والده رب الأرضين « سيتى الأوّل » " .

---

(١) راجع : Deveria. Biblioth. Egypt. IV, 292-3; Champ. Notices I, 694; Brugsch. Recueil de Mon. 513; L. D. III 152, A., Br. A. R. III § 516 ff.

(٢) راجع : Piehl Inscrip. I, 145 A. f.

(٣) راجع : Champ. Ibid. I 296; L. D. III 152 b

(٤) راجع : Champ. Ibid. I, 307. 704; L. D. III, 152 G; Br. A. R. III § 521

وجاء فى نقش ثالث : "لقد أقامه « رعمسيس الثانى » بمثابة أثره لوالده الإله الطيب « من يحبى رع » (رعمسيس الأول) فأقام له بيتاً للملايين السنين على الشاطئ الغربى من طيبة من الحجر الرملى الأبيض حيث يثوى « آمون » مثل « رع » فى أفق السماء" (١) .

على أننا من جهة أخرى نجد أن « رعمسيس الثانى » قد أضاف سلسلة إهداءات باسمه هو فأصبح بذلك هذا المعبد مكاناً لإقامة شعائر الملوك الثلاثة « رعمسيس الأول » ، « سيتى الأول » ، « رعمسيس الثانى » ، وهاك نص الإهداء الذى نقشه « رعمسيس » لنفسه : "لقد أقامه « رعمسيس » بمثابة أثره لوالده لأجل والده « آمون » رب طيبة مقيماً له بيتاً للملايين السنين فى غربى « طيبة » من الحجر الرملى الأبيض ، وأبوابه من الأرز الحقيق ، وهو الذى أقامه له ابن « رع » « رعمسيس » محبوب « آمون » معطى الحياة مثل « رع » ، وقد عمل له قاعة فسيحة للظهور أمام بيته العظيم وهى مكان للظهور لأجل رب الآلهة فى « عيد الوادى » ... ..." (٢) .

معبد « سيتى الأول » بالعرابة المدفونة ومبانى « رعمسيس الثانى » فيه : وقد تحدثنا عنه فى تاريخ "سيتى الأول" .

معبد « رعمسيس الثانى » بالعرابة : يدل ما بقى لنا من نقوش وآثار فى معبد « رعمسيس الثانى » الذى أقامه بالعرابة على أنه كان على جانب عظيم من الروعة والفخار ، وأنه أقامه ليناهض به معبد والده « سيتى الأول » الذى رفع بنيانه فى هذه البقعة المقدسة لوالده « أوزير » ولعبادته هو بوصفه إلهاً ، وعلى الرغم من صغر حجم معبد « رعمسيس » بالنسبة لمعبد والده — فانه مبنى عظيم تبلغ مساحته حوالى ثلاث وعشرين ومائتى قدم وعرضه خمس وعشرون ومائة قدم . والواقع أن المعبد الآن فى حالة سيئة من التخريب والتدمير ، والبقايا الضئيلة التى بقيت لنا حتى الآن تدلنا على أنه كان يحتوى على دهليز محلى بالأعمدة الأوزيرية الشكل ، وعلى

(١) راجع : Champ. Ibid. I, 705; Br. A. R. Ibid.

(٢) راجع : Marieite Abydos I, 1, Sculptures II-XX

قاعتين ومحراب وخلف هذه حجرات أخرى مختلفة ، وما بقى قائما من جدران هذا المبنى لا يزيد ارتفاعه على خمس أو ست أقدام ، وإذا حكمنا — من بقايا النقوش والمبانى التى نشاهدها على الجدران — على مكانة هذا المعبد، فلا يسعنا إلا الاعتراف بأنه كان على جانب عظيم من الفخامة ودقة الصنع والجمال مما لا يضارعه فيه مبنى آخر من المبانى التى تركها لنا « رعمسيس الثانى » ، إذ لم يستعمل فى إقامته الحجر الجيرى الأبيض فحسب ، بل كذلك الجرانيت الأحمر والجرانيت الأسود ، فقد استعملت لصنع الأبواب كما استعمل للعمد الحجر الرملى والمرمر لقدس الأقداس، هذا إلى أن ألوان الجدران التى لا تزال ساطعة فى الحجرات الخلفية بما فيها من نقش دقيق بارز يذكرنا بالنقوش التى زين بها « سيتى الأول » معبده فى هذه الجهة أيضا . مما يدل على أن هذا المعبد قد بدأ «رعمسيس» فى إقامته فى عهد اشتراكه مع والده فى الحكم .

والنقوش التى على الجدار الأمامى تمثل سلسلة من الأقوام الأسرى، أما التى على الجنوب فتمثل مناظر من الحروب التى شنها هذا الفرعون على بلاد «خيتا» . ولما كانت الجدران قد هدمت ، ولم يبق قائما منها إلا أجزاء ضئيلة فلم يبق عليها إلا نتف صغيرة من المتون، منها جزء من الملحمة المشهورة التى دونها « رعمسيس » عن حروبه مع « خيتا » وعلى الجدران فى الداخل نشاهد موكبا طويلا ، وقائمة بأسماء المدن التى تقدم القرابين ، وكذلك نشاهد قاعدة قائمة الملوك التى دونها «رعمسيس» كما فعل والده على معبده فى «العرابة» أيضا . والأحجار التى فى المتحف البريطانى من هذه القائمة مثل عليها منظر «رعمسيس الثانى» يقدم قربانا لعدة آلهة حكموا مصر قبله ، وقد حذا حذو والده « سيتى » فى إغفال ذكر أسماء الملوك التالية : « حتشبسوت » و « اخناتون » و « توت عنخ آمون » و « آى » من بين الملوك الشرعيين (١) ، وقد اشتراها المتحف البريطانى من القنصل الفرنسى فى مصر .

(١) راجع : Budge Guide to Sculptures p. 163 (No 592 (117).

هذا إلى جزء من قصيدة تمجيد إله الشمس . ويشاهد كذلك عدّة حجرات وكوّات مهداة لآلهة مختلفين . ولكن على الرغم من ضياع معظم معالم هذا المعبد الفخم فان القدر قد حفظ لنا متن الإهداء الذى دوّنه « رعمسيس الثانى » ، وهو يقـدّم لنا صورة رائعة عن وصف هذا المعبد وهى تتفق فى كثير مع ما بقى من آثاره، وهذا النقش قد دوّن على الجدار الجنوبى الخارجى (١) . وهاك النص فاستمع لمـا جاء فيه :

"تأمل إن جلالته — له الحياة والفلاح والصحة — كان « الابن الذى يحبه » حامى والده ، «وننفز» ، باقامة معبد جميل فاخر له ثابت إلى الأبد من حجر« عيان» الجيرى الأبيض له بوّابة مزدوجة ممتازة الصنع ، ومداخله من الجرانيت ، وأبوابها من النحاس المغشى بالصور المصنوعة من السام الحقيق ، وعرشه من المرمر ، مقام على جرانيت وهو عرشه الأزلى ، وقاعة مسخنت (الولادة) لناسوعه المقدّس ، ووالده المبجل هو الذى يسكن فيه ، و«رع» عندما رفع إلى السماء ، وصورته الحامية مستقرّة بجانب من سواه مثل « حور » على عرش والده .

وقد رصد له قربات يومية فى بداية الفصول مقدّمة لروحه كل الأعياد فى مواقيتها ، وقد ملأها بكل شىء، حتى أصبحت مفعمة بالطعام والرزق من عجول وعجول وثيران وأوز وخبز ونبيذ وفاكهة . وكانت مكتظة بالعبيد الفلاحين وضوعفت حقولها وجعلت قطعانها عديدة ، ومخازن الغلال قد ملئت حتى فاضت ، وأكوام الحبوب ناهضت السماء فى ارتفاعها ... لمخزن القربان المقدّس من أسرى سيفه المظفر .

وكانت خزانته مليئة بكل حجر غال ، وفضة وذهب فى هيئة ركائز ، والمخازن كانت مليئة بكل شىء من جزية الممالك كلها . وقد غرس عدّة حدائق زرعت فيها كل أنواع الشجر وكل الأخشاب الحلوة والعطرة . وهى من نباتات « بنت » . وقد أقامه له ابن « رع » رب التيجان «رعمسيس مرى آمون» محبوب « أوزير » أوّل أهل الغرب ، والإله العظيم رب « العرابة » " .

وكذلك وجدنا الإهداءات التالية على أبواب المعبد (٢) : " لقد أقامه بمثابة أثره لوالده «أوزير» فى بيت «رعمسيس مرى آمون» صاحب «العرابة» . فصنع له مدخلا من الجرانيت الأسود ومصراعين مغشيين بالنحاس ، ومطليين بالسام ، وهو الذى قد عمله له ابنه «رعمسيس الثانى» (وهذان المصراعان قيل عنهما فى نقش على قاعدة نفس هذا الباب إنهما صنعا من السام) ، واسم الباب هنا « مدخل

(١) راجع : Mariette Abydos II pl. 3 (ef Ibid) 11 & 139; Mariette Voyage dans La Haute Egypte 1 p. 29.

(٢) راجع : Brugsch. Recueil de Monuments I, pl. XII

وسر ماعت رع ستين رع » ملك الأبدية ، يعيش الإله رب الأرضين « رعمسيس الثانى » . لقد أقامه بمثابة أثره لوالده «آمون أوزير» رب العرابة ، فصنع له مدخلا عظيما من الجرانيت الوردى ، ومصراعاه من البرنز المطروق وسمى مدخل « رعمسيس وسر ماعت رع ستبن رع » رافع الآثار فى العرابة " .

وهــذه الأوصاف إذا وازناها بمـا تبق من آثار هذا المعبد وجدنا أن « رعمسيس الثانى » كان غير مسرف فى أوصافه التى قدّمها لنا عن هذا المعبد على الأقل فى أنواع الأحجار التى أقيم منها وبخاصة عندما نقرأ الإهداء الذى تركه لنا على حجرة المحراب المصنوعة من المرمر ، والتى لا تزال لدينا منها خمس قطع من هذا الحجر الثمين ، فاستمع لمـا يقوله :

" لقد أقامه بمثابة أثره لوالده « أوزير » فصنع له مقعدا عظيما من المرمر الخالص ... "[1] .

معابد « منف » : تدل الحفائر التى قام بها « بترى » فى « منف » على أن معبد « بتاح » الذى كشف عنه يرجع إلى عهود بعيدة فى القدم وأن «رعمسيس» قد جدّد بنــاءه كما تدل على ذلك الآثار الباقية من هــذا المعبد ، وكما جاء فى لوحة بركات بتاح التى سنتحدث عنها فيما بعد، وأهمها ما يأتى :

(١) مجموعة مؤلفــة من « رعمسيس الثــانى » والإله « بتاح » عثر عليها فى داخل حدود المعبــد أمام المدخل العظيم ، وهــذه المجموعة موجودة الآن فى متحف « كوبنهاجن »[2] .

(٢) «بو لهول» يمثل «رعمسيس الثانى» وهو الآن فى متحف «فلادليفيا»[3] . فى المدخل الغربى للقاعة الغربية .

(٣) وجد له تماثيل ضخمة وبقايا متن على قاعدة تمثال ضخم من البازلت[4] .

(٤) تمثال من الحجر الجيرى جالس بالقرب من المدخل الشمالى[5] .

---

(١) راجع : Br. A. R. III § 529

(٢) راجع : Ny Carlsberg Museum. Morgensen. La Collection Egyptienne pl. VII, p. 8.

(٣) راجع : Petrie, Memphis V, pl. LXXVII; VI, pl. LXI, 33

(٤) راجع : Petrie Ibid. p. 10; A. S. ill, p. 25

(٥) راجع : Ibid. p. 25

(٥) كما وجدت أمام المدخل العظيم قطع من لوحات وقطع أبواب أخرى وعمد[١] .

(٦) وأمام المدخل العظيم للعبد وجد تمثال ضخم لا يزال محفوظا فى بناء خاص به وقد عثر عليه سنة ١٨٢٠ م[٢] .

(٧) وبجوار التمثال السالف وجد تمثال آخر ضخم من الجرانيت الأحمر وعليه صورتان للأمير « مرنبتاح » والأميرة « بنت عنتا » وقد عثر عليه فى عام سنة ١٨٥٣ على مسافة مائتى ياردة من الشمال الشرقى من التمثال الجيرى وقد ترك فى مكانه .

(٨) وفى هذه البقعة وجد لهذا الفرعون كذلك تمثال راكع بدون رأس ، وفى يده رأس الإلهة « حتحور » ، وتمثال آخر يقبض على علم برأس إله[٣] .

(٩) وفى متحف « كوبنهاجن » توجد له قطعة من عمود صور عليها وهو يقدم للإله « بتاح » القرابين[٤] .

(١٠) وقد عثر على مبنى من المرمر فى هذه الجهة نقش عليه اسم « رعمسيس الثانى » .

(١١) وقد وجدت ودائع أساس فى مبنى أقامه « رعمسيس » غير أن المبنى قد تهدم ، ولا تزال الودائع محفوظة فى متحف « مانشستر »[٥] .

(١٢) وفى غرب البحيرة المقدسة لمعبد « بتاح » وجدت قطع من تمثال من الجرانيت الأسود لهذا الفرعون[٦] .

(١) راجع : Ibid. 28 - 31

(٢) راجع : Porter & Moss III, p. 219

(٣) راجع : Porter & Moss Ibid. p. 219

(٤) راجع : Ny Carlsberg Mus. Ibid. pl. XXXI, p. 39 - 4

(٥) راجع : Porter & Moss Ibid. p. 220

(٦) راجع : A. S., XX, 167 - 8

(١٣) هذا وقد وجد له بعض آثار فى هـذه الجهة لا يعرف موقعها بالضبط منها مجموعه تمثل الإله « بتاح تنن » والفرعون « رعمسيس » وهى الان بالمتحف المصـــرى [1] .

(١٤) وكذلك عثر له على قاعدتى تمثالين [2] .

والواقع أن التمثالين الضخمين اللذين نحتهما «رعمسيس الثانى» لنفسه — وهما الموجودان الآن فى خرائب منف — يدلان على أن «رعمسيس الثانى» أقام معبدا فى هذه الجهة، ولا نزاع فى أن المكان الذى وجدا فيه يحدّد بقعة مدخل المعبد على ما يظهر، وكان هذا المعبد للإله « بتاح » أو « آمون »، وقد عثر للأوّل على تمثال فى هذه الجهة وهو الآن بالمتحف المصرى . وكذلك يوجد فى المتحف البريطانى قبضة يد من الجرانيت لتمثال ضخم مما يقوّى وجود معبد هناك ، ويحتمل أن هذا المعبد كان فى جنوب البحيرة المقدّسة .

والواقع أن المبانى الدينية التى أقامها «رعمسيس الثانى» فى «منف» قد زالت بزوال المدينة نفسها ، وكان يطلق على أحد المعـابد التى أقامها هناك اسم « ملايين السنين للملك «وسر ماعت رع ستبن رع فى بيت آمون بمنف» .

ومعظم ما نعرفه عن مبانى هـذا الفرعون فى «منف» هو ما نجده فى الوثائق المعاصرة ، وبخاصة فى نقوش إهداء معبد « العرابة » التى فصلنا القول فيها، وفيها يشير إلى أنه أتم ضريح «منف» وأهدى التمثال الذى كان قد قطعه «سيتى الأوّل» ، ولم يتمه، وبعد ذلك أخذ فى العمل على ملء المدينة بالمبانى التى من ابتداعه هو فأقام حجرات من الجرانيت ، والحجر الرملى شرق البحيرة المقدّسة ، وهى التى حفر جزءا

(١) راجع : Borchardt. Stat. II, pl. 93 p. 101

(٢) راجع : Porter & Moss Ibid. p. 226

منها « ماريت » (ومن المحتمل أن هــذا هو المعبد الذى ورد اسمه فى لوحة بركات بتاح المنقوشــة فى معبد « بوسمبل » كما ذكرنا . وكذلك أقام بوابة عظيمة فى الجنوب ونصب أمام واحدة منها التمثال الضخم المصنوع من الجرانيت ، وقد كشف عنــه فى عام ١٨٨٨ م ويبلغ طوله حوالى اثنين وثلاثين قدما(١)، وقد أشير كذلك لمبانيه فى « لوحة بركات بتاح » .

والواقع أن المصادر التى لدينا عن معبــد للإله « بتاح » فى هــذه الجهة قليلة إلا أنه عثر على قطعــة من لوحة كبيرة فى خرائب معبد للإله « بتاح » فى منف ، والمرجح أنهــا تنسب للفرعون « رعمسيس الثــانى » لأنها وجدت فى المعبد الذى ينسب إليه(٢) .

وقد جاء فى نقوش هــذه اللوحة « محط الفرعون » أو المكان الذى يحتــله الفرعون عندما كان يحتفــل بتتويجه فى المعبد كما ذكرنا من قبل، وهــذه اللوحة كغيرها من اللوحات التى أقيمت فى معابد « طيبة » « لأمنحتب الثــالث » ، و « إلفنتين » و « أمدا » وقد نقش عليها قصة إقامة المبنى الذى نصبت فيــه . ولذلك بدئت تمثيلاتها ببيان عن تتويج الفرعون . وقد بقى من هــذا المتن المهشم ما يدل على أن الإله « آمون » قد ظهر علنا كما حدث فى تتويج « تحتمس الثالث » (راجع ج ٤ ص ٣٩٠) وفى تتويج « حور محب » (راجع ج ٥ ص ٥٨٠) . ونزل وحيه معلنا « رعمسيس » ملكا ، وسار حتى المكان الذى هو فيه، ولذلك

---

(١) راجع : Maspero, The Struggle of the Nations p. 422; Baedeker Egypt (1929) p. 154.

(٢) راجع : Spiegelberg, Recueil 17, 158. Pap. Turin 19, 2

(٣) راجع : A. S., III, p. 27, 28

فان من المرجح جدًا أن يكون الوحى والتتويج على يد «آمون» عادة مرعية عند اعتلاء كل فرعون العرش فى عهد الامبراطورية . ومن ثم نعلم أن الإشارات التقليدية بأن «آمون» هو الذى ثبت التاج على رأس الفرعون تدل على وجود احتفال فعلى كان يقام لذلك، ومن البدهى أن هذا الامتياز الذى خص به «آمون» لم يكن وقفا عليه فى الأصل، بل اغتصبه من إله الشمس «رع» إله الدولة الأصلى . ولا نزاع فى أن مثل هذا الاحتفال كان يعقد فى الأصل فى «هليو بوليس» عند تولية كل فرعون منذ الأسرة الخامسة فصاعدا إلى أن ظهرت «طيبة» على «هليو بوليس» وأصبح إلهها «آمون» إله الدولة وأطلق عليه اسم «آمون رع» ، وبذلك أصبح يشارك «رع» فى هذا الاحتفال ، غير أننا لا نعرف على وجه التأكيد فى أى تاريخ حدث ذلك

وهاك ما تبقى من النص :

آمون وآلهته يخرجون : "... بيته فى الأقصر وتاسوعه خلفه ، وعندما أضاءت الأرض ثانية وطلع النهار ... الوحى يسمى الملك ... إنك ابنى والوارث الذى خرج من أعضائى : وكما أكون أنا ستكون أنت مع غيرك ... وقرباتهم ستضاعف وسيعترفون بك بوصفك ابنى الذى خرج من صلبى . ولقد جمعت ... ..." .

التتويج فى القصر : "...أشياء له إلى القصر، وقد أجلس نفسه أمامه فى محراب ابنه الفاخر... «آمون» [ ]، تأمل لقد أتى «آمون» وابنه أمامه إلى القصر ليضع التاج على رأسه وليرفع الريشتين ... ..." .

حالة حكمه : "...لأجل أن يفعل ما يرضيك . ولقد تجنب الخداع وأقصى الكذب من الأرض وكانت قوانينه متينة فى إدارة أنظمة الأجداد ... التاج [...] وكان عنده [...] ما تحيط به الشمس ، وكل الأراضى تقوم بخدمة هذا الإله العظيم [ ] مثل ... ..." .

محط الملك ومتن المبانى : "لقد أقامه بمثابة أثر لوالده «بتاح القاطن جنوبى جداره» فأقام له محط الحاكم من حجر الجرانيت فى [ ] ... ... عليها أبوابها من خشب الأرز الحقيقى لأجل أن يجعل لهما بيت ... ... ليظهر الطريق التى يسلكها والده بتاح . وقدّم له بيتا جديدا ... ... ذراعا من

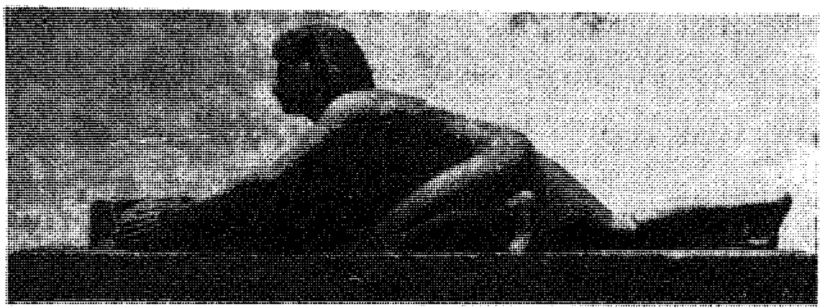
كل حجر فاخر غال وأعمــدة أعلامه من خشب الأرز الحقيق مغشاة بنحاس أسيوى وأطرافها من السام ، وقد عملت قاعة واسعة ... ... " .

وعلى الرغم من أن نقش الإهداء قد سبقه حفلة تتويج الفرعون على يد الإله « آمون رع » فى « طيبــة » فان ما لدينــا من النقــوش يثبت أن الفرعون « رعمسيس الثانى » قــد احتفل بتتويجــه فى « هليو بوليس » ممــا يدل على أن الفراعنــة كانوا يتوجون فى « طيبــة » ، وكذلك فى « هليو بوليس » ، ولأن «رعمسيس» كان من الدلتا فلم يغفل عن أن يتوج كذلك فى عاصمتها الدينية الأصلية، ولدينا قطعة حجر باسم « رعمسيس الثانى » محفوظة الآن فى معهــد « باث » من الحجــر الرملى عليها نقوش تمثل جزءا من الاحتفال بتتــويج « رعمسيس الثــانى » فقــد اعترف به الإله « آتوم » رب « هليو بوليس » ملكا على البــلاد . و يظن الأستاذ « جريفث » أن هذا الحجر أتى به من « هليو بوليس » وهو المكان الذى أقيم فيه الاحتفال .

وصف المنــاظر : فنرى من اليسار المــلك الصغير يقوده « حــور » إلى حضرة الإله «آتوم» وإله آخر قد هشم ، ولكن بالموازنة نحكم أنه الإله «ست» أو « تحوت » و يتبع هذا المتن الثانى : "« حور » الذهبى الغنى فى السنين ملك الوجه القبلى والوجه البحرى رب القربان « وسر ماعت رع ستبن » رعمسيس محبوب « آمون » و « حور » يدعى « حور فى المعابد » " و يوصف المنظر أنه يقود المــلك إلى البيت العظيم فى محــراب « برنو » ، وبعد ذلك نشاهد « رعمسيس » يصحبه الإله « آتوم » الجالس على عرشه . و يوجد فوق الفرعون طغراؤه وخلفه تقف روحه « كا » فى صورة إنسان أصغر حجما من صاحبه ، ويحمل فوق رأسه اسم الفرعون « الحورى » الثور المظفر محبوب « ماعت » ، ويده اليمنى تقبض على عمود علم يعلوه رمز فى صورة رأس الفرعون ، والمتن الذى تبع هذا المنظر هو : "روح الملك فرعون الوجه القبلى والوجه البحرى « وسر ماعت رع ستبن رع » الذى فى القصر" .

والنقش الذى خلف « آتوم » هو : "كلام الإله العظيم رب البيت العظيم ؛ لقد منحت كل الحياة والحيـاة الرضية والصحة لابنى المحبوب ملك الوجه القبـلى والوجه البحرى « وسر ماعت رع ستبن رع » ابن الشمس من جسمه « رعمسيس محبوب آمون » ..." ، ثم نشاهد «آتوم» رب البيت العظيم جالسا على عرشه داخل محراب ممسكا بيـد « رعمسيس » الواقف أمامه فى حين نجـد الكاهن « عمود أمه » مزينا بضفيرة شعر جانبيه ، ورداء من جلد الفهد ، و ينطق بالكلمات التالية : " قربان يقدّمه «جب» وقربان يقدّمه «حور» وقربان يقـدّمه التاسوع ملك الوجه القبـلى والوجه البحرى « وسر ماعت رع ستبن رع » رب الأرضين يظهر على عرش «حور» ممنوحا الحياة والثبات والرضا (؟) وقلبه فرح مثل « رع » أبدا" . و يشاهد خلف الكاهن « عمود أمه » فى صفين أرواح « پى » و « نخن » كل منها برأس صقر أو رأس ابن آوى على التوالى راكعين تعظيما للملك الذى توّج حديثا ، والأولى تقدّم له كل الحياة والعيشة الرضية (؟) والأخرى تقدّم له الثبات والعيشة الرضية . وأسفل هذه المناظر تمتدّ علامة السماء .

وفى ركن هذا الحجر نشاهد منظرا مهشما فيـه « حور بحدت » الغنى بالسنين والثرى بالسحر ، القاطن فى محراب الوجه القبـلى يقوم ببعض احتفال يحتمل أنه احتفال صب المـاء على الملك ، وقد ظهر «رعمسيس» بطبيعة الحال لابسا العباءة



«رعمسيس الثانى» يقدم اسمه للإله

التى يلبسنها ملوك مصر فى احتفال التتويج فى العيد الثلاثينى[١] . والواقع أنه على الرغم مما لدينا من نقوش ومناظر لا حصر لها عن الفرعون « رعمسيس الثانى » فان المناظر التى تمثل الاحتفال بتتويجه قليلة جدًا . غير أنه لدينا تمثال جميل الصنع لهذا الفرعون يمثله فى وضع وهو يقوم بشعيرة من شعائر احتفال تتويجه ، وأعنى بذلك التمثال الموجود الآن بالمتحف المصرى[٢] ويمثله وهو يزحف ويدفع أمامه قاعدة مربعة الشكل يجلس عليها ثلاث صور تمثل « رع » و « آمون » وطفلا وتحتهم علامة = وكل هذه الإشارات معا هى هجاء اسم الملك « مرى آمون رعمسيس » ومعنى هذا التمثال يفسره لنا تمثالان آخران[٣] (انظر الصورة ص ٣٧٩) .

ففى التمثال رقم ٤٢١٤٣ الذى لم يبق منه إلا قطعة نشاهد الفرعون كذلك يزحف على الأرض ويدفع أمامه اسمه المنحوت . وقاعدة هذا التمثال محلاة بفروع شجرة اللبخ التى كتب على ورقها اسم فرعون . وهذا هو نفس ما نشاهده على التمثال رقم ٤٢١٤٢ ، غير أن الشيء الذى يقبض عليه الفرعون قد فقد ولكنه بلا شك هو اسمه كما على التمثالين السابقين ، وتدل كل شواهد الأحوال على أن هذه التماثيل قد عملت لأجل الاحتفال بالتتويج ، إذ من المعروف أنه عند حفل التتويج كان اسم الفرعون أو بعبارة أخرى كل ألقابه تعلن رسميا ثم يكتبها الآلهة على شجرة « هليو بوليس » المقدسة (شجرة اللبخ = پرسا) وهذه الشعيرة مثلها — كمثل شعيرة وضع التاج على رأس الملك — كانت من أهم الشعائر التى تقام فى هذا الاحتفال . ومن المحتمل أن هذه الشعيرة كان لها صلة بتقديم اسم الملك للإله ، فكان الملك يزحف نحو الإله على مهل دافعا أمامه اسمه المنحوت أو طغراءه ، وهذه

---

(١) راجع : Naville Festival Hall of Osorkon II, pl. XXIII (sed feast)

(٢) راجع : Legrain Stat II, Go 42144 pl. VI

(٣) راجع : Legrain Ibid. 42143, 42142 & J. E. A., XVI, p. 31 ff.

الحقيقة يمكن استنباطها من مناظر أخرى ، فمثلا نشاهد « أمنحتب الثالث » فى منظر يزحف نحو الإله « آمون » (؟)(١) .

وأهمية تقديم الفرعون اسمه للإله عظيمة جدا . فما علينا إلا أن نذكر أهمية الاسم فى السحر لنقف على معنى هذه الشعيرة ، فمعرفة اسم الإله أو اسم الشخص كانت تعطى الساحر قوة مطلقة على صاحب الاسم ، كما أوضحنا ذلك فى قصة « إزيس » وإله الشمس « رع » (راجع كتاب الأدب المصرى القديم ج ١ ص ١١٢)، هذا بالإضافة إلى أن الأهمية العظمى للأسماء المنقوشة للحصول على حياة مخلدة معروفة تماما ، كما أن المصريين كانوا يعتقدون أن الأسماء جزء أصلى من الشخص نفسه مثل جسمه وروحه وقرينه وظله ، فإذا قدّرنا كل هذه الحقائق حق قدرها استطعنا أن نقول : إن الفرعون عندما كان يقوم بشعيرة تقديم اسمه للإله فمعنى ذلك أن الملك كان يضع نفسه تحت سلطان هذا الإله ، وفى نفس الوقت يكون قد اكتسب لنفسه حياة مخلدة لأن اسمه الذى أخذه الإله كان المعتقد فيه أنه سيحفظ على شجرة « البرسا » المقدّسة فى « هليو بوليس » (عين شمس) وكما أن « باتا » فى قصة الأخوين (راجع كتاب الأدب المصرى القديم ج ١ ص ٨٧ الخ) عائش ما دام لا يمكن الوصول إلى قلبه على قمة الشجرة التى وضع عليها ، فكذلك فرعون مصر كان يأمل أن يعيش مخلدا لأنه وضع اسمه على شجرة « هليو بوليس » المقدّسة حيث كانت أسماء الآلهة أنفسهم تنعم هناك .

معبد الإله « تحوت » بمنف : تدل الوثائق التى فى متناولنا ، على أنه كان للإله « تحوت » معبد فى مدينة « منف » يدعى : « مرتاح القلب بماعت » (أى العدالة) . وقد جاء ذكره فى خطاب موظف أرسله لأحد مرءوسيه بتعليمات

---

(١) راجع : Prsse, Monuments XI, 5

(٢) راجع : Le febure, L'Arbre Sacré D'Heliopolis in Sphinx V, p. 6

خاصة ، إذ يقول فيه : لقد سمعت أنك قد أخذت ثمانية العمال الذين كانوا يعملون فى معبد « بيت تحوت رعمسيس محبوب آمون » (له الحيـاة والفلاح والصحة) (المسمى) مرتاح القلب بمـاعت فى « منف » ، فيجب عليك أن ترسلهم لجـر الأحجار « لبوهلول » فى « منف » . (راجع Br. A. R. III, § 530) . وكذلك ذكر اسم هذا المعبد فى بردية محفوظة بمتحف « تورين » (راجع F. Rossi et Plyte Papyrus de Turin pl. XIX, 3, 6) ، وقد كشف حديثـا الأثرى مصطفى الأمير فى منطقـة « منف » ، فى حوض الوسادا ، الواقع على الطريق الرئيسى المؤدّى من « منف » الى « سقارة » ، عن تمثـال من الجرانيت الأحمر للفرعون « رعمسيس الثانى » ، يبلغ ارتفاعه مترين وأربعين سنتيمترا ، وهو يمثل هـذا الفرعون واقفـا وباسطا ذراعيه على فخـذيه ، وممسكا بعصا فى يده اليمنى ، وأخرى فى يده اليسرى ، وتنتهى كل منهمـا برأس إله ، وقد دلت النقوش التى عليهما أنهما للإلهين « بتاح » و « تحوت » . وقد نعت كل من الإلهين بالنعت الغريب : "الذى تحت زيتونته" ، والنقش الذى على العصا التى فى يده اليمنى خاص بالإله الطيب ، الذى يعمـل الطيبات لوالده « بتاح » الذى تحت زيتونته ؛ أما المتن الذى على العصا الأخرى فللاله الطيب صانع تمثـال والده « تحوت » الذى تحت زيتونته ، ملك الوجهين القبلى والوجه البحرى ، سيد الأرضين « رعمسيس الثانى» ، ونقش على سنادة التمثال فوق الكتف الأيمن : رب الأرضين « وسرماعت رع ستبن رع » المحبوب مثل « تحوت » الذى تحت زيتونته . والظاهر أن هذه العبارة تدل على اسم التمثال ، كما جرت العادة فى إعطاء أسماء للتماثيل الضخمة ، التى كانت تنصب أمام المعابد ، ليتعرف عليه الشعب ويتعبدون له .

أما النعت الذى تحت زيتونتـه فكان على ما يظهـر ينعت به بعض الآلهـة وبخاصة «بتاح» و «حور» و «ست» ، وقد قال عنه «بدج» أنه يدل على أحد

(١) راجع : A. S. XLII, p. 359 - 63

الملائكة السبعة الذين يحرسون « أوزير » (راجع .A. S. LXII p. 361 ff) .
وتحدثنا الآثار أن هذا اللقب كان يذكر كثيرا مع الإله «تحوت» حتى عهد الأسرة العشرين . والآن يتساءل الإنسان هل لهـذا اللقب علاقـة بزيت الإضاءة الذى كان يستخرج من شجرة الزيتون و بوظيفة الإله تحوت الذى كان يمثل إله القمر الذى كان يضىء ليـلا (يوقد من شجرة زيتونة لا شرقية ولا غربيـة يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار) وبخاصـة إذا علمنا أن الإله « تحوت » قـد مثل بهيئة قرد جالس تحت شجرة (راجع Bib. Egyptologique Vol 27) .

والخلاصة هى أنه إذا كان هذا التمثال قد وجد فى مكانه الأصلى فانه يحـدد لنا المكان الذى أقام فيه « رعمسيس الثانى » معبد هذا الإله .

ولا نزاع فى أن هذا التمثال هو أحد الوثائق التى تقدّم لنا فكرة عن عدد المعابد التى أقامها مـلوك « الرعامسة » فى عاصمـة الملك الثانية التى كان لهـا شأن عظيم فى تلك الفترة من تاريخ البلاد وبخاصة إذا علمنا أن ملوك هـذه الأسرة كانوا من أهل الدلتا كما فصلنا القول فى ذلك . وفى الحق قـد دلت الكشوف الأثرية على وجود تسعة عشر معبـدا أقيمت فى هذه المنطقة فعـلا غير أن تحديد مواقع كثير منها لا يعرف حتى الآن كما نوهنا عن ذلك . وقد كشف حديثا الأستاذ الدكتور أحمد بدوى مقترا لعجول«أبيس» فى كوم الفخرى (راجع A. S. XLII, p. 363).

مدينة « بر رعمسيس » : تحدثنا فى الجزء الرابع (ص ٧٦ — ٨٠) عن توحيد مدينة « تانيس » أو « قنتير » بمدينة « بر رعمسيس » على حسب ما أدلى به كل من الأستاذين « جاردنر » و « حمزة بك » من براهين تعزز نظريتـه ، غير أنه على ما يظهر قد أصبحت كفة توحيد « بر رعمسيس » « بقنتير » الحالية أرجح وإن كان الموضوع لا يزال معلقا كما قلنا ، وقد تناول الأسـتاذ « جاردنر » هـذا الموضوع حديثا (١) وسنورد ملخص ما قاله عن هذه المدينة ، وكذلك ملخص ما قاله

(١) راجع : Gardiner Onomastica II, p. 171, 199, 278 ff.

الأستاذ « حمزة بك » ليقف القارئ على ما وصل إليه هـذا الموضوع من البحث وإن كانت الكفة الراجحة كما قلنا أصبحت فى جانب الأستاذ « حمزة بك » .

(١) فيقول الأستاذ « جاردنر » : إن مدينة « بررعمسيس مرى آمون » التى تذكر كثيرا فى النقوش بوصفها مقر الحكم فى الدلتا فى عهد « رعمسيس الثانى» وأخلافه قـد وحدها بعض المؤرخين بمدينة « تانيس » ، ووحدها آخرون ببلدة « قنتير » التى تبعد عن « تانيس » نحو تسعة عشر كيلو مترا ، ومن «فاقوس» نحو تسعة كيلو مترات ، والفقرات الخاصة بهذه المدينة قد جمعها « جاردنر » (١) أولا وقال عنها فى بادئ الأمر : إنها تقع عند «الفرما» ، ولكنه فى مقال آخر (٢) حدّد موضعها فى « تانيس » على حسب ما وصلت إليه نتائج أعمال الحفر الأخيرة ، وبخاصة ما ذكره الأستاذ « مونتيه » (٣) أخيرا وهو ما جاء على قطعة حجر من معبد « تانيس » الكبير فيقـول : « آمون» صاحب « بررعمسيس مرى آمون » ذو الانتصارات العظيمة . وهـذا النعت يذكر كثيرا مع اسم « بررعمسيس » على الآثار المعاصرة لمؤسس المدينة ، وبالاختصار ذكر فى مقاله النهائى فى هذا الصدد أن بلدة «أواريس» (حت وعرت) عاصمة الهكسوس ، و « بررعمسيس » و « زعنى » (تانيس) هى أسماء لمدينة واحدة سميت بها على التوالى فى التاريخ ، وقد وافقه على ذلك الأستاذ « يونكر » وخالفه الأسـتاذ « ڤيل » فى توحيدها مع « أواريس » ، ويجد الأستاذ « جاردنر » عقبـة فى سبيل استنباطه توحيـد « تانيس » مع « بررعمسيس » إذ يقول : إن كلا من البلدين قد ذكر منفردا فى قائمـة أسماء « أمنؤبى » التى هى موضوع كتابه الجـديد ، فيقول : لا يمكن أن ننكر — على أية حال — أن ذكر البلدين « بررعمسيس » و « تانيس » كل على حدة فى البردية يعـد عقبة كأداء

(١) راجع : J. E. A. V, 127 ff; 179, 242 ff.

(٢) راجع : J. E. A. XIX, 122 ff.

(٣) راجع : Kemi IV, p. 199

فى توحيدهما ولكن — مع ذلك — لا يجب علينا أن نعتقد فى دقة ما جاء فى هذه الورقة من كل الوجوه ولهذا السبب — وحده — كان من المرغوب فيه أن تفحص بدقة أى رأى آخر، ولدينا الرأى الذى أبداه الأستاذ « حمزة » فى مقاله عن الحفائر التى قام بها فى بلدة « قنتير » وهى التى يقترح فيها أنها موقع « بر رعمسيس » نفسها.(١)

والآن نذكر ملخص ما جاء فى مقال الأستاذ «حمزة» أولا، ثم نورد اعتراض الأستاذ « جاردنر » عليه على الرغم من أنه اعترض على نفسه بوجود الاسمين كل منهما على حدة فى قائمة جغرافية مصرية قديمة، وهاك ملخص كلام الأستاذ «حمزة» :

إن الأدلة الأثرية تعضد الرأى القائل بأن « قنتير » كانت على ما يظن مقر الملك الشمالى للفراعنة منذ عهد « رعمسيس الثانى » حتى نهاية عصر « الرعامسة » وكانت مقر الحكومة فى الدلتا، والظاهر أن « سيتى الأول » كان أول من أقام فيها قصرا ليجعله مكانا لراحته بعد عودته من حروبه فى « آسيا »، ولما جاء عهد « رعمسيس الثانى » رأى أنه تسهيلا للقبض بيد من حديد على ممتلكاته فى « آسيا » وتخليص البلاد من غارات الساميين المتتالية أن يترك مقره فى « طيبة » ويجعله فى الدلتا على مقربة من « فلسطين » ليقمع أى ثورة فى مهدها، ولذلك يعد من الأمور الهامة فى حكم « رعمسيس الثانى » انتخاب موقع « قنتير » ليكون مقره الملكى فى الدلتا. والواقع أننا وجدنا فى الحقول والبيوت عوارض أبواب وعتب نقش عليها اسمه، هذا بالإضافة إلى مئات القراميد والزهريات المصنوعة من الخزف والأشكال التى كانت تؤلف جزءا هاما فى تزيين القصر وزخرفته، على أن وجود مئات القوالب من الفخار المطلى باسم « سيتى الأول » و « رعمسيس الثانى » و « مرنبتاح الأول » و « سيتى الثانى » و « رعمسيس الثالث » و « رعمسيس السابع » و « رعمسيس

(١) راجع : A. S., XXX, p. 31 ff.

العــاشر » لبرهان على أن هؤلاء الفراعنة كانوا يقطنون فى هــذا القصر الذى كان يحلى بمنتجات مصــنع خاص ، وذلك ليكونوا على اتصال بأملاكهم الأســيوية . وكما قلت من قبل — كان «سيتى الأول» هو مبتكر هذه السياسة الحكيمة المثمرة فى أول عهده لأنه وجد أن حدود بلاده الشرقية كانت مهددة بالساميين المغيرين الذين كان يطلق عليهم اسم « شاسو » ، وكذلك كان فى « قنتــير » معابد للإله « آمون » و « بتاح » و « ست » . وهذا فضلا عن محاريب لآلهة آخرين أقل أهمية ، كما يشاهد من قطع الجرانيت الضخمة التى لاتزال موجودة على سطح الأرض حتى الآن ، وقد كان « آمون رع » هو الإله الرئيسى للدينة بطبيعة الحال ، وقد وجد اسمه وألقابه على كثير من الأشياء التى عثر عليها فى هــذه البقعة ، وكانت الضرائب تجلب إلى « قنتير » حيث كانت الإدارات العامة للحكومة ، وكان الموظفون طبعا يبنون مساكنهم حول قصر الفرعون ، إذ وجدنا آثارا تحمل أسماء بعضهم مثل «ست حرخبشف » رئيس جيش « رعمسيس » و « بتــاح معى » رئيس كتبة المعبــد المسمى «بيت ملايين السنين لرعمسيس الثانى فى بيت رع» ، والوزير « خعى » الذى كان مكلفا بتنظيم الأعيــاد الثلاثينية فى جنوبى البــلاد وشماليها ، وبعض القوالب كان عليها اسم حامل المروحة على يمين الملك والكاتب الملكى والمشرف على بيت رب الأرضين ، كما نجد على غيرها الألقاب : حاجب الفرعون للعيد الثلاثينى الثــالث للفرعون « رعمسيس الثانى » والحاجب الملكى للعيد الثلاثينى الســادس للفرعون «رعمسيس الثانى» . ومن المحتمل أن القصور والمساكن قد خربت فى عهد الاضطرابات التى وقعت بين سقوط أسرة « الرعامسة » وقيام أسرة «تل بسطة» أما البقية الباقية فقد قضى عليها الأهلون الحاليون .

ومن المحتمل جدًا إذن أن «قنتير» و «بررعمسيس مرى آمون» مقر الرعامسة المعروف فى الدلتا موحدتان (وبعد ذلك يفند الأستاذ حمزة رأى الأستاذ «جاردنر» فى أن بلدة «بلوزيوم» هى موقع العاصمة «بررعمسيس» وهو نقد صائب وافق عليه

جاردنر)، ثم يستمرّ الأستاذ حمزة قائلا: وعلى ذلك تكون « قنتير » على أغلب الظنّ هى « بررعمسيس »، إذ فيها على ما يظهر اتخذ «رعمسيس» مقرّه الشمالى ولم يكن ذلك لأجل أن يكون آمنا من محاصرة الأسيويين له إذا قاموا بغزو البلاد المصرية فحسب ، بل لأجل أن يكون كذلك على اتصال بشئون البلاد والإشراف على كل أملاكه الشمالية (وقد ذكرنا أسبابا أخرى لاتخاذ «رعمسيس» العاصمة فى الشمال راجع ج ٤ ص ٧٣) .

وهكذا نعود إلى الفكرة الأولى التى ذكرها « ناڤيل » وهى التى يقول فيها : إن «رعمسيس» أقام عاصمته الجديدة فى مقاطعة العرب التى كانت عاصمتها «فكوسا» الاغريقية وهى « فاقوس » الحالية لا « صفط الحنا » كما زعم « ناڤيل » .

وتدل أعمال الحفر على أن آلهة « قنتير » وآلهة «بررعمسيس» موحدة وهم : « آمون » و « ست » و « بتاح » و « رع » ويحمل كثيرا من القوالب المصنوعة من الفخار المطلى التى عثر عليها فى «قنتير» اسم «رعمسيس الثانى» مصحوبا باللقب « بانتر » (أى الإله) وأخرى تحمل طغراء نفس الملك مصحوبا بالنعتين « شمس الأمراء » و « حاكم الحكام » .

ومثل هذه النقوش لا تبرهن على أن «رعمسيس» كان ملكا فقط فى «قنتير» بل كان يلقب — كذلك — بلقب « شمس الأمراء » و «حاكم الحكام» ،وفى ورقة «أنسطاس» الخامسة نجد فقرات هامة عن « بررعمسيس » ذكر فيها « رعمسيس الثانى» أنه إله فى المدينة ووزير ويلقب «شمس الأمراء» : "لقد بنى جلالته لنفسه قلعة اسمها عظيمة الانتصارات .... «رعمسيس مرى آمون» فيها بمثابة إله .... والوزير شمس الأمراء" وهذه الحقائق تحمل على الظنّ بتوحيد « قنتير » مع « بررعمسيس » .

وكذلك « الاستراكا » الهيراطيقية التى عثر عليها فى « قنتير » ، وعليها اسم « بررعمسيس » تشير إلى إمكان وجود دنّ للنبيذ فيه أوان مخزونة لا لاستعمال المقر الملكى فحسب بل كذلك لتموين الوجه القبلى بما يلزمه من النبيذ للمعابد ؛ وهذا

النبيذ على ما يظهر كان فى حيازة موظف بالجيش يدعى « وسر ماعت نخت » كما تدل على ذلك النقوش الهيراطيقية ، وأخيرا لدينا نقطة أخرى لا بدّ من ذكرها مع التحفظ الشديد حتى يفصل فيها بنتائج حفائر جديدة. فقد فسر لنا الأستاذ «جاردنر» بوضوح أن «ست» أو «ستخ» وهو أحد أعلام آلهة «بررعمسيس» كان كذلك الإله الرئيسى لبلدة « أواريس » عاصمة الهكسوس الحصينة . ولما كان اسم الإله « ست » يركب تركيبا مزجيا مع بعض ملوك الأسرة التاسعة عشرة مثل « سيتى » و «ستنخت» ، وأنه كذلك من المحتمل كان يعبد فى عهد «رعمسيس الثانى» وأخلافه فى عهدى الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين ، فان ذلك يجعل « بررعمسيس » و « أواريس » مدينة موحدة ولكن إذا كانت « قنتير » هى « بررعمسيس » فإنه لا بدّ من البحث عن « أواريس » فى مكان آخر بالقرب من « قنتير » الخ . وقد وافق الأستاذ « حمزة » فى رأيه الأستاذ الأثرى « هايس »[1] . ووحد « قنتير» بمدينة « بررعمسيس » وكذلك عضد « هايس » فى رأيه الأستاذ «نيوبرى»[2] ، ويحتج «جاردنر» بأنه لم يعثر إلى الآن على معابد فى «قنتير» كما لم يكشف للآن عن قصر فى هذه البقعة ، وإن كان قد ذكر اسم قصر على جعران وهو : «قصر رعمسيس محبوب آمون المحبوب مثل آتوم » فى غربى ماء — «إتى»[3] ، غير أن ذلك فيه شك ، إذ يحتمل أن كلمة «إتى» هى اسم فرع للنيل ، ثم يقول : وعلى أية حال لا بدّ أن يبقى حكمى النهائى معلقا فى هذا الموضوع . وأخيرا نجد برهانا آخر يعضد رأى الأستاذ حمزة بك ويقضى نهائيا على نظرية «جاردنر» القائلة : إن « تانيس » كانت فى عهد « رعمسيس الثانى » تدعى « بررعمسيس » ، وذلك أنه عثر على خنجر ملك الأستاذ « جردز لوف » جاء عليه : ” ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « وسر ماعت رع ستبن رع » محبوب « حورس » رب « زعنت » (تانيس) “ .

(١) راجع : W. C. Hayes, Papers of the Metropolitan Museum of New York No 3 (1937).

(٢) راجع : J. E. A., XXV

(٣) راجع : Gardiner, Onomastica II, p. 174; J. E. A., V, p. 131

ولذلك يقول « جاردنر » : إذا كان هذا الخنجر من عهد « رعمسيس الثانى؟ فإن كل نظريته عن أن « بررعمسيس » هى « تانيس » . تنهار من أساسها ، ولكنه يشك فى أن هذا الخنجر من عصر هذا الفرعون (١) . وهكذا يظهر من كل ماسبق أن رأى الأستاذ « حمزة » — على الرغم من عدم اتساع الحفائر التى قام بها فى منطقة « قنتير » — أكثر احتمالا من رأى الأستاذ « جاردنر » على الأقل لأمرين هامين ، وهما : أولا أن المصرى نفسه عندما كتب عن جغرافية مصر فى قائمة أسماء « أمنئوبى » قد فرّق بين البلدين ، وثانيا ما جاء على الخنجر من نقوش تثبت وجود اسم « تانيس » فى عهد « رعمسيس » الثانى . ويغلب على الظن أن « تانيس » كانت العاصمة الدينية للوجه البحرى ، وبخاصة لأنها كانت مركز عبادة الإله « ست » الذى تنسب إليه الأسرة الحاكمة كما كانت « بررعمسيس » هى العاصمة السياسية ، على أن ذلك لا يمنع من أن « طيبة » كانت لا تزال حافظة لمركزها الدينى لأنها مقر « آمون » ، وكما قلنا فى الجزء الرابع من هـذا الكتاب كان فراعنة الأسرة التاسعة عشرة يريدون الابتعاد عن نفوذ كهنتها الذين كانوا قـد تسلطوا تسلطا عظيما على كثير من مرافق البـلاد (راجع الجزء الرابع ص ٧٣) ؛ وقد وصل إلينا خطاب نموذجى من الخطابات التى كانت تعـلم فى المدارس فى تلك الفترة كتبه معلم يدعى « أمنئوبى » لتلميذه « بيبيس » وهذه الرسالة تصف لنا عظمة هذه المدينة ورغد العيش الذى كان يتمتع به أهلها ، وسنوردها فيما بعد هذا وقد ذكرت هذه المدينة فى لوحة بركات الإله « بتاح » .

وتدل شواهد الأحوال على أن هذه المدينة كان قد بدئ العمل فيها فى العهد الذى اشترك فيـه « رعمسيس » مع والده فى الحكم ، بل يحتمل أن « رعمسيس » قد اتخذها مركزا له ولمـا توفى والده وانفرد بالحكم نقل الحكومة إليها .

---

(١) راجع : Gardiner, Onomastica II, p. 279

أعياد «رعمسيس الثانى» الثلاثينية ومسلاته : لقد ظلت الآراء متضاربة عند علماء الآثار عن العيد « سد » الذى كان يحتفل به المصريون القدماء إلى أن كشف الدكتور « أحمد فخرى » عن مقبرة « خيروف » كشفا شاملا بعد أن كان لا يعرف عن نقوشها إلا الشىء القليل . ومن ثم بدأنا نعلم حقائق هامة عن هـذا العيد (راجع جـ ٥ ص٨٨) غير أن تحديد المدّة التى كان يعقد فيها لا يزال غامضا بعض الشىء، ومن نقوش حجر رشيد نفهم أنه كان يعقد كل ثلاثين سنة، ويؤكد هـذا الزعم أن الاحتفال به يؤرّخ بالسنة الثلاثين أو الحادية والثلاثين من حكم الفرعون الحاكم فى أثناء الاحتفال به، وهذا العيد يمكن تكراره بعد فترات قصيرة من الاحتفال به للمرة الأولى فى نفس حكم الملك، ولدينا أمثلة على ذلك فقد احتفل به قبل السنة الثلاثين إذ حدث أن أقيم فى السنة الخامسة عشرة والثالثة والعشرين وغير ذلك . وقد اقترح الأستاذ « زيتـه » أن مدّة الثلاثين عاما كانت تحسب من يوم إعلان ملك المستقبل ولى عهد للبلاد[(١)] .

وظنّ الأستاذ « شبيجلبرج » أن معنى كلمة عيـد « سـد » هو الاحتفال بالاستيلاء على ذيل ابن آوى، وهو رمز للملكية فى هذه المناسبة[(٢)] .

وردّا على الأستاذ «زيته» قال «إدوردمير» : إن «تحتمس الرابع» قد احتفل بعيد « سـد » مرتين مع أنه لم يعش أكثر من خمسة وعشرين عاما[(٣)] ولكن رأى « إدوردمير » عن عمر « تحتمس الرابع » فيه شك كبير (راجع جـ ٥ ص ٥١) ، وعلى أية حال نجـد « رعمسيس الثانى » يحتفل بعيده « سـد » أو العيد الثلاثينى ثلاث عشرة مرة على أقل تقدير .

(١) راجع : Sethe, A. Z., XXVI (1898) p. 64

(٢) راجع : Orientalistische. Literaturzeitung Band IV Col. 9

(٣) راجع : Ed. Meyer. Gesch II, I p. 139

والواقع أن هذا العيد على ما يظهر قد فقد الكثير من مراسيمه الأصلية كما فقد معناه، إذ كان على حسب ما جاء فى مقبرة « خيروف » شمسى الصبغة فى الأصل، ثم صبغ بالصبغة الأوزيرية، ثم جمع بينهما معاً، وقد كان من بين مظاهره الشمسية إقامة المسلات احتفالا به ، لأن المسلة كانت تعد أبرز رمز للإله « رع » (راجع جـ ٥ ص ٨٨ الخ) ؛ ومما يلفت النظر فى أعياد « سد » التى احتفل بها الفرعون « رعمسيس الثانى » أنه لم يدوّن على مسلاته الاحتفال بهذا العيد إلا نادراً ، ففى « تانيس » أقام هذا الفرعون حوالى اثنتين وعشرين مسلة لم يزل باقياً منها ثمانى عشرة فى حالة لا بأس بها، ومع ذلك لم نجده يذكر هذا العيد إلا على واحدة منها (١) .

والواقع أن هذه المسلات لم ينقش عليها حتى الاهداء التقليدى الذى نراه على المسلات الأخرى التى أقامها الفراعنة أمثال «تحتمس الثالث» والمسلتان الوحيدتان اللتان نقش عليهما إهداء من بين المسلات التى أقامها كلها على ما نعلم هما اللتان أقيمتا فى معبد الأقصر (٢) . وهاك النص فاستمع لما جاء فيه :

" لقد أقامها بمثابة أثر له لوالده « آمون رع » فنصب له مسلتين عظيمتين من الجرانيت "

والثانية قائمة الآن فى « باريس » وجاء عليها : "لقد أقامها «رعمسيس الثانى» بمثابة أثر له لوالده «آمون رع» فنصب له مسلة عظيمة تسمى «رعمسيس مرى آمون» ومحبوب «آتون» . " ولم نجد النقش المعتاد الذى كنا نجده على مسلات ملوك الأسرة الثامنة عشرة إلا على المسلة التى تركها « سيتى الأول » فى « هليو بوليس » بلا نقش، وقد قام بكتابة متنها « رعمسيس الثانى » ، غير أنه كان فى هذه المرة كريماً على غير عادته ، إذ خصص ثلاثة من أوجه المسلة لنقوش والده ، واكتفى هو بنقش واحد خلد عليه ذكراه، (راجع ص ١٢٥)، ويوجد خارج القطر من مسلات « رعمسيس » غير التى

---

(١) راجع : Les Obelisques de Ramses II, Kemi V (1936) pl. XXIII

(٢) راجع : Sharpe Egyptian Inscreptios II, 60

فى « باريس » أربع، واحدة منها الآن فى « رومة » ،وواحدة فى « فلورنس » ، وقد أقام « رعمسيس » مسلتين فى الكرنك (١) .

وفى « برلين » يوجد جعران نقش عليه متن يدل على الاحتفال بإقامة مسلات (٢)، وكذلك قطع من محاجر « الفنتين » : مسلتان يحتمل أن الذى أمر بهما « رعمسيس الثانى » وقد احتفل الموظف المختص بذلك بذكرى إقامتهما فى نقش على صخور جزيرة « سهيل » جاء فيه: "سمير الملك الحقيق، ومحبوبه الذى أدار العمل فى المسلتين العظيمتين الكاهن الأعظم للإله « خنوم » والإلهتين « عنقت » و«ساتت » « أمنحتب » (٣).

والظاهر كما قلنا أن المسلة بعد أن كانت رمزا شمسيا محضا قد أصبحت بالتدريج مجرد أثر عادى الصبغة يقام لتخليد ذكرى الفرعون ومفاخره، ولا أدل على ذلك مما نقرؤه على نقوش مسلات « رعمسيس الثانى » التى أقامها فى « تانيس » ، إذ كل ما عليها من نقوش تمجد شجاعة الفرعون وقهره للأعداء، ونسبته للالهة، أما أهميتها فى أنها تذكار للعيد الثلاثينى فقد تلاشت تقريبا ، ولا أدل على ذلك من أن النقوش التذكارية التى تشيد بذكرى الاحتفال بالأعياد الثلاثينية الملكية توجد فى الوجه القبلى من «الكاب» حتى «فيلة» منقوشة على الصخور كأن الأمر وقتئذ كان يحتاج إلى تسجيل هذه الأعياد على آثار أخرى غير المسلات ، وهذا ما نشاهده فى موضوع أعياد «رعمسيس الثانى» الثلاثينية التى احتفل بها مدّة حياته، وهى أكثر من أعياد أى ملك آخر حكم مصر، ولا غرابة فى ذلك فقد كان حكمه أطول حكم فى الدولة الحديثة كما أنه كان أعظم ملك أغرم بحب إقامة الآثار التذكارية فى طول البلاد وعرضها ، إذ الواقع أنه احتفل بهذا العيد على حسب ماوصل إلينا حتى الآن أكثر من ثلاث عشرة مرة وهاهى ذى (٤) :

---

(١) راجع : L. D. III, 148 a

(٢) راجع : Ausfuhrliches Verzeichnis des Berliner Museum 40

(٣) راجع : Mariette, Mon. Div. V, 70 No. 17 = L. D. Text. IV, 125 (b).

(٤) راجع : L. D. III, 175; Brugsch. Thesaurus V, 1127; Champ. Notices I, 252.

التاريخ :

(١) فى « جبل سلسلة » : " السنة الثلاثون ، أوّل عيد ثلاثينى ملكى لرب الأرضين « وسرماعت رع » معطى الحياة مخلدا ، وقد أمر جلالته بالاحتفال بالعيد الثلاثينى فى كل البلاد " ، ويشاهد فى أعلى هذا النقش صورة ابن الملك « خعمواست » ، مرتديا ملابس الكاهن الأعظم ، ونقش معه " ابن الملك الكاهن « سم خعمواست » المنتصر "

(٢) وعلى صخور جزيرة «بجة»(١) نجد النقش التالى :

" السنة الثلاثون ، العيد الأوّل الملكى الثلاثينى . السنة الرابعة والثلاثون ، إعادة العيد الملكى الثلاثينى ، السنة السابعة والثلاثون ، العيد الملكى الثالث الثلاثينى لرب الأرضين « وسرماعت رع ستبن رع » رب التيجان « رعمسيس مرى آمون » معطى الحياة مخلدا " .

وقد كلف جلالته الكاهن « سم » (أى الكاهن الأكبر لمنف) ابن الملك « خعمواست » ليقيم الأعياد الملكية فى كل البلاد .

وعلى صخور جزيرة « سهيل » نجد نقشا جاء فيه :

" السنة الثالثة والثلاثون ، إعادة العيد الملكى الثلاثينى لرب الأرضين « رعمسيس الثانى »(٢) " .

(٣) النقش الثانى الذى على صخور « السلسلة » : يوجد على يمين المدخل لمعبد « حورمحب » العظيم الذى نحته فى صخور «السلسلة» نقش من عهد «رعمسيس الثانى» يشاهد فى أعلى النقش «رعمسيس الثانى» وابنه «خعمواست» يتعبدان للإله « بتاح » والإله « سبك » رب جبل «سلسلة» وهاك نص المتن :

السنة الثلاثون : أوّل عيد ثلاثينى ملكى .

السنة الرابعة والثلاثون : إعادة العيد الملكى الثلاثينى .

السنة السابعة والثلاثون : العيد الثالث الملكى الثلاثينى .

السنة الأربعون : العيد الرابع الملكى الثلاثينى .

---

(١) راجع : Champ. Notices I, 162; Sharpe Egyptian Inscriptions II, 58; L. D. texte IV, 175, Brugsch Recueil II 83, 3.

(٢) راجع : Brugsch Thesaurus V, p. 1128.

فى عهد رب الأرضين «وسر ماعت رع» رب التيجان «رعمسيس مرى آمون» معطى الحياة مخلدا .

وقد أمر جلالته بتكليف الكاهن «سم» (كاهن منف الأعظم) ابن الملك «خعمواست» ليحتفل بالعيد الملكى الثلاثينى فى كل الأرض فى الشمال وفى الجنوب[1]" .

(٤) نقش «جبل السلسلة» الثالث : يوجد كذلك على شمال مدخل معبد «حور محب» فى جبل السلسلة نقش من عهد «رعمسيس الثانى»[2] .

ويشاهد فوق المتن منظر ممثل فيه «رعمسيس» وابنه «خعمواست» يتعبدان أمام الإلهين «بتاح تاتنن» و «آمون رع» ملك الآلهة ، وهذا المتن صورة من المتن السالف غير أنه يحتوى على غلطة إذ يسمى عيد السنة السابعة والثلاثين العيد الرابع .

(٥) نقش «جبل السلسلة» الرابع : هذا النقش مدوّن على لوحة كبيرة تقع على يمين باب معبد «حور محب» المنحوت فى الصخر فى «جبل السلسلة»[3] ويشاهد فوق المتن قبل التواريخ الوزير «خعى» راكعا ، وفوقه نشاهد «رعمسيس الثانى» أمام الآلهة «آمون رع» و «حور اختى» و «ماعت» و «رع سبك» إله السلسلة وهاك المتن :

" السنة الثلاثون ، أوّل عيد ملكى ثلاثينى .

السنة الرابعة والثلاثون ، تجديد العيد الملكى الثلاثينى .

السنة السابعة والثلاثون وهو العيد الملكى الثالث الثلاثينى" ولكن يقول الأستاذ حمزة : إن العيد الثالث والسادس قد احتفل بهما فى «قنتير» عاصمة «رعمسيس» على حسب رأيه هو (راجع A. S. XXX, p. 50) . ويعاضده فى ذلك الأستاذ هايس[4] .

"السنة الأربعون ، العيد الرابع الملكى الثلاثينى . فى عهد جلالة رب الأرضين «وسر ماعت رع» رب التيجان : «رعمسيس مرى آمون» معطى الحياة مثل رع مخلدا .

---

(١) راجع : Champ. Monuments. p. 116

(٢) راجع : Champ. Ibid. p. 115

(٣) راجع : Champ. Ibid. 118; Brugsch Recueil des Mon. II, 83

(٤) راجع : Onomastica II, p. 173

لقد أمر جلالته بتكليف الأمير الوراثى ، والكاهن محبوب الإله ونائب « نخن » وكاهن « ماعت » وقاضى القضاة ، والقاضى وعمدة العاصمة ، والوزير « خعى » المظفر أن يحتفل بالأعياد الملكية الثلاثينية فى كل الأرض جنوبيها وشماليها " .

(٦) نقش جزيرة « سهيل » : وكذلك أمر « رعمسيس الثانى » بحفر نقش على صخور جزيرة « سهيل » عند الشلال الأول (١) وهو :

" السنة الأربعون . لقد أتى ابن الملك الكاهن الأول للإله « بتاح » مرضيا قلب رب الارض « خعمواست » لإحياء العيد الملكى الثلاثينى (الرابع) فى كل الأرضين جنوبيها وشماليها " .

(٧) نقش مدينة « الكاب » : هـذا النقش — على حسب ما جاء فى « لبسيوس » — نحت فى معبد « أمنحتب الثالث (٢) » وقد مثل فى أعلى اللوحة « خعمواست » بن « رعمسيس الثانى » فى صورة « أوزير » وهاك النص :

" السنة الأربعون . لقد حضر ابن الملك الكاهن الأول للإله « بتاح » إرضاء لقلب رب الأرضين « خعمواست » لإحياء العيد الملكى الخامس الثلاثينى فى كل الأرض " .

(٨) نقش جبل « السلسلة » الخامس : " « السنة الثانية والأربعون ، الشهر الأول من الفصل الثانى ، اليوم الأول من عهد الملك « رعمسيس الثانى » معطى الحياة مخلدا وسرمديا ، لقد أمر جلالته بأن يكلف الوزير « خعى » بالاحتفال بالعيد الملكى الخامس للملك « رعمسيس الثانى » فى كل الأرض " .

(٩) نقش جبل « السلسلة » السادس : هذا النقش نحت على لوحة على يمين مدخل المعبد الذى نحته « حور محب » فى جبل « السلسلة » وفوق المتن نشاهد « رعمسيس الثـانى » تصحبه الإلهة « ماعت » أمام الآلهة « آمون » و « موت » و « خنسو » و « حوراختى » و « سبك » إله السلسلة . ونشاهد تحت المتن الوزير « خعى » راكعا وأمامه متن للعبادة ، ونص المتن الخاص بالعيد هو :

" السنة الرابعة والأربعون (وفى متن شامبليون السنة الخامسة والأربعون) الشهر الأول من الفصل الثانى ، اليوم الأول من الشهر فى عهد جلالة الملك رب الأرضين « وسر ماعت رع ستبن رع » معطى الحياة

(١) راجع : Mariette Monuments Divers 71 No. 33

(٢) راجع : L. D., III, 174 d.

مخلدا ... ... ابن « رع » رب التيجان « رعمسيس مرى آمون » معطى الحياة مثل « رع » مخلدا ، لقد أمر جلالته بتكليف الأمير الوراث والكاهن محبوب الإله رئيس العدالة والقاضي وعمدة المدينة الوزير « خعى » المظفر ليحتفل بالعيد السادس الملكى الثلاثينى فى كل البلاد جنوبيها وشماليها " .

(١٠) وفى معبد « أرمنت » كشف حديثا عن بعض نقوش على بوابة المعبد عنـد المدخل من الجهة الشرقية للباب تحدثنا عن أعياد ثلاثينية احتفل بها هـذا الفرعون فى هذا المعبد وهى (١) :

" السنة الرابعة والخمسون ، الشهر الأول من فصل الشتاء فى عهد جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « وسر ماعت رع » ابن الشمس « رعمسيس الثانى » محبوب « آمون » معطى الحياة ، أمر جلالته بتكليف الكاتب الملكى والمدير العظيم لمعبد « الرمسيوم » فى ضياع « آمون » المسمى « إيوبا » لإعلان العيد التاسع الثلاثينى للملك « وسر ماعت رع » ... ... كما كلف الوزير « نفررنبت » بالاحتفـال بهذا العيد فى السنة السابعة والخمسين ، وكذلك السنة الستين كما سيأتى بعد " .

وقد وجدت على جدران هذه البوّابة سنين أخرى تنبئ بالاحتفال بهـذا العيد فى نفس الشهر واليوم فى السنين الحادية والخمسين ، والثالثة والستين ، والخامسة والستين أو السادسة والستين . والتاريخ الأول يدعو إلى الغرابة والحيرة فى تسلسل هـذه الأعياد ، غير أنه من الجائز أن يكون تاريخ عيد سابق ، وعلى ذلك يكون إما العيد السابع أو الثامن ، أما التـاريخ الثانى والثالث فيكونان للعيدين الثانى عشر والثالث عشر ، وعلى أية حال فإن هـذه النقوش من الأهمية بمكان ، لأننا كنا لا نعرف — حتى كشفها على حسب ماجمعه « برستد » — إلا سبعة أعيـاد ثلاثينية « لرعمسيس الثـانى » . أما الآن فتحدثنا النقوش عن نحـو ثلاثة عشر أو أربعة عشر عيـدا كان يحتفل بهـا بعد مضى بضع سـنين فى نهاية حكم « رعمسيس » الطويل الذى أربى على سبع وستين سنة (٢) .

ويلاحظ أن المكلف بإعلان هذا العيد فى هذه النقوش كان فى الحالة الأولى أحد الأشراف العظام فى البلاط . وقد كان يحمل لقب كاهن من أصحاب المكانة ،

(١) راجع : Temples of Armant (Text) pl. 163

(٢) راجع : Ibid p. 163

وفى الحالة الأخرى كلف بإقامته دفعتين وزيره العظيم « نفررنبت »، ويلحظ أن نفس الكلمات التى استعملت فى هـذه المتون هى نفس الكلمات التى استعملت فى العيد الخامس فى نقوش « جبل السلسلة »، وقد استعمل الأستاذ « برستد » كلمة « سر » بمعـنى يحفل، ولكنها تعنى إعلان العيـد القادم بواسطة حاجب، ونرى فى نقوش « جبل السلسلة » أن الذى كان مكلفا بإقامة هذا العيد هو ابنه « خعمواست » ومن بعده الوزير « خعى »، وقد كان الموظفون أصحاب الرتب العالية يشتركون فى إقامة هذا العيد كما نعلم فى نقوش « بوصير » و « تل بسطة »، وكما شاهدنا فى العيد الثلاثينى الذى أقيم فى عهد «أمنحتب الثالث» (راجع جـ ٥ ص ٨٨) .

ومن كل هـذه النقوش نفهم أن هـذه الأعياد لم يتبـع فى تدوين متونها تلك الأبهة والفخامة التى كانت تسـير على نهجها ملوك الأسرة الثامنة عشرة عندما كانوا يقيمون لهـا المسلات الضخمة تكريمـا لهذا العيد، بل على مايظهر نجد أن « رعمسيس الثانى » قد اكتفى بحفر نقوشها على صخور بلاد النوبة وبعض المعابد، ويحتمل أنه قد فعل ذلك وبالغ فى تكرارها، لأن العاصمة كانت فى الوجه البحرى، وأنه كان يريد أن يذكر سكان مملكته النائين — بعظمته وفخاره وإن كان الاحتفال نفسه يقام فى العواصم السياسية والدينية . ومما يلفت النظر فى كل هذه النقوش أن الفرعون لم يكلف بها ابن الملك حاكم بلاد النوبة، بل كان يكلف بنقشها إما بكر أولاده الذى كان سيخلفه على العرش أو وزيره الأكبر بوجه عام، ولذلك فإنه من المهم جدا إذا أتيحت لنا الفرصة أن نعلم لمـاذا كان هؤلاء الأشخاص بالذات يكلفون القيام بهـذه المهمة، وكذلك نعـلم العلاقة الخاصة لبـلدة « أرمنت » بهذا الحفل .

---

(١) راجع : Naville, The Fesiival Hall of Osorkon II E. E. S. Tenth Memoire, London (1892) pl. II, & p. 11.

الآثار والمبانى الصغيرة الأخرى التى خلفها «رعمسيس» فى أنحاء القطر

كانت آثار « رعمسيس الثانى » منتشرة فى أنحاء القطر لدرجة تفوق حدّ المألوف حتى أنه لا تكاد توجد بقعة أثرية إلا له فيها أثر . وقد ذكرنا أهمها من الوجهة التاريخية أولا، وسنذكر هنا بعض آثاره الهامة المبعثرة فى أنحاء القطر متوخين فى ذلك الاقتصاد بقدر المستطاع إذ أن تعدادها كلها يخطئه الحصر .

(١) «سرابة الخادم» (فى سينا) : كان من الطبعى أن نجد لهذا الفرعون الذى اشتهر بعظم مبانيه آثارا فى تلك الجهات التى اشتهرت بما فيها من أحجار ومعادن، والنقوش التى وجدت هناك كلها تذكارية نقشها رؤساء البعوث تخليدا لوفودهم على هذه البلاد النائية لاستخراج الأحجار منها ، والواقع أنه قد وجد لهذا الفرعون لوحات مؤرخة بالسنة الثانية من حكمه، أى عندما كان نشاطه عظيما فى إقامة المعابد فى طول البلاد وعرضها . وفى أعلى إحدى هذه يشاهد «رعمسيس» يقدّم إناءين من الخمر لإله برأس صقر (حور) ، وفى أسفل المنظر النقش التالى : "السنة الثانية ، يعيش «حور» الثور القوى، محبوب الإلهين، حامى مصر وهازم البلاد الأجنبية «حور الذهبى» الكثير السنين عظيم الانتصارات، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى، حاكم الأقواس التسعة ، مختار «رع» فى سفينته، رب الأرضين ... الحاكم القوى، رئيس كل البلاد الأجنبية مثل والده « آمون رع» ملك الآلهة ، ورب السماء «وسر ماعت رع ستبن رع » ابن الشمس، رب التيجان «رعمسيس» ، محبوب «آمون» ، محبوب « حتحور » سيدة الفيروزج وسيدة السماء ، وربة الأرضين" . ونشاهد أسفل هذا موظفين من رؤساء رماة جلالته ، وهما يتعبدان لطغراء «رعمسيس الثانى»(١) . وكذلك وجدت لوحة أخرى فى نفس المكان رسم عليها « رعمسيس الثانى » وملكة يتعبدان للإله « حتحور »(٢) .

(١) راجع : Gardiner & Peet Sinai pl. LXX, No. 256

(٢) راجع : Ibid. pl. LXIX No. 254

(٢) وفى «سرابة الخادم» كذلك وجد له قطعة من الحجر منقوشة، وقد ظهر عليها موظف يدعى « عشو حب سد » يحمل مروحة وشرائط ، يتعبد للملك « رعمسيس الثانى » (١) .

(٣) قطعة أخرى من الحجر صور عليها « رعمسيس الثانى » وملكة تقدم قربانا لإله ، وقد جاء فى هذا النقش اسم الوزير « باسر » (٢) .

(٤) ونجد كذلك نقوشا للملك « رعمسيس الثانى » على عمد معبد « سرابة الخادم » وعلى جزء من عتب « باب » (٣) وكذلك على عارضة « باب » (٤) .

(٥) ووجدت له لوحة مهشمة رسم عليها الفرعون يتبعه ابنه «مرى آمون»، وكذلك نجد عليها اسم رئيسى الرماة « امنمأبت » و « عشو حب سد » (٥) .

(٦) لوحة مهشمة أهداها رئيس الرماة « عشو حب سد » وقد نقش عليها طغراءا « سيتى الأول » و «رعمسيس الثانى»؛ ويحمل « رعمسيس الثانى » فى هذه اللوحة لقب « وسر ماعت رع » ولكنه يدعى ابن الملك (٦) . وهذا دليل آخر يعزز الرأى القائل بأن « رعمسيس الثانى » كان مشتركا مع والده فى الملك كما سلف .

(٧) قطعة من تمثال نقش على جانبها الأيسر صورة بنت « عنتا » ابنة الفرعون « رعمسيس الثانى» وتلقب هنا «بنت الملك والزوجة الملكية العظيمة » (٧) .

---

(١) راجع : Ibid. pl. LXX, No. 253

(٢) راجع : Ibid. pl. LXX No. 255

(٣) راجع : Ibid. pl. LXXI; 258 & pl. LXIX, No. 257

(٤) راجع : Ibid. pl. LXIX, 257

(٥) راجع : Ibid. pl. LXXI, No. 260

(٦) راجع : Ibid. pl. LXVIII, No. 250

(٧) راجع : Ibid. pl. LXXII, No. 263

(٨) قطـع من تمثال للملك « رعمسيس الثانى » والإله « حتحور » وكذلك قاعدة تمثال آخر[1] .

(٩) وقد أقام « ست حتب » لوحة هناك فى السنة الخامسة من عهد هذا الفرعون كما أقام « ست نخت » لوحة أخرى مؤرخة بالسنة السادسة فى « سرابة الخادم »، ولا بد أنهما كانا قد أرسلا من قبل هذا الفرعون لقطع الأحجار (راجع فى Petrie Hist. III, p. 102) .

(١٠) وتوجد له كذلك لوحة مؤرخة بالسنة الخامسة وأخرى بالسنة الثامنة[2] .

ومن هـذه النقوش نعـلم أن « رعمسيس الثانى » كان صاحب نشاط لاستخراج الأحجار الثمينة وغيرها من الأحجار الضخمة لمبانيه العظيمة فى أوّل حكمه .

« أبو قـير » : يوجد فى « متحف الإسكندرية » بعض آثار للفـرعون « رعمسيس الثانى » جىء بها من « أبو قير » وهى :

(١) تمثال ضخم من الجرانيت الأحمر عثر عليه «دانيوس باشا» فى «أبو قير»[3] نحت على جانبه الأيسر صورة ابنته وزوجته المسماة « حنت مرى رع »[4] .

(٢) وعثر له على تمثال «بولهول» من الحجر الرملى مغتصب كما تظهر ذلك النقوش .

(٣) وعلى قطعة حجـر من جدار يظهر « رعمسيس الثانى » بوصـفه الإله « تاتنن » (؟)[5]

(٤) وكذلك عثر له على تمثال أهداه للإله « آمون رع » ملك الآلهة[5] .

(٥) وفى نفس المتحف نجد قمة هرم من الحجر الرملى نقش عليها اسمه[6] .

---

(١) راجع : Ibid. LXXII, No. 263 & No. 264

(٢) راجع : Weil Recueil Inscription Sinai 126 - 9

(٣) راجع : A. S. V, p. 114 - 115

(٤) راجع : Ibid. p. 116

(٥) راجع : Ibid. p. 121

(٦) راجع : L. D. Texte I, 3.

الاسكندرية

(١) ووجد له فى « الإسكندرية » تمثال من الجرانيت على الميناء شمالى الجمرك[١] .

(٢) تمثال من الجرانيت الأسود وجد للإلهة « سخمت » كتب عليه اسم « رعمسيس الثانى » ويحتمل أنه من معبد « آمون » « بالكرنك »[٢] .

(٣) تمثال من الجرانيت الأحمر بدون رأس باسم « رعمسيس الثانى »[٣] فى متحف « الإسكندرية » .

(٤) وقد كتب « رعمسيس الثانى » اسمه على مسلتى « تحتمس الثالث » التى نقلت إلى « الإسكندرية » وهما المعروفتان بمسلتى «كليوباترا» (راجع ج ٤ ص ٤٦٢) .

(٥) وفى «سيزار يوم» عثر على قطعة من محراب عليها اسم «رعمسيس الثانى»[٤] .

« القنطرة » : وفى «تل أبو صيفة» وجدت قطعة حجر من قاعدة مهداة من « رعمسيس الثانى » للإله « حور — مين »[٥] .

« تل الفراعين » : عثر على جزء من تمثال من الجرانيت للإلهة «بوتو» (وازيت) أهداه لها الفرعون « رعمسيس الثانى » ويحتمل أنه كان فى محراب[٦] .

« شديا » (؟) : وفى « شديا » عثر على قطعة حجر عليها اسمه[٧] .

---

(١) راجع : L. D. III, 142 ac.

(٢) راجع : Daressy Statues de Divinités Cat. Cairo pl. II, p. 266

(٣) راجع : Briccia Alexandrea. ad Aegyptum (1922) p. 152.

(٤) راجع : Porter & Moss IV, p. 5.

(٥) راجع : Petrie, Nebesheh in Tanis pl. 1 i.

(٦) راجع : Ibid pl. X,7.

(٧) راجع : Murry Guide to Egypt. p. 146.

« كوم الأبقعين » : وفى بلدة « الأبقعين » الواقعة فى مديرية البحيرة مركز «أبو المطامير» عثر على قطعة الحجر الجيرى من باب لمبنى مخزب مكتوب عليها اسم «رعمسيس» (١) ويظهر أنها كانت جزءا من باب .

« كوم الحصن » : وفى «كوم الحصن» وجد لهذا الفرعون تمثالان من الجرانيت الأحمر ، و يحتمل أنهما فى الأصل لملك من الدولة الوسطى واغتصبهما لنفسه « رعمسيس الثانى » كما وجدت مجاميع تماثيل وتماثيل منفردة فى هذا المكان (٢) .

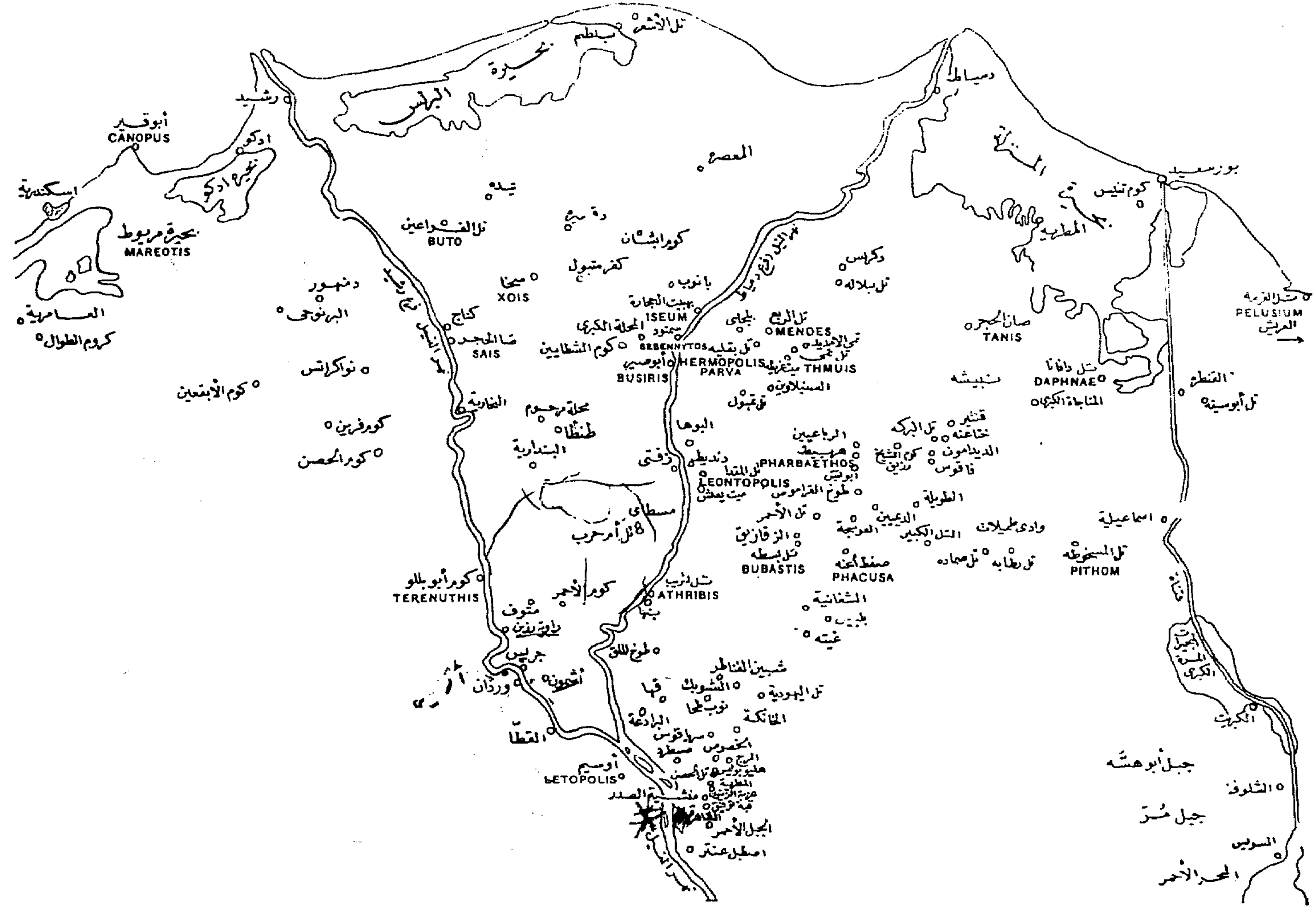
وقد وجد له هذا العام فى الحفائر التى يقوم بها الأستاذ « حمادة » الجزء الأسفل من تمثال مزدوج هو والإلهة « حتحور » واقفين (تقرير مصلحة الآثار) .

« قنتير » : عثر فيها على آثار عدّة « لرعمسيس الثانى » (راجع ما كتب عن « بررعمسيس » ص ٣٨٣) ، و يتحدّث الأستاذ « مونتيه » عن « قنتير » فيقول (٣) : على مسافة قريبة من « الختاعنة » تقع قرية « قنتير » الجميلة ، تلفها خمائل النخيل الباسقة ، وتشمل عوارض أبواب وقطعا من لوحات ، وقد عملت فيها حفائر منذ عشرة أعوام كان لها ثمرة مجدية . فمنها قطع خزف من عهد « سيتى الأوّل » و « رعمسيس الثانى » ، وكذلك وجد فيها عدد عظيم من « الاستراكا » المنقوشة بالخط الهيراطيقى من نفس العصر . وخلافا لذلك لوحظ على بعض الأوانى التى كانت مملوءة بالنبيذ (نبيذ « بررعمسيس ») ، وقد استنبط البعض (يقصد بذلك الأستاذ حمزة بك) من ذلك أن مقر «رعمسيس» الشهير فى «الدلتا» الذى كان يسمى « بررعمسيس » هو « قنتير » نفسها ، وهذا الاستنباط مبالغ فيه بعض الشىء ، وذلك لأن المتون العدّة القديمة الخاصة بالمقر الملكى تجيز أن

(١) راجع : A. S. V, p. 129.

(٢) راجع : Gardiner Naukratis II, 78, 82.

(٣) راجع : Montet. Tanis p. 20



(١) خريطة الوجه البحري

نقرر وجود بعض حقائق نعلم منها أن هناك مكانا آخر قديما تتوافر فيه هذه الشروط، ويستحق أن نجعله هو المقر لهذه العاصمة، وأعنى بذلك « تانيس »، ولا يفوتنا أن نتجاهل أن الضياع الملكية كانت شاسعة جدا، وتحتوى على قصور رحبة، كان الملك والأمراء يتخذون مساكنهم فيها، كما كان الموظفون الآخرون يقطنونها، وكانت تتخذ مكانا للمؤن، وتزرع فيه الحدائق والخمائل والحبوب، وتقام فيها برك للصيد. فإذا كان فى « قنتير » كروم لعمل النبيذ ومساكن ملحقة بالعاصمة فإن هذا يعدّ من الأمور الممكنة جدّا. (راجع Montet Tanis p. 19).

ومن هذا نرى أن « مونتيه » لا يزال يميل إلى توحيد « بررعمسيس » « بتانيس »، وقد فاته أن صاحب هذه الفكرة قد أخذ يتراجع بعض الشيء فى التمسك برأيه، وأخذ ينظر بعين الجد إلى ما قرره الأستاذ « حمزة » على ضوء الكشوف الحديثة. هذا فضلا عن أن الحفائر التى يقوم بها الأستاذ «لبيب حبشى» فى هذه المنطقة تدل نتائجها على أن ماقرره « حمزة بك » هو الرأى الصواب.

« نبيشة » (تل فرعون) : وجد فيها تمثال « رعمسيس الثانى » أهداه لإلهة هذه الجهة المسماة « وازيت »، وهى فى المقاطعة التاسعة عشرة (أميت) التى كانت تعبد فيها الإلهة « وازيت »[١].

«صفت الحنا» (عاصمة المقاطعة العشرين من مقاطعات الوجه البحرى): وجدت باسم هذا الفرعون قطعتان من الجرانيت الأسود من تمثال ضخم، وكذلك قطعتان أخريان من تمثال من البازلت[٢] باسم « رعمسيس الثانى » أيضا، والظاهر أنه أقام معبدا فى هذه الجهة.

« صان الحجر » (تانيس) : لا نزاع فى أن « تانيس » كانت تعدّ من أهم المدن المحببة إلى ملوك الأسرة التاسعة عشرة، وبخاصة لما ذكرناه عنها آنفا من أنها كانت محل عبادة الإله « ست »، الذى ينسب إليه ملوك هذه الأسرة وقد

(١) راجع : Montet Tanis p. 20

(٢) راجع : Naville Goshen, 5; Porter and Moss IV p. 11

فصلنا القول فى ذلك فى (الجزء الرابع ص ٧٠) عند التحدث عن لوحة «أربعمائة السنة »، وقد أقام فيها « رعمسيس الثانى » مبانى ضخمة هامة ، وبخاصة مسلاته التى يبلغ عددها نحو اثنتين وعشرين مسلة ، ويلحظ هنا أنه اغتصب آثارا عدّة من الملوك السالفين ونقلها إلى هذه المدينة ونسبها لنفسه ، ومع ذلك نجد أنه أعاد بناء معبدها على طراز جديد، وآثاره الأصلية هنا تشمل التمثال الضخم الذى يبلغ ارتفاعه اثنتين وتسعين قدما ، وكذلك أربعة تماثيل ضخمة من حجر «الكوارتسيت» ، وثمانى لوحات من الجرانيت يتراوح ارتفاعها بين تسع أقدام وتسع عشرة قدما ، وعمودين ارتفاع كل منهما نحو عشرين قدما ، وأجزاء كثيرة من الجرانيت ، أما التمثال الهائل السالف الذكر الذى وجدت منه قدمه وبعض أجزاء أخرى فقط ، فيعدّ أعظم تمثال نصبه هناك ، ولا بدّ أنه كان يشرف على مبانى المعبد، ويمكن رؤيته على مسافة عدّة أميال من السهل، عندما كان يقترب الإنسان من زيارة هذه البلدة .

أما الآثار التى اغتصبها « رعمسيس » من عصر الدولة الوسطى وعصر الهكسوس، مما كان قد أقيم فى هذه البلدة، فتفوق بكثير ما عمله لنفسه فى هذا المعبد (١) .

« هربيط » : وجد لهذا الفرعون آثار كثيرة ، نقلت الى « متحف هلد سهايم » فى أواسط ألمانيا ، أهمها ثلاث لوحات مثل عليها « رعمسيس الثانى » وهو يقدّم القربان لتمثاله (٢) . وكذلك يوجد فى المتحف نفسه لوحة لضابط يدعى « موسى » ، ومعه رجال الجيش يتقبلون الإنعامات من « رعمسيس الثانى » ، وهى حلقات من الذهب (٣) .

---

(١) راجع : Porter & Moss IV, p. 14

(٢) راجع : Roeder. Ramses Als Gott in A. Z. LXI, pl. IV, (3), pl. V, 3, 4 & p. 59, 62, 63.

(٣) راجع : Roeder. Ibid. p. 65

« تل بسطة » : وجد فى المعبد الكبير لهذه البلدة جزء من مجموعة تماثيل من الجرانيت الأسود ، عليها اسم هـذا الفرعون[١] . وفى القاعة الأولى من المعبد وجد له أربعة تماثيل ضخمة من الجرانيت الأحمر ، مقامة أمام قاعة الأعياد الثلاثينيـة[٢] . ولا تزال قواعدها فى أماكنها الأصلية . أما التماثيل فنقلت إلى « المتحف البريطانى » ، ومتحف « برلين » ، ومتحف « كوبنهاجن » ، ووجدت له لوحة صغيرة كذلك عند مدخل قاعة الأعياد الثلاثينية[٣] ، ونجد على آثار هذا المعبد اسم الأمير « مرنبتاح » بن « رعمسيس الثـانى » الذى خلفـه على عرش الملك ، وكذلك اسم الأمير « خعمواست[٤] » .

وكان أمام مدخل المعبد تمثالان ضخمان منصوبان : أحدهما الآن فى « المتحف المصرى » ، والثانى فى « لندن » . ومما يلفت النظر فى هذا المعبد أن « رعمسيس الثانى » قد استعمل أحجـارا فى مبانيه هنا من عهد الدولة القديمة ، عليها اسم « خوفو » و « خفرع » .

أما المعبـد الصغير الذى أقامه « رعمسيس » فى هـذه الجهة — ويبعد نحو نصف كيلو متر عن المعبد الكبير — فقد ترك فيه آثارا قليلة[٥] .

« تل الربع » (منديس) : كان يوجد فى هـذه المدينة ، وهى عاصمة المقـاطعة السادسة عشرة من مقاطعات الوجه البحرى ، معبد غير أنه أزيل عن آخره جمـلة ، ومن بين أنقاضه إناء من الجرانيت ، عثر عليه عنـد مدخل طريق

---

(١) راجع : Naville Bubastis pl. XXXVIII, [B] p. 40 - 1

(٢) راجع : Ibid. p. 38 - 9

(٣) راجع : Ibid. pl. XXXVI [E] pp. 39 - 4

(٤) راجع : Tanis. p. 12

(٥) راجع : Naville Ibid. p. 60 - 62

« بولهول » كما وجدت قطع من ودائع الأساس باسم كل من « رعمسيس الثانى » و « مرنبتاح »، وقد ذكر على واحدة منها متن باسم « رعمسيس الثانى »(١) .

« بهبيت الحجارة » (الواقعة جنوبى المنصورة) : وبها معبد عثر فيه على قطع من الحجر، نقش عليها اسم « رعمسيس الثانى »(٢) .

« تل طنبول » (بمركز السنبلاوين) : عثر المسمدون على قطع حجر باسم « رعمسيس الثانى » ، من « العصر الساوى » .

« تل المقدام » (مركز ميت غمر) : وجد « لرعمسيس الثانى » قاعدة تمثال واقف من الجرانيت الأحمر فى هذا المكان(٣) . كتب عليها « رعمسيس الثانى » المحبوب مثل « بتاح » .

« دنديت » (مركز ميت غمر) : وجدت فيها قطع من تماثيل ضخمة من الجرانيت « لرعمسيس الثانى » ، ويحتمل أنها منقولة من بلدة « تل المقدام » القريبة منها(٤) .

« بلجاى » : عثر فيها على لوحة عليها اسم ضيعة « رعمسيس الثانى » ، وهى الآن « بالمتحف المصرى »(٥) غير أن اللوحة تشير إلى الملكة « توازرت » .

« تل أم حرب » أو « تل مسطاى » (مركز زفتى) : وجدت فيه قطع حجر نقش عليها اسم « رعمسيس الثانى »(٦) ، وكذلك رسم عليه صورله وهو يقدّم القربان لبعض الآلهة كما كان يقدّم « ماعت » (العدالة) .

(١) راجع : Naville Ibid. p. 18
(٢) راجع : Tanis. p. 26
(٣) راجع : Náville, Ahnas el Medineh p. 31
(٤) راجع : A. S., XIII, p. 123 (1–5)
(٥) راجع : Gardiner. A. Z. L. 1, pl. IV, p. 49 ff
(٦) راجع : A. S., XI, p. 165 ff.

« البرنوجى » (بدمنهور) : عثر فيها على بعض أحجار، نقش عليها اسم « رعمسيس الثانى »[١] ، منها قطعة من الجرانيت كتب عليها اسمه ولقبه وبعض نعوته مثل : " ومن الخوف منه فى كل الأراضى الخ " .

« كوم فرين » القريبة من « الدلنجات » مديرية البحيرة : عثر فى هذا الكوم على قاعدتى عمودين من الحجر الجيرى عليهما اسم « رعمسيس الثانى »[٢] .

« كوم القلزم » بالقرب من السويس : عثر فى هذا المكان على قطعتين من الحجر عليهما اسم « رعمنسيس الثانى »[٣] .

« تل المسخوطة » (بيتوم) : عاصمة المقاطعة الثامنة من مقاطعات الوجه البحرى .

(١) بها معبد مخرب وقد وجد فيه ثالوث من الجرانيت الوردى يتألف من « رعمسيس الثانى » جالسا بين الإلهين « آتوم » و « خبرى » ، والإله الأخير يلبس على رأسه قرص الشمس منقوشا عليه جعران مجنح[٤] .

(٢) ثالوث من الجرانيت الأحمر مثل فيه « رعمسيس » جالسا بين الإلهين « حور اختى » و « خبرى » .

(٣) لوحة من الجرانيت الأحمر الوردى محلاة من جهاتها الأربع، وعلى أحد أوجهها الرئيسية نشاهد « رعمسيس » يقدّم تمثال العدالة للإله « حور اختى » الذى يقدّم له بدوره الحياة وملايين السنين .

---

(١) راجع : Ibid. p. 278

(٢) راجع : A. S., XI, p. 277

(٣) راجع : Roeder. Agyptische Insch. Berlin Museum II, 236

(٤) راجع : Desc. de L'Egypte Antique, V, pl. 29 (6 - 8) cf Texte V, p. 146,

(٤) ولوحة أخرى « لرعمسيس » أقل حفظا من السابقة ، ومحـراب من الجرانيت المجبب يشاهد فيه « رعمسيس » يحتفل بالأعياد الثلاثينية .

(٥) وتمثال «بولهول» من الدولة الوسطى ، اغتصبه أحد ملوك الهكسوس ، ثم اغتصبه ثانية « رعمسيس الثانى » وهو من الجرانيت الأسود[1] .

(٦) وصقريحمى طغراء « رعمسيس الثـانى » من الجرانيت الأسـود وهو الآن « بالمتحف البريطانى » (راجع Tanis p. 16) .

(٧) وكذلك وجدت على القناة القـديمة بالقرب من « الكبريت » لوحتان « لرعمسيس الثانى » وهما الآن « بمتحف الاسماعيلية » (راجع Tanis p. 15 - 16) وقد نصبت إحداهما على هضبة تشرف على منخفض القناة ومنقوشة من وجوهها الأربعة ، ويشاهد على أحد وجهيها الرئيسيين صورة الإله « ست » برأس إنسان كالتى نشاهدها على لوحة « أربعمائة السنة » ، ونقرأ على وجهيها الثانويين اسم الإله «ست» وزوجه الإلهة « عنتا » ونرجح أن صورتهما كانت على الوجهين المحتويين . أما اللوحة الأخرى فعلى مسافة ثمانية كيلومترات من الأولى . وقد لحق بها عطب كبير . ونشاهد على الوجه المحفوظ منهـا بعض الشىء « رعمسيس الثانى » يقدّم البخور للإله « سبد » رب الشرق وصاحب مقاطعة العرب ، ومما يلفت النظر أننا نجد على الوجه المقابل للسابق اسم الإله « بعـل » وهو الذى أصبح له — منـذ عهد « رعمسيس الثانى » — محراب من « منف » يطلق عليه اسم «بعل سابونا» ، وقد حاول البعض أن يوحد مكان هـذه اللوحة بالمحط الذى قبل الأخير من المحاط التى وقف عنـدها اليهود عنـد خروجهم من مصر ، وهى التى يطلق عليهـا اسم « بلسفون » . ولكن مثل هذه الاستنباطات يجب أن يقرأها الإنسان بحذر .

---

(١) راجع : Tanis. p. 15 - 16

وقد كشف الأثرى « كليدا » على مسافة قريبة من هـذه اللوحة عن معبـد صغير أقامه « رعمسيس الثانى » مهـدى للإلهين « ست » و « حتحور » سـيدة الفيروزج (Tanis. p. 17)(1) .

« تل رطابة » : عثر فى هـذا التل على بقايا معبـد للإله « آتوم » (؟) على ما يظنّ ، أقامه « رعمسيس الثانى » وقد وجد فيه جزء من واجهة المعبد الشمالية ، وقد مثل عليها الفرعون وهو يضرب السوريين أمام الإله « آتوم » ، كما وجد جزء آخر مثـل فيه هـذا الفرعون وهو يضرب هـؤلاء الأعداء أمام الإله « ست » ، وكذلك عثر فيه على تمثال مزدوج يمثل الفرعون والإله « آتوم » فى ردهة المعبد(2) .

« تل اليهودية » : أقام « رعمسيس الثانى » معبدا فى هذه الجهة فى الجزء الشمالى الشرقى من « سور المعسكر » ، وقد عثر فيه على تمثال ضخم مزدوج يمثل هذا الفرعون والإله « رع » معا(3) .

وكذلك وجد له تمثال ضخم بالقرب من بوّابة هذا المعبد (Petrie Ibid, II, p. 9) .

« مسطرد » (ضواحى القاهرة) : وجد فيها أثران من حجر الكوارتسيت عليهما اسم « رعمسيس الثانى »(4) .

« بهتيم » : ووجد فى « بهتيم » قاعدة تمثال للملكة « نفرتارى » زوج « رعمسيس الثانى » (راجع Porter & Moss IV, p. 58) .

---

(1) وقد ظن هذا الأثرى أن هذا المعبد هو مجدل (برج) مقلد من حصون سوريا ، وأنه المجدل الذى مر بجواره الإسرائيليون قبـل أن يصلوا إلى « بلسفون » ، والواقع أن المبنى الذى كشف عنـه لا يخرج عن أنه معبد مصرى عادى .

(2) راجع : Petrie. Hykos & Israelite Cities pls. XXIX, XXXI, p. 31 & pl. XXXII, p. 30.

(3) راجع : Petrie Ibid. pl. XVI & p. 8

(4) راجع : Naville, Mound of the Jews & Griffith Tell el Yahudiyeh pl. XXI (10, 11) & p. 66.

منطقة « هليوبوليس »

جبانة «هليوبوليس» : كشف فى «هليوبوليس» عن مقابر العجل « منفيس » (مرور) من عصر « الرعامسة » ، على مسافة كيلومتر من « عرب الأطاولة » ، وكان قبر العجل هنا من عهد « رعمسيس » يحتوى على رقعة مستطيلة الشكل، مساحتها خمسة أمتار وخمسة وعشرون سنتيمترا فى ثلاثة أمتار ، وارتفاعها ثلاثة أمتار وعشرة سنتيمترات، محفورا فى الرمل تحت الأرض، وكان سمك الجدار نحو متر . وعندما كانت توضع مومية العجل فى قبرها . كان يسقف القبر بكتلة من الحجر، ثم يسد المدخل ويحوط القبر بسياج من رمل، وكان داخل المقبرة محلى بالنقوش البارزة ، غير أنها عند الكشف عنها وجدت متآكلة ، وأهم مقبرة كشف عنها شوهد فيها الثور نائما على سرير له رأس أسد، وكان يحلى جيده قلادة مخمة، وفوقه صقر منتشر الجناحين لحمايته ، وكان الأثاث الجنازى الذى معه يتألف من أوانى الأحشاء وبعض تماثيل صغيرة، وعدد قليل من قطع البرنز، وقد اختفت مومية الثور ومعها كل حليها . وكذلك اختفى المزار أو المقصورة التى فوق القبر، وقد عثر على بقايا جدران حائط من اللبن كانت تحيط بالمقصورة ، كما عثر على بعض قطع من لوحتين ، نعرف من النقوش التى عليها أن الذى أقام هذا القبر هو « رعمسيس الثانى » (١) .

« منشية الصدر » : يوجد فى المتحف المصرى لوحة للفرعون « رعمسيس الثانى» مؤرخة بالسنة الثامنة من حكمه، كتب عنها «أحمد باشا كمال» وسنتكلم عن محتوياتها فيما بعد (راجع .Rec. Trav. XXX, pp. 214) .

«تل الحصن» : أقام «سيتى الأول» معبدا فى هذه الجهة، وقد عثر فيه على عوارض أبواب من الحجر الجيرى الأبيض باسم « رعمسيس الثانى » (٢) . كما عثر على قطع من الحجر عليها طغراؤه (٣) .

(١) راجع : Montet Tanis p. 9 ff.

(٢) راجع : Petrie. Heliopolis pl. III, p. 6. (13)

(٣) راجع : Griffith Tell el Yahudiyeh in Naville Mound of the Jews p. XXI, p. 65.

وكذلك وجد له فى هذه الجهة قطعة من محراب من الجرانيت الأسود[1]، ظهر فيها « رعمسيس » يقـدّم العدالة للإله وقطع من مناظـر على جدران[2] . وفى متحف « جلاسجـو » توجد لوحة « لرعمسيس الثـانى » مثـل عليها يقـدّم مسلة للإله « حور اختى »[3] .

الجيزة : وتدل النقوش على أن «رعمسيس الثانى» قد أتى لزيارة «بولهول» وقد ترك هناك على أقل تقدير أربعة آثار تدل على تلك الزيارة . منها لوحة لم يبق إلا جزؤها الأعلى ، ويظهر فيـه « رعمسيس الثانى » يحرق البخور ويقدّم قربانا « لبولهول » الذى يشاهد رابضا على قاعدة مرتفعة على جانبها صورة باب ، ونقوشها مدائح تقليدية يقدّمها الملك « لحور ام اخت »[4] .

وله لوحة أخرى محفوظة الآن « بالمتحف البريطانى » وهاك ما جاء عليهـا :

” السنة الأولى من عهد جلالة « حور » الثور القوى محبوب ماعت ، والمنتسب للإلهتين ، حامى مصر والمسيطر على الممـالك الأجنبية « حور » الذهبى ، الكثير السنين ، العظيم الانتصار ، الملك ... ... الإله الطيب المجدّد بوصفه ملكا ، رب القوّة الشجاع والمقدام على الأرض مثل « منتو » عندما يجرى ، والذى يسير حول ... ... على الـ ... ... الأقواس التسعة ومفتحما الطريق قافلا ، والمشرف على القتال ... ... مثل لهيب النار عنـدما يأتى ويصعد ... ... المخترق ممالك نهاية الأرض . وإنه لمسرع أكثر من السهم إلى الغرض ، وإنه يطير مثل الصقر الذهبى خلف ... مخترقا الممالك الأجنبية مثل ... شبوب النار وهو الأسد المفترس للآسيويين ذو أسنان حادة ومخالب فتاكة ، والفاتح بلا هزيمة ، والمقتحم فى حومة الوغى “.

ويدل ما لدينا من آثار على أن «رعمسيس الثانى» قد عمل بعض إصلاحات فى تمثال « بولهول » إذ من المحتمل أنه هـو الذى أضاف أول كسوة من الحجر على

---

(١) راجع : L. D. Texte I, p. 5

(٢) راجع : Petrie. Ibid. pl. V, (27–9) p. 6

(٣) راجع : Petrie. Ibid. pl. VIII, p. 7

(٤) راجع : Vyse, Operations Carried at the Pyramids in 1837 Vol. III, p. 117.

مخالب « بو لهول »[١] فقد جاء فى خطاب أرسله لأحد موظفيه خاص بإصلاحات فى التمثال ما يأتى :

"لقد سمعت أنك قد استوليت على ثمانية عمال كانوا يعملون فى بيت «تحوت رعمسيس» محبوب «آمون» له الحياة والصحة والفلاح المسمى :. « الراضى بالصدق فى منف » ، فعليك أن ترحلهم لأجل جر الأحجار « لبو لهول » فى « منف »" ويقول الأستاذ « شبيجلبرج »[١] : إن الاشارة هنا هى لتمثال « بو لهـول » الكبير . وعلى أية حال فالعبارة مبهمة ، فلم يعرف إذا كانت تشير إلى قطع الأحجار « لبو لهول » نفسه أو لمبنى آخر .

«بنهـا» : وجد «لرعمسيس الثانى» عدة آثار فى «تل أتريب» غير أن موضعها الأصلى لا يعرف بالضبط :

(١) منها مجموعة من الجرانيت « لرعمسيس » ومعه إلهان (راجـع A. S. XXI pp. 212-13) .

(٢) تمثال سبع من الجرانيت الأحمر محفوظ الآن «بالمتحف البريطانى»[٢] .

(٣) قطع عليها مناظر سحرية ونقوش باسم « رعمسيس الثـانى » (راجع A. S. XVII, p. 186-93 fig. 1-4) .

«زاوية رازين» : وجدت قطعة من واجهة بناء فى هذا المكان عليها طغراء « رعمسيس الثانى » (راجع A. S. XII, p. 193) .

كوم « أبو بللو » : عثر فيه على قطعة من الحجر عليها طغراء «رعمسيس الثانى»[٣] .

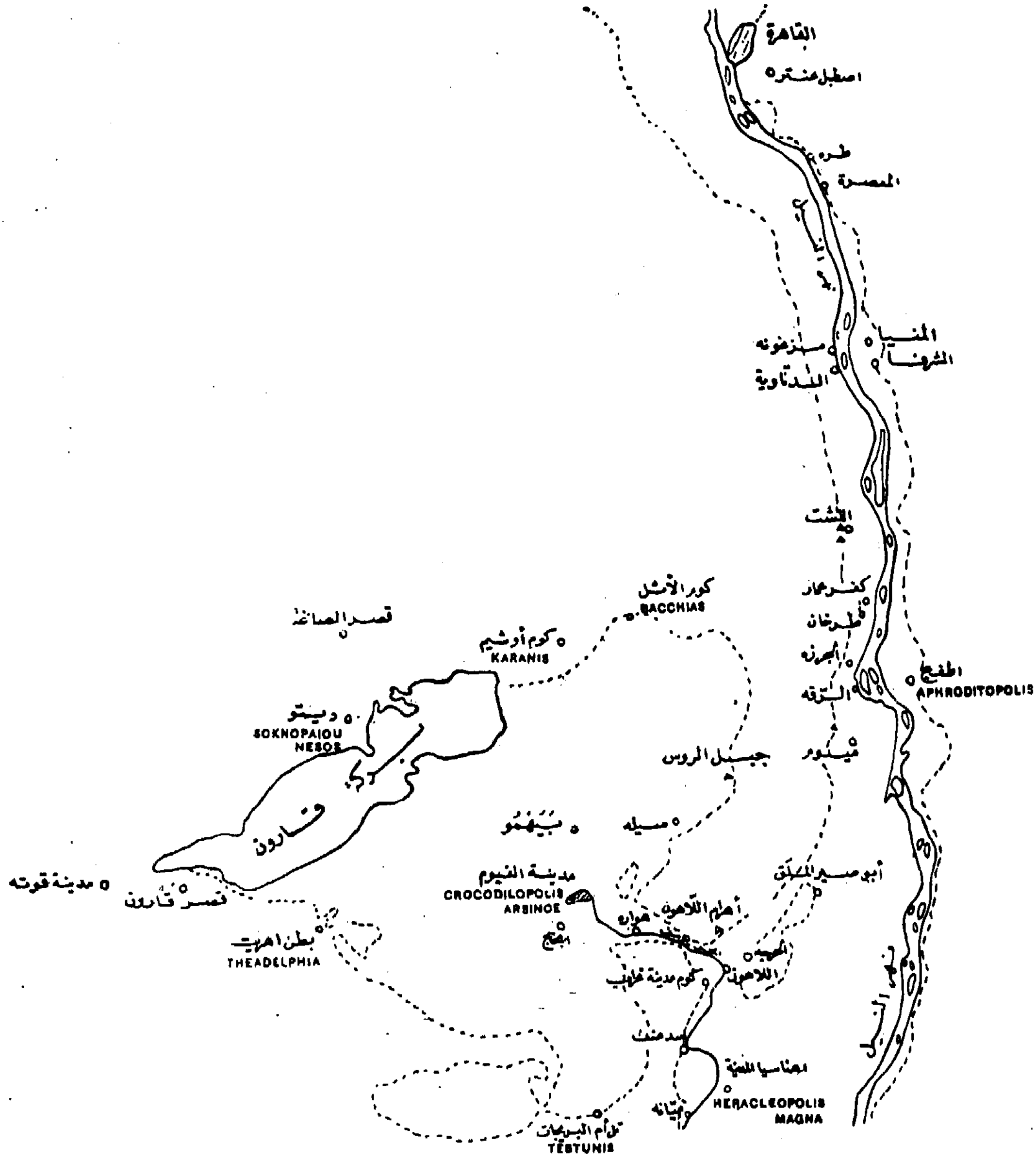
القاهرة : نقل الأهلون عدّة قطع من آثار هذا الفرعون القريبة من القاهرة واستعملوها فى المبانى الخاصة بهم ، وقد استولى عليها بعـد ونقلت إلى « المتحف المصرى » وغيره من متاحف العالم . وأهمها ما يأتى :

---

(١) راجع : Br. A. R. III, §. 224 & Spiegelberg Rec. Trav. 17 p. 158

(٢) راجع : Budge, Guide to Sculptures (1909) pp. 163-4, L. D. Texte I, p. 221

(٣) راجع : A. S., XIII, p. 281



(٢) من القاهرة إلى أهناسيا المدينة

(١) جزء من تمثال فى متحف «فلورنس» بايطاليا (راجع Rec Trav. XX. p. 99).

(٢) قطعة حجر من باب عليها بقايا متن وقد استعملت بمثابة هاون وجدت بجوار باب زويلة (راجع Descrip. De L'Agypte. VIII. P. 249 n. 6.) .

(٣) مسلة من الجرانيت الأسود باسم « رعمسيس الثانى » وقد كتب عليها ابنه « مرنبتاح » اسمه ، ومن المحتمل أنها مغتصبة من آثار الدولة الوسطى من « تل أتريب » (بنها)، وقد استعملت أسكفة فى بيت من بيوت « القاهرة » ، ثم نقلت إلى متحف « برلين »(١) .

(٤) قطعة من مسلة من الجرانيت اغتصبها « رعمسيس الثانى » ، ويحتمل أنها من « تل أتريب » أيضا ، وقد عثر عليها فى مصر العتيقة وهى الآن بالمتحف المصرى (راجع A. S. XVIII, p. 276) .

(٥) قطعة من تمثال الملكة « نفرتارى » زوج « رعمسيس الثانى » وهى الآن بمتحف « بروكسل » (بلجيكا)(٢) .

«أهناسيا المدينة» : يوجد فى هذه المدينة معبد للإله «حرشف» (حرسفيس) ويرجع عهده للأسرة الثانية عشرة، ولكن أعيد بناؤه فى عهد الأسرة الثامنة عشرة ثم فى عهد «رعمسيس الثانى» وقد عثر فيه لهذا الفرعون على مجموعة تمثله بين الإلهين « بتاح » و « حرسفيس » وقد وجد ملقى أمام ردهة المعبد والمجموعة فى متحف « القاهرة » الآن(٣) .

وقد أعاد كذلك «رعمسيس» بناء مدخل معبد الأسرة الثامنة عشرة و يوجد منه عمود نخلى الشكل فى «المتحف البريطانى» ، وكذلك تمثال مغتصب يحتمل أنه كان

---

(١) راجع : Roeder, Aegyptische Inschriften aus den Koniglicher Museen Zu Berlin II, pp. 28 ff.

(٢) راجع : Speelers. Rec. des Inscrip. Egyp. p. 66

(٣) راجع : Petrie, Ehnasya. pp. 9 - 10

فى الأصل للملك « سنوسرت الثانى » أو الثالث ، وهو الآن بمتحف جامعة « بنسلفانيا » بالولايات المتحدة (١) .

هذا بالإضافة إلى أنه قد وجدت له فى هذا المعبد كذلك قطعة من تمثال راكع ومائدة صغيرة وهى موجودة بالمتحف المصرى (٢) .

« كوم العقارب » القريب من « أهناسية المدينة » : أقام « رعمسيس الثانى » فى هذه البقعة معبدا ولكنه مخرب تماما الآن . وقد عثر فيه على تمثالين جالسين « لرعمسيس الثانى » وقد استعملهما ثانية ابنه « مرنبتاح » فنسبهما لنفسه بدوره . ومن المحتمل أن المجموعة الأصلية مغتصبة من « سنوسرت الثالث » وبجانب هذين التمثالين تماثيل صغيرة للأميرتين هما « بنت عنتا » و « مريت آمون » ، وكذلك لأميرتين لم تسميا ، والتمثالان بالمتحف المصرى الآن (٣) .

« طهنا الجبل » (مركز المنيا) : أقام الامبراطور « نيرو » معبدا فى هذه البقعة وقد عثر فى قاعة عمده على بعض قطع مستعملة فى بنائها عليها طغراء « رعمسيس الثانى » (٤) مما يدل على أنه قد أقام هنا مبانى ، أو أن هذه القطع قد نقلت من مبانى مجاورة لهذا الفرعون .

الأشمونين : أقيم فى هذه البقعة معبد للإله « بتاح » ويرجع عهده للفرعون « رعمسيس الثانى » ، وقد استعملت فى بنائه أحجار من مبانى معبد « لأخناتون » ، وقد وجد « لرعمسيس الثانى » تمثال ضخم من الجرانيت الأحمر قاعدته من الحجر الجيرى

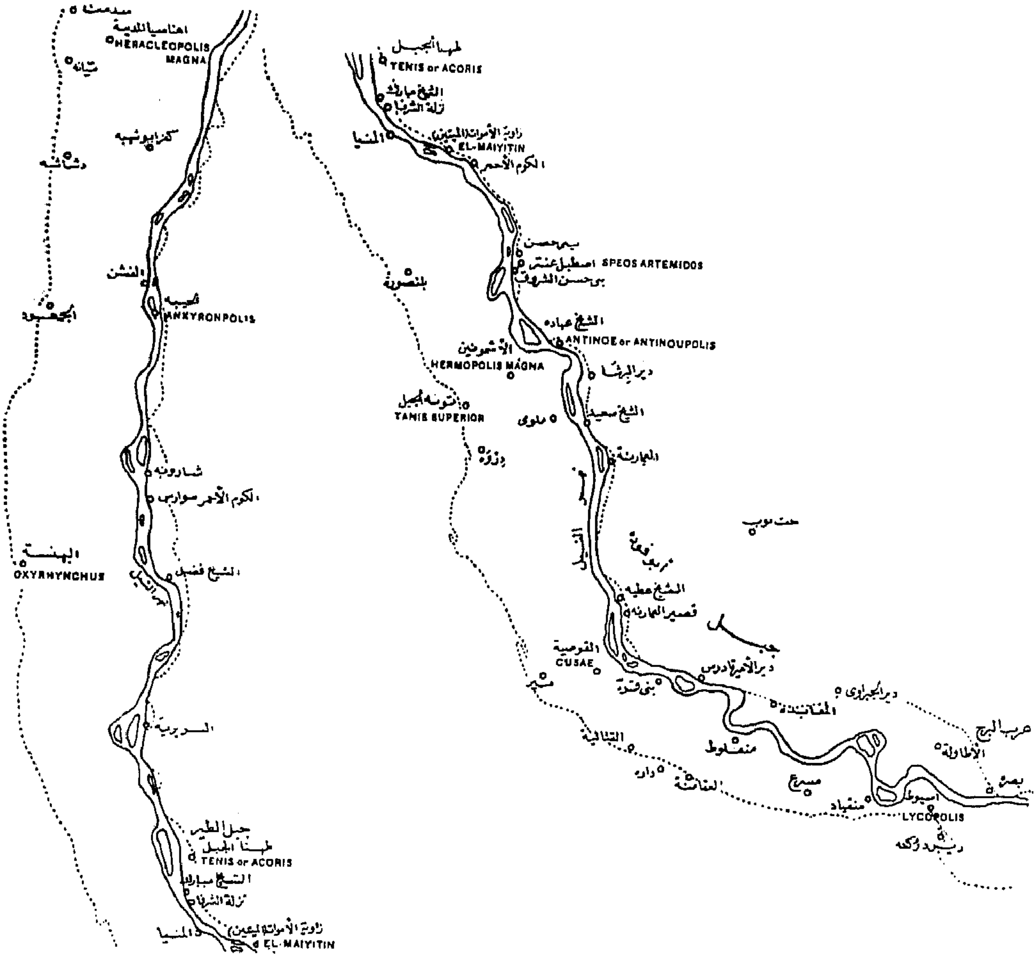
---

(١) راجع : Porter & Moss IV, p. 118

(٢) راجع : Borchardt, Stat. Cat. Cairo II, pl. 99. p. 131

(٣) راجع : A. S., XVII, pp. 36 - 8

(٤) راجع : Porter & Moss. IV, p. 129



(٣) من أهناسية المدينة إلى « درنكه »

الأبيض وقد اغتصبه ابنه الفرعون «مرنبتاح» وهو الآن بالمتحف المصرى (١)، وكذلك وجدت له تماثيل ضخمة على كلا جانبى مدخل هذا المعبد (٢).

«الشيخ عبادة» : (مركز ملوى) أقام «رعمسيس الثانى» معبدا فى هذه الجهة فى غربى سور المدينة، وقد كشف عن بقاياه « جييه » (٣).

ولا يزال كثير من عمد القاعة قائماً مكانه، وقد مثل عليها مناظر عدة تمثل الفرعون يقدم أزهار البشنين للإله «تحوت» والبخور والقربان، كما يشاهد هذا الفرعون على أعمدة أخرى أمام الإله «خنوم» والإلهة «حتحور» والإلهة «سوكر» و «تحوت» و «ماعت» و « حور اختى » و « آتوم » « و بتاح » و « سخمت » و « خبرى » و « نفتيس » و « نحمت عواى » (زوج تحوت) و « آمون رع » و «موت» وغيرهم من الآلهة يقدم لهم القربان والأزهار والخبز كما يتقبل الحياة من الإله « خبر » رب الوجود، ولا تزال أعمدة الردهة وقاعة العمد قائمة فى مكانها .

«الشيخ سعيد» : وفى جنوب «الشيخ سعيد» وجد فى جبانة «شيخ زبيدا» الجزء الأعلى من لوحة ظهر فيها « رعمسيس الثانى » أمام الإله « تحوت » وكذلك قطعة حجر فيها نقوش عن قطع الأحجار، يحتمل أنها من اللوحة (٤).

«أسيوط» : وفى «أسيوط» أقام «إخناتون» معبدا وقد اغتصبه «رعمسيس الثانى » ، إذ عثر فيه على قطع من الأحجار عليها طغراؤه (٥).

---

(١) راجع : Maspero, Guide (1914) pp. 4-5, 151

(٢) راجع : Roeder, Hermopolis (1929 - 30) pls. XV (b), XVI (b), XVII (b) p. 95, 109.

(٣) راجع : Gayet. L'Exploration des Ruines. D'Antinœ et La Decouverte d'un Temple de Ramses II, Ann. Mus. Guimet XXX, 2m Pattie (19 - 48); & Johnson. J. E. A., I, p. 173, pl. XXIII.

(٤) راجع : Rock Tombs of Shiekh Said, pp. 149 ff. fig. I

(٥) راجع : Chronique D'Egypte July 1931. pp. 237 - 43

«المطمر» : أقام «رعمسيس الثـانى» معبدا للإله « ست » فى «المطمر» التابعة لمركز « البدارى » واستعمل فى بنائها أحجارا مغتصبة من معبد «إخناتون» ، وقد عثر هنا « برنتون » على بقايا مدينة من الأسرة التاسـعة عشرة حيث أقام فيها « رعمسيس » معبده للإله « ست » ، وقد وجد من بقاياها عتب باب نقش عليه طغراء هـذا الفرعون كما وجدت ودائع أساس فى مكانهـا الأصلى ، غير أن معظم أحجار هـذا المعبد المكتوبة وودائع الأساس الأخرى التى بقيت حتى عصرنا قد استولى عليهـا منذ بضع سنين ، ومع ذلك لدينا قطعـة أو قطعتان تدلان على أن « رعمسيس » نفسه قـد استعمل أحجار معبد « إخناتون » فى بناء معبده هذا ، وعلى أية حال تدل القطع الباقية من التماثيل المصنوعة من الجرانيت ، وكذلك القطع الأخرى من المرمر على أن المعبدين كانا مبنيين بناء حسنا [١] .

طوخ (نبت) : يوجد فى هذه البقعة بقايا معبد للإله « ست » من عهد الأسرة الثامنة عشرة وقد أعاد بناءه « رعمسيس الثانى » [٢] .

«قفط» : (١) عثر على قطعة من لوحة لشخص يدعى « بكور » الحارس الأول للشـونة مؤرخة بالسنة السادسة والستين من حكم « رعمسيس الثانى » [٣] . (٢) قطعة من عمود باسم « رعمسيس الثانى » [٤] . (٣) مجموعة ثالوث مؤلفـة من « رعمسيس الثانى » بين الإلهتين « حتحور » و « إزيس » وهى مصنوعة من الجرانيت الأحمر ، وقد وجدت عنـد مدخل معبد « قفط » وهى محفوظة الآن

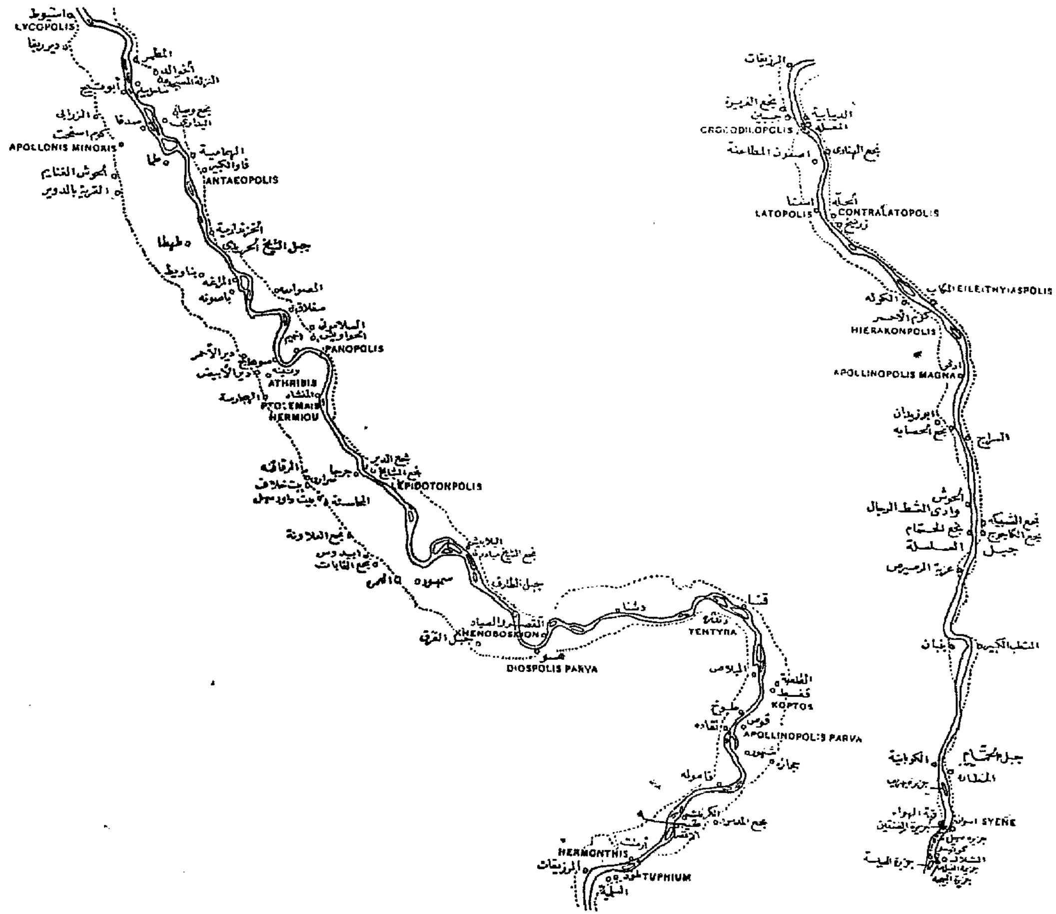
---

(١) راجع : Chronique D'Egypte July 1930. p. 224

(٢) راجع : Petrie & Quibell, Nagada & Ballas pl. LXXV, p. 67 - 8

(٣) راجع : Rec. Trav. IX, p. 100

(٤) راجع : Porter & Moss V, p. 132



(٤) من أسـيوط إلى أسوان

بالمتحف المصرى[1] ، وبجوار هـذه المجموعة وجد جزء من لوحة من الكوارتسيت الأسود لهذا الفرعون، دوّن عليها زيارة أمراء أسيويين لمصر[2] .

ويدل الجزء الباقى من هذه اللوحة على أن « رعمسيس الثانى » قد كتب نقوشه مكان نقوش أخرى ترجع إلى عهد الدولة الوسطى محاها « رعمسيس » أوّلا ثم وضع بدلها نقوشه هو . وهاك ما جاء عليها :

(١) رعمسيس محبوب «آمون» مثل الشمس . (٢) ... أشراف كل أرض حاملين جزيتهم من . (٣) ... كثير من الذهب وكثير من الفضة من كل نوع من المعدن . (٤) ...وكثير جدا من أمرى بلاد « كشكش » ، وكثير جدا من أسرى . (٥) ... كتابات الفرعون «رعمسيس» محبوب « آمون » ... (٦) وكثير جدا من قطعان الماعز، كثير من العنزات ، أمام بنته الثانية . (٧) ... محضرين الجزية «لرعمسيس» الذى يمنح مصر الحياة للمرة الثانية . على أنه لم يكن الجيش الذى جعلهم يحضرونها ، ولم يكن ... (٨) ... بل كان آلهة أرض مصر ، وآلهة كل البلاد الذين جعلوا أمراء كل البلاد يحضرون بأنفسهم للملك « وسرماعت رع ستبن رع » بن الشمس « رعمسيس محبوب آمون » معطى الحياة . (١٠) ... ليحملوا ذهبهم وليحملوا فضتهم وليحملوا أوانيهم من الفيروزج ؟ (١١) ... لابن الشمس « رعمسيس » محبوب «آمون » معطى الحياة ، وليحضروا قطعانهم من الخيل وليحضروا قطعانهم من (١٢) البقر، وليحضروا قطعانهم من الماعز وليحضروا قطعانهم من الغنم . وقد كان أبناء عظماء أمراء بلاد « خيتا » . (١٣) ... هم الذين حملوها أنفسهم حتى حدود بلاد الملك « وسرماعت رع ستبن رع » ابن الشمس (رعمسيس محبوب آمون معطى الحياة) ... (١٤) ولم يكن من ذهب ليحضرها أميرا ، ولم يكن جيش من الرجال قد ذهبوا لإحضارها ، ولم يكونوا خيالة قد ذهبوا لإحضارها ، ولم يكن ... قد ذهب لإحضارها ، بل كان الإله « بتاح » والد الآلهـة هو الذى وضع كل البلاد وكل الممالك تحت قدمى هذا الإله الطيب إلى الأبد السرمدى .

والظاهر أن هذه النقوش كانت قصيدة مدح قيلت تمجيدا للإله « بتـاح » ، كما يدل منطقها على أنها قد كتبت بعـد انتصار « رعمسيس » على بلاد « خيتا »

---

(١) راجع : Maspero, Guide 1914 p. 159 (592) ; & Borchardt Stat. Cat. II, pl. 93.

(٢) راجع : Petrie, Koptos pl. XVIII (1) p. 15

وحلفائها . ومن المحتمل جدا أن عبارة "الذى أعطى الحياة لمصر مرة ثانية" تشير إلى مدّ سلطان مصر على البلاد الأسيوية التى كانت قد ضاعت منها فى نهاية الأسرة الثامنة عشرة .

« نجع المدمود » : أقيم فى هذه البقعة معبد يرجع تاريخه الى الدولة الوسطى والدولة الحديثة، وقد بنى فوقه معبد فى عهدى البطالمة والرومان، وتدل الكشوف الحديثة على أنه قد استعملت فيه أحجار يرجع تاريخها إلى حكم « سيتى الأوّل » و « رعمسيس الثانى » (١) .

وكذلك عثر على عارضة باب من الجرانيت الأحمر باسم « رعمسيس » (٢) .

كما بنيت بوابة الامبراطور « تيبريوس » من أحجار عليها اسم «سيتى الأوّل» و « رعمسيس الثانى » (٣) .

«أرمنت» : أقيم فى هذا البلد العتيق معبد للإله «منتو» والإلهة «رع توى» فى عهد البطالمة والرومان ، وقد وجد فى أسس تلك المعابد أحجار وبقايا تماثيل من عهود مختلفة منذ الدولة الوسطى وما بعدها، كما وجدت مبانٍ من عهود مختلفة كما ذكرنا آنفا، وقد وجدت فيها للفرعون «رعمسيس الثانى» متون جاء فيها ذكر الأعياد الثلاثينية واسم الوزير « نفررنبت » الذى ينسب إلى عهد « رعمسيس الثانى » كما ذكرنا آنفا عند الكلام على هذا الوزير .

وكذلك عثر على تمثال ضخم من الجرانيت الأحمر لهذا الفرعون وهو بالمتحف المصرى الآن (٤) .

---

(١) راجع : Champ. Notices Desc. II, 290

(٢) راجع : Rapport Sur les Fouilles de Medamoud (1929) p. 117; & 1931 & 1932 fig. 36 p. 5 ff.

(٣) راجع : Porter & Moss V, p. 37

(٤) راجع : Guide, (Cairo Museum) A Brief Description of the Principal Monuments (1932) p. 19.

كما وجد تمثال راكع يحمل[1] فى يديه محرابا يعلوه رأس كبش لمدير بيت «آمون» الأعظم المسمى « أمنمابت »، وقد نقش طغراء الفرعون « رعمسيس الثانى » على جوانبه، أما النقوش التى أسفل فهى صيغة القربان يتلوها المدير الأعظم لبيت آمون « أمنمابت » .

« الكاب » : أقام « أمنحتب الثانى » فى هذه البلدة معبدا، وقد زاد فيه « رعمسيس الثانى » ونقش عليه اسمه فى كل مكان، كما شوه بعض الأعمدة التى أقامها « أمنحتب » بكتابة اسمه عليها[2]، كما نشاهد بعض المناظر التى يظهر فيها الفرعون وهو يجرى و يتبعه ثور أمام قرد فى محراب[3] .

وفى صخور « الكاب » فى شرق ردهة معبد البطالمة المنقور فى الصخر نجد الجزء الأعلى من لوحة للفرعون « رعمسيس الثانى » يشاهد فيها أمام الإله « رع حوراختى » والإلهة « نخبت » إلهة تلك المنطقة[4] . وكذلك أقيم فى هذه الجهة :

محراب للإله «تحوت» (و يسمى الحمام) : نحته « ستاو » نائب الملك فى « كوش » فى عهد « رعمسيس الثانى » وعليه مناظر تمثل « ستاو » و « رعمسيس الثانى » يتعبدان لآلهة مختلفة[5] .

« جبل السلسلة » : وفى مقصورة «حور محب» التى نحتها فى صخر « جبل السلسلة» نجد بعض مناظر من عهد «رعمسيس الثانى»، فعند الباب الشمالى نشاهد مقصورة « لباسر » وزير هذا الفرعون . ونشاهد على شمال الباب لوحة على الجزء الأعلى منه «لرعمسيس الثانى » ، ومعه كاهن وتتبعه الملكة « إست نفرت »

---

(١) راجع : Rec. Trav. XIX, p. 14

(٢) راجع : J. E. A., Vol. VIII, p. 24 ff

(٣) راجع : Porter & Moss V, p, 175

(٤) راجع : L. D., III, 174 a cf. Text IV, p. 40

(٥) راجع : J. E. A. VIII, p. 18; Porter & Moss V, p. 187-8

والأميرة « بنت عنتا » يقدمون صورة العدالة للإله « بتـاح » والإله « نفرتم » ، وفى الجزء الأسفل يشاهد الأميران «رعمسيس» و « مرنبتاح » و بقايا متن مؤلف من خمسة أسطر[١].

وفى ردهة هذه المقصورة صور « رعمسيس الثـانى » على الجدران يتعبد اليه الكاتب الملكى ، ومعه نقش بالهيراطيقية مؤرخ بالسنة الخامسة[٢].

وفى غرب السلسلة نجد له محرابا مقطوعا فى الصخر[٣]، وفى هذا المحراب يشاهد « رعمسيس » أمام الإله « آمون رع » والإله « تحـوت » يكتب اسم الفـرعون وهو راكع أمام شجرة مواجهة الإله « بتـاح » والإله « رع » والملك يقدم البخور للآلهة « أوزير » و « إزيس » و « مين كاموتف » (أى « مين » ثور أمه) ، وكذلك يقدم الملك البخور للإله «سبك» والإلهة « تننت » والإلهة « رعت توى » والإلهة « حتحور »[٤] .

« جزيرة الفنتين » : وجد اسم « رعمسيس » على قاعدة تمثال أسد فى بناء المرسى[٥] ، وكذلك عثر على قطعة من لوحة زواج « رعمسيس الثانى » من بنت ملك « خيتا » فى نفس بناء المرسى كما ذكرنا آنفا .

« أسوان » : وفى أسوان عثر على الجزء الأعلى من تمثال موجود الآن « بالمتحف البريطانى»[٦]، كما وجد له متن على قطعة حجر[٧]، وعلى الطريق القديم الذى بين «الفيلة»

(١) راجع : Champ. Mon. C VII; L. D. III, 17 e

(٢) راجع : Porter & Moss V, p. 210

(٣) راجع : Griffith, Notes on a Tour in Upper Egypt in P. S. B. A. XII, p. 49.

(٤) راجع : Champ. Notices Desc. IV, p. 124

(٥) راجع : L. D. Texte IV, p. 124

(٦) راجع : Budge, Guide to Sculp. (1909) p. 161

(٧) راجع : L. D. III, p. 52

« وأسوان » وجدت لهـذا الفرعون لوحة منحوتة ، يشاهد فى الجزء الأعلى منها « رعمسيس » ، والملكة « است نفرت » ، والأمير « خعمواست » أمام الإله «خنوم» . وفى الجزء الأسفل يشاهد الأمـير « رعمسيس » والأميرة « بنت عنتا » والأمير « مرنبتاح » يتعبدون (١) .

المتون المنقوشة فى صخور جزيرة «سهيل» : يوجد فى صخور هذه الجزيرة نقوش كثيرة لموظفين من عهد «رعمسيس الثانى» ، يشاهد فى أحدها «رعمسيس» يقدّم خمرا للإله « خنوم » والإلهتين « ساتت » و « عنقت » ، وفى أسفل يرى الموظف «حوى» يتعبد إليهم ، وكذلك نشاهده يتعبد لطغراء «رعمسيس الثانى» (٢) .

تماثيل «رعمسيس الثانى»

ذكرنا فيما سـبق تماثيل عدّة للفرعون « رعمسيس الثانى » فى أماكنها أو التى نقلت إلى بعض المتاحف فى جميع أنحاء العالم ، والواقع أن ما ذكرناه هو قليل من كثير من تماثيل هـذا الفرعون العظيم ممـا يضيق به بحثنا ، وبخاصة إذا علمنا أن « رعمسيس » لم يتورّع قط عن محـو أسماء الملوك السابقين له من تماثيلهم وكتابة اسمه عليها ونسبتها إليه ، ومع ذلك نرى بعض التماثيل وإن كان عددها قليلا يُعدّ من التحف الفنيـة ذات القيمـة العظيمة ، ونخص بالذكر من بينها تمثـاله الجميل المصنوع من الجرانيت الأسود الذى يمثله جالسا ، وبجانب ساقيه تمثالا زوجه « نفرتارى » وابنه آمون « حرخبشف » ، وهذا التمثال يعـدّ من التحف الفريدة بين الآثار الموجودة الآن بمتحف «تورين» (٣) (انظر ص ١٩٩) ، وكذلك له تمثالان واقفان يحمل كل منهما رمزا ، وآخران قاعدان وكلها من الجرانيت ، وهى محفوظة بالمتحف المصرى ، وكلها من عمل « رعمسيس » نفسه .

(١) راجع : Champ. Notices I, 230

(٢) راجع : De Morgan, Mon. 96 (153), 48 (8)

(٣) راجع : Lanzone, Turin. Cat. No. 1380

ومما يلفت النظر بين صوره تمثاله « الجيب » المصنوع من البرنز ، والمحفوظ الآن بمتحف « باريس » ، وستتكلم عن فنّ نحت التماثيل فى عهد « رعمسيس » فى مكان آخر ، ونذكر الكثير منها .

أسرة « رعمسيس الثانى »

لا غرابة إذا كان « رعمسيس الثانى » قد ضرب الرقم القياسى فى إنجاب الذكور ، ومن خلف وراءه من الإناث . والواقع أنه قد وفق أكثر من كل من سبقه من الملوك فى كل نواحى الحياة ، فقد بزهم فى المبانى كما وهب مدّة حكم تربى على مدّة أى فرعون آخر إذا استثنينا « بيبى الثانى » أحد ملوك الأسرة السادسة ، وكذلك كان له القدح المعلى فيمن تركه خلفه من ذرّية تعدّ بالمئات .

وعلى الرغم مما لدينا من آثار عدّة ومعلومات وفيرة عن أسرة هذا الفرعون الضخمة العدد ، فإنه مع ذلك يحيطها شىء كثير من الإبهام والغموض ، فنعرف من زوجاته على وجه التأكيد ثلاثا ، وهنّ : « نفرتارى » ، و « إست نفرت » ، و « مات نفرورع » ، كما نعرف أنه تزوّج بثلاث من بناته وهنّ : « بنت عنتا » و « مريت آمون » و « نبت تاوى » أما باقى نسائه فلا نعرفهنّ على وجه التأكيد ، ولا بدّ أنهن كنّ كثيرات لأن قائمة العرابة قد عدّدت لنا ثلاثة وثلاثين ابنا واثنتين وثلاثين ابنة (١) ، كما ذكرت لنا قائمة معبد « وادى السبوع » أحد عشر ومائة ذكر وإحدى وخمسين ابنة (٢) ، ولكن مما يؤسف له أن القائمتين كلتيهما ممزقتان ، ولا نزاع فى أن معظم هؤلاء الأولاد ، كانوا من حظيات أو زوجات ثانويات ، ولكن زواجه من بناته الثلاث قد أنجب له ما يربى على اثنى عشر ذكرا أو أنثى ، ممن كان لهم الحق فى ادّعاء عرش الملك . ويدل ما لدينا من نقوش على أن كل أولاد هذا الفرعون الذين وصلت الينا أسماؤهم كانوا يشغلون وظائف هامة فى الشؤون

---

(١) راجع : Marieite Abydos II, pl. 14 p 10

(٢) راجع : L. D. III, 179 b - d

الحكومية والدينية، وسنجد فضلا عن ذلك أن عددا لا يستهان به من بينهم كان يقوم بأهم الوظائف فى الدولة . وسنحاول هنا أن نذكر ما وصل إلينا — حتى الآن — من معلومات عن هذه الأسرة العجيبة فى تاريخ الفراعنة .

زوجاته

الملكة « نفر تارى مرنموت » : كان « رعمسيس » قدتزوج من الملكة «نفرتارى » فى السنة الأولى من حكمه المنفرد كما يظهر هذا فى قبر «نب وننف»[١] الكاهن الأوّل للإله « آمون » فى عهد « رعمسيس الثانى » .

غير أننا لا نعرف إلى أى سنة من سنى حكمه عاشت هذه الملكة لأننا لم نرها تظهر على تماثيل « رعمسيس » المؤرّخة بأواخر سنيه . وإن كانت تظهر فى نقوش معبد «بوسمبل» بصورة بارزة كما أشرنا إلى ذلك من قبل . ومن أولادها، خلافا



(الملكة «نفرتارى» على تمثال «لرعمسيس الثانى»)

(١) راجع : A. Z., XLIV, p. 30-5

لما ذكرنا من قبل : «سيتى» الابن التاسع بين أولاد « رعمسيس »، وآخر يدعى « انبو إررخو » . وتلقب على آثار معبد « أبو سمبل » بكاهنة الإلهة « حتحور » والإلهة « موت » والإلهة « عنقت » كما كانت تحمل لقب الأميرة وارثة الجنوب والشمال ، أى أنها كانت وارثة عرش الملك ، وقد مثلت على تماثيل «رعمسيس» الضخمة فى معبد « بوسمبل » وفى معبد « الأقصر » كذلك على تمثاله الفذ الموجود فى «تورين» وهو المنحوت فى الجرانيت الأسود ، ويوجد لها كذلك تمثال جميل من الجرانيت فى متحف « الفاتيكان » غير أنه مما يؤسف له قد أعيد صنعه .

ونقرأ لهذه الملكة خطابا أرسلته فى السنة الحادية والعشرين لملكة « خيتا » (ذكرناه فيما سبق) ، وقبرها يوجد بالقرب من دير المدينة فى الجهة الغربية من « طيبة » فى المكان المعروف الآن باسم « بيبان الحريم » عند العامة ، وقد كشف عنه وعن غيره من مقابر الملكات والأمراء الأثرى « شاباريللى » الإيطالى حوالى ١٩٠٣ — ١٩٠٥ م ، ومعظم هذه المقابر يرجع عهدها إلى الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين، ويمتاز قبر «نفرتارى» زوجة «رعمسيس الثانى» عن باقى قبور الملكات فى ترتيبه وتنسيقه ، ويلاحظ أن معظم القبور فى هذه الجهة قد زينت جدرانها بالتصوير على طبقة من الطين ثبتت على الجدران، والصور التى نقشت على جدران قبرها تعدّ من أجمل ما أخرجته يد المفتن المصرى فى هذا النوع من التصوير وإن كان بعضه قد طغت عليه الرطوبة والزمن وتساقط . وصور الملكة تلفت النظر بوجه خاص لرشاقتها كما أن سقف المقبرة يمثل القبة الزرقاء وما فيها من نجوم لامعة ، ويصل الإنسان إلى حجرة الدفن بوساطة سلم فيقابله أولا قاعة فيها منضدة ليوضع عليها القربان ، وعلى جدران القاعة نقوش دينية من الفصل السابع عشر من كتاب الموتى، ويصحبه صورة الملكة ممثلة جالسة تحت قبة تلعب النرد، كما يشاهد روحها ممثلا فى صورة طائر له رأس إنسان يرفرف بجانبها، ثم نشاهد الملكة راكعة تتعبد

---

(١) راجع : Baedeker's Egypt (1929) p. 344

للشمس التي يحملها أسدان كما يشاهد الإله «تحوت» فى صورة الطائر مالك الحزين، والمومية محمولة على سرير جنازى ، وكذلك توجد آلهة مصوّرة على الجدران .

وعلى الجدار الذى على يمين القاعة نشاهد الملكة أمام الإله « أوزير » إله الآخرة، كما نشاهدها متعبدة لإله الشمس « حوراختى » و إلهة الغرب . وفى منظر آخر نشاهد الإلهة « إزيس » تقودها أمام الإله « خبر » (إله الشمس) الممثل برأس جعل . وفى الحجرة الجانبية نشاهد الإله « خنوم » تصحبه كل من الإلهتين « إزيس » و«نفتيس» كما ترى الملكة تتعبد للعجل المقدّس وللبقرات السبع الإلهية . وفى منظر آخر تقدّم الملكة أدوات الكتابة للإله « تحوت » ، وتقدّم الأضاحى للإله « بتاح » ، وعلى الجدران الجانبية للسلم المؤدّى للحجرة الثانية نشاهد الملكة فى حضرة آلهة مختلفة ، كما نشاهد « إزيس » و « نفتيس » راكعتين فى حزن، كما نشاهد على عتب الباب إلهة العدل فى صورة طائر ناشر جناحيه، ثم نصل بعد ذلك إلى حجرة الدفن، وهى مقامة على أربعة عمد ، ومعظم صورها قد هشمت ، وفى وسطها تابوت الملكة « خاو » .

وهذه المقبرة تعدّ من أعجب وأفخم المقابر التى عثر عليها حتى الآن من هذا العصر الذى نحن بصدده، ومن أجل ذلك قد فصلنا فيها القول بعض الشيء لنعطى صورة عن المناظر الجنازية الشائعة وقتئذ .

أما باقى الآثار التى ذكرت عليها هذه الملكة فقد ذكرناها فى مناسباتها فى أثناء الكلام عن تاريخ « رعمسيس الثانى » وآثاره .

وفى متحف « بروكسل » توجد قطعة من تمثال لهذه الملكة نقش عليها بعض ألقاب نادرة الوجود تشبه ألقاب الملكة «سات رع» أم الفرعون «سيتى الأوّل» وهى : "الأميرة الممدوحة كثيرا ، سيدة الرشاقة ، وراحة الحب ، ووارثة الوجه القبلى والوجه البحرى ، وماهرة اليدين فى الضرب بالصاجات ، والحلوة الحديث والغناء ، زوجة الملك العظيمة ومحبوبته ، وزوجة الثور القوى « نفرتارى مرنموت » العائشة مثل الشمس أبديا" . ولا نزاع فى أن بعض هذه الألقاب تشير

إلى الدور الذى كانت تلعبه هـذه الملكة بوصفها زوج الإله فى الأحفال الدينية (١) ، وقد رسم على هذه القطعة معها ابنها « مرى آمون» ابن « رعمسيس الثانى» ولقب بكر أولاد الفرعون (٢) .

الملكة « است نفرت » : قد يلاحظ كثيرا فيما يكتبه المؤرخون أن الملكة «نفرتارى» كانت هى الزوجة الأولى الرئيسية للفرعون «رعمسيس الثانى» ، وبخاصة أنها هى التى راسلت ملكة «خيتا» عندما كتبت إليها كتابا تسألها فيه عن أحوالها وترجو لها السلامة غير أن بعض المؤرخين الذين خصوا الموضوع عن كثب ، قد وضعوا أمامنا حقيقة هامة تستدعى الفحص من جديد وهى أن «است نفرت» كانت أم الأمراء الذين كان لهم حق وراثة العرش . ونجد فى «كتاب الملوك» الذى كتبه «جوتييه» الآثار الخاصة بهذه الملكة ، وكذلك عدّد المستر « بتلر» فى كتابه (ملكات مصر) (٤) أولاد هذه الملكة وهم : « رعمسيس » الابن الثانى للفرعون ، و «خعموا ست» الابن الرابع والوارث للعرش حتى مماته فى السنة الخامسة والخمسين من حكم والده ، ثم «مرنبتاح» الابن الثالث عشر وخليفة والده على العرش ، وأخيرا « بنت عنتا » كبرى بنات الفرعون وزوجه فى آن واحد ، وكذلك نجد أن « الأثرية » « مس مرى » عنـد بحثها وراثة العرش فى عهـد الأسرة التاسعة عشرة (٥) لم تتردّد فى جعل «است نفرت» الزوجة الرئيسية « لرعمسيس الثانى » ، ولكن « كيث سلى » يرى فى بحثه الأخير عن وراثة العرش أن « نفرتارى» كانت هى الزوجة الأولى كما ذكرنا من قبل (راجع ص ٢٠٥) ، ويوجد فى متحف «بروكسل» كذلك جزء من تمثال صغير

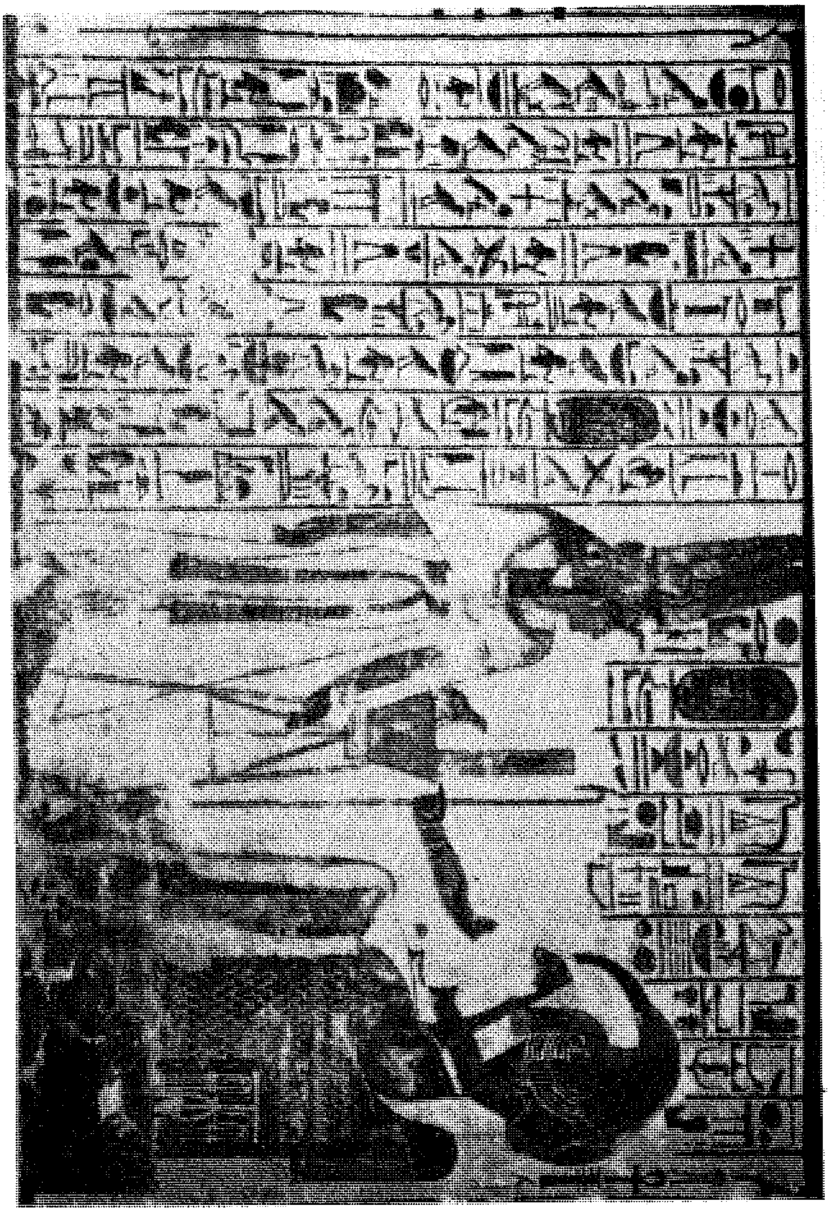
(١) راجع : Chronique d'Egypte No. 33 Janv. 1924 p. 74

(٢) راجع : Gauth. L. R. III, 96 - 97

(٣) راجع بعض آثار هذه الملكة فى Porter & Moss V, p. 74, 210, 217, 246

(٤) راجع : The Queens of Egypt pp. 151 ff.

(٥) راجع : Ancient Egypt (1925) pp. 100 - 104



(الملكة «نفرتاري» أمام الإله «تحوت»)

لهذه الملكة مع ابنها « خعموا ست » ، وقد بقى على هذا الأثر بعض نعوت لهذه الملكة تكاد تكون فريدة في بابها ، وهى على الجهة اليمنى : "وعندما تدخل فى المقر المزدوج فان قاعة الاستقبال فى القصر تضوع بشذا عبيرها . وإنها الحلوة الرائحة بجانب والدها الذى يبتهج عند رؤيتها ، والزوجة الملكية ..." وعلى الجهة اليسرى : "«حور» سيد القصر"، ثم يأتى بعد ذلك : "التى تملأ قاعة الجلسة بعبيرها ، وهى المنقطعة النظير بعطورها إذ تماثل بلاد «بونت» بشذا أعضائها ، الزوجة الملكية" . والواقع أن هذه النعوت النسوية الدالة على طيب العبير وما يضوع منها من شذا العطور لم توصف به ملكة من قبل (Chronique Ibid. p. 76) .

الملكة « مات نفرو رع » : كانت الملكة « مات نفرو رع » كبرى بنات ملك « خيتا » ، وقد أطلق عليها « رعمسيس الثانى » هذا الاسم عندما بنى بها كما سبق شرحه ، وقد مثلها « رعمسيس » بصحبة والدها على اللوحة التذكارية التى نحتها تخليدا لهذا الزواج فى معبد «بوسمبل» كما مثلها معه على أحد التماثيل الضخمة فى « تانيس » ومعها بكر أولادها وهو « آمون حر خبشف » الذى نجده مذكورا فى القوائم الثلاث الهامة التى جاء عليها ذكر أولاد « رعمسيس الثانى » وهى : قائمة « الرمسيوم » ، وقائمة « الكرنك » ، ثم قائمة « الدر » كما جاء ذكرها على لوحة صغيرة عثر عليها فى « تل اليهودية » (١) .

الملكة « توى » : وجد هذا الاسم على قطعة من تمثال ضخم من الرمسيوم فى طغراء ، ويقول عنه « كارتر » إنه اسم إحدى نساء « رعمسيس الثانى » (٢) .

أولاد « رعمسيس الثانى » الذكور : يعترض المؤرخ صعوبات جمة عندما يريد فحص أولاد « رعمسيس » الذكور ويرتبهم ترتيبا تاريخيا ، فعلى حسب نظرية الأستاذ « سلى » يكون « رعمسيس » قد أنجب فى أول حياته ولدين ، وهما : الأمير «آمون حر ونمف» ، ثم الأمير « خعمواست » وأنهما ماتا

(١) راجع : Petrie. History of Egypt III, p. 35, 83
(٢) راجع : A. S. II, 194

فى طفولتهما كما تثبته النقوش التى على معبد « بيت الوالى » ، ويقول إنه قد أنجبهما من الملكة «نفرتارى» ، أما الابن المسمى «خعمواست الثانى» الذى نجده مذكورا فى كثير من آثار والده فهو ابن الملكة « إست نفرت » (١) .

وقد كان ابن « رعمسيس » المسمى «آمون حرو نمف » يعدّ الوارث للعرش . وقد أراد « بترى » أن يوحده بالأمير « آمون حرخبشف » (٢) وأن يجعله ابن الملكة «است نفرت» ، ولكن الواقع أنه ابن آخر لهذا الفرعون . أما ما يعترض به « بترى » من استحالة وجود ولدين بكرين للفرعون فأمر جائز فى النقوش المصرية وبخاصة عندما يكون للملك أكثر من زوجة واحدة وأنجب من كل منهنّ ولدا بكرا .

ولدينا لأولاد هذا الفرعون ثلاث قوائم هامة كما ذكرنا . هذا بالإضافة إلى ما جاء من الأسماء على التماثيل المختلفة والمناظر التى على جدران المعابد ، وسنحاول هنا أن نعدّد أولاد الفرعون الذكور بقدر ما تسمح به الآثار التى فى متناولنا .

خلافا للأميرين « آمون حرو نمف » و « خعمواست » اللذين توفيا فى طفولتيهما نذكر ما يأتى :

(١) «آمون حرخبشف» : تدل النقوش التى لدينا عن هذا الأمير أنه قد اشترك مع والده فى موقعة «قادش» ، وكان يلقب كاتب الفرعون وقائد الجيش الأعلى ، إذ نشاهده فى مناظر مصوّرا على الجدار الجنوبى لقاعة العمد الكبرى « بالكرنك » مع والده مقدّما أسرى من الخيتيين لثالوث « طيبة » ، وهم من الذين أسروا فى موقعة « قادش » ، إذ نرى أربعة من أولاد الفرعون يسوق كل

(١) راجع : The Coregency of Ramses II with Seti I, p. 34 – 8

(٢) راجع : Petrie, Hist. III, p. 84

(٣) راجع : Champ. Notices Desc. II, 122, 132, & Brugsch Recueil Mon. I, pl. 29 & Br. A. R §. 350.

منهم صفا من الأسرى خلف والده ، وقد كان « آمون ـ رخبشف » المقدّم عليهم ، ويحمل لقب القائد الأعلى للجيش ، أما الثلاثة الآخرون وهم : « خعمواست » و « مرى آمون » و « سيتى » فكان كل منهم يحمل لقب ابن الملك فحسب ، وهذا دليل — على ما يظهر — على أنه كان أكبر أولاد الفرعون وقتئذ .

وكذلك نشاهد هذا الأمير وهو يهاجم العدوّ مع والده فى عربته فى مناظر معبد « أبو سمبل »[1] . كما نجده كذلك مصوّرا على تماثيل والده الضخمة فى معبدى « أبو سمبل » والكرنك . وعلى التمثال الجميل الموجود فى « تورين » كما ذكرنا من قبل (راجع ص) .

(٢) الأمير « رعمسسو » : هذا الأمير هو ابن الملكة « است نفرت » ونشاهده مصوّرا مع والدته وأخيه « خعمواست » فى مجموعة صغيرة « بمتحف اللوفر »[2] كما نشاهده مصوّرا مع والده « رعمسيس » وأسرته فى نقش على الصخور الواقعة على الطريق القديمة بالقرب من « أسوان » وقد لقب هنا بقائد الجيش[3] .

وفى متحف « فلورنس » توجد واجهة من مقبرة نقش عليها : "ابن الملك الأمير الوراثى والقائد الأعلى للجيش ومدير جلالته « رعمسسو »[4] " .

وقد وجد اسمه فى القوائم الثلاث السالفة الذكر كما نشاهده فى نقوش « أبو سمبل » يحارب بجانب والده وقد أهدى له تمثال بعد موته فى حياة أخيه « خعمواست » أهداه له ابن الأخير[5] .

وعثر له على تمثال « مجيب » فى معبد « السرابيوم » (مدافن العجل أبيس) مؤرّخ بالسنة السادسة والعشرين من حكم والده وهو لا يزال على قيد الحياة[6] .

(١) راجع : Champ. Monuments p. 14

(٢) راجع : Pierret. Louvre Catal. Historique 633

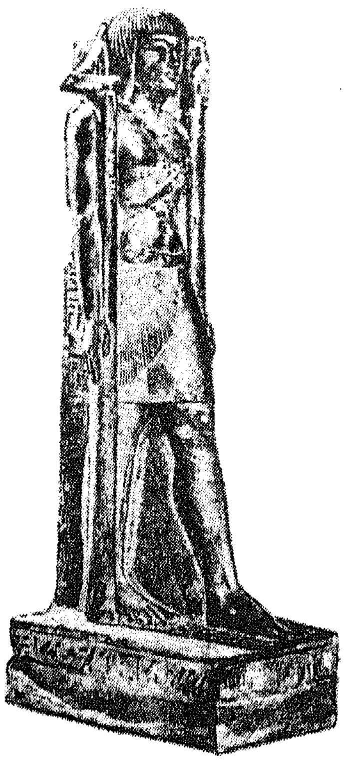
(٣) راجع : De Morgan. Cat. Mon. I, p. 41 (186)

(٤) راجع : Schiaparelli. Cat. Florence p. 332, 333

(٥) راجع : Brugsch Recueil I, V, 2 Col. 2; A. Z. XXIII, p. 80

(٦) راجع : Mariette Serapeum p. 13

(٣) الأمير «بارع حرامنف» : كان هـذا الأمير يحمـل لقب رئيس الرماة فى جيش والده كما نقرأ ذلك على لوحة صغيرة نقش عليها : "ابن الملك الذى وضعته الزوجة الملكيـة العظمى، ورئيس الرماة" (١) . ولذلك نشاهده فى منـاظر «أبو سمبل» الحربية يحارب إلى جانب والده فى عربته، كما وجد مصوّرا معه على تمثال فى نفس المعبد (٢) .



الأمـير «خعمواست» بن «رعمسيس الثانى»

(١) راجع : Newberry, Scarabs pl. XXXV, No. 20 p. 182

(٢) راجع : Petrie, Hist. III, p. 35

(٤) الأمير « خعمواست » : تدل الآثار التي وجدت لهذا الأمير على أنه كان أهم أولاد «رعمسيس الثانى» ، وبخاصة أن والده قد فكر فى السنة الثلاثين من حكمه بعد أن تخطى الخمسين فى أن يشركه معه فى إدارة الملك وهو على حسب قول « كيث سـلى » ثانى اثنين من أولاد هذا الفرعون بهـذا الاسم والأوّل قد توفى فى طفولتـه كما ذكرنا ، وقـد اختاره الفرعون ليكون وارثه على عرش البـلاد ، وهو ابن الملكة « است نفرت » كما قلنا ؛ كما تدل على ذلك النقوش التى فى « السلسلة » . وقـد شاهدنا من قبل أنه كان يكلف فى غالب الأحيـان بنحت النقوش التذكارية للأعياد الثلاثينية والاحتفال بهـا (راجع ص ٣٨٩) ، والظاهر أنه كان قـد عين الكاهن الأعظم للإله « بتـاح » وبذلك ضمن لنفسه دخل هذا الإله الذى كان يعدّ أغنى الآلهة بعد الإله « آمون » إله الامبراطورية الأعظم . ونجده يحمل هذا اللقب على عدّة آثار أهمها :

تمثال عثر عليه فى « سقارة » مهدى للعجل « أبيس »، ويشاهد فى نقوشه واقفا وممسكا بمحراب صغير مثل فيه العجل « أبيس » برأس إنسان وجسم عجـل ويحمل الألقاب التالية : الكاهن الأكبر (سم) للإله « بتاح »، ومطهر البيت العظيم، والكاهن « إيونموتف » (أى عمود أمه) ، ومدير الأرضين، ورئيس كل الفراء (لأن الكاهن سم كان يلبس جلد فهد)(١) .

وكذلك نجد هذا اللقب وغيره على جزء من تمثال وجد فى قرية «الشيخ مبارك» قبالة مدينة « المنيا »(٢) .

والظاهر أنه قد تقلد مهام هـذه الوظيفة فى السنة السادسة عشرة من حكم والده كما هو مدوّن على تمثال مجيب فى مقبرة العجل رقم ٢ ، وهذه التماثيل كانت تقوم بدلا منه فى أداء الأعمال الصعبة بمثابة خدّام للعجل «أبيس» ، وقد وجدت مثل هذه التماثيل باسمه كذلك فى مقبرة العجل رقم ٣ المؤرخة بالسنة السادسة والعشرين .

(١) راجع : A. S. XLI, p. 21 ff.

(٢) راجع : A. S., XVI, p. 255

وفى السنة الثلاثين لم نجد له فى مقبرة العجل الرابع تماثيل من هـذا النوع ، ولكن فى مقبرة العجل التاسع لقب بالكاهن الأعظم . ومن السنة الثلاثين حتى السنة الأربعين كان هو المشرف على الأعياد الثلاثينية كما أسلفنا ، وقد خلفه فى وظائفه هذه أخوه « مرنبتاح » (الذى أصبح فيما بعد الفرعون «مرنبتاح») فى السنة الخامسة والخمسين من حكم « رعمسيس » وهو الذى نشاهده يقوم بدور الكاهن الأعظم على لوحة العجل العاشر(١)، وهى السنة التى توفى فيها «خعمو است» .

وقد دفن الأمير « خعمو است » فى جبانة « الجيزة » حيث وجد قبره فى « كفر البطران »(٢) ، وقد عثر فى هذا القبر على تماثيله المجيبة كما عثر على بعضها فى معبد « السرابيوم »(٣) ، ومن الأشياء التى عثر عليها فى قبره كذلك آنية أحشاء(٤) . كما عثر على آنية أخرى لأحشاء العجل رقم ٣ قام بصنعها « خعمو است » . هذا إلى أنه دفن تعاويذ أخرى مع العجل السادس والعجل التاسع نقش عليها اسمه وألقابه . وقد وجدت حجرة دفن العجلين الثانى والثالث سليمة لم تمس بسوء مما أدهش كاشفها العظيم « مريت باشا » إذ عندما فتح التابوت الذى كان فيه العجل الثانى لم يجد فيه مومية العجل، بل وجد غطاء مجوّفا موضوعا على الأرض على مادة قطرانية تحتوى على كمية عظيمة من شظيات العظام ، كما وجد صدرية فخمة مصنوعة من الذهب المرصع بالأحجار الثمينة ، وكذلك ستة تماثيل مجيبة كل منها برأس ثور .

أما العجل الثالث فلم يوجد معه كذلك صندوق بل وجدت حفرة تحت الغطاء الذى كان يغطى كتلة من القطران مختلطة بشظايا عظام عديدة جدا ، ووجد معه كذلك

---

(١) راجع : Maspero, The Slruggle of the natiors p. 426.

(٢) راجع : Petrie Medum pl. XX.

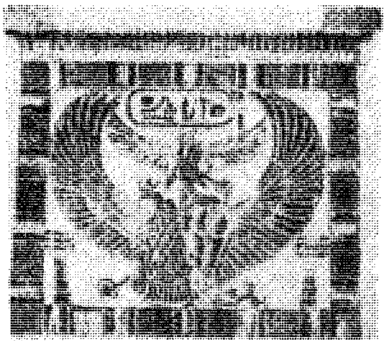
(٣) راجع : Mariette, Serapeum III, 10, 11, 13.

(٤) راجع : Mariette, Monuments Divers 36 d.

خمسة عشر تمثالا مجيبا ، كما وجدت تماثيل أخرى مجيبة باسم الأمراء «خعمو است» و « رعمسسو » و « حـوى » أمير « منف » و « سـوى » و « حات عا » و « بتاح نفر حر » كاتب « خعمو است » وكذلك لامرأتين تدعيان « قدت » و«حوى» هذا الى تعاويذ باسم «خعموا ست» وخمس صدريات للوزير «باسر» ، وكذلك صـدرية أخرى ونسر برأس ثور من الذهب الموصع ، وأوراق كثيرة من الذهب ، ومن البدهى إذن أن العجل لم يكن يحنط ، بل كان يؤكل لحمه تبركا كما كان يؤكل لحم كبش « طيبة » الذى يمثل الإله « آمون » .

وقد عثرله على تمثال محفوظ الآن «بالمتحف البريطانى» رقم ٩٤٧ (١)، ولما كانت النقوش التى على هـذا التمثال تثبت لنا بعض الشيء الشهرة الواسـعة التى نالها « خعمو است » فى عالم السحر فانا سنوردها هنا على الرغم مما بها من صعوبات لغوية جعلت فهم المتن من الصعوبة بمكان ، وكأن كاتبها أراد أن يجعلها طلسما سحريا ليتفق مع شهرة هذا الأمير فى هذا المضمار .

ويقال إن هذا التمثال الجميل عثر عليه فى « أسيوط » ، ولكنه فى الأصل كان منصوبا فى «العرابة» كما سنبين ذلك فيما بعد . ومادته من الظران (الصوان) المختلف



صدرية باسم « رعمسيس الثانى »

(١) راجع : Budge, Egyptian Sculptures in the British Museum pl. XXXVI, p. 170 & Studies Presented to Griffith p. 128 ff.

الألوان ، والتمثال قـد نقشت قاعدته من الجهات الأربع ، وكذلك نقش العمود المستطيل الذى يرتكز عليه من جانبيه ، كما نقشت العصوان اللتان كانا يمسك بهما فى يديه كالعلمين وهاك الترجمة :

العلم الذى فى اليـد اليمنى على "الإله الطيب ؛ رب الأرضين « وسر ماعت رع ستبن رع » محبوب التاسوعين اللذين فى العرابة " .

على العلم الذى فى اليد اليسرى : " ابن الشمس ، رب التيجان « رعمسيس » ، محبـوب « آمون » : محبوب « أوزير » ، رئيس الغرب (أى الأموات) " .

النقوش التى على القاعدة : " يا آمون ليتك تعطى النفس لابن الملك الكاهن سم « خعمواست » وهو ذلك النفس الحلو الذى فى أنفك ! وإن ابن الملك « خعمو است » صادق القول يتخذ مقعده على العرش العظيم الذى فى « هرموبوليس » (أرمنت الحاليـة) ابن الملك « خعمو است » يحرس بيضـة الصانع العظيم (الإله « آمون » فى صورة الأوزة) وكما أنها ثابتة فإن ابن الملك « خعمو است » ثابت بالعكس بالعكس ، وكما تعيش فإنه يعيش ، وكما أنها تستنشق الهواء فإنه كذلك يستنشق الهواء " .

النقوش التى على سطح القاعدة : " لقـد عمله ابن الملك « خعمو است » بمثـابة أثره وتمثاله لملايين السنين لأجل أن يبقى فى العرابة أبديا (؟؟) على دائرة (؟) رب الأبدية بمثابة مكان فاخر للقربان والمحل العظيم لأرض الصدق ، الإقليم المقدّس لتقديم الشكر للكائنات الممتازة (أو التماثيل) لأجل أن يفتح طريقه لهـذا الروح الممتاز الذى يأوى إلى المكان الذى فيه تمثـال أكبر أولاد الملك ومحبوبه الكاهن سم « خعمو است » .

النقوش التى على العمود الخلفى : " يا «أوزير» ، يا أكبر الآلهة ، ويا أفخر من سواه ، ليتك تشاهد ما يفعل ابن الملك الكاهن سم « خعمو است » ، لقد عمل على أن يجعلك عظيم الشكل وإنه يعيش بوساطتك يأيهـا الإله ، وإنك تعيش بوساطته ، ليتك تنصبه حاجبك الوحيـد ! وإنه حام يحوم حول الجبانة ، وواحد (أى قائد) يعرف طريق المرور (؟) ، وإنه قـد رفع « حدز » وجهى «نكن» (أى أوزير) وإنه قد قوى من ينام على نخذه (أى الميت) وقد ثبت «إى» و «سنح» وحمى «أشستانسا» (؟) . وإنه يفتح فم « سكر » نفسه ، وإنه قد خلق السحر فى فرج «نوت» ، وإنه يفتح المشيمة الملكية ، وإنه قد جعل حنجرتك تتنفس ، وإنه هو الذى يقبض على سواعد أعدائه كل يوم ، ليتـك تظهر بفخار بوساطته بمثابة رب «العرابة» بقدر ما تعطيه ثبـاتا وفلاحا وبقـاء فى معبدك لأنه ابنك وحاميك .

قربان يمنحه « أوزير » رئيس الغرب ... ... من ســواه رحم أمه فى أمان ونصر، فاتحوا فى السماء، وقويا على الأرض، والنجار الأول فى حماية سيده، ومن على رأس الأزميل ومن يفتح الطريق العظيم لاقليم « العرابة » حتى يثوى فى مكانها (؟) فى كل عيد ... ... قاعة الصدقين فى يوم حصر فضائل ابن الملك الكاهن «سم» الذى يقوم بدور « عمود أمه » « خعموا ست » " . (عمود أمه = لقب دهانة) .

ولا نزاع فى أن لغة هــذا المتن المعقدة تظهر أن كاتبها قــد قصد بها الغموض إذا ما قرنت بالمتــون الأخرى . ومن ثم نفهم أن صاحبها كان من كبار رجال اللغة والأمور الخفية مما جعلنا فى حيرة للوصول إلى كنه المتن، ومع ذلك يمكننا أن نفهم منــه ما يأتى على وجه التقريب ، فنعلم من مضمون المتن ومن العلمين اللذين كان يحملهما «خعموا ست» أن الأمير قد نصب تمثاله فى العرابة ويحتمل أن ذلك كان فى المعبد نفسه حيث كان يمكنه أن يتسلم نصيبه من القربان المقدّس، وعلى ذلك يكون المتن الأصلى خطابا موجها للإله « أوزير » الذى كان يعدّه «خعموا ست» حاميا له، غير أننا نلحظ فى صلاته له أنها لم تكن صادرة من شخص متواضع متضرع لإله ، بل كانت طلبا من ساحر عظيم يعدّ نفسه مساويا لإلهه، بل فى الواقع كان يعدّ نفسه أنه هو الذى عمل على فخاره ، وممــا يلفت النظر فى هذه المتون تعــدّد قوى «خعموا ست» العظيمة . حقا إن قائمة المخلوقات العجيبة التى ذكرها الساحر هنا لا نفهم منها شيئا كثيرا ولا يمكن تعريفها، غير أن العبارة التى جاءت فى المتن القائلة بأن « خعموا ست » يقوم بالاحتفال بفتح المشيمة الملكية لهــا أهمية عظيمة فقد كتبت عنها « مس مرى » مقالا (١) .

— ومهما يكن المعنى الأصــلى لهذا الحفل الخفى فإن « خعموا ست » يعدّ من الأشخاص الذين كانوا يحملون هــذا اللقب (الذى لا نعرف عنــه شيئا إلا فى عهد الدولة القديمة) فى عهد الأسرة التاسعة عشرة ، هــذا وكان أحب أولاد الفرعون إليه والكاهن الأكبر للإله « بتاح »، يضاف إلى ذلك أنه كان على اتصال وثيق

(١) راجع : Ancient Egypt (1930) p. 65 ff.

بوالده ، إذ كان هو الذى يقوم له بأحفال الأعياد الثلاثينية وغيرها من مهام الأمـور كما ذكرنا . وقـد عثرله على تمثـال آخر فى متحف « ڤينا » مـن الجرانيت[1] . (راجع A. Z. XVIII, p. 49) .

وهذا الأمير كان له شهرة عظيمة فى المسائل اللاهوتية الخفية وفى علم السحر، وقـد عزت إليـه التقاليد فى العصور المتأخرة تأليف عدّة كتب عن السحر تحوى إرشادات لاستدعاء الأرواح والعفاريت الخاصة بهـذا العالم و بعالم الآخرة، وقـد أصبح بطل قصة خرافية ذكر فيها عنه كيف أنه لمـا سرق من مومية إحدى السحرة كتب الإله « تحوت » أصبح فريسة غول تقمصه[1] .

وتدل شواهد الأحوال على أن « رعمسيس الثانى » قد خلص نفسه من أعباء الحكم عندما سلم مقاليد الأمور لابنه « خعموا ست » .

وقد كان أهم ما وجه « خعموا ست » إليه عنايته، هو أن يحافظ بكل دقة وأمانة على القوانين الدينية، فاحتفل بأعياد الفيضان فى جبل سلسلة فى السنة الثلاثين والرابعـة والثلاثين والسابعة والثلاثين ، وكذلك فى السنة الأربعين[2] كما أشرف على الاحتفالات بتأليه والده وهو العيد الثلاثينى كما ذكرنا .

وقد كان قبـل عهد « رعمسيس الثانى » يعبد العجل المقدّس الذى ينتسب للإله « بتاح » فى معبد خاص فى « منف »، وكان لا يزال موجودا حتى العصور المتأخرة، وكان هذا العجل يدعى «أبيس» وبعد موته أو ذبحه على رأى البعض كان يحنط مثل الآدميين ويدفن باحتفال عظيم فى الجبانة، ومنذ عهد «أمنحتب الثالث» كما ذكرنا آنفا كانت مدافن العجول « أبيس» تشمل حجرة نحتت فى الصخر تحت الأرض يصل الإنسان إليها بطريق منحدرة، وفوق هذا المدفن كانت تقام مقصورة أو محراب أطلق عليه اليونان اسم «السرابيوم» وكان لا يدفن فيها إلا عجل واحد، فلمـا جاء عهـد « رعمسيس الثـانى » وأصبحت مقاليـد الأمور فى يد الأمير

---

(١) راجع : Griffith. The Story of the High Priests of Memphis

(٢) راجع : The Struggle of the Nations p. 425 Note 5

«خمعواست» تحت جبانة شاسعة الأرجاء تتألف من حجـرة تحت الأرض يبلغ طولها نحو مائة ياردة فى عمق الصخر، وعلى كلا جانبى هذه الحجرة أعدّ لكل عجل حجرة دفن، وبعد الدفن كان البناءون يبنون الجدار ثانية، وقد تكلمنا فيما سبق عن العجول التى دفنت فى عهد هذا الأمير، وقد ظلت إدارة حكم البـلاد فى يده ما يقرب من ربع قرن من الزمان إلى أن توفى فى العام الخامس والخمسين من حكم والده، وقـد ترك لنا آثارا عدّة فى طول البلاد وعرضها (١)، وقدوصلنا تقرير وجه إليه بوصفه حاكم «منف» عن ستة من العبيد الهاربين (٢). والى هذا الأمير تنسب كل المجوهرات التى عثر عليها فى مدافن العجل «أبيس» بسقارة وهى التى نقلها مريت باشا الى بلاده مع كل آثار هذه العجول التى تعدّ بحق من أنفس ما تركه لنا قدماء المصريين وتعدّ بآلاف القطع.

(٥) الأمير «منتو حرشف» : ذكر اسم هذا الأمير فى القوائم الثلاثة الهامة التى ذكر عليها أولاد « رعمسيس » . والظاهر أنه كان على رأس الفرسان والعربات مع والده فى حصار « دابور » ومعه خمســة من إخوته (٣)، ويوجد جعل القلب الذى كان يوضع على صدر المومية باسمه بمتحف «برلين»، وكذلك عثرنا على صورة له فى « تل بسطة » مغتصبة (٤).

(٦) الأمير «نب انخاروا» : ذكر اسمــه فى القوائم الثـلاثة وفى حصار « دابور » (٥).

(٧) الأمير «مرى آمون» : اشترك مع والده فى حصار « دابور » كما ذكر فى قائمة « الرمسيوم » وكذلك فى الكرنك (٦).

(١) راجع : Wiedemann, Aegyptische Gesch. 464 ff.

(٢) راجع : Leyden: Aegyp. Monuments p. 179; Chabas Melanges Egypte I, 3.

(٣) راجع : L. D. III, 166; Br. A. R. III, 361

(٤) راجع : Naville, Bubastis p. 43

(٥) راجع : L. D. III, p. 168

(٦) راجع : Ibid, 168; Champ. Notices II, 123

(٨) الأمير «آمون مويا» : ذكر فى القائمتين السالفتين كما اشترك مع والده فى حصار « دابور » (راجع L. D. III, p. 166) .

(٩) الأمير «سيتى» : اشترك مع والده فى حصار « دابور » كما ذكر فى الكرنك وهو ابن الملكة « نفرتارى » وقد ظل على قيد الحياة حتى العام الثالث والخمسين من حكم والده غير أنه جاء ترتيبه العاشر فى قائمة الأقصر (١) .

(١٠) الأمير « ستبن رع » : اشترك مع والده فى حصار « دابور » كما جاء ذكره فى قائمة « الرمسيوم » وترتيبه التاسع فى قائمة الأقصر (٢) .

(١١) الأمير « رع مرى » : ذكر فى قائمة « الرمسيوم » وفى معبد « العرابة المدفونة » (٣) .

(١٢) الأمير « حرحرونمف » : ذكر هذا الأمير فى قائمتى «الرمسيوم» و « العرابة » (راجع L. D. III, p. 168) .

(١٣) الأمير « مرنبتاح » : ابن الملكة «است نفرت» ، وقد اختاره والده بعد وفاة « خعموا ست» فى العام الخامس والخمسين من حكمه ليكون وارثه على العرش ولذلك حمل كل الألقاب التى كان يحملها « خعموا ست » ، فكان يلقب الكاهن الأول للإله « بتاح » ورئيس الأرضين ، وكاتب الفرعون ، والقائد الأعلى للجيش مما سنفصل فيه القول فيما بعد (٤) . (راجع أيضا Petrie Hist. III, p. 36-7) .

ومما يلحظ أن معظم الآثار التى ذكر عليها كانت فى الدلتا ولم يذكر إلا مرة واحدة مع أسرته فى لوحة منحوتة فى صخور « أسوان » (٥) وكذلك على لوحة أخرى

---

(١) راجع : Rec. Trav. XVI, p. 31. & p. 65

(٢) راجع : Rec. Trav. Ibid. p. 31.

(٣) راجع : Mariette Abydos I, 4

(٤) راجع : Schiaparelli. Cat. Florence p. 430 ff.

(٥) راجع : De Morgan, Cat. Mon. I, p. 41 (182)

فى السلسلة حيث كان يحمل الألقاب السالفة الذكر بالإضافة إلى ابن الملك الكاهن « سم » من ظهره ومحبوبه[(١)] .

(١٤) الأمير « أمنحتب » : وقد جاء ذكره فى قائمة « الرمسيوم » (راجع L. D., III, 168) .

(١٥) الأمير « اتف آمون » : كذلك ذكر فى قائمة « الرمسيوم » وفى ورقة العبيد الموجودة فى « ليدن » السالفة الذكر . (راجع Lyden, Aegypt Mon. 179) .

(١٦) الأمير « مرى آتوم » : هذا الأمير يحمل لقب حامل المروحة على يمين الفرعون وكذلك لقب أكبر أولاد جلالته ، وقد نحت على جانب تمثال لوالدته الملكة « نفرتارى » عثر عليه فى « الأقصر » وهو موجود الآن « بمتحف بركسل»[(٢)] . وقد جاء اسمه فى قائمة « الرمسيوم »[(٣)] وكذلك فى « الأقصر »[(٤)] .

(١٧) الأمير « حبن تانب » : جاء ذكره فى قائمتى « الرمسيوم » و « الأقصر » .

(١٨) الأمير « مرى رع » : كذلك ذكر فى القائمتين السالفتين . وقد ذكر هذان الأميران الأخيران على تمثال فى معبد « أبو سمبل » (راجع Petrie Hist. III, p. 37) .

---

(١) راجع : L. D., Texte p. IV, 85

(٢) راجع : Chronique, D'Egypte No. 33 Jan. 1942 p. 75 fig. 3

(٣) راجع : L. D., III, 168

(٤) راجع : Rec. Trav. XIV, p. 31

(١٩) الأمير « امنأبت » : (٢٠) والأمير « سنختن آمون » . (٢١) والأمير « رعمسيس مرن رع » . (٢٢) والأمير « تحتمس » ذكروا جميعا فى قائمة « الرمسيوم » وفى قائمة العرابة[١] (L. D. III, 168) .

(٢٣) الأمير « سمنتو » : وهو آخر قائمة « الرمسيوم » ، وقد تزوج من امرأة تسمى «عريت» بنت ربان سفينة سورى يدعى «بنو عنتا» فى السنة الثانية والأربعين من حكم والده «رعمسيس» . وكذلك جاء ذكره على استراكون بمتحف « اللوفر » رقم ٢٢٦٢[٢] ، ويحتمل أنه قبل السنة الثانية والعشرين من حكم هذا الفرعون .

(٢٤) الأمير « ست حر خبشف » : جاء ذكره فى السنة الواحدة والخمسين من حكم والده غير أن مكانه غير معروف بالنسبة لإخوته[٣] .

(٢٥) الأمير « رعمسسو وسر بحتى » : جاء ذكره على لوحة صغيرة فى مجموعة جعارين فريزر[٤]، وترتيبه غير معروف كذلك بالنسبة لأسماء إخوته ، وكذلك ذكر على لوحة صغيرة أخرى فى مجموعة جعارين نيوبرى[٥] وقد كتب على هذه اللوحة ابن الملك من صلبه ومحبوبه « رعمسسو وسر بحتى » :

(٢٦) الأمير «أنوب أررخو» : هذا الأمير من أولاد الملكة «نفرتارى» وتمثاله بمتحف برلين رقم ٧٣٤٧ وترتيبه غير معروف .

(٢٧) الأمير « رعمسسو مرت ماعت رع » : وجد اسمه فى قائمة « معبد السبوعة »[٦] ، وكذلك فى قائمة العرابة ، وتنتهى قائمة السبوعة برقم ٧٩ .

---

(١) راجع : Mar. Abydos I, p. 4

(٢) راجع : Rec. Trav. XVI, p. 64

(٣) راجع : Ibid. p. 65

(٤) راجع : Fraser, Scarabs, 310

(٥) راجع : Newberry. pl. XXXV, No. 19 p. 182

(٦) راجع : L. D., III, p. 179; Mar. Abydos I, p. 4

ولدينا بعض أسماء من أبناء هــذا الفرعون وجدت متفرقة نخص بالذكر منها الأمير « وسرماعت رع » ، وجد رسمه على جانب تمثال صغير للفرعون « رعمسيس الثانى» فى خبيئة الكرنك[١] ، ويحمل الألقاب التالية : حامل المروحة على يمين الفرعون وكاتب الفرعون الحقيق ومحبوبه ، والبذرة المقدّسة الخارجة من الثور القوى ، ابن الملك من صلبه ومحبوبه ، والقائد الأعلى للجيش . وعلى الجانب الآخر من تمثال « رعمسيس » نشاهد صورة ملكة قد هشم طغراؤها ويظهر أنها للملكة « نفرتارى مرنموت » ، والظاهر أنها أم هذا الأمير .

ومن بين الأسماء التى لايعرف ترتيبها فى قائمة العرابة لتهشيمها ما يأتى : « رعمسسوسى آتوم » ، « ومنتوحقو » ، و « منتومواس » ، و « سيأمون » و « سبتاح » و « رعمسسو مرى » ... و « رعمسسوسى خبرى » وغير ذلك من الأسماء المهشمة . (راجع Mar. Abydos, I, 4) .

الأمير « رعمسس مرى - ست » : نقش اسم هــذا الأمير على عارضة موجودة الآن « بالمتحف المصرى »[٢] .

الأمير « بارع حر أمنف » : وجد اسم هذا الأمير على لوحة صغيرة ، وقد كتب عليها : " ابن الملك الذى وضعته الزوجة العظيمة ، رئيس الرماة « بارع حر أمنف »[٣] " .

بنات « رعمسيس الثانى » : وصلت إلينا بعض قوائم بأسماء بنات « رعمسيس الثانى » يظهر أنها رتبت على حسب سنهنّ ، هــذا إلى بعض الأسماء الأخرى التى نقشت على جدران المعابد ، وقد رسم معظمها مع الفرعون نفسه على تماثيله التى أقيمت فى المعابد ، أو على اللوحات التى أقامها فى مختلف جهات القطر ، وسنحاول هنا أن نذكر أهمهنّ على حسب ما وصلت إليه معلوماتنا .

(١) راجع : Legrain Stat. I, p. 4, 5 pl. II

(٢) راجع : Petrie Hist. III, p. 37

(٣) راجع : Newberry Scarabs pl. XXXV, No. 2 p. 182

الأميرة « بنت عنتا » : وتعدّ كبرى بنات الملك « رعمسيس الثانى » وأمها الملكة « است نفرت » وقد ظهرت معهـا فى منظر على صخور السلسلة[١] ، وكذلك فى نقش فى أسوان كما أنهـا كتبت على رأس قائمـة الأقصر . أما أهم الآثار التى وجدناها مصوّرة عليها فهى :

(١) عثر لها على تابوت من الجـرانيت الوردى فى هيئة جسم محنط ، وهذا التابوت كان فى الأصل لرجل ، غير أنه على ما يظهر اغتصبه « رعمسيس » لابنته « بنت عنتا »[٢] . وكانت « بنت عنتا » أوّل ابنـة من بناته تزوّج بهـا على الطريقة الفارسية القديمة وسميت الزوجة الملكية والابنة الملكية ، وقد ظهر اسمها ــ كما قلنا ــ فى قائمة الأقصر بين أسماء بنات «رعمسيس» وفى «بو سمبل»[٣] وعلى بردية أيضاً[٤] . هذا وقد ظهر اسمها مع زوجها أو مع أسرتها فى أماكن عدّة[٥] .

وقبر هذه الأميرة والملكة ، يوجد فى وادى مقابر الملكات « بطيبة الغربية[٦] » والمناظر التى فى قاعة هذه المقبرة نشاهد على جدرانها الملكة أمام الإله بتاح « سكر »



(صورة الأميرة « بنت عنتا » ابنة « رعمسيس الثانى » وزوجه)

(١) راجع : L. D. III, p. 174 e
(٢) راجع : Ibid p. 175 h
(٣) راجع : L. D. III, p. 186
(٤) راجع : Lepsuis Konigsbuch, XXII
(٥) راجع : Petrie Hist. III, p. 37
(٦) راجع : Porter & Moss I, p. 48; Gauthier L. R. III, pp. 102 - 3

والإلهة «حتحور» كما نشاهدها تقدم للاله «شو» بوساطة الإلهة «حتحور» ، وكذلك تقدّم للاله « أوزير » والإلهة « حتحور » ، كما ترى فى منظر آخر تقدّم القربان للاله « بتاح » ، وكذلك للاله « خبرى » رب الوجود الذى يمثـل الشمس فى صـورة جعل ، وفى كل هذه المناظر كتب معها ألقابها . وفى الحجرة الأولى من هذا القبر نشاهد الملكة جالسة وأمامها الخبز، وفى القاعة الداخلية نشاهدها تتعبد للإله « نو » (الذى يمثل المـاء الأزلى) كما ترى مع أميرة تتعبـد للإله « أوزير » فى حين أن الأميرة كانت تتعبد للإلهة « نفتيس » وفى منظر آخر كانت تتعبد لكليهما .

على أن ما يلفت النظر فى قبر هـذه الأميرة والملكة العظيمة، ما نشاهـده من اغتصاب « رعمسيس » تابوت رجل عادى لزوجة ملكية كريمة عزيزة عليـه . هذا على الرغم من أنها كبرى بناته . ولذلك يخيل لى أن هذا الاغتصاب من جانب الملوك كان شيئا عاديا بل ربما كان شيئا محببا، ولعل السبب الذى دعا «رعمسيس» إلى ذلك هو أنّ موارد ثروته فى أواخر حكمه قد قلت، وهذا شىء ملحوظ فى مبانيه التى كانت كثيرة فى بادئ حكمه ثم أخذت تتضاءل فى آخر أيامه كما سنتحدث عن ذلك بعد .

ومما يلحظ فى قوائم أسماء بنات «رعمسيس الثانى» أنهنّ لم يكنّ يلقبن بنات ملك فحسب ، بل كانت كل واحدة منهنّ لها وظيفة تقـوم بها فى المعـابد المصرية ولم تستثن واحدة منهنّ على حسب ما جاء فى قائمـة الأقصر ، وعلى رأس هـذه القائمة كانت الأميرة « بنت عنتا » تحمـل لقب كبيرة نساء الإله « آمون » وهـذا أسمى لقب كهانة كانت تحمله امرأة فى المعبد على ما يظهر

(٢) الأميرة الثانية : اسم هذه الأميرة على حسب قائمة « بوسمبل » وجد مهشما .[١]

(١) راجع : L. D. III, p. 168

(٣) الأميرة «باكموت» : ذكر اسمها فى قائمة «الدر»[١] .

(٤) الأميرة «مريت آمون» : وتعد فى قائمة «الأقصر» رابعة بنات «رعمسيس الثانى»[٢] وقد بنى بها والدها فكانت تلقب الزوجة الملكية العظمى وسيدة الأرضين ، وقبر هذه الملكة فى «وادى الملكات» ، وقد نقش عليه كل ألقابها بوصفها زوج الفرعون العظمى ، ونشاهدها فى قاعة هذا القبر تتعبد للاله «أوزير» والإلهة «حتحور» كما ترى مقدمة القربان للاله «بتاح سكر أوزير» وكذلك للالهين «خنوم» و «حتحور» وتابوتها محفوظ الآن «بمتحف تورين» وقد نقش عليه اسمها وألقابها[٤] .

وقد ظهرت فى منظر على جدارن معبد «بو سمبل» وعلى أحد التماثيل كما صورت على تمثال فى «تانيس» ووجد لها جعارين باسمها[٥] .



الأميرة «مريت آمون» بنت «رعمسيس» وزوجه

(١) راجع : L. D. III, p. 184
(٢) راجع : Rec. Trav. XVI, p. 32
(٣) راجع : L. D. III, p. 174
(٤) راجع : Porter & Moss I, p. 47 No. 68
(٥) راجع : Lepsius Konigsbuch, XXII

(٥) الأميرة « بيكاى » : وقد وجد اسمها مع أخرى مهشمة فى قائمة « الأقصر »(١) .

(٦) الأميرة « نفرتارى » : ذكر اسمها فى قائمة « بو سمبل »(٢) .

(٧) الأميرة « نبت تاوى » : ظهرت مع الفرعون على أحد تماثيله الضخمة فى معبد « بو سمبل » كما ذكرنا من قبل كما جاء اسمها فى قائمة معبد « الدر »(٣) .

وقد كانت تدعى الزوجة الملكية العظمى ، لذلك يحتمل أنها تزوجت من والدها « رعمسيس الثانى » كما يظن كذلك أنها تزوجت بعد ذلك أو قبل ذلك من أحد أفراد الشعب لأن ابنتها « استماخ » لم تدع ابنة ملك(٤) .

ولا بدّ أنها كانت قد تجاوزت الأربعين من عمرها عند موت « رعمسيس الثانى » ، ولا يظنّ أنها قد تزوجت وقتئذ ، ويقول الأستاذ « بترى » : إنها إما أن تكون قد تزوجت من أحد الرعايا بعد موت الملك ، أو أن الخرزة المنسوبة إلى « استماخ » تشير إلى الأميرة « نبتا » بنت « أمنحتب الثالث » (راجع Petrie History III, p. 89) .

وقبر هذه الأميرة فى «وادى الملكات»(٥) . ونشاهدها على جدران قاعة هذا القبر وهى تقدّم القربان لصورة «ماعت» كما نشاهدها فى القاعة الداخلية وهى تتعبد للإله « جب » وكذلك للإله « حوراختى » .

(٨) الأميرة « إست نفرت » : هذه الأميرة تزوجت من أخيها « مرنبتاح » الذى أصبح فيما بعد ملكا على مصر بعد والده « رعمسيس الثانى » وقد وجد اسمها فى قوائم « الدر » و « بو سمبل » و « الأقصر »(٦) .

(١) راجع : Rec. Trav. XVI, p. 32

(٢) راجع : L. D. III, p. 186

(٣) راجع : L. D. III, p. 184

(٤) راجع : Rec. Trav. XI, p. 81

(٥) راجع : Gauth. L. R. III, p. 106; Porter & Moss I, p. 45

(٦) راجع : Champ. Monuments 114, 121

(٩) الأميرة « حنت تاوى » : وجدت صورتها على تمثال « رعمسيس الثانى » فى معبد « بو سمبل »(١) كما جاء ذكرها فى قائمة « الدر »(٢) وكتب اسمها على خرزة من الكرنلين (أو حجر الدم) وجدت فى معبد « السرابيوم »(٣) .

(١٠، ١١) الأميرتان « ورنرو » و « ونزموت » : ذكرتا فى قائمتى « الدر » و « بو سمبل »(٤) .

وذكر « بترى » أسماء أخرى كثيرة من بنات هذا الفرعون(٥) .

والواقع أنه لا يمكن حصر أسماء أولاد « رعمسيس الثانى » الذكور أو الإناث على وجه التأكيد لأن هذه القوائم التى وصلت إلينا كتبت فى تواريخ مختلفة من حياته ، وليس لدينا قائمة كاملة من أواخر حكمه يمكننا أن نعرف منها حقيقة عدد أفراد أسرته .

الموظفون والحياة الاجتماعية والدينية فى عهد «رعمسيس الثانى»:

كان عهد «رعمسيس الثانى» الطويل حافلا بجلائل الأعمال التى تمت فى أثناء حكمه، ولا غرابة إذا أن نجده قد استخدم فى إنجاز أعماله والقيام بمهام الحكم فى مختلف نواحى البلاد عددا عظيما من كبار رجال الدولة الذين امتازوا بمهارتهم وطول باعهم فى مختلف الأعمال . ولسنا مبالغين إذا قررنا هنا أنه استخدم مدة

(١) راجع : Baedeker's Egypt p. 377

(٢) راجع : L. D. III, p. 184

(٣) راجع : Pierret. Louvre Catalogue Sall. Historique 547

(٤) راجع : L. D., III, 184 - 6

(٥) راجع : Petrie History III, p. 38 نذكرمنهن على حسب الترتيب : (١٣) « حتحور بنتأنت » ، (١٤) « رنبت نفر » (١٥) « مرينسخت » (١٦) ... ... (راجع Rec. Trav. XVI, 32 (١٧) « موت تويا » (وقد وجد لها قطع من تمثال فى معبد أوزير بالعرابة (راجع Arundale & Boromi Gallery XXXIX) (١٨) « مرى بتاح » (١٩) « بارع رنبت نفر » (راجع Rec. Trav. XVI, p. 32) . وغير ذلك من الأسماء التى جاءت من غير ترتيب .

انفراده بالحكم عددا من الرجال فى وظائف الحكومة وفى المعابد أكثر من أى فرعون آخر فى التاريخ المصرى، وسيرى القارئ أن حياة هؤلاء الموظفين ستكشف لنا عن حياة القوم الاجتماعية والدينية والسياسية والصناعية فى كثير من الأمور التى لم يدونها لنا « رعمسيس » على جدران معابده الخاصة ولوحاته التى تركها لنا، إذ سنرى من بين هؤلاء الرجال من سيوضح لنا تاريخ حياته بصور من الحياة المصرية لم نكن نعرف عنها شيئا مما تركه لنا هذا الفرعون العظيم عن نفسه أو من اتصل به فى نقوشه الخاصة التى ملأ بها بلاد الوادى وممتلكاته فى آسيا .

ومما يؤسف له جد الأسف أن حياة بعض هؤلاء العظماء قد جاءت مبتورة ، فإن ما وصل إلينا منها قليل جدا ، ولكن الأمل فى ملء الفجوات فى تاريخ حياتهم عظيم ، لأن الكشوف الأثرية التى تظهر فى مصر الآن تجىء متلاحقة يجرى بعضها وراء بعض كل يوم، وتمدنا بالحقائق الجديدة عن تاريخ أولئك الرجال، كما تكشف لنا عن حياة غيرهم، مما لم نكن نعرف عنهم شيئا، أو نعرف أسماءهم فحسب .

والذى يلفت النظر فى هؤلاء الموظفين أنهم كانوا من أسر معروفة فى مصر وقد انحصرت الوظائف فيهم وبخاصة أسرة الكاهن الأكبر « وننفر » الذى كان يشغل وظيفة الكاهن الأول للإله «أوزير» «بالعرابة المدفونة» وأسرة هذا الكاهن قد ابتلع أفرادها ومن ينتمون إليهم كل وظائف الحكومة تقريبا فى عهد هذا الفرعون كما سنوضح ذلك بعد ، وتدل شواهد الأحوال على أن كثيرا من هذه الوظائف كان فى معظم الأحيان وراثيا فى أفراد الأسرة الواحدة مما يعضد رأى «هردوت» بعض الشىء عندما قال : " إن الوظائف والحرف كانت وراثية فى مصر" . يضاف إلى ذلك أنه قد صوّرت أمامنا على مقابر هؤلاء الموظفين بعض الظواهر الجديدة، التى لم نألفها فى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، كما اختفت مناظر أخرى مما كنا نشاهدها مصوّرة قبل عهد الرعامسة ، ولذلك لم نتردّد فى شرح مناظر كل مقبرة يبدو فيها شىء جديد كلما سنحت الفرصة ، على الرغم مما فيها من تطويل للقارئ المعتاد .

وزراء « رعمسيس الثانى »

الوزير « باسر » : كان « باسر » من كبار رجال الأسرة التاسعة عشرة الذين عاصروا كلا من الملك «سيتى الأوّل» وابنه « رعمسيس الثانى »، وقد ترك لنا آثارا عدّة فى طول البلاد وعرضها وأهمها قبره الذى نحته فى صخور « شيخ عبد القرنة » (رقم ١٠٦)(١) .

ومن النقوش التى تركها لنا هـذا الوزير نعـلم أن جدّه كان يدعى « تابايا » وجدّته تدعى « تاتويا » ووالده يسمى « نبنترو » (ترى) .

وقـد بلغ « باسر » أعلى مكانة فى وظائف الحكومة ، إذ كان رئيسا للوزراء فى عهد كل من « سيتى الأوّل » و « رعمسيس الثانى » ، وتدل الألقاب التى كان يحملها والده على أنه من أسرة عريقة فى خدمة الفراعنة ، فقد كان يحـمل الألقاب التاليـة : القاضى ، والكاهن الأكبر للإله آمون، والكاهن الأكبر للإله « بتاح » والمشرف على كهنة الوجهين القبـلى والبحرى، والأمير الوراثى، وحامل خاتم الوجه البحرى، والسمير الوحيد، ورئيس أسرار المحاكم الست، والكاهن الأوّل «لآمون» فى « عين شمس الجنوبية » (أرمنت) ، وكذلك كانت أمـه « مرى رع » تحمـل لقب رئيسة نساء « آمون » بالكرنك ورئيسة نساء « آمون بمنف » ومغنية « حتحور » سيدة « حتب » (مكان بالقرب من هليو بوليس) .

ألقاب « باسر » ونعوته : وعلى حسب ما جاء على آثار هـذا الوزير كان يحمل الألقاب التالية : الأمير الوراثى، ورئيس القضاة، ونائب «نخن» (الكاب)، وكاهن الإلهة « ماعت »، والكاهن والد الإله ومحبوبه، وعمدة المدينة والوزير ، والفم الذى يهـدئ كل الأرض ، والمعظـم لدى الفرعون، وحامـل المروحة على يمـين الفرعون ، والكاهن الأوّل للاله « آمـون » فى « عين شمس الجنوبيـة »

(١) راجع : Champ. Notices Desc. p. 520 ff; L. D. Texte III, 254

(أرمنت)، والكاهن الأول للالهة « وازيت » ، والكاهن الأول للالهة « ورت حقاو » (أى العظيمة فى فن السحر وهو لقب يطلق على الإلهة « إزيس » أو الإلهة « بوتو » أى « وازيت ») . ورئيس أسرار بيت الإلهة « نيت » ، وحاجب الفرعون لصورته المقدّسة (؟) ، ومهدئ قلب الأرضين لمليكه ، وأذنا ملك الوجه القبلى فى قصره ، ورئيس التشريفاتية العظيم لرب الأرضين، والمشرف على الأعمال فى بيت الأبدية (الجبانة) ، والأمير الوراثى فى بيت « جب » ، وعينا الملك فى الأرض قاطبة ، ومن يدخل فى حضرة ملك الوجه البحرى ، ومن يسر قلب رب الأرضين ، والعظيم فى بيت الفرعون ، ومن يتقدّم الأمراء فى القصر، ومن يقال له ما فى القلب (أى قلب الفرعون) ، ومن لا يخفى عليه شيء، ومن يسر أذنى « حور » بالعدالة ، والذى يخرج من فمه ما يهدئ، ورئيس تشريفاتية رب الأرضين ، وقائد أعياد « آمون » ، وأوّل سمار القصر، ووزير العدل ، وكاتب الفرعون الحقيق ومحبوبه ، ومدير أعمال الآثار العظيمة ، ومدير المديرين لكل بيوت صناعات الفرعون ، وعظيم الحكام العشرة للوجه القبلى ، وحاكم « بات » (العدالة) فى معبد الإلهة « سخمت » (القاضى)، والمشرف على كل الخزانات المالية الملكية ، ومن يثبت الحدود ، وقائد الشعب ، والقاضى الراجح العقل، والمشرف على البيت العظيم ، ورئيس الأرض قاطبة ، والصادق مثل « تحوت » والمشرف على المحاكم الست العظيمة (١) .

ومما يلفت النظر فى هذه الألقاب لقب «الكاهن الأوّل للإله آمون» فى «عين شمس الجنوبية » (أى أرمنت)، فقد وجد على قطعة من لوحة محفوظة الآن « بمتحف الفاتيكان » وعليها النقش التالى : " الأمير الوراثى ، والكاهن والد الإله ، وعمدة المدينة « باسر» الكاهن الأوّل « لآمون » فى « إيون » " ؟ .

(١) راجع : Weil, Die Viziere pp. 89 - 92; Rec. Trav. XIV, pp. 172 - 4

والظاهر من ذلك أن الوزير « باسر » كانت له علاقة بعبادة « آمــون » ، ولكن المقصود هنا كما هو الظاهر هو «آمون» إله «إيون الجنوبية» (أى أرمنت) لا «آمون» إله «الكرنك» . ويتساءل الأستاذ «ليفبر» عما إذا كان لقب الكاهن الأكبر « لآمون أرمنت » الذى وضـع على غير العادة خلف الاسم يخص الوزير « باسر » حقيقة أم لا، ثم يقول :

من الجائزأنه كان يوجد بين الاسم « باسر » واللقب (الكاهن الأوّل) لفظة «ابن» وعلى ذلك تكون العبارة " « باسر بن الكاهن الأوّل « لآمون أرمنت » ". والواقع أن « نبنترو » والد «باسر» كان الكاهن الأوّل «لآمون» فى «أرمنت» ، وهذا الرأى مقبول جدا، وبخاصة لأنه لا يوجد هذا اللقب على أى أثر من الآثار التى تركها لنا هذا الوزير[1]، ويجب هنا أن لا نخلط بين « باسر » هذا و « باسر » الكاهن الأوّل للإله « آمون »، الذى سنتكلم عنه فى مكانه .

وقبر هذا الوزير فى جبانة « شيخ عبد القرنة » ، ويحتوى على ردهة عظيمة عارية من النقوش ، وفوق مدخل الباب اسم الفرعون « سـيتى الأوّل » ولقبه ، ومتن يحتوى على أنشـودة للإله « رع » عند شروقه ينشـدها المتوفى ووالدته[2] . وفى قاعة هـذا القبر نرى على الجـدار الأيسر من المدخل منظرا فخما يمثـل الملك « سيتى الأوّل » فى محراب ، وأمام هذا المحراب « باسر » يقف مظهرا السرور، إذ كان يقلده اثنان عقدا أنعم به عليه الفرعون ، كما نجد فى هـذا القبر منظرا يمثل النحاتين والصياغ ، غير أنه مهشم ، ولدينا منظر آخر يمثل نجارين يعملون وصناع معادن وهم منهمكون فى أعمـالهم ، ولكن يلفت النظر هنا صورة مثالين معروفين فى نقوش هذا العصر، وهما الكاتب الأوّل «آمون وحسو»، فيرى وهو يلون وجه تمثال فى حين نشاهد المثال الآخر المسمى « حوى » يحضر التاج المزدوج، ويضعه على رأس « بو لهول » الذى يمثل هنا الملك « سيتى الأوّل »، وهذا المنظر نصادفه

(١) راجع : Lefebvre, Histoire des Grands Pretres pp. 136 - 137

(٢) راجع : Dumichen. Hist. Insch. II, pl. XLIII.

كثيرا فى هذا العهد عندما تصنع عدّة تماثيل عادية وتماثيل « بو لهول »، إذ تعمل التيجان على حدة ثم تثبت بالدسر والجص، وهذان المثالان «آمون وحسو» و«حوى» معروفان لنا من آثار أخرى (١) .

ومن المناظر الطريفة فى هذه القاعة صورة إلهة تتقمص شجرة (وتكون عادة الإلهة « حتحور » أو الإلهة « نوت ») وتبرز من قلب الشجرة لتقدّم الشراب للتوفى وزوجه ، (والشجرة شجرة الجميز) (راجع ص ١٧٠) .

كما يوجد منظر يمثل الإله «آتوم» فى سفينة الشمس، ومعه «سيتى الأوّل» يقدّم قربانا ، وأمام هذه السفينة نشاهد أرواح بلدة « پ » (أو « بوتو ») وبلدة « نخن » (الملوك الغابرين)، وتستند القاعة على سبعة عمد نقش على جوانبها صلوات للإله وألقاب « باسر » وألقاب « أوزير » .

ونشاهد المتوفى كذلك يتعبد للاله «منتو»، ويقدّم المديح للاله «سيتى» . ومن أهم ما يلفت النظر فى هذا القبر الصورة التى تمثل المتوفى يتعبد للملك « أمنحتب الأوّل » وأمه الملكة « أحمس نفرتارى» مقدّما البخور لها وقد رسما باللون الأسود علامة على أنهما قد توفيا وأصبحا مثل« أوزير »، وعلى نقوش العمود السابع نشاهد المتوفى يتعبد للملك «سيتى الأوّل» وقد كان مؤلها مدّة حياته أيضا كما ذكرنا آنفا ، وعلى العمود الأوّل نقرأ أنشودة للملك « رعمسيس الثانى » . أما القاعة الداخلية فى هذا القبر فنرى على جدرانها رسم نقل تمثال فى محراب غير أن المنظر هشم تماما (٢) .

ويوجد للوزير « باسر » آثار عدّة فى مختلف جهات القطر أهمها ما يأتى :

(١) المقصورة التى نحتها فى الباب الشمالى لمقصورة « حور محب » العظيمة المنحوتة فى صخور السلسلة ، ويشاهد على عتب هذه المقصورة منظر مزدوج مثل

(١) راجع : L. D. pl. 132 r.

(٢) راجع : Champ. Notices Desc. II, pp. 520 - 26 & Schiaparelli Funerali. p. 298 [XXV] b.

فيه أولا « باسر » يتعبد للآلهـة : « بتاح » ، و « تحوت » ، و « ماعت » ، وثانيا أمام « آمون رع » و « منتو » و « رع » والإلهة « نيت » ، وقد نقش على عارضتي البـاب متون قربان في أسفلها صورة « باسر » ، وعلى جدران المقصورة نفسها نقشت أناشيد ثلاثة للاله « رع » وفي أسفلها صورة « باسر »(١) .

وفي صخور السلسلة نقش « باسر » لوحة يشاهـد فيها يتعبد لطغراءين محيت نقوشهما ، وكذلك نجـد ثلاثة أسطر خلف « باسر »، ولكن دون أن يمس اسمه ولقبه بسوء ، والظاهر أن المقصود بالأذى في هذه الحالة كان الفرعون ، غير أننا لا نعرف من هو الملك هنا ، هل هو « سيتي الأول » أو «رعمسيس الثاني» ، لأن هذا الوزير قد عاصر كلا منهما . هذا إلى أننا لا نعرف السبب في كلتا الحالتين سواء أكان « سيتي » أم « رعمسيس » ابنه هو المقصود(٢) .

وفي « متحف بوسـتون » « بنيويورك » جزء من لوحة من الحجر الجـيري الأبيض، وقد مثل عليه منظر يظهر فيـه « باسر » يتبعه شخص آخر واقف خلف الفرعون « رعمسيس الثاني » الذي نشاهد الإلهة « حتحور » واقفة خلفه تحميه ، ويحمـل « باسر » في هـذه اللوحة الألقاب التاليـة : " حامل المروحة على يمين الفرعون، وعمدة المدينة، والوزير «باسر» المرحوم، ورئيس العمال في ... ... " . ولا شك في أن «باسر» هذا هو «باسر» الذي نحن بصدد الكلام عنه، وعليه يمكن أن نضيف هذا الأثر الذي نحن بصدده إلى آثاره الأخرى .

و بهذه المناسبة يجدر بنا أن نشير إلى وجود اسم « باسر » بين الوزراء وحكام بلاد النوبة في الدولة الحديثة . والواقع أن « فيـل » قد دوّن في كتابه عن وزراء مصر وزيرين بهذا الاسم، الأول في عهد الملك « آي »، والثاني في عهد «رعمسيس

---

(١) راجع : Champ. Notices Desc. II, p. 544; Porter & Moss V, p. 210.

(٢) راجع : De Morgan. Cat. Mon. I, 97, 173

الثانى » الذى نحن بصدده الآن ، وقد دوّن كذلك « ريزنر » عند كلامه على حكام بلاد النوبة نائبين لبلاد « كوش » بهذا الاسم ، الأول كان فى عهد الملك « آى » أو « حور محب » ، والثانى فى عهد « رعمسيس الثانى » .

ومن الواضح أن الوزير « باسر الأول » ، ونائب الملك « باسر الأول » موحدان وقد استق كل من « ريزنر » و « فيل » حجته من مصدر واحد وهو نقوش جبل الشمس [1] ، إذ أن كل الألقاب التى دوّنها كل منهما توجد هناك ، غير أن « فيل » قد حذف لقب المشرف على كل الأراضى الأجنبية (أو الجبلية للإله « آمون ») كما حذف « ريزنر » لقب «وزير العدل» ، ولكن من جهة أخرى يجب أن نفهم هنا أن الوزير « باسر الثانى» ليس هو بعينه «باسر الثانى» نائب الملك فى «كوش» وذلك لأن الأول هو ابن « نبنترو » على حين أن والد الآخر هو « منموسى » [2] .

وقد دل البحث الذى قام به الأستاذ « أنتس » [3] على أن الوزير « باسر » كان يحمل لقب «الكاهن الأكبر للإله آمون» فى «أرمنت» كما كان يحمل لقب الكاهن «سم» ، وأعظم الرائين فى «طيبة» ، والكاهن الأول للإله «آمون رع» ملك الآلهة ، وأنه ورث هذه الوظائف عن والده « نبنترو » وأن هذه الألقاب قد وجد بعضها فى نقوش قبره ، وعلى آثاره الأخرى ، هـذا فضلا عن أن بعض الوزراء السابقين كان يحمل هذه الألقاب مع بعض اختلافات بسيطة .

ومن الألقاب الهـامة التى لم تذكر بعد فى ألقاب هذا الوزير لقب «المشرف على كهنة كل الآلهة » فى الوجهين القبلى والبحرى ، وهذا اللقب نعرفه فى صورته المختصرة : المشرف على كهنة الوجهين القبلى والبحرى ، وكان يحمله والد « باسر » ؛ وقد ظنّ البعض أن هذه الوظيفة كان يشغلها الكهنة وغير الكهنة ، وأنها وظيفة

---

(١) راجع : L. D. III, 114, e, f, h. Corrected in L. D. Texte V, 179-180

(٢) راجع : J. E. A. Vol. XXI, p. 147-148

(٣) راجع : A. Z., 67, pp. 2 ff.

خاصة بإدارة الأطيان ، وأن حاملها يعدّ بمثـابة وزير الأوقاف الدينيـة ، غير أن البحوث دلت على أن هـذه الوظيفة فى أصلها كانت ذات علاقة وثيقـة بوظيفة الكاهن الأكبر للإله « آمون » فى الكرنك ، وقـد بقيت فى أيديهم ولم تخرج منها إلا فى حالة خاصة حتى عهد «أمنحتب الثالث» إذ نجد مثلا أن«رع موسى» وزير هذا الفرعون كان لا يحمل غير لقب وزير وحسب ، ولم تعد وظيفة «الكاهن الأكبر» لكهنة « آمون » (أى وزير الأوقاف) بعد إلى « طيبة » فى « الكرنك » ، بل نجدها حتى عهـد « سيتى الأول » ، كانـ يحملها الكاهن الأكبر « لآمون » فى « أرمنت » مدّة جيلين ، ولمـا تولى « باسر » الوزارة كان يحمل هذا اللقب ، وقد خلعه على خلفه الوزير « نفر رنبت » ، وفى نهـاية حكم « رعمسيس الثانى » عادت هـذه الوظيفة إلى « الكرنك » ، وكان أوّل من حملهـا « رومع روى » الذى ظل يشغلها حتى عهـد « سيتى الثـانى » ، وقد بقيت هناك حتى النصف الثانى من الأسرة العشرين[١] ، وقد حدّثتنـا الآثار عن ارتباط رئيس كهنة آمون بإدارة الأراضى الخـاصة بالمعابد منذ الارتباك الذى حدث من جراء تولى الملك بعد عهـد « تحتمس الأوّل » ، وقد بقى كذلك حتى شـعر « أمنحتب الثالث » بخطر الكهنة على أملاك الدولة ، فقـام لمحاربة " رؤسـاء كهنة « آمون » " ، واستمر النضال منـذ عهد « تحتمس الرابع » ، وبلغ أشدّه فى عهد « إخناتون » الذى قضى على الطائفة كلها ، وقد بقيت الحال على ذلك حتى أوائل الأسرة التاسعة عشرة عندما بدأ ردّ الفعل يظهر ، وأصبح رئيس الكهنة يحمل لقب وزير الأوقاف ثانية ، وقد استمرّت هذه الوظيفة فى أيديهم حتى أواخر العهد الفرعونى اللهم إلا فترة قصيرة جاءت فى عهد « رعمسيس الثالث » .

الوزير «نفر رنبت» : لم يعثر على قبر هذا الوزير حتى الآن غير أنه ترك لنا بعض آثار قليلة نقش عليها اسمه وأسماء أفراد أسرته ، والظاهر أن والده كان من

---

(١) راجع : A. Z., Ibid. p. 8

الطبقة الوسطى ، فكان يحمل لقب القاضى أو الوجيه (ساب) ، وكان يسمى كذلك «نفر رنبت» ، أما والدته فكانت تحمل اللقب العادى الذى كانت تلقب به كل سيدات الطبقة الوسطى ، وهو « ربة البيت » واسمها « كافيراياتى » وكانت زوجه تدعى « بيبو » وقد رزقت منه غلامين وأربع بنات ، أما هو فكان يحمل الألقاب العادية التى كان يحملها الوزير فى هذا العهد وغيرها من الألقاب العالية والنعوت السامية وهى :

الأمير الوراثى ، رئيس الأرضين ، والكاهن الأكبر للإله «بتاح» ، والكاهن « سم » ، والكاهن والد الإله ومحبوبه ، ورئيس القضاة ، ورئيس أسرار السماء والأرض والعالم السفلى ، ونائب « نخن » ، وكاهن الإلهة « ماعت » (العدالة) ، ومدير كل الفراء (ملابس الكهانة) ، والمشرف على كل كهنة الآلهة فى الوجهين القبلى والبحرى ، والمدير العظيم لكل عمال الإله « بتاح » (أى الكاهن الأعظم للإله « بتاح ») ، والحاكم ، وحامل المروحة على يمين الفرعون ، ورئيس أسرار بيت « جب » ، وكاهن أول أهل الغرب (أوزير) ، وعمدة المدينة ، والوزير « نفر رنبت » (١) .

ومن الآثار التى خلفها لنا هذا الوزير النقش الذى دونه على بوابة معبد «أرمنت» فى الجهة الشرقية من الباب ، وهذا النقش من الأهمية بمكان لأنه يحدد لنا الفترة التى كان يتولى فيها رئاسة الوزارة فى عهد هذا الفرعون كما يحدثنا عن بعض الأحفال بالأعياد الثلاثينية فى هذا البلد المقدس وقد تكلمنا عن هذه الأعياد الثلاثينية عند التحدث عن أعياد « رعمسيس الثانى » . وفى المقصورة العظيمة التى حفرها « حور محب » فى صخور السلسلة نجد منظرا على الجدران الخارجية نقشه «رعمسيس الثانى» ونرى فيه الوزير «نفر رنبت» يتبع سيده الذى كان يقدم صورة العدالة للإله « بتاح » فى محراب صغير وكذلك للاله « سبك » (٢) .

(١) راجع : Weil, Die Viziere des Pharaonen pp. 94 – 5

(٢) راجع : Rosellini, Mon. d. Culto XXXII (4)

وفى « الكاب » وجد له قطعة من الحجـر مبنية فى أساس المعبد داخل السور العظيم وقد جاء عليها النص التالى :

" « وسرماعت رع ستين رع » ابن الشمس محبوب «آمون» «رعمسيس الثانى» معطى الحياة أمر جلالته عمدة المدينة الوزير « نفررنبت » ... ... " والظاهر من هذا النقش أن الفرعون قد كلف هذا الوزير إما بإقامة مبنى فى هذه الجهة أو الاحتفال بأحد الأعياد الثلاثينيـة (١) .

ومما جاء فى نقوش الأعياد الثلاثينية التى وجدت فى «أرمنت» نعرف أن هذا الوزير كان من الوزراء الذين عاصروا « رعمسيس » فى آخر حياته .

الوزير«رع حتب» : كان الوزير «رع حتب» من وزراء الفرعون «رعمسيس الثانى» الذين لهم شهرة واسعة، ويدل ما لدينا من الآثار ، وبخاصة لوحته المحفوظة فى متحف «ميونخ» (٢) ولوحة أخرى عثر عليها فى « العرابة » (٣) على أن مقر وظيفته كان فى شرق الدلتـا فى عاصمة « رعمسيس » الجديدة المسماة (بررعمسيس) ، ولكن من جهـة أخرى وجدت له لوحة أخرى قيل إنهـا من « منف » ، ومنها نستنبط أن مقر وظيفته كان فى الأصل فى هذه العاصمة القديمة ثم انتقل فيما بعد إلى العاصمة الجـديدة .

ولقد ظل قبر هذا الوزير مجهولا إلى أن كشف عنه الأثريان «بترى» و «برانتن» فى بلدة « سدمنت » الواقعة عند مدخل مدينة « الفيوم » (٤) وقد بقى من هذا القبر حتى الآن بئران وعدد عظيم من الحجرات شكلها غير منتظم (٥) ، أما البناء الذى كان مقاما

---

(١) راجع : A. S., IX, p. 108

(٢) راجع : A. Z., 70 pp. 47 ff

(٣) راجع : Mariette Abydos No. 1138

(٤) راجع : Sedment II, 28 Tomb B, 201

(٥) راجع : Ibid. pl. 84

فوق حجر الدفن هذه فلم يبق منه شيء قط، وقد حفرت حجر الدفن إلى عمق يبلغ نحو خمسة أمتار ونصف متر تحت الأرض . وفى حجرة دفن هذا الوزير تابوتان متجاوران أحدهما للوزير «رع حتب» نفسه والثانى للوزير «بارع حتب» والظاهر كما يقول الأستاذ « شارف » أن مقر وظيفته كانت بلدة تسمى « بر رعمسيس » غير العاصمة وذلك لأن اسم « رعمسيس » فى تركيب اسم هـذه البلدة لم يكن محاطا بطغـراء بل كان محاطا برسم يعبر دائمـا عن الحصن وإن كان ذلك ليس ببرهان مقنـع ، وما وجدناه من نقوش يمكننا من إثبات الصلة التى بين الوزيرين بوضوح، فقـد وجدنا على لوحة العـرابة رقم ١١٣٨ أن أحد إخوة « رع حتب » كان يدعى « بارع حتب » غير أنه كان لا يحمـل لقب وزير، ومن جهة أخرى نجـد أن « بارع حتب » قد أقام لنفسه لوحة فى العرابة (رقم ١١٦٠) وقد ظهر فيها أمام « رع حتب » بوصفه متوفى ، هـذا إلى أننا نجد كلا الرجلين قـد ذكر اسمه على تمثال صغير عثر عليه « بترى » فى « العرابة » (١) . وهنا نجد أن « بارع حتب » كان قد أصبح إلها (أى توفى) أما «رع حتب» فلم يكن يحمل — على الأقل فى النقوش الباقية على التمثال بعد — لقب وزير، وكان لا يزال يعمل فى « منف » كما يدل على ذلك وجود اسم « بتـاح » إله هـذه البلدة فى كثير من النقوش الخاصة به ، ويجب أن ننوه هنا بأن الأثرى « لجران » لم يميز بين الرجلين، بل وحدهما فى بحثه فى نقوش هذه الأسرة، وتسلسل النسب فيها (٢) .

ومن أهم الآثار التى عثر عليها باسم هذا الوزير لوحة محفوظة الآن فى متحف « ميونخ » إذ تكشف لنـا عن صفحة شـيقة فى التقاليد الدينيـة وبخاصة عبادة « رعمسيس الثانى » لنفسه وعبادة الشعب له وهو لا يزال على قيد الحياة .

---

(١) راجع : Petrie, Abydos II, 45, pl. 37

(٢) راجع : Rec. Trav. 32, p. 35 ff.

وجزء هـذه اللوحة الأعلى مسـتدير، وينقسم سـطحها قسمين متساويين تقريبا، ففى القسم الأعلى نشاهد فرعونا يتقدّم وهو يطلق البخور ويصب المـاء نحو تمثال ملك أمامه مائدة قربان حافلة بألوان الطعام، ويشاهد خلف هذا التمثال أربع آذان ضخمة، وفى القسم الأسـفل من اللوحة نشاهد مهـدى اللوحة مرتديا لبـاس الوزارة الرسمى ورأسه عار كما جرت العادة فى عهد الدولة الحديثة، ويحمل هذا الوزير فى يده اليسرى مروحة ومنديلا، وينشد تضرعا مؤلفا من خمسة أسطر وهو متجه نحو التمثـال الموجود فى القسم الأعلى من اللوحة، وممـا يؤسف له أن أواخر الأسطر من هذا التضرع قد هشمت تهشيما تاما، ومع ذلك يمكننا أن نصل إلى فهم كنه محتويات هـذا التضرع بوجه عام وهاك ما تبقى : "الصلاة لروحك (أى تمثال الملك «رعمسيس») الإله الأكبر الذى يسمع ... (أو الذى يرفع التضرع) الرجال، ليته يعطى الحيـاة والفلاح والصحة والفطنة والمـديح و.. ... إلى الأمير الوراثى وحامل المروحة على يمين الفرعون، وعمدة المدينة، الوزير «رع حتب» ... فى « بررعمسيس » محبوب « آمون » ".

ونجد منقوشا على التمثال الذى فى القسم الأعلى ما يأتى : " «رعمسيس» حاكم الحكام، والإله الأكبر، وسيد السماء مخلدا ". وقد ظهر فى الصورة فى الجزء الأعلى ملك يخطو إلى الأمام، وفى الجهة الأخرى مائدة القربان؛ ونشاهد الفرعون « رعمسيس الثانى » لابسا قبعة الحرب وهو يقـدّم البخور ويصب المـاء لتمثاله وقد نقش فوق صورته اسمه ولقبه، وعلى يمينه قرص الشمس يتدلى منـه صلان وكذلك النقش التالى : " بحدتى الإله الأكبر ".

والواقع أن ما جاء على هذه اللوحة برهان على عبادة « رعمسيس الثانى » لنفسه بوصفه إلها فى مدّة حياته والحث على هذه العبادة فى صورة تمثاله كالتماثيل التى كانت تنحت للآلهة.

وبهذه المناسبة نضع أمام القارئ بعض الأمثلة عن صور التضرع للملك المؤله دون أن ندخل فى تفاصيل موضوع عبادة الملك « رعمسيس » بوصفه إلها وهو فى الواقع موضوع لا يزال يحتاج إلى إيضاحات كبيرة ، ومن المدهش أن الأستاذ « موريه » فى كتابه عن الملوك والآلهة لم يشر إلى هذا الموضوع إشارة صريحة .

(١) ففى معابد بلاد النوبة يظهر أمامنا « رعمسيس الثانى » نفسه مؤلها وهو فى كل حالة منها تكون صورته ممثلة كأى إله آخر غير أنه لم يظهر قط وهو مؤله فى صورة تمثال بل فى صورة إله ، فمثلا فى معبد « بوسمبل » نراه فى هيئة إله برأس صقر أى أنه فى هذه الحالة يمثل إله الشمس ، ويسمى «رعمسيس الإله الأكبر»[١]. وكذلك يظهر فى صورة إنسان ولكن على رأسه قرص الشمس ويسمى « رعمسيس الإله الأكبر رب السماء »[٢] ، وفى معبد « أكشه » ببلاد النوبة مثل فى صورة إنسان ولكن النقوش التى تتبعه تقول عنه « وسر ماعت رع ستبن رع الإله الأعظم رب النوبة »[٣] . أى أنه فى كل هذه الحالات كان يعدّ إلها خاصا لبلاد النوبة ، وعلى ذلك نفهم من كل الأمثلة التى ضربناها أنها تتناول العلاقة التى كانت بين « رعمسيس الثانى » الملك وبين صوره الخاصة بوصفه إلها .

(٢) والواقع أن الصور التى على لوحة « رع حتب » تقرب من الصور التى ذكرناها لأننا نشاهد هذا الوزير فى هذه اللوحة يتعبد « لرعمسيس » كما يتعبد أى موظف لأى إله ، وكما يتعبد كذلك لروح الملك (كا) غير أن الروح كان لا يرسم قط بل يستدل عليه من النقوش التى كانت تدوّن خلف الآلهة ، مثال ذلك ما نجده فى نقوش «السلسلة» فى تعبيرات صيغ القربان فيقال مثلا : "قربان يقدّمه الملك والإله

---

(١) راجع : L. D. III, 191 ff

(٢) راجع : L. D. III, 189 e

(٣) راجع : L. D. III, 191 n

«حور اختى» الخ ، والنيل والد الآلهة وروح الملك «مرنبتاح» حتى يمكنهم أن يعطوا الخ لفلان[١] " وكذلك نجد بالعكس أن الآلهة كان يتضرع إليهم ليهبوا إلى روح الملك الحياة[٢] . وفى مثل هــذه الحالة قد يخالج الإنسان الشك فيما إذا كان روح الملك هنا يمثل بكل بساطة الملك العائش أو أن الآلهة قد وهبوا الملك المؤله — فى صورة روح ملكى — الحياة الأبدية ، ولكن لدينــا نقش فى « السلسلة » يقرب من النقش الذى على لوحة « رع حتب » وهو على الجــدار الخارجى لمقصورة « حور محب » إذ نرى فى هذا المنظر وزيرا يصلى لروح الإله «بتاح» ، ولروح الملك « رعمسيس الثــانى » ويرى هنا الملك « رعمسيس الثــانى » واقفا بين الوزير المتضرع والإله «بتاح» ، ولكن هذا الإله الذى يصلى له الوزير قد ولاه ظهره وقد عرف الملك هنــا بأنه : " الإله الطيب ابن الإله « بتاح » « رعمسيس الثــانى » " وبذلك لم يكن يقوم بدور إله أو بدور الروح الملكى . والتفسير المعقول لهذا المنظر هو أن الوزير كان يوجه تضرعه بوساطة الروح الملكيــة إلى الإله « بتاح » ، وبهــذه الكيفية يصبح هذا التضرع له قيمته عندما ينقل الملك الحى للإله تضرع وزيره .

وعلى ذلك نعلم من هــذه المجموعة أن تمثال الملك المؤله كان يلعب دورا بجوار الملك الحى ، ولدينــا تمثال آخر يمكن الإدلاء به غير لوحة الوزير « رع حتب » وهو لوحة عثر عليها فى « هربيط » وهى فى نقوشها وتوزيع أشكالهــا تشبه لوحتنا وصاحبها يدعى « موسى »[٣] .

ومن ثم يمكننا أن نقــرر هنا أن الصــلاة التى على لوحة « رع حتب » كانت موجهــة للروح (كا) وللتمثال الملكى معا ، أى أن الروح يتقمص أو يسكن الملك المؤله . ولمــا كانت الصلاة التى على نقوش مقصورة « السلسلة » يوجهها الوزير

---

(١) راجع : L. D. III, 200 a

(٢) راجع : Ibid. 200. c

(٣) راجع : A. Z., 61, pp. 62 - 3

للفرعون لأجل أن يوصلها « بتاح » بدوره صار من المسلم به إذن أن الملك يقوم بالصلاة التى على اللوحة التى نحن بصددها للإله « بتاح » بوصفه المحامى عن الوزير المتضرع، مطلقا البخور لتمثال روحه هو (الملك)، ومن الجائز أن الآذان الأربع التى نشاهدها خلف التمثال آثنتان منها للملك واثنتان لتمثال الروح ، وعلى أية حال فان الأذن كان لها هنا نصيب فى رفع هـذا التضرع للإله . على أنه يمكن تفسير وقوف الملك أمام تمثال روحه بصورة أخرى، إذ قد يكون ما يتطلبه الوزير بتضرعاته فائدة مادية أو حظوة خاصة كما نشاهد ذلك فعـلا على لوحة « موسى » الآنفة الذكر . وعلى ذلك يمكن للانسان أن يفهم أن رفع التضرع كان ينفـذ بوساطة تمثال الروح المؤله وأن الملك كان يشترك فى إجابة تضرع الوزير ، ولذلك نجد أن تمثال الروح وصورة الملك قـد رسما فى القسم الأعلى من اللوحة كما شرحنا، وإذا نظرنا بعـين فاحصة وجدنا أن تقسيم اللوحة بهذه الكيفية قسمين له مدلوله المنطق المتناسق ، ففى القسم الأسفل من اللوحة من جهة اليمين نجد الوزير راكعا يقرأ التضرع لأذنى تمثال الروح، وفى أعلى اللوحة نشاهد صورة الملك الحى يحقق رجاء الوزير كما نشاهد مثل هذا على لوحة « موسى » .

ولدينا لهذا الوزير آثار أخرى وقفنا منها على ألقابه كلها وأسماء أسرته (١) .

وفى المتحف المصرى نجد له لوحة عدّد فى نقوشها كل الألقاب والنعوت التى كان يتحلى بها (٢)، وقد ظهر فى الجزء الأعلى من هذه اللوحة بملابس الوزير وفى إحدى يديه مروحة، أما الأخرى فقد رفعها تضرعا للإله «بتاح» الذى كان يقف أمامه، وخلف « بتاح » نشاهد الإله « ست » واقفا ، وهاك ألقابه كما جاءت على هذه اللوحة :

---

(١) راجع : Weil, Die Viziere p. 96 ff

(٢) راجع : Brugsch Thesaurus V, 950 - 1

الحاكم الوراثى، قائد العظماء، والوزير «رع حتب» المرحوم يقول : " انى وزير القطرين ، وباب قصر الفرعون ، والكاهن الأول ، والمشرف على الكهنة ، ومدير كل فراء (لقب كهنوتى) وأعظم الرائين ، والرئيس الأعظم للصناع ، والكاهن « سم » للإله « بتاح » ، ومدير عيد من يسكن جنوبى جداره (بتاح) ، والكاهن الأكبر للآلهة «وازيت» ، ورئيس التشريفات الأعظم لرب الأرضين ، ومدير الأعمال ، ومدير الحرف ، والمشرف على قوانين الإله الطيب (الملك) فى ساحة العدالة ، وفم الملك ، وحاجب ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ، ومن يسر جلالته فى قصره الفاخر ، ومن يرفع سبيل العدالة لجلالته ، والمقدم أمام كل الرجال ، وحاسب كل جزية فى الأرض قاطبة (أى المشرف على خزائن مصر) ، وعمدة المدينة ، والوزير « رع حتب » " .

ونجد كذلك على هذا التمثال وغيره من الآثار التى تركها لنا الألقاب التالية :

" رئيس الأرضين ، وصندوق العدالة ، وأعظم رجال المجلس الثلاثينى العظيم ، ورئيس أسرار بيت الفرعون ، ورئيس الأرض كلها ، ووزير الشعب (أهل الوجه البحرى) ووزير أهل الشمس (الإنسانية) ، ورئيس النحت لبيت « بتاح » ، ومن يسر قلب « حور » فى الأفق أبديا ، والكاهن الأول للاله «رع» ، ورئيس الفرعون لبلاد « خيتا »(١) ، وكاهن « آمون » ملك الآلهة ، ورئيس أسرار بيت «رع» ، وعينا ملك الوجه القبلى ، وأذنا ملك الوجه البحرى ، ومن يحمل ميزان الأرضين ، وفم الفرعون فى كل أرض أجنبية ، ومدير أعمال الفرعون للوجهين القبلى والبحرى ، والمدير لكفتى الأرضين ، وباب نوت (السماء) ، ومدير الأقاليم والمدن الخ " .

وتدل شواهد الأحوال على أن « رع حتب » هذا هو نفس الرجل الذى يوجد تمثاله فى « نورود سرى » بانجلترا وقد مثل جالسا على كرسيه ويحمل طغراء « رعمسيس الثانى » وهو من أسرة عريقة فى المجد وهاك أفراد أسرته وألقابهم .

(١) والده يدعى « باحم نتر » ويلقب الكاهن الأكبر للإله « بتاح » .

(٢) والدته تسمى «خعى نسوت» وتلقب رئيسة نساء الإله « أنحور » .

(٣) وأخته تسمى « حنورا » وتلقب رئيسة نساء الإله « حرشفى » .

(٤) وأخوه يسمى « منمسو » ويحمل لقب الكاهن الأول للإله « آمون » .

---

(١) راجع : Rénouf. P. S. B. A., XIV, p. 163

(٢) راجع : Ibid. 163

ويدل لقب رسول الفرعون لبلاد « خيتا » على أنه كان وزير الفرعون في السنة الحادية والعشرين من حكم « رعمسيس الثاني » .

الوزير « با – رع حتب » : كان « با رع حتب » من أسرة عريقة في النسب ، فقد كان والده « حورا » يلقب الوجيه ، والكاهن الأول للإله « أنحور » ، وكاهن الإلهة « ماعت » ، كما كانت والدته « معياني » تحمل لقب مغنية الإله « أوزير » ، ونعلم من الآثار التي خلفها لنا هذا الوزير أنه كان يدير زمام الأمور في البلاد بوصفه وزير القطرين في منتصف حكم « رعمسيس الثاني » ، ولدينا لوحة مؤرخة بالسنة الثانية والأربعين من حكم هذا الفرعون ، وقد ذكر عليها سلسلة نسب هذا الوزير وألقابه هي :

"عمدة المدينة ، والوزير ، والأمير الوراثي ، وحامل خاتم الوجه البحري ، والسمير الأكبر ، والوجيه ، والرئيس عند الفرعون ، ووزير الوجه القبلي والوجه البحري"(١) .

وقد عثر على قبر هذا الوزير ، وهو القبر الذي دفن فيه أخوه « رع حتب » في « سد منت » غير أن صلة النسب بينهما ليست معروفة تماما ، إذ أن كلا منهما من أب مختلف على حسب ما نعلم حتى الآن(٢) .

ولم يعثر في قبره إلا على بضع قطع من تابوته ، وبضع قطع من أواني الأحشاء كما وجدت له لوحة من البازلت ، وقاعدتا تمثالين ، وبعض نقوش . راجع كذلك ما كتبه لجران عن هذا الوزير(٣) ، حيث تجد تضاربا في المصادر والآراء .

الوزير « خعي » : يدل ما لدينا من نقوش على أن الوزير « خعي » كان يقوم بأعباء الوزارة في عهد « رعمسيس الثاني » منذ السنة الثلاثين حتى حوالى السنة الثانية والأربعين من حكم هذا الملك تقريبا كما يقول الأثري « لجران »(٤) .

(١) راجع : Weil Die Viziere pp. 99 - 101

(٢) راجع : Petrie & Brunton Sedment pp. 28 - 31, Plan id, ib. pl. XXXIV, Upper Left.

(٣) راجع : Rec. Trav. XXX II, p. 36

(٤) راجع : Legrain Stat. II, pp. 32, 33, pl. XXIX

وقد عثر على قبره فى معبد صغير للفرعون «رعمسيس الثالث» الواقع فى الجنوب الغربى من معبد الوادى للملكة «حتشبسوت»، غير أنه لم يبق منه سوى نتف صغيرة تدل على اسم صاحبه (١).

هذا ولدينا لوحة له ذكر عليها الأعياد الثلاثينية الأربعة الأولى للفرعون «رعمسيس الثانى»، وقد تكلمنا عنها عند الكلام على أعياد هذا الفرعون، وقد ظهر على هذه اللوحة الملك يقدّم الإلهة «ماعت» للآلهة «آمون رع»، و«حوراختى» و«ماعت» و«بتاح تتن» و«سبك»، وأسفل هذا المنظر نشاهد «خعى» راكعا وقد نقشت معه الألقاب التالية: "الأمير الوراثى، والحاكم، ووالد الإله ومحبوبه، ونائب «نخن»، وكاهن العدالة، ورئيس القضاة، وعمدة المدينة، والوزير (٢).

وكذلك لدينا لوحة مؤرّخة بالسنة الثانية والأربعين من حكم هذا الفرعون دوّن عليها العيد الثلاثينى لهذه السنة، وقد جاء فيها ذكر «خعى» وقد نقشت كذلك على مقصورة «حور محب» العظيمة «بالسلسلة» (٣).

وتوجد لوحة أخرى نقشت فى نفس المقصورة صوّر عليها «رعمسيس الثانى» تتبعه الإلهة «ماعت» ويقدّم صورة العدالة للإله «آمون رع» والإلهة «موت» والإله «خنسو» والإله «حوراختى» والإله «سبك رع»، وقد أرّخت بالسنة الرابعة والأربعين (ويحتمل السنة الخامسة والأربعين أو السادسة والأربعين)، وهذا التاريخ إذا صح يناقض قول الأثرى «بلران»، وقد ذكر عليها العيد الثلاثينى السادس، وبذلك يكون «خعى» قد بقى فى الوزارة حتى هذا التاريخ الأخير (٤).

---

(١) راجع: Northampton, Spiegelberg & Newberry Theban Necropolis p. 39 fig. 31 pl. XVII.

(٢) راجع: Brugsch Thesaurus p. 1128

(٣) راجع: Rec. Trav. XXVI, p. 219 Note 3

(٤) راجع: Brugsch Thesaurus 1128

ومن بين التماثيل التى عثر عليها « لجران » فى خبيئة « الكرنك » تمثال من الجرانيت الأسود لهذا الوزير ، وقد نقش عليه غير الألقاب التى ذكرناها الألقاب التالية : الكاهن الأول لابن «رع» ، ومدير البيت ، وحاجب الفرعون ، ووزير الوجه القبلى والوجه البحرى ، والحاذق فى كل عمل (١) .

وكذلك عثر له على تمثال صغير من المرمر ذكر عليه غير الألقاب السالفة لقب « رئيس أسرار بيت الفرعون (٢) » .

ووجدت قطعة من تمثال هذا الوزير عليها ألقاب جديدة غير ما ذكرنا وهى : « مدير عيد آمون » وكاتب الفرعون ، والمدير العظيم للبيت . هذا وله ألقاب أخرى عادية مثل حامل المروحة على يمين الفرعون (٣) .

وفى « قنتير » عثر على عتب باب ظهر عليه «خعى» يتعبد لطغراء « رعمسيس الثانى (٤) » .

الكهنة فى عهد « رعمسيس الثانى »

يدل ما لدينا من وثائق على أن كهنة « آمون » أخذ نفوذهم يزداد قوة وسلطانهم رفعة أكثر مما كانوا عليه قبل عهد الإصلاح الدينى الذى قام به « إخناتون » ، ويرجع الفضل فى ذلك إلى ما أظهره الفرعون « حور محب » من غيرة وحماس لإعادة مجد الإله « آمون » وما كان لكهنته من نفوذ ومقام كريم بين أفراد الشعب المصرى ، والامبراطورية المصرية جمعاء ، وبخاصة الكاهن الأول للإله « آمون » الذى كان يعد المدير لشئون هذا الإله الدينية والدنيوية معا . وإذا علمنا أن تنصيب هذا الكاهن العظيم كان لا يتأتى حينئذ

---

(١) راجع : Legrain Stat. pl. XXIX

(٢) راجع : Legrain Ibid. pl. XXX

(٣) راجع : Weil Die Viziere p. 102

(٤) راجع : G. W. Catalogue No. 157

إلا بوحى الإله نفسه، وأن الفرعون كان المنفذ لما يوحى به الإله « آمون » الذى كان يعدّه الفرعون — الآخذ بيده، والمناصر له فى مواطنه كلها وبخاصة فى ساحة القتال — عرفنا مقدار ما كان لهذا الكاهن وطائفته من سلطان وجاه فى أنحاء البلاد وبخاصة فى « طيبة » ، مقرّ الملك الدينى، يضاف إلى ذلك أن أملاك « آمون » كانت شاسعة وتكاد تكون مستقلة عن أملاك الدولة لدرجة أنها كانت تعدّ شبه مملكة صغيرة داخل مملكة كبيرة ، غير أن شواهد الأحوال تشعر بأن الفرعون كان — فى الواقع — يشرف على تعيين الكهنة كما كان يشترك فى إدارة أملاك « آمون » بصفة غير مباشرة إلى حدّ ما .

نب وننف الكاهن الاكبر للاله أمون

شاءت الصدف المحضة أن تضع بين أيدينا وثيقة عن تنصيب أوّل كاهن أعظم للإله « آمون » فى عهد الفرعون « رعمسيس الثانى » وتعدّ فريدة فى بابها بل نسيج وحدها فى ذلك العهد، إذ تكشف لنا النقاب عن الخطوات التى كانت تتخذ لملء هذه الوظيفة الخطيرة الشأن ، وما كان لها من هيبة وجلال ، وقد عثر عليها فى قبر هذا الكاهن .

ويقع قبر الكاهن « وننف » فى جبانة « ذراع أبو النجا » (رقم ١٥٧)[(١)]، ونقوش هذا القبر لا تختلف كثيرا عن مقابر عظماء الأسرة التاسعة عشرة، فهى تحتوى على مناظر جنازية، وليس فيها ما يلفت النظر، ويدعو إلى الاهتمام التام إلا منظر واحد على جدار المدخل على يمين الزائر، إذ هو من نوع جديد لم يؤلف من قبل فى مناظر قبور هذه الأسرة ، إذ نشاهد فيه الملك « رعمسيس الثانى » يطل من شرفة قصره على صاحب المقبرة « نب وننف » الذى كان يسير وخلفه صف من حاملى الريش .

(١) راجع : A. S., XXX, p. 35

ويلاحظ أنه قد كتب على عمد القصر الملكى اسم الفرعون ، واسم زوجه الملكة « نفرتارى مرنموت » ، ويتبع هذه الصورة متن مؤرخ بالسنة الأولى من حكم هذا الفرعون[1] ، وهذا المتن خاص بتنصيب ، « نب وننف » فى وظيفة الكاهن الأعظم للإله « آمون » بالكرنك .

فقد حدث فى السنة الأولى من حكم « رعمسيس الثانى » أن أصبح كرسى الكاهن الأكبر للإله « آمون » خاليا ، وعندما احتفل جلالته بعيد الأقصر (ابت) العظيم فى الشهر الثانى من هذه السنة كان هذا الفرعون بنفسه يدير شعائر هذا الحفل فسار مع سفينة « آمون » التى كان يحملها ثلاثون كاهنا على أعناقهم بهذه المناسبة ، وكانوا يرتدون وجوه أرواح « بوتو » ووجوه أرواح « هيرا كنبوليس » (الكاب الحالية) (وكان الكاهن يرتدى وجه صقر أو وجه ابن آوى) .

والواقع أنه كثيرا ما كان يشترك الملك فى الأعياد الدينية ، فنعلم مثلا أن « تحتمس الأول » اشترك فى الحفل الذى أقيم لتنصيب ابنه ملكا على البلاد ، كما نشاهد كذلك فى نقش بارز فى « الكرنك » عندما كان « سيتى الأول » يشترك فى موكب قارب « آمون[2] » ، غير أننا نلحظ هنا أن « رعمسيس الثانى » كان يقوم فعلا بدور الكاهن الأول فى عيد الأقصر فلم يكتف بلبس رداء الكهانة وفيه الفراء الذى كان يلبس فوق الملابس الملكية وحسب ، بل أتى بعمل فذ فى التاريخ المصرى ، وذلك بأن نقش على هذا المنظر العبارة التالية : " الكاهن الأول للإله « آمون » ملك الجنوب والشمال ، « رعمسيس الثانى » معطى الحياة[3] " .

---

(١) راجع : Champ. Notices I, p. 535; L. D., texte III, p. 239; & A. Z. (1907) Vol. XLIV, p. 30 ff.

(٢) راجع : Legrain B. I. F. A. O. T. XIII, (1917) pl. III, 4

(٣) راجع : A. Z. 58, p. 54.

ومع ذلك فان الفرعون بعد أن أتم الحفل بهذا العيد أخذ يفكر جدّيا فى تنصيب كاهن أعظم جديد « بالكرنك » ، ولذلك استشار الإله « آمون » رب هذا المعبد فأوحى إليه هذا الإله بتفضيل الكاهن « نب وننف » على كل من سواه (١) .

ولما كان « نب وننف » هذا ليس من طائفة كهنة « آمون » فى « طيبة» فيحتمل أن هذا الاختيار كان من جانب الملك الذى كان يترجم بمهارة عن إرادة الإله « آمون » ، وكان الداعى له إما أسباب سياسية أو شخصية ، فقد كان « نب وننف » قبل اختياره يشغل وظيفة كاهن أوّل للإله « أنوريس » (أنحور) بالعرابة ،وكذلك الكاهن الأوّل للإلهة «حتحور» صاحبة «دندرة» ،وكانت سلطته نافذة وقتئذ على كهنة ومعابد جزء من مصر الوسطى يبدأ من « طيبة » حيث كان مقره حتى مدينة « حرى حرآمون » الواقعة عند بوّابات « طيبة » نفسها ، وهذا الاختيار الجديد للكاهن « نب وننف » جعل « رعمسيس الثانى » يغادر عاصمة ملكه فى الجنوب ، ويقلع منحدرا فى النيل ليصل إلى عاصمته « بر رعمسيس » فى الشمال ، بيد أنه رسا بسفينته فى مقاطعة « طينة » ليزف الخبر للكاهن « نب وننف » . وتقص علينا النقوش تعيين هذا الكاهن ، وتعد الوثيقة التى تروى هذا الحادث وهى التى كتبها « نب وننف » على جدران قبره ، وكذلك الوثيقتان اللتان وصلتا إلينا عن تنصيب الكاهن « أمنمأبت » والكاهن « باكنخنسو » من الوثائق الأصلية التى يعتمد عليها عند كتابة تاريخ الكهنة العظام للإله « آمون » « بالكرنك » .

وهاك ترجمة متن هذه الوثيقة كما نقله الأستاذ « زيته (١) » :

"السنة الأولى، الشهر الثالث من فصل الفيضان، اليوم الأوّل عندما انحدر جلالته فى النيل من عاصمة الجنوب حيث قرّب القربان لوالده « آمون » ، صاحب تيجان الأرضين ، والثور القوى ، وسيد تاسوع الآلهة وكذلك الإلهة « موت » سيدة « أشرو » (معبد بجوار الكرنك) والإله « خنسو » فى طيبة

---

(١) راجع : Sethe A. Z., 44 p. 30

نفرحتب » ، وتاسوع « طيبة » فى عيده الجميل « بالأقصر » . وقد ذهب من هناك فى حظوة بعد أن تقبل ما قدّم لحياة وصحة وعافية ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « رعمسيس الثانى » ليته يعيش مخلدا ، وقد رسا فى مقاطعة « طينة » وأتى بالكاهن الأعظم للاله « آمون نب ونف » المنتصر أمام جلالته ، وكان لم يزل وقتئذ كاهنا أوّلا للاله « أنوريس » والكاهن الأوّل للالهة « حتحور » سيدة « دندرة » ورئيس كل كهنة الآلهة فى الجنوب حتّى « حرى حر آمون » وفى الشمال حتّى مدينة « طينة » . وعندئذ قال جلالته له : لقـد أصبحت منذ الآن الكاهن الأعظم « لآمون » ، وكذلك أصبحت خزائنه ومخازن غلاله تحت خاتمك ، وصرت رئيس معبده ، وكل خدّامه تحت سلطانك ، أما معبد « حتحور » سيدة « دندرة » فانه سيكون تحت إدارة ابنك ، وكذلك موظفو آبائك ، والمكان الذى كنت تحتـله . وبقـدر ما يحبنى « رع » حقا ، وبقـدر ما يحدثنى والدى « آمون » جمعت له (أى لآمون) موظفى البلاط ، ورؤساء الجيش ، وكذلك جمعت له كهنة الآلهة وعظماء بيته ليمثلوا أمام وجهه ، فلم يظهر رضاه بأى واحد منهم إلا عندما ذكرت اسمك ، فليكن العمـل الصالح له لأنه حباك (باختياره) ؛ أما عنى فانى أعرف فضلك فـزد فى ذلك حتّى تثنى عليك روحه وكذلك تمدحك حضرتى ، ليته يجعلك تمكث فى بيته ، وليته يمنحك حراسة بيته ، ويجعلك ترسو على أديم مدينته (الجبانة) ، ولقد سلمك أمراس مقدّمة السفينة ومؤخرتها ، وإنه يرغب فيك نفسه ، وإنه لم يقـل له شخص آخر هـذا (أى أن اختيارك جاء من وحى الإله نفسه) وإنه منحك الغرب ، لأن والدى « آمون » إله قوى ، وليس له مثيل إذ يمتحن القلوب ، ويجـوس خلال الأرواح ، وإنه الذكاء الذى يعرف دخيلة النفس ، وليس فى مقـدور إله أن يأتى بما يفعـله ، ولا يعارض إنسان مشروعاته ، ويرتكز الإنسان على ما يخرج من فيه ، وهو سيد التاسوع وقـد اختارك لكمالك ، وأخذك لسموّك .

وتأمل : لقد تمدح رجال البـلاط ومجلس الثلاثين معا بطيبة جلالته ، ومجدوا مرات عدّة أمام هذا الإله الطيب مصلين له ، ومرضين صـله الذى على جبينه ، ومتعبدين أمام وجهه ، وقد مجدوا أرواحه حتّى عنـان السماء قائلين : أنت يا حاكم « آمون » ويا مـن سيبقى حتّى السرمدية ، ومن أوجده بين الأجيال والأجيال ! ليتك تحفل بأعياد ثلاثينية بالملايين ، وليت سنيك تكون عديدة مثل رمال شاطئ البحر ، وإنك تولد كل صباح ، وتجدّد لنا مثل الشمس ، وتصير صبيا كالقمر ... وإنك تحكم بوصفك ملكا على الأرضين ، والأقواس التسعة تحت أوامرك ونهاية حدودك تمتدّ حتّى حدود السماء ، ودائرتـها تحت سلطانك ، وما تحيط به الشمس تحت نظرك ، وما يغمره المحيط خاضـع لك ، وإنك على الأرض فوق عرش « حـور » حيث تظهر بوصفك رئيس الأحياء ، وإنك تجند شـباب مصر ، وإنك تقهر (أعداءك) بوصفك سـيدا ملكه ثابت مثل والدك « آمون رع » . وإنك تحكم كما حكم ، وإنك على

الأرض كقرص الشمس فى السماء ، ووجودك مثل وجوده ، و إنه يمنحك الخلود بلا نهاية مجهزا وممنوحا الحياة والسعادة . أنت يأيها الرئيس الطيب محبوب « آمون » الذى سيبق حتى نهاية الزمن . تأمل! فقد منحه جلالته خاتميه اللذين صيغا من ذهب ، وعصاه التى من السام ثم نصب كاهنا أعظم « لآمون » ومديرا لبيتى الفضة والذهب ، ومديرا لمخزن الغلال ، ومديرا للأعمال ، ورئيسا لكل طوائف العمال أصحاب الحرف فى « طيبة » .

ثم أمر بارسال بريد ملكى ليجعل كل مصر تعلم أن بيت « آمون » قد وكل أمره إليه ، وكذلك كل ممتلكاته وكل قومه ...... بفضلك يا رئيس « آمون » الذى سيبق إلى الأبد " .

وهذه الوثيقة العظيمة تضع أمامنا كيفية تنصيب الكاهن الأكبر « لآمون » والحالة التى كان الملك يعزز بها اختياره لهذا الكاهن بوحى إلهى على الرغم من أنه لم يكن من طائفة كهنة « آمون » فى « طيبة » ، إذ — كما نعلم — أن الكاهن الذى دعى لتولى هذا المنصب كان من أكبر رجال كهانة مقاطعة « طينة » التى كانت تعدّ أكبر موطن إلهى فى البلاد بعد « طيبة » نفسها . وقد وصفت فى هذه الوثيقة الأعياد التى أقيمت تكريما لهذا الحادث بكل تفصيل . ولما انتهى الحفل أرسل البريد فى كل جهات القطر لإعلان اسم « نب ونف » كاهنا أعظم «لآمون» . وهذا يذكرنا بالاحتفال الذى أقيم عند تنصيب الملك «تحتمس الأول» وإعلان اسمه فى كل أنحاء القطر بمراسيم ملكية (راجع مصر القديمة ج ٤ ص ٢٥٤)، وقد كان مثل « نب ونف » كمثل كثير من أسلافه وأخلافه يقوم بعبء الأعمال الإدارية الخاصة بمعبد «آمون» كما فصلنا القول فى ذلك . فقد عين مديرا للخزانة ومخازن الغلال للإله «آمون» كما كان هو المشرف على ملاحظة طوائف الصناع وأصحاب الحرف فى « طيبة » ومن الجائز أنه — لهذا السبب — قد أقام على مقربة من معبد « سيتى الأول » « بالقرنة » مقصورة عثر « بترى » على قطع الودائع التى وضعت فى أساسها (١) . ويقول « بترى » فى هذا الصدد إنه يحتمل أن « نب ونف » قد أقام هذه المقصورة لحسابه هو عند ما كان يقوم بالملاحظة على

---

(١) راجع : Petrie, Qurneh 1909 pl. XXXIII & XLVI, p. 18

بناء معبد «سيتى الأول» . وهذه النظرية فى حدّ ذاتها مقبولة، وبخاصة إذا علمنا أن « رعمسيس الثانى » هو الذى قام بإتمام هـذا المعبد وأن قطع ودائع الأساس قد نقش عليها اسم « نب وننف » بلقبه الكاهن الأكبر «لآمون » ، وبذلك تكون هـذه المقصورة قد أقيمت فى عهـد « رعمسيس الثانى » وهـذا يتفق مع ما ذكرناه عن بناء معبد « سيتى » « بالقرنة » .

ولما تسلم « نب وننف » عمله الجديد خلع على ابنـه « سماتوى » وظائفه القـديمة فأصبح الكاهن الأول للإلهـة « حتحور » صاحبـة « دندرة » . ومن الغريب أننا نجد فى ودائع أساس مقصورة « القرنة » لقبه القديم، وكذلك حافظ على ذكره فى نقوش قبره ، يضاف إلى ذلك أننا نعرف من نقوش هذا القبر كذلك أن زوجه « تاخعت » كانت تلقب رئيسة نساء حريم الإله «آمون» .

وأهم ما يلفت النظـر فى مناظر قـبره — غير ما ذكرنا — هو صـورة رجل جالس يصطاد سمكا غير أن المنظر يدل على أن الصياد كان هاويا لا محترفا ويلبس شعرا مستعارا وله لحية قصيرة ويرتدى جلبابا طويلا ذا تجاعيد ويجلس على كرسى مدّ تحته حصير وفى يده قضيب ذو خمسة خيوط ، والبركة التى يصطاد فيها مزينة يرفرف فوقها فراش ويحتمل أن صيد السمك كان الهواية المحببة إلى نفس هـذا الكاهن[1] .

« وننفر »الكاهن الأكبر «لآمون»: على الرغم ممـا وصلنا من نقوش عن عظماء رجال عهـد « رعمسيس الثانى » فانه لم يزل لدينا فجوات كبيرة ننتظر ملأها بما تجود به الكشوف والحفائر التى يقوم بها العلماء فى أنحاء وادى النيل، وهـذه الفجوات تقف فى وجه المؤرخ حجر عثرة لا تجعله يعرف تتبع سير الحوادث بصفة متصلة . فها نحن أولاء نعرف أوّل كاهن أكبر تربع على كرسى كهنة «آمون» ، ولكن بعد ذلك لا نعرف من الذى خلفه ، إذ تعوزنا الوثائق كلية إلا بعض إشارات لا تشفى

(١) راجع : Porter & Moss I, p. 147

غلة، ثم تستمر بنا الحال كذلك فى عهد « رعمسيس الثانى » حتى العام السادس والأربعين من حكمه حيث تطالعنا الوثائق بأن الذى كان يشغل هذه الوظيفة حتى نهاية حكم هذا الفرعون هو الكاهن الأكبر « باكنخنسو »، على أن ذلك لا يعنى أننا لا نعرف أسماء أشخاص آخرين قد شغلوا هذه الوظيفة فى عهد هذا الفرعون، بل على العكس نعرف منهم حتى الآن أسماء ثلاثة وهم : « وننفر »، و « باسر » ويحتمل كذلك « أمنحتب »، ولكنا لا نعرف ترتيب توليهم مهام هذه الوظيفة الخطيرة، وعلى ذلك فإنا إذا ذكرناهم هنا فى أى ترتيب فإن ذلك مجرد تخمين قد تدحضه كشوف جديدة .

وعلى أية حال فإن الظواهر تدل على أن كاهن « آمون » الأكبر الذى خلف « نب وننف » هو « وننفر » .

وليس لدينا معلومات مباشرة عن حياة «وننفر» بوصفه كاهنا أكبر «لآمون» إلا ما نعرفه عنه وعن أسرته من الأثر الغريب المحفوظ الآن « بمتحف نابولى » وهو يحتوى على سلسلة نسب هذا الكاهن ، وقد أقيم تذكارا لأحد أبنائه «أمنمابت» رئيس الشرطة ومدير أعمال الآثار الملكية فى عهد «رعمسيس الثانى» (١)، وكان « لوننفر » ولدان آخران أحدهما يدعى « حورا » ولقبه مدير أعمال الكاهن الأعظم للإله « أنحور » (أونوريس) ، أما بناته فكن أربعة، وكان أحد أولاد أخيه « منموسى » يدعى « باسر » وهو الذى كان نائبا للفرعون فى بلاد « كوش »، وكانت «إزيس» زوج «وننفر» على حسب العرف تحمل لقب «رئيسة الحريم فى معبد الإله آمون » وسنتناول الحديث فى موضوع هذه الأسرة فيما بعد .

« منموسى » الكاهن الأكبر لآمون : وكان « منموسى » كسلفه لا يحمل إلا لقب الكاهن الأكبر للإله «آمون» ويرجع الفضل فى معرفة لقبه هذا إلى أخيه « رع حتب » الذى كان يشغل كرسى رياسة الوزارة ، والذى كان قد أوفده

(١) راجع : Brugsch Thesaurus p. 951 - 6

«رعمسيس الثانى» فى بعث رسمى لبلاد «خيتا» حوالى العام الحادى والعشرين من حكمه لتوقيع المعاهدة التى أبرمت بين البلدين كما تحدثنا عن ذلك من قبل ، ومن المحتمل أن « منموسى » كان قد بلغ نهاية رقيه فى سلك الكهانة فى هذا الوقت، أى فى النصف الثانى من عهد «رعمسيس» . والواقع أن «منموسى» الكاهن الأكبر « لآمون »، و «رع حتب» الوزير الأول كانا آبنى « باحننتر » رئيس كهنة الإله « بتاح » على حسب أحد الأقوال وكانت أمهما رئيسة حريم الإله « أنحور » (أونريس)، وكانت زوج «رع حتب» تحمل لقب "رئيسة حريم الإله «حرشفى»" وهو لقب نادر جدا . وهذا الإله هو معبود بلدة « أهناسيا المدينة »(١) .

« باسر » الكاهن الأكبر للإله آمون : يجب ألا نخلط هنا بين هذا الكاهن وسميه الذى كان يحمل لقب الوزير فى عهدى «سيتى الأول» و «رعمسيس الثانى » وقد تكلمنا عنه فيما سلف ، وكل معلوماتنا عن هذا الكاهن مستقاة من تمثاله الذى عثر عليه فى خبيئة « الكرنك »(٢) . وهذا التمثال منحوت فى الجرانيت الرمادى، وقد مثل «باسر» راكعا أمام رأس الإله «آمون» التى على هيئة كبش، ويرتدى ملابس الكهانة الخاصة بهذا العهد، وتتألف من الشعر المستعار ذى الخصل الكبيرة وثوب فضفاض ذى ثنيات وفوقه جلد فهد وعلى فخذه الأيمن شارة الكاهن الأكبر للإله « آمون » وهذه تشمل خمسة أغصان من زهرة البشنين تحمل قطعة مربعة نقش عليها طغراءا «رعمسيس الثانى» ، وينتعل حذاء ضخما . وقد نقش على ظهر التمثال المتن التالى : "قربان يقدمه الملك « لآمون رع — حوراختى — آتوم » ، سيد الكرنك الإله الأكبر الذى ولد نفسه والذى لا نعرف جسمه ، خالق كل كائن، وموجد كل موجود ، محيى الآلهة والناس ، ليته يجعل تمثالى يأوى ويبقى رائيا « آمون » كل يوم، لأجل روح الكاهن الأول للإله « آمون » « باسر » " .

(١) راجع : Lefebvre Histoires Des Grands Pretres 250 ff.

(٢) راجع : Legrain. cat. gen. Statues. II. No. 42156

وكذلك نقش حول قاعدة هـذا التمثال متن جاء فيـه : " لأجل روح الأمير الوراثى والكاهن الأوّل «لآمون» «باسر» يقول : إنى رجل يجل إلهه وينفذ قوانينه ، ولقد حبانى على الأرض بمشاطرة واجباته ، ليته يمنحنى أن أتم فى سعادة حيـاتى على حسب ما أمر لأجل روح (كا) الحاكم الوراثى ، « رئيس كهنة كل الآلهة » والكاهن الأوّل « لآمون » « باسر » ".

وهذا المتن كما يرى القارئ لا يمدّنا بشيء عن أسرته ، كما لا يحدّثنا عن مكانته ونفوذه فى هذا العصر ، هذا إذا نظرنا إلى أن لقب رئيس كهنة كل الآلهة فى هذه الفترة لم يكن إلا لقب شرف وحسب — لا كما كان فى عهـد « تحمس الرابع » و « أمنحتب الثالث » — يدل على أن صاحبة ذو نفوذ وسلطان .

« أمنحتب » الكاهن الأوّل للإله آمون : لا نعلم عن هذا الكاهن أى شيء مباشر ، كما أننا لسنا على ثقة من أنه كان فى عهد « رعمسيس الثانى » على وجه التأكيد ، فكل ما لدينا من معلومات عنه قد وصلت إلينا عن نقش لابنه «أمنابت» رئيس الإصطبل الأعظم للفرعون «رعمسيس الثانى» ، وهذا المتن نقش على صخرة فى جزيرة « سهيل »(١) ، ولا نعرف من أسرته إلا ابنــه « أمنابت » الذى كان يلقب رئيس الاصطبل فى الاصطبل العظيم «لرعمسيس الثانى» فى البلاط .

« باكنخنسو » الكاهن الأوّل للإله آمون : يعتقد الأسـتاذ « ليفبر » فى كتابه الذى وضعه عن كهنة « آمون » العظام فى خلال الدولة الحديثة(٢) أنه كان يوجد ثلاثة كهنة عظام باسم « باكنخنسو » ، ويقول إن « باكنخنسو الأوّل » عاش فى عهد «تحتمس الرابع» و «أمنحتب الثالث » ، أما « باكنخنسو الثانى »

(١) راجع : Mariettes Monuments Divers pl. 72 No. 49 & p. 24; Brugsch Thesaurus 1215.

(٢) راجع : Histoires des Grands Pretres D'Amon de Karnak p. 127 Note 2.

فقد عاصر « رعمسيس الثانى » ثم «مرنبتاح» ابنه وبعد ذلك تولى هذه الوظيفة « باكنخنسو الثالث » الذى عاش فى عهد الفرعونين « ستناخت » و « رعمسيس الثالث» ، غير أن كلا من الأثريين «انجلباخ» و «ڤارى» قد تناول هذا الموضوع ووصل إلى نتيجة تغاير رأى « لفبر »(١)، ونعلم منها أنه لا وجود قط لكاهن أعظم يدعى « باكنخنسو » فى عهد « أمنحتب الثالث » ، وقد تطرق « انجلباخ » فى استنباطه إلى حد أنه لا يوجد كاهن أعظم يدعى « باكنخنسو الثالث » ، بل الواقع أن « باكنخنسو » الكاهن الأكبر « لآمون » كان فى كل ذلك واحدا ، ويستنبط أنه عاش حتى بلغ السابعة بعد المائة ، غير أنه لا يجزم بهذا الزعم الأخير ، أما الأثرى « ڤارى » فقد حصر بحثه فى عدم وجود كاهن أعظم لآمون فى عهد « أمنحتب الثالث » يدعى « باكنخنسو » .

وسنورد هنا حياة « باكنخنسو » الذى عاش فى عهد « رعمسيس الثانى » كما جاء على الآثار التى أرخت بعهد هذا الفرعون . والمصادر الأصلية الهامة التى سنعتمد عليها هنا فى بحثنا مصدران : أولهما تمثاله المحفوظ الآن «بمتحف مونيخ» ، والآخر تمثاله الموجود « بمتحف القاهرة » الذى عثر عليه « لجران » فى الكرنك عام ١٩٠٤ بالقرب من الباب الجرانيتى للبوابة السابعة وهذان التمثالان من طراز واحد ، ويمثلان « باكنخنسو » لابسا الشعر المستعار الخاص بعصر الرعامسة ، ويرتدى قميصا ضيقا ، وقد مثل جالسا القرفصاء على قاعدة منخفضة بذراعيه مطويتين على صدره .

نقوش تمثال « مونيخ » : النقوش التى على مقدمة التمثال(٢) : " قربان يقدمه الملك « لآمون ــ آتوم حوراختى » الروح السماوى العائش فى الصدق ، والتمثال القاطن فى وسط سفينته(٣) ، وللالهة « موت » العظيمة كبيرة القطرين ، وللاله « خنسو نفر حتب » لأجل أن يعملوا على

(١) راجع : A. S., XL, p. 507 & Ibid. p. 639

(٢) راجع : Brugsch Thesaurus p. 1240, Br. A. R. III § 561 ff

(٣) كان تمثال الإله يوضع فى سفينة صغيرة فى محراب فيها ، ثم يوضع فى قدس الأقداس بالمعبد .

أن يخلد اسمى فى « طيبة » ، و يعيش مدّة الأبدية ــ لأجل روح الأمير الوراثى رئيس كهنة كل الآلهة ، والكاهن الأوّل « لآمون » فى « الكرنك » (المسمى) « با كنخنسو » يقول : أيها الكهنة ، و يا آباء الآلهة ، و يأيها الكهنة المطهرون فى بيت « آمون » ، قرّبوا أزهارا لتمثالى ، وماء لجسمى ، و إنى خادم نافع لسيده رزين ، وعادل ومحق ومبتهج بالصدق ، وماقت العسف ، ومقيم قوانين إلهه الكاهن الأوّل « لآمون » (با كنخنسو) " .

النقوش التى على ظهر التمثال : " الأمير الوراثى والكاهن الأوّل «لآمون» (با كنخنسو) يقول : إنى رجل عادل ، ومحق ومفيد لسيده ، ومحترم خطط إلهه ، وسائر على الطريق ، ومنجز أشياء نافعة فى معبده ، لأنى المشرف الأعظم على الأعمال فى بيت آمون ، ومرضى سيدى إرضاء تاما ، فأنتم يأيها الناس جميعا أصحاب الروح اليقظ ، وأنتم يامن يعيشون (فعلا) على الأرض ، وأنتم يامن سيأتون بعدى فى ملايين السنين ، بعد الشيخوخة والعمر الطويل ، وأنتم جميعا يا أصحاب العقل الفطن ، الذى يفهم الفضل ــ إنى سأحدثكم عما كنت عليه من خلق ، عندما كنت ــ على الأرض ــ فى كل الوظائف التى شغلتها منذ ولادتى :

لقد أمضيت أربع سنوات طفلا كاملا ، ومضيت اثنتى عشرة سنة صبيا ، كنت فى أثنائها رئيس اصطبل التعليم فى عهد الملك « من ماعت رع » (سيتى الأوّل) ، وكنت كاهنا مطهرا للاله « آمون » مدّة أربع سنوات ، وكنت كاهن والد الإله مدّة اثنتى عشرة سنة ، ثم كنت كاهنا ثالثا للاله « آمون » مدّة خمس عشرة سنة ، ثم كاهنا ثانيا للاله « آمون » مدّة اثنتى عشرة سنة ، وقد كافأنى (الإله) فيزنى لفضلى ، وعيننى فى وظيفة الكاهن الأوّل للاله « آمون » ، وقد مارستها سبعا وعشرين سنة .

وقد كنت والدا رحيما بمرءوسى ، فعلمت أناسيهم الصغار ، ومددت يدى لمن كان تعسا ، وطمأنت ــ أولئك المحتاجين ــ على حياتهم ، وقمت بعمل أشياء نافعة فى معبده ، بوصفى المشرف الأعظم على الأعمال فى «طيبة» ، لحساب ابنه الذى أنجبه من ظهره ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «رعمسيس الثانى» ، معطى الحياة ، ومؤسس الأوقاف الخيرية لوالده « آمون » ، الذى وضعه على عرشه " .

ما عمل تحت إشراف الكاهن الأوّل « با كنخنسو » : " لقد عملت أشياء نافعة فى بيت « آمون » ، لأنى كنت المشرف على أعمال سيدى (الملك) ، ولقد أقمت له معبدا (يدعى) « رعمسيس محبوب آمون » الذى يسمع التضرعات ، عند الباب العلوى لبيت « آمون » ، وقد أقمت فيه مسلات من حجر الجرانيت ، وهى التى قد وصل جمالها إلى عنان السماء ، وقد أقمت بوّابة أمام المعبد من الحجر ، مواجهة « لطيبة » ، وكانت مغمورة بالمياه (أى أن أسفل البوّابة كان مغمورا بالماء الذى كان يستعمل لرى الحدائق الممتدة أمام المعبد) ، وكانت الحدائق مغروسة بالأشجار ، وقد

صنعت أبوابا غاية فى العظم من السام ، بهاؤها يصل الى السماء ، وقد نحت كلا غاية فى الضخامة ، وأقمتها على الساحة الفخمة المواجهة لمعبده ، و بنيت سفنا عظيمة (تسبح) على النهر «لآمون» و «موت» و «خنسو» — بوساطة الأمير الوراثى الكاهن الأوّل «لآمون» (باكنخنسو) ".

النقش الذى حول القاعدة : " الأمير الوراثى والكاهن الأوّل «لآمون» «باكنخنسو» يقول : إنى رجل حازم عادل ومحق ، ينفذ قوانين إلهه ، ومستسلم لإرادته ... ... ، ورجل يداه تقبضان على عمود السكان ، وشغل مدّة حياته فى وظائف نوتى «آمون» ، وقد كنت سعيدا فى هذا اليوم أكثر من أمس ، وليت الإله يزيد فى الغد كذلك فى سعادتى ! ، ولقد كنت منذ طفولتى المبكرة حتى شيخوختى ، فى بيت «آمون» خادما له فى صدق ، وعيناى تريان عليه ، ليته يتم لى حياة سعيدة مداها عشر ومائة سنة ".

تمثال المتحف المصرى (راجع Legrain, Catal. Gen. No. 24155) .

المتن الذى على مقدّمة التمثال : " قربان يقدّمه الملك للاله «آمون رع» ، الذى كان فى الأصل للأرضين — السيد المسيطر بالسلطان والقوّة ، والعظيم بالخوف الذى يبعثه ، وللالهة «موت» العظيمة «عين رع» ، وللاله «خنسو — نفرحتب» ، لأجل أن يعملوا على أن يكون اسمى ثابتا بقوّة فى «طيبة» ، وأن يعيش فى الكرنك ، وعلى أن كل ما يأتى من موائد قربهم يوضع أمام تمثالى — لروح والد الإله صاحب اليدين الطاهرتين ، والكاهن الثالث «لآمون» ، والكاهن الثانى «لآمون» ، والمشرف على كل كهنة الآلهة ، والكاهن الأوّل «لآمون» «باكنخنسو» يقول : إنى المدير فى «طيبة» لكل الأشغال الممتازة ، وإنى رجل حاز ثقة سيده تماما فى إدارة كل طوائف الحرف فى كل الآثار التى عملها لوالده «آمون» " .

النقوش التى على ظهر التمثال : " الكاهن والد الإله ، والكاهن الأوّل «لآمون» باكنخنسو» يقول : إنى رجل طيبى المنبت أبا وأما ، وابن كاهن ثان للاله «آمون» (بالكرنك)، وقد تخرّجت من مدرسة الكتابة (الكائنة) فى «معبد سيدة السماء» ، وكنت لا أزال صبيا كاملا ، وقد لقنت وظائف الكهانة فى معبد «آمون» ، كالابن تحت سيطرة والده ، وقد أثنى علىّ «آمون» ، وميزنى لفضلى ؛ وكنت متصلا به بثقة ، وعندما رقيت كاهنا والد إله ، رأيت كل مظاهره ، وأنجزت أعمالا نافعة فى معبده ، فقمت بكل أنواع الأعمال الممتازة . وإنى لم أرتكب خطيئة فى معبده ، ولم أهمل أوامرى فيما يخصه ، ومررت على أديمه ، منحنيا ومظهرا خوفى من بطشه . وإنى لم أرهب خدمه ، بل كنت لهم أبا ، وقد قضيت للفقير مثل قضائى للغنى ، وللقوى مثل الضعيف ، وأعطيت كل واحد ما يخصه ، لأنى كنت لا أمقت إلا الشره ، وقد ضمنت لمن لا خلف لهم جنازهم ، وتابوتا لمن لا يملك

شيئا ، وحميت اليتيم الذى رجانى ، وتعهدت بيـدى مصالح الأرملة . وإنى لم أطرد الابن من مكان والده ، ولم أنتزع الطفـل الصغير من والدته ، وبسطت ذراعى ، وحصلت على مؤن لمن لا يملك قوتا ، وغذاء لمن كان فى فقر ... ... ذاهبا نحو المتضرع (؟) ، وفتحت أذنى لمن يقول الصدق ، وأبعـدت عنى من كانوا يحملون أو زارا — لأجل روح الأمير الوراثى الكاهن الأول «لآمون» (باكنخنسو)" .

النقوش التى حول القاعدة : " الأمير الوراثى ، ووالد الإله ، ومحبوب الإله ، رئيس الأسرار فى السماء وفى الأرض ، وفى العالم السفلى ، والكاهن أعظم الرائين للاله « رع » فى « طيبة » ، والكاهن « سم » ، والرئيس الأعظم لصنع « بتاح » ، والمشرف على كهنة كل الآلهة ، والكاهن الأعظم للاله « آمون » (باكنخنسو) يقول : إنى رجل حازم عادل محق ، فاعل الخير بين الناس ، أخاف الله ، منفذا قوانينه ، مستسلما لإرادته ، وإنى مختلط هنا بطائفة الممدوحين من صاحب الاسم الخفى ومطعما نفسى من وجباته ، وإنى ذو شيخوخة غمرتها الحظوات التى يمنحها أصفياءه فى أعماق معبده " .

وإذا لخصنا نقوش هذين التمثالين معا ، أصبح من السهل علينا أن نستخلص منها حياة هـذا الكاهن الأعظم ، والواقع أن ما جاء عليهمـا يعطينا صورة صادقة عن حياته وأعماله ، كما دونها هو ، وتتلخص فيما يأتى :

كان « باكنخنســو » طيبى المنبت ، وكان والده يعمل من قبـله فى معبـد « آمون » « بالكرنك » كاهنا ثانيا لهذا الإله ، غير أنه مما يؤسف له لم يذكر لنـا اسم والده ، وقد تعلم فى صباه المبكر فى مدرسـة الكتبة التى كان يتخرج منهـا كل العظماء الذين يحذقون الكتابة ، وكانت أمثال هذه المدارس فى داخل المعبد نفسه ، وقد أرسله والده فى معبـد الإلهة « موت » الذى كان ملاصقا لمعبـد « آمون » « بالكرنك » ، وقد نبغ فيها لأنه كان طفلا كاملا ، وقد دخلها بعد السنة الرابعة من عمـره وتركها فى السنة التاسـعة تقريبا ، ثم يقص علينا بعـد ذلك أنه قد أمضى اثنتى عشرة سنة رئيسا لاصطبل التعليم للملك «سيتى الأول» أى أنه قد بقى فى هذه الوظيفة حتى الحادية والعشرين من عمـره ، ومن ثم بدأت حياته الدينية فى المعبد حيث كان والده يرشده فى خطواته الأولى فى هذا السبيل ، فسار فيها حتى وصل إلى نهاية المطاف وبلغ أعلى رتبة يتوق إليها أى كاهن طموح .

(١) فكان كاهنا مطهرا مدة أربع سنوات ، أى من السنة الحادية والعشرين إلى السنة الخامسة والعشرين .

(٢) ثم رقى إلى وظيفة كاهن بلقب « والد الإله » وبقى فيها اثنتى عشرة سنة ، أى من السنة الخامسة والعشرين حتى السنة السابعة والثلاثين ، وانتقل بعدها إلى مرتبة كاهن ثالث ، ومكث فيها خمس عشرة سنة ، أى من السنة السابعة والثلاثين حتى السنة الثانية والخمسين ، ثم قفز بعدها إلى وظيفة الكاهن الثانى ، وشغلها اثنتى عشرة سنة ، أى من السنة الثانية والخمسين ، حتى السنة الرابعة والستين .

وعلى ذلك لم يعين كاهنا أوّلا للإله « آمون » إلا فى السنة الرابعة والستين من عمره ، وقد تربع على كرسى هذه الوظيفة العظيمة سبعا وعشرين سنة ، ولذلك يكون قد بلغ وقتئذ من العمر الحادية والتسعين ، وهى السنة التى نصب فيها تمثاله فى معبد « الكرنك » ، حيث أصبح مختلطا بطائفة الممدوحين ، كما يقول هو فى نقوشه ، ولما كان كل من تماثيله منقوشا عليه لقب الملك « رعمسيس الثانى » دل ذلك على أن هذا الفرعون كان لم يزل حيا وقتئذ ، ومن المحتمل أنه قد عاش حتى بلغ السابعة بعد المائة ، كما يستنبط ذلك « انجلباخ » ، عندما خمن أنه لم يوجد إلا « با كنخنسو » واحد فى تأريخ هذه الفترة .

وقد أمضى « با كنخنسو » نحو سبعين سنة فى سلك الكهانة ، وقد عاش على أقل تقدير نحو إحدى وتسعين سنة ، كما يحتمل أنه ولد فى عهد « حور محب » ، وبدأ حياته فى عهد « سيتى الأول » ، ثم رقى كاهنا أوّل « لآمون » ، قبل السنة الأربعين من حكم « رعمسيس الثانى » (حوالى ١٢٦٠ ق م) ، والظاهر أنه على حسب رأى « لفبر » ، قبل السنة السابعة والستين بقليل ، وهى السنة الأخيرة من حكم هذا الملك المسنّ .

وقد طلب إحالته الى المعاش بسبب تقدّم سنه، ومن الجائز جدًا أنه قد عاش حتى عهد « مرنبتاح »، ويذهب « انجلباخ » إلى أنه عاش حتى عهد « رعمسيس الثالث » ، ومن أجل هذا لا يعترف إلا بوجود « باكنخنسو » واحد . (راجع A. S. XL, p. 507 ff) .

وقد تمدّح « باكنخنسو » ، بما له من صفات وهبها إياه إلهه ، ومما لاشك فيه أن « رعمسيس الثانى » قد رقاه الى وظيفة كاهن أوّل ، لما لحظ فيه من فضائل أخرى ، ولا يبعد أن مهارته فى فنّ العمارة ، هى التى لفتت نظر هذا الفرعون صاحب المبانى العظيمة ، وجعلته يرفعه الى مرتبة الكاهن الأوّل . فقد رأينا أنه كان يشتغل بإنجاز معبد الأقصر فى عهد « رعمسيس الثانى » الذى زاد فيه — كما ذكرنا من قبل — ردهة وبوّابة ضخمة . وتنسب إلى « باكنخنسو » بوجه خاص، إقامة المسلتين اللتين لا تزالان باقيتين حتى الآن ، واحدة منهما فى ميدان « الكونكرد » بباريس ، والثانية فى مكانها الأصلى بالأقصر .

ولا يبعد أنه قد مات بعد أن جاوز المائة، وقد دفن فى قبره الذى نحته لنفسه فى جوف «تل ذراع أبى النجا» رقم ٣٥ ويشمل هذا القبرقاعة فى صور مدخل عظيم الحجم وممرّا ، وقد زينتهما ستة تماثيل موزعة مثنى فى أطراف الحجرة كلها، وعند ملتقى القاعة بالممر نقرأ الصلوات العديدة التى ذكرت معها ألقاب المتوفى ، وكذلك نشاهد مناظر لعبادة « أوزير» و « بتاح سوكر » و « نوبيس » وفى إحدى هذه المناظر نشاهد « باكنخنسو » ممثلا ومعه زوجه راكعين أمام الإله يقرآن هذا الدعاء ، ليت « أنوبيس » المحنط يجعلنى أجلس على عرش الأبدية لأجل روح « أوزير » الكاهن الأوّل «لآمون» « باكنخنسو » وزوجه ، ومحبوبته رئيسة حريم « آمون » « مريت سجر » " وهذه هى الوثيقة الوحيدة التى جاء فيها ذكر زوج « باكنخنسو » . وتابوت هذا الكاهن الأعظم المصنوع من الجرانيت محفوظ الآن بمتحف « ليفربول » ويحتمل كذلك

أن التمثال الموجود الآن في « مونيخ » قد وجد في هـذا القبر (راجع Porter & Moss I, p. 67-8) .

«رومع — روى» الكاهن الأول « لآمون » : تدل كل الوثائق التي في متناولنا حتى الآن على أن خلف «باكنخنسو» المباشر على كرسي الكاهن الأول للاله « آمون » هو « رومع — روى » ولا بدّ أنه تسلم مهام وظيفته في نهاية حكم « رعمسيس الثاني » وبقي يشغلها حتى عهد « سيتي الثاني » . والآثار التي نستقي منها معلوماتنا عن الكاهن الأعظم « رومع — روى » أصبحت الآن عديدة (راجع Hist. Des Grands Pretres p. 256 ff.) ، وتقدم لنا وثائق غاية في الأهمية . وقبل أن نتحدث عن تاريخ حياته وأعماله يجب أن نحل اللغز الذي حيك حول اسمه ، إذ كان من المعترف به حتى زمن قريب جدًا أنه توجد شخصيتان متميزتان وهما الكاهن الأول « رومع » والكاهن الأول « روى » ؛ وقد حاول أصحاب هذا الرأى أن يوجدوا بينهما علاقة الابن بالأب . ولكن السؤال المهم هنا هو من كان الأب ومن كان الابن منهما ؟

ومن المدهش أن المتون في ظاهرها لم تضع حدًا فاصلا لهـذه المسألة ، مما خلق مادة لمناقشة علماء الآثار في هـذا الصدد كالتي يخلقها علماء الكلام والفقهاء لأمر تافه . فقد ظنّ « مسبرو » أن « روى » وهو الأب على حسب رأيه عاش في عهـد « مرنبتاح » وأن ابنـه « رومع » ، كان في عهـد « سيتي الثاني » . (راجع Momies Royales p. 666) ، وكذلك يعتقـد « لجران » أن « روى » كان والد « رومع » (راجع Rec. Trav. (1905), XXVII, p. 72) ، وعلى العكس من ذلك نجد أن «فرشنسكى» قد وضع قائمته بأسماء الكهنة العظام للاله « آمون » وقرر فيها أن « رومع » هو الابن وأن « روى » هو الأب ، وقد اتبع هذا الرأى « برستد » (Br. A. R. III, § 618) ولذلك يعتقـد أن « رومع » عاش في عهد « رعمسيس الثاني » وأن « روى » ابنه كان في عهد « مرنبتاح » ، والواقع أنه

بعد فحص متنى التمثالين اللذين عثر عليهما « لجران » فى الكرنك فى عام ١٩٠٤ — اتضح جليا أن الاسم « رومع » و « روى » هما اسم واحد لشخص واحد بعينه . وكل من هذين التمثالين يصور لنا رجلا قاعدا القرفصاء على وسادة، وجسمه مزمل فى قميص ضيق مثل تمثال « باكنخنسو » بالضبط كما سبق ، ومن العبث أن نفرض أن تمثالا بعينه يمكن أن يكون صورة لشخصين مميزين ، وقد وضع لإحياء ذكراهما ، فإذا كان « رومع » شخصا مميزا عن « روى » فلا بد أن التمثالين يجب أن يكونا إما لاسم «رومع» وإما لاسم «روى» أى أنهما يكونان إما «لرومع» خاصة أو «لروى» خاصة . والواقع أننا نجد على التمثال رقم ٤٢١٨٦ (١) القرابين التى ذكرت فى أحد نقوشه قد عملت لإله الكرنك لأجل روح الكاهن الأول لآمون «رومع»، ومن جهة أخرى نجد أن خطاب المدح الذى نقرؤه فى نقش آخر على نفس التمثال قد وضع فى فم الكاهن الأول «لآمون» المسمى « روى » . وكذلك نجد على التمثال رقم ٤٢١٨٥ نقشين آخرين على هذا التمثال يلفت تأليفهما النظر بوجه عام . وهاك المتن الأول منهما :

” قربان يقدمه الملك «لآمون رع » ملك الآلهة، وللإلهة «أمونيت» المبجلة فى الكرنك، وللإلهة « موت » سيدة السماء وملكة الآلهة ، وإلى « خنسو فى طيبة نفرحتب » لأجل أن يجعلوا تمثالى يشوى ويبقى ويتخذ مكانا فى الكرنك مخلدا لروح الكاهن الأول لآمون «روى» يقول : إنى آتى إليك يا سيد الآلهة يا «آمون» رئيس تاسوع الآلهة . إنى أعبد جمالك كل يوم وإنى أشبع رغباتك . إرن إلىّ بوجهك الجميل لأنى عبدك المخلص الذى باركته وحفظته على الأرض ، وإنى خدمتك باستقامة وقد شخصت فى بيتك مغمورا بنعمائك ، وعيناى تريان صليك . لأجل روح رئيس كهنة كل الآلهة والكاهن الأول لآمون « رومع » “ .

---

(١) راجع : Legrain. Cat. Gen. II, No. 42185 - 6

ففى هـذا المتن نرى أنه يبتدئ بصـلاة « روى » ثم يستمر متضرعا من أجل « رومع » ، وكذلك المتن الثـانى ، وهو المنقوش حول قاعدة هـذا التمثال ، فإنه يخلط الاسمين ويحتوى أولا على صلاة لروح الكاهن الأول « روى » ثم صلاة أخرى لأجل الكاهن الأول «رومع» ، على أن هذه الظاهرة نجدها كذلك فى المتون التى على جدران معبدى « الكرنك » و « السلسلة » . ففى « الكرنك » نجد أن المتن التذكارى المنقوش على الجدار الشرقى[1] للبوّابة الثامنة يبتدئ بصلاة موجهة «لآمون رع » من الكاهن الأعظم « رومع » ، وتنتهى بصلاة من أجل الكاهن الأعظم «روى» ، وكذلك الحـال فى نقوش «السلسلة» فإنا نجد القرابين قدّمت على التوالى إلى « روى » و « رومع » .

وهكذا يرى الإنسان — على نفس التمثال وفى نفس النقش بل وفى جمل وضعت جنبا لجنب — الاسمين « رومع » و « روى » مستعملين الواحد بدلا من الآخر بلا تمييز . ومن ثم نستنبط على وجه التأكيد أن الاسمين لشخص واحد يسمى « رومع » ومصغره « روى » .

أما موضوع تبادل هـذين الاسمين بهـذه السهولة وحلول الواحد منهما مكان الآخر فليس بالأمر المدهش أو الغريب ، إذ لدينا أمثلة تشبه ذلك كثيرا فى الآثار المصرية فنجد مثـلا اسم « أمنحتب » قـد حل محله الاسم المصغر « حوى » كما ذكرنا ذلك آنفا . وإذا كان هذا التبادل المفاجئ الذى نراه فى النقوش المصرية لم يميزه المصرى القديم قط ، فإنه كان فى الواقع موضع دهشة وحيرة عند علماء الآثار الأحداث ، حتى أن بعضهم قد حاد عن الصواب وأخطأ الفهم وجعل من الاسم والتصغير اسمين مختلفين ، فنجد مثلا أن نائب الفرعون فى بلاد « كوش » المسمى «أمنحتب» كان ينادى باسمه المصغر « حوى » ، وقد عجز الأثريون عن فهم كنه

---

(١) راجع : L. D. III, p. 237

هذا الاسم المزدوج، ولذلك اخترعوا طريقة لحل هذا اللغز فقالوا إن «أمنحتب» اسم على حدة و «حوى» اسم آخر وأنهما زميلان أو أخوان (راجع Sethe A. Z. p. 89 (1907)) ، وعلى هذا النمط أرادوا تفسير اسم « رومع — روى » ، وذلك لعجزهم عن التمييز بين الاسم الكامل والاسم المصغر لنفس الشخص عند المصريين الى أن حل هذه المعضلة الأستاذ «زيتة» ، وبهذه النتيجة التي وصلنا اليها في تحقيق شخصية هذا الكاهن الأعظم سقطت نظرية الأستاذ «برستد» وهي التي على حسبها كانت وظيفة الكاهن الأعظم «لآمون» في هذا العهد وراثية، وذلك لأن «رومع» كما يسميه «برستد» ، لا يمكن أن يورث وظائفه «لروى» للأسباب التي ذكرناها ، ومن جهة أخرى لم يخلف الكاهن الأكبر « رومع روى » بوصفه الرئيس الأعلى لكهنة «آمون» بالكرنك ، ابنه « باكنخنسو » الذى لم يتجاوز ترقيه وظيفة الكاهن الثاني « لآمون » . والواقع أن المتن الذى حدا بالأستاذ « برستد » للاخذ بهذه النظرية هو قول « باكنخنسو » الكاهن الأكبر للإله « آمون » في أحد نقوشه ما يأتي : " ليت ابني يكون في مكاني ، وأن يكون شرف مقامي في يديه (وأن ينتقل هذا) من الأب للابن حتى الأبدية " . والواقع أن هذا التمني لم يكن حقيقة واقعة بل كان مجرد رجاء ودعاء نقرأ أمثاله كثيرا في كل عصور التاريخ المصري وبخاصة في عهد الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة (وقد دعا به «رومع روى» لنفسه في مكان آخر طالبا أن يعمر عشر ومائة سنة) . أما القول بأن « روى » يمكن أن يكون حفيد « باكنخنسو » الكاهن الأول لآمون السالف الذكر وذلك لأن ابن « روى » هذا كان يسمى « باكنخنسو » — ومن ثم يستنبط ان رياسة الكهنة كانت وراثية منذ عهد «باكنخنسو » في حكم « رعمسيس الثاني» — فإنه قول لا يعتمد عليه للأسباب التاريخية التي ذكرناها .

وحقيقة الأمر أننا لا نعرف شيئا البتة عن أصل والدى « رومع روى » ، ولكننا نعرف الكثير عن مجال حياته من النقوش التي تركها لنا فقد عني بترجمته

لنفسه عناية عظيمة[1]، فاستمع لما يقصه عن نفسه على أحد تماثيله : "لقد وصلت الى سن الحلم فى بيت «آمون» ، وقد كنت وقتئذ كاهنا مطهرا كاملا ، وكان عقلى متيقظا ، وفضيلتى ممتازة ، وخططى تسير إلى هدفها . ولما كنت قد انتخبت لأعمالى الطيبة فى معبده وكذلك وعدت بأن أكون « والد إله » لأجل أن أجيب نداء روحه المفخم (كا) وأشبع رغباته فإنه (أى آمون) قد كشف عن صفاتى وكافأنى لفضيلتى ، وجعل الملك يعرفنى ويذكر اسمى أمام رجال البلاط . وقد عمل مرسومى لكل وظيفة عالية شغلتها عند نفس الفرعون « رعمسيس الثانى » بن « آمون » من صلبه ، وقد كافأنى « آمون » من جديد بسبب امتيازى ونصبنى كاهنا ثانيا . ولما كانت خزينته ومخزن غلاله دخلهما مفيد لفلاح معبده فإنه أضافهما إلى أعمالى فضلا عما أغدقه على من خير ، ونصبنى رئيسا أعلى فى معبده بوصفى الكاهن الأول (لآمون) " .

وعلى الرغم مما فى هذا المتن من الغموض فى بعض نواحيه ، فإنه يكشف لنا عن معلومات غاية فى الأهمية . فالفرعون الوحيد الذى ذكر فيه هو «رعمسيس الثانى» ، ولم يلمح هنا بأى تغيير فى عرش الملك قط ، ولذلك يمكننا أن نستنبط بحق أن « رومع — روى » قد وصل إلى قمة رقيه فى عهد هذا الفرعون المسن ، أى قبل موته بزمن قليل ، وأنه قد خلف « باكنخنسو » مباشرة على كرسى رياسة الكهانة لآمون فى « الكرنك » ، أما تدرّج « رومع — روى » فى وظائف الكهانة فقد وصفه لنا هو بدقة أيضا بعد تلاوة صلاة نقشت على تمثال آخر له (راجع Legrain Catal. Gen. No. 42 185; Lefebvre Insc. No. 4.) فيعدّد لنا ألقابه فيقول : إنه كان كاهنا مطهرا أمام « آمون » ، ووالد إله « لآمون » ، ثم كاهنا ثالثا « لآمون » ، وكاهنا ثانيا « لآمون » ، ومدير خزانة « آمون » ، ومدير مخازن غلال «آمون» ، ورئيسا لكهنة كل الآلهة (فى طيبة) وكاهنا أول « لآمون — رومع » .

(١) راجع : Legrain Cat. Gen. No. 42185, 42186; Lefbvre Inscrip. No. 10.

وقـد امتدّت خدمة هـذا الكاهن الأكبر إلى عهـد الفرعون « مرنبتاح » (حوالى ١٢٣٣ — ١٢٢٣ ق م)، إذ وجدنا اسمه منقوشا بوضوح على أحد تماثيل هذا الكاهن الأكبر المحفوظة « بالمتحف المصرى » (راجع Journal D'Entrée No. 37874;& A. S. XXIV (1924) p. 134.)، وكذلك على لوحة جبل السلسلة (راجع L. D. III, p. 200 a) . وقد كتب على هـذه الآثار ألقابا جديدة لهـذا الكاهن من بينها : «المشرف على كهنة كل الآلهة فى الوجهين القبلى والبحرى . وهذا اللقب لم يكن يمنح إلا نادرا لرئيس كهنة «آمون» فى خلال الأسرة التاسعة عشرة، وهذا اللقب يقابل لقب «المشرف على كهنة الوجهين القبلى والبحرى» الذى كان يحمله الكاهن الأوّل وغيره فى خلال الأسرة الثامنة عشرة . ولم نجد من كان يحمله من بين الكهنة الأول فى عهد الأسرة التاسعة عشرة إلا الكاهن الأوّل «لآمون» «نبنترو» فى عهد « سيتى الأوّل » .

وقد عرف « رومع — روى » كيف يستغل ضعف « مرنبتاح » ليقـوّى مركزه الشخصى و يمكنه من التمتع بالسيادة التى كان يتمتع بها الكاهن الأوّل «لآمون» قبل قيام «إخناتون» بحركته الدينية المعروفة . والواقع أنه قد أفلح فى ذلك فلاحا عظيما لدرجة أنه تمكن من نقش اسمه وصورته على أحد جدران معبد « الكرنك » وقد كان هـذا امتيازا مقصورا حتى الآن على الفـرعون وحسب ، ولم يكن فى استطاعته اتخاذ هذه الخطوة التى كانت تعدّ فى نظر الكهنة الأول فى عهد الأسرة الثامنة عشرة انتهاكا لحرمة القداسة الملكية، إلا عندما شـعر بضعف سلطة الملك الدنيوية وقتئذ، أى عندما أخذ يشعر بضعف الفرعون فى حكم البلاد وقلة نفوذه فيها . فقد وجدت على الجدار الشرقى للبوّابة الثامنة بالكرنك ثلاثة متون مدوّنة على عارضتى وعتب باب صغير يؤدّى إلى السلم فى داخل هذا الجدار، ثم نجد على اليمين مباشرة من الجهة الشمالية لهذا الباب لوحة عظيمة تحتوى على النقش العظيم الذى أطلق عليه الأثرى « لفبر » (النقش التذكارى) وهذه المتون كلها كانت مؤرّخة،

غير أنه مما يؤسف له كثيرا وجود التاريخ مهشما ولم يبق منه أى شىء يرشدنا عن عصره إلا طغراء يحتوى لقب «سيتى الثانى» . يضاف إلى ذلك أننا نرى فوق عتب الباب المذكور لوحة تمثل «سيتى الثانى» يتعبد أمام الإله «آمون» ويقدّم له قرابين ملكية وهنا نلحظ أن طغراءى الملك كانتا سليمتين .

وهكذا نرى أن «رومع — روى» الذى بدأ يشغل وظيفة رئيس كهنة «آمون» بالكرنك فى نهاية عهد «رعمسيس الثانى» ظل فى حظوة خلفه «مرنبتاح» عشرة أعوام ، ثم مر بسلام مدة الاضطرابات التى وقعت فى عهد كل من «أمنموسس» و «سبتاح» ، ليشهد كذلك تربع «سيتى الثانى» (حوالى ١٢١٤ ق.م) على عرش الكنانة مدة عشرين سنة ، وكان فى كل هذه الأوقات يشغل وظيفة الكاهن الأكبر بالكرنك ، وقد ارتفع الى سنّ الشيخوخة مغمورا بأفضال «آمون» وإنعاماته يحيط به أولاده وأحفاده متقلدين كلهم وظائف كهانة فى معبد الكرنك ؛ ولدينا أنشودة على أحد تماثيله المحفوظة «بالمتحف المصرى» (التمثال رقم ٤٢١٨٥) يتمدّح فيها بفضل الآلهة عليه فاستمع لما جاء فيها :

إنى رجل باسل يقظ نافع لسيده ، أقمت له الآثار فى بيته بقلب محب ، ولبى يشتغل فى كل الأعمال ويبحث عن كل نافع لإلهى السامى ، وقد كافأنى على كل ما عملته لأنى كنت مفيدا له . ولقد مكننى بوصفى الرئيس الأعظم على رأس بيته ، وهكذا قد وصلت إلى الشيخوخة وأنا فى خدمته مغمورا بانعاماته ، وأعضائى لم تزل مملوءة صحة وعيناى تريان ، والأطعمة المفيدة لم تزل باقية فى فمى ، فى حين أن نعم الفرعون تصيبنى بفضل «آمون» .

وقد منحنى «آمون» أجيالا من أولادى مجتمعين أمامى يؤدّون وظائف الكهنة المكلفين بحمل تمثاله . وبينا كنت الكاهن الأوّل بفضل «آمون» إذ كان ابنى يسكن بجانبى كاهنا ثانيا «لآمون» ، وابنى الثانى كاهنا مطهرا فى المعبد الملكى فى غربى طيبة وابن ابنى الكبير ؟ كاهنا رابعا يحمل «آمون» رب الآلهة ، وابن ابنى الآخر والدا له ، وكاهنا مرتلا ذا يدين طاهرتين لصاحب الاسم الخفى «آمون» .

ليته يجعل اسمى يبقى على تمثالى بجانب هذه الأوقاف الخيرية التى عملتها فى هذا البيت ، وأن يخلد ذكرى اسمى عليها فى المستقبل سرمديا ، وليت الأجيال المقبلة تمدحنى لأعمالى الصالحة لأنى كنت رجلا مقداما .

وتدل شواهد الأحوال على أن التمثالين اللذين عثر عليهما « لجران » فى خبيئة الكرنك وهما اللذان يحملان رقمى (٤٢١٨٥، ٤٢١٨٦) لم يكونا منصوبين فى مكانهما الأصلى ، ومن المحتمل جدًّا أنهما كانا معروضين فى الأصل بجانب أحد الآثار التى أقامها «رومع روى» فى معبد « آمون» كما يدل على ذلك المتن السابق . والواقع أن « رومع روى » هذا كان مهندس عمائر مثل معظم الكهنة العظام لمعبد «آمون» . ولا بدّ أنه لهذا السبب قد ذهب إلى محاجر «السلسلة» ،وعلى الرغم من أنه لم يقم هناك ضريحا على غرار ما فعله معظم أسلافه هناك ، فانه ترك لنا عوضا عن ذلك تذكارا لزيارته وهو لوحة تمثله واقفا بجانب الفرعون «مرنبتاح» يتعبد أمام الإله « آمون» (راجع L. D. III, 200 a) وقد نقش عليها صيغة القربان المزدوجة التى يدعى فيها تارة «رومع» وتارة أخرى «روى» ويتبعها صلاة لأجل روح (كا) الأمير الوراثى ووالد الإله ، وصاحب اليدين الطاهرتين، ورئيس الأسرار فى السماء وفى الأرض وفى العالم السفلى، ومضحى ثور أمه ، ورئيس جند « آمون» ،والمشرف على الذهب والفضة فى بيت « آمون » ، ومدير الأعمال الخاصة لكل آثار جلالته ، والكاهن الأوّل لآمون « روى » .

ويحدّد لنا أحد النقوش التى على تمثاله المحفوظ «بمتحف القاهرة» (رقم ٤٢١٨٥) أنه كان مدير الأعمال فى الكرنك ، وأنه هو الذى كان يعطى كل التعليمات للصناع وأصحاب الحرف؛ كما نجده يفتخر فى النقوش التى على التمثال رقم ٤٢١٨٦ بأنه بجدّه ومهارته قد أقام آثارا مختلفة فى بيت « آمون» باسم سيد الأرضين، وتشمل تماثيل من فضة وذهب مشغول ومطروق، ثم محرابا مجهزا ببابين عظيمين من الذهب المرصع بكل أنواع الأحجار الغالية (الحقيقية)، وكذلك يتحدّث عن مبنى كان قد وسع أبوابه ونقش عليه اسم سيد التيجان، وأخيرا يذكر لنا سفنا جارية فى النهر « لآمون » و «موت» « وخنسو » (ثالوث طيبة) .

والواقع أن البناء الذى وجه إليه معظم عنايته لم يكن معبدا ولا مقصورة بل كان مسكن الكهنة العظام . وهذا المسكن كان يقع فى الجزء الجنوبى الشرقى من

ضيعة « آمون » على ربوة خارج الردهة التى تمتد بين البوابتين السابعة والثامنة على حافة البحيرة المقدسة العظيمة . والواقع أن المعبد المقام من حجر المرمر وهو الذى وجدعليه « مريت باشا » نقشا للكاهن الأعظم «أمنحتب» ، وكذلك الجدار الذى يوصله بالمبانى المصنوعة من اللبن التى هدمت الآن ، والذى نقش عليه « رومع — روى » ومن بعده «أمنحتب» متنا يدل على ما قاما به من إصلاح ، كان يتألف منها جميعا مسكن الكهنة العظام ومقصوراتهم الخاصة .(راجع Maspero Momies Royales p. 670) . وهذه المؤسسة الدينية يرجع تاريخها إلى عهد الأسرة الثانية عشرة ؛ وقد كان الكهنة العظام من حين إلى حين يصلحون من شأنها كلها ، أو جزء صغير من أجزائها على حسب الأحوال (راجع L. D. III, p. 237 & Lefebvre Inscrip. § XI) . وكان الجزء الذى شرع « رومع — روى » فى إصلاحه فى هذا البناء هو المكان المخصص للخبازين وصانعى الجعة . وبهذه المناسبة نقش على البوابة الثامنة على يمين الباب الصغير ، الذى يؤدى إلى السلم النقش التذكارى المشهور الذى أشرنا اليه . ونلحظ أن « رومع — روى » ، قد تجاسر هنا وأمر برسم صورته واقفا مرتديا ثوبه الشفيف الفضفاض ، مكشوف الرأس حليقا ، ويحلى جيده عقد وخلفه ابنه «باكنخنسو» وهو الذى خلفه فى منصب الكاهن الثانى للاله «آمون» عندما رقى هو لمنصب الكاهن الأول .

ويلاحظ أن الكاهن الأعظم فى هذا المنظر كان رافعا يده تضرعا وخشية . والواقع أن المتن يبتدئ بأنشودة تضرع للاله «آمون رع» . وبعد أن طلب « رومع — روى » إلى ربه أن يمنحه حياة مديدة سعيدة ، وأن يحفظ عليه صحته حتى الممات وأن يضمن له أبديا توريث أولاده وأحفاده من بعده فى وظائفه ، عدد لنا مناقبه حيث يقول : "أنتم يأيها الكهنة المطهرون ويا كتبة بيت « آمون » ويأيها الخدم الممتازون للقربان المقدسة ، ويأيها الخبازون ، وصانعو الجعة وصانعو الحلوى ، وخبازو الرغفان (المسماة) «سنت» و «بيت» و «بسن» الذين يقومون بأداء واجباتهم نحو سيدهم ، والذين سيدخلون

فى هذا المصنع الذى فى بيت «آمون» ، عليكم أن تنطقوا باسمى كل يوم ما نحيين إياى ذكرى حسنة وعليكم أن تفخمونى لأعمالى الصالحة لأنى كنت رجلا مقداما " .

لقد وجدت هذا المكان آثاره دارسة تماما ، وجدرانه ساقطة ، وخشبه متآكل ، و إطاراته التى كانت من الخشب قد اختفت ، وكذلك الألوان التى كانت تغطى النقوش البارزة قد أعددتها ووسعت ... ... بأحسن ما يكون ، وقد صنعت الاطارات من حجر الجرانيت وركبت له أبوابا من خشب الأرز الحقيق ، وأقمت فيه مصنعا مريحا للخبازين وصناعى الجعة الذين يسكنونه . وقد عملت هذا بصناعة أحسن من ذى قبل محافظة على موظفى إلهى « آمون » سيد الآلهة .

وتدل النقوش على أن برجى البوّابة الثامنة كانا بمثابة ملحق لسكن الكهنة العظام على الأقل فى عهـد « رومع — روى » ، إذ قـد عثر الأثرى « لقبر » على نقشين فى أحد الجـدران فى الجزء الأعلى من السـلم المؤدّى للبرج ، والنقش الأوّل الذى على اليمين هو منظـر محاط بسطرين من النقوش الهيروغليفية السريعـة . وقـد مثل فى المنظر شخص صغير يقف ورافعا يديه تعبدا ، أما الكتابة فتقول : " عمله رئيس تشريفات بيت « آمون » ، ورئيس إدارة الكاهن الأوّل « لآمون رومع » والمسمى « أمنابت » " . (ثم يأتى بعـد ذلك عمود خال من النقش) "ونقاش معبد « آمون » « باكنورل » ابن « حاو نفر » والنقش الثانى نحت على مخرج السلم على الجدار الذى يحمل العتب وهو : كاوى ملابس بيت « آمون » وحارس حجرة الكاهن الأعظم لآمون « روى » المسمى « سمنتاوى » " .

ونفهم فى الحال أهمية هذين النقشين ، إذ يدلان على وجود إدارتين فى داخل البوّابة الثامنة فى عهد الكاهن « رومع — روى » بالقرب من المبانى الخاصة بمسكن الكهنة العظام . وكذلك نعلم أن (تشريفى) « رومع — روى » وهما « أمنابت » وتابعه « سمنتاوى » كانا يتردّدان على هذه الأماكن للقيام بخدمات لسيدهم .

وتدل النقوش على أن «رومع — روى» لم يصل إلى رتبة كاهن أوّل للإله «آمون» إلا فى سنّ مرتفعة جدّا ، وقد مكث يشغلها مدّة طويلة ومات معمرا ، وقد كان منتهى أمله وما تتوق إليه نفسه أن تمتد به السنون إلى العاشرة بعد المـائة ، إذ نجده فى نقوشه قد تضرع إلى ربه راجيا أن يمنح هذا العمر المديد الذى كان يطمع إلى

بلوغه كل مصرى . وقد دفن « رومع — روى » فى قبره بجبانة « ذراع أبوالنجا » ، ولكن مما يؤسف له جدّ الأسف أن هـذا القبر لم يبق منه إلى يومنا هذا إلا دمنه التى تحدث عن موقعه ، ووجد له فى بقاياه تمثال صغير من الجرانيت ، وقطع مختلفة من الحجر كتب عليها اسمـه المزدوج « رومع — روى » (راجـع The Museum Journal, Philadelphia March 1924, p. 41.) .

ونـتـاوات » الكـاهـن الأول« لامون خنوم واست »

ذكرنا فيما سبق الكهنة الأول للاله « آمون » فى الكرنك فى عهد « رعمسيس الثانى » غير أن بعض علماء الآثار قـد ظن أن الكاهن « ونتاوات » كان ضمن هؤلاء الكهنة فمن ذلك أن « لجران » الذى عثر على تمثال فريد لهـذا الكاهن قال إنه للكاهن الأوّل «لآمون» (راجع Legrain, Cat. Gen. No. 42158) معتمدا فى استنباطه على ملابسه إذ يرى فى شعره المستعار المجعد وجلبابه الطويل ذى الثنايا والكمين الملتويين أنه من عصر « رعمسيس الثـانى » وقد استند فضـلا عن ذلك على رأى العالم « مسبرو » الذى قال عن هذا التمثال إن صاحبه عاش فى أواخر عهد « رعمسيس الثانى » ، (راجع Maspero Momies Royales p. 747) وقد قفا الأثرى « فرشنسكى » رأى « مسـبرو » ، غير أنه لم يفهمه تماما إذ قال إن هـذا الكاهن عاش فى العصر الأثيوبى (راجـع Wreszinski, Die Hohenpriester No. 70) ولكن من جهـة أخرى تدل البحوث على أن اللـوحة التى اعتمد عليها « مسبرو » فى تقرير رأيه ليست قديمة إلى الحـد الذى يعتقده ، بل إنها فى الواقع من عهد الأسرة العشرين ، ومن جهة أخرى قد أصبح من المؤكد أن «ونتاوات» الذى كان يشغل وظيفة نائب الملك فى بلاد النوبة كان يشغل حقا وظيفة الكاهن الأوّل غير أنها لم تكن «لآمون رع » ملك الآلهة بالكرنك بل « لآمون رعمسيس» « وآمون خنوم واست » (راجع Grand Temple de Ramses II à Gourneh; Lefebvre Grands Pretres D'Amon. De Karnak. p. 160-61)

كهنة « آمون » الثانويون وموظفوه فى مختلف الأعمال

وقد عثرنا على أسماء بعض كهنة « آمون » فى عهد « رعمسيس الثانى » من درجات مختلفة نذكر منهم :

« زت » : الكاهن الثانى «لآمون» وقد عثر على تمثال عجيب باسمه فى جبانة « ذراع أبوالنجا » وهو الآن «بالمتحف المصرى» (راجع Petrie Hist. III, p. 96

« وسرمنتو » : ويحمل لقب «خادم آمون» (أى كاهن آمون) . وقد جاء اسمه على قطعة من بردية عثر عليها فى « سقارة » ، ويدل ما تحتويه على أنها كتبت فى «طيبة» وهى من الأهمية بمكان إذ تحتوى على موضوع قضية أقامها كاتب الأطعمة المسمى « نفرعابو » وأخته بسبب قطعة أرض من أملاك معبد الإلهة « موت » وكانا قد حرما تميرها مدّة طويلة ، على الرغم من أنها كانت هبة لها . وعندما أراد أن يستردّها هذا الكاتب ويستولى على محصولها عارضه فى ذلك « وننفر » كاهن معبد الإلهة «موت» قائلا : إن هذه الأرض قد أصبحت ملكا لمعبد الإلهة «موت» منذ زمن بعيد ، ولكن المحكمة بعد فحص الدعوى حكمت للمدّعى بالحق . وهذه من القضايا النادرة التى صادفناها فى تلك الأزمان القديمة .

وقد كان « وسرمنتو » ضمن القضاة المحكمين فى هذه القضية وعددهم تسعة ، ويلحظ أن ستة منهم كانوا من كهنة معبد « آمون » مما يدل على ما كان لهذا الإله من السلطان فى «طيبة» وفى تشكيل رجال المحكمة ، وقد كان على رأسها الكاهن الأكبر « باكنخنسو » للاله آمون . وقد كتبت الورقة فى السنة السادسة والأربعين من عهد الفرعون « رعمسيس الثانى » وهاك الجزء الأوّل منها الذى لم يصبه تهشيم كبير " السنة السادسة والأربعون ، الشهر الثانى من فصل الزرع ، اليوم الرابع والعشرون فى عهد جلالة ملك رب الأرضين «وسرماعت رع ستبن رع بن رع» رب التيجان «رعمسيس» محبوب« آمون» حاكم « هليو بوليس » المحبوب من « آمون رع » ملك الآلهة ، معطى الحياة مخلدا وسرمديا . فى هذا اليوم فى قاعة العدل للفرعون فى المدينة الجنوبية المسماة « التى تنشرح بالعدالة عند البوّابة لرعمسيس الثانى » . ومحكمو هذا اليوم هم :

(١) الكاهن الأول لآمون « باكنخنسو » .

(٢) كاهن آمون « وسرمنتو » .

(٣) كاهن آمون « رومع » .

(٤) كاهن معبد « موت » « وننفر » .

(٥) كاهن معبد « خنسو امنمئيون » .

(٦) الكاهن والد الإله لمعبد آمون « أمنابت » .

(٧) الكاهن المطهر والمرتل لآمون « امنحتب » .

(٨) الكاهن المطهر والمرتل لآمون « آنى » .

(٩) الكاهن المطهر لمعبد آمون « حوى » .

(١٠) كاتب الحسابات لقاعة العدل « حوى » .

وبعد تعداد المحكمين يقدّم المدعى دعواه ، ومما يؤسف له أن المتن مهشم ولكن أمكن فهم مغزى القضية على وجه التقريب والواقع أن هذه الورقة تقدّم لنا عددا لا بأس به من رجال الكهانة فى هذا العهد وكيفية تشكيل المحكمة . ولا نزاع فى أن الأمر كان هنا خاصا بأملاك المعبد ولذلك نجد أن المحكمة شكلت من أعضاء كلهم من الكهنة عدا الكاتب الذى كان بيده حساب هذه القضية على ما يظهر (١) .

حريم « أمون » ومغنياته

ذكرنا فيما سبق ما نعرفه عن حياة الكهنة الأول لمعبد « آمون » بالكرنك، ويجدر بنا فى هذا المقام أن نذكر الدور الذى كانت تقوم به أرواج هؤلاء الكهنة وبناتهم وغيرهنّ فى خدمة الإله العظيم وغيره، والوظائف التى كانت تسند إليهنّ .

والواقع أن كل المعابد كانت تشمل ضمن موظفيها عددا عظيما جدا من الموسيقارات والمغنيات وكانت وظائفهن سهلة بسيطة فى ذاتها ، إذ كانت تنحصر فى الغناء أو الضرب بالصاجات فى الأعياد ، ولا شك فى أن حضورهنّ كان يزيد فى أبهة المحافل ورونقها ، وكذلك كما يقول الأثرى « بلكمان » كانت النساء على وجه

(١) راجع : Erman A. Z. XVII, p. 72; Peet. J. E. A. Vol. X, p. 118 & Bahor. A. S. XLVIII, p. 477

ألتقريب اللائى كنّ يسكنّ فى «طيبة» أو ما جاروها فى معابد الدولة الحديثة يقمن بوظيفة كاهنات مغنيات (راجع J. E. A. VII, p. 9) ويجدر بنا هنا أن نذكر أن عملهنّ هذا كان يقابل عمل الرجال العاديين الذين كان يحمل كل منهم لقب «مغنى آمون» (راجع Pierret Louvre I, p. 98 etc.) ويكفى أن نشير هنا إلى أن بنتى الكاهن «حبوسنب» الذى عاش فى عهد الملكة «حتشبسوت» وكذلك بنات «بتاحمس» الخمس وزوج «رومع — روى» كنّ مغنيات الإله «آمون»، وتدل الوثائق على ما يظهر على أن هؤلاء الكاهنات كنّ كباقى أفراد كهنة «آمون» الصغار ينقسمن طوائف كهانة منذ الأسرة الثامنة عشرة . والواقع أنه يوجد لدينا تمثال من الكرنك من هذا العهد نقش عليه لقب مغنية «آمون» من الطائفة الثانية (راجع Legrain Cat. Gen. No. 42122 d, 11)، وكذلك نقرأ على لوحة عثر عليها فى «العرابة المدفونة» اسم مغنية من الطائفة الرابعة (راجع Lacau Cat. Gen. No. 34117) وقد بقيت الحال كذلك إلى عهد الأسرة الثانية والعشرين حينما ظهر لقب موسيقارة «آمون رع» (أخت آمون رع) (راجع Legrain Cat. Gen. No, 42189 & 42213 ff)، ومن المحتمل أن هؤلاء المغنيات كنّ ضمن كهنة «آمون» وهنّ غير المغنيات اللائى كنّ خارج هذه الهيئة ونعلم أنهنّ كنّ ينقسمن أربع طوائف (راجع Legräin Cat. Gen. No. 42211 e) .

وقد كان ضمن كاهنات «آمون» ما نسميه حريم «آمون» أو حظياته، وهؤلاء كذلك كنّ مقسمات طوائف كهانة، وكان على رأس كل طائفة رئيسة، كما يدل على ذلك لقب رئيسة حريم «آمون» من الطائفة الثالثة (راجع Wreszinski Die Hohenpriester § 57 (XX - XXII Dyn ?)) . ومن المحتمل أن هؤلاء الحظيات كنّ ينتخبن من بين المغنيات، إذ وجدنا أن إحدى هؤلاء الرئيسات التى كانت تلقب رئيسة الحريم مغنية «لآمون» (راجع Mariette Cat. des Mon. D'Abydos No. 1137) .

ونعلم مما سبق أن « تويا » حماة « أمنحتب الثالث » كانت كذلك رئيسة حريم وفى الوقت نفسه مغنية « آمون » (راجع الجزء الخامس ص٦١)، ومن ثم نعلم أن هذه الوظيفة كان فى الإمكان إسنادها إلى نساء عظيمات ممن ينتسبن للأسرة المالكة . وعلى وجه عام كانت زوج الكاهن الأكبر(١) أو إحدى(٢) بناته هى التى تقوم بأعباء هذه الوظيفة ، وأحيانا كانت تسند إلى زوج الكاهن الثانى « لآمون(٣) » .

وإنا نجهل الدور الذى كانت تقوم به هؤلاء الكاهنات ، اللائى لم يكنّ قاصرات على خدمة الإله « آمون » ، بل كان للآلهة والإلهات الأخرى خادمات من النساء كما سترى بعد . ويعتقد الأستاذ « مسبرو » أن هؤلاء النسوة كنّ على ما يظهر يؤلفن طائفة حظيات مقدّسات ، شبيهات بالطوائف الفينيقية والسورية والكلدية . (راجع Maspero Guide p. 276) . ومن المحتمل أنهنّ كنّ يؤلفن حاشية فقط ، أو ضيفات شرف لدى زوج الإله ، التى كان يعتقد أنه كان لها اتصال جسمى مع الإله ، ولذلك كان يظنّ أنها تقوم على الأرض بالدور الذى كانت تقوم به الإلهة « موت » ، التى كانت تدعى « الزوجة الإلهية للإله آمون » ، وهذا الدور فى الأصل كانت تقوم به الإلهة « حتحور » زوج الإله « رع » . وقد انتحل « آمون » لنفسه صفة « رع » عندما علا نجمه فى عهد الدولة الحديثة (راجع Blackman Ibid. p. 14) . وكانت تلقب زوج الإله كذلك « اليد الإلهية(٤) » ، أو المتعبدة الإلهية « لآمون » . وهذا الدور الهام الذى كانت تقوم به زوج الإله الدنيوية ، كانت تقوم بأدائه بطبيعة الحال الملكة ، إذ كان المفروض أن « آمون » يتقمص الفرعون الحاكم ، وكان هذا الإله أحيانا يتفضل

(١) راجع : Histoire des Grands Pretres p. 248 - 9, 255

(٢) راجع : Ibid. p. 247

(٣) راجع : Ibid. p. 25 note 3

(٤) المقصود هنا أن اليد كانت تستعمل لاستمناء الرجل ، كما استعمل الإله « آتوم » يده فى إحدى الروايات عند بدء الخليقة .

بمباشرة الملكة لتنجب، وكان الغرض الوحيد من ذلك هو تخليد سلسلة نسب ملوك مصر الإلهية، وقد كانت أمثال هذه الظاهرة تحدث لضرورات سياسية داخلية . (راجع Moret Du Caractere Religieux de la Royaute Pharaonique, Chap. II.) .

وقد ذكرنا آنفا أولئك الملكات اللائى كنّ يحملن هذا اللقب فى عهد الأسرة الثامنة عشرة . أما فى عهد الأسرة التاسعة عشرة ، فلم نجد من زوجات الملوك من كنّ يحملن هذا اللقب ، إلا زوج « رعمسيس الأول » وزوج « سيتى الأول » ، ثم زوج الملك « سبتاح » ، ثامن ملوك الأسرة التاسعة عشرة . (راجع L. R. III, p. 9, 29, 145) .

وتدل الوثائق التى فى متناولنا ، على أن زوج الإله « آمون » ، كان لها الحق فى إدارة كل شئون الكاهنات فى معبد الكرنك، وأنها كانت المشرفة عليهنّ فى وقت الأحفال ، وكانت تقوم بدور الضرب بالصاجات ، وتغنى لتسرّ الإله ، وتحمل له الأزهار . (راجع A. Z. 35, p. 17; A. S. V, (1905) p. 85, 92) . وكان لها بيت خاص، يديره موظف لقبه : مدير بيت الزوجة الملكية، كما كان لها موظف يحمل لقب المدير العظيم للبيت ، يضاف إلى ذلك أنه كان فى حيازتها معامل للصناعة، يديرها موظف لقبه المشرف على مصانع زوج الإله . (راجع Maspero Momies Royales p. 539; Urk IV, 403, 2; Daressy Recueil Cones No. 247.) .

وسنذكر فيما يلى بعض هؤلاء النسوة اللائى كنّ يحملن هذه الألقاب الدينية :

(١) «نفرت موت» : رئيسة حريم « آمون » . (راجع Lieblein Dic. Noms. 2052) .

(٢) «تيي» : مغنية بيت الفرعون ، ورئيسة حريم « آمون » . وهذه المرأة كانت ابنة الوزير « باسر » ، الذى عاصر كلا من « سيتى الأول » ، و « رعمسيس الثانى » . (راجع Champ. Notices I, p. 523) .

أما النساء اللائى كنّ يحملن لقب مغنيـة « آمون » فهنّ كثيرات فى عهـد « رعمسيس الثانى » وسنذكر بعضهنّ على سبيل المثال ونخص بالذكر :

« تا كمعى » : مغنية « آمون » ، ثم « تيا » ، و « تويا » ، و « باكامون » ، و « ييى » ، و « ويا » ، وكلهنّ من أسرة واحدة . (راجـع Mariette Cat. Abydos No. 1128) ، وكذلك « حنت محيت » ، و « نفرتارى » ، و « ياى » . والظاهر أن كل هؤلاء من أسرة واحدة ، وهى أسرة رئيس الشرطة « أمنمانت » . (راجع ص و Brugsch Thesaurus p. 951-ff) .

وقد كان لمعبد « آمون » طائفة خاصة من الموظفين ، نذكر منهم على سبيل المثال فى عهد « رعمسيس الثانى » ما يأتى :

« ستاو » : المشرف على خزينـة « آمون » ومدير أعيـاده : يوجد لهـذا الموظف لوحة فى المتحف البريطانى (No. 566) ، وقد مثل عليها « ستاو » يتعبد للإلهين « رع » و « إزيس » . وفى منظر آخر يقـدّم البخور وماء الطهور للإله « أوزير » ، وعلى حافة اللوحة نقشت صـلوات للإله « رع حـور مأخت » ، و « حتحور » ، و « أنوب » ، و « وبوات » ، و « تحوت » ، رجاء أن يقدّموا للتوفى قربانا . (راجع Budge. Sculptures p. 189) .

« نخت تحوتى » : المشرف على عمال بناء السفن للبحرية الشمالية ، والمشرف على صياغ الذهب فى ضيعة « آمون » . وقبر هـذا الموظف « بالعساسيف » . (راجع Gardiner & Weigall Cat. No. 189) .

« مس » (موسى) : المشرف على أعمـال رب الأرضـين ، فى كل أثر « لآمون » . وقبره فى جبانة « شيخ عبد القرنة » (رقم ١٣) . (راجع G. W. Cat. No. 137) .

« آمون واح سو » : كاتب النقوش المقدّسة فى ضيعة « آمون » . وقبره فى جبانة « شيخ عبد القرنة » (رقم ١١١) . (راجع Ibid. No. 111) .

« مرى خنوم » : رئيس الكتبة فى معبد « آمون » ، والمشرف على المدينة فى الأراضى الأجنبية الجنوبية : عثر لهذا الموظف على لوحة منقوشة فى صخور جزيرة «سهيلى» ، وقد مثل فيها واقفا يتعبد أمام « رعمسيس الثانى » الجالس على عرشه . (راجع De Morgan Cat. Mon. I, p. 99 (No. 197)).

موظفو معبد « الرمسيوم »

يدل ما لدينا من آثار باقية على أن « رعمسيس الثانى » قد رصد لمعبده الجنازى الذى أقامه لعبادته هو ولعبادة الإله « آمون » ، موظفين وعمالا ، وحبس عليه الأوقاف الكثيرة . وسنذكر بعض هؤلاء الموظفين ، ومما يلفت النظر أن هؤلاء الرجال كانوا يقومون بأعمال حكومية أخرى ، ومن المحتمل أن عملهم فى هذا المعبد كان إضافيا أو عملا فخريا ، كانوا يتقاضون عليه أجرا وفيرا ، مما كان يحبس عليه من أموال طائلة ، وأراض شاسعة ، وهذا ما يقابل فى عصرنا تعيين نظار الأوقاف العظيمة التى يتقاضى القائمون عليها مبالغ ضخمة ، وهذا المعبد كان يسمى قديما : معبد « وسر ماعت رع ستبن رع » فى بيت « آمون » .

« نزم » : كاتب الفرعون ، ومدير معبد «الرمسيوم» ، وجد اسمه على مجموعة مؤلفة من تماثيل مهشمين ، عثر عليها فى « العرابة المدفونة » . (راجع Petrie Abydos II, pl. XXXVIII, p. 36) .

« نب نختوف » : مدير الأعمال فى «الرمسيوم» ، وحاكم البلاد الأجنبية فى الشمال ، ورئيس شرطة الصحراء (مازوى) ، وسائق عربة جلالته ، ورسول الفرعون فى كل بلد أجنبى : وجد لهذا الموظف لوحة يظهر عليها « رعمسيس الثانى » ، وقارب الإلهة « إزيس » المقدس ، يحمله كهنة على أكتافهم . (راجع Petrie Koptos p. 15 - 16 pl. XIX) ، وقد وقف « رعمسيس » فى المنظر ، مقدما البخور « لإزيس » الكبرى ، أم الإله ، وقد كتب النقش التالى : " « رعمسيس » يطلق البخور لوالدته « إزيس » " . وتدل شواهد

الأحـوال على أن « نب نختوف » قد قص على هـذه اللوحة أحواله وما أصابه من ظلم . وهاك ما تبقى من المتن المهشم : " مدير الأعمال فى معبـد « وسر ماعت رع » « نب نختوف » الذى وضـعته ... المرحومة يقول : الصلاة لك يا « إزيس » ... يا صاحبـة الوجه الجميـل فى سفينة معنزت (سفينة النهار) ، يا صاحبة الشجاعة العظيمة ... أذرعا ماحية الشجار ومعيدة ... ومخلصة الضعيف من المتوحش ... على الأرض ، ومدينتك ... (٧) ... (٨) أنا على مصر ، وإنى قـد وقفت بين ... (٩) الأشراف ، بوصفى رئيس شرطة الصحراء ... (١٠) وهذا الخادم المتواضع (يقصد نفسه) ، قد وصل إلى مدينته ليقدّم الثناء « لإزيس » ، وليمجد الإلهـة العظيمة (١١) فى كل يوم ، وقد وضـعتنى بجانبه ، وقد تعبدت إليهـا قائلا (١٣) : إنك قـد خلصت « نب نختوف » ، وإنك ستخلصين ... (١٤) ... ، وأنك ستجعلين ... تأملى ، لقد عملت لوحة مثلها ... (١٥) ، وكل طرقها قد مكنت تماما ، ويدها لم توقف ... (١٦) تأمل ، إن ما قدّم له عمـل لى ، ولقد عملت بوصفى حاكم البلاد الأجنبية فى الأراضى الشماليـة ، وعملت بوصفى رئيس المـازوى ، وكذلك بوصـفى سائق عربة جلالته ، والسفير الملكى لكل أرض ، والمشرف على الأعمـال فى معبد « وسر ماعت رع سـتبن رع » فى معبد « آمون » (الرمسيوم) ، بوصفى خادم مفيد مثل نفسى ، وإن « إزيس » قد منحتنى ... "

وممـا بقى من هذه اللوحة المهشمة نعلم أن « إزيس » كان لها مكانة عظيمة فى هـذه الجهة ، ولا غرابة فى ذلك ، فقد كانت منـذ الدولة الوسطى تدعى أم الإله « مين » ، أعظم المعبودات فى هذه البلدة ، وكذلك نستنبط أن «نب نختوف» قد جاء لزيارتها فى « قفط » (مسقط رأسه) على ما يظهر ، وأنه قد شكا إليها من شىء قام عليه نزاع بينه وبين فرد آخر ، وقد قضت له « إزيس » بوساطة إشارة (وحى) من تمثالها ، تدل على أنه هو المحق . وما جاء على هذه اللوحة يذكرنا بما جاء على لوحة أخرى ، أقامها شخص يدعى «باسر» فى جبانة «مكان الصدق» فى «دير المدينة» ، وقد تحدّثنا عنها . (راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٢١٩) .

« رعمسيس نختو » : مدير معبـد « وسر ماعت رع ستبن رع » فى بيت «آمون» على الجهة الغربية من «طيبة» (الرمسيوم) : يوجد فى متحف «بروكسل» قطعة من الحجر عليها منظر يمثل « رعمسيس نختو » وأمامه شخص آخر يحرق البخور وخلفـه زوجه ربة البيت ومغنيـة « حتحور » سـيدة الجميزة « توى » المرحومة

(راجع P. S. B. A. Vol. XI, p. 261 - 2) . وقد كتب على هــذه القطعة من الحجر ألقاب هذا الموظف .

« خنوم محاب » : المشرف على خزانة الرمسيوم فى ضيعة «آمون» ، وقبره « بجبانة العساسيف » ، وقد وجد على جدرانه فضــلا عن لقبه السالف الألقاب التالية : "كاتب الملك الحقيق ، ومحبوبه ، وقائد جيوش رب الأرضين فى قصره"[١].

« نب سومنو » : المدير العظيم للبيت ، ومدير البيت فى معبد « وسر ماعت رع ستبن رع » . وقبره فى « الخوخة » رقم ١٨٣[٢]

« محو » : وكيل بيت « وسر ماعت رع ستبن رع » (الرمسيوم) فى ضيعة « آمون » فى غربى « طيبة » ، وقبره « بالعساسيف » رقم ٢٥٧ ، وهــذا القبر قد اغتصبه « محو » هذا من موظف آخر عاش فى عهــد كل من « تحتمس الثالث » و « أمنحتب الأول » يدعى « نفرحتب » كان يلقب « الكاتب حاسب حبوب آمون »[٣] .

والمنظر الهام فيه هو صورة المتوفى واقفا أمام تمثال الإله « تحوت » فى هيئة قرد على رأسه صورة قرص القمر والتــاج ، وفوق التاج صــورة الهلال يتعبد إليه بوصفه رب « الأشمونين » ، والكاتب الحقيق للتاسوع . وكان يحمل لقب كاتب القرابين المقدّسة لأرباب «طيبة»[٤] ، ويوجد لهذا الموظف لوحة فى «تورين»[٥] أيضا .

« نب محيت » كاتب المجندين فى «الرمسيوم» : وقبر هذا الموظف فى جبانة « ذراع أبو النجا » رقم ١٧٠[٦]

(١) راجع : G. W. Cat. No. 126 & L. D. Texte III, 249
(٢) راجع : G. W. Cat. No. 183
(٣) راجع : Engelbach Supplement to Topographical Catal. of private Tombs No 257.
(٤) راجع : L. D. Texte III, p. 25
(٥) راجع : Lanzone. Cat. Turin 1465
(٦) راجع : G. W. Cat. No. 170

« نزم بحر » : المشرف على الحديقة فى « الرمسيوم » فى بيت « آمون » وقبره فى « جبانة شيخ عبد القرنة » رقم ١٣٨ (١) ، وليس فى نقوش قبره ما يلفت النظر إلا منظر إلهة الجميزة تقدم طعاما لزوج المتوفى ، ومنظر حساب الآخرة . وله لوحة محفوظة الآن بالمتحف البريطانى ، وهى مؤرخة بالسنة الثانية والستين من حكم « رعمسيس الثانى » (٢) .

« بتاح مويا » : المشرف على ماشية « معبد الرمسيوم » ، والكاتب الملكى للقرابين الإلهية لكل الآلهة ، وقد وجدت هذه الألقاب على تمثال له عثر عليه فى « العرابة » (٣) ، وكذلك عثر له على لوحة محفوظة الآن « بالمتحف البريطانى » .

« بتاح مويا » كاتب حجرة الفرعون : وفى المتحف البريطانى لوحة باسم شخص يدعى « بتاح مويا » غير أنه يحمل ألقابا أخرى غير التى يحملها سميه السابق ، وهى : المشرف على الاسطبلات الفرعونية وكاتب حجرة الفرعون ، والرسول الملكى للأراضى الأجنبية . ويشاهد فى أعلى هذه اللوحة الشمس المجنحة التى تتدلى منها يدان بشريتان تحتضنان اسم « رعمسيس الثانى » . كما يشاهد فى أسفلها المتوفى يتعبد للآلهة « أوزير » و « إزيس » و « حور » ، ويقدم المتوفى القربان لأجداده الذين صفت صورهم فى ثلاثة صفوف (٤) .

« نفر رنبت » : رئيس النساجين فى « الرمسيوم » ، فى ضياع « آمون » غربى « طيبة » ، وقبر هذا الموظف فى « جبانة شيخ عبد القرنة رقم ١٣٣ » ، وقد وجد على السقف : أنه يحمل كذلك لقب المشرف على نساجى رب الأرضين ، ويرى على جدران قاعة مزار هذا القبر النساجون وهم يؤدون عملهم (٥) .

---

(١) راجع : Porter & Moss I, p. 138

(٢) راجع : Petrie Hist. III, p. 97

(٣) راجع : Petrie Abydos I, p. 45 pl. LXVII,

(٤) راجع : Budge, Guide to Sculptures p. 169

(٥) راجع : Porter & Moss I, p. 143; & A. S. VI, 84

« رعمسسو » : الكاهن المطهر والمرتل لمعبد « الرمسيوم » . عثر على هرم من الحجر الجيرى ، وهو الآن « بمتحف فينا [1] » وقد نقش على وجوهه الأربعة صلوات للشمس المشرقة ، وللشمس الغاربة ، وقد مثل الشمس المشرقة هنا « آمون رع حور اختى » ، ومثل الشمس الغاربة « أوزير خنت امنتى » . وقد كان « رعمسسو » صاحب هذا الهرم الكاهن المطهر ، والمرتل لمعبد الرمسيوم ، كما كان مدير القربان لمعبد الملك ، والإله « سوكار » فى « خنوم واست » ، والكاهن والد الإله « لآمون خنوم واست » أيضا . هذا إلى أنه كان الكاهن المطهر الأوّل للاله « بتاح » فى « الرمسيوم » .

« باكا » : كاتب معبد « الرمسيوم [2] » .

« باسر » : حارس البيت فى « الرمسيوم [3] » وقبره بجبانة « العساسيف » .

« باكنخنسو » : الكاهن المرتل الأوّل للاله « بتاح » فى معبد « الرمسيوم [4] » .

« بياى » : كاتب مخازن « الرمسيوم » ، وقبر هذا الموظف فى جبانة « ذراع أبو النجا » وكان يلقب كذلك « كاتب مخزن آمون خنوم واست [5] » .

« بارع محب » : المشرف على ماشية معبد « الرمسيوم » فى ضيعة « آمون » : لم نعثر على اسم هذا الموظف إلا على تمثال مجيب من الخشب محفوظ الآن بمتحف « روان [6] » (Rouen) .

« أيوبا » : مدير بيت معبد « الرمسيوم » : وقبر هذا الموظف غير معروف ، ولكن وجدت له عدة آثار فى متاحف العالم ، منها تمثال من الحجر الجيرى محفوظ بالمتحف المصرى ، وقد كتب على كتفه اسم الفرعون « رعمسيس الثانى » ، والإله « بتاح » ، وزوجه « سخمت » ، والإله « تحوت » ، وزوجه « نحمت عواى » ،

---

(١) راجع : Rec. Trav. IX, p. 51
(٢) راجع : Petrie Hist. III, p. 97
(٣) راجع : Ibid. III, p. 98
(٤) راجع : Rec. Trav. IX, p. 51
(٥) راجع : Engebach. Ibid. No. 263
(٦) راجع : Rec. Trav. II, p. 151

وكتب على عمود التمثال صلوات لآلهة مختلفة، وألقابه هي : كاتب الفرعون الحقيق ومحبوبه ، ومدير البيت ، والمشرف على الخزانة ، والمشرف على مخازن الغلال ، والكاهن الماهر في عيد « آمون » ، ومدير البيت في معبد « الرمسيوم »[1] .

وفي « متحف بروكسل » يوجد تابوته[2] وقد وجدت عليه الألقاب التالية : مدير الأعمال على آثار سيده ، ومدير عيد « آمون » ، ومدير بيت « الرمسيوم » لمالية « آمون » . وكذلك عثر له على تمثال من الجرانيت الأسود، في مجموعة (ميو Meux)[3]، هذا الى لوحة في «متحف تورين»[4] . وكذلك تمثال في «متحف اللوفر»[5] .

كهنة « أوزير » في العرابة المدفونة : ذكرنا فيما سبق أن كهنة « أوزير الأول » الذين عاشوا في عهد كل من « سيتي الأول » وابنه «رعمسيس الثاني» كانوا أصحاب نفوذ وسلطان بما كان في أيديهم من قوة روحية على كلا الفرعونين، وقد تطوّرت هذه السلطة من روحية إلى مادّية حتى أنهم أصبحوا هم المشرفين على إقامة المعابد في هذه الجهة ، ثم أوغلوا في شئون الدولة نفسها ووظائفها حتى أصبح أفراد أسرتهم وفروعها يشغلون معظم الوظائف الرئيسية في الدولة من دينية وسياسية وحربية . وقد تركوا آثارا عظيمة تحدّثنا عن مقدار نفوذهم وشغلهم لكل الوظائف العليا، وأهم متن وصل إلينا — يبين لنا تلك الفترة من تاريخ البلاد، ومقدار سلطان هذه الأسرة — هو الأثر الذي تركه لنا « أمنمأنت » رئيس الشرطة، وهو ابن الكاهن الأول للإله « آمون » المسمى « وننفر » . وتدل شواهد الأحوال على أن « أمنمأنت » قد أقام هذا الأثر ليكون عنوانا للخلف يقرءون عليه مقدار

---

(١) راجع : Borchardt Stat. II, p. 117 - 18
(٢) راجع : Speelers. Rec. Insc à Bruxcells p. 67
(٣) راجع : Meux Budge Egyp. Antiq in the Possession of Lady Meux p. 105.
(٤) راجع : Lanzone. Cat. Turin 1465
(٥) راجع : Pierret Rec. Insc. Louvre II, 11

ما كان لهذه الأسرة من قوة و بطش مدة حكم « رعمسيس الثانى » وهذا التذكار العظيم محفوظ الآن « بمتحف نابلى »[1] وسنورد هنا أولا النص الذى جاء عليه ثم نتحدث عن كهنة « أوزير » فى « العرابة » .

وقد بدأ « أمنمأنت » مقيم هذا الأثر بالمقدمة التالية وهى : " أنتم يأيها الكهنة خدام الإله ، و يأيها الكهنة المطهرون ، قدموا لى ماء ، وضمخونى بالعطور الفاخرة لأنى قد عملت كل ما فيه خير للآلهة وأنا على الأرض كما فعل والدى لأسرته جميعا ، ولقد كان أعلى موظف فى « أرمنت » عليكم مثلى أمام سيدى" .

وعلى إطار هذا الأثر نقرأ :

"رئيس الشرطة «أمنمأنت» المرحوم يقول : أنتم يا نواب رؤساء الشرطة العظماء، وكل شرطى من هذه البلدة ، قدموا ماء وطعاما (؟) لاسمى لأنى كنت أفعل الخير عندما كنت على الأرض : إلى روح «أمنمأنت»"

و بعد ذلك تأتى صور الأفراد الذين يتألف منهم أعضاء أسرته ، ومن يتصل بها ، وقد شفع كل اسم بوظيفته ، وهاك الأسماء على حسب ترتيبها التاريخى :

(١) « وننفر » : الكاهن الأول « لآمون » المسمى « وننفر » وهو والد « أمنمأنت » رئيس الرماة .

(٢) « حورا » : مدير الأعمال ، والكاهن الأول للإله « أنحور » المسمى « حورا » وهو الأخ الأكبر « لأمنمأنت » .

(٣) « أمنمأبت » : الكاهن أعظم الرائين فى بيت « رع » (وهذا أكبر لقب كان يحمل فى « عين شمس ») الذى على عرش رب الأرضين ، « أمنمأبت » أخو « أمنمأنت » .

(٤) « باسر » : ابن الملك حاكم « كوش » المسمى « باسر » أخو رئيس رماة الجيش « أمنمأنت » .

(٥) « منموسى » : الكاهن الأول للإله « مين » و « إزيس» المسمى « منموسى » وهو أخو والده « وننفر » .

---

(١) راجع : Brugsch Thesaurus p. 953 ff.

(٦) « بن نسوت توى » : رئيس رماة بلاد « كوش » المسمى « بن نسوت توى » وهو أخو والده (أى والد أمنمأنت) .

(٧) « خعمواست » : كاتب الكتاب الإلهى فى بيت « آمون » المسمى « خعمواست » أخوه من أم واحدة .

(٨) « ماعت رومع » : كاهن « عين » و « إزيس» المسمى «ماعت رومع » وهو أخو أمه (أى خاله) .

(٩) « إزيس » : أمه كبيرة مغنيات «آمون» (المسماة) «إزيس» .

(١٠) ... ... : أخته من أم واحدة زوجة مدير بيت « آمون » .

(١١) الحظية فى بيت الملك : ... ... من أم واحدة .

(١٢) « حنت محيت » : أخته من أم واحدة المسماة « حنت محيت » زوج مدير بيت « بتاح » .

(١٣) ... ... أخته من أم واحدة ... زوج رئيس الرماة الخيالة .

(١٤) « أمنمأنت » : رئيس شرطة الصحراء ، (المازوى) ومدير الأعمال لآثار جلالته المسمى « أمنمأنت » .

(١٥) « منموسى » : الكاهن « سم » فى معبد سكر « منموسى » والد زوج « أمنمأنت » .

(١٦) « أمنمأنت » : سائق عربة جلالته «أمنمأنت» ، وهو أخو زوجه .

(١٧) « حاتياى » : الكاهن الأول للإله « منتو » ، « حاتياى » وهو أخو زوجه .

(١٨) « ثاو » : رئيس رماة جيش المشاة « ثاو » أخو والدة زوجته .

(١٩) « بياى » : رئيس رماة الخيالة « بياى » وهو أخو زوجه .

(٢٠) « سونرا » : المشرف على الكهنة « سونرا » وهو أخو زوجه .

(٢١) « حنت محيت » : والدة زوجه مغنية « آمون » « حنت محيت » وزوج « ستم » .

(٢٢) « وياى » : زوجه مغنية آمون « وياى » بنت « ستم » .

(٢٣) « نفرتارى » : زوجه مغنية آمون « نفرتارى » بنت « ستم » .

(٢٤) ... ... أخت زوجه من أم واحدة ... بنت « ستم » .

(٢٥) « نفرتارى » : أخت زوجه « نفـرتارى » وزوج سائق عربة جلالتـــه .

وقد عثر على آثار بعد ذلك نعلم منها على وجه التأكيد أن كهنة الإله « أوزير » كانوا يتحدرون من نسل « وننفر » الكاهن الأوّل « لآمون » ، غير أن علمـاء الآثار وبخاصة الذين لخصوا نسب كهنة « أوزير الأوّل » فى «العرابة المدفونة » قد اختلفوا فى كيفية تفرّع هذا النسب[١] . ومهما يكن من خلاف فانا نعلم أنه كان لكهنة « أوزير الأوّل » شأن عظيم فى تسيير أمور الدولة فى هذا العهد . و يعتقد كل من « بترى » و « و يجول » و « ڤيل» أن صلة النسب بين أسرة «وننفر» كاهن « آمون الأوّل » قــد جاءت عن طريق « حورا » بن « وننفر » كاهن « آمون » الأعظم ، وذلك بزواجه من امرأة تدعى « معيانى[٢] » غير أن «لجران» ينكر هذا الزواج ، مع أنه فى الوقت نفسه يعترف بصلة أسرة « وننفر الثانى» «بحورا ابن وننفـر » الذى كان الكاهن الأوّل للإله « آمون » ، وعلى أية حال سنورد هؤلاء الأفراد الذين شغلوا هذه الوظيفة وما عثر عليه من آثار لهم .

(١) راجع : Legrain. Rec. Trav. XXXI, p. 201; Weil, Die Viziere p. 100 ff. حيث قد ذكر سلسلة نسب هذه الأمرة وارتباط بعضها ببعض فى حين نجد لجران يناقضه فى ذلك .

(٢) راجع : Petrie Hist. III, p. 90

« وننفر » : ذكرنا فى عهد « سيتى الأوّل » أن « مرى » كان الكاهن الأكبر للإله « أوزير » وأن والدته كانت تدعى «معيانى» وزوجته تدعى«تى»، وقد رزق منها ولدا يدعى « حورا » ورثه فى وظيفته هذه بعد وفاته . وكان « وننفر » هذا يحمل الألقاب التالية : الكاهن الأوّل لأوزير ، والمشرف على كل كهنة آلهة « العرابة » وكاتم السر ، وكاهن « حور » حامى والده ، وكاهن الساحرة العظيمة ، وكاهن الإلهة « وازيت » ، والكاهن الأوّل فى « العرابة المدفونة » ، والمشرف على كهنة « العرابة » ، والكاهن « سم » فى معبد الإله « سكر » ، والمشرف على مجلس قضاة الجبانة ، ومدير بيت « أوزير » . وقد ترك لنا عدّة آثار ذكر عليها اسمه واسم أفراد أسرته ونسبتهم إليه ، وبخاصة المجموعة التى تمثله هو ووالده « مرى » المصنوعة من الجرانيت الرمادى ، وهى الآن بمتحف «أثينا» ، وكذلك مجموعة أخرى«بمتحف القاهرة» تمثله هو ووالده ووالدته وزوجه[1]، وقد كان له من الذكور خمسة ، وكلهم كانوا يشغلون وظائف كلها خاصة بالكهانة إلا واحدا وهم :

(١) « رعمسسو » : رئيس الإصطبل .
(٢) « يويو » : كاهن « إزيس » .
(٣) « سا إست » : الكاهن الثانى « لأوزير » .
(٤) « وتى » : الكاهن المرتل « لأوزير » (Ibid. 208) .
(٥) « مرى الثانى » : الكاهن المرتل « لأوزير » .

« جورا الثانى » : ويدل ما لدينا من نقوش على أن «حورا» بن «وننفر» هو الذى خلف والده فى وظيفة رياسة الكهانة فى « العرابة المدفونة » ، فقد وجد له تمثال «فى العرابة»[2] ،ومن نقوشه نعلم أنه كان يلقب: الكاهن حامى والده،

(١) راجع : Rec. Trav. XXXI, pp. 204-5
(٢) راجع : Ibid. p. 213

ووالدته تدعى « تى » رئيسة مغنيات « أوزير »، وكذلك وجد له لوحة من الحجر الجيرى، ويدل ما عليها من نقوش على أنها كانت قد أهديت له عندما تولى رياسة كهانة « أوزير » خلفا لوالده وننفر الثانى ، وقد مثل عليها واقفا مرتديا لباس رئيس الكهنة ويقدّم الاحترام والخشوع لكل من « أوزير » وزوجه «إزيس» . وقد لقب عليها الكاهن الأوّل « لأوزير » ، وتشريفى رب الأرضين . وكذلك لدينا لوحة صغيرة « بمتحف القاهرة » تحمل فى نقوشها هذا اللقب، وعليها طغراء « رعمسيس الثانى » (Ibid. 214) .

« يويو » الكاهن الأوّل « لأوزير » : وجد لهذا الكاهن تمثال من الجرانيت الوردى وهو محفوظ الآن « بمتحف اللوفر » . وقد مثل وهو راكع وبين يديه محراب صغير فيه تمثال « أوزير » ، وقد نقش على التمثال : الكاهن الأوّل « لأوزير » (المسمى) « يويو » المرحوم ابن الكاهن الأوّل « وننفر » والذى وضعته مغنية « أوزير » « تى » .

وبذلك نعلم أنه كان مثل والده كاهنا أوّل للإله « أوزير » كما كانت والدته مخصصة نفسها لعبادة هذا الإله أيضا . وكذلك وجد له لوحة محفوظة الآن « بمتحف اللوفر »(١) من الحجر الجيرى . وقد مثل فى الجزء الأعلى من هذه اللوحة شخص راكع مرتد ثوبا مثنى وعليه فراء فهد ويتعبد للإلهة « أوزير » و « حور ابن إزيس » ومعه النقش التالى :

"الكاهن الأوّل للإله «أوزير» « يويو » المرحوم ابن الكاهن الأوّل «وننفر» المرحوم".

وفى الصف الثانى من اللوحة نقرأ : "الكاهن الأوّل للاله «إزيس» «وننفر» المرحوم ابن الكاهن الأوّل « لأوزير » « يويو »". ومن ذلك نفهم أن « وننفر » المذكور هنا هو « وننفر الثانى » الذى سيصبح فيما بعد الكاهن الأكبر « لأوزير » بعد والده ، وأنه يذكر لنا هنا الحظوة التى نالها من الآلهة فى « العرابة » بمنحه كاهن الإلهة « إزيس » .

(١) راجع : Boreux, Guide-Cat. I, p. 82-3. C. 218

هــذا وقد وجد فى « العرابة » صقر كان « أمنحتب الثـانى » قد أهداه . والظـاهر أن الكاهن الأول للإله « أوزير » قـد وجد أن هــذا الأثر قد أصابه بعض العطب بتقادم الزمن فأصلحه ، وقد وجد النقش التالى على يسار القاعدة : " جدد هــذا الإله فى بيت الذهب بوساطة الكاهن الأول « لأوزير » « يويو » المرحوم " ، وعلى اليمين : " أنه ابنــه الذى يريد أن يحيي اسمــه الكاهن الأول « لأوزير » « يويو » المرحوم ابن الكاهن الأول « لأوزير » « وننفر » المرحوم "(١) .

« وننفر الثانى » الكاهن الأول لأوزير : (وهو ابن « يويو ») يوجد لهذا الكاهن لوحة من الحجر الجيرى « بمتحف اللوفر »(٢) ، وقـد نقش عليها صلاة لكل من ثالوث العـرابة « أوزير » و « إزيس » و « حور » يقـدّمه الكاهن الأول للآلهة « إزيس وننفر » ابن الكاهن الأول « لأوزير » (يويو)(٣) ، وكذلك أهدى هــذا الكاهن محرابا لوالده الكاهن الأول « لأوزير » « يويو » " عمله ابنه ليجعل اسمه يحيا ، كاهن « أوزير » المرحوم ...... " .

وتدل الشواهد على أن كاهن « أوزير » هذا هو نفس « وننفر الثانى » ابن « يويو » والظاهر — على حسب ما لدينا من الآثار عن هــذا الكاهن — أنه تولى مناصب الكهانة التاليــة على التوالى : كاهن « حور بن إزيس » ، وكاهن « أوزير » ، وأخيرا الكاهن الأول « لإزيس » فى « العرابة » كما يقول « لجران »(٣) .

إخــوة وأخوات « وننفــر » الكاهن الأول للاله « أوزير » :

اتضح أمامنا من الوثائق الخاصة بالكاهن الأول « وننفر » فى « العـرابة » أن له إخوة وأخوات كثيرين ، غير أن بعض علماء الآثار يريد أن يفهم كلمة أخ وكلمة أخت بمعناهما الحقيقى مثل « بترى » و « ويجل » ، والبعض الآخر يريد أن يفهمهما

(١) راجع : Les Nouvelles Fouilles, D'Abydos p. 169 & 172

(٢) راجع : Pierret, Recueil D'Insc. II, p. 54

(٣) راجع قائمة النسب التى نشرها الأثرى « فيل » فى كتابه عن وزراء مصر Weil, Die Viziere p. 100.

بمعناهما الروحى فقط مثل « بلجران » . وقد ترتب على ذلك أن الفريق الأول جعل «معيانى» تتزوج من الكاهن « حورا » بن « وننفر » كاهن « آمون الأول » وانهما أنجبا «منمس» و «بارع حتب» ، ثم تزوجت «معيانى» ثانية من «مرى» وأنجبت منه « مرى » وبذلك يكون « ويجل » قد استعمل على حسب زعمه هذا وثيقة سلسلة النسب المحفوظة الآن فى « نابلى » وهى التى ذكرنا أسماء أفرادها فيما سبق ، وربط الأسرة بعضها ببعض . وقد نشر الأثرى « ويجل » نقوش تمثال للكاهن «منمس» بن « حورا » الكاهن الأول للاله « أنحور » بالعرابة، ثم أشار الأثرى « فيدمان » فى مقال له إلى أن « حورا » هذا هو نفس « حورا » الذى نجده فى وثيقة « نابلى » وبذلك تكون هناك رابطة بين أسرة « وننفر » وأسرة « أمنمانت » .

والظاهر أن هذا هو الذى دعا «ويجل» أن يجعل حبل النسب بين أسرة «وننفر» وأسرة «حورا» ومن يتصل به رابطة إخاء حقيقية تشبه التى تربط «وننفر» بإخوته الأربعة وأخته، غير أن «بلجران» يدّعى أنه لا توجد صلة بين الأسرتين إلا فى شخص « حورا »، الذى يمكن توحيده مع « حورا » الذى نجده فى وثيقة « نابلى »، وأن الأشخاص الآخرين ليست لهم أية صلة ، وأن « معيانى » لم تتزوج قط من « حورا » إذ ليس لدينا مستند واحد يثبت ذلك حتى الآن ، وعلى أية حال فإنا سنتحدث عن أولئك الأشخاص هنا بقدر ماوصلت إليه معلوماتنا وبخاصة ما جمعه « بلجران » من معلومات عنهم (راجع Rec. Trav. XXXI, p. 209 ff.) .

«منمس» الكاهن الأول للاله « أنحور » :

يدل ما جاء على لوحة « وننفر» المصنوعة من الحجر الجيرى السيليسى، والمحفوظة « بالمتحف المصرى » على أن « منمس » كان أخا « وننفر » وكذلك جاء ذكره

---

(١) راجع : Rec. Trav. XXXI, p. 209

(٢) راجع : P. S. B. A. (1901) p. 13

بهذه الصفة على تمثال « وننفر » المصنوع من الديوريت ، والمحفوظ الآن بمتحف « اللوفر » (A 66) (راجع Rec. Trav. Ibid. p. 210) .

« منمس الثانى » : ويحمل الألقاب التالية : الكاتب الملكى ، والمرتل الأول لرب الأرضين ، ومن فى حجرة « شو » و « تفنت » بن الكاهن الأول للاله « أنحور » وكذلك ذكر لنا « فيد مان » Ibid. p. 250 تمثالا آخر « لمنمس » بن « حوزا » ويظن أنه كاهن « أنحور الأول » ابن « حورا » الموجود ضمن أسماء الأثر الموجود فى « نابلى » (١) ؛ يضاف إلى ذلك أن « بترى » يقول : إن « منمس » كاهن « ماعت » وابن كاهن « ماعت » « حورا » ، هو « منمس » الذى نحن بصدده (٢) ، وأخيرا نجد أن « منمس » يلقب كاهن « ماعت » على نقش وجد فى « العرابة » (٣) وعليه طغراء « رعمسيس الثانى » وكذلك على آنية وجدت فى « العرابة » نقرأ عليها :

"عمله كاهن « ماعت » « منمس » أخوه ، وابنه عمدة المدينة ، ووزير الوجهين القبلى والبحرى « بارع حتب » " . والظاهر أن « منمس » هو والد « بارع » ويقول « لجران » : إن « منمس » هذا ليس هو الذى يعنينا هنا بل إنه شخص آخر كان يحمل اللقب « الكاهن الأول » للاله « أنحور » لا لقب كاهنة الإلهة « ماعت » (٤) ، ويجب أن نبحث عنه فى آثار أخرى ، وقد وجد له فعلا تماثيل عجيبة وعليها الألقاب التالية : الكاهن الأول « لأنحور » ومن فى حجرة « شو » و « تفنت » . ونقش على أكتاف هذه التماثيل : " ابنه الكاهن الثانى للاله « أنحور » كما نقش اسم زوجه كذلك ربة بيته كبيرة حريم « أنحور » « نسوت خعى » " وقد وجد لقب زوجه هذا فى نقوش الحفائر التى قام بها « أميلينو » (٥)

(١) راجع : Brugsch. Thesaurus p. 951 - 5

(٢) راجع : Petrie Hist. III, p. 95

(٣) راجع : Rec. Trav. XXIV, p. 164

(٤) راجع : Rec. Tav. XXXI, p. 31

(٥) راجع : Amelieneau Nouvelles Fouilles p. 40

إذ وجد اسم « منمس » . وقـد استنبط « لجران » من بعض قطع أثرية عثر عليها « أميليونو » أنه كان يوجد كاهنان باسم « أمنمس » واحد منهما ابن آمرأة تدعى « يوا » والثانى ابن آمرأة تدعى « أنبت » وبذلك رفض النظرية التى تقول أن «معيانى» قد تزوجت من «حورا» وأنجبت «منمس»(١) . ويعزز هذا الرأى ما جاء على تمثـال فى « متحف القاهرة » من الجرانيت الوردى باسم « منمس » من عهد « رعمسيس الثـانى » ، والنقوش التى على هـذا التمثال تمدنا بألقابه التالية : الأمير المشرف على كهنة الآلهة كلهم فى « العرابة » ومن فى حجرة « شو » و « تفنت » والكاهن الأول للإله « أنحور » «منمس» ابن الكاهن الأول «حورا» الذى وضعته « إنبت » . وعلى ذلك يكون « منمس » هذا هو « منمس الثانى » .

« رع حتب » و « بارع حتب » : الوزيران وقد تكلمنا عنهما فيما سلف (راجع ص ٤٦٦) .

« نب آمون » : الوزير، وهو أخو «وننفر» أيضا وقد تحدثنا عنه (راجع ص ١٥٥) .

«مرى» (أخو«وننفر») : ولكنـه على الآثار ابن « رعمسيس شرى » ونستخلص ممـا ذكره « لجـران » أن الأفراد الذين يطلق عليهـم لفظة « أخ » فى الآثار ليسوا فى الحقيقة إخوة ، بل أن لفظة « أخ » تستعمل بمعناها الروحى ، وبخاصة بعد فحص الأشخاص الذين نسبوا إلى « وننفر » الكاهن الأول « لأوزير » ووجد أنهم ليسوا إخوته من الدم . وهذا الاستعمال شائع فى مصر إذ نجد الأفراد يستعملون لفظة أخ بمعناها المجازى أو الروحى .

---

(١) راجع : Rec. Trav. Ibid. p. 32

(٢) راجع : Rec. Trav. XXXI, p. 33

«سا أست» الكاهن الأوّل لأوزير: عثر له على مجموعة فى « العـامرة » و « العرابة » (١) .

« نبنماعت » : كاهن « تاور » (٢) (مقاطعة طينة والعرابة) ، وحامل الخاتم المقدّس فى المعاملات العظيمة (؟) ، والتشريفى ، وكاهن « أوزير » ، وقد كان لمعبد « أوزير » عمال وموظفون ، ذكرنا بعضهم فيما سبق ، ومنهم كذلك :

« تورى » مدير بيت (٣) « أوزير » : وقـد عثر له على تمثال فى « نجع مشيخ » وهو الآن فى « متحف القاهرة » وكان يحمـل الألقاب التالية : تابع الفرعون ، ومدير بيت « أوزير » ، وكاتب الفرعون ، وقد كان معظم أزواج كهنـة « أوزير الأوّل » يعملن مغنيات أو رئيسات حريم فى معبد هذا الإله ، وكذلك كنّ يعملن لزوج الإله « إزيس » ، فنجد « است » مغنية « إزيس » وقـد جاء ذكرها على لوحة أخيها « حورا » وهى المحفوظة الآن «بالمتحف البريطانى» رقم ١٣٢، وكان « حورا » هذا يحمل لقب المشرف على عطور رب الأرضين .

« منت » رئيسة حريم « إزيس » : وقـد وجد اسمها ولقبها على جعران (٤) .

كهنة الإله « مين » : (راجع ما كتب عن لوحة « نابلى » ص ٥١٣) (رومع ومنمس) .

كهنة الإلهين « موت » و « خنسو » :

« توى » مغنية الإلهتين «حتحور» و « موت» : وجد لها لوحة فى «العرابة المدفـونة» (٥) .

---

(١) راجع : Petrie Hist III, p. 102

(٢) راجع : Petrie Abydos II, p. 36, 45 pl. XXXVII

(٣) راجع : Borchardt. Stat. IV; 1141 p. 78

(٤) راجع : Newberry Scarabs pl. XXXV, No. 18 p. 182

(٥) راجع : Lieb. Dic. Noms, No. 967; Mariette. Cat. Abydos No. 1128

« امنثيون » : كاهن معبد الإله « خنسو » [١] (راجع ص ٥٠٣) .

« وننفر » : كاهن معبد الإلهة « موت » [٢] .

كهنة الإله « أنحور » : ذكرنا فيما سبق أن « حورا » هـذا هو ابن و « ننفر » الكاهن الأول للإله « أوزير » وكان يحمل لقب مدير الأعمال والكاهن الأول للإله « أنحور » (راجع ص ٥١٤) .

« وسخت » كاهن « أنحور » و « آمـون » : وجد له لوحة فى « العـرابة المدفونة » [٣] .

« أنحرمس » : الكاهن الأول للاله «أنحور» وقد عثر له كذلك على تمثال فى « العرابة » [٤] .

« نب وننف » الكاهن الأول للاله « أنحور » : (راجع ص ٤٧٨) .

كهنة الإله « بتاح » : كانت عبادة الإله « بتاح » منتشرة فى أنحاء البلاد وبخاصة أن الأسرة المـالكة كانت من أهل الدلتا ، وكانت «منف» تعدّ مقرّا ثانيا لهم ، وكان إلهها الأعظم «بتاح» القديم يعدّ فى نظرهم من أعظم آلهة الدولة ، ولذلك نجد العناية كانت عظيمة بمعابده فى هذه البلدة وغيرها ، وكان للكهنة شأن عظيم ، فقد أقاموا لأنفسهم المقابر الضخمة فى هذه الجهة ، وسنحاول فيما يلى سرد ماوصل إلينا غير ماذكرناه عن كهنة هذا الإله وموظفيه .

«حوى» : الكاهن الأكبر فى « منف » : وجد لهذا الكاهن تمثال عجيب فى « السرابيوم » مؤرّخ بالسنة السادسة والعشرين من عهد « رعمسيس الثانى » [٥] .

---

(١) راجع : A. Z., XVII, p. 72 (٢) راجع : Ibid. p. 72

(٢) راجع : Lieblein Dic. Noms. No. 2130

(٣) راجع : Ibid. No. 2130

(٤) راجع : Mariette Serapium III, 10

« بتاح معى » : رئيس الكهنة المطهرين للإله « بتاح »(١) . وقد عثر له على لوحة محفوظـة الآن « بالمتحف البريطانى » (رقم ٧٢) وعلى تمثـال فى « برلين » (رقم ٢٢٩٧) ولوحة فى « تورين »(٢) . وزوجه تلقب مغنية « آمون » والممدوحة من سيد السماء، المحبوبة، وحلوة الحب «حتشبسوت» ربة البيت(٣)، وابنه «رعمسسو» ويلقب وكيل القصر (له الحياة والفلاح والصحة) وابنته « حنت رميت » وتلقب سيدة البيت، ومغنية « آمون » وهذه الابنة هى التى أهدت اللوحة لوالدتها، وابنته الثانية تدعى «انيوهاى» وتلقب وصيفة القصر الفرعونى له الحياة والفلاح والصحة.

« بتاح مس » : المدير العظيم لبيت ... « رعمسيس » محبوب «آمون» فى بيت « بتاح » وكاتب الفرعون(٤) وله لوحة «بالمتحف المصرى» .

« بتاح مس » : حارس معبد «بتاح» والكاتب، وله لوحة مقدّمة للعجل « أبيس الرابع » فى السنة الثلاثين من عهد « رعمسيس الثـانى »(٥) . وكذلك وجد اسمه على تعويذة فى مجموعة « بترى »(٦) .

« نختسو » : المشرف على مخازن « بتاح » ذكر اسمه على لوحة للعجل الرابع(٧) .

« نفر رنبت » : المشرف على مخازن « بتاح »، وقـد وجد اسمه على اللوحة السالفـــة .

« بتاح مس » : الكاهن الأكبر «لبتاح» العظيم، ولمعبد «رعمسيس الثانى» فى «معبد بتاح» . كان «بتاح مس» هذا من أكبر الموظفين فى عهد « رعمسيس

(١) راجع : Lieblein, Dic Noms. 811
(٢) راجع : Lanzone. Cat. Turin 1572
(٣) راجع : Roeder. Berlin Insch. II, No. 2297
(٤) راجع : Lieblein, Ibid. No. 883
(٥) راجع : Mariette, Ibid. III, p. 18
(٦) راجع : Petrie Hist. III, p. 100
(٧) راجع : Mariette, Ibid III, p. 18

الثانى» ، وتدل شواهد الأحوال على أنه كان يعيش فى «منف» لصلته الكبيرة بالإله «بتاح» وقبره كان فى «سقارة» غير أن موضعه الأصلى ليس معروفا لنا حتى الآن، وتوجد منــه أحجار عدّة ، وتماثيل منقوشة . فى مختلف متاحف أوربا ، وبخاصة فى «فلورنس» و «ليدن» و «مونيخ» و «برلين» و « القاهرة »(١) ؛ ومن كل أيضا هذه الآثار التى تركها نعلم أنه كان يحمل الألقاب التالية خلافا للقب الكاهن الأكبر للإله « بتــاح » ، الكاتب فى معبد « بتاح » ، والأمير الوراثى ، والحاكم ، والمدير العظيم لبيت « بتــاح » ، والحاكم العظيم فى « نب حر» (منف) ومدير البيت ، ووالد الإله ، والمــدير العظيم للبيت ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى محبوب رب الأرضين ، والحاكم العظيم فى « حكبتا » (منف) ومدير كل أعمال الآثار لجلالته ، والذى يملأ كثيرا قلب الإله الطيب ، ومن يفرح الناس عند سماع صوته ، والمدير اليقظ على حراسة رب الأرضين ، والسمير الوحيد ، وعينا ملك الوجه القبلى ، وأذنا ملك الوجه البحرى ، والمشرف على الخزانة ، والقائد الأعلى لجيش معبد « بتاح » ، والحاكم المحبوب كثيرا من الإله الطيب ، وكاتب الفرعون الحقيق ومحبو به ، والمدير العظيم للبيت فى بيت « رعمسيس مرى آمون » فى معبد « بتاح » .

أما أسرة « بتاح مس » فهى :

« يو يو » : الكاهن والد الإله (والده) .

« موت نفرت » : ربة البيت (أمه) .

« تامى » : ربة البيت (زوجه) .

« يو يو » : الكاهن رئيس المطهرين (ابنه) .

« نافى » : ربة البيت (ابنته) .

« ساوا » : (ابنتــه) .

---

(١) راجع : Porter & Moss Memphis p. 192

« حورا » : الكاهن المطهر وكاتب معبد « بتاح » (ابنه) .

« موت خعتى » : (ابنته) .

« أنونهت » : (ابنته) و « نفمتى » مرضعة « إنونهت » .

« ناممنتو » : (ابنه) .

« تاميو » : (ابنه) .

« إيا » : مطهر « بتاح » (ابنه) .

« يوسى » : والد الإله ، والمطهر الأول فى معبد « بتاح » .

« بتاح مريت » : (ابنته) .

والقطع التى بقيت من قبر هذا الموظف الكبير معظمها يمثل مناظر جنازية ، وكذلك يوجد له تماثيل تمثله هو وزوجه ، والمحتمل أنها كانت منصوبة فى مزار قبره وقد عثر على واحد منها مستعمل فى «دير جرماية»(١) ، وكذلك يوجد له فى «متحف ميونخ» تمثال يمثله جالسا وآخر يمثله متربعا ، وقد كتب على كتفه طغراء « رعمسيس الثانى » ويحمل فى يده صورة الإله « بتاح »(٢) .

« تحتمس » : المرتل الأول فى بيت التحنيط : ذكر على لوحة مقدّمة للإله «للعجل أبيس» السنة من (١٦ — ٢٠) ومؤرّخة بالسنة الثلاثين من «رعمسيس» وقد اشترك معه فيها « ريا » .

« ريا » : المرتل والمحنط فى « البيت الجميل » (برنفر) ، وقد وجد اسمه على لوحة مهداة « للعجل أبيس » فى « السرابيوم » ، ومؤرّخة بالسنة الثلاثين من عهد « رعمسيس الثانى »(٣) .

(١) راجع : Porter & Moss. III, p. 193

(٢) راجع : Ibid. p. 193

(٣) راجع : Chassinat. Rec. Trav. XXI, p. 72 - 3

« بتاحى » : الكاهن المطهر فى « البيت الجميل » (أى بيت التحنيط) (Ibid 12) وكذلك كان يحمل لقب التشريفى فى بيت العجل « أبيس » والذى فى حجرة العجل « منفيس » .

« رعمسيس » : المسمى كذلك « تحتمس » المرتل الأول فى بيت التحنيط (Ibid. 71)، وكل هؤلاء الكهنة كانوا يقومون بعملية فتح الفم للعجل « أبيس ». [1]

كهنة الإله « مين » :

« حور نخت » : كاهن معبد « مين » : وجد اسمه على لوحة أخيه « حورا » وهى الآن بالمتحف البريطانى [2] .

« ماعت رومع » : كاهن « مين » و « ازيس » (راجع Thesaurus p. 951) .

جبانة خدام مكان الصدق (أو عمال الجبانة الملكية) : كان أول ظهور طائفة عمال « مكان الصدق » فى هذه الجبانة على الأرجح فى عهد « أمنحتب الأول » كما ذكرنا فى الجزء الرابع ص ٢٤٤ ، وقد استمر هؤلاء العمال فى عبادتهم الخاصة لهذا الفرعون عدة قرون ، وقد عثرنا على بعض أسماء منهم ممن عاشوا فى عهد « رعمسيس الثانى » وخلفوا لنا آثارا فى هذه الجبانة .

« كاسا » و « بنبوى » : خادما مكان الصدق على الضفة اليمنى « لطيبة » ، وقبرهما المشترك فى دير المدينة [3]، وكان « بنبوى » يلقب حاجب كبير البلاط فى مكان الصدق . ويشاهد فى الكوة الداخلية من هذا القبر (المحراب) على اليمين فى الصف الأعلى « رعمسيس الثانى » يقترب للإله « بتاح » وإلهة، وقد لونا باللون الأحمر ،

---

(١) راجع : Ibid. p. 72

(٢) راجع : Lieblein Dic. Noms. No. 890

(٣) راجع : Bruyere, Fouilles de Dier el Medineh (1923 - 4) p. 61 - 4,
G. W. Cat. No. 10 L. D. Texte III, p. 290.

وخلف الملك يأتى المتوفى ورجل آخر ، وفى الصف الثانى تحت هـذا المنظر يحضر المتوفى وأخوه إلى سلسلة من الملوك القرابين، وهؤلاء الملوك هم :

الملك « أمنحتب الأوّل » والملكة « أحمس نفرتارى » و « رعمسيس الأوّل » و « حور محب »[1] ، وفى آخر صف نشاهد المتوفى واقفا لابسا جلد فهـد و يأتى بعد ذلك « كاسا » وأخوه « باى » أمام « حور » .

وأسفل هذا فى الصف الثانى يشاهد « كاسا » وابنه أمام الملوك « سيتى الأوّل » و« رعمسيس الثانى » و « حور محب »، وفى آخر صف من أسفل يظهر « كاسا » وابنه أمام الإله « تحوت »، ونشاهد هنا ثانية « رعمسيس الأوّل » و« حور محب » مرتبط بعضهما ببعض كارتباط الابن بالأب . وقد تكلمنا عن علاقة الملكين معا فيما سبق . وفى « متحف تورين » محراب صغير من أعجب الآثار التى وجدت فى هـذا العهد باسم « كاسا » وهـو مصنوع من الخشب الملون ، الغرض منه العبادة المنزلية . وقد كان المفروض أن يشمل ثعبانا[2] . والنقوش التى على مصراعى باب المحراب تعرّفنا أنه كان للإلهة « عنقت » ربة السماء وسيدة الآلهة كلهم . وأمام باب المحراب بوّابة مقامة على عمودين نقش عليها صيغة قربان للاله « خنوم » رب منطقة الشلال، وعلى مصراعى الباب ثلاثة صفوف من النقوش، ففى الصف الأعلى ترى سفينة الشمس، وقد وجدت فيها الإلهة « عنقت » ، وفى الصف الثانى نشاهد قاربا فيه أربعة يجـدفون ومعهم بحار ، و يرى على اليابسة رجلان كل منهما متجه نحو القارب مقدّما القربان على مائدة ، وواحد منهما هو « كاسا » . وفى الصف الثـالث نشاهد أسرة « كاسا » وأخاه راكعين ، وقـد ذكرت أسماؤهـم . وعلى عارضة المحراب اليمنى صفان أسفلهما ثالوث « أسـوان » ، وهم « خنوم » الإله الأكبر فى « الفنتين » محبوب « ساتت » ، و « عنقت » . وعلى جدران المحـراب

(١) راجع : L. D. III, p. 173 c .

(٢) لم يزل الثعبان يعد عند العامة حارس البيت و يعتقد البعض أن لكل بيت ثعبانا حارسا .

الخارجية دعاء يقدّمه « كاسا » للإلهة « عنقت » ربه الآلهة لتمنحه الحياة والعافية والصحة ، وأن يدفن دفنا جميلا بعد حياة طويلة، ثم يقول : "أنتم يأيها الآلهة يا أرباب « الفتين » ، وأنتم يأيها التاسوع العظيم يا آلهة مسقط رأسي ، امنحوني الحظوة حتى يكون فى صادقا ، وحتى ترى عيناى «آمون» فى كل أعياده ، فهو الإله المحبوب الذى يسمع البائس ، ويقدّم يد المساعدة للتعس وينهض العاجز، والذى يعطى أجلا ممتازا من الحياة ويقضى على هذه الأرض" . والواقــع أن النقش الذى على هذا المحراب يقدّم لنا صفحة من حياة الطبقة الوسطى ، فأصحابه قد صنعوه لعبادة الإلهة «عنقت» التى كانت تمثل فى صورة ثعبان ، ولا نزاع فى أن هذه الأسرة كانت من أهالى أسوان ، وقد نزح أفرادها إلى هذه الجهة للعمل فى مقابر الملوك كما ينزح أهل الصعيد الآن إلى مختلف جهات القطر للعمل فيه ، ولكنهم لم ينسوا « شيوخهم »(١) الذين يعتقدون فى بركاتهم ، ولهذا نراهم يتعبدون لثالوث «أسوان» وهم : الإله « خنوم » بارئ الخلق على عجلته ، وزوجتاه « عنقت » و «ساتت» . وقد يعزى تعبد هؤلاء الرؤساء إلى آلهة الجنوب ، وبخاصة « خنوم » لأن مصانع « رعمسيس الثانى» كان الكثير منها هناك لعمل التماثيل الضخمة « لرعمسيس » ، وقد نقلوا عنهــم عبادة هؤلاء الآلهــة ، ويمكن أن يعزى ذلك لسبب آخر وهو : لمــا كان الإله « بتاح » ســيد الحرف فى الدلتا فقد كان الإله « خنوم » يعــادله فى هذا العمل فى الجنوب ، ولذلك كان يمثل أحدهما فى المقبرة فى ذلك العهد الذى كانت فيــه المناظر الدينية صاحبة الشأن ، والمطمع الوحيد فى كل زينة القبور(٢) ، غير أن أصحاب هــذه اللوحة كانوا يعلمون تمــام العلم أن صلاتهم لهذه الإلهة لا تجدى نفعا إلا إذا شفعوا لهم عنــد الإله الأعظم رب الكون وقتئذ ، وهو الإله « آمون رع » الذى كان يأخذ بناصر الضعيف ، ويعين من أقعده العوز ، وهكذا

---

(١) الواقع أن فكرة التوحيــد كانت فى مصر منذ القدم أما الآلهــة الأخرى التى نشاهــدها فتعادل فى معتقدنا « المشايخ » .

(٢) راجع : Bruyere, Fouilles de Dier el Medineh 1923 - 4 p. 21

تمثل أمامنا صورة قديمة من عبادة الشعب لآلهتهم المحلية نراها الآن عند عوام الشعب المصرى ماثلة أمامنا (١) .

« وازمس » خادم مكان الصدق : وجد له لوحة محفوظة الآن بمتحف «تورين» رقم ٣٠١ يشاهد فى الجزء الأعلى المستدير منها إلهان لم يعرف كنههما بعد، الأول يسمى « نت » العظيم الذى يفعل الصدق ويمكن الأرضين ، والآخر يسمى رب العدالة الإله الأكبر « مرى ماعت » وقد مثل كل منهما فى صورة رجل ، وفى الجزء الأسفل نقرأ صيغتى قربان وهما : "أقدم التحيات للإله «نت» العظيم ليعطى الحياة والعافية والصحة لروح خادم مكان الصدق «وازمس" وعلى اليمين نجد الصلاة التالية : "أقدم التحيات لرب العدالة ليعطى الحياة والصحة والعافية لخادم مكان الصدق «وازمس» وكذلك نجد «وازمس» هذا قد اشترك مع والده « حوى » . ففى الجزء الأعلى نشاهد صورة الفرعون « رعمسيس الثانى» وهو غض الإهاب واقفا ، يضع البخور على المجمرة أمام الإلهة « حتحور » ساكنة « طيبة » وربة السماء وسيدة الآلهة كلها .

وفى الجزء الأسفل نجد كلا من « حوى » خادم مكان الصدق ، و « نب دواى» خادم رب الأرضين، و « وازمس » خادم مكان الصدق ابن « حوى » ، وكذلك وجد اسمه على تمثال جنازى للملكة « أحمس نفرتارى» قدمه لها «وازمس» بوصفها إلهة لتمنحه الحياة والعافية والصحة (٢) .

ومن نقوش «وازمس» ووالده نفهم أولا أنه كان يتعبد لإلهين محليين لا نعرف كنههما حتى الآن، وثانية أن عبادة الملكة «أحمس نفرتارى» كانت شائعة فى عهد الأسرة التاسعة عشرة كما تكلمنا عن ذلك فى مكانه .

« رعمسيس » الكاتب فى مكان الصدق : وقبر هذا الكاتب فى «جبانة دير المدينة رقم ٧ » (٣) ومن أهم مناظر هذا القبر منظر مثل فيـه « رعمسيس الثانى »

---

(١) راجع : Rec. Trav. II, p. 197 - 8

(٢) راجع : Ibid. p. 171 - 2 & 188

(٣) راجع : Porter & Moss I, p. 55; G. W. Cat. No. 7

يتعبد لثالوث « طيبة » وهم « آمون » و « موت » و « خنسو » ويتبعه الوزير « باسر » الذى يحمل الألقاب التالية : الأمير الوراثى والحاكم ، وحامل خاتم الوجه البحرى ... وعمدة المدينة ، والوزير « باسر » ويأتى خلفه « رعمسيس » صاحب المقبرة ، وأسفل هذا المنظر نشاهد المتوفى فى حضرة آلهة الموتى[1] ، ويحتوى هذا القبر على منظر يتعبد فيه الفرعون « رعمسيس الثانى » لبقرتين فى هيئة « حتحور » (Ibid. 229) كما يشاهد المتوفى يتعبد للطائر « بنو » ، وهو الذى يتقمص صورة إله الشمس بمثابة روح وهو المعروف عند الإغريق بلفظه «فنكس»[2] المحرفة عن المصرية ، وقد عثر على مائدة قربان لابن «رعمسيس» مهشمة فى القبر المجاور لقبره (رقم ٢١٦)[3].

« نفر حتب » رئيس العمال فى مكان الصدق : قبره فى جبانة دير المدينة وابنه « نب نفر » يحمل نفس هذا اللقب ، وهذا القبر له ردهة واسعة ، وفى الجدار الخلفى يشاهد على اليسار بجوار الباب «رعمسيس الثانى» يقدم القربان للإله « آمون » ملك الآلهة ، وفى الحجرة الوسطى من القبر بقايا تمثالين للمتوفى وزوجه ، وقد كتب على تمثال المتوفى : لقبه واسمه كبير العمال ، ومدير الأعمال «نفر حتب»

« نب نفر » : المشرف على العمال فى مكان الصدق ، وزوجه تدعى ربة البيت «إبى» ، وقد عثر له على لوحة فى « متحف كوبنهاجن » ويشاهد فى أعلاها متعبدا لكل من «أمنحتب الأول» وأمه « أحمس نفرتارى » المؤلهين . والظاهر أن « نب نفر » اغتصب هذه اللوحة من آخر كان يحمل نفس ألقابه[4] .

«قن» : نحات «آمون» فى مكان الصدق ، قبره فى «دير المدينة»[5] (رقم ٤) ، وزوجه تدعى ربة البيت « حسى ان حتحور » وابنه «مرى مرى» ويحمل لقب

(١) راجع : P. S. B. A., VIII, p. 229
(٢) راجع : A. Z. 45. p. 85
(٣) راجع : Fouilles de Dier el Medineh (1923-4) p. 46
(٤) راجع : Rec. Trav. II, p. 180-2
(٥) راجع : G. W. Cat. No. 4

نحات أيضا ، ويشاهد فى قبر هذا النحات كوة فى المحراب صوّر فيها منظر يمثل صورة « أمنحتب الأوّل» «حتحور » برأس بقرة كما نشاهد صورتى والملكة «أحمس نفرتارى»وتحمل هنا لقب الزوجة الإلهية « لآمون » وأخت الملك «مريت آمون » التى يندر وجود صورتها فى المناظر التى يؤله فيها «أمنحتب الأوّل» ، ولكن عبادتها بقيت حتى نهاية عهد الرعامسة[١] ، وفى مدخل الباب على الجدار الجنوبى مثل المتوفى وزوجه على يمينه واقفين، وهذه المجموعة منحوتة فى الصخر وملونة مثل كل المزار، وقد وضعت فى هذا الوضع على العارضة الجنوبية ليتعبدا للشمس المشرقة التى كانت ترسم ملونة فى هـذا المكان ، وبذلك كانت تحل محل لوحة الهـرم ، وعلى الجدار الشمالى الغربى نجـد منظرا يمثل « أوزير » والمتوفى راكعا أمامه خائفا على شريط من الرمل، وخلفه شجرة الجميز المورقة ، والمحملة بالفاكهة، والإلهة «نوت» تخرج منها لتقدّم المـاء للتوفى، وبين الشجرة، و« أوزير» نشاهد مقعدا لصورة صغيرة للإله « تحوت » فى هيئة الطائر مالك الحزين، وأربعـة عقارب واقفة، وبهـذا نجـد القربان الجنازى ممثلا أمامنا ، والآلهة الذين كانوا يقومون بأدائه ، وأخيرا نجـد صورة صغيرة تمثـل لنا عادة من عادات القوم الشائعة فى منظر المسلة الملونة المرسومة على الجدار الجنوبى . إذ نشاهد أمام الثيران التى تجـر الزحافة بنتا صغيرة تحـل طفلا رضيعا فى قطعة نسيج بيضاء ربطتها حول كتفيها لتؤلف منهـا كيسا لحمل الطفل .

وألقاب « قن » الكاملة هى : نحات «آمون » فى مكان الصـدق ، نحات « آمون » فى الكرنك ، ونقاش «آمون » ، وخادم مكان الصدق ، وخادم « أمنحتب الأوّل » .

أما زوجه فتسمى أخته ربة البيت «نفرتارى» ، وتوجد له آثار أخرى[٢] .

---

(١) راجع : L. D. III, 2, a; Champ. Notices p. 864 - 6

(٢) راجع : Bruyère Fouilles 1224 - 5 p. 179 ff; figs 120 – 2; Porter & Moss I, p. 55.

« حوى نفر » : الخادم فى مكان الصدق، له لوحة فى «المتحف البريطانى»[(١)] (٣٢٨)، ومن المحتمل أنه هو نفس الشخص الذى مثل فى لوحة «تورين» (١٦٩) حيث نجده يقدّم قربانا لوالده الذى يحمل نفس اللقب، ويسمى « كارس »[(٢)] .

وفى لوحة «المتحف البريطانى» يشاهد «رعمسيس الثانى» وحاكم «طيبة»، والوجيه « كارس» وابنه «حوى نفر» وكلهم يتعبدون إلى «بتاح» رب الصدق، وملك الأرضين[(٣)] .

« أبى » نحات أمون

فى مكان الصدق تقع مقبرة «إبى» فى منحدر التل الواقع بعد «معبد دير المدينة» وفى ردهة هذا القبر خصص مكان ليكون حديقة للتوفى ينعم فيها بكل أشجارها، وماء بركتها ، وكذلك يوجد فى جنوب المدخل منضدة للقربان ومصطبة مستطيلة الشكل والدخول الى قاعة القبر بممر مقبب فى وسط خارجة الباب، أما المزار فمنخفض بعض الشيء عن الممر ويحتوى على حجرة كانت ملونة، ومنها يصل الإنسان إلى الحجرات الأخرى .

المناظر التى على جدران المزار : الجدار الغربى . وسنحاول هنا أن نصف ببعض الاختصار المناظر الباقية فى هذا القبر لما لها من أهمية من الوجهة الفنية والدينية والاجتماعية والصناعية .

فعلى الجدار الغربى للدخل من الخلف نشاهد «إبى» وزوجه يتعبدان للآلهة، وعلى الجانب الشمالى من المدخل إلى القاعة الداخلية مثل «إبى» رافعا إحدى يديه

---

(١) راجع : Rec. Trav. II, p. 188

(٢) راجع : Ibid. p. 196

(٣) راجع : Budge, Guide to Sculptures p. 168 (609)

(٤) تشمل مقبرة هذا الموظف عدّة مناظر طريفة تقدّم لنا صورة عن هذا العصر وقد آثرنا التوسع فى وصفها وقد كتب عنها ديفز مقالا ممتعا (راجع The Tomb of Apy. Two Ramesside Tombs at Thebes p. 33 ff.) .

يتعبد أمام محراب ، ويصب بأخرى ماء الطهور على كومة من الحبوب البيضاء المغطاة بالأوراق ، ويرتدى جلد فهد مزينا بنجوم العالم السفلى ، وعلى هذا الجلد نقش طغراء « أمنحتب الأول » مما يدل على أن « إبى » كان خادما يقوم بوظيفة كاهن جنازى لهذا الملك المؤله ، وتحمل زوجه فى يدها رأسا مصنوعا من البردى ملفوفا عليه نبات ، وإناء واسع الرقبة سدّ بحزمة من الأوراق المنسقة ، ويحلى جيدها بالعقود . ويلاحظ أنها حافية القدمين مثل النساء الأخريات اللاتى رسمن فى هذه المقبرة ، وفى المحراب يشاهد إلهان ، وهما « أنوبيس » ، و « بتاح » .

وعلى الجانب المقابل من المدخل نرى « إبى » يحمل موقدا للإلهة وعليه حمام وخبز وشحم ، ويلحظ أن الدخان الأزرق كان يتصاعد من هذا الموقد من قطع الفحم الأربع السوداء التى وضعت عليه ، وكان «إبى» يلبس فى هذا المنظر ملابس الكاهن ، وأمامه طبق كدست عليه الأزهار والفاكهة ، أما زوجه فكانت تحمل عقد منـاة ، وبصحبتها ابنتها الرشيقة القوام والهندام « أما محاب » حاملة قربا أيضا . والإلهان اللذان كانا فى المحراب المقام على عمد كثيرة الزخرفة على هيئة حزمة البردى فهما : « أوزير خنتى أمنتى » الإله العظيم رب العدالة ، و «حتحور» سيدة الجبانة الغربية . ويقف « أوزير » على قاعدة زرقاء اللون ملفوفا فى رداء أبيض بوجه أخضر يحرسه صلان ، حول رقبته لينفثا السم على العدو الذى يقترب منه ، وقد كان مدينا بسعادته فى الآخرة كما كان فى الحياة الدنيا — لإخلاص المرأة — فكما كانت « إزيس » تسهر على راحته فى عالم الدنيا نجد أن « حتحور » تسهر على سعادته هنا فى عالم الآخرة وتحرسه ، وقد لبست على رأسها علامة الغرب المميزة لها وهى (الصقر) .

أما صفوف الأقارب الذين نجدهم عادة فى مقابر عهد الرعامسة فيشغلون فى هذا القبر ثلاثة جدران من الأربعة الباقية . والظاهر أن كل صف كان يبتدئ بصاحب المقبرة وزوجه ، ويلاحظ أن كل سيدة كانت تضم زوجها كأنها تريد ألا يفلت

منها الى الأبد . وقد خفف ما يشعر به الإنسان من سآمة لتكرار نفس المنظر صورة طريفة فيها شئ من المداعبة اللطيفة، إذ نشاهد تحت كرسى آخر لسيدة جالسة على الجدار الشمالى طائرا قام بينـه و بين قط شجار . ولا بدّ أن هؤلاء الضيوف كانوا مشتركين فى عبادة الإلهين السابقين .

الجدار الجنوبى — وليمة المتوفى : ويشغل الجزء الأعلى من الجدار الجنوبى صف من الضيوف الذين ذكرناهم فيما سبق، وقد أفلح المثال فى إخراج هذا المنظر العادى بطريقة شيقة (P. L. XXV.) فعلى الجهة اليسرى نشاهد المتوفى وزوجه يتقبلان الطعام، وعلى اليمين المقربين للطعام والأزهار . ويحدّثنا المتن عما فى المنظر فيقول مقـدّم القربان : " تقبل طاقة أزهار قـد أهديت فى معبـد « آمون بالكرنك » لأنك من رعايا رب الفضل ، ليتك تتسـلم أرغفة وأنفك يتمتع برائحة البخور يأيها النحات « إبى » " . وقد كتب فوق زوجه : " زوجه المحبوبة ربة البيت، وابنته « إما بحاب » وابنـه « مرى مس » " . ونقش على الذين يقومون بالخدمة : "على يد ابنك المحبوب « نب نخت » بن ابنك المحبوب النحات « آنى » وابنتـه المحبوبة«ورنر» "، وهذان الشخصان يقدّمان إناءين محليين بالألوان فيهما ماء، وقد سدّت فوهتهما بالأعشاب النضرة ذات الألوان المختلفة المنسقة . ويلفت النظر هنا ملابس الرجال والنساء البيضاء إذ قد لوثت بمـادة حمراء مائلة إلى السمرة امتدت حتى ما بعد الركبتين . وهذه الظاهرة تشاهد فى ملابس النصف الأخير من الأسرة الثامنة عشرة، وبخاصة على ملابس الأعياد والولائم، وتفسير ذلك أن هذه الملابس البيضاء قـد لوثت بالزيوت التى كانت تسيـل من القمع المملوء بالعطر الذى كان يوضـع فوق الرأس لنشر العطور فى كل أجزاء الجسم ، ولم يكن المفتن يفكر عندما رسم الرداء بهـذه الصورة أن يجعله ملوثا، بل ليظهر للناظر إليـه أن الجسم الذى يستره هذا الرداء كان معطرا ، ولذلك لم يكن همـه أن يلون البقع إظهارا لحقيقة واقعـة بل ليظهر بجلاء أن عطر الوليمة الذى قدّمـه المضيف كان غزيرا حتى أنه

غمر ثياب الضيوف . ولما كان هذا برهانا على الكرم والسرور العظيم، فإنه غطى على قبح منظره على الملابس، وذلك لأن الرائحة الذكية، وما تحدثه فى الحواس لها قيمتها فى البلاد التى جلود أهلها جافة[١] .

وهذه العادة قد بقيت مرعية إلى عهد الرعامسة، ولكن فى صورة جديدة، وكل الدلائل تشعر بأن استعمال الزيوت العطرة كان مستمرا فى الرأس على الأقل، وهذا التلويث الذى كانت تسببه عطور الولائم والأفراح، قد بولغ فيه فى هذا العهد حتى نتج عنه أن أصبح الرداء الذى بهذه الصفة يعدّ ملونا، ومن ثم أصبح الثوب الملوث بالعطور لا يقتصر على الولائم بل كان شائع الاستعمال .

مناظر الجدار الشرقى — الجانب الجنوبى .

ولدينا منظر يشابه الذى على جدران مقبرة «وسرحات» الذى عاش فى عهد «سيتى الأول» (انظر ص ١٩٢) (p. LXIII) حيث نجد أن صاحب المقبرة على ما يظهر، قد ادعى رضاء الملك عنه فى الحياة والآلهة بعد الموت لما قام به من خدمات، وما اتصف به من فضائل . ففى النصف الأعلى من المنظر الذى سنصفه هنا صدى من عهد «اخناتون» عندما كان مصير الموظفين الذين اعتنقوا مذهبه متوقفا على مصيره هو فى الحياة وفى الممات، فقد ظهر فيه استمرار تقاليد عصره، إذ نشاهد بقاء ردهة القصر التى كانت تعدّ المكان العام للأعمال الملكية والمراسيم فى عهد «إخناتون»، وهذا الشعور بالاتصال الوثيق بين الملك والشعب الذى كان يبرز بأجلى مظاهره فى عهد «إخناتون» نجده واضحا فى مناظر المقابر التى أقيمت بعد عهده، ولم يكن ذلك قاصرا على مناظر تمثل عبادة الفراعنة السابقين والحاضرين وحسب، بل كانت تشمل كذلك مناظر الشرفات التى

---

(١) ومن الطريف أننا نجد ما يشبه ذلك فى الأرياف الآن، إذ نشم رائحة اللحم المطبوخ فى أيدى بعض الأشخاص الذين أكلوه ولم يغسلوا أيديهم عمدا ليعرف من يخالطهم أنهم أكلوا لحما .

كان يطل منها الفرعون مغدقا الهبات على المخلصين من موظفيه ، هذا بالإضافة إلى متون من التى كانت تستعمل فى مثل هذه الأحوال فى عهد « إخناتون » .

وتدل شواهد الأحوال على أن الشخص الذى كان يقدّمه الوزير هنا للفرعون «رعمسيس الثانى» فى الشرفة هو «إبى» النحات، وقد ظهر وهو يمدّ مروحته أمام وجه الفرعون ، على أنه لم يكن هو الفرد الوحيد فى هذا المنظر الذى يكافأ فى هذه الفرصة، إذ نشاهد أن الأفراد الذين كانوا يتبعونه كان ينظم هندامهم خادم ،وكانوا يلبسون كذلك أطواقا من الذهب ، ويدل المتن المهشم على أن هؤلاء كانوا كتبة وجنودا وخدّام معبد ، ولاشك فى أن «إبى» كان أرقاهم فى نظر الفرعون ، فنرى « إبى » والوزير يتبعهما أوّلا حاملا مروحتيهما ، ثم اثنا عشر رجالا يسيرون ثُلاثَ ، وكلهم قد منحوا أطواقا من الذهب وجرايات من القصر . وقد أظهروا سرورهم برفع أيديهم بالدعاء . وظهر فى جزء علوى من هذا المنظر هدايا أخرى منها سبعة أطواق من الذهب وقفازان للوزير وأتباعه، وكذلك ثلاثة أكياس من الكحل وتسعة (طشوط) ، هذا إلى أربعة ثيران وخمس عشرة سمكة وأربع موائد خبز ، وأوانى للشراب .

كل هذه قد أحضرت من المخازن الملكية لإقامة وليمة . ويشاهد كاتب يدوّن المطلوب ، وستة من رجال البلاط ينتظرون أوامر الفرعون .

موكب دفن « إبى » : أما الجزء الثانى من هذا الجدار (pl. XXIII) فقد مثل فيه موكب دفن «إبى» وقد سار من اليمين إلى الشمال، أى من مكان التحنيط، حيث كانت المومية قد أحضرت استعدادا لحملها فى الموكب الجنازى الذى كان سيسير إلى القبر الواقع فى الغرب، ويرى فى المكان الذى وضع فيه التابوت نائحتان تمثلان « إزيس » و « نفتيس » وهما أخت المتوفى وزوجه ، وكذلك شخص آخر معه صندوق الأحشاء، وقد نقش على كل من التابوت والصندوق اسم « إبى » .

وعندما حل وقت الدفن شاهدنا تابوت «إبى» وكذلك تابوت زوجه (باعتبار ما سيكون) منصو بين يقرأ عليهما الكاهن المرتل الصلاة التقليدية أمام أهل المتوفى الذين كانوا ينثرون التراب على رءوسهم علامة على مقدار حزنهم ومصابهم الفادح ، ومع ذلك فإنهم كانوا فى الوقت نفسه يحملون سيقان بردى رمزا لما يأملونه للمتوفى من السعادة الأبدية فى عالم الآخرة ، وبعد ذلك نشاهد التابوت يوضع فى قارب حمل على زحافة يجرها أربعة رجال متجهين نحو القبر فى حين كان الكاهن ومساعده يحفظان المتوفى طاهرا بإطلاق البخور ورش اللبن أمامه ، وكانت النسوة يصحن حزنا وحسرة وتألما عند اقتراب وضع المومية فى القبر المنحوت من الصخر . أما الأثاث الذى كان سيوضع مع المتوفى فى قبره — إذا صدّقنا ما فى الصورة — فكان محمولا أمام الموكب ويشمل ما يأتى :

صندوقا ، وأدوات كتابة ، وكرسيين ، وصندوقين وكرسيين قابلين للطىّ ، وإناءين على كرسى منجد ، وزوجين من الأحذية ، وسريرا ، ومخدة ، ومنشتين ، ثم سريرا يحمله «آنى» ويحتمل أنه ابن «إبى» ، وخلفه جماعة من أقاربه الذكور . هذا إلى عصى وصندوقين وكرسى .

بيت «إبى» : ويشاهد فى الصف الأوسط بيت مجهز بالخدم والحشم ، وفى الجهة اليمنى منه جزء من مجزرة قد بقى من منظر مهشم ، ويشاهد فيه قطع من لحم غريبة الشكل ، وكذلك (كرشة) معلقة على قطع خشب ، والخدم يزنون لحما بميزان يدوى لشخص أتى لتسلمه ، ولا يمكن أن نفسر هذا المنظر بأنه حانوت — لأن المعاملات كانت بالتبادل — بل لا بدّ أن المنظر يمثل صرف جرايات أهل المنزل ، فقد كان لكل نصيب معين (راجع ج ٣ ص ٣٩٩) .

ويلفت النظر هنا جمال صورة بيت «إبى» حيث نجده بعيدا عن التنسيق التقليدى المبالغ فى نظامه ، فالمنظر هنا طبعى ، ويقرب من الحقيقة . والواقع أن صورته تعدّ قطعة من الفنّ الرفيع بالنسبة لما حوله ، ولذلك يظهر بين مناظر

هذا الجدار — وهى التى رسمت على حسب التقاليد الجامدة المرعية وقتئذ — كأنه جوهرة فى وسط عقد من الخرز . ومن المحتمل جدًا أنه كان يظهر فى أعين أهل هذا العصر على عكس ما نراه فى وسط تلك المناظر المألوفة له ولا نزاع فى أن هذا من أثر فن عهد «اخناتون» الرفيع . فالبيت والجوسق الذى يتألف منه الجزء الأوسط من الصورة يختلف عن المساكن المصرية التى حفظت لنا حتى الآن ، وذلك لأنه صوّر بصورة كاملة بدلا من صورة جانبية ، وهو فى الواقع يتفق مع صور البيوت التى نشاهدها مصوّرة على جدران مقابر «تل العمارنة» فى أن له واجهة ضيقة ، ولكن يختلف عن البيوت الحقيقية التى كانت فى مدينة «إخناتون» التى كانت تظهر واجهتها مربعة .

البركة والشادوف : ولما كانت بركة المنزل قد ظهرت فى الرسم فان البيت قد رفع فى الصورة بمستوى ارتفاع البركة نفسها ، ولكن لا يحتمل أنه كان على مستوى أعلى من الأرض ، هذا إلى أن الدرج الذى نشاهده هو المؤدّى إلى حافة الماء ، ولكن لما كانت بيوت « إخناتون » الكبيرة ترسم مرتفعة عن سطح الأرض ، ويصل إليها الإنسان بمرقاة أو مرقاتين ، فمن الجائز أن هذه الفكرة قد استعملت فى « طيبة » وذلك حماية من الحشرات والرمال التى تحملها الرياح والفيضان ، ومن جهة أخرى ، كانت مياه النيل تنخفض دائمًا بعد الفيضان ويتبعها فى ذلك مجارى المياه فتنخفض مياه البركة تبعا لذلك فى الغالب فلا تصل إلى رقعة الحديقة ولذلك كان يستعمل (الشادوف) الذى نرى منه اثنين بجوار البيت . ومما يلفت النظر هنا صور الفلاحين ، إذ قد صوّروا بصور طبيعية وأشكالهم القصيرة الممتلئة على عكس صور علية القوم ذوى الأجسام النحيلة والسيقان الطويلة (راجع pl. XXVII) وبخاصة عندما نقرن كتلة الشعر التى على رءوسهم ولحاهم المهملة بالضفائر المنمقة ، التى نشاهدها فى رءوس أسيادهم أهل اليسار وأصحاب الأموال والضياع الشاسعة ، ويلبس الفلاح جلدا لف على وسطه مغطيا ساقيه ليتحمل مشاق الامتياح (بالشادوف) . والكلب الذى بجانب كل من الماتحين (بالشادوف) يصوّر لنا نفسية المثال وفهمه

ما يحيط به من حياة ريفية ، لأن ذلك لا يضيف للمنظر شيئا سوى صـدق التعبير ومظهر الحياة الحقيقية ، إذ أن الفلاح الذى يشكو فى أيامنا قلة الخبز لا يحلم يوما ما بأنه يستغنى عن حماره أو كلبه ، إذ هما من أهم أدوات حياته .

الحديقة : أما حديقة المنزل فقـد غرست بالأشجار والأزهار ، ففيها الرمان والصفصاف وأبو النوم ، ويلحظ أن رسم هـذه الأشجار قد ظهر على نقيض رسم



الشادوف (من مقبرة « إبى »)

الأشجار التى كانت تصـور حسب قواعد تقليدية معينة ، إذ نشاهد هنا أن فروعها تمو طبعية لا تنسيق فيها ، وتمايل مع الريح ، ولا تقف جامدة كما هى الحال فى المناظر التقليدية . هذا إلى أن سطح البركة كان مغطى كالعادة بأزهار البشنين المفتحة الأكمام .

منظر غسيل الملابس : نشاهد هنا رجلا قد أمسك بدلو (شادوف) وآخر قد وضع إناء كبيرا على قطعتـين من الحجر فى حين كان آخرون يعصرون المـلابس أو يضربونها على حجر ثم ينشرونها فى الشمس لتجف ، وهـذه ظاهرة نادرة جدا فى المناظر المصرية القديمة ، لأن هذا كان من عمل النساء داخل البيوت ، ولذلك يعد المنظر ممتعا غريبا . وعلى يمين هـذا المنظر نشاهد أسرة « إبى » تقدّم قربانا على مائدة بجانب النهر إلى ثلاثة قوارب مقدّسة زين مؤخر كل منها برأس كبش يرمز للاله « آمون رع » . وهذه ظاهرة مألوفة فى مقابر عصر الرعامسة . ويلحظ أنه قد رسم فى كل قارب محراب صغير للاله فى صورة معبد صغير تام بمسلاته وأعلامه ، وقد وضع فيـه كذلك تمثال « بو لهول » — الذى يمثـل الفرعون — على قاعدة فى هذه القوارب مما يدل على ارتباط المعبد بالحكومة ، وكذلك اسم الملك الحاكم يحميه ملاك ، وقـد نقش ولوّن على جدران المحراب ، وبذلك أصبح تاريخ هـذا القبر ينسب لعهد « رعمسيس الثانى » العظيم .

على أن تمثيل هذا المنظر هنا ليس ظاهرا تماما فوجود المـائدة وقارب « آمون » لا يمكن أن يتمشى مع استقبال قارب « إبى » الجنـازى بأسرته الباكية ، وعلى أية حال فإن القار بين الآخرين اللذين كانا يتبعان قارب «إبى» يحتمل أنهما كانا يحملان محرابين أحدهما « لأمنحتب الأوّل » المؤله ، والثـانى لأمه « أحمس نفرتارى » المؤلهة ، وهذا المنظر له نظائر فى المقابر المصرية (راجع Two Ramesside Tombs at Thebes pl. XVI & p. 55.) .

الجدار الشرقى — الجهة الشماليـة — الحياة الريفية (pls. XXXI) .

الزرع والحصاد . تبتدئ هنا قصة الزراعة السنوية التى نشاهدها مصورة على كثير من مقابر عظماء الدولة الحديثة فى الصف الأعلى من هذا الجدار . فعلى اليسار

نشاهد محصول كتان ناضج يحصده كل من « إبى » وزوجه وبعد ذلك نشاهدهما يجهزان الحقل لزرع القمح، غير أن المثال هنا قد أخطأ فى وضع هذا المنظر فى موضعه الزمنى إذ نجد منظرا يمثل كيل القمح قبل فصله من سنابله ، والمشرف على هذه العمليات هنا هو « إبى » نفسه وكان يعاقب بيده المذنبين ، و يتسلم قائمة الأجور من رئيس العمال ، ثم نشاهد عملية تذرية القمح يقوم بها رجال وعذارى، والظاهر من المنظر أن القمح كان قد كيل ووضع فى مخازنه . ومما يلفت النظر الحفل الذى أقيم ابتهاجا بالحصاد — بذبح شاة وبتقريب قربات أخرى يحتمل أنها قد قدّمت للالهة « رنوتت » التى تمثل فى صورة حية وتعدّ إلهة الغذاء والكثرة (يكثر وجود الثعابين وقت الحصاد) .

توزيع غلال المحصول : وكان بعض هذا المحصول لازما لصاحب الحقل، والبعض الآخر كان يحمله إلى السوق ليبادل به سلعا أخرى مما يحتاج إليها . وقد مثلث لنا كل هذه العملية على جدران المقبرة ، فنشاهد المحصول يحمل فى سفن تسير فى النيل أو فى ترع كما تدل على ذلك الأشجار المطلة على الترع .

و يلاحظ فى المنظر أن المثال قد اقتصد فى صورته . إذ نشاهد صور عملية الشحن والتفريغ فى آن واحد للقاربين الراسيين جنبا لجنب عند الشاطئ، فالعملية الأولى فى المؤخرة، والأخرى فى المقدّمة، وقد أحضرت الغلال من الحقول على ظهور الحمير والرجال . ونشاهد فضلا عن ذلك فى السفينتين ما يحتاجه أهل الحضر من الأزهار وحزم الخضر . فها هو ذا شاب يحلى أذنه قرط يحمل طاقة أزهار ضخمة أكبر من جسمه .

ومما يلفت النظر أن الملاحين كانوا يستبدلون — بما يأخذونه من الحصاد أجرا لهم — أشياء أخرى كانت معروضة على الساحل . فنشاهد امرأة فى كوخ من القصب وأمامها إناء ضخم من النبيذ وآخر من الجعة، و يلحظ أنها كانت تفرغ النبيذ

أو الجعة بوساطة خابتين على هيئة زاوية قائمة حتى تأمن عدم وقوع أى قاذورة فى سلعتها، ويخيل إلىّ أن المفتن هنا كان على علم تام بأن الملاحين لا يهمهم تقديم حقيبة قمح بأكملها مقابل فطيرتين حقيرتين أو سمكة صغيرة أو خيارة معتقدين أنهم قد غبنوا البائع . وعند ما تصل السفن إلى مقرها محملة بالغلال لتخزن فى مخازنها تحمل الحقائب على أكتاف العمال . وفى المنظر صبى عند المقدّمة ينادى بالعدد للرجل المكلف بالمخزن الذى كان يتألف من ردهة مكشوفة الجدران عالية توضع فيها مختلف أنواع الحبوب ، ولذلك نشاهد طفلا يطرد الطيور التى كانت تنزل على عرم القمح فيه ، ولم ينس المثال هنا أن يجعل للمعبودة نصيبا . فقد حفظ مأوى فى هذا المحراب لإلهة الحصاد « رنوتت » ، وقد وضع أمامها إناء مملوء بالحبوب وحزمة سنبل وخبز مغمس فاحت رائحته حتى وصلت إلى أنف هذه الإلهة .

لقط ما تبقى من الحصاد : وقد كانت العادة بعد أن ينتهى الحصاد حتى يومنا هذا ، أن يتبقى فى حقل القمح بعض فضلات من السنابل ، كما كانت تتخلف بعض الحبوب فى مكان الدرس . وقد كان من دواعى سرور الطبقة الدنيا أن يسوقوا ماعزهم إلى أرض الحصاد للقط ما تخلف من المحصول، فتنتشر الحيوانات فى أرجاء الحقل باحثة عما تجد فى تلك الأرض التى حرمت الرعى مدّة طويلة ، فنشاهد التيس فى المقدّمة يقود الأجداء الصغيرة وهى تمرح وتلعب حينما تجد مكانا فسيحا . وكان يقوم على حراستها أربعة من الصبية مجهزون بكل ما يلزمهم طيلة اليوم ، فواحد منهم فى يده عصا الرعاية ، ويتبعه كلبه ، ومعه قربة ماء، ويحمل حقيبة أخرى وصفارته فى كنانتها ، ونشاهد آخر ينفخ فى صفارته يمسكها بيد واحدة ، والماعز أمامه ترتع كيف شاءت . وأكثر ما نشاهدها تأكل من ورق الشجر ، وعندما كانت تأكل كل ما يمكنها أن تصل إليه من هذه الأوراق يقوم راعوها بهش الأشجار بعصيهم لتأكل منها غنمهم . ونشاهد

بين هذه الماعز ألوانا من الأحمر والأسود والأبيض وكذلك نتاجا مختلطا ، كما نشاهد فى رقاب بعضها الزائدتين اللتين نشاهدهما تحت الرقبة فى الماعز الآن . (pls. XXX.)

منظر محصول المستنقعات — صيد السمك على الشاطئ :

يشاهد على الجدار الشمالى (pls. XXXVII,) المنظر العادى لصيد السمك ، وقد حلى برسم الأشجار رسما طبعيا ، وكذلك بعض تفاصيل خارجة على التقاليد القديمة الجامدة . حقا نشاهد الرجال يجرون الشبكة إلى الشاطئ بما فيها من سمك كالمعتاد ، غير أننا نرى فى الوقت نفسه شابا برأس حليق يلتفت إلى آخر يناديه ، كما نشاهد شابا ثالثا عارى الجسم يلتقط السمك من الشبكة واحدة واحدة ، ثم نشاهد السمك يكوم فى مكان واحد و يضعه رجال ونساء فى أكياس ويحملونه إلى السماك المسمى « نيا » وهنا نجد رجلا آخر ينظفها . هذا ولدينا منظر آخر لصيد الأسماك فى القوارب ممثل كالمعتاد (Pls. XXXV) .

صيد الطيور بالشبك : ويفصل منظر صيد السمك فى القوارب عن صيد الطيور بالأحابيل — بعض سيقان البردى ، وهنا نشاهد الصياد مختبئا بين الأعشاب ينادى رفاقه ليجتزوا الشبكة حين وقع فيها الطير ، وفضلا عن ذلك نجد أن المثال قد صوّر لنا صيد الطيور فى قارب من البردى حيث نجد — كما جرت العادة — الرجل وزوجه يصطادان الطيور برشقها بالعصى ، و يلفت النظر فى هذا المنظر القطة التى كانت تأتى لصاحبها بالطير عند ما يقع ، وكذلك صورة البومة التى رسمت بمثابة تمثال لإغراء الطير فى هذا المكان ليقع فى الشرك ، وقد كتب على الصور التى فى القارب المتن الثانى : «إبى» نحات «آمون» فى مكان الصدق فى غربى «طيبة» وزوجه ربة البيت «دوا موا ست» . وكذلك نشاهد هنا منظر جمع الكروم وعصير العنب وصنع النبيذ .

الجدار الشمالى : أثاث ملكى خاص (pls. XXXXI) . يوجد على هذا الجدار منظر صنع جهاز جنازى فى المصانع ، وهذا الأثاث لم يكن لاستعمال « إبى »

فحسب، بل لدينا فيه قطعتان كبيرتان تمثلان محرابين وعليهما طغراءان « لأمنحتب الأول » الذى كان قـد مضى على وفاته — بالنسبة « لإبى » — ما يقرب من ثلثمائة سنة، ولابدّ أنهما كانتا لمعبده أو لقبره، لأنه كان يعبد فى هذه الجبانة بوصفه إله العمال .

والآن يتساءل الإنسان عن المناسـبة التى جعلت « إبى » يرسم هـذا المنظر فى قبره، وهل يمكننا أن نعرف من الرسم المكان الذى خصص لهاتين القطعتين؟ .

والواقع أننا نعلم ممـا لدينا من الوثائق التى ترجع إلى عهد الفرعون «حور محب» أنه قام بإصلاح عام لكل المعابد فى البلاد، و بوجه خاص نعـلم أنه قام بإصلاح مقبرة الفرعون «تحتمس الرابع» (راجع مصر القديمة جـ ٥ ص ٦١٦) .

وتدل الأحوال على أن هذا الإصلاح لم ينقطع سببه بل استمرّ ، ولذلك لا يبعـد عنا أن ما فعـله « حور محب » لأجل « تحتمس الرابع » كان هو نفس ما فعله « رعمسيس الأول » و « سيتى الأول » لمقبرة « تحتمس الأول » (راجع pls. XVI) ولمقـبرة « تحتمس الثالث » ، كما نشاهد فى المقبرة رقم ٣١، وما فعله « رعمسيس الثانى » لقبر « أمنحتب الأول » ، كما نشاهد فى مناظر قبر « إبى » ، وفى مناظر القبر رقم ١٩ فى هذه الجبانة أيضا .

وعلى أية حال فإن تحضير هذا الجهاز الجنازى سـواء أ كان لأجل قـبر هذا الفرعون أو لمعبـده فإن « إبى » قـد اتخذ من ذلك فرصة مناسـبة لعمل جهازه الجنازى هو أيضا .

صورة المحرابين : مثل أمامنا فى الصورة محرابان يبلغ ارتفاع الواحد منهما ثلاثة أضـعاف طول الرجل ، ولا يمكننا — بعـد أن رأينا المحـاريب التى كانت فى مقبرة « توت عنخ آمون » — أن نقول إن المحرابين المذكورين هنـا ضخمان ، وأولها قد لوّن باللون الأسود ممـا يوحى بأنه من الأبنوس ، غير أنه فى العادة كان يصنع من الخشب العادى ، ثم يلوّن بالقطران تقليدا للأبنوس، وقد زين جداره

بصورة وحدة مصر فنشاهد الإلهين «حور» و «ست» ممسكين بساقين من النبات يرمز أحدهما للوجه القبلى والآخر للوجه البحرى ، وفى الوسـط يرى الملك راكعا على علامة الوحدة (سما) بين إلهتى الوجه القبلى والوجه البحرى وهما «نخبت» و«وازيت» وفوقه قرص الشمس المجنح الذى يضىء الجنوب والشمال معا ، وفى أسفل نشاهد علامة بنى الإنسان ممثلة فى صورة الطائر « رخيت » وقد نقش على العمودين اللذين يكتنفان المحراب طغراء « أمنحتب الأوّل » ويشاهد حفارون من الخشب يصنعون التفاصيل النهائية الخاصة بزينة هذا المحراب ، وقد بقى لنا متن نقش عموديا على جانبى المحراب ويشمل ألقاب هذا الملك المؤله وهو :

على الجانب الأيمن : " الإله الطيب الشـجاع ابن « آمون » ... أرباب « طيبة » ملك الوجهين القبلى والبحرى ... ابن الشمس محبوب الآلهة «أمنحتب» معطى الحياة محبوب « آمون رع » رب تيجان الأرضين فى الكرنك " .

على الجانب الأيسر : " الإله الطيب ابن « آمون » الذى وضعته «موت» الواحدة العظيمة سيدة « أشرو » ملك الجنوب والشمال وحاكم الأجانب سـيد الأرضين « زسر كارع » محبوب «رع» وابنه من ظهره « أمنحتب » معطى الحياة محبوب « آمون رع » رب تيجان الأرضين الإله العظيم " .

المحراب الثانى — حجرة النوم : أما المحراب الثانى فيظهر بمحتوياته فى صورة مكان للنوم قد وضع على طوار يصل إليه الإنسان بسلم ، وعلى الرغم من أن حجرة النوم هـذه مقببة فإنه على ما يظهر لم تكن فى الأصل مخصصة لنوم الملك المتوفى ، بل كان بمثابة نعش يمكن حمله ويوضع فيه المتوفى . وعلى هذا الزعم يكون الطوار الذى تحته مصنوعا من الخشب كبقيـة النعش ، أما القسمان اللذان يشاهدان فوق هذه الحجرة فيختلفان فى وضعهما ، ويمكن اعتبارهما بمثابة حلية ، ولأجل التهوية .

وتحتوى حجـرة النوم على سرير عال أمامه درج للصعود فوق السرير ومخـدة ومرآة من النحاس ، ومائدة عليها عنقود من التين ، ويلاحظ أن المخدّة قد وضع على جانبيها رمزا العافية .

وصور العمال الذين كانوا يقومون بصنع هـذه الحجرة التى تظهر كأنها مقامة من مواد غاية فى المتـانة ، على جانب عظيم من الأهمية ، فعـلى الرغم من عدم وجود متن يحدّثنا عن حركات أولئـك الصناع وسكناتهم وما يقومون به من عمل ، فإن نفس أوضاعهم تحدّثنا بصراحة عن الدور الذى كان يقوم به كل واحد منهم وهذه الظاهرة من مميزات فن هذا العصر عندما يكون المفتن ماهرا .

فكما نشاهد فى أيامنا الحلاق يحلق للعمال على قارعة الطريق أو فى أثناء عملهم فكذلك نرى هنـا الرجل الذى يزجج العيون بالكحل قـد أخذ يكحل نجارا بمروده الخاص ، ويشاهد بجوار هـذا المكحل آلات التكحيل وتتألف من أسطوانتين فى إحداهما مرود ، هـذا إلى كيس من مسحوق الكحل وزجاجة لخلط الكحل المجفف ، وصندوق توضع فيه كل هذه الأدوات ، وفوق هذا المنظر نشاهد رئيس عمال يعطى الأوامر بصوت عال ، أو ينذر بوصول المشرف على العمل — نجارا كان يستعمل إزميلا كبيرا لدق دسار لا داعى له .

وعلى سقف هـذا المبنى نرى نجـارا يصقل الألواح بقطعة من الحجر الرملى ، وبجواره أدواته البسيطة وتحتوى على منشار من النحاس وثلاثة مناقير للثقب والحفر ، وفى هذا المكان المنعزل نرى عاملا قد اضطجع ليغفو قليلا ، غير أن «إبى» صاحب المقبرة قد لمحه فصاح موجها إليه اللوم ، وعندئذ أسرع أحد زملائه لإيقاظه قبل أن يحدث ما لا يحمد عقباه ، ويلاحظ أن العمال الذين كانوا يعملون فى الجهة التى أتى منها سيدهم أظهروا نشاطا وجدّا فى العمل . وعلى أية حال يظهر أن هاتين القطعتين من الأثاث كان موطنهما النهائى فى معبد الملك الجنازى ، فإحداهما هى الناووس الذى كان يوضع فيه المحراب ، والثانية هى النعش الذى عمل على هيئة حجرة نوم ليحل محل الذى عمـل وقت الدفن ، أو ليستعمل عنـد تكرار عملية الدفن فى الاحتفال السنوى بيوم دفن الفرعون .

جهـاز « إبى » الجنازى : الصـف الذى فوق هـذا المنظر يبـدو أنه ليحل قائمة تعدّد لنا مواد الأثاث التى كانت مجهزة «لإبى» نفسه ، فنشاهد على اليسار

المحراب الموضوع فى السفينة وهو الذى كان مخصصا لوضع المومية فيه ، غير أن تفاصيله النهائية لم تكن قد تمت بعد، فنرى عاملا يركب حلية مؤخر السفينة، وثانيا ينشر الزائد من دسار تركه زميله ، وثالثا يركب الخيط الذى يثبت الحبل المستعمل لحز السفينة، ورابعا قد بدأ يجهز الرموز التى كانت توضع فى إطاراتها، ويرى كذلك اثنان أو ثلاثة من العمال فى الصورة يقومون بتلك العملية ، وبجوار ذلك يوجد التابوتان المعدان لموميتى «إبى» وزوجه، وبجوار التابوت نشاهد رجلا يقطع شجرة جميز إشارة إلى أن التابوتين قد عملا من خشبها، وعلى مقربة من ذلك شاب ينفخ النار تحت إناء فيه غراء للصق النسيج المقوى على المومية ، يضاف إلى ذلك أن المثال لم يفته أن يضع فى صورته إشارة إلى الغرض من صنع هذه القطع من الأثاث ، فنشاهد مساعده ممسكا من أسفل بالتابوت المنصوب كأنه مشيع للجنازة، على حين كان ابن « إبى » الأكبر المسمى « آنى» يقرأ شعيرة فتح الفم كما كان سيفعل يوم الدفن ، هذا بالإضافة إلى وجود كل الآلات اللازمة لمراسيم فتح الفم أمام التابوت.

ويشاهد خلاف ذلك مساعد يضع طبقة من الألوان على وجه صورة التابوت، وبعد ذلك نجد مخزنا يحوى قطع أثاث تام الصنع ، منها كرسيان وثلاثة عصى للمشى ، وصندوقان صغيران وكرسيان يطويان ، وصندوقان فيهما أدوات كتابة ، ومخدتان .

أما أثمن قطعة فى هذا الجهاز فيظهر أنها كانت «صدرية» قدّمها «نب نخت» لوالده « إبى »، وبعد ذلك نشاهد بقية الأثاث، ويشمل ثلاثة صناديق، وأربع قارورات من العطور مصنوعة من زجاج أو خشب يشبه الزجاج ، وكرسيا عليه نعلان ، وطستا وسريرا عليه مروحة ومخدة ، وتحت هذا إناء فيه عطور للرأس وزجاجة ماء موضوعة على قاعدته . ومن أراد أن يرى أمثال هذا الأثاث الجنازى رأى العين فليذهب إلى متحف « تورين » بايطاليا ، حيث يشمل قطعا من هذا النوع استخرجت من قبر فى هذه البقعة بعينها .

« بامنو » المثال الأوّل : وجد اسمه فى النقش الذى خلفه لنا « معى » على الصخور القريبة من الهرم الثانى بالجيزة (راجع L. D. III, 142. i) . وقد نطق « بترى » هذا الاسم « باشما » (راجع Petrie Hist. III, p. 98.) .

« أمنحتب » (حوى ددى) سائق عربة جلالتـه (راجع Budge Guide to Sculp. p. 169) وله لوحة جنازية أعلاها مستدير « بالمتحف البريطانى » أقامها لنفسه وهو ابن « هاو نفرو » ووالدته تدعى « رع مريت » . وقد نقش على الجزء الأعلى من هـذه اللوحة اسم « رعمسيس الثانى » وألقابه ، كما يشاهـد « حوى » يقدّم قربانا لأجداده الذين مثلهم فى أربعة صفوف على اللوحة والمتن الذى أسفل هـذا يشمل صلاة للآلهة « أوزير » ، و « حور » حامى والده ، و «إزيس» ، و «أنوب» وآلهة آخرين من أجل قربان جنازى . وكان «حوى» قد أقام هـذه اللوحة تذكارا لوالده ووالدته وإخوته وكل أجـداده الذين نقشت أسماؤهم عليها كما دعا لهم أن يعيشوا ممـا يعيش عليه الآلهة . وتدل النقوش على أن إخوة « حوى » هذا كانوا من المقربين لدى الفـرعون وبخاصة فى قيادة عربته وملاحظة اسطبلاته ونخص بالذكر منهم الآتين :

(١) « بتاح معى » : رئيس الاسطبل ، (٢) « بارى » : سائق العربة ، (٣) « سـوى » : سـائق العربة ، (٤) « بتـاح مـع » : سائق العـربة ، (٥) « أبوى » : رئيس البنائين ، (٦) « بانحسى » : سائق العربة . (راجع Lieb. Dic. Noms. No. 888) .

« بتاح مويا » : المشرف على الاسطبلات الملكية ، وكاتب حجرة الفرعون ، ورسول الفرعون إلى الأراضى الأجنبية ، وله لوحة « بالمتحف البريطانى » وقد نقش فى أعلاها قرص الشمس المجنح تتدلى منه يدان تضمان اسم «رعمسيس الثانى» وقد مثل على اللوحة «بتاح مويا» يتعبد للآلهة «أوزير» و «إزيس» و «حور»

كما نشاهده يقدّم القربان لأجداده الذين مثلت صورهم فى ثلاثة صفوف (راجع Budge. Ibid. p. 169) .

« باك عا » : رئيس الاسطبل . ووالده هو المستشار « هاو نفر » الذى مات فى السنة الثامنة والثلاثين من عهد « رعمسيس الثانى » ، وتوجد « لباك عا » لوحة « بالمتحف البريطانى » (راجع Budge. Ibid. 169 - 70) ، ولوحة نقش عليها تاريخ السنة الثامنة والواحدة والثلاثين من عهد « رعمسيس الثانى » كما نقش عليها صورة الالهين « وبوات الشمال » و « وبوات الجنوب » وجلد الثور (« تكن » [(١)]) ثم اسم « رعمسيس الثانى » ولقبه ، وكذلك مثل عليها المتوفى يتعبد لعشرة آلهة وإلهات مقدما لها القربان . وأخيرا نقش عليها أنشودة وصلاة للإله « أوزير » .

« أمنمأبت » : رئيس الاسطبل ، نحت لنفسه نقشا فى صخور « أسوان » مؤرخا بالسنة الثالثة والثلاثين من عهد « رعمسيس الثانى » ، وقد جاء فيه أنه رئيس الاصطبل « أمنمأبت » بن الكاهن الأوّل للإله « آمون » صاحب الاصطبل العظيم للقصر ، ورسول الفرعون له الحياة والفلاح والصحة . وقد كتب هذا النقش بمناسبة الاحتفال بالعيد الثلاثينى للفرعون فى العام المذكور (راجع De Morgan. Mon. Cat., I, p. 88 (No. 63)) .

« ثاثا » : رئيس الاصطبل وهو ابن الوزير « باسر » الذى تحدّثنا عنه فيما سبق (راجع Champ. Notices. I, p. 523) .

« باك » : السائق الأوّل لجلالته . وجدت له لوحة مؤرّخة بعهد « رعمسيس الثانى » (راجع Lieb. Dic. Noms. No. 897) .

« حور » : رئيس اصطبل مقرّ الفرعون . جاء اسمه على لوحة أخيه « حورا » الذى كان يلقب المشرف على الأراضى الزراعية لرب الأرضين ونشاهد

(١) راجع : Davies & Gardiner. The Tomb of Amenemhet., p. 50 ff.

عليها « حورا » هذا وزوجه « تنت باتا » يتعبدان للآلهة « أوزير » و « حور » و « إزيس » و « تحوت » ، كما نشاهد « حورا » يقدّم لوالده « رع مرى » ولوالدته « إبى » القربان . ويرى كذلك على اللوحة أخوه .

« باكن آمون » : الذى يحمل لقب المشرف على خيل « رعمسيس » فى بيت « آمون » يقدّم له ولزوجه القربان ، وكذلك نجد على اللوحة خمسة من إخوته وأختين يتعبدون له . ومعظم أفراد هذه الأسرة يحملون ألقابا عالية وقد ذكرنا بعضهم وهاك البعض الآخر :

(١) « مرى » : حامل المروحة .

(٢) « نفررنبت » : كاتب مخازن الغلال .

(٣) « حور نخت » : كاهن معبد « مين » .

(٤) « إزيس » مغنية الإلهة « إزيس » (راجع Budge. Ibid. p. 188; Lieb. Dic. Noms. No. 890.) .

« حح » : سائق جلالته الوحيد ورسول الملك لكل أرض . أقام هذا السائق الفرعونى لوحة لوالده المسمى « نسو توى محب » الذى كان يلقب السائق الأوّل لجلالته . ويعدّ الأستاذ « بترى » اسم هذا الرجل الذى يعنى « الملكين فى عيد » برهانا على اشتراك « رعمسيس الثانى » مع والده فى حكم البلاد (راجع Petrie Tombs. of the Courtiers. p. 11, 12 pl. XXXI.) .

« مرنبتاح » : سائق الفرعون وكاتب الملك . وجد له تمثال بالحجم الطبعى فى بلدة نبيشة . ووالده يدعى « با إمرا إحو » ويلقب الوجيه والمشرف على البلاد الصحراوية ، كما يلقب ابنه « ساوزيت » الكاهن الأوّل للالهة « وازيت » كما كانت زوجه تلقب رئيسة حريم الإلهة « وازيت » (راجع Petrie Tell Nebesheh pl. XI.) .

« نخت مين » : و « من خبر » يوجد بين نقوش « جزيرة سهيل » نقش دوّن عليـه اسما هذين الرجلين ويلقب الأول رسول الملك فى كل أرض أجنبية ، ورئيس الرماة لرب الأرضين . أما الثـانى فكان يحمل لقبى : رسـول الملك لكل الأراضى الأجنبية، ورئيس الخيـل لرب الأرضين . وقـد أرخت اللوحة بطغراء «رعمسيس الثانى» (راجع .L. D. III, 175 L, K.; Lieb Dic Noms I, No. 900) .

« نزم » : المشرف على أسفار الفرعون . ذكر اسمه على لوحة صغيرة فى مجموعة « بترى » (راجع .Petrie Hist. III, p. 97) .

« مرى آتوم » : وكيل اصطبل (خيل) رب الأرضين، ورسول الفرعون إلى البلاد الأجنبية ، وقد جاء ذكره على قطعة حجـر محفوظة بمتحف « هنوفر » بألمـانيا (راجع .A. Z. L XXII, p. 97. pl.VIII) .

« حوى » : مدير أعمال كل آثار جلالته، ورئيس شرطة الصحراء، ومدير معبد « رعمسيس الثـانى » محبوب « آمون » فى « برنب نهيت » (أى بيت ربة الجيزة) ، وهـذا الاسم يطلق على حى فى « منف » كان خاصا بعبـادة البقرة « حتحور » . (راجـع .Gauthier. Dic. Geog. II, p. 92) ، والمشرف على « برن — بارع نرعمسيس » محبـوب « آمون » جنـوبى « منف » (وهـو اسم محراب أسسه « رعمسيس الثـانى » فى جنوب « منف ») وقـد سمى به الحى الذى فيـه المحراب (ومعناه بيت رع لرعمسيس الثـانى) . (راجع Ibid. II, p. 77) .

« نس حتب » القائد الأعلى لجيش رب الأرضين .

وجد اسم هذا القائد على لوحة فى «وادى حمامات» وكان قد أرسله الفرعون الى جبال بخن (وادى حمامات) لإحضار مواد لإقامة آثار لجلالته . وقد وجد على

النقش الألقاب التالية : ... ... الوجيه والكاتب الملكى والقائد الأعلى لجيوش رب الأرضين (١) (راجع A. S. XXXVIII p. 133) .

« نخت مين » رئيس الرماة : وقد وجد اسمه على تعويذة من الزجاج الأحمر محفوظة الآن فى مجموعة « بترى » (راجع Petrie Hist. III, p. 97) ، وكذلك نقش لنفسه لوحة على صخور « أسوان » نشاهده فيها راكعا متعبدا أمام « رعمسيس الثانى » الجالس على عرشه وفى يده مروحة وقد كتب أمامه : " حامل المروحة على يمين الفرعون " وخلفه : " رسول الفرعون لكل الأرض " (راجع De Morgan. Mon. Cat. I, 14 (no. 65) . والظاهر من معظم النقوش التى كانت تكتب على الصخور فى «أسوان» وغيرها من الجهات الجنوبية أن أصحابها كانوا يدوّنونها تذكارا لرحلاتهم التى كان يكلفهم الفرعون القيام بها لأداء مهام خاصة سواء أكانت سياسية أم حربية ، ولذلك نجد معظم هؤلاء الذين دوّنوا أسماءهم على هذه الصخور من رجال الجيش أو مكلفين ببعوث فرعونية أو حكام فى الجنوب، وكذلك تدل ألقابهم على أنهم ممن كانوا مقربين لشخص الفرعون .

«أنحرنخت» : رئيس الرماة، وحامل المروحة، والمشرف على البلاد الأجنبية . وله لوحة منقورة فى صخور « جزيرة سهيل » (راجع Ibid. I, 88 no. 61) .

وكذلك نجده يقاسم فردا آخر يدعى «أمنمابت» نقوش لوحة فى نفس المكان ويلقب فيها مفتش أراضى « كوش » (؟) (Ibid. I, 88 No. 63) .

« منمس » : حامل المروحة وله تمثال وجد فى « نجع المشيخ » من الجرانيت وهو محفوظ « بالمتحف المصرى » . (راجع Borchardt. Stat. II, pl. 91) .

---

(١) وتوجد «فى متحف تورين» ورقة عليها مصوّر جغرافى «بوادى الحمامات» وما فيها من مناجم لقطع الأحجار ، غير أنها ، مما يؤسف له ، ممزقة ولكن ما بقى منها يدلنا على أنها خاصة بقطع الأحجار فى « وادى الحمامات » (راجع A. S. XXXVIII, p. 133 fig. 12) .

كتاب الفرعون : كان للفرعون كتاب كثيرون ، والواقع أن كل الكتاب وغيرهم من الموظفين فى طول البلاد وعرضها كانوا تابعين للفرعون بوصفه هو المالك لكل أرض مصر وممتلكاتها فى الخارج ، غير أن كتابه الخاصين كانوا يميزون بنعت « كاتب الملك » كما كان الكتاب المتصلون بالفرعون مباشرة ينعتون « كتاب الفرعون الحقيقيين » . وتدل شواهد الأحوال على أن هذه الوظيفة كانت من أرقى وظائف الدولة ، وأن حاملها كان يقوم بأعمال خطيرة فى شئون الحكومة . وسنذكر طائفة من هؤلاء الكتاب الذين خدموا «رعمسيس الثانى» على سبيل المثال :

« خعى » : كاتب الفرعون الحقيق ومحبوبه . وله تمثال وجد فى « منف » وهو محفوظ « بالمتحف المصرى » ، وكان يحمل فضلا عن وظيفة كاتب الفرعون الوظائف التالية : المشرف على خزانة معبد ملايين السنين لملك الوجهين القبلى والبحرى «رعمسيس الثانى» فى ضيعة « آمون » ومن يثنى عليه الإله الطيب كثيرا (راجع Borchardt, Stat. II, p. 154, 156; De Rouge Etudes Egyp. p. 30; Champ. Mon. p. 63 ff.) .

« وننفر » : كاتب الفرعون الأول . وجد له تمثال فى معبد الكرنك . ولا يحمل من الألقاب على هذا التمثال إلا لقب « كاتب الفرعون الأول » مما يدل على ما كان لهذا اللقب من الأهمية العظيمة لدى الفرعون كما ذكرنا وأنه لم يكن يحمله إلا من كان مقربا من الفرعون جدا ، ويلحظ فى النقوش المصرية عادة أن حامل هذا اللقب كان يحمل ألقابا أخرى خطيرة (راجع Lagrain, Stat. p. 37. II. pl. XXXIV) .

«بانحسى» : كاتب الفرعون ، والمشرف على المالية ، وحامل المروحة على يمين الفرعون والمشرف على مخزن الذهب من السودان ، والمراقب على الهدايا والجزية التى يدفعها رؤساء السودان . وقد عاش «بانحسى» هذا فى عهد «رعمسيس الثانى» يدل على ذلك وجود اسم هذا الفرعون على الكتف الأيمن لتمثال « بانحسى »

المحفوظ «بالمتحف البريطاني» . وقد مثل ممسكا بمحراب صغير أمامه نحت فيه صور «أوزير» و«إزيس» و «حور» (راجع .Budge, Guide to Sculp. p. 165-166)•

ويقول « بترى » إن « بانحسى » هــذا هو الذى أصبح فيما بعــد وزيرا فى عهد « مرنبتاح » بن « رعمسيس الثانى » (راجع ,Petrie Hist III, p. 97) •

«منمس» المسمى « كانرا » : كاتب الملك ورئيس الأسرار على الأرض وفى العالم السفلى ، ورئيس الأسرار فى مكان الصدق، وكاتب الملك فى بيتى الجنوب والشمال، وحاسب الضرائب، وصانع تماثيل كل الآلهة، والكاتب الحقيقى لمكان الصدق .

وقد نقشت هــذه الألقاب على لوحة له محفــوظة الآن « بمتحف اللوفر » وقد صوّر فى أعلاها يتعبد للآلهة «أوزير» و «حور» و «إزيس» و «تفتيس» ، و « بتاح » و « تحوت » . وفى الجزء الأسفل من اللوحة يرى ابن المتوفى الذى يدعى كذلك « كانرا » يقدّم القربان لوالديه ولخمسة آخرين من أقاربه ، وتحمل والدته « أنيت » لقب ” حاملة صاجات الإلهة إزيس “ .

(راجع T. S. B. A. VIII, p. 336 & Pierret. Rec. Insc. II p. 134) •

« حم » و « أمنمأبت » : ذكر هذان الموظفــان على لوحة محفوظة « بالمتحف المصرى » ومؤرّخة بطغراء « رعمسيس الثــانى » ، ويلقب « حم » كاتب الملك ، ومــدير البيت . أما « أمنمأبت » فيلقب كاتب الملك وحسب .

(راجع Lieb. Dic. Noms. 2098) •

«تحوتى محب» : كاتب الملك . ذكر اسمه على لوحة مهداة للعجل «أبيس الرابع» وهو الإله الذى كان له صلة بالإله « بتاح » كما كان العجل « مرور » (منفيس) له صلة بالإله «رع» . واللوحة مؤرّخة بالسنة الثلاثين من عهد «رعمسيس الثانى»

(راجع Mariette, Serapeum III p. 17; Lieb. Dic, Noms. No. 884) •

«ثيا» : كاتب الفرعون الحقيق المحبوب . وجد له بعض آثار فى «سقارة» أهمها لوحة محفوظة الآن «بمتحف فلورنس» (.Schiaparelli Florence, 324)•

دوّن عليها الألقاب والنعوت التالية : الممدوح من الإله الطيب ، والمحبوب من جلالته يوميا ، وكاتب الفرعون المحبوب منه حقا ، والمشرف على مالية الرمسيوم ، والمشرف العظيم على ماشية «آمون» ملك الآلهة ، وحامل المروحة على يمين الفرعون ، وكاتب الملك ، والمشرف على المالية ، والمشرف على مالية رب الأرضين . وله غير هذه اللوحة أخرى صغيرة فى مجموعة « روجرس » نقش عليها الألقاب التالية : كاتب الفرعون ومعلم جلالته ، ومربى سيد الأرضين وهو فى البيضة ، والمشرف على ماشية الإله « آمون » ولكنا لا نعلم أى ملك كان ينشئ (راجع A. Z. XIX. 117-118) .

« سا إست » : كاتب الفرعون ، والمشرف على غلال الوجه القبلى والوجه البحرى ، له تمثال محفوظ الآن بمتحف « فينا » وقد نقش عليه اسم كل من «رعمسيس الثانى» وابنه «مرنبتاح» . وقد دوّن على التمثال صلاة للإله «وبوات» ، كما كتب عليه دعاء على كل من يتعدّى على تمثاله ويصيبه بضرر ما — بأن يحاكم ويعاقب على فعلته وذلك لأنه كان رجلا طيبا لم يأت سوءا فى حياته ولم يرتكب خطيئة مع أى إنسان . وكذلك يناشد كهنة معبد الإله « وبوات » على اختلاف أنواعهم أن يقدّموا له قربانا (راجع Rec. Trav. XII, p. 3-4) .

« بياى » : كاتب الفرعون ، والمستشار والمشرف على الخاتم : له تمثال من الحجر الجيرى الأبيض « بالمتحف البريطانى » : وقد نقش على الجزء الأمامى منه صلوات للآلهة «أوزير» ، و «أنوب» و «بتاح» و «سكر» ليقدّموا له قربانا (راجع Budge.Guide to Sculp. p. 170; Lieb. Dic. Noms. No. 887) .

« مرى بتاح » : كاتب الوثائق الفرعونية ، والمشرف على ماشية بيت «رعمسيس الثانى» . وله لوحة عثر عليها فى «العرابة المدفونة» ولكنها اشتريت من « أخميم » . واللوحة مقسمة قسمين عليهما منظران ، ففى القسم الأيمن الإله « حور اختى » جالسا على عرشه يتقبل تحيات شخص راكع ونقش فوقه : " إنى أقدّم التحيات «لرع» لأجل روح كاتب الملك لوثائق القصر (له الحياة والفلاح والصحة) « مرى

بتاح » صادق القول وسيد الاحترام بجانب الإله العظيم" وعلى اليسار نشاهد « مرى بتــاح » راكعا أمام أوزير وفوقه النقش التالى : " الدعاء لأوزير لأجل روح المشرف على الماشـية فى معبد « وسرماعت رع ستبن رع بتاح » " راجع Rec. Trav. IX, p. 90

« سارى » : كاتب الفرعون : له تمثالان وجدا فى خبيئة الكرنك من الحوانيت (راجع Legrain, Stat. II, p. 34 pl. XXXI & p. 35 36, pl. XXXII) . وقد كتب اسم الفرعون « رعمسيس الأوّل » على الكتف الأيمن للتمثال الأوّل . والنقوش التى على التمثالين كلها تمنيات للتوفى ليوهب الحياة فى الآخرة كما كان فى الحياة الدنيا ، وذلك بأن يوهب ثانيــة استعمال كل أعضائه و يتنفس الهواء العليل و يتمتع بكل ملاذ الآخرة .

« بياى » : كاتب الملك والكاهن المرتل الأوّل ، والمشرف الأوّل على الكهنة المطهرين ، والمشرف على القربات الإلهية ، والمشرف على التحنيط وموزع القربان .

وجد اسم «بياى» هذا مع اسم موظف آخر يدعى «تحتمس» أو (رعمسيس) ويلقب الكاهن المرتل الأوّل فى البيت الجميل (أى بيت التحنيط) على لوحة تحمل ثلاثة تواريخ من عهــد الفرعون « رعمسيس الثانى » وهى السنة السادسة عشرة ، والسنة السادسة والعشرون ، والسنة الثلاثون . واللوحة من الحجر الجيرى الأبيض ومقسمة قسمين وهى خاصة بالعجل «أبيس الرابع» فى عهد «رعمسيس الثانى» .

ففى الجزء الأعلى منها نشاهــد ثورين مضطجعين متقابلين . وقــد كتب أمام واحد منهما : " السنة السادسة عشرة ، وصول جلالة العجل « أبيس » " وكتب أمام الثانى : " الســنة السادسة والعشرون ، وصول جلالة العجل « منفيس » " ونقش أمامهما سويا (١) طغراء « رعمسيس الثانى » .

(١) ومما تجدر ملاحظته هنا أن العلاقة بين العجل «أبيس» والإله « بتاح » إله الأرض وكذلك العلاقة بين العجل « منفيس » و إله الشمس كانت مختلفة فلم نجد قط الإله « بتاح » مصورا فى صورة عجل ، أو كان يعتقــد أنه يتقمص عجــلا بل كل ما نعرفه أن العجل أبيس كان يسمى « أبيس » الحى حاجب « بتاح » ومن يحمل الصدق إلى أعلى لصاحب الوجه الجميل ، وكذلك كان العجل « مرور» (منفيس) كان يحمل لقبا مماثلا بالنسبة لرع (راجع H. Frankfort, Ancient Egyptian Religion p. 10.

وتحت هذا نشاهد محرابا فيه العجل « أبيس » وأمام المحراب مائدة قربان وكاهن يقرأ صيغة القربان من إضمامة، وآخر يقدّم إناءين وفوقهما نقش خاص بشعيرة فتح الفم وألقاب كل من « بياى » و « تحتمس » .

وفى الجزء الأسفل من اللوحة نشاهد شخصين واقفين بملابس فضفاضة وفى يد كل منهما آلة لفتح الفم . وقد كتب أمامهما نقش يبتدئ بالسنة الثلاثين من حكم «رعمسيس الثانى» وهو خاص بفتح الفم للعجل «أبيس» . والظاهر أن هذه اللوحة قد اشترك فى عملها الكاهن المطهر والمرتل فى بيت التحنيط ، والتشريفى فى بيت العجل أبيس، ومن فى حجرة بيت العجل « منفيس » « بتاحى » المرحوم والمشرف على بيت التحنيط المرحوم « رعمسيس » ، والكاهن المطهر والمرتل فى بيت الفرعون « إبى » (راجع Rec. Trav. XXI, p. 70. ff.) .

« ريا » : الكاهن المطهر والمرتل فى بيت التحنيط المزدوج : وله لوحة مؤرخة بالسنة الثلاثين من عهد « رعمسيس الثانى » فى السرابيوم «بسقارة» وهى خاصة بدفن العجل الرابع أيضا، وقد جاء ذكر الكاهن « بياى » السالف الذكر عليها بألقابه (راجع Rec. Trav XXI p. 72-3) .

« باخبرى خع » : كاتب مائدة الفرعون : له تمثال « بمتحف اللوفر» وقد نقش عليه اسم والده « إزيس محب » ومعنى الاسم « إزيس فى عيد » (راجع Lieb. Dic. Noms No.894) .

« بن نستاوى » : كاتب مائدة نائب « كوش » : وقد جاء ذكره ولقبه مع أشخاص آخرين على لوحة « ستاوى » نائب « بلاد كوش » فى عهد « رعمسيس الثانى » (راجع مصر القديمة جزء ٥ ص ١٧٠) .

«كاثا » : الكاتب المشرف على عبيد رب الأرضين فى الأرض الجنوبية . له لوحة منقورة فى صخور « فرس » عند الحدود الجنوبية وقد جاء فيها ذكر والده « تحتمس » (راجع Champ. Notices 1 p. 40) .

«خعمأبت» : كاتب كتاب الإله لرب الأرضين، وكاتب تواريخ كل الآلهة في بيت الحياة (الجامعة) ووالد الإله للإله «رع — آتوم»، وكاتب الملك والمدير الملكي. وله لوحة محفوظة الآن بمتحف «ستوتجارت» بألمانيا، يشاهد في أعلاها يتعبد للآلهة «أوزير»، و«إزيس» و«حور» وطغراء «رعمسيس الثاني» وفي الجزء الأسفل نشاهد ابنه «منتوحتب» كاتب معبد «منتو» رب «أرمنت» يخاطب أفراد أسرته الجالسين أمامه وهم :

«بكت ورنورا» : زوجة ربة البيت ومغنية «آمون».

«آمون واح سو» : والده كاتب كتاب الإله. هذا وقد ذكر اسما والدته وزوج والده بدون ألقاب (راجع Spiegelbrg & Portner Aegyptische Grabstien und Denkstein Aus Suddeutschen Sammlungen. I, pl. XVIII,).

«حورا» : كاتب الخزانة (راجع Pleyte. Pap. Turin 41, pl. XXIX).

«رعمسيس نختو» : كاتب قوائم الجنود. له تمثال محفوظ الآن بمتحف «برلين» نقش على كتفه طغراء «رعمسيس الثاني» : (Insch. Berlin. II, p 72.).

«حور مين» : كاتب القصر، عثر له على تمثال في «منف» وهو محفوظ الآن بمتحف «ليدن» (راجع Leyden Aegypt Mon. II, IX, D. 38.).

«باسحاتا» : كاتب المعبد، له بعض الآثار منها لوحة من «العرابة» (راجع Abydos Cat. 1131 - 1132) ويحمل لقب كاتب معبد الإلهين «بتاح» «أنحور»، وزوجته تدعى ربة البيت «تاكله»، وابنه يلقب الكاتب «نخت». وولده هو الكاتب «رومع» (راجع De. Rougé. Insc. Hierog I, pl. XXXII.).

«أمنأبت» : كاتب وثائق الفرعون، وله تمثال في متحف «سنتبيترزبرج» (راجع Lieblein. St. Petersburg Agyp. Denkmaler, 4; Papayri At Turin Pleyte Pap. de. Turin, 9.).

« أمنمس » : الكاتب الملكى لمائدة رب الأرضين وكاتب الملك، له تمثال من الحجر الجيرى الصلب من خبيئة الكرنك، وذلك يدل على أنه كان صاحب مكانة عظيمة لأنه لم يكن يوضع فى معبد «آمون» إلا تماثيل عظماء القوم، وقد جاء ذكر اسم والديه على تمثاله هذا، فوالده يسمى «بن زرتى» ووالدته «موتمانت». وكذلك كان يشترك « أمنمس » مع كاتب آخر فى لوحة وهو :

« وررشبو » : الكاتب الملكى ومدير البيت ، وقد مثل هذان الكاتبان على هذه اللوحة وأسرتاهما فى ثلاثة صفوف وكلهم يتعبدون إلى العلم وهو الشارة التى وضعت على قمة الصندوق الذى كان يحتوى على حسب زعم القوم على رأس الإله أوزير، وعلى أحد جانبيه صورة الإله «حور» وعلم برأس كبش، وعلى الجانب الآخر الإلهة «إزيس» وعلم برأس كبش (راجع Budge, Guide to Sculpt. p. 205).

« أمنحب » : كاتب المائدة الملكية . وجد له لوحتان فى العرابة، وجد إحداهما « مريت » (راجع Mariette. Cat. Abydos No. 1128) والثانية عثر عليها « فرنكفورت » وهى موجودة الآن بمتحف « سدنى » ويحمل فيها الألقاب التالية : قائد أعياد أوزير، والكاتب الملكى، وكاتب مائدة القربان (راجع J. E· A. XIV, p. 243 - 4) .

« برى نفر » : كاتب المائدة الملكية . ذكر اسمه على بعض الآثار، منها لوحة عثر عليها فى «العرابة المدفونة» . (راجع Mar. Cat. Abydos no. 1128.)، ولوحة محفوظة فى معبد « بولونى » من أعمال فرنسا . (راجع Wiedemann Gesch p. 56; Lieb, Dic. Noms Fo. 736.) . ويلاحظ أنه قد ذكر على لوحة « العرابة » عدة رجال ونساء، يعملون فى وظائف مختلفة . منهم الكاتب، والمغنى، والضابط . كما كانت النسوة يعملن مغنيات للإله « آمون » ، ومن بينهن مغنية للإلهة « حتحور » (Boulaq, Stele No. 807) .

« مرى بتاح » : كاتب المائدة ، له تمثال راكع فى «المتحف البريطانى» .
(راجع Arundale & Bonomi Gallery pl. 54) .

« نفرحر » : كاتب وثائق القصر ، وله لوحة محفوظة الآن « بالمتحف البريطانى » ، وتلفت النظر بما عليها من نقوش هامة ؛ فعلى الجزء الأعلى منها دوّنت السنة التى توفى فيها ، وهى الثانية والستون من عهد « رعمسيس » ، ونجد أسفل ذلك صاحب اللوحة راكعا أمام الإله « أوزير » متعبدا ، وخلف هذا الإله تقف أختاه « إزيس » و « نفتيس » ، ثم « حور » بن « إزيس » ، وفى الصف الثانى نشاهد «نفرحر» واقفا أمام صف من أهل أسرته ، مقدّما لهم البخور والنبيذ والقربان على مائدة ، وفى آخر صف نجده كذلك واقفا يحمل طبقا عليه قربان ، وأمامه مائدة قربان ، كذلك يقدّم لطائفة من أهله وكلهم إخوته ، قربانا كما تقول النقوش . (راجع Budge, Guide to Sculp p. 175. pl. XXIII; Lieb. Dic. Noms. no. 889) .

« بنتاور » : الكاتب ، وهو الذى نسخ بخطه قصيدة ملحمة « رعمسيس الثانى » ، التى نقشها على جدران معابده العظيمة ، فى طول البلاد وعرضها ، وقد أسهبنا القول فيها . وقد نسب إليه بعض كتاب عصرنا خطأ أنه هو الذى ألف هذه القصيدة . (راجع pefrie, Hist III. p. 30) ، والواقع أنه كتبها بخط يده فقط .

« أمنمويا » : كاتب رب الأرضين . جاء ذكر هذا الكاتب مع سائر أفراد أسرته على لوحة محفوظة الآن « بالمتحف المصرى » (no. 807) . (راجع Mar. Cat Abydos no. 1128) ، وتدل النقوش التى عليها على أن معظم أفرادها كانوا يشغلون وظائف حكومية فى ذلك العهد ، وسلسلة نسب هذه الأسرة هى : الوجيه « بتاح مس » ، وزوجه « تنت إبت » ، وقد أعقبا :

(١) « برى نفر » : الكاتب الملكى لمائدة رب الأرضين . (٢) « تنرو » : الكاتب . (٣) « خعى » : كاتب القربان . (٤) « أمنويا » : كاتب رب الأرضين . (٥) « إيا » : صف ضابط . (٦) « نفرحتب » : صف ضابط . (٧) « بنياتا » : كاتب بيت رب الأرضين . هذا بالإضافة الى اثنتى عشرة بنتا ، تسع تحمل كل منهن لقب مغنية « آمون » ، وثلاث تحملن لقب مغنية الإلهة « حتحور » .

« حورنخت » : الكاتب ، ذكر هذا الكاتب على لوحة مؤرخة بعهد « رعمسيس الثانى » ، ومعه عدة أشخاص آخرين ، ثلاثة منهم كتبة وملاحظ واحد، غير أن صلة النسب بينهم لم تفسر فى النقوش . (راجع L. D. III p. 114 & Lieb. Dic. noms No. 903) .

« وسرماعت رع » : الكاتب الذى يدوّن لرب الأرضين . له لوحة رسم عليها متعبدا لطغراء « رعمسيس الثانى » . (راجع Newberry Scarabs pl. XXXV. p. 20) .

« نفرحتب » : كاتب مائدة رب الأرضين، له لوحة فى متحف «اللوفر» والنقوش التى عليها تلفت النظر بعض الشىء، إذ نجد الإله «أوزير» مصوّرا عليها فى هيئة الصندوق الذى كان يظنّ أنه يحتوى على رأس هذا الإله المدفون فى « العرابة » . وهذا الأثر تحرسه هنا الإلهتان « إزيس » و « نفتيس » ويكنفه الرمزان الدالان على الإله « خنوم » وخلفهما من الجهة الشمالية رسمت الإلهة «ماعت» والإله «وابوات» (ابن آوى) وعلى اليمين الإلهان «حور» و «تحوت» وكذلك نجد على اللوحة مصوّرا « رعمسيس الثانى » المؤله والإله « حور » .

وقد ذكرنا « نفرحتب » اسم جدّه من جهة أمه وهو سميه ، وجدّته من جهة أمه وتدعى « تاخعيت » . كما ذكر اسم والده :

« رع اوى » : سائق عربة جلالته . أما والدته فكانت تسمى :

« نبت نسوت حنت » : مغنية الإله « سبك » وتدعى زوجه :

« تاميو » : ربة البيت ومغنية « آمـون » وقـد نقش على اللوحة أنشـودة للإله « أوزير » حمـدا وتعبدا (راجع Boreux, Cat. Guide I, p. 78-79; & Petrie Scarabs 1601) .

« بامعى » : كاتب المـائدة . وله لوحة صغيرة محفوظة بمتحف « تورين » (راجع Petrie Scarabs 1601.) .

« خعمواست » : كاتب العمال له تمثـال عجيب مـؤرّخ بالسنة السادسـة والعشرين من حكم «رعمسيس الثانى» (راجع Mariette Serapeum II, p. 14.)

« باك ور » : الحارس الأول لمخزن الغلال . عاش فى أواخر عهد «رعمسيس الثانى » إذ توجد له لوحة مؤرّخة بالسنة السادسة والستين من حكمه وقد عثر عليها فى « قفط » والجزء الأعلى منها مفقود . وتدل نقوشها على أنها قد أقيمت بسبب هبة من الأرض . (راجع Rec. Trav. IX, p. 100.) .

«أمنمس» : رئيس العمال، ذكر اسمه على لوحة صغيرة (راجع Champ. Mon. 191, 4. p.) .

« معى » : ووالده «با كامون» . كان « معى » المشرف على الأعمال فى عهد « رعمسيس الثانى » وهو الذى أشرف على بناء معبد « هليوبوليس » على حسب أمر سيده مستعملا على ما يظهر أحجار معبد « خفرع » الجنازى لبنائه ممـا يدعو لدهشتنا من جهة وعدم اكتراثه من جهة أخرى بتخريب الأماكن الأثرية، وقـد ترك لنا منظرين حفرهما فى الصخرة المقابلة للجهة الشمالية والغربية من الهرم الثانى تنبئان بوجوده فى هـذه المنطقة ومعـه رئيس المثالين ، والنقش الذى فى الجهـة الشمالية هـو[1] :

(١) راجع : Brugsch Thesaurus p. 1243.

المشرف على أعمـال معبد « رعمسيس » الذى يضىء فى البيت العظيم للأمير « معى » المرحـوم ابن المشرف على الأعمال « باكامون الطيبى » ، رئيس المثالين « بامنو » المرحوم، والمشرف على الأعمال فى بيت « رع » « معى » ؟ ؟

والنقش الذى فى الجهة الغربية هو : المشرف على أعمال بيت « هليو بوليس » « معى » . ويقـول « بيكى » (راجـع Egyptian Antiquities in the Nile Valley p. 134.) إن والد « معى » كان يقوم بنفس التخريب فى « طيبة » لمليكه . وعلى الرغم من كل ذلك نجـد أن « معى » هذا قـد أهدى لوحة للإله « بو لهول »، ومما يؤسف له أنه لم يبق منها إلا جزء من الجهة اليسرى . وما بق منها يشعر بأنها كانت مقسمة قسمين، فالقسم الأعلى كان فيه صورة « بو لهول » جاثما على قاعدة وتحته متن لم يبق منه إلا ثلاثة أسطر تبتدئ بصلاة « لبولهول » : صلاة لروحك يا « حور أختى » لروح مدير الأعمال لبيت « رع » ورئيس المثالين فى ... ... « رعمسيس الثانى » .

وهذه اللوحة لا بدّ أنها تعزى إلى نفس « معى » ومن ذكر معـه على النقش الذى تركه لنا على الصخر فى هذه الجهة .

هذا وقد وجد له أذن جنازية مهداة « لبو لهول » باسم « حور » وقد كتب عليها : صنعها «معى» وهى فى الواقع تعدّ أكبر أذن جنازية عثر عليها فى الحفائر التى قمنا بها فى هذه الجهة . (راجع ص ٤٧١ عن الأذن ووظيفتها) .

« ثونورى » : المشرف على أعمال كل أثر ملكى . وقبره كان فى « سقارة » غير أن موضعه بالضبط لا يزال مجهولا . ولدينا منـه بعض أحجار نقش عليها قائمة بأسماء الملوك المشهورين حتى عهد « رعمسيس الثانى » ، وقـد تحدّثنا عنها سابقا (راجع مصر القديمة الجزء الأول ١٥٩ — ١٦٠) (راجع Mariette Mon. Divers pl. 58 p. 19) .

« أمنمأبت » : مدير الأعمــال فى البرجين (؟) وله تمثال من الحجــر الرملى محفوظ الآن « بالمتحف البريطانى » (راجع Borchardt, Stat. IV p. 47) .

« رعمسيس عشاوحب » : مهندس بناء معبد « بوسمبل » . جاء ذكره فى نقوش إهداء هــذا المعبد، وكذلك حفــر لنفسه لوحة فى صخــور « بوسمبل » (راجع Champ Mon. IX, 2) وقد تحدثنا عنه فيما سبق .

« بنرمر » : المشرف على الخزانة ومدير كل الأعمال الملكية ، وجد له تمثال فى خبيئــة « الكرنك » وقد مثــل حاملا أميرة صغيرة تدعى بنت الملك ومحبوبتــه «مريت آمون» . وكان كذلك يلقب : الأمير الوراثى، والحاكم، والساتر قلب الملك بآثاره الجميلة، ومن فى قلب الإله الطيب (أى موضع ثقته)، والمشرف على بيت الذهب المزدوج (أى رئيس خزانة القطرين) . (راجع Legrain, Stat. II p. 37, 38).

« رعمسيس — وسر — حر — خبش » : المشرف العظيم على المــالية فى الوجهين القبلى والبحرى، وجد له حتى الآن لوحة صغيرة فقط محفوظة فى مجموعة « بترى » (راجع Petrie Hist III p. 101) .

« إنى » : حامل الخاتم : نقش اسمه على آنية محفوظة الآن « بمتحف اللوفر» (راجع Pierret, Louvre Salle Historique p. 370) .

« حورمس » : رئيس الحراس لمــالية معبد الملك «بطيبة» الغربية : يقع قبره فى جبانة «شيخ عبدالقرنة»، وليس له رقم خاص على ما نعلم، ويحتمل أنه يقع بين مقبرتى « إبى » والقبر رقم ٢١٧، وقد تزوج من امرأة تدعى « موت موميا » ورزق منها ولدا يدعى « كامواست » وكان يشغل وظيفة كاتب، ومن أهم المناظر التى تركها لنا فى قبره مشهد يرى فيه وهو يتعبد للقارب المقدّس للاله «سكرأوزير» وقارب آخر يزين مقدمتــه رأس ملك (راجع Champ. Notices I p. 517) . ويرى على جدران هذا القبر كذلك صف من الملوك قد هشمت طغراءاتهم ، غير

أنه يمكن قراءة بعضها مثل « تحتمس الأول » ، و « تحتمس الثانى » ، و « تحتمس الثالث » ، و « أمنحتب الثانى » ، و « تحتمس الرابع » ، و « أمنحتب الثالث » ، و « حورمحب » ؟ (راجع Champ. Notices. I, 518) . والواقع أن كتابة أسماء هؤلاء الملوك على هـذا الترتيب من الأهمية بمكان من الوجهتين الدينية والتقليدية إذ أن هذا يبرهن لنا على أن « رعمسيس الثانى » كان يعتنق مذهب عبادة ملوك الأسرة الثامنة عشرة العظام الذين أراد هو أن يعيد مجدهم الغابر فى آسيا ، هذا إلى أنه من جهة أخرى أنكر حقيقة وجود«حتشبسوت»على عرش الملك لأنها امرأة ويجب ألا تتولى عرش مصر، كما أنكر حقيقة « اخناتون » وأخلافـه من الملوك الزائفين لأنهم قضوا على عبادة «آمون» وغيره من الآلهة الذين كانوا محببين للشعب ، ولا شك أن فى هذا بعد نظر من جانب «رعمسيس» مما جعل الشعب يلتف حوله .

« باكأمون » : حارس القصر، له لوحة صغيرة محفوظة ضمن مجموعة «بترى» (راجع Petrie Hist. III, p. 92.) .

« سحتب أتون ختف » : ربان القارب ، جاء اسمـه على لوحة محفوظة «بمتحف اللوفر» (راجع Pierret. Les Insc. Louvre II, 1. &. C. 95.) .

كهنة معابد الفراعنة

« نفرر نبت » : الكاهن الأكبر لمعبد الفرعون « تحتمس الأول » (راجع Petrie. Hist. III, p. 92.) .

« بانحسى » : كاهن تمثال « أمنحتب الأول » فى الردهة الأماميـة . قبره فى جبانة « ذراع أبو النجا » (راجع G. W. Cat. No. 16.)؛ ولدينا بعض مناظر طريفة فى قبره منها منظر ثيران تدرس القمح . ويرى المتوفى وهو جالس على كرسى يلاحظ العمل مرتديا ثوبا أبيض فضفاضا وقد وضع على رأسه الحليق ثوبا مطويا ليحميـه من حرارة الشمس (راجع Wresz. I, pl. 72.) . وكذلك يرى كاهن

مطهر يحرث الأرض بزوج من الثيران قد برك على الأرض ، واحد منهما يضربه شخص بعصا لينهض ، وخلف الكاهن تسير زوجه ناثرة بذور القمح وراء المحراث من سلة تحملها . وقد غطت شعرها بقطعة نسيج بيضاء وقاية من التراب الذى يثيره المحراث وحفظا من حرارة الشمس . وأسفل هذا المنظر منظر آخر فيه رجال يقطعون أشجارا (Wresz. I, Pl. 112.) كما يشاهد « بانحسى » وروحه الذى صوّر فى هيئة طائر برأس إنسان يتسلمان الشراب والطعام من الإلهة «نوت» (الإلهة التى تسكن الجميزة وقد خرجت من الشجرة) وخلفهما تل يمثل الجبانة وقد هشم ولم يبق من رسومه إلا لوحتان على اليمين وعلى اليسار ونفهم من الرسوم الباقية أن البقرة « حتحور » كانت ممثلة خارجة من التل ، ولكن لم يبق من رسمها إلا جزء من الريشتين اللتين كانتا على رأسها . وتحت هذا المنظر يرى مدخل معبد الإله « آمون رع » وعلى جانبيه البرجان . وفى الجهة اليسرى نصبت موائد قربان عليها الخبز والطيور وبينها وضعت الأزهار، وفوق ذلك كتب اسم المتوفى وألقابه . (راجع Wresz. I, pl. 113.) .

« خنسو » : الكاهن الأول للفرعون «من خبررع» (تحتمس الثالث) وقبره فى جبانة «شيخ عبد القرنة» رقم ٣١ (راجع G. W. Cat No. 31.)، ونقوش هذا القبر لها أهمية عظيمة وبخاصة سلسلة النسب التى دوّنها على جدرانه ومنها نعلم أن ابنه « وسرمنت » كان يشغل منصب الوزارة على ما يظهر فى عهد « مرنبتاح » ابن «رعمسيس الثانى»، وتدل النقوش على أن «خنسو » هذا قد تزوج من خمس سيدات، وترك وراءه منهن أسرة عظيمة العدد ، وكانوا يشغلون وظائف عالية فى المعابد وفى أعمال الحكومة، وقد صوّر لنا فى قبره استقبال تمثال سيده « تحتمس الثالث » فى معبده الجنازى (راجع Wresz. I. pl. 129.) .

وتدل شواهد الأحوال على أن هذا القبر كان فى الأصل لموظف آخر يحمل لقب المشرف على الماشية فى عهد « تحتمس الرابع » ، ولكن اغتصبه فيما بعد

« خنسو » هذا الذى نحن بصدده بوضع طبقة من الجص على النقوش الأصلية . وكانت هذه عادة شائعة فى ذلك الوقت شاهدناها فى بعض المقابر وبخاصة مقبرة « تحوتى محب » الذى سنتكلم عنه فيما بعد — ولا غرابة فى ذلك فالناس على دين ملوكهم — وقد ترك لنا «خنسو » فى قبره المغتصب قائمة بأسماء أزواجه وأولاده (راجع Schiaparelli Funeralli II, 292 - 3; Weil Die. Viziere p. 103.). وهاك أسماء أزواجه وما تناسل منهن :

(١) « ريا » : زوجه وقد رزقت منه ما يأتى :

« وسرمنتو » : الكاهن المطهر والمرتل للإله « منتو » .

« وسرمنتو » : الكاهن الأول للإله « سبك » .

« تاى » : الكاهن الأول للفرعون « تحتمس الأول » .

« إوى » : الكاهن الأول للفرعون « تحتمس الأول » .

« منتو حتب » : الكاهن المرتل للفرعون « أمنحتب الثانى » .

« وسرمنتو » : رئيس اصطبل بيت رب الأرضين .

أما بناته فهن :

« وياى » : مغنية « آمون » .

« ويا » : مغنية الإله « منتو » .

« تاوسرت » : مغنية الإله « آمون » .

(٢) « تاوسرت » : زوجته الثانية وتحمل لقب مغنية « منتو » وأولادها هم :

« خنسو » : الكاهن الأوّل للاله « منتو » سيد زرتى (الآلهة) .

« تنتى أبونت » : ابنتها وتلقب مغنية « منتو » .

(٣) « معى » : زوجه الثالثة مغنية « آمون » ، وقد رزق منها « خعمواست » الكاهن الثانى للفرعون « تحتمس الثالث » .

(٤) « معيا » : زوجه الرابعة وتحمل لقب مغنية « آمون » ، وقد رزقت « وسرمنتو » الأمير الوراثى ، وحاكم المدينة ، والوزير . وقد تقلد كرسى الوزارة فى عهد الفرعون « مرنبتاح » .

« حوى » : كاهن « منتو » رب « أرمنت » .

« إى » : بنتها وتلقب مغنية « آمون » .

(٥) « موت إوى » : زوجه الخامسة وتلقب مغنية « آمون » .

أما والدة « خنسو » صاحب المقبرة فتدعى « تاوسرت » مغنيــة « منتو » رب « أرمنت » .

أما اسم والده فلم يعرف بعد .

هذا ونستخلص من سلسلة نسب أفراد هذه الأسرة ووظائفهم أن عبادة الإله « منتو » كانت منتشرة مزدهرة فى هــذا العصر وبخاصــة فى « أرمنت » ، كما نستخلص أن ملوك الأسرة التاسعــة عشرة كانوا محافظين على استمرار قيام الشعائر الدينيــة فى معابد ملوك الأسرة الثامنــة عشرة ، وأن الذين كانوا يقومون بأدائها أسر خاصة كما لاحظنا ذلك من قبل اللهم إلا شواذ قليلة .

« بكتا » : مغنية الفرعون « تحتمس الثالث » (راجع Lieb. Dic. Noms. (No. 2052.

« تحوتى محب »[1] : المشرف على مصانع الملابس .

يقع قبر هـذا الموظف فى جبانة « شيخ عبد القرنة » رقم ٤٥ ، والواقع أنه قبر مغتصب من موظف آخر يدعى « تحوتى » عاش فى عهد الفرعون « أمنحتب الثانى » . (راجع مصر القديمة جزء ٤ ص ٧٠٣) .

ويعدّ هذا القبر من أهم الوثائق التصويرية التى فى متناولنا للموازنة بين العهـد الأوّل من الأسرة الثـامنة عشرة وبين عهـد الرعامسة الأوّل من حيث العادات والأخلاق والزى والدين ، إذ توجد على جدران هذا القبر صور بعض الفتيات الرشيقات اللائى مثلن قائمات بالخـدمة فى وليمـة ، وقد دل الفحص الدقيق على أن أجسامهنّ كانت فى الأصل عارية ثم كسيت فيما بعد ، وتدل شواهد الأحوال على ذلك مما تبقى من آثار الصور الأصلية قبل كسائها . وقد يظنّ الإنسان لأوّل وهلة أن هذا العمل قد قام به سكان هـذه المقابر فى العهد المسيحى عندما كان رجال الدين يتخذون هـذه المقابر مأوى لهم ، ويضعون طبقة من الملاط على الصور التى كانت تعـدّ خارجة عن حدود الوقار والحشمة . ولكن الواقـع أننا لم نكن لنهتم بهذه التغييرات الجـديدة لولا وجود سلسلة كبيرة منها دل الفحص على أنها قـد عملت قديما عن قصد فى عهد آخر من عهود التـاريخ المصرى القـديم وهو عهد « رعمسيس الثانى » .

حقا وجدنا فى عهد الدولة الحديثة فتيات صوّرن بملابس محبوكة تُجَسِّم تفاصيل الجسم ، كما وجدنا صور فتيات عاريات فى مناظر القبور ، ولذلك يتساءل المرء هل كان يوجد أناس فى العهـد المصرى القـديم يستحيون من رؤية هـذه الأجسام العارية ؟ وهل المنظر الذى أمامنا فى هـذا القبر يدل فعلا على تقى القوم وورعهم على الأقل فى العهد الذى سترت فيه هذه الأجسام بطبقة من الألوان جعلتها تظهر مرتدية بملابس تدل على الحشمة والوقار ؟ ولا نزاع فى أنه لدينـا أمثلة مشابهـة

(١) راجع : A. Z. 75. p. 100 ff.

للنظر الذى أمامنا فى غير هـذا القبر فعلا تدل على الخلاعة التى كان يبرزها المثال فى صوره ، وهى التى كانت قد انعكست ظلالها على فكره وعقـله من جراء الفتوح السورية وما جرت على الفاتحين من أنواع الانهماك فى التهتك والخلاعة ، وقد قلدت ذلك فيما بعد الأسرة المـالكة ، فنجد أفرادها يمثلون الشعب فى مظاهره وخلاعته فى عهد « إخناتون » . وقد استمر المثالون بضع عشرات السنين يقومون بتصوير مثل هـذه الصور بما فيها من فنّ وإبداع وإغراق فى أنواع الخلاعة والبـذخ ، ولكن نجد من جهة أخرى أنه منذ عهد « أمنحتب الثالث » أخذ القوم ينحرفون بعض الشىء عن تمثيل مثل هذه الصور فى ولائمهم التى كانوا يصوّرونها على جدران مقابرهم ، وقد يكون السبب فى ذلك هو الميـل إلى التقى إلى أن جاء عهـد « إخنـاتون » وهز أركان الحياة الاجتماعيـة والسياسية من أساسها وأخذ يدخل على الفنّ تعاليم جديدة كلها تهدف إلى محاكاة الطبيعة فى كل مظاهرها ، ولذلك وجدنا روحا جديدا ظهر فى نقـوش المقابر وتصاويرها . وبعد انقضاء عهد هـذا الفرعون نجد انقلابا عظيما فى مناظر المقابر يميـل بكليته إلى إظهار التدين والورع فى جملته : ولم نجد إلا أمثلة قليلة فريدة من المناظر التى تمثل إقامة الحفلات التى تظهر فيهـا الفتيات والمغنيات والراقصات عاريات (راجع Vandier D'Abadie Rev. D' Egypte 3 p. 27 ff & 31 pl. 4. Comp. Brunner . Traut Der Tanz in Alten Aegypten Aegyptologische Forschungen, Scharff. .(Heft 6. p. 47 note 1, p 82

ومن ذلك الحين أصبحت تقدّم عليها الموضوعات الأخرى التى نجد صورها فى « كتاب الموتى» وعلى جدران المعابد ومقابر الملوك التى تدل على التدين والوقار ، والآن يتساءل الإنسان هل معنى ذلك أن اشـتداد الروح الدينى والتقى إلى حدّ بعيد وصل إلى قلب الصور القديمة التى من عهد « أمنحتب الثانى » إلى صور توافق عهد « رعمسيس الثانى » ومثله فى التدين ؟ وسنحاول أن نجيب على هذا السؤال من المناظر التى أمامنا فى هذا القبر التى ترجع إلى عهدين مختلفين : لكل طرازه

وتقاليده الخاصــة ، فهذا القبر كما قلنا يشمل مناظر مثلت على جدرانه لشخصين استولى الواحد منهما بعد الآخر عليه ونسبه لنفسه ، فصاحب القبر الأصلي كان يعمل كاتبا في عهد « أمنحتب الثاني » أي في العصر الذي كانت الامبراطورية المصرية قد بلغت منتهى عزها وسلطانها . ويدعى « تحوتي » وكان فضلا عن ذلك يعمل في معبد « آمون » في وظيفة رئيسية ، إذ كان مدير بيت الكاهن الأول «لآمون» المسمى « مري » وقـد تحدثنا عنه من قبل (راجع الجـزء الرابع ص ٧٠٣) . ويشمل قبر « تحوتي » هذا على حجرتين صغيرتين لم ينقش فيهما إلا جزءان صغيران من القاعة الأولى وهما النصفان الشماليان من طول الجدار ، ويحتويان على صور لهذا الموظف . وقــد رسمت معه والدته محبو بته مرة واحدة وكانت تدعى كذلك «تحوتي» . ولا نعلم إذا كانت زوجه قد رسمت معه في المناظر الأخرى التي عملها له ابنه أم لا لأن مغتصب القبر كان قد غيرها كلها تقريبا إلى صور أخرى تتمشى مع مقاصده ومع روح العصر الذي عاش فيه ، هذا ونشاهد منظر الوليمة الذي كان تنتسب اليه في الأصل امرأتان يحتمل أنهما بنتاه وقد مثلتا واقفتين أمامه .

أما الموظف الآخر الذي استولى على المقبرة اغتصابا فكان يدعى «تحوتي محب» (أي تحوت في عيد) ، وقد كان كذلك في خدمة معبد « آمون » إذ كان يشـغل فيه وظيفة المشرف على صناع الملابس ، ونجد عددا كبيرا من أبنائه وبناته وأحفاده قد مثلوا على جدران المقبرة كما كتبت كذلك أسماؤهم وأسماء الضيفان الذين معهم في منظر الوليمة القديمة الذي كان قد نقشه صاحب المقبرة الأول . وتدل كل النقوش والصور على أن إتمام صور القبر والتغييرات التي أحدثت فيه قــد عملت في عهـد « رعمسيس الثاني » (راجع G. W. Cat, p. 21) الذي كان نفسه صاحب شهرة عظيمة في إصلاح معابد الآلهة وآثار أجداده كما كان ذا صيت عظيم في اغتصاب آثار أسلافه ونسبتها إلى نفسه .

وتبلغ المدة التي انقضت بين البداية في إقامة هذه المقبرة والانتهاء من زخرفتها حوالي مائتي سنة . وهذه الفترة تحفظ لنا في ثناياها أحداثا جساما من الأهمية بمكان

فى تاريخ البشرية ، إذ فى خلالها قام « إخناتون » بإصلاحه الدينى المشهور الذى زلزل أركان الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية فى مصر وخارجها ، وهذا العهد بتأثيره فى الحياة القومية يشبه عهد الهكسوس واحتلالهم لمصر .

والواقع أننا نشاهد فى الصور التى بقيت لنا على جدران هذه المقبرة متجاورة اختلافا بينا عند فحصها فى الزى والعادات . فالصور القديمة منها تمثل الحياة فى النصف الأول من الأسرة الثامنة عشرة كما تمثل الحياة الحديثة فى مجد الأسرة التاسعة عشرة — عهد « أمنحتب الثانى » . ثم فى عهد «رعمسيس الثانى» ، وبين هذين العهدين يقع عهد « إخناتون » الذى جاء فى ختام الأسرة الثامنة عشرة . ويلفت النظر أن صور العصر الأول تدل على الخلاعة والمجون فى الحياة الاجتماعية ، كما تدل الصور الأخرى على حياة التقى والتدين . ولا غرابة فى ذلك لأن المفتن كان يسير بوحى من عصره فى تمثيل صوره .

ففى الجزء الذى أتمه «تحوتى» صاحب المقبرة الأول وهو الجزء الشمالى والجزء الجنوبى من جدار الحجرة الأولى نكشف عن تغيير فى صوره إلى أخرى غيرها تدل على التعبد والتقى ، إذ نرى فيها صاحب المقبرة وزوجه راكعين أمام الإله « أنوب » متعبدين ، كما نشاهد أنه بدلا من عمل صورتين جديدتين لعيد الجبانة قد صور على الجدار الشمالى منظر للصيد فى البر والبحر على ما يظهر . وعلى الجدار الضيق المقابل للأخير (الجدار الغربى) نجد صورة لوحة جنازية عليها صورة الإله «آمون رع حور أختى» برأس صقر وهى التى لم نجد مثيلتها قبل عهد الملك «آى» فى المقابر ، وفوق هذا المنظر رسم مثالو عهد الرعامسة صورا جديدة منها نرى الفرق البين بين طراز العهدين ، هذا فضلا عن أنه قد شغل كل الأماكن الخالية على سطح الجدران بصور جديدة .

ولم يترك لنا مثالو عصر الرعامسة صورا من عهد « أمنحتب الثانى» دون تغيير فيها إلا صورة واحدة . أما الصور التى تناولها التغيير فقد جعلها تعطينا معنى آخر

جديدا مخالفا لما وضعت له فى الأصل فى عهد «تحوتى» صاحبها الأول . والصورة الوحيدة التى تركها لنا دون تغيير تقع فى الجزء الشمالى من الجدار الغربى (راجع Taf. XII) (انظر الصورة (أ) ص٥٧٦) وتمثل صاحب المقبرة جالسا مع والدته على المائدة وكانا يرتديان ملابس العيد على حسب زى عصرهما . فقد ظهرت الأم فى ثوب طويل ضيق محبوك يفسر تفاصيل الجسم وله حمالة يبدو منها أحد ثدييها . أما ابنها «تحوتى» فكان يلبس قميصا قصيرا وفوقه ثوب آخر وضع طرفه على كتفه .

ومن جهة أخرى نشاهد فى منظر إحراق القربان (Pi. XII, a.) (انظر الصورة (ب) ص ٥٨١) وفى نفس الصورة سيدة ترتدى ثوبا لا يمكن أن يكون من طراز عهد «أمنحتب الثانى» إذ كان ثوبا واسعا فضفاضا عريضا من أسفله ، أسدل على كل جسمها فشمله من الكعب حتى النحر وقد شدّت على صدرها شريطا عريضا ينتهى بهدابات منمقة الأطراف قد أرخى على كلا الجانبين ، غير أن كل تفاصيل الجسم وبخاصة الرأس والشعر واليدين تدل على أن المثال الذى أخرجه من عصر الأسرة الثامنة عشرة ، فى حين أن الملابس كانت من طراز عهد آخر ينسب إلى الأسرة التاسعة عشرة ، وإذا أنعم الإنسان النظر فى هيكل هذه الصورة وجد أنه لا فرق بينها وبين صورة والدة « تحوتى » التى تركت بدون تغيير فيها والواقع أن هذا الثوب الواسع الفضفاض الذى ترتديه قد ألبسها إياه مفتن عصر الرعامسة عندما أراد تغيير الصورة لأنه كان من طراز ملابس السيدات فى هذا العصر . وعلى هذا النحو غير مفتن عصر الرعامسة ملابس صورتين أخريين (راجع Ibid pl. XI, b.. & d,) انظر الصورة (ج) .

وهذا الثوب العريض الطويل يمكن قرنه بالثوب الذى كانت تلبسه زوج «تحوتى محب» التى مثلت جالسة لأنه يشبهه فى كثير من التفاصيل (راجع Ibid pl.XI, c· b.) . يضاف الى ذلك أن قميص صاحب المقبرة الأول وثوبه قد غيرا ، وليس فى هذا ما يدهش لأن ملابس الرجال فى ذلك العهد كانت قد غيرت بعض الشىء أيضا . فإذا وازنا بين الثوب الذى كان يرتديه « تحوتى » والثوب الذى كان يرتديه



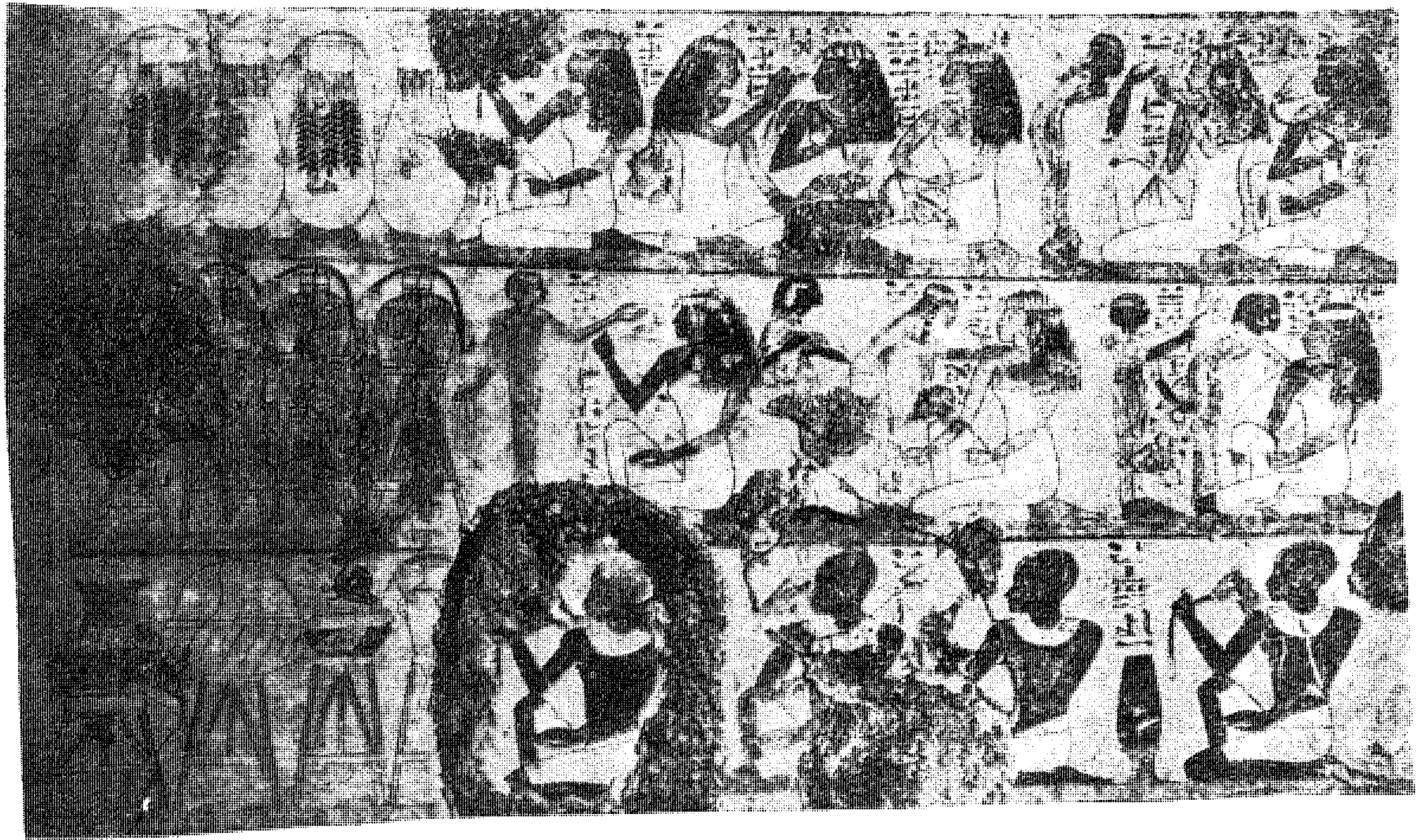
(أ) « تحوتى » ووالدته



(ب) « تحوتى محب » وزوجه (؟)

«تحوتى محب» وجدنا أن ثوب الأخير كان يظهر فيه بعض الانحناء والاتساع من عند الركبة ، ولم يقتصر هذا التغيير على صور الأشخاص البارزين بل نجده ظاهرا كذلك فى جلباب ابن صاحب المقبرة (pl. XI. b.) المرسوم على الجدار الشرقى كما نجد تغييرا فى الأزهار التى كان يقدّمها لوالده (راجع pl. XI b, XII b.) . (انظر الصورة (جـ) ص ٥٧٦) فنلحظ أن هناك تغييرا فى كلتا الحالتين عن الملابس الأصلية التى نشاهدها فى مناظر « تحوتى » الأصلية . فثوب الخادم قد زيد فى طوله وأصبح ينتهى بانحناء بعد أن كان يرسم أفقيا ، أما ملابس السيدات اللاتى كنّ يجلسن على الحصير فى الوليمة (راجع Wresz I pl. 169) (انظر صورة الوليمة) فقد وجد المثال على ما يظهر مشقة فى تغيير صورهنّ لأن المنظر لم يكن من المناظر المألوفة فى عصره ، ولذلك كان التغيير الذى قام به طفيفا ، إذ اقتصر على الزيادة فى طول الثوب حتى النحر وبذلك غطى الثدى الذى لم تستره الحمالة فى ثوب زى الأسرة الثامنة عشرة ، أما الفتيات اللائى كنّ يقمن على خدمة هؤلاء السيدات فقد ألبس المثال كلا منهنّ جلبابا ستر به كل الجسم الذى كان فى الأصل عاريا . وهذا التغيير فى صور القبر يعدّ أهم شىء يسترعى النظر ويتطلب إيضاحا شافيا .

أما مواد الوليمة التى كدست على الموائد وقوارير العطور والأباريق التى كانت موضوعة على قواعد فقد بقيت على حالها دون تغيير ، هذا على الرغم من أنها كانت قد تغيرت فى عهد العمارنة من حيث الشكل والاختيار . وكذلك نلحظ أن كرسى الجلوس الخاص بصاحب المقبرة وزوجه فى عهد « أمنحتب » قد غير بإضافة رجل للكرسى الأصلى حتى أصبح يظهر فى الصورة وكأنه كرسيان يجلس على واحد منهما الرجل وعلى الآخر زوجته وذلك تمشيا مع تقاليد عهد الرعامسة . وهذا فضلا عن أن طاقة الأزهار التى كانت فى يد صاحب المقبرة قد غيرت صورتها لتتفق مع طراز عصر الرعامسة أيضا ، إذ قد أبدلت من برعومة بشنين إلى طاقة مفتحة وأهم تغيير ظهر فى الجزء الشمالى من الجدار الغربى (pl. XII, c.) هو أن المثال قد غير معظم المنظر



منظر الوليمة التي في مقبرة « تحوتي »

فقلبه إلى صورة أخرى لا تمت للأصل بصلة. إذ نرى الآن مغنيتين (انظر الصورة (د) ص٥٨١) قد رجلتا شعورهما بصورة غريبة. وهاتان المغنيتان الأولى «باكنخنسو» زوج «تحوتى محب» التى كانت تلقب مغنية «آمون رع» ملك الآلهة وزوجه «موت»، وابنه «خنسو»، والأخرى ابنته، وقد كانتا تقدّمان فى المنظر الصاجات و«عقد منات» السحرى لإلهة جالسة أمامهما على عرشها. ويلاحظ أن «عقد منات» ينتهى برأس يمثل صورة الإلهة «موت» متوجة. وكتب فوق المنظر: «موت» سيدة السماء و «سخمت» محبوبة «بتاح» و «باستت» عين «رع» ومعنى ذلك أن هاتين السيدتين كانتا تقومان بالغناء والرقص لكل هؤلاء الإلهات فى وقت واحد.

ويدل ما لدينا من معلومات تاريخية على أن وجود مثل هذه الصورة فى المقابر التى من عهد النصف الأول من الأسرة الثامنة عشرة كان معدوما، إذ لم يكن من المألوف وجود صور آلهة الكرنك فى المقابر قبل عهد العمارنة. حقا كان يتضرع الناس بالأدعية للإله «آمون» ولإلهة الجبانة «حتحور» وحسب، غير أننا لم نجد تضرعات للإلهة «موت» إلا نادرا (راجع A. Z. 75. p. 104. Note 1.). وهكذا غيرت الصورة الأولى إلى أخرى تمثل الاحتفال بإقامة شعيرة من الشعائر التى كانت تعقد فى المعبد. وهذا هو السبب فى وجود صورة المغنيتين والإلهة. وهذا النوع من المناظر كان شائعا فى المقابر بعد عهد «إخناتون»، أو على الأقل كان قد بدأ يظهر بعد ختام هذا العهد. ويدل ما تبقى من الصورة القديمة على وجود آثار يستطيع الإنسان بها معرفة أصل هذه الصورة. فيشاهد بين صورة الإلهة والسيدتين مائدة وضع عند قاعدتها أباريق خمر وسيقان خس؛ وكذلك يلحظ أن مفتن عهد الرعامسة قد أبرز صورة طاقة البشنين مفتحة أكمامها — لتتمشى مع تقاليد العصر — على المائدة وطلى الأوزة التى عليها بطلاء جديد. ولا بدّ أن هذه المائدة كانت فى الأصل موضوعة أمام صاحب المقبرة «تحوتى» وزوجه أو والدته وهما اللذان قد احتلت مكانهما الإلهة فى المنظر الجديد، يدل على ذلك وجود جزء من قدميه الظاهرتين فى الرسم تحت

الصولجان الذى تمسك به الإلهة فى يدها ، كما تظهر أمامنا كذلك نهاية الحصيرة الخضراء التى كان عليها كرسيه . ولا نزاع فى أن الوليمة التى كان يحتفل بها فى الجهة الأخرى من هذه الصورة خاصة بصاحب القبر حيث نشاهد فتاتين تقدّمان كأسين من الشراب وأكاليل من الأزهار . وما بقى من المتن والنقوش التى على المنظر يدل على أن المحتفل بهم كانوا "يمضون يوما جميلا" ويتلخص المنظر فيما يأتى : يرى أمام صاحب المقبرة أهله يتمتعون بوليمة أقيمت لهم كما كانت العادة فى عهد الأسرة الثامنة عشرة (راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص٦٢٤ لوحة ٣٧) . وقد نظم المنظر هنا فى ثلاثة صفوف ، الصف الأعلى وما يليه للنساء خاصــة ، والأخير للرجال المدعوّين . وقد صفت أمام المحتفل بهم أوانى الشراب . فنشاهد فى الصف الأول أباريق الشراب التى حليت بأوراق العنب وغيرها موضوعة على قواعد خاصة فى هيئة حلقات من القش أو من الخشب . وفى أسفل هذا على اليسار نشاهد إناء من حجر أو معدن (؟) قاتم اللون بشريط حلزونى وبجانب ذلك قارورة من المرمر فيها عطور . (انظر صورة الوليمة فى مقبرة « تحوتى ») .

وفى الصف الأعلى من اليمين نشاهد سـيدة تتقبل عطورا من قارورة صغيرة تقدّمها لهــا فتاة ، وفى الصف الثانى من اليسار نرى فتاة تقــدّم طبقا غريبا كانت تملؤه من زجاجتين فى يدها الأخرى لإحدى السيدات . وكانت السيدة التى بجانبها تعطرها فتاة أخرى وتحمل لها أمة نوبية باحتراس الإناء الأسود المنقط بالأبيض الذى كان يحتوى العطور . أما السيدة الجالسة فى الطرف فكانت تحلى نحــرها بأكاليل من الأزهار جارية ســوداء تلبس فى أذنيها قرطا كبيرا ، ويشاهــد خلفها جارية أخرى تحمل هذا الاكليل .

أما فى الصف الأسفل فنشاهد طائفة من الرجال يتمتعون بشم الرياحين وأمام الأخير منهم على اليمين أبريق جعة وضع على حمالة .

ويلاحظ هنا أن الفتيات اللائى كنّ يقمن على خدمة المـدعوات يظهر عليهنّ أنهنّ من الأجنبيات كما يدل على ذلك بشرة جلودهنّ السوداء أو المـائلة للشقرة .



(ب) زوج « تحوتى محب»



(د) صورة زوج « تحوتى محب » وابنته أمام الإلهة «موت»

ونعلم من الصورة والنقوش التي فيها أن « تحوتى محب » قد دعا إلى الوليمة أربعة رجال وتسع سيدات وهم بلا شك أولاده وأحفاده ، وقد يجهل الإنسان الدور الذى كانت تلعبه الفتيات لأول وهلة ، ولكن نلحظ أن إحداهنّ وهى الرابعة فى الصف الثانى كانت حفيدة «باكنخنسو» زوج صاحب المقبرة . وتدل شواهد الأحوال على أن المثال قد أخطأ فى وضع لون الفتاة التى تليها . وذلك أن مثال عهد الرعامسة قد صبغ أجسام الفتيات الجميلات على وجه عام بلون أبيض فوق اللون الأزرق الذى كان هو اللون الأصلى ، ولذلك لم يكن فى استطاعته التخلص منه .

والآن يتساءل المرء هل نحن أمام حالة استحياء وحشمة؟ وهل يفهم الإنسان من ستر أجسام الفتيات اللائى كنّ يحتفلن بالسيدات المدعوات ، أن المثال قد قصد أن يجعل هذا المنظر محتملا ولا تزور عنه العين استحياء ليتمشى مع ما كان عليه القوم وقتئذ من تقى وتدين ؟ . وقد أجاب الأثرى «ديفيز» عن هذا السؤال عند التحدث عن راقصة مقبرة « نخت » بقوله إن من حقنا أن ننكر أن هذه الصورة تدل على مظهرها الحقيق بل يجب أن نعدّها مثلا من أمثال الحرية فى الرسم لا عادة اجتماعية ، وأن الفتاة كانت فى الأصل تلبس رداء . ولكن من جهة أخرى نعلم أن تملك جسم أبدع خلقة كان من الأشياء المرغوب فيها وبخاصة من الإماء والراقصات ، ولذلك يحتمل أن المفتن كان من وقت لآخر يخلع عنهنّ ملابسهنّ لأسباب فنية . ونحن من جانبنا نعلم أن المفتن كانت لا تعوقه الملابس عن إظهار تفاصيل جسم السيدات .

ولذلك فإن ما نشاهده فى الصورة التى فى قبر «تحوتى» من تغير فى الرسم الأصلى ليس فى الواقع إلا احتجاجا على عمل فنى أكثر منه غلطا فى توخى الحشمة ، لأن

---

(١) راجع : N. De. G. Davies. The Tomb of Nacht at Thebes p. 58. Note. 1.

لدينا من العصر الذى بعد عهد العمارنة مقابر قد صوّرت فيها الأطفال والفتيات[1] عاريات (راجع .Bruyere Fouilles (1930) Tome. VIII, pl. 17, p. 57) .

ولكن مع ذلك نجد أن المثال فى عهد الرعامسة كان يستر الجسم بملابس واسعة لا يظهر منها ثدى المرأة، ولم تكن محبوكة حتى تكشف عن طيات البطن، وعلى ذلك لا يمكن أن نفسر هنا ستر أجسام هؤلاء الفتيات بأنه نوع من الحشمة والاستحياء، بل الواقع أنه كان تغييرا فى كل الملابس القديمة جملة كما يدل على ذلك تغيير ملابس الرأس وزينته وقد شمل ذلك الفتيات والسيدات جميعا .

ومع ذلك إذا حكمنا على هذا التغير فى الملبس بأنه يدل على استحياء فان ذلك ممكن إذا نظرنا اليه من ناحية أخرى . فمنذ عهد العمارنة نلحظ أن " التمتع بيوم جميل فى بيت الأبدية " قد اختفت الصور الدالة عليه فى المقابر جملة أما ما نجده من إقامة حفلات فى مناظر المقابر فكان قاصرا على أفراد الأسرة، ولم يبق لدينا من آلات الطرب والغناء مصوّرا على جدران المقابر إلا الضارب على العود الذى كان ينشد الأغانى بصوت عال (راجع ,J. Vandier, Rev. D' Arch. III p. 27 ff, p. 31. pl. 4.) — ولم يشذ عن ذلك إلا حالات فردية — ولم يكن يحتفل فى أغانيه لا بآلهة السكر ولا بالإله «آمون»، بل كانت نغماته على الرغم مما فيها من الحث على التمتع بملاذ الحياة تمثل لنا نغمة التشكك التى كنا نسمعها فى عصر الانقلاب الاجتماعى الذى تلا سقوط الدولة القديمة وهو العصر الذى يمكن أن نقرنه بعصر العمارنة الذى كان يعدّ عهد زيغ فى نظر المصرى وقتئذ، وعلى ذلك نجد أن المرح والترف فى عهد الرعامسة الأول كان له حدود معينة، وهذا هو السبب الذى من أجله نجد أن أناشيد الضارب على العود وعويل المرأة المحزونة لم تصد الآن

---

(١) ونذكر هنا أن الجسم العارى فى حفلات الرقص كان يشاهدا عند المصريين منذ الأسرة الخامسة كما يرى فى مقبرة « كادوا » (راجع ,Excavations et Giza Vol VI, Part III. P. 84 (fig 71. Pl. XLIX

مقصورة على الدفن، بل اتخذت لهـا مكانة فى ولائم القبور وكان شعارها التدين وإظهار الحـزن ، ومن ذلك نستنبط أن كل مناظر الوليمـة المرحة لا تمت لعصر الرعامسة بصلة ولا يمكن نسبتها له ، وأن ما كان يجرى فيه يخدش الآذان وتزور عنه الأعين ، ولم نعرف لها نظيرا فى مقابر هـذا العصر بوصفها أعيادا ، كما أنه لم يكن منها الولائم التى كانت تقام فى داخل البيوت ،ولا يمكن إذا إلا أن نعدّها عيدا لإقامة شعائر آلهة من التى كانت تقام فى مصر القديمة حتى أواخر عهودها ويظهر فيها القوم ورعهم وتقاهم، وعلى هذا الزعم قلب مفتن عصر الرعامسة الصورة الأصلية الدالة على إقامة وليمة بذخ وخلاعة الى صورة تقى وعبادة . ومن التغيرات المختلفة يظهر أن هذا العيد كان للالهة « موت » التى نصب تمثالها فى معبدها واحتفل به فى داخل المعبد لا فى القبر، ومن هنـا يمكن الانسان أن يحـكم على أن السيدات اللائى اشتركن فى إقامة هذا العيد الإلهى كنّ يقمن بوظائف مغنيات فى الاحتفال بإقامة الشعائر، وأن الفتيات اللائى كنّ يمرحن فى داخل بيوتهنّ عاريات الأجسام قد سترن أجسامهنّ بمناسبة هـذا الحفل .

ولا نزاع فى أن مناظر هذا القبر التى شرحناها فيما سبق تضع أمامنا صورة واضحة عن بعض نواحى الحياة الدينيـة والاجتماعية فى عصرين مختلفين لم يكن ليتسنى لنا معرفتها بدون ذلك التغيير الذى أحدثه المفتن فى نقوش هذا القبر ومناظره . وهكذا تتفتح أمامنا السبل للوقوف على عادات القوم وتقاليدهم من أمثال صور هذا القبر الذى حفظته لنا الصدف من حد معاول الهدم والتخريب الشائعة فى جبانة «طيبة» حتى يومنا هذا .

المدنيـــة

نظرة عامة فى مدنية عصر "رعمسيس الثانى" ووالده "سيتى الأول"

علاقة مصر بأقاليم إمبراطوريتها فى الشمال والجنوب : كان الصلح الذى عقـد بين مصر وبلاد « خيتا » آخر مظهر حقيـقى لبسط نفـوذها وتوطيـد سلطانها على الأقاليم الأسـيوية التى تدين لمصر بالطـاعة وتؤدّى لهـا ما عليها من جزية سنوية . ومنذ اللحظة التى وقع فيها « رعمسيس الثانى » شروط هـذه المعاهدة التاريخية الخالدة فى السنة الحادية والعشرين من حكمه، أخذ يحصر همـه ويركز نشاطه وقوته فى تثبيت دعائم هـذه الأقطار التى فتحت بجيوش والده وجيوشه، كما أخذ فى استغلالها والإفادة منها من كل الوجوه الى أقصى حدّ ممكن مترسما فى ذلك خطوات سلفه العظيم « أمنحتب الثالث » .

والواقع أنه تعوزنا التفاصيل الأكيدة التى تستند إلى مصادر أصلية عن سير نظم الحكم وقوانينه (ماعت) ، والذى لا شك فيه أن نظام الضرائب ومراكز الأمراء التابعين للفرعون فى هذه الأصقاع النائية قد استمر يجرى على ما كان عليه من قبل فى عهد أسلافه فراعنة الأسرة الثامنة عشرة . هذا إذا استثنينا التغيرات التى أحدثها « آى » و « حور محب » (راجع الجزء الخامس ٥٦٣ الخ ...) .

على أنه كان من الطبعى أن تحدث فى داخل تلك الممتلكات النائية الاضطرابات وتقوم الثورات الفينة بعد الفينة بسبب المنازعات التى كان يخلقها التنافس، أو بسبب تراخى الحكام المصريين وضعفهم، أو بسبب ما فطر عليه أهل هذه الجهات من النزوع للحزبية وعدم التقيد بالنظم القانونية . ففى «فلسطين» كان البدو (شاسو) يقومون بحركات هجرة لا ينقطع نشاطها ونخص بالذكر من بين هؤلاء القبائل الرحل قبيلة «إسرائيل» التى وفدت من الشرق واستوطنت إقليم «إفريم»(١) الجبلى الذى لم يكن يسكنه من قبل إلا نفر

(١) و «إفريم» اسم مكان لا اسم قبيلة وهو مشتق من «افرات» وهو المكان الجبلى الواقع ما بين « راما » وبيت «ايل» وفيه قبر «راشيل» كما جاء فى سفر التكوين (الإصحاح ٣٥ سطر ١٦ الخ) .

قليل جدا، وهؤلاء القبائل كانوا فى العادة خارجين لايخضعون لأحكام، ولا يمكن كبح جماحهم بسهولة وقد ذكرهم الفرعون « مرنبتاح » بن « رعمسيس الثانى » فى لوحته المشهورة بلوحة «بنى إسرائيل» وهى التى عدّد لنا فيها الأصقاع التى قهرها وتسلط عليها فى «فلسطين» . وقد جاء فيها خاصا بقبيلة إسرائيل العبارة التالية : ” وإسرائيل قد خربت وليس لها بذرة (أى خلف)[1] “ وهذه هى الوثيقة الوحيدة التى جاء فيها ذكر إسرائيل فى النقوش المصرية فى هـذا العهد ، ولا جدال فى أن هـذا برهان مبين على أنهم استوطنوا بلاد فلسطين قبل عهـد « مرنبتاح » بزمن بعيد . والحقيقة أنه كانت تنقض على هـذه البلاد من الشرق ومن الجنوب عصابات لصوص أخرى بلا انقطاع ، وتحـدثنا الوثائق التى من هـذا العهد عن وعورة المسالك الجبلية وما كان ينتاب مجتازها من مخاطر، وما كان يلاقيه مبعوثو الفرعون ووفوده ضباطا كانوا أم مدنيين من أخطار البـدو الذين كانوا يسيطرون على تلك الجهات الوعرة ويكمنون فيها لكل من سار بالمرصاد ابتغاء السلب والنهب[2] . من أجل ذلك كان الفراعنة يقومون بالحمـلات على هؤلاء القبائل القاطعين للطرق ويخضعونهم بحدّ السيف كلما استطاعوا لذلك سبيلا ، ولذلك كان من مفاخر هؤلاء الفراعنة أن يصوّروا على جدران معابدهم تلك الانتصارات التى أحرزوها على البدو (شاسو)، ففى معبد « بيت الوالى»[3] ببلاد النوبة نشاهد انتصار الفرعون « رعمسيس الثانى » عليهم ، كما نشاهد منظرا آخر على جدران معبد « الكرنك » يمثل الفرعون « رعمسيس الثانى » وهو يطأ بقدميه قبائل « شاسو » ، كما يشاهدون مجدلين على الأديم تحت سنابك خيله . وقد ذكر لنا على لوحة له انتصاراته على البدو (شاسو) نقتطف منهـا الكلمات الختامية التالية : ” وقـد وقعت مذبحة عظيمة فى أرض

(١) راجع كتاب الأدب المصرى القديم جزء ٢ ص ٢١٨

(٢) راجع كتاب الأدب المصرى القديم الجزء الأول (٣٩٢ — ٣٩٣) .

(٣) راجع : Roeder, Der. Felsentempel Von. Bet. El-wali Taf 27; & Ed. Meyer Gesch II, I, p. 487

« شاسو » (البدو) ونهبت تلالهم وقتلوا عليها ، وأقام المبانى فى مدنهم باسمه المخلد''
(راجع J. E. A. Vol. V, p. 267 Note 1) .

ولكن من جهة أخرى نعرف من الوثائق الأكيدة أنه كان يوجد بجانب هؤلاء القبائل والطوائف المعادية أقوام مسالمون كما ذكرنا من قبل فى عهد الدولة الوسطى[1]، ثم فى عهد «حورمحب»[2] قد وفدوا على مصر بقصد التجارة أو لرعى قطعانهم وقطنوا الحدود المصرية ، ونخص بالذكر من بين البقاع التى استوطنوها « وادى طميلات » الواقع شرقى أراضى الدلتا . وهو واد ضيق تجرى على جانبيه قناة متفرعة من النيل شرقا حتى البحيرات المرة ، وهو بمثابة مدخل لمصر من آسيا . وقد كان هذا الوادى موضع عناية « رعمسيس الثانى » من جديد فأقام فيه عدة حصون جميلة . ففى وسطه أنقاض مبان فى «تل رطابة» ، وعلى مقربة منه شرقا نجد بقايا مدينة «برآتوم» («بيت أتوم» وهى المعروفة باسم «بتوم») وعلى مسافة منه شرقا تصادفنا أنقاض « تل المسخوطة » المعروفة باسم «سكوت» وبالمصرية القديمة « سكو » .

وقد ذكر لنا أحد الموظفين فى خطاب حكومى ينسب إلى عهد الفرعون «مرنبتاح» أنه كتب لرئيسه قائلا :'' إن بعض بدو (شاسو) « إدوم » قد سمح لهم على حسب التعليمات التى لديه أن يجتازوا الحصن الذى فى إقليم «سكوت» (تل المسخوطة) فى «وادى طليات» ليتاح لهم رعى ماشيتهم بالقرب من «بتوم» (بيت آتوم)'' . ومما يؤسف له أن البردية التى فيها هذا الخطاب قد وجدت ممزقة ولذلك لم يتسن ترجمتها كلها على الوجه الأكمل وهاك ما تبقى منها وهو ما لخصناه :

'' أمر آخر يسر سيدى . لقد انتهينا من ملاحظة مرور قبائل « شاسو » التابعين «لادوم» من حصن « مرنبتاح حتب حرماعت » له الحياة والفلاح والصحة فى « سكوت » نحو برك « بتوم » لأجل أن

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٢٦٩ .

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الخامس ص ٤٣٩ .

يطعموهم و يطعموا قطعانهم فى ضياع الفرعون له الحياة والفلاح والصحة وهو الشمس الطيبة لكل أرض... ولقد جعلتهم يحضرون ... ... " (راجع Br. A. R. III, § 638,).

و يلاحظ هنا أن اسمى المكانين قد أطلق عليهما اسم الملك الحاكم وقتئذ، والظاهر أن هذه كانت عادة متبعة نشاهدها كثيرا، ولا بدّ أنهما كانا قبل ذلك يسميان باسم « رعمسيس الثانى » خلال حكمه، ثم غيرا عند تولى ابنه الملك . وهذه الفقرة من الخطاب السالف تدل صراحة، كما لاحظ ذلك الأستاذ «جاردنر»، على أن هذين المكانين ليسا موحدين بل يدلان على مكانين مختلفين، إذ يقول إن « سكوت » (سكو) هو اسم قلعة على الحدود ولا تزال جدرانها باقية إلى الآن فى « تل المسخوطة » ، وأن « بتوم » ليس اسما آخر لنفس المكان بل هو مكان آخر يقع على مسافة قريبة نحو الداخل .

ولدينا أمثلة لهجرة أمثال هؤلاء البدو إلى مصر جاء ذكرها فى الأساطير الاسرائيلية تشبه ما ذكرنا . فقد جاء فى سفر التكوين، الإصحاح السابع والأربعين (الفقرات ١ — ١٢) ما يأتى : "فأتى يوسف وأخبر فرعون وقال : أبى و إخوتى وغنمهم وبقرهم وكل مالهم جاءوا من أرض « كنعان » وهوذا هم فى أرض «جاسان» ، وأخذ من جملة إخوته خمسة رجال وأوقفهم أمام الفرعون فقال فرعون لإخوته : ماصناعتكم؟ فقالوا لفرعون : عبيدك رعاة غنم نحن وآباؤنا جميعا ، وقالوا لفرعون : جئنا لنتغرب فى الأرض ، إذ ليس لغنم عبيدك مرعى ، لأن الجوع شديد فى أرض « كنعان » فالآن ليسكن عبيدك فى أرض «جاسان» (جوشن) .

فكلم فرعون « يوسف » قائلا : أبوك و إخوتك جاءوا إليك ، أرض مصر قدامك ، فى أفضل الأرض أسكن أباك و إخوتك ليسكنوا فى أرض «جاسان» ، و إن علمت أنه يوجد بينهم ذوقدرة فاجعلهم رؤساء مواش على التى لى .

ثم أدخل « يوسف » « يعقوب » أباه وأوقفه أمام فرعون ، وبارك « يعقوب » فرعون فقال فرعون «ليعقوب» : كم هى أيام سنى حياتك ؟ فقال يعقوب لفرعون : أيام سنى غربتى مئة وثلاثون سنة قليلة وردية كانت أيام سنى حياتى ، ولم تبلغ إلى أيام سنى حياة آبائى فى أيام غربتهم ، و بارك فرعون وخرج من لدن فرعون .

فأسكن « يوسف » أباه وإخوته وأعطاهم ملكا فى أرض مصر فى أفضل أرض فى أرض « رعمسيس » كما أمر فرعون . وعال « يوسف » أباه وإخوته وكل بيت أبيه بطعام على حسب الأولاد " .

وهـذه الصورة التى جاءت فى الأساطير الإسرائيلية قريبة الشبه بالتى ذكرناها فى عهـد « حور محب » ، كما تصف لنا حالة المعيشة فى أرض « فلسطين » وقلة مواردها بالنسـبة لمصر . ولا جدال إذا فى أن أتباع « أُهُـيم » الذين كان لديهم فكرة عن مصر وخيراتها قـد نزحوا إليها وقاموا ببناء مدينـة المخازن « بتـوم » و« رعمسيس » . مما جعل بعض المؤرخين يظنّ أن مدينة « رعمسيس » تقع فى وادى « طميلات » (١) ؛ وقد سموا « سكوت » أول محط خروج بنى إسرائيل . كما سموا السهل الذى استوطنوه « جوشن » وهو اسم اشتق من اسم مدينة « شسم » (٢) عاصمة المقاطعة العشرين المدنى من مقاطعات الوجه البحرى الواقعة شرقى الدلتا عند مدخل « وادى طليات » وقد أصبحت علمـا على كل الوادى فسمى « وادى جوشن » أو « غوشن » .

وتدل الوثائق التى وصـلت إلينـا على أن الحراسـة فى هـذا الوادى كانت شـديدة إلى حدّ بعيـد ، وكذلك كانت المراقبة عظيمة على الطريق الرئيسـية إلى آسـيا فى قلعة « سـيلة » (تل أبو صيفة الحالى) ؛ إذ وصـل إلينا بعض نتف من يوميات موظف فى إحدى المدن الوقعة على حدود « فلسطين » من عهـد الفـرعون « مرنبتاح » ، دوّن فيها أسمـاء المبعوثين والأعمـال التى كلفوا أداءها ممن يجتازون هـذا الحصن فى طريقهم إلى سـوريا (٣) . وقد كان المرور منه محرما

(١) راجع : Petrie, Hyksos and Israelits Cities p. 5.

(٢) واسم العاصمة الدينى هو « برسـبد » ومن ثم الاسم الحالى « صفت الحنا » . أما كلمة حنا فيرجع أصلها الى الاسم المصرى « محتيو حنو » ومعناه « حقل الحنا » وكان يطلق على الاقليم الذى فيه بلدة « صفت الحنا » الحالية راجع Gauthier Dic. Geogr. V. p. 56. ؛ وأقسام مصر الجغرافية فى العهد الفرعونى ص ١٠١

(٣) راجع : Pap. Anastasi III, Verso 6; & Br. A. R. III, § 629

فى عهد « رعمسيس الثانى » فكان الهاربون أو اللاجئون إلى بلد أجنبي يعادون ثانيــة إلى أوطانهم، ويسلمون إلى رجال الحكومة على حسب الاتفاقات الدولية وقتئذ. فقد شاهدنا الاتفاقات الدولية الخاصة بذلك ضمن معاهدة الصلح التى عقدت بين مصر فى عهد « رعمسيس الثانى » وبين بلاد «خيتا» فى عهد عاهلها «خاتوسيل الثانى» . (ص٢٩٥) يضاف إلى ذلك أنه كانت قد نمت وقويت العلاقات التجارية المتينة فى داخل البلاد المصرية كما كانت عظيمة منتشرة بينها وبين الدول المجاورة، وبخاصة مع بلاد «خيتا» وبلاد «بابل» ومملكة «آشور»، وفى مدن فينقيا الساحلية العظيمة التجارة نمت المبادلات التجارية الناجحة بينها وبين مصر مما مهد لهذه المدن السبيل للظهور وبناء مجدها التجارى فى العصور التى تلت العصر الذى نحن بصدده الآن . وليس لدينا من الأدلة مايثبت قط أن الكتابة الفينيقية قد ظهرت وازدهرت فى هذا العهد، بل كان ذلك الازدهار فى العصور التالية لعهد «رعمسيس» بزمن (١) على الرغم من العثور على إناءين للأحشاء من المرمر فى قبر الملك «أحريم» ملك « ببلوص » كتب اسم « رعمسيس الثانى »، إذ لا يدل ذلك على أنه كان يعيش فى عهد ذلك الفرعون عليهما، أو أنه كان تحت الرعاية المصرية، بل الواقع أنهما من عصر أقدم من ذلك . والحروف الأبجدية التى عثر عليها فى قبر هذا الأمير تعدّ أقــدم حروف أبجدية فينيقية وصلت إلينــا حتى الآن، ولا يمكن أن تكون أقدم من نقوش «مشع» (حوالى ٨٥٠ ق م) بأكثر من مائة إلى مائتى سنة (٢) .

أما فى «فلسطين» فقد قامت مصر فيها بنشر ثقافتها ومدنيتها بغيرة وحماس بالغين منذ أقدم العهود . وقد أقام الفرعون « رعمسيس الثانى » على غرار والده « سيتى الأول» معبدا فى « بيت شان» ، وفى العام الرابع والثلاثين من حكم « رعمسيس » وهو العام الذى أحكمت فيه أواصر المصادقة بين « رعمسيس الثانى » وعاهل خيتا

(١) راجع : Dussaud Syria V, 1924. p. 135 ff.

(٢) راجع : Spiegelberg Orient Lit. Zeit. (1926) p. 735 & Lidzbarski ebenda 1927. p. 453

«خاتوسيل الثانى» بزواج الأوّل من ابنة الثانى، أقيمت لوحة تذكارية وقد مثل عليها « رعمسيس الثانى » وهو يقدّم للاله « آمون » أوانى مزخرفة ؛ ولا بدّ أن هذا الفرعون قد أقام بجوار هذه اللوحة مكانا لعبادة هذا الإله . وأقام كذلك على مقربة من اللوحة التى أقامها والده « سيتى الأول » فى « حوران » لوحة أخرى فى قرية «الشيخ سعيد» فى إقليم «عشتارت» من حجر البازلت، غير أنه قد تآكل ماعليها من نقوش، ويلاحظ أنه قد مثل عليها وهو يتعبد لإله محلى غامض الاسم[1]. ولدينا أمثال هذه الآثار والمدن التى أسست فى عهد «مرنبتاح» فى بلاد «فلسطين» .

وكانت مصر وقتئذ تملك أسطولا تجاريا وحربيا عظيما يمخر عباب البحر الأبيض المتوسط وكان يرسو فى ميناء عاصمة « رعمسيس » الجديدة التى سماها باسمه « بر رعمسيس » وهو الذى أنشأها وأتم تشييدها ، وقد جاء ضمن أوصافها ومزاياها ما يدل على ذلك فاستمع إليه[2] : "وسفنها تروح وتغدو فى الميناء، وهى المدينة التى يجتمع فيها مشاتك (يقصد رعمسيس) وفيها ترسو سفن جنودك عندما تأتى محملة بالجزية" . وقد كان لمصر غير ذلك نشاط آخر فى التجارة البحرية مع موانى السواحل الأسيوية وعالم بحر « إيجه » ، فقد استمر تصدير الأوانى الفخارية الميسينية باطراد متزايد فى بلاد «فينيقية» «وفلسطين» ومصر حيث كان يرغب فيها كثيرا لدرجة أنها كانت تقلد محليا كما كانت تقلد أوانى الفخار الصينية فى القرن الثامن عشر فى « أوربا » ، وقد عثر على صور أوان ميسينية مقلدة مرسومة فى قبر « رعمسيس الثالث »[3] . على أننا من جهة أخرى لم نجد اسم واحد من ملوك الأسرة التاسعة عشرة مذكورا فى العالم « الايجى » ، كما أننا لم نجد اسم هذه الجهات نفسها فى نقوش « رعمسيس الثانى » الفخرية

---

(١) راجع : Schumacher Z. D. Pal. Ver. 14, 142. f.; & Erman ebenda 15. p. 205. ff.; & A. Z. 31. p. 100;. & Gressmann Altor Bilder No. 90 f. 97. f. 103.

(٢) راجع : J. E. A. Vol. V, p. 185. ff. p. 252.

(٣) راجع : Fimmen. Kretish. Myk. Kultur 208. f. Abb. 202, 203.

ويرجع ذلك إلى أن العلاقات السياسية والتجارية التى كانت بين مصر «وكريت» فى عهدها الذهبى قد انقطع معينها ولم تعد تفد إلى مصر البعوث منها حاملة الهدايا كما كانت الحال فى عهد « تحتمس الثالث » . والواقع أن سقوط « كريت » وانقطاع معاملتها مع مصر كان مفاجئا لدرجة تحمل على الظنّ أنها قد اختفت من عالم الوجود، ولكن من جهة أخرى نجد أن العلاقات بين مصر وبحر « إيجة » قد بدأت تظهر ، وقد استمرت لمدّة قرن ونصف قرن من الزمان حتى فى عهد «إخناتون» المضطرب وأخلافه ، ولكن فى عهد الفرعون «مرنبتاح» كانت مصر مهدّدة بالهجمات اليائسة التى كان يقوم بها أقوام البحر وبخاصة «قرصان الشردانا» الذين تحدّثنا عنهم فيما سبق ،ومن ثم أخذت العلاقات تتغير بين البلدين،إذ قد بدأ سكان البحار يشعرون بقوميتهم، ومن ثم بدأ النضال بين أوربا والشرق (١) .

ومن الغريب المدهش حقا أنه لم يأت ذكر بلاد « بنت » فيما لدينا من الآثار حتى الآن لا فى عهد «سيتى الأوّل» أو «رعمسيس الثانى» حتى فى النقوش الفخرية المعتادة كالتى كان يدوّنها الفرعون لمجرّد حب العظمة فى عهد الأسرة الثامنة عشرة إلا نادرا، وكذلك لم يأت ذكرها فى قوائم الفتوح التقليدية مع الشعوب الافريقية التى كان يدّعى الفراعنة عادة أنهم قهروها وأصبحت تحت سلطانهم .

حقا كانت تقوم الرحلات التجارية فى هذا العهد إلى البحر الأحمر ، ولكنها لم تكن رحلات مباشرة بل كان يتخللها محاط . وقد كان المصريون يعرفون ويقدّرون من قديم الزمان فوائد البخور والبلسم اللذين يجلبان من «بنت»، وكذلك كانوا يعلمون أن البحر العظيم الذى يسبح فيه الإنسان إلى « بنت » يصل حتى مصب نهر « الفرات » وإن كانت السياحة بحرا لم تمتدّ إلى هناك قط . وفى ورقة هارس الكبرى التى كتبت فى عهد « رعمسيس الثالث » (ص ٧٧ سطر ٩) نجد عند الكلام على الرحلة إلى بلاد « بنت » أنه سمى نهر الفرات « البحر العظيم

---

(١) راجع: J. E. A. Vol. XVI, p. 91. & Ed. Meyer Gesch II, 1, p. 490

ذا الماء المقلوب » أى الذى يجرى على عكس نهر النيل . ولكن الجزية التى كانت تأتى من « بنت » حتى عهد «حور محب » كانت لا ترد فى تلك الفترة التى نحن بصددها حتى أعادها «رعمسيس الثالث» بارساله بعثة إلى هناك كما سنرى بعد .

العناصر الأجنبية فى مصر : وفى أثناء هذه الفترة من تاريخ البلاد نلحظ أن عناصر أجنبية كانت تفد على مصر بلا انقطاع وتقيم فيها بوصفهم أسرى حروب يستخدمون عبيدا للآلهة وللجنود ولعلية القوم ، أو بوصفهم من التجار والجنود المرتزقة الذين كانوا يعملون فى الجيش المصرى بجانب الجنود الوطنيين ، وكذلك كان يفد على البلاد طوائف من البدو استوطنوا « وادى طليات » ، و كل هؤلاء كانت تزخر بهم المدن المصرية الكبيرة . ففى مدينة « بر رعمسيس » عاصمة الملك (قنتير الحالية) ، وفى « منف » وغيرهما من المدن قد أنشئت أحياء كاملة لأولئك المهاجرين من الكنعانيين والفينيقيين الذين جاءوا إلى مصر مصطحبين معهم آلهتهم وأربابهم المحليين . من أجل ذلك نجد أن الجنس المصرى قد اعتراه تغير مادى باختلاط الدم الأجنبى به . وقد كان هذا الاختلاط لا ينقطع وفوده من الجنوب (أهل النوبة والسودان) . ولا أدل على ذلك من أن هذا الاختلاط قد ظهر فى الدم الملكى نفسه وهذا ما نلحظه فى مومية الملك «سيتى الأول» التى تدل على وجود دم نوبى فى عروقه . ونلحظ فضلا عن ذلك أنه فى العهد الذى تلا عصر « رعمسيس الثانى» قد اختلط الدم المصرى بدم الأقوام الذين كانوا يسكنون غربى مصر وهم اللوبيون ، كما نجد نفس الظاهرة شائعة من جهة الحدود الشرقية ، فقد اختلط الدم المصرى بالدم السامى ؛ ولكن على الرغم من كل هذا الاختلاط فى الدم نجد أن المصرى من جهة أخرى قد تغلب عقليا وخلقيا بما له من ثقافة قديمة ومدنية عريقة وطيدة الأركان ثابتة الدعائم على هؤلاء النزلاء من كل الجهات وصبغهم بثقافته وجعلهم جزءا منه ، ولكن نلحظ من جهة أخرى فى هذه الثقافة أن تيارا أجنبيا لا ينقطع

قد ظهر فى المنتجات الصناعية التى كانت تأتى من هذه البلاد الأجنبية ، وكان غريبا عنها ، وبخاصة من العالم السامى .

والواقع أن بلاد « فينيقية » وبلاد « فلسطين » لم يكن لها فنّ أو صناعات خاصة بهما ، ولكن كل صناعاتهما كانت تحصر فى مصنوعات عادية آلية ليست من مبتكرات البلاد ، ولذلك لم تترك صناعة هذين القطرين أثرا فى الصناعة المصرية ، كالذى تركته الصناعات المبتكرة الكريتية فيها خلال الأسرة الثامنة عشرة . غير أن هذه الأصقاع كان لها أثرها فى مصر من ناحية أخرى وهى اللغة ، إذ نجد أن الكلمات الكنعانية كانت تتدفق بمقدار عظيم على اللغة المصرية ، ولم يكن ذلك قاصرا على أسماء السلع والبضائع والأسلحة والخيل والعربات وأدوات الحرب من بلط ودروع بل تخطى ذلك إلى أن الألفاظ السامية التى تستعمل فى أداء التحية مثل كلمة « السلام » ، وكذلك الألفاظ الدالة على الشباب ، هذا إلى حشر العبارات المنمقة من اللغات الأجنبية التى تدل على حسن الذوق والثقافة العالية فى اللغة المصرية ، كما نلحظ فى أيامنا هذه فى استعمال الطبقة الراقية للألفاظ الأجنبية للتعبير عن أشياء خاصة وإقحامها فى لغتنا ، وقد ضرب لنا كاتب « ورقة أنسطاسى » الأولى التى تنتسب إلى عهد « رعمسيس الثانى » الأمثلة الكثيرة فى هذا الصدد .

والواقع أن ماجاء فى هذه الورقة يكشف لنا عن صفحة جديدة فى تطوّر الثقافة المصرية وصلتها بالبلاد المجاورة وبخاصة « سوريا » و « فلسطين » وسنورد ملخصها عند الكلام على الأدب المصرى .

وكذلك نجد أن الآلهة الساميين أخذ يزداد دخولهم فى زمرة الآلهة المصريين بصفة مطردة . فنجد مثلا الإلهة « قادش »(١) و إله الحرب « رشب » والإلهة « عنتا »(٢) وكانت هذه الآلهة موضع تبجيل المصريين أنفسهم ، وبخاصة عند ما نعلم أن الفرعون

(١) راجع : Ed. Meyer. II, 1 p. 101

(٢) راجع : Muller Asien & Europa p. 315

« رعمسيس الثانى » نفسه قد سمى إحدى بناته « بنت عنتا » وقد تزوج من ابنته هذه فيما بعد كما ذكرنا، وكذلك نلحظ أنه سمى بعض خيله وكلابه بأسماء آلهة؛ ومن هذه الآلهة كذلك الإلهة «عشيت» وكانت تمثل ممتطية جوادا وفى يدها حربة وعلى رأسها قبعة وتحميها درع . (راجع L. D. III, 138. a.) والظاهر أنها كانت زوج الإله « عشو » وصورة هـذه الإلهة وجدت فى « معبد الردسية » الذى أقامه « سيتى الأول » (راجع ص ١٠٣) .

أما الإله «بعل» السامى الأصل فكان موحدا عند المصريين مع الإله «ست» الذى كان يعدّ إله البلاد الأجنبية ، وهو الذى عبده الهكسوس عندما احتلوا مصر، ثم هوت عبادته للحضيض بعد طرد الهكسوس ، ولكن لم تلبث أن أحييت عبادته ثانية فى عهد الرعامسة كما فصلنا القول فى ذلك (راجع الجزء الرابع ص ٦٥ — ٨٠) ولدينا كذلك اسم إلهة تدعى « بعلات سابون » كانت تعبد فى « منف » ولا بدّ أنها كانت زوج « بعل » .

وقد سمى « سيتى الأول » باسم إله المقاطعة التى نشأ منها كما أقام « رعمسيس الثانى» لهذا الإله المعابد فى أنحاء القطر . وقد ظهرت كذلك الإلهة «عشتارت» إلهة الحياة والفزع بصورة واضحة فى تلك الفترة ، فقد كان لها معبد فى الحى السامى من مدينة«منف» ، ويقع جنوبى معبد الإله «بتاح» ، وكانت تلقب ابنة هذا الإله الأخير. وقد بقيت لنا قطعة من قصة تنتسب إلى هذه الإلهة تدل على ما كان لها من مكانة سامية بين الآلهة السامية إذ كان لها تاسوع خاص بهـا ، ولكن مما يؤسف له جدّ الأسف أن هـذه الورقة قد وجدت ممزقة . ويدل ما تبقى من الورقة على أن هذه القصة تخـبرنا كيف أحضرت «عشتارت» إلى مصر من بلادها . وإذا كان هذا التفسير صحيحا كانت قصتها قـد ألفت على نمط خرافـة اللبؤة التى هربت إلى بلاد النوبة ثم أحضرها الإله « تحوت » [1] . ويظهر من القطعـة الأولى من البردية أن

(١) راجع : Junker, Onorislegende.

إلها كان يطلب الجزية بوصفه ملكا ، كما يظهر أنه كان هناك قضية خاصة بذلك في المحكمة (راجع كتاب الأدب المصرى القديم جزء ١ ص ١١٧) .

والواقع أن عبادة هذه الإلهة كانت كذلك سائدة منتشرة فى عهد الأسرة السادسة والعشرين، وقد بقيت عبادتها قائمة فى «منف» وفى «السرابيوم» حتى العهد الإغريق فى مصر[١]، ويلاحظ هنا أن لفظة « عشتارت » رسمت بتاء التأنيث فيها ولكنها حذفت فى المصرية ، وهو اسم كنعانى تثبت فيه التاء الدالة على المؤنث .

والواقع أن عبادة الآلهة الأجنبية كانت منتشرة مما يدل على أهميتها فى نظر المصرى ولا أدل على ذلك من إحياء عاصمة « رعمسيس الجديدة » وهى « بر رعمسيس » (بيت رعمسيس) كانت معلمة بمعبد « آمون » فى الغرب، ومعبد الإلهة « بوتو » وهى الإلهة الحامية للدلتا فى الشمال، ومعبد الإلهة « عشتارت » فى الشرق[٢]، ومعبد الإله « ست » فى الجنوب . وقد كان كل من « سيتى الأول » وابنه « رعمسيس الثانى » يطلق اسم إله المقاطعة التى نشأت منها أسرتهما وهو الإله « ست » على أحد الفيالق الأربعة التى كان يتألف منها جيشه، أما الفيالق الثلاثة الأخرى فكان يطلق على كل منها اسم أحد الآلهة الثلاثة الآخرين أصحاب النفوذ والقوة فى مصر وهم : « آمون » و « رع » و « بتاح »، وذلك يدل على مقدار تعظيم المصريين للإله « ست » الذى كان فيما مضى يعدّ أبغض الآلهة للمصريين فى الجهات الأخرى من القطر، لأنه كان يعدّ قاتل الإله « أوزير » إله الآخرة وهو أخوه فى الوقت نفسه .

التجارة مع آسيا الصغرى :

وقد أسعدنا الحظ بالعثور على خطاب نموذجى من الخطابات التى كان يلقنها التلاميذ فى هذا العهد وفى تضاعيفه صورة ناطقة عن المبادلات التجارية التى كانت

(١) راجع : Wilcken. Urkunden der Plolemaerzeit I, p. 37

(٢) راجع : J. E. A. Vol. V, p. 187.

(٣) راجع الجزء الخامس من مصر القديمة صفحة ١٥٢ الخ .

قائمة بين مصر وآسيا الصغرى فى هذا العهد كما تكشف لنا عن البذخ والترف الذى كان يعيش فيه القصر الفرعونى بما كان يرد من هذه البلاد، وقد أوردنا هذا الخطاب بأكمله فى كتاب الأدب المصرى القديم (راجع الجزء الأول ص ٣٧١)، فقد ذكر لنا فيه من هذه الأشياء والتحف أثاثا مطعما من بلاد الأموريين ومن بلاد « قدى » أيضا ، وأسلحة من بلاد «خيتا» ، وخمرا وفاكهة من أرض «خيتا» أيضا ، وزيتا من سهول بلاد سوريا ، وكلها تحمل على سفن ، وكانت ترد الجعة من « قدى » ، والنحاس من «قبرص» ، والخيل من « سنجار » (بابل) والثيران من بلاد «خيتا» وعبيد شبان من « كركيسيا » (؟) (قرقش) ممن كانوا يمتازون بجمالهم وحسن هندامهم لخدمة الفرعون ، وعندما يتقدّم سنهم كانوا يوضعون فى المطابخ ويكلفون صنع جعة «قدى» . ولا نزاع فى أن هذه الطرائف الخاصة بزينة الفرعون وقصره كانت تعدّ من الأشياء النادرة التي تجلب من البلاد القاصية ، وكان لها قيمتها فى مصر ولا سيما الغلمان الكنعانيون والسود الذين كانوا يرتدون أبهج الملابس وأجملها ويحملون المراوح ليروّحوا بها على الفرعون فى الأحفال الرسمية وغيرها .

الأداة الحكومية فى عهد «رعمسيس» :

إن ما لدينا من وثائق أصلية لا تشعرنا بأن « رعمسيس الثانى » قد غير شيئا يلفت النظر فى نظم البلاد وقوانينها التى كانت تمثل فى الظاهر النظام الأولى الذى يعبر عنه بكلمة «ماعت» وتشمل فى تضاعيفها العدل والحق والصدق وحسن النظام وأداء الواجب ؛ والواقع أن النظام البيرقراطي الذى كانت تسير عليه البلاد فى عهد الأسرة الثامنة عشرة لم يعتوره تغير ما يذكر فى أساسه على الرغم من تسلط طبقة الجنود على البلاد فى نهاية الأسرة الثامنة عشرة ، ونزعهم السلطة من طبقة الموظفين الذين كانوا يسيطرون على كل أعمال الحكومة . والظاهر أنها كانت سحابة صيف لم تلبث أن تقشعت فعادت الأمور إلى مجاريها الأصلية . ولا شك فى أن أساس نظام الحكم كان قوامه تعليم الكتابة والقراءة لإخراج كتاب يشغلون الوظائف الحكومية ؛ وقد

كانت هذه هى السبيل الوحيدة لفتح الباب أمام الذين يريدون علوا فى الوظائف الحكومية . وقد سارت هذه الأداة فى طريقها القديمة بما فيها من محاسن ومساوئ على الرغم من مناهضة رجال الجيش هذا النظام مدّة قصيرة كما ذكرنا كانوا فى خلالها هم يقبضون على زمام الأمور جملة ، غير أننا بجانب هذا نرى أن بعض المراكز العالية كان يشغلها دائماً كثير من الأفراد الذين كانت تتألف منهم بطانة الفرعون وحاشية قصره مثل « ساقى الفرعون » وغيره من الأشخاص المقربين جدا لشخص الفرعون . وتلك علامة ظاهرة على أن المحسوبية فى الحكم المطلق ليس فى الإمكان تلافيها . فقد كانت هذه هى الحالة السائدة فى عهد « تحتمس الثالث » وغيره من ملوك الأسرة الثامنة عشرة كما أوضحنا ذلك فى غير هذا المكان (راجع الجزء الخامس ص ٥٤٩) ، فقد وضعوا كثيرا من المقربين لديهم فى الوظائف العالية ، وهذا هو نفس المنهج الذى سلكه « رعمسيس الثانى » وغيره من ملوك الأسرة التاسعة عشرة .

على أن الأمر لم يقتصر فى عهد هذا الفرعون على تنصيب المقربين منه فى إدارة الحكم بل خطا خطوة أخرى إلى الأمام فعين بعض الأجانب فى وظائف الدولة العالية ، وفى استطاعتنا تمييز هؤلاء الموظفين بما يحملونه من أسماء سامية . والظاهر أن الجم الغفير منهم كانوا من طبقة الموالى كما نجد ذلك فيما بعد شائعا فى تركيا وفى مصر فى عهد المماليك البرجية والبحرية .

عاصمة الملك : وقد كانت عاصمة الملك كما ذكرنا من قبل فى عهد «رعمسيس الثانى » فى بادئ الأمر « طيبة » ثم نقلها فى الشمال على مقربة من حدود الامبراطورية الأسيوية الشرقية أى بين أرض الخوريين (سوريا) ومصر . وقد وصف موقعها بأنه بداية الأرض الأجنبية ونهاية مصر . وقد وصلت إلينا وثائق عدة تصف لنا هذه العاصمة الجديدة التى سماها «رعمسيس» باسمه « بررعمسيس » (بيت رعمسيس) وصفا شيقا ممتعا يشبه فى حسنه وإمتاعه ما كتب فى وصف

«الاسكندرية» فى عهد البطالمة . وسنورد هنا بعض هذه الأوصاف ليرى القارئ بنفسه كيف كان المصرى ينظر إلى عاصمة بلاده وما كانت عليه من أبهة وجلال وضخامة وعزة لا تدانى إذا ما قرنت بعواصم الممالك الحديثة مع مراعاة الأحوال والزمان، وقد وصلت إلينا هذه الأوصاف فى خطابات نموذجية كانت تُدرس فى المدارس للنشء الحديث فاستمع لما جاء فى واحد منها :

"أن الكاتب «بيبسا» يحيي أستاذه الكاتب «امنأبت» بالحياة والفلاح والصحة الطيبة ! إنه خطاب أضع فيه معلومات لسيدى .[1]

تحية أخرى لأستاذى أخبره فيها أنى وصلت « بررعمسيس» محبوب «آمون» (ليته يعيش سعيدا وفى صحة)، وقد ألفيتها غاية فى الازدهار، حقا إن موقعها جميل منقطع النظير وهى شبيهة « بطيبة »، وقد أقامها « رع» نفسه . ومقر الملك تُحب الإقامة فيه ؛ فحقوله مملوءة بكل شيء طريف ، ومجهز بالأغذية الوفيرة يوميا . ومياهه الخلفية تزخر بالسمك، وبركه مزدحمة بالطيور ومراعيه نضرة أعشابها .

ويبلغ طوله ذراعا، وطعم فاكهته المغروسة فى حقوله كالشهد بعينه ، ومخازن غلاله مكدسة بالقمح والشعير وتناهض عنان السماء فى سموّها . والبصل والكراث فى الـ ... ... طاقات أزهار فى الخميلة (؟)، وفيه الرمان والتفاح والزيتون والتين من البستان، ونبيذ « كنكمى» الحلو الذى يفوق الشهد، والسمك الأحمر من بحيرة مقر المـلك (؟) والناس يعيشون على البشنين[2] ، وعلى أنواع عديدة من السمك المختلفة أسماؤه مما يخرج من مياه « عظيمة الانتصارات » (العاصمة) . أما مياه « حور » فيستخرج منها الملح والنطرون . وسفنها تروح وتغدو إلى الميناء ، والطعام الوفير فيهـا كل يوم . حقا إن الإنسان ليبتهج بالسكنى فيها ، إذ لم ينقصها رغيبة تخطر

---

(١) راجع كتاب الأدب المصرى القديم الجزء الأول ص ٣٦٨

(٢) كان يصنع من لباب البردى خبز للخاصة .

على بال راغب، وقـد تساوى فيها الصغير مع العظيم . تعال، دعنا نحتفل بأعيادها السماوية وأعياد باكورة الفصـول . فمن أعشاب مستنقعاتها يؤتى لهـا بالبردى ، ومن مياه «حور» يجلب لها اليراع، ومن الحدائق تجيء نباتات «سبر» ومن الكروم تقطف الأكاليل، وتجلب إليها الطيور من إقليم الشلال، و إنهم يخوضون فى ... ... والبحر يزخر بسمك « بح » وسمك «عز» ، والأراضى المستنقعة تقدّم لهـا ... ... وشباب « عظيمة الانتصارات » (يعنى العاصمة) فى ملابس عيد يوميا ، وزيت الزيتـون الحلو على رءوسهـم التى رجل شـعرها حديثا ؛ ويقف الأهلون بجانب أبوابهم وأيديهم مثقلة بالأزهار النضرة و بالخضر من بيت «حتحور»، و بطاقات الأزهار من مياه « بحر » . وقـد كان كل فرد متفقا مـع زميله فى إعلان مطلبه فى اليوم المخصص لدخول «وسر ماعت رع ستبن رع» (رعمسيس الثانى) «منتو» (إله الحرب) رب الأرضين، أى فى صبيحة عيد «كيهك» (وهذا المطلب هو) : جعة حلوة من «عظيمة الانتصارات» وكانت جرع كئوسها مثل «شاع» أما شرابها المسمى « خور » فطعمه مثل طعم شراب « إنو » يفوق الشهـد حلاوة . وجعة «كليكيا» تجلب إليها من الميناء، والنبيذ من الكروم، وعطور مياه «سجين» اللطيفة وأكاليل من الخميلة (؟)، والمغنون والمطربون كانوا من « عظيمة الانتصارات » من الذين تعلموا فى « منف » ، فاتخذها إذا موطنا ، فكن سـعيدا فرحا فيها ، ولا تغادرها يا «وسر ماعت رع ستبن رع» يا «منتو» يارب الأرضين «رعمسيس» محبوب «آمون » يأيها الإله ! .

ولدينا غير هذا الخطاب الشيق إشارة أخرى فى بردية تتحدّث عن هذه العاصمة بعض الشيء[1] جاءت فى سـياق مديح موجه للفرعون «مرنبتـاح» وهذا الفرعون هو الذى — على ما يظهر — قد كتبت معظم الأوراق البردية الخاصة بهذا العصر

(١) راجع : Pap. Anastasi III, 7 (1 - 10) & J. E. A. Vol. V, p. 186 ff, No. 16.

فى عهده، ويلاحظ أن هـذا المديح لا يجد فيه القارئ شيئا خاصا موجها للفرعون «مرنبتاح» ينطبق عليه بل الإشارة هنا إلى المكان المسمى «بررعمسيس»، وتشير بوضـوح تام للملك «رعمسيس الثانى» بأنه هو الشخص الأصـلى الذى من أجله كتب هـذا الشعر، وهاك النص فاستمع لما جاء فيه من أوصاف لهـذه العاصمة الجميلة: "أنت السفينة الرئيسية، والمقمعة التى تهشم، والسيف الذى يذبح سكان الصحراء، والسكين الطيعة، والذى نزل من السماء، والذى ولد فى «هليو بوليس»، ومن كتبت له الانتصارات فى كل أرض! ما أسعد يوما من أيام عصرك، وما أجمل صوتك عنـدما تحدّث، وأنت تشهد أنك قد شيدت «بررعمسيس — محبوب آمون»، والجبهة الأولى لكل أرض أجنبية، ونهاية مصر، والمدينة ذات الشرفات الجميـلة، الساطعة بالقاعات من اللازورد والزمرد، ومسرح خيـالتك، ومحاط مشاتك، ومرسى سفن جنودك وهم يحضرون لك الجزية. المديح لك عندما تخرج بين فرق رماتك ذوى النظرات المفترسة والأصابع الملتهبة (حماسا)، ومن يتقدّمون عندما يرون الأمير واقفا يحارب، وعندئذ لا تستطيع الخيـالة أن تقف أمامه. وأنهم يخافون بطشك يا «بنررع» محبوب «آمون». وأنك ستبقى مثل بقاء الأبدية! وإن الأبدية ستمكث كما تمكث وأنت ممكن فى مكان والدك «رع حور أختى»".

وأخيرا لدينا وصف لهذه العاصمة جاء فى بردية أخرى (راجع J. E. A. Vol. V, p. 187.) فاستمع لما جاء فيها:

بداية ذكر انتصارات رب مصر: لقد شـيد جلالته لنفسـه قلعة اسمها «عظيمة الانتصارات». وتقع بين «زاهى» وأرض الدميرة (مصر) وهى تزخر بالطعام والمؤن وهى مثل «أيون» الوجه القبلى (أرمنت؟) وبقاؤها مثل بقاء «منف». والشمس تشرق فى الأفق منها أو تغرب (ثانيـة) فيها، وقـد هجر كل إنسان بلدته وسكن فى إقليمها، وحيها الغربى هو «بيت آمون»، وحيها الجنوبى هو «بيت سوتخ»، والإلهة «عشتارت» فى شرقها، والإلهة «بوتو» فى حيها الشمالى. والقلعة التى

فيها مثل أفق السماء . و «رعمسيس مرى آمون» فيها إله ؛ و «منتو فى الأرضين» بمثابة مبلغ، و«شمس الأمراء» هو الوزير (نعتان للفرعون « رعمسيس الثانى»)، وبهجة مصر، ومحبوب « آتوم» هو العمدة (فيها) ، والأرض ترحل إلى مكانه، ورئيس « خيتا » العظيم يرسل الى رئيس بلاد « قدى » (قائلا) : استعد ودعنا نسرع الى مصر ونقول : "إن إرادة الإله تعـلو" ، دعنا نتحدّث برفق « لوسر ماعت رع »، فإنه يمنح النفس من يشاء، وكل أرض مفعمة بحبـه، و « خيتا » فى قبضته وحده، ولا يتسلم عطاياه غير الإله ، وأنها لا ترى ماء السماء لأنها فى قبضة « وسر ماعت رع » الثور الذى يحب الشجاعة" .

وفى هذه المدينة كان يرابط جنود الفرعون، ومن بين هؤلاء حرس «شردانا » وقد كان كل شباب المدينة يتـدفق أمام جلالته كالسـيل بملابس الأعياد حاملين أغصان النصر فى أيديهم فى موكبه الفخم منشدين الأناشيد الحماسية فى أيام الأعياد عندما كان يسير فى موكبه الحافل فى هـذه المدينة ، أو عندما كان يخرج قاصـدا إلى « طيبة » العاصمة الدينية ليقدّم « لآمون » الأسرى والغنائم الخاصة به .

المدن الأخرى التى أقامها — وقد أقام «رعمسيس الثانى» غير مقر حكمه مدنا أخرى جديدة فى مختلف جهات القطر وبخاصة فى الدلتا ، كما أضاف مبانى جديدة فى المدن القـديمة ، فقد أضاف كثيرا فى مبانى مدينة « تانيس » ومدن وادى «طليات» السالفة الذكر . هذا إلى أنه قد استمر فى إقامة العمائر فى بلاد النوبة السفلية حتى الشلال الثالث الى أن استكمل تشييدها . وفى الحق أقام « رعمسيس الثانى » فى هذا الجزء من امبراطوريته ما لا يقل عن خمسة معابد نحتها فى الصخر كما فصلنا القول فى ذلك عند وصفنا كلا منها ؛ وقد كان بطبيعة الحال من مستلزمات بقائها إقامة مساكن تابعـة لها لتقوم على تعميرها وأداء الشعائر المفروضة فيها ، كما كانت توضـع حاميات من الجنود للسهر على المحافظة عليها ، كل ذلك كان مؤدّاه إنشاء بلدة بجـوار كل معبد نذكر منها « بيت الوالى » القريبـة من « كلبشه »

و « جرف حسين » ، و « السبوعة » ، و « الدر » ، و « بوسمبل » . يضاف إلى ذلك معبد « اكشه » الصغير الحجم القائم بذاته بالقرب من مدينة « وادى حلفا » . ومن الطريف أن « رعمسيس الثانى » كان يعبد فى هذه المعابد بوصفه إله الجهة بجانبَ الآلهـة « رع » و « بتاح » . ولا يفوتنـا أن نذكر هنا المعابد التى أقامها فراعنة الأسرة الثامنة عشرة فى النوبة وبخاصة معابد « كلبشه » و « أمدا » ، ومعبد « بوهن » الواقع بالقرب من « وادى حلفا » ، هذا بالإضافة إلى حصن « سمنه » ومعبده الواقع عند الشلال الثانى . من كل هذا نعلم أن هذا الجزء من بلاد النوبة كان آهلا بالسكان بقدر ما كانت تسمح به طبيعة هذا الإقليم من خصب .

ومما يدعو للدهشة حقا أننا لا نجد فى بلاد النوبة التى أقام فيها « أمنحتب الثالث » معبدا فى مدينة « صولب » بالقرب من « سدنجا » ، حتى مدينة « نباتا » عند الشلال الرابع أى أثر يرجع تاريخه إلى عهد الأسرة التاسعة عشرة ، اللهم إلا إذا استثنينا « معبد الشمس » الذى كان قد رفع بنيانه « إخناتون » فى « سيسبى » ، ثم جاء بعده « سيتى الأول » فأقام فيه معبدا « لآمون » انتقاما من « إخناتون » وإلهه . ولا تزال أسس المدينة التابعة لهذا المعبد باقية وكان يطلق عليها اسم « جم آتون » ويرجع عهدها كما يدل اسمها إلى عهد « إخناتون » (١) .

وقد استغل « رعمسيس الثانى » مناجم « وادى علاقى » الغنية بالذهب كما استغل مناجم شبه جزيرة سينا مما فصلنا فيه القول فى مكانه .

إقامة المعابد وما تستلزم من مصانع وأيد عامله

لقد شنّ كل من « سيتى الأول » وابنه « رعمسيس الثانى » حروبا طاحنة واسعة النطاق لها شهرة عظيمة فى تاريخ الحروب العالمية ، وكان الغرض منها إعادة

---

(١) راجع : American. Journ. of Semetic Lang, XXIII, 1906 & XXV, 1908.

الإمبراطورية المصرية فى آسيا شمالا ، وفى بلاد السودان جنوبا ، وتمكين حدودها التى كانت عليها فى عهد أباطرة الأسرة الثامنة عشرة الأماجد ، غير أنهما لم يتمكنا من الوصول إلى هذا الغرض كاملا غير منقوص ، ولكن من جهة أخرى قد أفلح «رعمسيس الثانى» فى إعادة ما كان لمصر من سؤدد ثقافى كرة أخرى ، إذ أن الثقافة المصرية قد انتشرت وازدهرت بصورة بارزة حتى وصلت إلى أعلى درجة من السمو والرفعة فى عهده ، فحاولت أن تفوق ثقافة عهد « أمنحتب الثالث » ، وكان من مظاهرها أن أصبحت الحكومة من جديد ثابتة الأركان كما مكنت النظم العالمية التى كان يرغب الآلهة فى نشرها فى البلاد و يعبر عنها بكلمة « ماعت » التى تدل على الحق والعدل والصدق وهو النظام الذى وضعه والده «رع» عند بدء الخليقة ، وسار عليه من أتى بعده من الملوك الذين ينسبون إليه (أولاد رع) ، وبذلك أصبح من السهل تثمير موارد الدولة وأرزاقها إلى أقصى حدّ ممكن لتعظيم شأن الآلهة وأبنائهم الملوك الذين كان يربطهم بهم رباطا لا انفصام له وهو صلة الأبناء بالآباء ، وقد كان جل هم « رعمسيس الثانى » أن يشيد لنفسه مجدا مؤثلا يفخر به بين أبناء امبراطوريته مدّة حياته ويتحدّث به أخلافه فى الأزمان التالية .

والواقع أنه قد أنشئت فى عصر «رعمسيس الثانى» عمائر على نطاق ضخم لم يشهد العالم ما يماثله فى اتساع رقعته وعظمته فى كل أرجاء الوادى . فنعلم أنه فى عهد «حور محب» قد بدئ بوضع أساس قاعة العمد العظيمة القائمة للآن بمعبد الكرنك واستمر فى تنفيذ بنائها « رعمسيس الأوّل » ، وفى عهد « سيتى الأوّل » بنيت عمائر دينية فى « منف » و « هليو بوليس » وغيرها من أمهات المدن فى جهات القطر مثل معبد « أوزير » بالعرابة المدفونة ، وكذلك شرع فى إقامة معبده الجنازى فى طيبة (معبد القرنة) ، كما نحت قبره الضخم الذى يمتاز بفخامته ودقة نقوشه فى هذه الجهة أيضا ، فلما تولى بعده ابنه « رعمسيس الثانى » قام بإتمام كل هذه المبانى التى بدأها والده ، ثم شيد العمائر لنفسه ولآلهته فى كل بلدة عظيمة

فى أنحاء الوادى على وجه التقريب من أوّل الدلتا شمالا حتى الشلال الثانى جنوبا ، فنراه يقيم المعابد الجديدة من جهة ويصلح المعابد التى كانت قد هدمت مع الزيادة فى رقعتها ونقش اسمه عليها . وقد أسهبنا القول عن كل مبانيه فى الدلتا وبلاد النوبة فى مكانه .

ويدل ما بقى لدينا حتى الآن من الآثار التى أقامها فى «منف» و «هليوبوليس» — وهى التى لم يبق منها إلا دمن ضئيلة — ، على أنها كانت غاية فى الفخامة والضخامة ؛ أما مبانيه فى « العرابة المدفونة » فلا يزال بعضها باقيا ؛ فقد أقام بجوار المعبد الفخم الذى رفع بنيانه والده وأتمه هو من بعده معبدا صغيرا لإقامة الشعائر الجنازية الخاصة به فى بلدة « أوزير » المقدّسة ؛ ومع صغره فإنه من آيات الفنّ والإبداع . وفى معبد الأقصر الذى أقامه « أمنحتب الثالث » وأصلحه من بعده « توت عنخ آمون » و «حور محب» ، بنى «رعمسيس الثانى» ردهة عظيمة أقام أمامها بوّابة هائلة لا تزال باقية حتى الآن ، وقد اضطر لتنفيذ مشروعه فى هذه الجهة الى اغتصاب مقصورة صغيرة كان قد أقامها « تحتمس الثالث » العظيم .

وفى الكرنك أتم بعض مبانى قاعة العمد العظيمة كما أنهى كل نقوشها وزينتها، أما المشروع الضخم الذى بدأه على حسب أحدث البحوث « حور محب »، وهو إقامة معبد كامل من كل الوجوه للإله « آمون »، فلم يتم إنجاز الجزء الأمامى منه الذى كان يعدّ تتميما للبناء إلا فى العصور التى أعقبت عصر « رعمسيس » بزمن طويل أى فى عهد الأسرة الثانية والعشرين ، وذلك عندما أقام ملوك هذه الأسرة ردهة أمامية أمام قاعة العمد، وبوّابة هذه الردهة بدئ العمل فيها فى عهد البطالمة، وقد اكتفى بذلك على ما يظهر ، وأقيم أمام هذه البوّابة الأخيرة طريق كباش تمثل الإله « آمون رع » فى صورة « بو لهول » وأيضا برأس كبش ، وتصل هذه الطريق إلى النيل القريب من المعبد .

وقد أقام « رعمسيس الثانى » غير معابد الآلهة السالفة الذكر معبدا آخر لنفسه فى « طيبة » الغربية وهـو معبده الجنازى المعروف الآن باسم « الرمسيوم » وهو الذى تحدثنا عنه فيما سبق (انظر ص ٣٥٩) . والواقع أنه لم يبق من مبانيه إلا الشىء اليسير الذى يحـدثنا عن ضخامته وعظمته الغابرة . وقد ترك لنـا « هكاتا أبديرا Hekataeos Abdera » وصفا مدهشا لهذا المعبد نقله عنه « ديدور » المؤرخ (١) .

ولا بدّ من التنويه هنا بأن هـذه المعابد كلها كانت تقام على طراز واحد كما فصلنا القول فى ذلك فى الجزء الخامس عند التحدّث عن معبد «أمنحتب الثالث» (٢) ، وكذلك كان فن العمارة قد بقى طرازه على ما كان عليـه فى عهد الأسرة الثامنة عشرة اللهم إلا أشكال العمـد التى كانت تقام على صـورة حزم سيقان البردى الظاهرة سيقانها متجاورة فى الحزمة ، مما كان يبينه المفتن فى هيئة خطوط تدل على سيقان حزمة البردى ، فقد حل مكان هذا الطراز من العمد عمد سيقانها مستديرة الشكل ليس فيها أى تفصيل وكان يحمـل على قمتها السقف . والفكرة القـديمة التى تفسر وجود هذه العمد على هذه الصورة القائلة بأنها تمثل نباتا ينبت من الأرض وينتهى بزهر أو تكون فى هيئة حزم يراع يرتكز عليهـا السقف المصوّر فى صـورة سماء — كانت لا تزال باقيـة ، غير أن السقف فى الواقع لم يكن يعتمـد مباشرة على رأس العمد النباتية كما فى الصورة السالفة الذكر، بل كان يعتمد على كتل من الحجر مستطيلة ملصـقة بالسقف مباشرة . ويلاحظ فى قاعة العمـد العظيمة فى الكرنك أن تأثير منظر هذه العمد فى مجموع البناء كان نابيا لعدم تناسب تاج العمود مع ضخامة محيطه ، ولكن رص العمد متجاورة بكثافة بالغة — وقد وضعت عن قصد لتعوق المتفرج فيها عن إحاطته بنظرة عامة لكل أرجاء القاعة كما يقول البعض — جعلتها تبدو ثقيلة على النفس لا تشعر بشىء من الأناقة والرونق . وقد كانت كل هذه العوامل عقبة

(١) راجع : Diodor. I, 47 - 49

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الخامس ص ٢١٨

فى بلوغ المنزلة الفنية التى عليها معبد الأقصر من حسن الانسجام وتناسب الأجزاء والروعة التى تستهوى النفس، وعلى الرغم من كل ذلك نلحظ أن هذه العمد فى ذاتها قد أصبحت كاملة البهجة بالكتابات والنقوش التى زينتها مما رفع من شأنها وأضفى على شكلها الأصلى صورة خلابة فى ذاتها . ولفهم هذا الارتباك وتلك البلبلة فى نظام المعبد وإزدحامه بالعمد من غير داع فنى — يجب أن نفهم الفكرة الدينية فى بناء المعبد وتكوينه وسنشرح ذلك ببعض الاختصار .

الفكرة الدينية فى أصل المعبد وتكوينه

والواقع أن العمد النباتية الشكل على الرغم من أن تفاصيل أجزائها تجعلها صالحة لتقوم بهذه الوظيفة لا تزال موضع نقاش — على أقل تقدير — عند رجال الفن المحدثين ، ويتساءل الإنسان أكان من المحتم أن تحوّل البراعيم الغضة والأزهار اليانعة حتى تصير قادرة على حمل أثقال من الحجر أم لا داعى الى ذلك ؟ ولكن المصريين فى الأحوال القليلة التى استعملوا فيها فيما بعد ساق شجرة النخل بمثابة عمود نموذج فى مبانيهم لم يجعلوا عوارض السقف ترتكز على سيقان العمد ، بل وضعوها على تيجان العمد المؤلفة من الجريد ، ومن أجل ذلك لم يقل استحساننا لها من حيث عدم ملاءمتها للقيام بوظيفتها ، ومع ذلك فإنه من الأمور المدهشة أن هذا النوع من العمد لم يطغ عليه نوع آخر من العمد النباتية . والنباتات المزهرة فى كل مكان تقريبا تبعث فى النفس فكرة الفناء والذبول، وهذا ما حاول المصرى إبعاده؛ ولذلك يجب أن تستنبط أن كلا من زهرة البشنين والبردى كان لها روابط ذات طابع مختلف حدت بالمصرى ألا يجعل طبعية هذه النباتات الفانية تأخذ المكان الأوّل فى فكره .

والمفتاح لفهم العمد النباتية الشكل نجده فى كيفية نظامها فى المبانى، والواقع أن ترتيب العمد فى المبانى المصرية ينحرف بصورة بارزة عن استعمالنا . حقا إن المصرى كان ينسق عمده أحيانا بطريقة تدعو الى إعجابنا وبخاصة ما نشاهده منها فى البيوت

الخاصة وفى المقابر المنحوتة فى الصخر وما تزين به خارج المعابد، وحتى عندما كان يستعمل نماذج هذه العمد فى قطع الفن الصغيرة مثل صنع يد صغيرة للمرآة فى هيئة عمود من ساق البردى أو البشنين فانها كانت تظهر جميلة خلابة .

وإذا فرض علينا أن نتحدّث عن العمد النباتيــة الشكل التى تعدّ أهم خواص الفن البنائى المصرى فإنا نفكر فى الحال فى تلك العمد المتراكمة فى المعابد التى أقيمت فى الألفين الأخيرين قبل الميلاد . والواقع أن الإنسان عنـدما يلقى نظرة على عمد أحد هذه المعابد يشعر بحرج فى النفس من جرّاء ضيق المسافات التى بين هذه العمد الضخمة التى تزدحم بها قاعة العمد والطرقات الأخرى بطريقة لم تفسر حتى الآن تفســيرا مرضيا إذا نظـرنا إلى الطول المحــدود للأحجار التى كانت ترتكز على تلك الأعمده، ولانزاع فى أن فننا حيا كالفن المصرى لم يكن مقيدا بقيود الموادالتى يستعملها، بل على العكس كان ينتخب المواد التى تساعده على أن يمثل فى أكمل صورة ، وعلى ذلك يجب أن نسلم أن المصرى لم يجد غضاضة فى تكديس المعابد بالعمد ، بل إن هذه الخاصية التى تمتاز بها معابدهم كان لها قيمة إيجابية فى نظرهم . وفى الحق نجد أن المصريين فى استعمالهم لهذه العمد التى هى من ابتكارهم وهم الواضعون لفكرتها، كانوا منقادين بميول غريبة بالنسبة لنا لم تخطر على بال مفتن عادى لا علم له بعقائد القوم ودياناتهم . ويمكن الانسان فهم هذه الميول فهما جيدا عندما يفحص تأثير العمد فى تصميم المعبد . والتصميم الأصلى للعبد المصرى منطق وسهل الفهم .

فأهم جزء فى المعبـد هو « قدس الأقـداس » وكانت فكرته المثالية أنه يعـدّ بمثابة « التـل الأزلى » أى أوّل رقعـة من أديم الأرض ظهرت من مياه العـدم فى يوم خلق العالم . ولمـا كانت الكائنات كلها قد ذرأت من هــذه البقعة عدّت مصدر قوّة لا حدّ لها ، صالحة لظهور الإله فيها .

ونجد فكرة تمثيل المحراب (قدس الأقداس) «بالتل الأزلى» موضحة فى أسماء معظم محاريب مصر الشهيرة . وفيها نجد تفسير خواص فن بناء المعبدالمصرى و بخاصة

استعمال العمد النباتية الشكل . فمياه العدم (نون) و «التل الأزلى» يتألف منهما نوع من «البراح الأزلى» (Landscape) الذى مثل دورا عظيما فى خيال المصريين الدينى كالدور الذى لعبه جبل « جو لجوثا » (المكان الذى صلب عليه المسيح) فى الديانة المسيحية . «والبراح المصرى» الدينى يتألف من رقعة فسيحة الأرجاء من المستنقعات نجد الإشارة إليه فى كل مكان فى الأدب المصرى الدينى . ففى عقيدة الحياة الآخرة نجده فى صورة « حقل الغاب » . وهـو المنظر الذى تظهر فيـه الصورة القديمة للإلهة « حتحور » الممثلة فى هيئة بقرة وحشية مقتحمة أدغال الغاب برأسها ، وهو نفس المنظر الذى له أثر فى صور إله الشمس فى أحوال كثيرة ، فقد كان الاعتقاد مثلا أنه ، قد ظهر فى صورة طفل جالس فى زهرة البشنين ، وكذلك كان يظنّ أنه يعبر السماوات فى قوارب مصنوعة من الغاب ، وكذلك كان الإله « آمون رع » يظنّ أنه أحيانا قد خرج من بيضة كانت فوق « التل الأزلى » ، ثم طار فى صورة أوزة على المياه وكان صياحها أول صوت خلق .

وقد كان كل من نبات البشنين والسوق (البردى) من العناصر الأصلية التى يتألف منها هذا «البراح الأزلى» (Landscape) الهام الذى لايعتريه التغير . على أن ما كان له أثر فعال فى نفس المصريين هو أنه لم تكن طبيعتهما قابلة للفناء والذبول ، بل على العكس كان الذبول الذى يعترى كل نبات على حدته حادثا لا معنى له فى نظرهم ، إذا ما قورن بدوام فصيلته فى المنظر الذى نشأ منه العالم ، وهو الذى كان فى الواقع دائم الوجود فى فكر الإنســان بوساطة الصورة الدينية التى ذكرناها ، ففى عمـد المعبد المصنوعة من الحجر قـد تغلب المصرى على صفة الزوال بإقامتها من الحجر ، وفى الوقت نفسه قد حفظت أهميتها الحقيقية . وهـذه العمد كانت بمثابة إعلان فى الـبراح الدينى عن موقع المعبـد ، كما أن نظامها الذى يدل على تكتلها قـد زاد فى تأثيرها . والواقع أن المعبـد المصرى كان محل قوة وعظمة ، لأن الآلهـة كانوا موجودين فى كل شىء فى الطبيعة على حسب الاعتقاد المصرى ، وعلى ذلك كان من

الصعب وضعهم فى مكان بعينه ، وكأن المعبد إذا ألق بتعويذة على مكان مغلوم يمكن الاقتراب من الآلهة فيه ، وهذا يفسر لنا الارتباك الذى نشاهده فى المعابد المصرية الرئيسية مثل معبد الكرنك ومعبد الاقصر — وهو ذلك الارتباك الذى يصبح من المستحيل فهمه إذا نظرنا إلى هذه المعابد بوصفها عمائرفنية. وقد رأينا أن التصميم الأصلى للعبد المصرى بسيط ومنطق ، ولكن المعابد التى كانت تتمتع بأعظم نفوذ فى عهد الدولة الحديثة كانت تظهر كأنها مبان متراكمة على نظام منحرف عن تلك البساطة، فنرى فيه أن طريق المعبد من مدخله حتى حجرة قدس الأقداس قد زيد فى طولها بإضافة ردهات جديدة وبوابات عظيمة فى حكم ملوك متتالين، أو حتى فى عهد الملك المؤسس الأول للعبد. والواقع أنه كانت تقام محاريب ثانوية فى جوانب المعبد أو فى داخل المنطقة الحرام عندما كان يزاد فى رقعتها ، وبذلك نفقد فى هذه الوحدة البنائية المترامية الاتساع روح التناسب، والشعور بتناسق أصلى يضع حدودا معينة للاضافات التى يمكن أن يقبلها التصميم الأصلى ولكن النقوش التى على المبانى الفرعونية تدل على أن المصرى كان يشعر بأن أى إضافة فى المعبد لم تكن مما يزيد فى قدر بانيها وحسب، بل كانت فضلا عن ذلك تعدّ ذات قيمة للعبد ، لأنه إذا كانت قوة «آمون» السامية قد عبر عنها بضخامة حجم معبد الكرنك المتناهية، فإن المعبد كذلك كان يكتسب قوة، وعلى ذلك فإن مجهودات الأجيال المتراكمة فى هذا المعبد الهائل قد زادت فى قوة التعويذة التى جعلت الإله غير المستقر فى مكان وهو الذى كان يمثل فى الهواء والنور ويسهل الاقتراب منه فى الكرنك (أى الاله «آمون») .

وعلى أية حال كانت توجد صورة أخرى غير الصورة المرتبكة التى يظهر فيها معبد الكرنك وملحقاته . فإذا كان الحجم والجرم يمثلان القوة، فإنه كان من المستطاع إشباع الرغبة فى طلب الضخامة دون خلق أى بلبلة أو مسخ فى التصميم الأصلى، ويمكن عمل هذا إذا أجبر الجرم على اتخاذ صورة واضحة وبسيطة . والواقع أن هذا الحل كان هو المتبع عندما أقام ملوك الدولة القديمة مقابرهم فى صورة

أهرام . ولا نزاع فى أن الهرم مثله كمثل المحراب فى ارتفاعه يرمز به « للتل الأزلى » . غير أن الوصف والتصوير يعجزان عن إعطاء هذه الآثار حقها . وحجمها الحقيق يعد عنصرا هاما فى التأثير الجارف الشامل الذى تحدثه عندما يفلح الإنسان فى تأملها من جانب الصحراء وعندما يكون بعيدا عن تشتيت الفكر الذى يضطر الإنسان إلى أن يقع فيه لسوء الحظ عندما يقترب منها . ويجب الا ننسى أنها كانت فى الأصل مكسوة من قواعدها حتى قممها بأحجار ملساء كان لا يمكن الإنسان أن يميز الفواصل بينها وهكذا نجد أن هذه الرموز الدالة على المكان الذى نشأت منه كل الحياة كانت خالية من كل تفصيل قد يدعو الفكر إلى حالة أخرى بل كان يخطئها التغيير . (راجع Frankfort, Ancient Egyptian Religion p. 152 ff.) .

نقوش « رعمسيس » وتماثيله فى المعابد الأخرى : ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن الفرعون « رعمسيس الثانى » قد تسلط عليه الصلف وركبه الغرور وحب العظمة بدرجة بالغة مما جعله لايتورع عن نقش اسمه بطريقته المحببة إليه بحروف غائرة قبيحة غاب عنا السبب فى إغرامه بها ، فى قاعة عمد « أمنحتب الثالث » بجانب النقوش والصور الفنية الرفيعة الأنيقة التى حلى بها الأخير هذه القاعة ، فى معبد الأقصر وبذلك شوه منظر هذا المبنى الممتاز وألبسه صورة آية فى القبح ، وإن كان فى الوقت نفسه قد أبرز لعين المفتن بل لعين المتفرج العادى جمال نقوش « أمنحتب الثالث » فبضدها تتميز الأشياء .

وقد كانت تلاصق هذه العمد دعامات مستطيلة الشكل عظيمة الحجم ترتكز عليها تماثيل للإله «أوزير» أولملك نفسه . ونخص بالذكر منها التماثيل الهائلة التى كانت تمثله واقفة أو جالسة «لرعمسيس الثانى» ،وقد ملأ بها معابده ،ويلفت النظر من بينها تماثيله الستة الضخمة التى أقامها أمام معبد الأقصر ويبلغ طول الواحد منها أربعة عشر مترا ، وسبعة منها فى قاعة العمد فى نفس المعبد ؛ ارتفاع كل منها سبعة

أمتار. وقد أقام فى «الرمسيوم» وفى «منف» تماثيل تضارع تمثالى « ممنون » اللذين أقامهما « أمنحتب الثالث » ، ولكن تمتاز عنهما بنحتها فى مادة الجرانيت الصعبة التناول على الحفار، على أن ما أقامه من تماثيل لآلهته فى مختلف المعابد لا يقل عددها عن عدد ما أقامه لنفسه ، ولم يفته قطع المسلات الشامخة فى علوها من « أسوان» و إقامتها فى معابد الآلهة. وقد كانت جدران تلك المعابد بما فى ذلك جدران البوّابة العظمى التى تعدّ المدخل الرئيسى مزينة بالمناظر والنقوش الملونة وقد كان جزء منها خاصا بالمناظر الدينية، والجزء الآخر صوّر عليه انتصارات الفرعون على الأعداء والنقوش التى تمجد أعماله وترفعه فى أعين الشعب وتخلد ذكره على كر الأيام فى أعين الخلف .

المعابد المنحوتة فى الصخر : وقد ظهر بين هذه المبانى التى أقامها «رعمسيس الثانى» نوع جديد لم يكن شائع الاستعمال من قبل وهو المعابد المنحوتة فى الصخر. حقا كان المصرى كما ذكرنا من قبل ينحت لنفسه المقابر والمزارات فى الصخر و يزينها بالمناظر والنقوش فى كل العصور السالفة للعصر الذى نحن بصدده على نطاق ضيق، غير أن ذلك كان قاصرا على المقابر بوجه عام، وقد ازداد نحت هذه القبور فى الصخر فى عهد الأسرة الثامنة عشرة فى جبانة « طيبة » بدرجة عظيمة جدا ، كما زادت النقوش والمناظر التى كانت ترسم على جدرانها ، يدل على ذلك ما نشاهده فى مقابر ملوك هذه الأسرة، وقد بلغ هذا الطراز أوجه فى الأسرة التاسعة عشرة كما نشاهد فى مقبرة «سيتى الأوّل» التى نحتها لنفسه فى «وادى الملوك» وتعدّ من آيات الفنّ والنحت معا . وقد اتخذ « رعمسيس الثانى » هذا الطراز من المبانى فى إقامة معابد بلاد النوبة وعممه هناك ولم يسبقه فى هذا المضمار إلا الفرعون « حور محب » الذى أقام لنفسه مقصورة ضخمة فى « السلسلة » وقد رسم عليها انتصاراته على النوبيين كما زينها بالمناظر الدينية (راجع الجزء الخامس صفحة ٦٠٠) وكذلك أقام محرابا آخر فى « جبل أدّة » بالقرب من « أبو سمبل » (راجع الجزء الخامس ص ٦١٠) .

وتدل شواهد الأحوال على أن طبيعة أرض بلاد النوبة هي التي حتمت على «رعمسيس الثانى» أن ينحت المعابد لآلهته فى الصخر الصلد، وذلك لأن الشريط الضيق من الأراضى الزراعيـة الذى يفصل النيل عن التلال الصخرية التى تشرف عليه قـد جعله ينحت المعـابد فى الصخر لضيق المكان من جهة ، وربما كان يقصـد منها من جهـة أخرى أن يجعلها تناهض الدهر فى بقـائه وسرمديته ، وبذلك يخلد اسمـه على صفحة الزمن . ودلت الحقائق الواقعـة على أنه لم يخطئ فيما قصـد اذا كانت هـذه هى فكرته وهو الرأى الذى نرجحـه كما تدل عليه آثاره الأخرى .

والواقع أن هذه المعابد التى نحتها « رعمسيس » فى الصخر لا تختلف فى شىء عن المعابد التى كانت تقام بالأحجار فى الأراضى المنبسطة، فقد كان كل محتويات المعبد من بوابة وردهة وقاعة عمـد وحجرات العبادة والحجرات الجانبية التابعة لهـا تنحت فى الصخر على غرار المعابد الأخرى، على أن هذا الطراز الجديد من المبانى تتجلى فيه بوضوح الفكرة الأصلية المقصودة منه وهى أنه الطريق المؤدية للأماكن الخفية المظلمة الموجودة فى أعماق المعبد وهى التى يؤوى إليها الإله، كما أن تأثيرها من الخارج كانت تتجلى روعته فى البوابة العظيمة المقامة أمامه ببرجيها الضخمين .

وقد نحت هذا الفرعون بجانب المعابد الصغيرة التى حفرها فى « بيت الوالى» ، و «جرف حسين» الذى أقامه ابن الملك صاحب « كوش» المسمى «ستاو» ، ومعبد «وادى السبوع» ، و «معبد الدر» ، المعبد الهائل الذى يطلق عليه اسم معبد «بوسمبل» ولا نكون مبالغين إذا قررنا هنا أنه أضخم بناء على وجه البسيطة منحوت فى الصخر. والواقع أن الألفاظ تعجز عن وصف ما عليه هذا المعبد من بهاء وفخامة وضخامة . فقد أقيم على طوار قدّ من الصخر أربعة تماثيل للفرعون « رعمسيس الثانى » يبلغ ارتفاع كل منها عشرين مترا، ثم نشاهد على مكان عال فوق الجدار الخلفى الأملس السطح عددا من تماثيل القـردة محيية بأكفها إله الشمس المشرق عنـدما ينفلق

الإصباح و يرتفع ضوء الشمس وئيدا حتى يدخل بوابة المعبد الضخمة التى لا تزال تكنفها التماثيل الضخمة، ثم القاعة الداخلية من المعبد وهى التى ترتكز على ثمانية عمد، وكذلك يستند على هـذه العمد ثمانية تماثيل تمثل الفرعون فى هيئة الإله «أوزير». وكلها منحوتة مثل العمد فى الصخر الصلد. وعلى الرغم من ضخامة هذه التماثيل التى كانت فى داخل المعبد وخارجه فقد نجح المفتن فى تصوير محيا «رعمسيس الثانى» فى وضوح وجلاء و إتقان، هذا إلى أن بعضها قد نحت بمهارة ممتازة. ومما يلفت النظر من بين النقوش التى كانت تزين بها الجـدران الداخلية للمعبد — وقد كانت فى العـادة موضوعات دينية أو تاريخية — (انظر لوحة موقعـة قادش فى معبد «بو سمبل» ص ٢٦١) وضخامة معبد «أبو سمبل» وما احتواه من حجرات ونقوش فى الواقع تدهش عقول أهل الجيل الحاضر حتى أنهم يتساءلون أحيانا كيف تسنى «لرعمسيس الثانى» إتمام هذا العمل الفذ فى بضع عشرات السنين؟ ولا جدال فى أن هذا العمل بمفرده كان كافيا ليكون عنوان مجد وفخار لكل عصور التاريخ المصرى الأخرى، وهو لم يزل باقيا فى مكانه بكل عظمته وضخامته لم يمسه سوء بجانب المعابد الأخرى الصـغيرة التى تتضاءل بجانبه، وبخاصة عندما نقرنه بالمعبد الصغير الذى أقامه لزوجه «نفرتارى» بالقرب منه، وقد زين مدخله بثلاثة تماثيل للملك والملكة التى شيد من أجلها.

ومن جهة أخرى لا يسع المرء أمام كل هذه المبانى الهائلة الضخمة التى نحتها «رعمسيس» فى جوف الصخر إلا أن يبدى دهشته وعجبه من جديد متسائلا عن عدد الأيدى العاملة التى سخرت للقيام بإتمام مثل هذا العمل الجبار من قاطعى أحجار و بنائين وحفارين و رؤساء عمال وكذلك من التلاميذ الذين كانوا يتلقون الدروس فى المدارس الخاصة بالبناء والتلوين والنقش، هذا إلى الرسامين الذين كانوا يكلفون وضع التصميمات، وملاحظى العمل والمفتنين الذين كانوا ينحتون التماثيل و يصقلونها، فكل هذه الأعمال تحتاج إلى عدد هائل من الأيدى العاملة المدرّبة من أهل البلاد

وغيرهم من الأجانب، على أن هذا النوع من المبانى والأعمال الفنية اللازمة له لم تكن قاصرة فى هذا العصر على الفراعنة وحدهم، بل كانت شائعة ذائعة بصورة واضحة عند علية القوم ووجهائهم الذين كانوا يعتنون أحيانا عناية خاصه بحفر مقابرهم فى الصخور على مقربة من مقابر الفراعنة وبخاصة ما نشاهده ماثلا حتى الآن أمام أعيننا فى جبانة «طيبة» الغربية من آثار الفن الذى يعدّ من الطراز الأوّل أحيانا . وقد يرجع سبب هذا الإتقان وحسن الذوق الذى يبدو أمامنا فى مقابر علية القوم أحيانا إلى ما تركه فن عصر «إخناتون» من أثر على الرغم من عودة الأحوال إلى ما كانت عليه فى مصر بعد القضاء على عهد « إخناتون » البغيض من جهة الفنون والصناعات والدين وما كانت تحاط به قوانينها من قدسية جامدة . والواقع أن رجال الفن لم يتقيدوا بتلك القيود القديمة العتيقة التى ضربت عليهم وأرادت أن تغل أيديهم وتستعبد عقولهم وعبقريتهم، بل ضربوا بهذه القيود عرض الحائط وأفسحوا لمواهبهم الفنية المجال، وهى تلك المواهب التى كسبوها من تعاليم « إخناتون » الفنية وما انطوت عليه من حسن ذوق وميل إلى إظهار الأشياء التى تحذقها أيديهم على حقيقتها كما تشاهد فى الطبيعة لا كما تقتضيه القواعد الموضوعة التى فرضتها عليهم الأجيال السالفة والشعائر الدينية الجامدة الجافة إلى حدّ ما .

وقد ظهرت تلك الحرّية الفنية بأجلى مظاهرها فى الصور التاريخية الملكية . والواقع أن فنّ الصناعة القديم نفسه لم يطرأ عليه تغيير يذكر كما يشاهد ذلك فى كثير من المقابر، إذ كانت الأشكال تثبت على جدران المعابد بالنحت البارز أو النحت الغائر ثم تلون بالألوان المناسبة مما يكسبها صبغة فنية جميلة، ولكن يلفت النظر عند تصوير المناظر الخاصة بالحياة ومباهجها مثل مناظر حفلات الولائم أو عند تصوير سير موكب جناز المتوفى، ما نشاهده فى تلك الحالات من كثرة الألوان الزاهية المختلفة، وكذلك نلحظ أن المثال قد نفث فيها أحيانا بآلته روحا جميلا يشعرنا بتأثير فن «إخناتون» وصوره الواضحة الناطقة . ومن أجل ذلك ظهرت فى عالم الوجود قطع فنية من

الطراز الأوّل منها منظر الموكب الجنازى الذى عثر على قطع منه تنسب إلى مقبرة الكاهن الأعظم للإله « بتاح » فى « منف » المسمى « نفر رنبت » وهذه القطعة تمثل أمامنا منظرا فريدا من موكب جناز هذا الكاهن الذى كان يسير فى موكبه كل عظماء الدولة ، وقد مثل كل منهم مميزا عن الآخر بهيئة تلفت النظر ، فلم نلحظ فيها هذا التشابه الممل فى الصور التى تبدو أمامنا فى مواكب الدفن العادية التى نشاهدها ممثلة على جدران معظم وجهاء القوم فى مقابر « طيبة » وغيرها .

ففى الصف الأسفل نشاهد منظر سير الموكب الجنازى غير أنه مما يؤسف له لم يبق من السفينة التى تحمل المومية إلا جزء ضئيل يدل عليها . ولم تبق لنا كذلك من النقوش الجميلة التى تصف لنا يوم الحزن هذا إلا جزء يسير وهو : "ولم ينقطع أحد عن البكاء حتى يأتى الإنسان الى ... ... " وخلف التابوت نجد أهل المتوفى الأقربين يندبون و يبكون وقد محى اسم أوّل فرد منهم و بقى لنا الاسم الثانى ، وهاك النص الذى كان يردّده ابنه : "ابق معى لأنك ملكى للأبدية ، أنت ياوالدى و يامرشدى". وهذا ما كان يقوله ابنه الذى كان يحمل لقب كاهن والد الإله فى معبد « باست » و يدعى «ساى» . ونشاهد أولاد المتوفى وكبار رجال الدولة الذين حضروا لتشييع المتوفى فكان يسير فى المقدّمة كاتب الفرعون الأمير الوراثى والقائد الأعلى للجيش ، ويحتمل أنه هو ولى العهد نفسه كما يظنّ « أرمان » ، ثم يليه عمدة المدينة والوزير ، ثم وزير آخر أى وزير الوجه القبلى ووزير الوجه البحرى . ثم كاتب الملك وحامل الخاتم ، فمدير المخازن ، وقائد الجيش الأعلى ، ومدير الادارة ، والمشرف على بيت المال ، وكان يلتفت إلى زميله السابق متحدّثا معه . ثم يلى هؤلاء أربعة كهنة عظام ، منهم اثنان ذكر لقب كل منهما وهما أعظم الرائين والكاهن «سم» (أى كاهن الإله «بتاح» الأكبر) . ثم يأتى بعد كل هؤلاء الوجهاء « حاكم منف » ويلاحظ أنه قد التفت إلى كهنة « بتاح » مخاطبا إياهم وكان فى الوقت نفسه يداعب شعره هو . وعلى أية حال لا يمكننا أن

(١) راجع : Erman A. Z. 33. p. 18 ff.

تمّن ما كان يتحدث به ولكن يحتمل مع ذلك أنه كان قد لاحظ ارتفاع عويلهم عندما كانوا ينتحبون قائلين : " إلى الغرب ، إلى الغرب ، أرض النعيم أنت يأيها الأعظم للإله « بتاح » سيد الصدق . إنك أنت والدنا " .

ولسنا فى حاجة إلى التعليق على هذا المنظر الطريف وما فيه من تفاصيل تسترعى النظر وبخاصة ترتيب كبار رجال الدولة على حسب درجاتهم ، وكذلك ما يحتويه من أدوات وملابس أنيقة جميلة الصنع ، وما أبرزه المثال من ملامح ناطقة ، وأهم من كل هذا مهارة المفتن فى تمثيل هذه الأشياء بطريقة رائعة ، إذ الواقع أن ما فى هذا المنظر من جمال يدل على أن المفتن الذى أبرزه لم يكن من طبقة المفتنين العاديين بل كان على ما يظهر مسيطرا على فنه لدرجة أنه كان فى استطاعته تمثيل الحزن وآلامه وحرقته بصورة محسة ناطقة ، وبخاصة عندما نلحظ أنه بجانب تلك الصورة التى مثل فيها الجزع والألم قد مثل لنا صورة علية القوم ورجال البلاط — خلف أولاد المتوفى الذين كانوا ينتحبون ويصيحون يمشون فى هدوء وخشوع ، كما أنه لم يفته أن يصور لنا حاكم المدينة وهو يداعب شعره المرجل فى وسط هذا الحزن الشامل حتى لا تفوته النكتة التى كانت من سجايا المصرى حتى فى أشد المواقف وأدقها غير أن هذا المنظر لا ينسبه الأستاذ «شبيجلبرج» إلى عهد «رعمسيس الثانى» بل إلى عهد قبله يعتقد أنه عهد «توت عنخ آمون» كما يؤكد أن ولى العهد والقائد الأعلى هنا هو «حورمحب» وذلك (راجع A. Z. 60 p. 56. ff.) للاسباب الوجيهة التى ذكرها.

تصوير المواقع الحربية : وقد خطا مثال الفرعون خطوة أخرى واسعة فى تصميم المناظر وإبرازها على حقيقتها بعد أن كان مقيدا بالتقاليد الموروثة من قديم الزمان . فقد رأينا عند الكلام على التأثير المباشر الذى حدث فى تصوير المواقع الحربية وفى مناظر الصيد فى الفن المصرى ، عن طريق الفن الكريتى الميكانى (أى المسينى) تدرجا فى الفن مما أدى إلى ما نشاهده من رسم «سيتى الأول» على جدران معبد الكرنك فى مناظر حروبه فى سلسلة مناظر كل واحد منها على حدة ،

وهى تفسر لنا مجرى سير حروبه فى ميدان القتال من أول الأمر حتى تقديم رؤساء الأسرى جميعا مكبلين ومصفدين فى الأغلال إلى الإله «آمون» ثم طرح الفرعون إياهم أرضا ليجهز عليهم على حسب التقاليد القديمة التى نشاهدها منذ القدم ، ولكن «رعمسيس الثانى» تقدّم خطوة إلى الأمام فى تمثيل هذه المناظر الحربية، فمثل لنا لأوّل مرة فى تاريخ الحروب المصرية سير موقعة «قادش» التى أظهر فيها من ضروب الشجاعة والإقدام ما جعله بشيد بذكرها ويفخر بها على كل ما سواها من الأعمال الجليلة التى تمت فى تاريخ حياته ، فى منظرين منفصلين بعضهما عن بعض نقشهما على أهم معابده فى طول البلاد وعرضها ، بل كان يكررهما فى المعبد الواحد مرات .

ويمثل المنظر الأول الحوادث التى وقعت فى المعسكر منذ استجواب جواسيس الأعداء حتى هجوم «خيتا» المعادين على جيشه . أما المنظر الثانى فيمثل أمامنا الموقعة التى دارت رحاها أمام الحصون التى تحيط بالنهر حتى إحضار الأسرى ، وتعداد الأيدى التى كانت تقطع من أجسام الجنود الذين سقطوا صرعى فى ميدان الواقعة ، وقد مثل «رعمسيس الثانى» مناظر هذه الموقعة أكثر من ست مرات على جدران معابده العظيمة كما قلنا . ففى معبد الأقصر نجدها ممثلة على جدران بوابته العظيمة التى أقامها «رعمسيس» نفسه وكذلك على جدران هذا المعبد الخارجية ، ثم مثلها فى معبد «الرمسيوم» على البوّابة مرة وعلى الجدران الداخلية للردهة الثانية من نفس المعبد مرة أخرى ، وفى «العرابة المدفونة» نجدها منقوشة على جدران معبده الخارجية ، وفى معبد «أبو سمبل» العظيم مثلت على جدرانه الداخلية (انظر ص ٢٦١ ، ٣٤٩ ، ٣٦٦) .

ويلاحظ بعض الفروق البسيطة فى التفاصيل فى تصوير هذه الموقعة فى المعابد المختلفة، فأحيانا نجد تفاصيل أكثر على جدران أحد المعابد لم نجدها فى غيره، وقد يعزى ذلك إما إلى مساحة الرقعة التى كانت فى متناول المثال لينقش عليها الصورة

التى أمامه، أو إلى ذوق المثال وعبقريته إلى حد لا يخل بالتصميم الأصلى، إذ لم نجد فى منظر من كل المناظر التى تمثل هذه الواقعة مايدل على نقص فاضح .

ولا زلنا حتى الآن فى حاجة إلى درس تفاصيل هذه الموقعة درسا علميا تاما بما فيه من ألوان ودقائق لم تحلل بعد فنيا . وعلى أية حال فإن الفكرة التى تصورها لنا هـذه الموقعة فى مجموعها بوصفها لوحة مثالية كالتى نشاهدها فى صـورة انتصار « نارامسن » أو الفسيفساء الذى يمثـل موقعة « الإسكندر » لم تكن لتخطر على بال المثـال المصرى من جهـة ، كما أنها من جهـة أخرى تبعد عن صـورة المثال الذى تصور موقعة « ماريتون » وتخريب « طروادة » ، أو أى صورة مما أخرجته عبقرية مفتنى القرون الوسطى حتى بداية عصر «إحياء العلوم» فى أوربا ، ومع كل ذلك فإن الناقد البصير لو نظر إلى صورة موقعة «قادش» بعين فاحصة لوجد أنها تمثل كل الأحداث الرئيسية التى جرت فى أثناء الموقعة بصورة أخاذة مثيرة للعواطف ، حتى إذا ما قرنها بلوحة حروب « سيتى الأول » التى تتألف من سلسلة مشاهد ، وجد أن المنظرين اللذين تتألف منهما موقعة « قادش » قد مثلا بطريقة شـيقة وأن لهما معا تأثيرا بينا ، إذ نشاهد فى وسط كل من المشهدين صورة الفرعون بحجم هائل بالنسبة لمن حوله (انظر موقعة « قادش » فى الكرنك و « الرمسيوم » و « بوسمبل » ص ٢٦١ ، ٣٤٩ ، ٣٦٦) .

ففى المعسكر نجـده جالسا على عرش من ذهب يحيط به حرسـه الخاص من الجنـود المصريين وجنود « شردانا » وبجانبـه كبار رجال الدولة وعظماء حاشيته مؤنبا إياهم على إهمالهم عدم تفقـد جيوش العـدو ومواطنه فى حين نجـد الأسرى الذين تسللوا إلى المعسكر المصرى ليتجسسوا مواقع جنود الفرعون كانوا يضربون بالعصى لتنتزع منهم الاعترافات عن مواقع الأعداء وعن سبب مجيئهم . أما فى مشهد المعركة فنراه وهو فى العربة الملكية التى تجرها الجياد الصافنات ، فى وسط المعمعة بين الأعداء مرسلا عليهم وابلا من سهامه الفتاكة . ونشاهد فى المنظر بجوار مكان القتال

المتون المفسرة التى لم تحدّثنا عن شىء من أعمال الفرعون وما أتاه من ضروب الشجاعة تارة شعرا وأخرى نثرا (راجع ص ٢٤٧) ، وبخاصة ما لاقاه من معونة إلهه الأعظم « آمون رع » فى اللحظة التى كان فيها جنوده قد استولى عليهم الجزع وخلع قلوبهم الجبن ، ففى اللوحة صورة مدهشة حقيقية تمثل الملحمة على حقيقتها تماما إذ كان العدوّ يقاتل بحق مقتحما معسكر الفرعــون حتى أن الأمراء الموالين للفرعــون فرّوا مدبرين، وقد استدعى فيلق الإله «بتاح» على جناح السرعة وقد خفف الوطأة على المصريين اجتيازهم نهر « نعرنا » فى الوقت المناسب غير أن هذا الحادث قد سكت عنه التاريخ تماما. ولا يبعد أن المثال الذى وضع تخطيط هذه الموقعة كان حاضرا فى معمعة القتال، إذ قد ظهرت فى اللوحة نفسها بعض أفكار توحى بذلك . ومع كل ذلك فقد اختلفت آراء الباحثين فى وصف هذه المعركة والطريق التى اتخذتها حتى النهاية وقد أوردنا هذه الآراء فى مكانها (انظر الصورة ص ٢٧٢) .

على انّ هذه الصورة ليست الوحيدة من نوعها فى حروب « رعمسيس الثانى » فهناك ما يماثلها فى حروبه التى شنها بعد موقعة «قادش» ونخص بالذكر المنظر الذى يمثل ما أحرزه من النصر فى «ساتورنا» وهى موقعة وقعت عند حصار بلدة فى وسط سهل مقفر، وأهم منها حصار بلدة «دابور» الذى تكلمنا عنه فى مكانه (راجع ص ٢٨١)، ففى هذا الحصار نشاهد الخطوات المميزة لسير القتال من البداية حتى النهاية ، وقد ربطت بعضها ببعض بصورة بارزة قوية تترك فى النفس أثرا بالغا، فنشاهد الفرعون وهو يطارد الأعداء، ثم يقفز من عربته فى ملابس رثة لا يحميه درع ويفوّق سهامه على الأعداء المدافعين فى داخل الحصن ، فى حين كان المحاربون الآخرون يقاتلون بجانب أبناء الفرعون الذين كانت تحميهم الدروع فى أثناء مهاجمتهم أبراج الحصن ، ثم نشاهد هذه المعاريج مطروحة على الجدران ليعرج عليها جنود آخرون للاستيلاء على الحصن عنوة . أما المــدافعون فكانوا يجاهدون بكل ما أوتوا من قوة لحــماية أنفسهم بإلقاء المقذوفات والأحجار على المهاجمين ، ولكن كان الحظ قد أخطأهم

إذ كان المصريون الأبطال قد وصلوا فى تسلقهم المعاريج الى أعلى برج فى الحصن ، وعندئذ لم يبق للمحاصرين إلا طلب الأمان والتسليم .

الفن

أما صناعة نحت التماثيل وصقلها فإنها كانت تتضاءل أمام فن الرسم . ولكن كان يوجد بلا شك فى هذه الفترة بجانب صناعة التماثيل الهائلة عدد عظيم من التماثيل بالحجم الطبعى للفرعون والآلهة على السواء قد أبدع فى إخراجها ونخص بالذكر منها تمثال « رعمسيس الثانى » الجالس وهو محفوظ الآن بمتحف « تورين » (نظر ص ١٩٩) وقد استطاع المفتن أن يصوّر فى محياه الأريحية والجلال الممتاز النشاط بدرجة عظيمة من الإتقان والدقة ، ولكن مع ذلك لا نجد التمثيل الصادق الذى كان يطبعه المثال فى محيا ملوك الأسرة الثانية عشرة من ألم وحزن وتقدّم فى السنّ وشباب غض وغير ذلك من الملامح التى كان ينفرد بها مثالو الدولة الوسطى ، يضاف إلى ذلك أن مثالى عصر «رعمسيس» لم يصلوا فى تعبيراتهم إلى تصوير تلك السحنة التى يمكن للانسان أن يرى من خلفها روح الحاكم التى كانت تميز تماثيل «إخناتون» وغيرها من صور هذا العهد الذى امتاز بصدق التعبير ومحاكاة الطبيعة .

نظام العمل والعمال المفتنون :

وقد أتحفنا «رعمسيس» نفسه بلوحة مؤرّخة بالسنة الثامنة من حكمه عثر عليها فى منشية الصدر (راجع .Hamada A. S. XXXVIII, p. 217. ff)تحدّثنا عن الأعمال المختلفة التى كانت تجرى فى الأحجار المتنوعة ، وعن شغف « رعمسيس » العظيم بالحصول على محاجر جديدة تساعده على إقامة آثار باضطراد متزايد ، كما تخبرنا عن الهدايا التى كان يوزعها على مهرة عماله وصناعه ، ومن جهة أخرى تظهر لنا شغف العمال بإنتاج أعمال غاية فى الإتقان ، ثم تحدث لنا النقوش كذلك عن الأوضاع المختلفة التى كانت تمثل فيها تماثيل العصر ، وعن المعابد التى كانت تهدى إليها هذه

التماثيل، ثم تنتقل النقوش الى الكلام عن أنواع الأطعمة المختلفة التى كانت تقدّم للعمال فى المحـاجر . وفضلا عن كل ذلك تكشف لنا هذه اللوحة عن مقـدار القوّة والسلطان والثروة التى كان يتمتع بهـا « رعمسيس » . فكان فى مقدوره أن يصدر الأوامر لآلاف من العمال بنحت تماثيل له ، وليس له غرض من هذا إلا إشباع رغباته وصلفه وحب العظمة الذى كان يطغى على كل مشاعره لدرجة أنه ألّه نفسه وعبد صورته . و يمكن أن يدل إغفال ذكر أسماء المفتنين الذين كانوا يعملون للفرعون على تفسير الفـكرة السائدة وقتئذ وهى أنه لا يوجد فـرد فى الأمة صاحب مكانة أو قدر إلا الفرعون الذى كان يمثل نظام (ماعت) فى الأرض وهو النظام الذى وصـفه والده « رع » أوّل ملك حـكم على الأرض وقـد بنى على العدل والحق والصدق، وأداء الواجب .

هذا مغزى ماجاء فى هذه اللوحة، وتدل شواهد الأحوال على أنه من المحتمل جدا أن هـذا هو الدافع الحقيقى الى عدم ذكر أسماء المفتنين غير أنا وجدنا هـذه الظاهرة سائدة فى كل عصور التاريخ المصرى اللهم إلا شواذ قليلة نجد الكثير منها فى عهد « إخناتون » ولمـا كان هذا المتن يكشف لنا عن حقائق ممتعة عن العمل والعمال والفن فضلا عن أطماع «رعمسيس» فإنا سنورده هنا فاستمع لمـا جاء فيه :

" السنة الثامنة ، الشهر الثانى من فصل الشتاء ، اليوم الثامن من حكم ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «وسرماعت رع ستبن رع بن رع رعمسيس محبوب آمون» . فى هذا اليوم عندما كان جلالته فى « هليو بوليس » يقوم بأداء الأحفال لوالده « حوراختى » وللاله « آتوم » رب « هليو بوليس » ، وحينما كان جلالته يسير فى صحراء «هليو بوليس» جنوبا من معبد «رع» وشمالا من معبد التاسوع ، وأمام معبد « حتحور » سيدة الجبل الأحمر ، إذ ذاك عثر جلالته على قطعة حجر ضخمة فى محاجر « بيا » لم يوجد مثيلها منذ زمن رع ، وكان ارتفاعها أعظم من ارتفاع مسلة من الجرانيت الأحمر . وقد كان الكاشف لهـا هو جلالته نفسـه عندما كانت تسطع مثل أفقـه . وعندئذ سلمها جلالته لنخبة رجال مهرة فى السـنة الثامنة ، الشهر الثالث من فصل الصيف ، اليوم الواحد والعشرين . وفى السـنة التاسعة ، الشهر الثالث من فصـل الصيف ، اليوم الثامن عشر — أى مدّة سـنة — قد تم تمثال عظيم « لرعمسيس محبوب آمون » و بذلك أصبح الإله فى عالم الوجود لأجله ، وعلى ذلك كافأ جلالتـه المشرف على العمال هـذا والصناع الشجعان الذين

كانوا يصنعونه بكثير من الفضة والذهب و بالعطف الملكى . ولما كان جلالته يحميهم دائما فانهم كانوا يعملون لجلالته أى ملك الوجه القبلى والوجه البحرى رب الأرضين «رعمسيس محبوب آمون» بقلوب محبة ، وعندما وجد جلالته بجواره (أى الجبل) محجرا آخر (صالحا) لعمل تماثيل من حجر «بيا» الذى يفوق شجرة الصنوبر (فى متانته) فانه أهداه لمعبد «بتاح» ، وقد أطلق عليهم اسم جلالته العظيم أى «رعمسيس محبوب آمون» بن «بتاح» — وقد أهدى بعض تماثيل أخرى منه لمعبد «آمون رعمسيس مرى آمون» ولمعبد «رعمسيس مرى آمون» ، فى مدينة «بر رعمسيس» . "وقد ملأت معبد «رع» بتماثيل «بو الهول» عديدة و بالتماثيل التى نحتت فى وضع تقدّم فيه الزيت ومقربة طبقا فيه طعام" . وهذا ما يقوله «وسر ماعت رع ستبن رع رعمسيس مرى آمون» : أنتم يأيها العمال الشجعان المهرة الذين يقطعون لى أثارا بكل كمية ؛ وأنتم يامن يعشقون العمل فى الحجر الثمين الممتاز ، ويامن يتعمقون فى شغل الجرانيت الأحمر والمتمرنين على حجر «بيا» ، ومن هم أصحاب شجاعة وقوة فى صنع الآثار لأملأ بها كل معابدى التى أبنيها مدّة حياتهم . أنتم يأيها الرجال الطيبون يامن لا يعرفون التعب ، و يا حراس العمل طول الوقت ، و يامن ينفذون تماما و بإتقان واجباتهم ، وأنتم يامن يقولون إننا نعمل بعد الترقى للذهاب لهذه الخدمات فى الجبال المقدّسة ، لقد سمع ما يقوله بعضكم لبعض ، و إن فيكم لبركة لأن الأخلاق تظهر على حسب الكلام . وإنى « رعمسيس مرى آمون » الذى ينشىء الشباب بإطعامهم والأغذية وفيرة أمامكم ، وليس بينكم من يرغب فيها بشدّة . والطعام غزير حولكم ولقد كفيت حوائجكم من كل وجه صحيح حتى تعملوا لى بقلوب محبة ، وإنى دائما المحافظ على حوائجكم ، و إن المؤن قد أصبحت لديكم أثقل من العمل نفسه لأجل أن تتغذوا وتصبحوا عمالا صالحين (للعمل) ، لأنى أعرف تماما وجيدا عملكم الذى يمكن أن ينشرح له كل من يعمل فيه عندما يكون البطن مملوءا . فالمخازن مكدسة بالغلال لكم حتى لا يمرّ عليكم يوم تحتاجون فيه للطعام . وكل واحد منكم عليه عمل شهر . ولقد ملأت لكم المخازن من كل شىء من خبز ولحم وفطائر ونعال وملابس وعطور لتعطير رءوسكم كل أسبوع (الأسبوع عشرة أيام) ولأجل كسائكم كل سنة ، ولأجل أن تكون أخمص أقدامكم صلبة دائما ، وليس

من بينكم من يمضى الليل يئن من الفقر ، ولقد عينت خلقا كثيرا ليموّنوكم من الجوع ، وكذلك سماكين ليحضروا لكم سمكا وآخرين بمثابة بستانيين لينبتوا لكم الكروم ، وصنعت أوانى واسعة على عجلة صانع الفخار مسوّيا بذلك أوعية لتبريد الماء لكم فى فصل الصيف . والوجه القبلى يحمل لكم حبا للوجه البحرى ، والوجه البحرى يحمل للوجه القبلى حبا وقمحا وملحا وفولا بكميات وفيرة . ولقد قمت بعمل كل هذا لأجل أن تسعدوا وأنتم تعملون لى بقلب واحد . وعندما ذهبت إلى « إلفنتين » انتخبت جبلا طيبا لأجل أن أسلم لكم العمل فى محجره ، ثم أمرتكم أن تعملوا فى المحجر الذى يحمل اسمى ويسمى محجر « رعمسيس مرى آمون المحبوب مثل رع » وقد عثرت لكم على محجر بجواره فيه جرانيت أسود يصلح لعمل تماثيل كبيرة منه وتيجانها المزدوجة تكون من حجر « بيا » وهو الذى يسمى محجر « رعمسيس مرى آمون حاكم الأرضين » وعثرت لكم على محجر آخر يحتوى على... ... لونه مثل الفضة النظيفة ويسمى محجر «رعمسيس الثانى مرى آمون المحبوب مثل بتاح» أى ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «وسر ماعت رع ستبن رع رعمسيس مرى آمون معطى الحياة » .

تعليق : ولسنا فى حاجة إلى التعليق على ما جاء فى هذا النص عن نشاط «رعمسيس» فى إقامة التماثيل والمعابد ومعاملته لطبقة العمال الذين يعملون لحسابه ، ولن نكون مبالغين إذا قلنا إن هذه المعاملة هى التى تصبو إليها نفوس عمال أرقى دول العالم ، إذ هى فى الواقع معاملة نموذجية ، فالغذاء والكساء والتشجيع الأدبى والراحة بالتناوب كانت كلها متوفرة بدرجة لا يكاد الإنسان أن يصدّق وجودها فى تلك الأزمان العتيقة ، ولا غرابة إذن فى أن نجد الإنتاج فى عصر « رعمسيس الثانى » قد ضرب الرقم القياسى فى كل عصور التاريخ المصرى القديم ، ويرجع الفضل فى ذلك إلى توفير كل أسباب السعادة لطبقة العمال الذين كانوا يعملون له بقلوب مفعمة بالحب والإخلاص العميق وقد كان كلما بالغ «رعمسيس» فى راحتهم

والسهر على مصالحهم ازداد إنتاجهم مما شجع الفرعون من جهة أخرى على البحث لهم عن محاجر جديدة فى طول البلاد وعرضها ليصنعوا له ولآلهته التماثيل، ويقيموا لهم من المعابد ما يجلب رضاهم ويرفع من شأن الفرعون نفسه. وإذا صدّقنا كل ما جاء فى هذه اللوحة من حسن معاملة العمال فإن ما ينسبه الخلف من سخرة وظلم للفراعنة يصبح لا أساس له من الصحة .

ويدل ما لدينا من الآثار على أن « رعمسيس الثانى » لم يكن يستخدم فى نحت تماثيله عمالا مصريين وحسبُ، بل لدينا من مظاهر الفنّ نفسه وما حدث فيه من تغيير ما يدل على أنه استخدم مفتنين أجانب من البلاد الأجنبية التى جاء منها الآلهة العديدون الذين نشاهد « رعمسيس الثانى » يتعبد إليهم فى عاصمة ملكه الدينية «تانيس»، ولذلك سنتكلم هنا عن تأثير الفن الأسيوى فى نحت تماثيله وقرنه بالفن المصرى الأصيل .

تماثيل « رعمسيس الثانى » وتأثير الفن الاسيوى فيها

تدل البحوث التى قام بها الأثريون ورجال الفن على أن تماثيل « رعمسيس الثانى» كانت لها ميزات خاصة من حيث الضخامة، والصناعة وأنها كانت تتشكل حسب البيئة التى تحيط بها وبخاصة تماثيله العديدة التى أقامها فى مدينة « تانيس » المقدّسة القريبة من حدود مصر من جهة الشمال ، إذ نجد فى تصويرها ونحتها أثرا أجنبيا ناطقا، والظاهر أن الطابع الفنى الأجنبى الذى طبعت به هذه التماثيل كان قاصرا على عهد « رعمسيس » وبموته اختفى هـذا الطابع الخاص وعادت صناعة التماثيل إلى ما كانت عليه من قبل .

والواقع أن أول من درس تماثيل « تانيس » وفهم ميزاتها الخاصة هو الأثرى « مسبرو » (راجع G. Maspero Essai Sur. L'art Egyptinne Paris. 1912 p. 11 - 15; Egypte dans Ars Una. p. IX, 201.) . ومنذ عهد « مسبرو » توالت الحفائر فى هذه البلدة المقدّسة، وقد جاءت كلها معززة وجود تأثير أجنبى ، وأنها كانت مركزا دينيا هاما منذ عهد الدولة القديمة (راجع Montet Nouvelles

Fouilles de. Tanis (1929-32) Paris 1933.) حيث وجدت بقايا معبد قديم (p. 164-5.) فيه آثار لكل من «خوفو» و«خفرع» و«ببي الأول» و«ببي الثانى» من الجرانيت، ولكن لما نقل « رعمسيس الثانى » مقر حكمه إلى « بر عمسيس » اتخذ «تانيس» عاصمته الدينية فى الدلتا وعنى بأمرها كل العناية وبخاصة أنها كانت مقر عبادة «ست» الذى تنسب إليه أسرة «رعمسيس»، وقد قطع لتماثيله الضخمة أحجارا من محاجر الكوم الأحمر مقر عبادة الإلهة « حتحور » كما ذكرنا من قبل (ص ٦٢٢) . ولم يكن ذلك بالأمر الصعب عليه كما لو كان قد قطعها من أسوان . ومن المحتمل أن «رعمسيس الثانى» كان يقصد من إقامة تماثيل له ولآلهته فى هذه الجهة أن يقلد ملوك الشرق الذين كانوا لا يعقدون معاهدة إلا إذا أشهدوا عليها كل الآلهة المعروفة وغير المعروفة ، ولذلك أراد « رعمسيس » أن يقيم فى عاصمته الدينية عددا عظيما من الآلهة الحامين له هناك مثل « أتوم » و « بتاح » و « برع » و « آمون » و « وازيت » و « عنتا » وغيرهم .

وقد كتب على هذه التماثيل الألقاب العادية التى كان يلقب بها كل إله . فكان الإله « آتوم » يلقب مثلا « سيد الأرضين » فى « هليوبوليس » . على أن ذلك لا يعنى أن هذا الأثر قد انتزع من « هليوبوليس » ووضع فى « تانيس » بل عمل محليا .

وسنحاول هنا أن ندرس بعض مميزات تماثيل « رعمسيس الثانى » وبخاصة تماثيله فى بلدة « تانيس » حتى يمكننا أن نصل الى التأثير الأجنبى الذى لوحظ فيها ، والواقع أن «رعمسيس الثانى» قد ترك لنا تماثيل عدّة فى هذه المدينة كشف منها حتى الآن ما يربى على ثلاثة وعشرين تمثالا . وهذه التماثيل قد وجدت فى ثلاث جهات من المدينة القديمة : (١) البوّابة الضخمة . (٢) فى داخل المعبد الكبير . (٣) وفى معبد الإلهة « عنتا » ، وسنتحدّث عنها فيما يلى ثم نقرنها بتماثيله الأخرى .

التماثيل التى وجدت جهة البوّابة : تدل الكشوف الأثرية على أن كل التماثيل التى أقيمت فى هــذه الجهة قد أتى بها من جهات أخرى من المدينــة . فنجد أن بعضها قد جاء بها الفرعون « شيشاق » الذى أقام البوّابة إلى هذا المكان لتكسيرها وللاستفادة منها ، فمن ذلك التمثال الضخم المصنوع من الجرانيت الذى كان يبلغ ارتفاعه أكثر من عشرين مترا ، ولم يبق منــه إلا بعض قطع صغيرة (راجع Petrie Tanis I, pl. 14 No. 4. p. 22; Les Nouvelles Fouilles de. Tanis pl. 47 & pl. 17, 2.) . ولم يبــق من القطع التى عليها نقوش من هــذا التمثال إلا قطعتان نقرأ عليها اسمى الإلهين اللذين يحبان الفرعون وهما « آمون رع » ملك الآلهــة ، والذى فى قلب « منف » ؛ و « بتــاح » رب العدالة وصاحب الوجه الجميل فى « عنخ تاوى » . وهذان الإلهان من آلهة « منف » ووجودهما هنا يعزز نظرية « دارسى » القائلة بأن « تانيس » لم تلعب قط دورا هاما ، ولكن مما لا شك فيه أن آلهة « رعمسيس » كانوا قد ذكروا بحروف أضخم على أجزاء أخرى من التمثال (راجع A. S. (1917) p. 164 ff.) لم تصل إلينا .

وفى هذه البقعة كذلك وجد تمثالان ضخمان من الجرانيت الوردى طول الواحد منهما حوالى سبعة أمتار ، وقد نقلا ونصبا أمام البوّابة وقد هشما طبعا (راجع Les. Nouvelles Fouilles de Tanis p. 56 – 7 & pl. 22 – 23.) . ومع ذلك بقى الجزء الأعظم منهما فى مكانه ولم يوجد مستعملا منهما إلا قطعة بمثابة عتب باب . وهذان التمثالان يمثلان الفرعون واقفا مستندا بظهره على عمود عريض لابسا تاج الوجه البحرى وفى يده اليمنى أسطوانة ، وكذلك وجد فى هــذا المكان ثالوث من الجرانيت يمثل « رعمسيس الثانى » واقفا بين الإله « حور اختى » والإله « بتاح » (راجع Ibid. p. 58 – 9, pl. 24, 25. No. 5) . ومن الجائز أن هذه المجموعة كانت فى مكانها الأصلى ، وكذلك ثالوث آخر وجد منــه رأسان واحد للملك والآخر للإله « خبرى » (راجع Ibid. p. 59 pl. 25 No. 3 - 4.) ، ولكن من المؤكد أنه الملــك « شيشاق »

كان يقصد تكسيرها والاستفادة منها على حسب الحاجة، هذا إلى ثالوث آخر قد وجد منه « بترى » رأسا (راجع .Petrie Ibid. I, pl. 14. No. 2) . وفى الجهة الغربية على مسافة من البوّابة وجد تمثالان من الحجر الرملى الملوّن ويبلغ طول أحدهما على أقل تقدير نحو ثمانية أمتار ؛ (راجع .Nouvelle Fouilles Ibid. p. 55. pl. 19) أما التمثال الثانى الذى كان فى الجهة الشمالية فمن الجرانيت، وكان أقل بكثير من الأوّل فى ارتفاعه . وقد كتب على كليهما اسم الإله « آتوم سيد الأرضين » فى « هليو بوليس » و « حور اختى » محبوب « رعمسيس » .

فى داخل المعبد الكبير : وسنضرب صفحا هنا عن التماثيل التى اغتصبها «رعمسيس» مثل «بولهول» متحف اللوفر، و «بولهول» متحف القاهرة، وكذلك التمثالين رقم ٤٣٠و٤٣٢ الموجودين بالمتحف المصرى كما سنهمل كذلك التمثال رقم ٦١٦ الذى نسبه « بورخارت » للفرعون « رعمسيس الثانى » (راجع .Statuen Und. Statuetten Von. Konigen und Privaten p. 163)؛ وذلك لأنه ليس عليه ما يثبت شخصية هذا الفرعون ؛ وكذلك التمثال الذى يمثل فرعونا راكعا يدفع رمزا إلهيا أمامه وقد نسبه «بترى» إلى هذا الفرعون غير أننا وجدنا عليه اسم «شيشاق» ولسنا متأكدين منه ؛ هل اغتصبه هذا الفرعون أو هو من صنعه ؟ (راجع .Petrie Tanis I, pl. 14, 3) .

أما تماثيله الأصلية التى وجدت فى هذه البقعة فمنها تمثالان من الثلاثة التى نقلها «برستى» إلى «المتحف المصرى» وقد دوّنا هناك برقمى ٥٧٣و٥٧٥، والأوّل يمثل الملك جالسا على عرش مربع ويداه مبسوطتان على فخذيه، أما الثانى فقد مثل واقفا وقابضا على عصا بمثابة رمز فى كل من يديه (راجع Jequier Les. Temples .Ramesides et. Saites pl. 42) .

أما التماثيل الأربعة الضخمة المصنوعة من الحجر الرملى التى عثر عليها « مريت باشا » فى الأركان الأربعة للردهة الثانية فقد بقيت فى مكانها (راجع



(«رعمسيس الثانى» فى طفولته يحميه الإله « حورون »)

Mariette Rec. Trav. IX, (1887), 12.) . وقد نصب الجزء الأسفل من التمثال الذى كان فى الجهة الشمالية الشرقية ويمكن الإنسان أن يشاهد عليه صورة الملكة «مريت آمون» وبنت ملك «خيتا» . مات «نفرورع» زوج «رعمسيس الثانى» .

وكذلك وجد « ريفو » تمثالا يحتمل أنه من هـذه البقعة وهو الآن بمتحف اللوفر (A 20) وهو يمثل « رعمسيس الثانى» لابسا على رأسه لباس الرأس المسمى « نمس » وجالسا على عرش بظهر قصير . ويداه مبسوطتان على فخذيه . وكذلك يوجد له تمثال فى « متحف اللوفر » يقال إنه مغتصب (راجع Boreux Louvre Catálogue Guide p. 40.) غير أن ملامحه تدل على أنه « لرعمسيس الثانى » .

وقد وجد فى البيوت التى على حافة ردهة هـذا المعبد أغرب تمثال عثر عليـه « لرعمسيس الثانى » فى «تانيس» وقد كشف عنه «مونتيه» عام ١٩٣٤ ميلادية وهو يمثل هـذا الفرعون فى هيئة طفل بملامح تدل على الابتهاج تتدلى من رأسـه خصلة شعر وأعضاؤه ممتلئة مما جعله يظهر صغيرا جدا أمام الإله الحامى له وهو صقر ضخم واقف فوق رأسه ، على أن الفكرة القائلة بأن الفرعون هو ملاك الآلهة تصادفنا من وقت لآخر فى «تانيس» فنقرأ « ملاك آتوم » على إحدى المسلات (راجع A Guide to the Egyptian Galleries, Sculpture 599) . وقد مثل النحات المصرى هذه الفكرة بصورة ساحرة فى هذا التمثال ولكنه أضاف شيئا آخر على ذلك ، فالطفل الذى يسمى بالمصرية « مس » (𓄟) يحمـل قرص الشمس الذى يسمى «رع» (☉) على رأسه ويقبض بيده اليسرى على نبات « سو » (𓇓) فإذا جمعت هذه الرموز معاقرأت على حسب القراءة المصرية «رع مسسو » أى أن هذا الفرعون كان تحت حماية هذا الإله . والواقع أنه يوجد فى المتحف البريطانى (راجع Petrie. Tanis I, pl. 10, 53) تمثال من « تل المسخوطة » حيث نجـد اسم « رعمسيس الثانى مرى آمون » قد وضع على صـقر وهى نفس الفكرة ولكن أخرجها مثال حرم قوة الخيال . ويلاحظ أن الإله الذى على تمثال « تانيس » وهو الذى صـوّر فى هيئة

الطائر «حور» يحمل اسما غريبا وهو « حورون رعمسيس » وهذا الاسم كان يطلق على تمثال « بو لهول » فى منطقة الجيزة وقد كتب أيضا « حول » و « حورنا » وهو من أصل كنعانى وقد تكلمنا عنه من قبل مرارا .

معبد « عنتا » : ومعبد الإلهة « عنتا » الأسيوية الأصل يقع فى الجهة الجنوبية القريبة من المعبد الكبير وقد بقى لنا فيه تمثالان من الجرانيت الأسود يشبه أحدهما الآخر تقريبا ويمثلان « رعمسيس » جالسا على قاعدة مربعة ويدا كل منهما قد وضعتا على فخذيه مبسوطتين والتمثالان يعيدان إلى الذاكرة التمثال رقم ٥٧٣ المحفوظ فى المتحف المصرى، وكذلك التمثال (A. 20) الموجود « باللوفر » ، ونقرأ فى نقوشهما اسمى الإلهين «رع» و «آتوم» . وكذلك استخرج من نفس المكان أربع مجاميع من التماثيل حيث نجد فى كل أن « رعمسيس » قد مثل مع آلهة : (١) فنجد « رعمسيس » والإلهة « وازيت » من الحجر الرملى بحجم أصغر من الطبعى بكثير والمجموعة مشوّهة جدا . (٢) و « عنتا » و « رعمسيس » من الجرانيت الرمادى، وهنا تضع الإلهة « عنتا » يدها على كتف الملك وتسمى "ملكة السماء وسيدة آلهة «رعمسيس» " (راجع .Les Nouvelles Fouilles Ibid p. 107, pl. 47, 2; 53; 55) (٣) و « عنتا » و « رعمسيس » بالحجم الطبعى . (راجع .Ibid p. 125 pl. 70-2) . (٤) والآلهة « سخمت » و « رعمسيس » جالسين متجاورين وهما من الجرانيت الوردى . (راجع .Ibid p. 113, pl. 55, 59, 60) .

طراز تماثيل «رعمسيس» وصناعتها: يلاحظ أن بعض هذه التماثيل يستند على عمود مستطيل وعريض كان يستعمل وجهه لكتابة النقوش، فكان يكتب عليه ألقاب الفرعون التى كانت تشغل جزءا كبيرا من كل سطر بوجه عام، ومن ذلك التمثالان المصنوعان من الجرانيت الوردى الموجودان فى المدخل ، وكذلك المجاميع التى هناك، ولكن فى استطاعة الإنسان أن ينشر العمود الذى تستند عليه التماثيل دون الإضرار بجسم المجموعة . وقد وجدنا فى الدولة القديمة تماثيل تستند

على عمد مثل هذه عريضة ،ولكن أخذت هذه العمد تضيق شيئا فشيئا حتى اختفت فى نهاية الأمر وأصبح التمثال بلا عمود ، ولذلك نجد أن المثالين العظام فى الدولة الحديثة قد وصلوا إلى الاستغناء عن العمود فى كثير من الحالات ، وعلى الرغم مما نجده من نقوش تدل على أن هذين التمثالين من عمل « رعمسيس » فإنه من المحتمل إذن أنهما من صناعة العهود القديمة . والواقع أن الوجه الأكثر حفظا منهما يدل على أنه من صناعة الدولة القديمة أو بداية الدولة الوسطى أكثر مما يدل على وجه « رعمسيس » .

والمجاميع التى تشمل « رعمسيس » مع إله أو أكثر قد صنعت بطريقة مغايرة لذلك ، فمثلا فى الثالوث العظيم الذى فى المدخل ويتألف من «بتاح» و «رعمسيس» و « حور اختى » نجد أن البارز من جسمهم جزء يسير لأن معظم أجسامهم قد غار فى السنادة التى وراء ظهرهم ، فأجسامهم لا تكاد تبرز إلا بضعة سنتيمترات من حجر السناد ، وكذلك يلحظ أن الذراعين واليدين لم تظهر بصورة واضحة فى التمثيل ، وأن السيقان اليمنى قد بقيت حبيسة فى الحجر ، والأقدام اليسرى تخطو إلى الإمام بصورة أقل من المعتاد ، وتظهر الرءوس مفرطحة . ولا نزاع فى أن مثل هذه الصناعة تنسب إلى صناعة الحفر أكثر منها إلى صناعة التماثيل المجسمة ، غير أنها مع ذلك لا تخضع لقوانين الحفر البارز عند المصريين ، وهى التى تضع رأسا مصوّرا تصويرا جانبيا على كتفين مصوّرتين تصويرا كاملا وتلفت اليدين اللتين صوّرتا تصويرا كاملا والقدمين اللتين صوّرتا جانبيا ، ولكنا هنا فى هذه المجاميع لا نرى أى اعوجاج فى التمثيل ، إذ نجد الشخصيات الثلاثة ينظرون إلى الناظر اليهم بوجوههم كاملة ، والوجه والجذع وكل الأعضاء ترى من الأمام واليدان مفتوحتان ، ويلحظ أن الجوانب الصغيرة للأثر تخضع لنفس الصناعة ، فعلى اليمين نشاهد الإله « حور اختى » وعلى اليسار صورة « بتاح » وقد مثلا بالنقش البارز دون أى تشويه إذ نجد الكتف فى مكانه الحقيق .

والملاحظات السابقة تنطبق على المجموعتين الأخريين اللتين لم يبق منهما إلا قطع، وكذلك على المجموعة التى مثل فيها الآلهة «عنتا» و «رعمسيس» المحفوظة «بمتحف اللوفر»، وتمثال «رعمسيس الثانى» «بمتحف القاهرة» الذى يحمل رقم ٥٧٥ قد صنع بهذه الطريقة أيضا. وصور الأناث اللائى نقشن بصحبة التماثيل الضخمة المصنوعة من الحجر الرملى الموجودة فى الردهة الثانية، وكذلك صورة الملكة «مريت آمون» (مع التمثال الذى فى الجنوب الشرقى) وصورة الملكة «بنت عنتا» (على التمثال الذى فى الجنوب الغربى) كل هذه قد مثلت بالحفر من غير تشويه؛ والمجموعتان الحالستان وهما «عنتا» و «رعمسيس» و «سخمت» و «رعمسيس» يظهر أنهما تؤلفان مجموعتين أمرهما وسط بين التمثيل بالحفر نصف البارز والتماثيل المجسمة فعلا، إذ نجد أن السنادة التى يرتكز عليها التمثالان ليست على قدر عرضهما، فالكتف اليسرى للالهة والكتف اليمنى للملك تشاهد كلها منفصلة تماما من الحجر، ولكن المثال قد حفر الرقعة التى بين التمثالين حفرا غير متقن، وقد عمل الجزء الأوسط كله بالحفر، وقد مثل مثالو الدولة الحديثة فى معظم الأحيان المجاميع التى وجدت خارج «تانيس» مرتكزة تماثيلها إما على سنادة أو على الجدار الخلفى لكوة. وهذه التماثيل قد عملت مجسمة كما كانت الحال فى العصور السالفة، ولكن عندما كان المثال لا يهتم بالتعمق فى رقعة الحجر — وذلك إما لتراخيه وإما لعدم حذقه — فإن الأشخاص الممثلين يظهرون كأن نصفهم مختف فى الحجر، مثال ذلك التماثيل التى تحمل الأرقام التالية بمتحف القاهرة ٤٢٠٦٥، ٤٢٠٦٦، ٤٢٠٨٠، ٤٢٠٩٧ وكلهم من عهد الأسرة الثامنة عشرة وقد عثر عليهم فى «الكرنك». وكذلك لدينا مجموعة «بمتحف اللوفر» (A. 47.) (راجع .Boreux Ibid I, p. 52) ؛ ويحتمل أنها من عهد الأسرة الثانية عشرة، وتمثال فى متحف القاهرة (يحمل رقم ٦٠٥) وتعد ضمن الحفر البارز وحسب. وعلى أية حال يجب أن ننتظر حتى عهد «رعمسيس الثانى» لنجد تماثيل صنعت على غرار مجاميع «تانيس». ففى «إهناسية المدينة» عثر على ثالوث ضخم يمثل

« رعمسيس » بين الإله « بتاح » والإلهة « سخمت » زوجه وهو موجود « بمتحف القاهرة » . (راجع .Jequier Les. Temples ramesides et. Saites pl. 42) ويكاد يكون صورة مطابقة لثالوث « تانيس » ، إذ نجد أن ثلاثة الأشخاص الذين مثلوا فى الحجر قد التصقوا فيه ويظهرون بوجوههم كاملة للناظر، هذا إلى أن الأيدى والأذرع قد مثلت بسمك بسيط بارز من الحجر، وتوجد مجموعة صغيرة الحجم ضمن آثار «تجران» (راجع Danios Pacha Collection d'Antiquités Egyptiennes de. Tigrane Pacha d'Ako Paris Leroux 1911 pl. 27-28 p. 9. No. 69) . ونشاهد فيها «رعمسيس الثانى» ممسكا بيده الإله «حور أختى» ، والإلهة «باستت» سيدة «بوبسطة» . وهؤلاء الأشخاص الثلاثة قد حفروا بالطريقة السالفة، ولاشك فى أنه توجد أمثلة أخرى من هذا الطراز ، ولكن تدل شواهد الأحوال على أنها لم تكثر منذ الآن إلا فى عهد « رعمسيس الثانى» وحسب وبخاصة فى « تانيس» . والواقع أنها نشأت فى مدينة هذا الفرعون المقدسة ، ومن ثم انتشرت أولا فى المدن المجاورة مثل « بوبسطة » ووصلت إلى أماكن أخرى بعيدة ، غير أنه لم يكن لها شأن يذكر فى « طيبة » . وقد ظهر من بين تماثيل خبيئة الكرنك تماثيل كبيرة وصغيرة من عهد الرعامسة تمثل شخصا ممسكا فى يده مذبحا أو محرابا صغيرا فيه تمثالان أو ثلاثة لآلهة جالسين أو واقفين منفردين أو يمسك بعضهم بأيدى بعض (راجع Legrain Stat. II, 42111, 42144, 42153, 42176,42178.) .

وهذه التماثيل قد نحتت مجسمة ، وأجسامها وأعضاؤها مثلت بحجمها الطبيعى .

ومما يلفت النظر أن وجوه « رعمسيس » فى كل تماثيله فى « تانيس » ليست موحدة ولكن كثيرا منها يشبه بعضه بعضا ، فالتمثال الضخم الجميل الذى فى المدخل المصنوع من الحجر الرملى ، والتماثيل الأربعة الضخمة التى فى الردهة الثانية ، والتمثال

رقم٥٧٣ « بمتحف القاهرة » ، والتمثال (A. 20.) الموجود « بمتحف اللوفر » ، وتمثالا «رعمسيس» الجالسان بمعبد «عنتا» وتمثال «رعمسيس» الجالس فى مجموعة «عنتا» « رعمسيس » ، كل هذه يظهر فيها وجه « رعمسيس » كبيرا وممتلئا وملامحه ليست بارزة تماما ، فالعينان قد مثلتا أحيانا طبعيتين وأحيانا مكحلتين ومعبرتين عن الرزانة والطيبة معا ، وهذا الوصف ينطبق على تماثيل « منف » الضخمة وعلى تماثيل الأقصر وعلى التمثال رقم ٥٨٣ الموجود « بالمتحف البريطانى » الذى أُتى به من « الرمسيوم » (راجع Egyptian Sculp. in Br. Mus. Pl. XXI,) . وعلى ذلك نجد أن معظم المثالين فى « تانيس » قد نحتوا تماثيلهم عن أصل ثابت . ومع ذلك فإن التمثالين الجالسين فى معبد « عنتا » ليسا موحدين فى التمثيل ، فنجد على الأقل أن الذى نحت التمثال الأكثر حفظا منهما لم يصل مثل زميله إلى نقل النموذج الذى كان أمامه ، إذ نجد أنه قد مثل الفرعون — على غير رغبة منه — بملامح قبيحة والعينين بخاصة مثلتا بارزتين كما تمثلان فى الحفر وعلى المسلات وعلى لوحات « تانيس » (راجع Kemi Iv, 195.) .

وفى مقابل هذه السلسلة نجد فى مجموعة « رعمسيس» والإله «خبرى» ومجموعة « رعمسيس وسخمت » وتمثال القاهرة رقم ٥٧٥ ، أن « رعمسيس » قد مثل فيها بوجه عرضه أكبر من طوله ، وكذلك مثلت العينان صغيرتين والشفتان غليظتين ومنخفضتين فى نهايتهما ، على أن ما يبرز وجه الشبه فى هذه التماثيل الثلاثة « لرعمسيس » هو أن لباس الرأس موحد فيها جميعا ويشمل شعرا مستعارا ثقيلا يغطى الأذنين ويؤلف على الجبهة كتلة من الشعر أفقية . على أن كثيرا من تماثيل ملوك الدولة الحديثة قد تحلت بلباس الرأس هذا ، ولكن يجب أن نقرن بتماثيل « تانيس » تمثالين « لرعمسيس الثانى » محفوظين « بالمتحف المصرى » ، وأعنى بذلك الرأس الذى يحمل رقم ٦٤٠ المستخرج من تل « نبيشة » على مسيرة أربعة عشر كيلومترا من «صان الحجر »(تانيس) والرأس رقم ٦٣٦ الذى وجد فى «تل بسطة»

(راجع Borcharat Stat . u. Statuellen S. V,) فنشاهد فيهما نفس الوجه الذى عرضه أكبر من طوله والمثلث الهيئة، وكذلك نجد أن رسم العينين والشفتين واحد . ومن المدهش أن سكان «صان الحجر» الحاليين قد فطنوا فى الحال عند كشف المجموعة « رعمسيس سخمت » و « خبرى ، رعمسيس » وجه الشبه الذى بين المجموعتين، والواقع أن جسم التمثال فى كل قد أبرز بصورة قوية وإن كانت التفاصيل فيه مختصرة بعض الشيء . والواقع أن كتفى تمثال « عنتا » جديرتان بأن تكونا كتفى محارب، ولكن الجسم دقيق وجذاب . هذا ويلاحظ على تمثال «متحف القاهرة» رقم ٥٧٣ وتمثال « متحف اللوفر » رقم (A 20) والتمثالين الجالسين وكل التماثيل الضخمة المصنوعة من الحجر الرملى أنه يوجد على كل كتف من أكتافها علامة مؤلفة من ثلاث إشارات محفورة بعمق يخيل للانسان أنها تؤلف العلامة تقريبا . والواقع انه لا يوجد تمثال فيه هذه العلامة خلاف تماثيل « تانيس » إلا تمثال واحد وهو كذلك تمثال « لرعمسيس الثانى » عثر عليه فى « الإسكندرية » عند عمود « بمبى » (Ibid II, 165 - 6.) . وكذلك يلاحظ أن سمانتى الساقين فى كل من تمثالى « رعمسيس » الجالسين اللذين عثر عليهما فى معبد « عنتا » قد مثل عليهما خط مستقيم فى طولها يشبه العصا وكذلك فى التماثيل الضخمة الجالسة المصنوعة من الحجر الرملى .

وهذا اصطلاح قد شاع كذلك فى عهد « رعمسيس الثانى » ، ولكنه لم يقتصر على تماثيل « رعمسيس » فى « تانيس » أو الدلتا الشرقية، بل نشاهده على تمثال الإسكندرية ، وتماثيل « ميت رهينة » الضخمة ، وكذلك فى أقاصى الامبراطورية المصرية جنوبا ، على تماثيل معبد « بو سمبل » الضخمة .

أما تمثال «رعمسيس» فى مجموعة « حورون » ،(انظر ص ٦٢٩) فلا يعدّ بين واحدة من هاتين السلسلتين، بل من المحتمل أنه التمثال الوحيد فى «تانيس» ، الذى يقدّم لنا صورة تشبه الفرعون، إذ لا يعدّ صورة منقولة عن نموذج عام متفق عليه،

أو صورة من طراز محلى ، وهــذه الميزة تقربه من تمثــال « رعمسيس » الجميل ، المنقطع القرين ، المحفوظ فى « تورين » الآن . غير أن تمثــال « تورين » يمثل الملك وهو فى عنفوان الشباب ، فى حين أن التمثال الذى يحميه الإله « حورون » قد مثل فى هيئــة طفل . وقد كان فى مقدور المثال أن يوضح تصوير عمر تمثــاله بالعلامتين الخاصــتين ، اللتين تدلان على الطفولة ، وهما خصلة الشعر والأصــبع التى توضع فى الفم ، ولكنه قد أفلح فلاحا عظيما فى تمثيــل جسم ممتلئ قوىّ لطفل قد بلغ الثانية عشرة من عمره ، وأسبغ على وجهه الإشراق والحيوية اللذين ينطبقان على وجه أمير فتىّ عزيز على الآلهة .

وخلاصة القول فى كل ما ذكرنا ، أن الآلهة الذين صوّروا بجانب الملك ، أو ذكرت أسماؤهم على قواعد تماثيله ، أو على العمد التى تستند عليها مجاميع تماثيل الآلهة والملك ، لم تكن قد اختيرت عفو الخاطر ، فصورة الإلهة « عنتا » — الدالة على الأمومة ، عنــدما تضع يدها على كتف « رعمسيس » ، أو عنــدما يضع الملك يده عليهــا ، — فهى إلهة كنعانيــة ، وهى زوج الإله « ميكال » رب « بيسان » . (راجع R. P.V incent, Le Baal Cananeen de. Beisan et. Sa. Paredre, Revue Biblique (1929) 512-544) . أما وجود الإله «حورون» ، فقد جاء ذكره فى «أورشليم» وفى «صيدا» ، وكما ذكرنا كان يعبد فى مصر ، فى صورة «بو لهول» ، والواقع أن آلهة هذه الأقطار الأسيوية ، كانت لهم مكانة ممتازة فى عاصمة «رعمسيس» كما ذكرنا . وكذلك نقرأ على المسلات ، وعلى واجهات المعابد ، وعلى اللوحات أن الملك هو رضيع «عنتا» . (راجع Les Nouvelles Fouilles de. Tanis p. 70) ، ومحبوب «عشتارت» ، أما الإله «ست» ، وهو على ما يظهر أخ لبعلات سوريا ، فقد كان جدّ أسرة «رعمسيس» كما فصلنا القول فى ذلك ولكنه من أصل مصرى بحت ولم يكن له أية علاقة بالآلهة الأجنبية فى بادئ الأمر إنما جاء ذلك بعد .

والآلهة المصريون الذين نحتوا بجانب « رعمسيس الثانى » ، مثل « بتاح » ، و « حور أختى » ، و « خبرى » ، و « سخمت » ، و « وازيت » ، وكذلك الذين ذكرت أسماؤهم مع العمد ، التى تستند عليها التماثيل ، مثل « آتوم » ، و « آمون رع » ، هم نفس الآلهة الذين يراهم الانسان غالبا على المسلات وفى الحفر ، وكلهم آلهة الدلتا ، فنجد « خبرى » مع ثالوث تل « المسخوطة » . (راجع Petrie Tanis I, pl. 16 No. 3) ، والإلهة «وازيت» كانت تقدّس فى المدينة القريبة من «أميت» (إبطو الحالية) . (راجع Petrie Tanis II, Nebesheh pl. X–XI) ، كما أن الكاهن الأكبر للإله «ست» فى «أواريس» كان المكلف بإقامة الاحتفالات له . والإلهة «سخمت» كانت من أعظم الإلهات فى «بوبسطة» ، وفى «تانيس» نفسها قد وجدت بقايا ستة تماثيل فى معبد « عنتا » تمثلها ، وكذلك يوجد لها تمثال آخر فى المعبد الكبير . (راجع Rec. Trav. IX, (1887) p. 13.) . أما الإله « آمون رع » هنا ، فليس برب « الكرنك » ، الذى كان يخشى الفرعون أطاعه ، بل هو رب سكان « منف » . ولا نجد شاذا عن كل ما ذكرنا ، إلا التمثال رقم ٥٧٥ ، الذى أقامه الأمير « مرنبتاح » لوالده ، وقد جاء فيه ذكر الإلهين « وبوات » و « حتحور » ، وهما إلها مقاطعة « أسيوط » .

والواقع أن تماثيل بلدة « تانيس » ، يوجد أوجه شبه بينها وبين تماثيل « رعمسيس » ، التى عثر عليها فى مدن أخرى من مدن الدلتا ، وتفسير ذلك هو إما أن المثالين الذين كانوا فى المدن المجاورة « لتانيس » ، قد أسرعوا فى تقليد ما كان يصنع فى العاصمة ، أو أن « رعمسيس » ، فى الوقت الذى جمع فيه آلهة الدلتا فى عاصمة ملكه الدينية ، قد جمع فيها مفتنى هذه المدن ، الذين كانوا يسيرون على حسب تقاليد واحدة ، وطرق واحدة ، فى تمثيلهم لهذه الصور . وإذا كان هذا التفسير مقبولا وجب علينا كذلك أن نتساءل إذا كانت مدينة مثل «تانيس» التى فتحت بصدر رحب أبوابها لهذا العدد العظيم من الآلهة الأجنبية ، الذين

يعملون على حسب عوائد كنعانية ، مثـل الضحية التى كانوا يضعونها ضمن ودائع الأساس ، وهو ما يتنـافى مع العادات المصرية ، لم يتأثر المثالون المصريون فيهـا بأولئك المفتنين ، الذين وفدوا من البلاد التى تعبد فيها الإلهة «عنا» و «عشتارت» و « بعل » و « حورون » ؟ والواقع أن مصر فى عهد الدولة الحديثة منـذ بداية حكم « تحتمس الثالـث » ، كانت قد غرقت فى بحر من المنتجات السورية ، وتدل النقوش التى على جدران مقابر « طيبة » ومعابدها ، على أن الإله « آمون » رب « الكرنك » ، قد جمع منها ثروة عظيمة ، ولكن فى عهد «رعمسيس الثانى» نجد أن الكثير من هذه المنتجات ، لم يتعدّ حدود العاصمة الشمالية ، التى كان يمكث فيها الفرعون طويلا ، وحيث استقبل الأميرة الخيتية ، وكل الهـدايا التى جاءت فى ركابهـا . ولا نزاع فى أن المفتنين الشرقيين كانوا يعرفون رسم الأجسام بوجوه كاملة ، ولا أدل على ذلك من نقوش « خورساباد » ، التى تمثل « جلجمش » وهو يخنق أسـدا . (راجـع Contenau. L'art de. L'Asie Occidentale Ancienne Paris (1928) pl. 38.) . وهـذا نقش حديث نسبيـا ، ولكـن الأسطوانات السورية الخيتية ، تظهر لنا أن هذا الطراز كان موجودا منذ الأزمان التى أوغلت فى القدم ، وأن هناك أشخاصا آخرين من ملوك وآلهة ، قد مثلوا بالحفر بوجوه كامـلة . (راجـع Contenau Manuel d'Archeologie Orientale Paris 1931 P. 611 ff, 686-91) . وكذلك نجد فى «ببلوص» (١) ، و « زنديرلى » (٢) ، و « أرسلان تاش » (٣) ، و « بوغاز كوى » (٤) ، تماثيل « بولهول » وأسودا وملائكة ، تؤلف جزءا من الآثار التى تحرسها ، كما يؤلف ثالوث « تانيس » ، جزءا من الآثار التى تؤلف جزءا منها .

(١) راجع : Montet Byblos et Egypte p. 239

(٢) راجع : Ausgrabungen in Sendschirli XLVI - XLVIII, XVI - LVII. LXIV - LXV,

(٣) راجع : Arslan – Tash pl. II - VI,

(٤) راجع : Contenau L'art de. L'Asie Occidentale. pl. III,

وهكذا نجـد فى « تانيس » أن الفنّ يلقى ضوءا على مهام الفرعون السياسـية والدينية ، فلأجل أن يحوز المفتن رضـا الفرعون ، نجـده قد مثله فى هيئـة ابن خاضع مبجل للآلهة الأجنبية ، وقد استفاد فنّ هذه الممالك من التقديس الذى كان لهذه الآلهة ، وهكذا أصبح هـذا الطراز هو الشائع لمـدّة قصيرة فى الصور الممثـلة بالحفر البارز ، والفنّ المصرى الذى لم يعرف هـذا الطراز من قبـل قط قد انقطع الإنتاج فيه عنـدما اختفى « رعمسيس الثانى » من مسرح الحياة ، إذ أنه هو الذى أدخله فى البلاد ، وشجع على انتشاره فى أرجاء امبراطوريته .

قيمة فن النحت فى عهد « رعمسيس الثانى » :

وعلى الرغم ممـا أحدثته كثرة الأعمال التى أنجزها « رعمسيس الثانى » ، من الأثر فى نفوس القوم ، من جهـة الضخامة والعظمة ، فإنهـا من جهة أخرى ، لم تكن لها فى غالب الأحيان قيمة فنية تذكر ، ويرجع السبب فى ذلك إلى أن الأعمال الهائلة العدد ، التى كان يقوم بتنفيذها فى وقت واحد ، كانت بلا ريب تدعو الى السرعة السريعـة ، التى لا تنتج إلا أعمالا ، أقل ما يقال عنها ، إنهـا لم تكن من طراز جميل ، بل كانت تعبر عن الكثرة والضخامة وحسب ، ولا يتجلى فيهـا الاعتناء والدقة والذوق السليم ، الذى كان يمتـاز به فنّ النحت والنقش والعمارة ، فى عهد « أمنحتب الثالث » ، وهو نفس ما نشاهده فى فنّ عهد « سيتى الأوّل » فى معبده « بالعرابة المدفونة » ، وفى قبره « بطيبة » الغربية ، ولا يخرج عن ذلك إلا أشياء فردية . ونخص بالذكر منهـا غير صور موقعة « قادش » ، معبده الذى رفع بنيانه فى « العرابة المدفونة » ، إذ نجد فيـه التقاليد الفنية الجميلة التى نشاهدها فى فنّ عهد « سيتى الأوّل » والده ، وبجانب هـذا الفنّ الجميل ، نجـد من جهة أخرى ، أن مناظر معبد « بوسمبل » على ضخامتها ، قد نقشت نقشا سمجا ، وزينت بمناظر عارية عن رفعة الفنّ ، هـذا إلى أن الجزء الأعظم من مناظره ، قد رسم رسمـا تخطيطيا وحسب ، كما لوحظ أن المتون اللغـوية تزخر بالأخطاء ،

ممـا يدل صراحة على أن الذين كانوا يقـومون بالعمل كانوا صناعا محليين ، ليس لهم دراية المفتنين ، الذين نقشوا منـاظر معبده « بالعـرابة » ، وهم الذين تعلموا ، على ما يظهر بالوراثة ، ليكونوا مفتنين فقط ، كما ذكرنا من قبل ، ولذلك نجد أن كثيرا من معابد بلاد النوبة ، التى نحتت فى الصخر ، مثل معبد « الدر » ، ومعبد « جرف حسين » وغيرهما ، قد زينت بتماثيل بخة تزور عنها العين ، مما يدل على السرعة من جهة ، وعدم كفاية الذين قاموا بنحتها من جهة أخرى ، فبدلا من التأنى والاتزان فى العمـل ، اللذين كانا يمتـاز بهما مفتنو العصر السـابق ، حلت فى عهد « رعمسيس الثانى » السرعة السريعة ، وذلك لأن روح هـذا الفرعون ، كان مفعما بحب العظمـة التى لا نهاية لها ، ممـا جنى على أعمال الفن ، التى كانت يانعة مزهرة بمـا أنتجته من الآيات البينات ، فأصبحنا فى عصره لا نرى إلا جبالا مكدسة من التماثيـل ، التى انعدم فى معظمها الروح الفنى جملة ، هـذا فضلا عن اغتصابه للقطع الفنيـة ، التى تنسب للملوك السالفين ، ونقش اسمه عليهـا ، وكان قصده فى ذلك أن يجعل ذاته الإلهية ، يسطع بهاؤها ، ويلمع ذكرها فى كل أرجاء البلاد ، بما يقيمه من مبانٍ ضخمة ، وتماثيل هائلة ، مما لم يسبقه إليها أحد أسلافه ، حتى أنه لم يترك فرصة لأحد أخلافه أن يباريه فى هذا المضمار ، كما أنه فاق فى آن واحد كل من سبقه ، حتى « تحتمس الثالث » و « أمنحتب الثالث » .

وقـد كان « رعمسيس الثانى » طوال مدة حكمه يعمل جهد الطاقة فى إنتاج هـذا النوع الرخيص من أعمـال الفن والصناعات العـادية ، وعدم الاكتراث بالإنتاج الفنى الراقى مما أدى إلى تدهور الفن تدهورا ملموسا ، وقد كان من نتائج هـذا الغلو الفاحش فى إقامة المبانى وعمل التماثيل وغيرها استهلاك كثير من مواد الصناعة ممـا أدى إلى نفاد مالية البـلاد فى السنين الأولى من حكمه ، وقد يظهر ذلك جليـا للباحث عنـدما يكشف أن الشطر الأوّل من تاريخ حياته كان مفعما بإقامة الآثار التى يخطئها العدّ ، وهى التى نقرأ عنها فى الوثائق الكثيرة التى دوّنها هو أو تركها لنـا أفراد علية القوم فى حين نجد من جهة أخرى أن الجـزء الأخير من

حكمه قد قلت فيه إقامة الآثار وقد يكون ذلك من الأسباب التى جعلته يغتصب آثار غيره لنفسه ولأفراد أسرته، ولم تحدثنا الوثائق التى تركها لنا فى هذه الفترة إلا عن آثار قليلة له حقيقية بدرجة تلفت النظر .

ولذلك لا يسع الإنسان أمام هذه الحقيقة الناصعة إلا الحكم على عهد هذا الفرعون المعمر من حيث الفنّ والعمارة بأنه كان فى بدايته مزدهرا يانعا بالكثرة البالغة ثم انحط إنتاجه فى سنيه الأخيرة حتى أنه بانطفاء مصباح حياته ذبل معه العصر الذهبى للدولة الحديثة، وراح يترنح نحو الهاوية السحيقة .

فن التصوير الجنازى فى مقابر الشعب فى عهد « رعمسيس الثانى »

كثيرا ما يمثل المؤرّخون عهد حركة الإصلاح الدينى التى قام بها « إخناتون » بتصدّع جيولوجى أصاب مجرى التاريخ المصرى المستقيم، ولكن من وجهة الفن لا يمكن أن ينطبق هذا القول على التغيرات التى ظهرت منذ بداية الأسرة التاسعة عشرة أى منذ ختام القرن الرابع عشر، بل إن أقل ما يقال عنها إنها تطوّر، وذلك لأن هذه التغيرات التى حدثت فيه كانت ثابتة عميقة الصبغة اللهم إلا إذا كنا نقصد بكلمة تطوّر شيئا يدل على العنف مما يجعله عرضة للزوال والفناء .

والواقع أننا إذا أردنا أن نتناول بالبحث كل الصور التى خلفتها لنا مدنية هذا العصر أو نقتصر حتى على فنى النحت والتصوير كان لدينا محصول جدير بالتقدير العظيم الذى يرفع من شأن هذا العصر الجديد فى هذه الناحية من الحضارة . ولكن عندما نتناول الفنون الجنازية بالبحث كشفت لنا النتيجة عن انحطاط مشين، إذ نجد أن الإنتاج الدال على حسن الذوق فى المقابر التى لا تزال حافظة لألوانها ممثلة طراز عصر الرعامسة بصورة بارزة معدوم لحد ما، وأن جدران المقابر قد كدست بصور أكثر مما يجب أن تحتويه .

ولا يمكننا أن نتحدّث هنا عن الأسباب الأصيلة التى أدّت إلى هذا الانحطاط فى التصوير الجنازى، كما لا يمكننا أن نشرح هنا الطريقة التى بها أخذ سلطان

الأشكال الفنية الجديدة يحتل مكانة قوية ، وأخيرا ليس فى الإمكان هنا أيضا أن نفصل القول عن مقدار ما كان لمدرسة «إخناتون» الفنية البغيضة فى أعين الشعب وقتئذ، ولا عن أثر بقايا تقاليد مدرسة الفن الطيبية القديمة فى تكوين طراز الفن الجديد الذى ظهر فى عهد « رعمسيس الثانى » ، إذ أن كل ذلك خاص بكتب الفن المطـولة ، وقد تحـدثنا عن ذلك فى مناسبات مختلفة بقـدر ما سمحت به الأحوال ، وكل ما يمكن التنويه عنـه هنا هو أنه على أثر انتصـار « إخناتون » أخذ أتباع الإله «آمون» بعد أن حرم عليهم تزيين مقابرهم بصور الطراز القديم، يجدون لأنفسهم منفذا لاظهار شعورهم الدينى من طريق أخرى ؛ وقـد كان أهم مظهر لذلك تزيين أوراق البردى التى كانت تدفن معهم بكل تعاويذهم وأساطيرهم السحرية والدينية، وقد كان يساعدهم على استحضار الصور اللازمة لهـذا الغرض الكهنة الذين كانوا لا يزالون على الولاء لإلههم «آمون» حتى أنه لمـا عادت المياه الى مجاريها برجوع الدين القديم الى ما كان عليه من قوة وسلطان كان لهذه الصور أكبر الأثر فى التصوير الجنازى الذى كان يرسم على جدران المقابر.

ولمـا لم يكن هـذا الأثر من الأشياء التى نتجت عن طموح فنى إنسانى مشبع بالروح الدنيوى ، وكذلك لم يكن قد نما وترعرع فى أحضان الحياة العامة ، فإنه قد ترك الفن الجنازى راكدا جافا الى أقصى حدّ، ولا نستثنى من ذلك إلا تلك الصور الخاصة التى كان يقوم بتصويرها المفتن ، وهى التى كان ينقلها من عالم الدنيا الى مناظر أخرى خاصة بعالم الآخرة، فكان يصوّر لنا حقول الجنة أو الحديقة التى يجمع فيهـا بين الإله والناس . والواقع أن تحديد مجال صور المفتن على هـذا النمط كان ضربة مميتة للفن . ولسنا ننكر أن عمل الرسام المصرى كان يجرى على حسب خطط موضوعة وتقاليد مرعية ، غير أنه على الرغم من كل ذلك كان يستند فى إبراز صوره إلى حدّ ما على قوة الملاحظة . وهنا يتساءل الإنسان أى إلهـام يستطيع المفتن أن يجـده فى رسم الإلهة والشياطين المختصين بعالم الآخرة أوفى أثاث المعبـد الجنازى والشعائر الدينية،وفى دمى أسرة رب المعمل ؟ ومع ذلك بين ما ذكرنا أشياء عارضة

هامة تصادف الرسام تصوّر فى معظم الأحيان بهيئة شيقة ، إذ نجـد فى كثير من المقابر التى صوّرت بصور مظلمة مثـل مقبرة « جوى » ومقبرة « وسرحات » ، صورا أخرى تصل إلى حدّ الجمال والإشـعاع ، وذلك عندما يتناول المثال منظرا تمثيليا يقوم فيـه الفرعون بدور البطل ، غير أن هـذه المناظر أخذت فى الاختفاء بصورة بينة .

أما الميزة الحسنة التى برزت فى الفن الجديد فقد ظهرت فيما ناله المفتن من حرية فى إخراج صورة فى بادئ الأمر كما ذكرنا من قبل ؛ فلم يكن المفتن فى هذا العصر مجبرا على السير على حسب نماذج قديمة لها أوضاعها ونسبها الخاصة ، كما أنه لم يكن مقيدا فى رسم خطوطه على حسب قوانين الفن القديم ، إذ كان فى استطاعته فى هذا الوقت رسم الأشكال دون أن يضع هياكلها مرتبطا بلون خاص وفى حدود معينة . ولا نزاع فى أن التخلص من هذه القيود الضيقة كان يفسح المجال للرسام فى إبراز صورة جميلة إذا كان المفتن قـد تربى على حب الجمال بدلا من تمرين مواهبه فى إصدار صور تقليدية وحسب . وهذه الحرّية كانت بمثابة مجال واسع لتقدّم الفن ، غير أن المدارس التى كانت تلقنه لم تكن قادرة على الاستفادة من فك قيود المـاضى عنها ، وقد كان من جراء ذلك أن انقلبت النتيجة إلى تراخ وعدم دقة ، واستغلال التحلل من القيود القـديمة فى تغطية كثير من الأخطاء وعدم الكفايه فى الفن . وعلى أية حال فإن الغريزة قد حوّلت الفن القديم إلى وحدة متزنة ؛ ولا نزاع فى أن الفن الجديد كان غير متناسق وذلك لأن الحرّية التى أعطيها فى استعمال خطوطه تطلبت إعادة توزيع اللون ، ومن ثم نجد أن المصوّر قد نال إعجابنا فى إخراج الصور المختصرة المرسومة بالحبر ولكنه فى تصويرها بالألوان لم يتعدّ رسم هيكل صورته بخطوط سمجة خشنة .

سخاء المفتن فى استعمال الألوان : ولدينا مظهر آخر يبرز أمامنا فى صور هـذا العهد وهو استعمال اللون بسخاء ، فقـد كان المفتن المـاهر يسمو أحيـانا فى اسـتعمال الألوان إلى حدّ الجمـال ، كما أنه فى أحوال كثيرة أخرى كان يسيء

استعمالها إلى حدّ القبح والانحطاط الفنى . ففى كهوف « طيبة » الغربية المظلمة نلاحظ أن الرقعة القانونية الخاصة بأمثال هذه الصور كانت كبيرة، ولكن مفتن عصر الرعامسة كان يفلح دائما فى تجاوزها . وقد كان مما يزيد فى جمال هذه الصور وضع اللون الأبيض الناصع بدلا من اللون الأبيض الهادئ، غير أن ما أعطى باليمين كان ينتزع بالشمال ، وذلك لأن إضافة تفاصيل فى الصور قد أصبح وقتئذ ضربا من الجنون ، وبخاصة أنها كانت إضافات مرتبكة تدل على جهل ، فنجد أن عمدا مخصصة لكتابة المتون التى تعدّ بمثابة زخرف قد تركت خالية أو لوّنت كلها بلون واحد . ولا نزاع فى أن الألوان الأساسية عندما تكون زاهية ومحاطة بإطار أسود لا تعطى العين المتعبة أية راحة، وهذا ما نشاهده فى المقابر الفقيرة حيث نجد أشكالا ثابتة متشابهة لوّنت بالألوان الحمراء والصفراء القبيحة المنظر . ولكن عندما تكون الألوان أكثر اتزانا — ونجد أن الألوان الزرقاء المعدنية، وكذلك الخضراء تختلط بالألوان الزاهية، فإنه يصير من الممكن أن يفلح المفتن فى إبراز صورة جميلة، وهذه هى الحالة بوجه عام فى بعض الإطارات النباتية التركيب، وكذلك فى مناظر السقف الجميلة التى من خواص هذا العهد . وقد كان غرام المفتن بالأعشاب ورسم الشجر بصورة طبعية ، من مكاسب هذا العهد فى الفن ، والأمثلة لدينا كثيرة فى مقبرتى « وسرحات » و « أبى » وقد تحدّثنا عنهما فيما سبق (راجع ص ١٧٦) .

مظاهر الضعف فى الرسم فى هذا العهد : ومن المساوئ الرئيسية التى نشاهدها فى مدرسة فن عصر الرعامسة طريقة تحضير الجدران للرسم عليها ، فقد كان أهم ما يصبو اليه المثال فى إبراز صورته أن تكون رخيصة مبهرجة فى مظهرها ، ومن ثم نعلم أنه لم يهتم بالإشراف على تأليف الرقعة التى كان سيضع عليها رسمه ، ولو وفق فى ذلك لكان خيرا لإبراز مهارته ؛ ولذلك لم نعد نشاهد تلك الرقعة الفاخرة التى كان بناءو عهد الأسرة الثامنة عشرة يحضرونها بإتقان وفن لدرجة أنها لو سقطت على الأرض وكسرت وديست بالأقدام فإنها لم تفقد شيئا من جمالها .

وعلى العكس نشاهد أن طبقة الطين التي كانت توضع على الجدار فى عهد الرعامسة كانت تخلط بالقش الخشن الذى كان يجتذب الحشرات القارضة ثم تدهن بطبقة رقيقة من اللون الأبيض أو اللون الأصفر الذى كان يمحى بمجرد أى احتكاك أو رطوبة تصيبه ؛ ولذلك نجد، كما هى الحال فى أى عمل نفذ بإهمال، أن أى قبر مخرب من عهد الرعامسة يكون منظره محزنا . يضاف إلى ذلك أن الألوان التى كانت تستعمل فى تلوين الجدران لم تطحن بدقة وتخلط بمادّة تكسبها تماسكا وليونة وثباتا .

وقد كان من الجائز أن نعتبر حذف المفتن للتون المفسرة — وهو أمر ظاهر فى صور عهد الرعامسة — كسبا حقيقيا إذا جعل المصوّر المنظر فى هذه الحالة يتحدّث عن نفسه ولا يحتاج الى تفسير كتابى ، غير أن المفتن كان لا يهتم أحيانا بالموضوع الذى يمثله فتجىء النتيجة عكسية . فالصلوات والصور التى تمثل الأعمال الخارقة للمألوف كانت من نصيب لفافات البردى ، أما المناظر التى كانت تصوّر على الجدران فلا تحتوى إلا صورا مكبرة من عناوين مصوّرة من كتاب الموتى وغيره، أو صورا بمثابة حلية تلوّن بالألوان الزاهية . والواقع أن المتوفى ليس له تاريخ ينقش فى المقبرة وقتئذ ، وكل ما نعرف عنه أنه كان مؤسس الأسر، وأولاده هم خدّامه الأقوياء . وقد كان ينتج عن عدم الدقة فى الغرض والتنفيذ عدم الدقة فى التعبير، ولذلك لا يمكن الاعتماد على مقابر عهد الرعامسة فى إمدادنا بوثائق صادقة للحوادث أو لشكل الأشياء المصوّرة ولونها .

خواص أخرى لهذا العهد : ويلاحظ أن المادة فى مقابر عهد الرعامسة لم تكن موحدة ولم توضع على حسب فكرة مرسومة من قبل بالدرجة التى نلحظها فى المقابر التى قبل هذا العهد، إذ نجد أن المادة كلها كتلة من الموضوعات كان هناك بعض سبب لرسمها على جدران المقبرة. من أجل ذلك كان حذف بعض الاقتباسات من المقابر التى من قبل عصر الرعامسة يفقدها شيئا من قيمتها، ولكن إذا حدث ذلك فى عهد الرعامسة أعطى الصورة ميزة بارزة، ولما كان الرسم الذى يمكن فصله عن

الأصل، وكذلك التفاصيل المزدحمة فى الصور تحتاج إلى رقعة أوسع كانت الصور التى ترسم بمقياس كبير أكثر جاذبية وأبهى منظرا . ولكن على العكس من ذلك إذا كبر مفتن عصر « رعمسيس الثانى » صورة صندوق « توت عنخ آمون » المنقطعة النظير (وهو الذى صور عليه مناظر الصيد والحرب) خمسين مرة على حسب طريقته التى يظهر فيها الظلال المتغيرة فى الأشكال المحفورة بمثابة صور مختصرة ، والصباغات الخشنة شعر الإنسان بأنه قد نزل بهذه الأشكال إلى الحضيض ، وإذا وازنا بين صور المنظرين عددنا الأولى جواهر والأخرى إعلانا عنها .

ومن الممكن الحط من قيمة تصوير عصر الرعامسة بسهولة لقلة الأمثلة التى حفظت لنا فى حالة جيدة ، على أن عدم بقاء الكثير منها فى ذاته يعد من مساوئ هذا الفن . ولكن من جهة أخرى نلحظ أن الميول الحديثة فى الفن قد تميل إلى مظاهرة التجارب التى ظهر أنها خائبة بنسبة تسعة من عشرة ، ومن باب أولى نستطيع أن نرحب بمثل هذا الحكم فيما يخص الفن القديم ولا سيما أن التجربة الوحيدة الناجحة تكون بمثابة تخفيف وراحة للنفس من تلك الأشكال المتشابهة التى تتوالى أمامنا فى صور العهد القديم .

وإذا كانت هذه هى مظاهر فن الرسام بعد عهد الإصلاح وقبل القضاء عليه تماما، فإن هناك كذلك عهد انتقال قصير تضمن حكم « رعمسيس الثانى »، وقد كان فى خلاله أثر مدرسة «إخناتون» الثابت على التصوير فى عهد الرعامسة مضاعفا إذ نقل ما فيه الكفاية من الموضوعات الإنسانية والغرائز الفنية الرفيعة فأتيحت له أعمال ذات قيمة عظيمة فى ذاتها وزاد إضافات جديده للأشكال المحددة التى دونها لنا التاريخ المصرى . وكل ذلك يمكن مشاهدته فى مقبرتى « وسرحات » و « وإبى » اللتين تكلمنا عنهما ببعض التفصيل فيما سبق لأنهما هما عنوان فن التصوير فى هذا العهد (راجع ص ١٧٦ — ١٩٧) .

الجعارين فى معتقدات الشعب فى عصر الرعامسة الأول

وجد للفرعونين « سيتى الأول » وابنه « رعمسيس الثانى » عدد عظيم من الجعارين منقوش عليها اسمهما وألقابهما ، كما نقش على جعارين أخرى من هذا العهد عبارات قصيرة تشير الى حوادث تاريخية أو رموز دينية شائعة فى معتقدات القوم مؤرخة باسميهما .

والواقع أن هذه الجعارين كانت على جانب عظيم من الأهمية فى تحديد بعض الحوادث التاريخية الغامضة أو تأكيد الحوادث المعلومة للباحثين فى تاريخ الكنانة ، ولذلك رأينا لزاما علينا قبل أن نستعرض بعض هذه الجعارين وما عليها من نقوش أن نضع هنا مختصرا بسيطا عن معنى هذه الجعارين من حيث المعتقدات الدينية وكيف أصبحت لها قيمة تاريخية ، وسنضرب صفحا هنا عن استعمالها أختاما للعامة والخاصة .

استعمل المصرى منذ فجر التاريخ أسطوانات من الطين المنقوش لختم الأشياء التى كان يريد المحافظة عليها من أيدى العابثين كأوانى الخمر والزيت وغيرها ، ولكن على مر الأيام لاحظنا أنه استعمل بدلا من هذه الأسطوانات أختاما فى هيئة جعارين (١) ، ولا نعلم حتى الآن على وجه التأكيد سر هذا الانتقال ؛ هذا فضلا عن أننا لا نعلم ما للأسطوانات من أهمية دينية أو سحرية ، فى حين نعرف أن الجعران كان يعدّ فى نظر القوم تعويذة قوية المفعول ، والواقع أن الجعران أو الجعل الممثل فى الحجر أو القيشانى كان يعدّ فى نظر أفراد الشعب المصرى ممثلا لإله الشمس الخالق لكل شئ والموجد لنفسه ووالد شخصه ، ولذلك كان يطلق عليه «خبرى» أى الخالق . وكلمة جعران تقابل فى المصرية « خبر » وهى مشتقة من الفعل خلق أو أوجد أ لخ .

وتدل شواهد الأحوال على أن هذا الإله كان فى الأصل إلها مميزا عن الإله « رع » إله الشمس فى مدينة « هليوبوليس » ، ومن المحتمل أنه كان معبودا

---

(١) عثر على أقدم جعل من عهد الأسرة السادسة فى العرابة وهو محفوظ فى المتحف البريطانى (No. 49336) ومصنوع من العاج .

شمسيا أصليا مميزة عبادته عن عبادة « رع » الذى كان مقره الدلتا . وعلى أية حال فنجد فى عهد الدولة الحديثة أن «خبرى» كان أحد مظاهر الشمس فى خلال اليوم، إذ كانت الشمس فى الصباح «رع» ووقت الظهيرة «خبرى» ووقت الغروب تدعى «.آتوم » على وجه التقريب .

وقد لفتت عادات الجعل الخاصة منذ القدم نظر المصرى، فزعم أن فى دحرجة هذه الحشرة لكرة الروث العظيمة التى ترى أمامه كثيرا على الأرض تفسيراً لدحرجة إله الشمس كرة الشمس العظيمة فى عرض السماء . وقد قال القوم إن القوة التى تحرك كرة الشمس فتدحرجها قد مثلت على الأرض فى الجعل ، ولذلك أطلقوا على إله الشمس اسم «خبرى» ، يضاف إلى ذلك أعجوبة أخرى خاصة بطبائع الجعل أضفت عليه أهمية بعيدة المرمى عظيمة التأثير فى عقول سكان وادى النيل الأول . وذلك أنه كان يخرج من كرة الروث التى كان يدحرجها الجعل أمامه جعرانا صغيرا عندما كانت تحل ساعة فقسه . وهذا الرأى العتيق وجدناه فيما كتبه الكاتب «هورابولو» ، غير أن الكاتب « فبر » قد برهن أن هذا الرأى خاطئ من أساسه (راجع M. J. H. Fabre, Souvenir Entomologique V. (1897) pp. 1—85.) إذ يقول : إن الكرة التى يدحرجها الجعل على الأرض لم تكن وظيفتها إلا طعاما لهذه الحشرة ، وكانت تتغذى بها فى جحرها . أما البيضة التى تضعها أنثى الجعل فكانت فى كرة من الروث أيضا ، ولكن كانت كمثرية الشكل ، ولا ترى قط على ظهر الأرض إذ كانت الأنثى تحضر هذه الكرة وتضع البيضة فى الجحر ، وكان الروث الذى يحيط بها بطبيعة الحال وظيفته إطعام الدودة فى بادئ تكوينها

والواقع أن المصرى لم يلحظ ذلك ، بل فكر أن الجعل قد خرج من الكرة التى ترى على ظهر الأرض بصفة جعران صغير . ومن ثم ظنّ المصرى القديم أنه ليس هناك فرق بين ذكر الجعل وأنثاه ، فكانت كل الفصيلة فى نظره تدحرج كورها المصنوعة من الروث أمامها وتحمل فيها صغارها ، وعلى هذا زعم المصرى القديم عندما رأى

الجعران الصغير خارجا من الكرة أن فصيلة الجعران كانت كلها ذكورا وحسب، وأن الجعل قد خلق أولاده بدون أنثى ، أى أنها قد جاءت من كرة الروث التى وضعها هو نفسه . وعلى أية حال فإن الفكرة القائلة إن خالق الشمس كان خالقا لنفسه قد علقت بذهن المصريين الأول ، ومن ثم أصبح الجعل مصدر فكرة تكاثر ونمو فى العقائد الدينية . ومن الغريب أن الفكرة القائلة بإن الجعل لا يضع إلا بيضة واحدة قد اتخذها الكتاب المسيحيون وسيلة تيسر لهم القول بأن الجعل فى خلقه ما هو إلا طراز للسيح، أى أنه ابن الإله الذى لم يلد غيره . ولا غرابة فى ذلك فقد وجدنا الكتاب ينعتون المسيح أحيانا بالجعل الطيب أو جعل الإله (راجع St. Lukés Gospel. Budge The Egyptian Mummy P. 233 n. 1).

ولدينا فكرة أخرى يظهر أن لها علاقة بالجعل فى الأزمان المتأخرة وهى فكرة حياة الإنسان ثانية فى عالم الدنيا . ولكن مما لا شك فيه أن المصرى منذ أقدم عهوده لم يقرن الجعل بأية فكرة تدل على تجديد الحياة على الأرض، بل كان اعتقاده ينحصر فى تجديد الحياة فى العالم السفلى ولذلك يوضع « جعل القلب » (أى الجعل الذى كان يحل محل قلب المتوفى) من الحجر وهو رمز للحياة المتجدّدة بدون مساعدة لأن فصيلته كانت تلد نفسها بنفسها بدون مساعدة بخروج الجعل بكثرة من الكرة التى كان يدحرجها أمامه كما ذكرنا . وكان الجعل يمدّ نسله بالحياة كما تمدّ بنى الإنسان كرة الشمس التى تتدحرج فى عرض السماء، وعلى ذلك كان المصرى يرجو بعد وفاته بمساعدة الجعل الذى يوضع فى مكان قلبه أن يكون نصيبه محاكمة عادلة فى قاعة العدل المزدوجة التى كان يحاكم أمامها يوم الحساب ، وكذلك كان يرجو ألا تكون قوى الشر التى فى العالم السفلى حربا عليه ، وأن تكون نتيجة وزن قلبه أمام حراس الميزان مرضية . غير أن هذا الأصل فى محاكمة عادلة وحياة مجدّدة فى العالم السفلى قد بدأت فكرته تبدو مرتبكة بدخول فكرة أجنبية عن تجديد الحياة على هذه الأرض، وقد زاد فى ارتباكها ثانية فكرة المسيحيين حول بعثهم بأجسامهم الأصلية يوم

القيامة . وهذا هو ما حدى بهم الى القول بأن المسيح هو الجعل وأن الجعل هو رمزه (راجع Hall. Catalogue of Egyptian scarabs p. XIX) .

وقد أصبح الجعل منذ أن استعمل خاتما أو تعويذة للوقاية موحدا بخرافات مختلفة خاصة باسم الإنسان . والنقوش التي نقرؤها على كثير من الجعارين شواهد عدل على تأثير مثل هذه الخرافات على عقل المصرى . وعلى وجه عام يظهر أن الجعارين الصغيرة قد أخذت تعدّ بمثابة تعاويذ أكثر منها أختاما ، ولذلك كان يظنّ أنها تحمى حاملها من كل أنواع الأذى فى هذه الحياة الدنيا وفى الآخرة ، وفى الوقت نفسه إذا كانت حسنة النقش والتنسيق كانت تجلب السعادة كل السعادة لحاملها . فنجد مثلا على جعران نقشا يتضرع فيه للإله أن يمنح صاحبه « بداية سنة سعيدة » ، كما نجد أن بعض السيدات كنّ يتزين بالجعران ليرزقن غلمانا ، وكان الرجال يلبسون الجعل لأجل أن تبقى أسماؤهم على الأرض وتخلد بيوتهم ، وكان الحجاج الأتقياء يلبسونها لتضمن لهم سياحة سعيدة لبيت الإله « آمون » بالكرنك ، وأحيانا نجد مكتوبا على الجعل بكبرياء ما يشعر بأبدية مدينة «منف» مقر الإله «بتاح» . ويلاحظ أن الإلهين الذين كان المصريون يخصونهم بالذكر والتضرع اليهم فى نقوش الجعارين هما الإلهان« آمون رع» والإله «بتاح» ، وقد كان التضرع منصبا على طلب حفظ حامليها من الأذى ؛ وكذلك نجد أن التضرع للالهة « باست » إلهة «تل بسطة» (وتعدّ بنت «رع» وعينه) والإله « خنسو » الذى كان يمثل القمر وابن « آمون» كان شائعا عند عامة القوم ولذلك كان وجود اسم أى إله من هذه الالهة تعويذة قوية المفعول . هذا ونجد بدرجة أقل أسماء الإلهة «موت» (زوج« آمون») والإلهة «بوتو» («وازيت» إلهة الوجه البحرى). والإلهة«إزيس» ممثلة حاملة ابنها «حور» الطفل . أما الإله «أوزير» إله الموتى فلم يظهر على الجعارين إلا نادرا ولم يرقط اسمه على جعارين صغيرة ، وهذا يدل على أن الجعارين الصغيرة العادية الاستعمال كان الغرض الأول منها هو حماية الأحياء

لا الموتى . ولم يظهر شخص « أوزير » إلا على جعارين القلب التى كانت توضع على قلب المتوفى .

وكان الجعل بوصفه شيئا دينيا يمثل فى صورة الإله « خبرى » غالبا فى أوراق البردى الخاصة بكتاب الموتى وكذلك على جدران المقابر والمعابد ، فكان الإله «خبرى» يمثل فى صورة جعل برأس إنسان أحيانا ، وأحيانا أخرى يمثل بصورته الأصلية بوصفه معبودا (راجع Book of the Dead C6ap. XXX.) ، يضاف إلى ذلك أن الجعارين الضخمة المصنوعة من الحجر كانت تنصب فى المعابد . ولدينا أمثلة منها معبد الكرنك وفى «المتحف البريطانى» وبخاصة الجعران رقم ٧٤ وهو من الجرانيت الأخضر ويبلغ طوله خمسة أقدام ، وارتفاعه قدمان وتسع بوصات ، وعرضه قدمان وعشر بوصات ، وكذلك جعران آخر باسم رعمسيس الثانى» (رقم ١٢٣١) ويبلغ طوله قدمان ، وارتفاعه قدم واحد .

الجعارين وأهميتها التاريخية :

والأهمية الأخرى للجعارين تنحصر فى علاقتها بالتاريخ المصرى . وترجع مكانتها التاريخية كذلك للدور الذى تقوم به فى الديانة المصرية . وذلك أن اسم الفرعون الحاكم كان يعد من أهم القوى الحافظة من الشر عند المصريين ، وقد كان ينعت بالإله الطيب لأنه ابن الشمس ، وكان عند توليه العرش «يظهر» مثل «رع» بين هتاف رعيته وفرحهم لأنه كان يحكمهم على حسب نظام « ماعت » فيمنحهم به الحياة الرخية ، وعلى ذلك كان الاسم الملكى يظهر عادة على الجعارين وفيه من القوة ما فيه ونلحظ أن كل فرد فى حيازته جعارين عليها اسم فرعون يفتخر بعظمة بأنها كانت فعلا فى الأصل لملك من هؤلاء الملوك الذين كتبت بأسمائهم . والواقع أن هذه الجعارين إذا استثنينا منها عددا قليلا لم تكن ملكا لهؤلاء الفراعنة . والحقيقة فى ذلك أن اسم الفرعون الحاكم كان ينقش على الجعارين بصفة تعويذة كما كان يوضع اسم الآلهة عليها ، ويشمل ذلك الملوك المتوفين مثل الملك «منكاورع» و«تحتمس

الثالث » و«أمنحتب الثـالث » و «رعمسيس الثانى» وهم الذين أصبح الشعب يعبدهم فى حياتهم أو بعد مماتهم لـما لهم من مكانة ممتازة فى أعينهم .

الجعران فى الفن : يمكن الموازنة بين الطرائف الصغيرة والعملة اليونانية القديمة التى كانت تعـدّ بمثابة عالم مصغر عند الإغريق بما عليها من صور ونقوش وبين الجعارين المصرية القديمة وما عليها من نقوش وصور ورسوم، وأنها كانت تعدّ كذلك عالـما مصغرا تكشف عن كثير من أحوال الشعب المصرى . ولا نزاع فى أن دقة صنع الجعارين أو خشونة نحتها يدل دلالة قاطعة على ما كان عليه القوم من مهارة أو انحطاط فنى، وذلك كالأشياء الأخرى التى نعلم منها تطوّر الفن .

وقد كانت المـادة المختارة التى تصنع منها الجعارين هى حجر استياتيت المطلى أو من القيشانى، كما كانت تصنع من حجر الدم، والجمشت، والفيروزج، والسام، والفضة، والذهب، واليشب، والبازلت، والزجاج، وغير ذلك من الأحجار المصرية .

ويدل ما لدينا من الجعارين التى بقيت من عهد « رعمسيس الثانى » ووالده « سيتى الأوّل » على أنها كانت مصنوعة من حجر استياتيت الأزرق والمـائل للخضرة المطلى ومن القيشانى الأزرق وحجر اليشب ذى اللون الأحمر، ومن اللازورد وغيرها مما ذكرنا من الأحجار المعادن . وكذلك صنعت الجعارين والألواح الصغيرة التى عملت لزوجه «نفرتارى» (راجع Hall. Cat. scarabs no. 2206-2263) . وزجه «ماّت نفـرو رع » بنت ملك « خيتا » من هـذه الأحجار . وكان ينقش عليهـا فى غالب الأحيان إما اسم « رعمسيس » ولقبـه أو لقبه فقط ومعـه نعت أو صفة من صفات الفرعون . فعلى الجعران رقم ٢١٥٧ « بالمتحف البريطانى » تقرأ : « وسر ماعت رع محبوب آمون الأسـد القوى » ، و « وسر ماعت رع ستبن رع محبوب حتحور سيدة عين رب الأرضين » .

وكان «رعمسيس الثانى» يجرى على سنن أسلافه فى عمل الجعارين التذكارية لتخليد حادثه معينة . فنجد مثلا أنه صنع جعرانا تذكاريا بمناسبة عيده الثلاثينى

الثامن (Ibid 2117) ،وقد جاء عليه «سيد العيد الثامن الثلاثينى رب الأرضين وسر ماعت رع ستبن رع » (رعمسيس الثانى) . أو كان يصنع جعلا تذكارا لإقامة معبد فتقرأ مثلا على جعل : "تأسيس المعبد الذى أقامه أثرا «لآمون»"(يقصد معبد «آمون» بالكرنك) . كما كان يعمل لوحات صغيره تحل محل الجعل لتخليد حادث معين مثل اللوحة التى ذكر عليها زواجه من بنت ملك « خيتا » كما أشرنا إلى ذلك من قبل، وكان يقلد فى ذلك ملوك الأسرة الثامنة عشرة وبخاصة «أمنحتب الثالث» .

ومن الطريف أن « رعمسيس الثانى » كان لا يعدّ نفسه ابن إله مثل الملوك السابقين وحسب، بل كان يعدّ نفسه إلها ، فقد وجدنا منقوشا على جعل له « ليت الشمس « وسر ماعت رع ستبن رع » يفلح أرواح كل أرض » ومن المحتمل أنه فى هذه الحالة قد استعمل لفظة الشمس لتعبر عنه تشبها بملك « خيتا » الذى كان يدعى الشمس (راجع Ibid 2120) .

وكثيرا ما كان يظهر اسم الإله « بتاح » مع اسم « رعمسيس الثانى » على الجعارين، فيشاهد « رعمسيس » متعبدا لهذا الإله ، مقدّما إياه القرابين (راجع Ibid 2198) . يضاف إلى ذلك أنه كان يظهر مع الإله « آمون » فى صورة « بو لهول » برأس كبش (راجع Ibid 2227—2232) . ولا غرابة فى ظهوره بهذين المظهرين ، لأن الإله « بتاح » كان أعظم آلهة الدلتا مسقط رأس هذا الفرعون كما كان آمون أعظم آلهة الدولة جميعا .

وكانت الجعارين تقلد فى عهد « رعمسيس الثانى » على نمط جعارين عهد الهكسوس وكان الغرض من ذلك على ما يظهر إحياء وعبادة الإله «ست » معبود الهكسوس ، وهو الذى كانت تنتسب إليه ملوك هذه الأسرة كما أسلفنا (راجع Ibid 2234) .

وقد كان «لرعمسيس الثانى» شهرة عظيمة بوصفه قائدا حربيا ، غير أن ضخامة شهرته كانت تتضاءل أمام عظمة « تحتمس الثالث » وشهرته ، ولذلك لم نجد له

جعارين كثيرة مكتوبة بعد عهده كما وجدنا «لتحتمس الثالث»، ولكن مع ذلك عثر له على جعارين نقش عليها لقبه (راجع Ibid 2251 p. 226) يرجع تاريخها الى عهد الأسرة السادسة والعشرين، كما وجد له من نفس العهد لوحة صغيرة كانت مستعملة تعويذة كتب على أحد وجهيها : "إنى خادم الإلهة «باست»" (القطة)، كما نقش عليها اسم الإله «آمون» فى صورة مسلة . وعلى الوجه الآخر طغراء «رعمسيس الثانى» وقد عثر على هذه اللوحة فى «نكراتيس» (كوم جعيف الحالية) وتنسب للأسرة السادسة والعشرين أيضا .

وكان من خواص جعارين عهد الرعامسة الأول تحلية إطاراتها بحلقات صغيرة وربما كان ذلك تقليدا لعهد الدولة الوسطى المتأخر وعهد السكوس (راجع Ibid 2237—2241) .

ولدينا طراز آخر من الجعارين يمثل فيه أمامنا شغف ملوك الأسرة التاسعة عشرة «بتحتمس الثالث»، فقد كان كل من «سيتى الأول» وابنه «رعمسيس الثانى» يقرن اسمه باسم هذا الفرعون على الجعارين (راجع Ibid 2091—2093). كما نجد كذلك الأجيال التى تلت عهد «سيتى الأول» تقرن اسمه وكذلك اسم ابنه «رعمسيس الثانى» باسم «تحتمس الثالث» الذى كان اسمه يعدّ أقوى تعويذة فى أعين المصريين كما نجد جعارين نقش عليها اسم كل من «سيتى الأول» و«رعمسيس الثانى» (راجع Ibid 2052-75; 2083-2089) .

وقد وجدنا «لرعمسيس الثانى» بعض جعارين كبيرة خاصة بتأسيس عاصمة ملكة أشرنا إليها فى سياق الكلام عن «بررعمسيس» حاضرة ملكه التى أسسها فى الدلتا، وكذلك وجد بعض الجعارين بأسماء بعض أفراد أسرته وهى كثيرة ويطول الحديث عنها .

الأدب فى عهد الاسرة التاسعة عشرة

لقد اتخذ الأدب وجهة جديدة فى عصر الدولة الحديثة على وجه عام غير التى كان يسير فيها قديما، فقد كانت مادة الأدب إلى هذا الوقت اللغة الفنية العالية فى كل

ألوانها كالقصص والأمثال والحكم والتأملات، وقد كانت هـذه اللغة تقترب من لغة المحادثة إذا تناولت وثائق حيوية أو صوّرت قصصا شعبية .

أما فى العصر الحديث فقد احتجبت اللغـة الفنية ولم يعـد أحد من الشعب يفهمها أو يستسيغها ، وقد كان أوّل ظهورها بشكل بارز فى عهد « اخناتون » ، فقد بدأ القوم يكتبون الشعر بلغة العـامة ، وقد ألفت بهذه اللغة أنشودة الشمس التى تضم فى طياتها منهاج الإصلاح الدينى الذى تحدّثنا عنه فى الجزء السالف مليـا (راجع الجزء الخامس ص ٣٠١)، ولقد استقرّ نظام الكتابة بلغة العامة وكتب له البقاء، وفى عهد الأسرة التاسعة عشرة ظهر أدب قوى مكتوب بتلك اللغة الجديدة التى أطلقنا عليها «المصرية الجديدة» فكتبت بهـا الرسائل والقصص والعـلوم وشعر غزلى ودينى ودنيوى، وكذلك المكاتبات الحكومية عامة، وقد بقى للمدارس خطرها كذلك فى عهـد المصرية الحديثة ، ولكن أساليبها دبت فيهـا الحياة بقدر ما ذاق المصريون من حلاوة الحياة فى هذا العصر ، إذ رأوا الدنيا بعين الرضا فتعشقوها وشغفوا بها .

والأدب الحديث خلو من الأفكار العميقـة والبحوث الفلسفية إلى حدّ ما، وقد يسـوق الله إلينا كشفا جديدا يغير هـذا الرأى فإن حال مصر فى ذلك الوقت تدعو إلى نقيضه .

ولم تدم سيطرة اللهجة المصرية الجديدة على الأدب طويلا فإن الأدباء حنوا إلى العهود الأولى كما يحن كتاب عصرنا إلى عهد الشعر الجاهلى أو الشعر الأموى، فأخذوا يرصعون عباراتهم وينتقون لهـا أصفى الألفاظ والأساليب ، وقد زينوها بالألفـاظ الأجنبية على سبيل التظرّف أو إظهارا لتمكنهم من مادتهم ، وكان أبرز مثال فى هـذا البـاب هى المساجلة الأدبيـة التى يطلق عليها الآن اسم ورقة « أنسطاسى الأولى » (راجع كتاب الأدب المصرى القـديم ص ٣٧٦) . وتعـد هذه الوثيقة من أروع ما كتب فى الأدب المصرى فى عهد الدولة الحديثة وتدل

شواهد الأحوال على أنها كتبت فى النصف الأوّل من عهد الأسرة التاسعة عشرة فقد وجدنا أن « رعمسيس الثانى » قد ذكر فيها عدّة مرات ، وقد عثر على عدّة « أستراكا » وقطع من البردى كتب عليها أجزاء من هـذه المناقشة وتاريخها كلها لا يتخطى منتصف الأسرة العشرين على أن مجرّد الاقتباس منها فى هـذا العصر لدليل ناطق على انتشارها فى مدارس عهد الرعامسة .

ومن يقرأ تاريخ الأدب فى هذا العصر يسهل عليه أن يعرف السبب فى شيوعها ، فنلاحظ أوّلا أن الموضوع الذى تدور حوله المناقشة هو حرفة الكاتب وهو الهدف الذى كان يرمى إليـه بخاصة كل تلميذ فى عصر الرعامسة إذ كانت تعدّ أعظم المهن وأشرفها ، فالمناقشة التى نحن بصددها الآن تعدّ من جهة نوعا من الكتابات التى كانت تفيض بها كتب هـذا العصر لحث التلميذ على الجدّ فى الوصول إلى حرفة الكتابة ، ومن جهة أخرى تعدّ نموذجا للأسلوب الحسن ولتعليم الإملاء لمـا ظهر فيها من غزارة المـادة وتنوّع المفردات ، يضاف إلى ذلك أن استعمال الألفـاظ الأجنبية بكثرة والتفاخر بالعلم واستعراض أسماء البـلاد الأجنبية غير المألوفة أحيانا يتفق مع ما نعرفه عن ميول هذا العصر الأدبية . وأخيرا نرى التهكم اللاذع منتشرا فى نواحى هذه الوثيقة ، ويرجع منشؤه إلى حب الأجوبة المسكتة عند المصرى وميله إلى التهكم ؛ ونرى ذلك واضحا فى المحاورات القصيرة التى نجدها مدوّنة فوق المناظر المصوّرة على جدران المقابر ، وفى الصور الملوّنة والتحف وفى الصور الهزلية التى بقيت لنا من رسومهم ، وكذلك الشأن فى أدبهم (1) ؛ غير أننا لم نجد فى كل هذه المصادر ما يشفى الغلة فى باب التهكم والنكت مثلما بدا فى وثيقتنا هذه .

ولكن مما يؤسف له أن الوثيقة فى صورتها التى وصلت إلينا لا يمكن ترجمتها ترجمة مرضية إلى أية لغة حديثة حتى ولو كنا أكثر تمكنا من مفرداتها مما وصلنا إليه الآن .

---

(١) راجع : Pap. Bibl. Nat. 198, 2 Spiegelberg Correspondence du. Temps des. Rois Pretres p 68-74.

والوثيقة كما هي غامضة فى كثير من جملها ، وذلك لجهلنا بكثير مما ترمى إليه الكلمات الحقيقية ، وقد زاد الطين بلة تعدّد الفجوات التى فى الورقة والأغلاط التى فى المتن نفسه .

ولكن على الرغم من كل هذا سيجد القارئ الشرقى فى هذه المناقشة لذة لا يشعر بها القارئ الغربى الذى لا يمكنه أن يتذوّق تماما ما فيها من النكات والمداعبات ، فضلا عن أنها تعرض أمامنا سلسلة صور هامة عن العالم المتمدين فى هذا العصر وبخاصة موضوع الرحلة فى فلسطين وإن بولغ فى تصويرها ووصفها .

وسنكتفى هنا بإعطاء ملخص لهذه الوثيقة التى وضعها « حورى » أما خصمه فيدعى « أمنموبى » ، وهذا ما اتفقت عليه كل النسخ التى وقعت تحت أيدينا (١) .

كان الكاتب « حورى » من حملة الأقلام ، وكان موظفا فى الاصطبلات الملكية ، وقد كتب لصديقه « أمنموبى » كتابا تمنى له الفلاح والحياة السعيدة فى الدنيا والآخرة .

وقد ردّ عليه « أمنموبى » مظهرا أسفه لهبوط مستوى كتابة صديقه مع عجز «أمنموبى» عن الانفراد بالردّ عليه واستعانته بكثير من المساعدين . وعندئذ قام «حورى» بدوره يصلى مساجله «أمنموبى» قوارص الكلم ولاذع التهكم مصرحا بعجزه مرة ومكنيا أخرى ، متتبعا ما عالجه « أمنموبى » من الأمور ، ومظهرا ما فيه من نقص ؛ ولم يكن « أمنموبى » بالكاتب المتحفظ الذى يلتزم أدب التراسل والمساجلة ، فإنه حذف السلام العادى من صدر رسالته ، وعبر عن احتقاره لمقدرة « حورى » وتمكنه من مادته ، فما كان من هذا الأخير إلا أن تهكم عليه ما وسعه التهكم ، وسرد أمثلة عدّة ، لأناس وصلوا إلى أعلى المراتب ، مع ما فيهم من نقص عقلى وجسمى ، وفى ذلك تعريض «بأمنموبى» الذى وصل إلى مرتبة سامية على غير كفاية رزقها .

---

(١) يجد القارئ ترجمة كاملة لهذه الوثيقة فى كتاب الأدب المصرى القديم الجزء الأول ص ٣٨٧ الخ .

واندفع « حورى » يردّ هجمات « أمنمو بى » بقسوة لاذعة وطلب أن يحكم بينهما الإله «أنوريس» ، وتابع تحدّيه لزميله بأن ينفرد بحل مسألة حسابية تتناول بناء مطلع أو نقل مسلة أو إقامة تمثال ضخم أو غزوة لبلد أجنبى وما تتطلبه من المؤن والذخائر .

وعندئذ ادّعى « أمنمو بى » أنه يحمل لقب « ماهر » فاتخذ « حورى » من هذا الادّعاء مادة لإثبات عجز منافسه وجهله ، فسرد على « أمنمو بى » عددا عظيما من بلدان شمال سوريا التى يجهلها ، وصوّر له المتاعب التى سيتعرض لها فى حياته بحمله هذا اللقب، ثم سأله ساخرا من ضآلة معارفه عن بلاد « فينيقيا » والبلاد التى إلى الجنوب منها و بلاد أخرى كان يختلف «الماهر» اليها، ثم تصوّر «أمنمو بى» فى صورة خيالية يقاسى فيها تجاريب الحياة التى يسببها له هذا اللقب فسيتعرض لاختراق أقاليم جبلية ولمخاطر الحيوان المفترس ولتحطيم عربته ثم وصوله إلى «يافا» و إصلاح العربة وابتداء رحلة جديدة .

ولم يكتف بذلك «حورى» بل واصل استجواب صديقه عن أسماء الأماكن التى تقع على الطريق العام الموصل إلى « غزة » فيتضح جهله كذلك بها .

و إلى هنا قد وصل «حورى» إلى هدفه من إظهار فوقه على مناظره، و يأخذ فى الإجهاز عليه بأن يقف منه موقف الناصح فيسأله ألا يغضب، و يطلب إليه أن يستمع فى هدوء حتى يتعلم و يستطيع التحدّث عن البلاد الأجنبية ويقص حوادث السياحة .

هذا ما حدث بين الأديبين و يؤسفنا أننا لم نصل أحيانا إلى الكنه الحقيق لبعض الأساليب ، لأن لكل أمة فى لغتها طريقتها الخاصة فى التعريض والتلويح والتلميح والرمز والإشارة ، وما إلى ذلك مما يكسب الكلمات معنى مجازيا قد يكون بينه و بين المعنى الحقيق مراحل واسعة . وعلى أية حال فإن ما جاء فى هذه الورقة يضع أمامنا صورة واضحة عن الميول الأدبية والعلمية فى هذا العهد .

و بجانب أمثال هـذه المساجلات التى تدل على العلم الغزير والاطلاع الواسع كان هناك نوع آخر من الأدب هو القصص . والواقـع أنه لم تصل إلينـا الحياة العقلية فى مصر سلسلة متصلة الحلقات حتى نتبعها من أوّلها الى آخرها ، ونسلط عليها أشعة البحث والدرس ، ونخرج منها بنتيجة نقطع بها ونؤمن بصحتها ، ولكنها وصلت إلينا و بها حلقات مفقودة ، فلا نستطيع إلا درس ما وصل إلينا و بناء أحكامنا عليه . والمتتبع لتـاريخ القصص فى الأدب المصرى لا يرى أمامه أى مثال للقصة فى الدولة القديمة ولا ما سبقها من العهود ، و إن كانت ظواهر الأحوال و إشارات متون الأهرام تدلنا على أنه كانت هناك أساطير وأقاصيص عن الآلهـة ، و يرجع عهدها إلى ما قبل التـاريخ ومن يدرى ! فلعل الأرض تبوح بسرها و ينشق جوفها عما نلتمسه الآن فلا نجده ، إن لم تكن عوادى الزمن قد طغت عليه .

أما القصص التى وصلت إلينـا عن عهـد الدولة الوسطى فإنه قصص ناضج يدل على أن هـذا الفن بلغ فى عهد هذه الدولة ذروته ، وقد ضربنا منه الأمثـال الكثيرة فى الجزء الثالث من هذا المؤلف (راجع مصر القديمة جـ ٣ ص ٢٠٤) .

و بعد عهـد الدولة الوسطى وجدنا بعض الركود على ما يظهر فى فن القصة ، فلم نعثر حتى الآن فى عهد الدولة الحديثة إلا على سلسلة من القصص بعضها تاريخى و بعضها خرافى محض ، ولكنها بسيطة فى موضوعها ، و يظهر أنها كانت تعدّ لتلق فى قصـور الملوك للتسرية عنهم فى أوقات الفراغ ، ور بمـا كان الغرض منها مجرّد الدعاية كما نرى فى قصة الملك « خوفو » والسحرة (راجع كتاب الأدب ص ٧٥) أو لإظهار الحق فى ثوب المنتصر على الباطل بسرد أعمالا عظيمة خارقة للعادة قام بها الآلهة وتنتهى بهذه النتيجة . وقـد كتبت كلها باللغة المصرية الحديثة أو اللغة العامة وكانت اللغة المستعملة وقتئذ كما ذكرنا آنفا .

فمن القصص التاريخية قصـة الملك « أبوفيس » والملك « سقنترع » وقـد أوردناه فى الجزء الرابع من المؤلف (راجع مصر القديمة جـ ٤ ص ١٢٨ — ١٣٠) .

وكذلك قصة الاستيلاء على « يافا » وتتضمن أن الملك «تحتمس الثـالث » قاهر الأعداء يرسل قائده « تحوتى » ليستولى على « يافا » ذلك الثغر العظيم الواقع جنوب فلسطين ، فيحاصر هذا القائد المدينة وتمتنع عليه فيعجز عن اقتحامها فيلجأ إلى الحيلة التى تشـبه الحيلة التى استولى بها على طروادة ، و يغرى أمير المدينـة بالخروج إليه لمحادثته ، ولما تقابلا أكرمه واحتفى به وأدخل فى روعه أنه سينضم بجنوده إليه وأنه سيسلمه زوجه وأطفاله ؛ و باشتراكه مع عصا « تحتمس الثالث »التى كانت تشبه عصا موسى تغلب على العدو وفتح البـلدة بعد خدعة حربية رائعـة (راجع كتاب الأدب المصرى القديم ص ١٠٩—١١٢) .

ومن القصص الخرافية التى نسمع أمثالها تحكى للأطفال فى بيوتنا حتى الآن قصة الأمير المسحور، وتتلخص فى أن ملكا اشتاق أن ينجب ذكرا بعد أن حرم ذلك دهرا طويلا فأعطاه الإله ما يتمناه ، ولكن قدّر على هذا المولود أن يلقى حتفه على يد تمساح أو حية أوكلب ، وعرف والده ذلك فأفرده فى بيت بناه له فى الصحراء حتى شب فرأى فى الطريق كلبا يتبع صاحبه ، ولم يكن له عهد بسحنة الكلاب ، فسأل عنه ثم طلب واحدا من جنسه ، فأمر له والده بجرو صغير حتى يأمن عليه من ناحية ، ولا يغضبه من ناحيـة أخرى . كبر الطفل فاشـتاق إلى الحرّية ، وطلب الخروج الى أرض الله الواسعة فأجيب إلى طلبه . سافر الطفل وأبعد فى سفره حتى وصل إلى رئيس بلاد « نهرين » وكانت له ابنة جميلة جعل صداقها استطاعة المرء أن يقفز إلى شرفة بيتها التى ترتفع عن الأرض ستة وخمسين ذراعا ، فلم يستطع أحد من أولاد رؤساء « سـوريا » ذلك ، واستطاعه ذلك الشاب الوافد من مصر ، فتزوّج من البنت بعد لأى وامتناع من جانب والدها ، وأحبته وأخلصت له وسهرت على راحته وحفظت حياته من الحية مرة ومن التمساح أخرى ، ولكن على ما يظهر انتهى أجله بإحدى الطرق التى كانت مقدورة له من قبل و إن كان فى ذلك شك لأن نهـاية البردية كانت مهشمة ولم تحدّثنا عن النهاية على وجه التأكيد .

ومن القصص الخرافيــة الذائعة الصيت فى الأدب المصرى قصــة الأخوين لأنها تشبه قصصا كثيرة أخرى حكيت فى الزمن الحديث وهى بلا شك أكثر دلالة على أصلها المصرى من مثيلاتها التى رويت لنـا من عهد الفراعنة وهى قطعــة من الشعر القصصى العام ترجع إلى عهد الأسرة التاسعة عشرة وتحلق بوقائعها الخيالية فى عالم الخرافات، وقد نقلها الكاتب «أنانا» تلميذ كاتب الخزانة الملكية « كاجبو» وقد ظن البعض أن قصة يوسف عليــه السلام مشتقة منها غير أن ذلك مجرّد ظنّ وتوافق خواطر على ما يظهر .

وتتلخص القصة فيما يأتى : يضم بيت واحد أخوين مخلصين كبيرهما متزوج ويسمى « أنوب » وصغيرهما أعزب ويسمى « باتا » ، وكان ساعد أخيه الأكبر فى فلح الأرض وزراعتها وتربيــة أنعامها ، وفى يوم كانا يزرعان فى الحقل فاحتاجا إلى بعض البذر وذهب الأخ الصغير إلى البيت ليحضره، وكانت زوج أخيه الكبير تمشط شعرها فمـا رأته يحمل قــدرا كبيرا من البــذر على ساعديه حتى راقها جماله وأعجبت بقوّته فراودته عن نفســه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال : معاذ الله إن أخى الكبير رب نعمتى، وقد أحسن مثواى فلا أخونه فى زوجته، فأضمرت المرأة فى نفسها الكيد لهذا الفتى الذى فوّتَ عليها ما كانت تريد من اللذة والمتاع ، وقابلت زوجها فى المساء متمارضة متباكية متظاهرة بالألم، وادّعت أن أخاه الصغير راودها عن نفسها، وما جزاء من يفعل ذلك إلا القتل أو عذاب أليم . فصمم الأخ الأكبر على قتله عندما يعود بالمـاشية واختبأ وراء الباب لهذه الغاية ، وما أن قرب الصغير من البيت حتى أخبرته بقــرة من التى كان يسوقها بمـا دبر له ، ففرّ « باتا » وتبعه «أنوب» بسلاحه ولكن إله الشمس حجز بينهما بخلق بحيرة مملوءة بالتماسيح ، فعجز « أنوب » عن اللحاق به، وجرت بينهما محادثة برأ فيها «باتا» نفسه، وجب عضو التناسل منــه ، وأبان عزمه على الرحيل إلى وادى الأرز ، وأنه سيضع قلبه على زهرة فى أعلى إحدى أشجـاره ، وعين له علامة إذا حدثت كانت دليــلا على

وفاته ، وعلى الأخ الكبير حينئذ أن يذهب إلى وادى الأرز ويبحث عن قلبه و يضعه فى المـاء فتعود إلى « باتا » الحياة ثانية و ينتقم لنفسه من القاتل .

و بعد هـذه المحاورة رجع « أنوب » إلى قريته فقتل زوجته انتقاما لأخيه . أما « باتا » فقـد سعى إلى وادى الأرز ، ولمـا رأته الآلهة وحيدا فى هذا الوادى أشفقت عليه وجعلوا الإله « خنوم » يسوّى له زوجة ، وقد خالفته هـذه الزوجة فخرجت إلى البحر على الرغم من تحذيره لها من هذا العمل ، فأراد البحر أن يختطفها ولكن « باتا » أنقذها منـه ، وكل ما استطاع البحر أن يأخذه خصلة من شعرها طفت على وجهه حتى وصلت إلى مصر . وهناك فاح شذاها وانتشر رياها فشغف الفرعون بصاحبتها ، وارسل إلى وادى الأرز فى طلبها ، فحضرت زوجة « باتا » مع الرسول وصارت خطيبة الفرعون . ولمـا كانت تخاف بأس زوجها أغرت الفرعون بقطع شجرة الأرز التى تحمل قلبـه ، فسقط قلبه بسقوطها ومات ؛ وعندئذ حدثت العلامة التى كان قـد ذكرها لأخيه ليعلم بها أمر موته — وهى فوران إبريق من الجعة — فسعى فى الحـال « أنوب » إلى وادى الأرز لينقذ قلب أخيـه ، وبعد سنين وجده فى صورة فاكهة فأعاده إلى الحياة بوضعه فى المـاء ثم صير « باتا » نفسه ثورا وحمل أخاه إلى مصر ، وأفصح لزوجه عن شخصيته ، فأغرت الفرعون بذبحه فتطايرت منه نقطتان من الدم نبتتا بعد شجرتين من الأثل سكن فيهما « باتا » ، وأسرّ إلى زوجته بأمره ، فأغرت الفرعون بقطع الشجرتين وصنع أثاث لها منهما ففعل . وفى أثنـاء صنع الأثاث تطايرت شظيتان من الخشب دخلتا فى فم الزوجة فحملت وأنجبت صـبيا صار وليـا للعرش . وعند وفاة الملك نصب هـذا الصبى خلفا له ملكا على البـلاد ولم يكن ذلك الصبى إلا « باتا » نفسه فانتقم لنفسه من زوجته الخائنة بقتلها .

وهــذه القصة كانت تعدّ فذة فى بابها لأنها من الأساطير الدينيــة القليلة التى وصلت إلينا ، والواقع أن كل مشتغل باللغــة المصرية القديمة يدرك أن القصص

الخرافيــة التى ينحصر أبطالهــا فى محيط الآلهة وحدهم قليــلة أو نادرة . ومن أهم القصص التى كشف عنهـا حديثا قصة المخاصمة بين « حور وست » ولهـا علاقة بقصة « مأساة أوزير » ومصدر الأخيرة الذى لا يشفى غلة ما ورد عنها فى كتاب « ديدور الصقلى » و « بلوتارخ » من مشهورى كتاب اليونان لولا ما دس فيهـا من العناصر الدخيلة التى شوّهتها ، و إذا فليس لنا مرجع لهــذه القصة إلا النتف اليسيرة المبعثرة فى المتون المصرية و بخاصة الدينية منها والسحرية التى تبدو كالشعرات البيض فى الفرس الأشهب وهى مع ذلك لا تخلو من تناقض واضطراب وقد بقيت المصادر الإغريقية هى السند الوحيد لدينا إلى أن كشف عن القصة فى بردية من عصر الرعامسة وتتلخص فيما يأتى : اشتدّ النزاع بين الأخوين «أوزير» و«ست» على عرش مصر فاغتال « ست » « أوزير » ، ولكن الحياة دبت ثانية فى جسمه بفضل أخته « إزيس » فترك دنيا الغدر وما فيها وهبط يحكم فى العالم السفلى بعــد أن نزل عن عرش مصر لابنه « حور » . ولقــد كان من الطبعى أن يبدأ النزاع من جديد بين « ست » و « حور » على العرش مرة ثانية فتشاحنا وتخاصما إلى محكمة الآلهــة التى كان يرأسها الإله « رع » ، وكان « حور » يعتز فى عراكه بعدالة قضيته و بإرثه الشرعى و بمساعدة « إزيس » . وكان « ست » يعتدّ بقوّته وجبروته ومعاضدة الإله «رع» له . ومن ثم كانت الأحكام الأوّلية فى هذه القضية فى جانبه خشية بأسه ، وفرارا من أذاه ، حتى إذا ضاقت الحلقة وتضافرت الأدلة كلها عليه بعــد تهديد « أوزير » « لرع » ومجلسه ، ولم يجــد القضاة من الآلهــة فرجة ينفذون منهــا إلى مناصرته ، أصدروا حكمهــم فى جانب الحق ، فآل ملك مصر إلى وارثه الشرعى «حور بن أوزير» . (راجع كتاب الأدب المصرى القديم عن درس هذه القصة ومتنها جزء أوّل ص ١٢٧ — ١٦٠) .

ولا بدّ أن يكون القاص لقصتنا هــذه قد أراد أن تكون غذاء للعامة ، فانحدر بأسلوبها إلى مستواهم كما يفعــل قاصو القرى الآن فى مجالس الفلاحين ، وقصتنا

من ناحية أخرى لهـا أهمية خاصة غير التى كسبتها من موضوعها وأبطالها وممثليها وهى أنها صوّرت لنـا حياة البلاط الفرعونى وسياسته فى العهـد الإقطاعى ولكن بصورة مقنعة (راجع كتاب الأدب ص ١٣٧ الخ) .

والواقع أن قصة المخاصمة بين « حور » و « ست » تعـدّ ملحمة أدبية إذا ما قرنت بالملاحم الأخرى فى أدب العالم، إذ فى هـذه القصة قد امتزجت الخرافة والحقيقة وانصهرتا معا وصبتا فى قالب واحد فنبت فيـه شخصية كل من المزيجين فظهرا فى صورة واحدة لا تميز فيها إحداهما ؛ إذ بينما نجد الحوادث فيها تجرى على يد الآلهة وحدهم نرى ظل هـذه الحوادث نفسها ينطبق على حادث تاريخى معين وقع فى مصر فى وقت معين فإذا أبدلنا بالإله «رع» ومن مثل معه من الآلهة فى هذه القصة — ملكا جاء فى بداية الأسرة الثانية عشرة ومعه حكام الإقطاع رأينا أن هذه الرواية التى مثل الملك وحكام الاقطاع فصولها تنطبق تمام الانطباق على أختها التى كان « رع » وأتباعه من الآلهة أبطالها ونجومها .

الشعر الغزلى : وفى عهـد الدولة الحديثة ظهر امامنا لأول مرة حتى الآن شعر غزلى . وتدل البحوث فى الأدب العالمى قديمه وحديثه على أن أغانى الحب لم تحتل مكانتها فى الأدب الراقى إلا بعد فترة طويلة من الزمن فى حياة الأمم، ويرجع ذلك إلى ضرورة انقضاء آماد تتطوّر فيها مشاعر الأمة وتتربى فى أثنائها عواطفها، ومن ثم تأخذ فى أسـباب التعبير عن وجدانهـا متأثرة ببيئة الشاعر وبوحيـه الذى يعيش فيه، ففى بلاد اليونان مثلا نشاهد وفرة فى إنتاج الشعر الذى يخرج عن دائرة الغزل وذلك قبل أن يكون لها إنتاج فى الشعر الغنائى المعبر عن العواطف والوجدان، ويدل ما لدينا على أن الشـعر الغزلى كان معروفا فى مصر منـذ الدولة الحديثة على الأقل، ولا نزاع فى أنه كان موجودا قبل هذا العصر بزمن بعيد، ولكن كان لزاما على علماء اللغة المصرية القديمة والباحثين فى الأدب المصرى أن ينفقوا أكثر من قرن زمنى ليثبتوا للعالم الحديث أن التحنيط لم يكن هـو الموضوع الفذ الذى شـغل بال

المصرى القديم مدة حياته . ومع أنه قد ظهر لنا أن المصريين القدامى كانوا أهل فرح ومرح وكانوا مولعين باللعب والتمتع بكل نواحى الحياة و بالموسيقا ، فان الأثر الذى تقرؤه فى أذهان كثير من أهل زماننا عن المصريين أنهم كانوا جامدين متزمتين، وقد ساعد على رواج هـذه الفكرة ما نراه من الجمـود الظاهر فى كثير من تماثيلهم وصورهم، وفى الأساليب الجامدة التى جروا عليها فلم تتغير بتغير العصور،والواقع أن اتخاذ الفنّ وأسلوب الكلام أساسا للحكم على الأمم القديمة مقياس ناقص لأن المرونة فى الفن وفى التعبير هى آخر شئ يرق عنـد الأمم، ولذلك لا يتخذ ذلك مقياسا لقوّة الأمم فى عهودها المختلفـة، فمن الواجب إذن أن نعرض عن تلك الفنون الجامدة الفينة بعد الفينة،ونقف أمام أشخاص أحياء لنتلمس فيهم حقيقة رقيهم وعواطفهم. ولا أدل على ذلك مما لدينا من الأغانى المصرية التى حفظت لنا فى الأوراق البردية وبخاصة مجموعة « شستر بيتى » التى عثر عليهـا حديثا وتعدّ أحسن نموذج فى هذا الموضوع وصل إلينا سليما فى جملته مفهوما من هذا العصر الذى نحن بصدده . وقد وصل إلينـا قبل ذلك مجاميع من الأغانى الغزليـة يرجع عهد أقدمهـا إلى الأسرة الثامنة عشرة غير أن معظمها مهشم ومحشو بالأغلاط (راجع كتاب الأدب المصرى ج ٢ ص ١٥٤ ألخ). ومع ذلك فإنا نجد فيها العواطف الإنسانية ممثلة بقوّة وحرارة.

والظاهر أن الأغانى الغرامية التى يرجع عهدها إلى الدولة الحديثة التى حفظت لنا على استراكا «متحف القاهرة» رقم ٢٥٢١٨ وفى ورقة « تورين » ٧٩ — ٨٢ وفى ورقة «هاريس» رقم ٥٠٠، وكذلك فى ورقة «شستر بيتى» المحفوظة «بالمتحف البريطانى» من الصعب أن نفصل كنه إنشائها . فالغزل الذى نقرؤه على استراكا القاهرة وكذلك ما جاء فى ورقة «هاريس» رقم ٥٠٠ الغرض منه أن يوقظ الشعور ويلفت النظر بالحقائق ويرى الإنسان ما لم يكن فى الحسبان؛ وسلسلة المقطوعات فى هذه الأغانى الغزلية ليس بينها روابط تربطها إلا صبغتها الغرامية ، وكذلك تتغير النغمة من الرقة إلى الشدّة ومن المداعبة إلى حرقة الشوق وحرارته . والمجموعة الثالثة

من ورقة « هاريس » رقم ٥٠٠ تعدّد طائفة من الأشعار ليس لها روابط داخلية تربط بعضها ببعض إلا بكلمات ثورية تربط بداية كل مقطوعة بأزهار حديقة أوطاقة أزهار من المفروض أن منشدها كان ينظر إليها الواحدة تلو الأخرى ، وما أشبه اليوم بالبارحة ، فإن هذا المنظر يذكرنا بما يحدث الآن عندما تناجى إحدى المغنيات الأزهار واحدة بعد الأخرى وهى تقطفها كما نشاهد الآن فى قصة «فاطمة» على الشاشة البيضاء .

ومجموعة أناشيد « تورين » تجعل كل شجرة من أشجار الخميلة تتحدث بنفسها ونشاهد من جهة أخرى الروابط التى تربط مجموعة مقطوعات ورقة «هاريس» الثانية رقم ٥٠٠ — تظهر بعض الشيء حيث نجد على الأقل أن المقطوعات الأولى تنسب إلى عذراء واحدة قد هزها الشوق ونار الحب . وأخيرا نجد أن مقطوعات قصيدة الشعر العظيمة التى نقرؤها فى ورقة « شستر بيتى » الأولى وهى التى تغنى بها العاشق تارة ومحبوبته تارة أخرى تؤلف قصة شعرية غنائية متصلة الحلقات تسودها فكرة واحدة متماسكة تنتهى إلى غرض .

ولكن كل هذه المجاميع من المقطوعات الغزلية قد طبعت بطابع مشترك وهى أنها تعدّ قصيرة لتقرأ مرة واحدة دون أن تتعب صوت ملقيها أو التفات المستمعين ولذلك يخيل إلى أنه من المحتمل جدا أنها تمثل مباهج أعياد ، فكان كل منها صالحا لوسط خاص فى مناسبات خاصة ، ولا نزاع فى أن المتفرغين للملاهى من ممثلين ومحدثين ومفتنين الذين يدعون لإقامة الحفلات السارّة كان لديهم قائمة بالمناهج التى كانوا يعرضونها . ومن الممكن أن بعض هذه المقطوعات الشعرية كانت لها منزلة عظيمة خاصة حتى أنها عدّت ضمن قطع الأدب .

والواقع أن أنشودة الأناشيد تذكرنا كثيرا بالأشعار المصرية الغرامية ، إذ نجد كثيرا من الموضوعات و بعض التعابير متشابهة فى كلتيهما . ولا غرابة فى أن نجد هذا التشابه عندما نذكر على وجه خاص السيطرة الطويلة الأمد ، سياسية كانت

أو ثقافية، التي كانت لمصر على «فلسطين» ، هذا إلى التأثير الذى نلحظه فى معالم كثيرة. وأكثرها ما نشاهده فى كتاب الأمثال ونصائح «امنموبى» (راجع كتاب الأدب المصرى القديم جزء أول ص ٢٧١ — ٢٨٠) . ومن الجائز إذا أن ما اقترحناه عن أنشودة الأناشيد والشعر الغزلى المصرى لا يبعد عن الصواب . ويعزز ذلك أن قطع أنشودة الأناشيد لا يوجد بينهـا روابط تربطها إذ أنها مناهج أعياد مختلفـة ، وهى أحفال زواج أو أفراح أخرى ، ويحتمل أن أكثرها كان يكرر مثل ما كان يحدث فى مصر لمجرد تمضية « يوم سعيد » يجتمع فيه الخلان فى بيت واحد منهم (١) و نضع أمام القارئ بعض ما جاء فى ورقة « شستر بيتى » ليرى مقدار ما وصل إليه المصرى من الحس المرهف والعاطفة الملهبة فنجد العاشق يصف لنا أولا محبوبته فاستمع إليه :

" أول كلام النديم العظيم .
إنها فريدة — أخت منقطعة القرين .
أرشق بنى الإنسان .
تأمل إنها كالزهراء عندما تطلع .
فى باكورة سنة سعيدة .
ضياؤها فائق و بشرتها وضاءة .
و إنها تفتن بلحظ عينيها .
والسحر فى حديث شفتيها .
لا تنبس بكلمة فضول .
فرعاء العنق ناعمة الثدى .
شعرها أسود لامع .
وذراعاها تفوق الذهب طلاوة .

---

(١) راجع : Chronique. D'Egypte No. 45 - 46 Avril 1948. p. 22 والأدب المصرى القديم الجزء الأول ص ١٥٤ الخ .

وأصابعها كأنها زهر البشنين .
عظيمة العجز نحيلة الخصر (هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة) .
لها ساقان تفوقان ما فيها من جمال آخر .
رشيقة الحركة عندما تتبختر على الأرض .
لقد أخذت بلبي فى قبلتها .
تجعل أعناق كل الرجال .
تنثنى لتشاهدها .
سعيد من يقبلها .
فإنه يكون على رأس الشباب القوىّ .
ويشاهدها الإنسان ذاهبة إلى الخارج .
كأترابها ولكنها وحيدتهنّ " .
ثم تردّ عليه العذراء فاستمع إليها وهى تناجيه :
" إن المحبوب يهيج قلبى بصوته .
وقد جعل المرض يتملك منى .
وإنه جار بيت والدتى .
ومع ذلك ليس فى استطاعتى أن أذهب إليه .
وجميل يا والدتى أن تهاجمينى فى ذلك .
قائلة أقصرى عن التفكير فى ذلك .
تأمل ! فإن قلبى يتوجع عندما يتحدّث لى عنه .
وحبه قد أسرنى .
الأم : تأملى إنه مجنون مجنون .
البنت : ولكنى مثله .
وإنه لا يعرف مقدار شغفى بتقبيله .

وإلا لكان فى استطاعته أن يرسل لوالدتى .
آه يا حبيبى إنّ مصيرى إليك .
وقد قضت بذلك إلهة النساء الذهبية « حتحور » .
تعالى إلى حتى أشاهد جمالك .
وسيفرح بك الناس عامة .
وسيسرون بك يأيها المحبوب " .

وهكذا تستمرّ هذه المساجلة الغرامية فى سبع مقطوعات (راجع كتاب الأدب الجزء الأوّل ص ١٧٣ الخ) .

وقد ذكرنا بعض مدائح هـذا العصر فى سياق التاريخ ويجد القارئ كثيرا منها فى كتاب الأدب (الجزء الأوّل ص ١٩٠ الخ) .

وعلى وجه عام نجد أنّ الأدب فى هـذا العصر قد طبع بطابع جديد من حيث الأحاسيس الإنسانيـة والشعور بالمسئولية الخلقية ولذلك ظهـر نوع جديد من النصائح يربط الحياة الدنيـا بالآخرة وما فيها من عقاب وثواب ونخص بالذكر منها نصائح « آنى » .

نصائح « آنى » : يفتتح هـذا الحكيم كتابه معـددا لابنه ما تحمـله نصائحه من فوائد ، وما سيعود عليـه منها لو اتبعها فيقـول : " إنى مخبرك بكل فاضل ، وبمـا يجب أن تعيه فى لبك ، فاعمل به ، وبذلك تكون محمـودا ، ويبتعد عنك كل شر ... وسيقال عنـك (إذا اتبعت ما أقول) : " إنه على خلق عظـيم " ، ولن يقال : " إنه قد أتلف وإنه بليد " وإذا تقبلت كلماتى فإنّ كل شر سيبتعد عنـــك " .

ثم يتلو هـذه النصيحة الأولى عدّة نصائح أخرى فى الحذق فى الكلام وقلته ، وعدم التفاخر بالقـوّة ، غير أنها كلها قد استعصى علينا فهمها ، إلى أن نصل إلى

نصح حكيمنا لابنه فى أن يتخذ لنفسه زوجة، وهو لايزال فى ريعان الشباب ليكون له خلف صالح يسعد بهم ويربيهم فى حياته، فيقول :

” اتخـذ لنفسك زوجة، وأنت لا تزال شـابا لتنجب لك ولدا، ويجب أن تنتجه لك وأنت لا تزال صغير السن ، ويجب أن تعيش لتراه قد صار رجلا (؟) فما أسعد الرجل الكثير النسل ! فهو يحترم بسبب أولاده “ .

وبعد أن تكلم لابنه عن تأسيس الأسرة أراد أن يذكره بجانب ذلك بتقوى الله وأداء ما عليه من الواجبات نحوه فيقول :

” احتفل بعيد إلهك ، وإن الله يغضب على من يستخف به، واجعل شهودا يقفون عنـد قربانك (التى تقربها لله) فإنه لأحسن شىء لمن يؤدّيه ؟ وإن الغناء والرقص والبخور لمتعلقة بخدمته (؟) أما تقبله الاحترام فمن حقوقه فقدّمها للإله حتى تعظم اسمه “ .

وجاء فى القرآن الكريم « فاذكرونى أذكركم واشـكروا لى ولا تكفرون » .

ينتقل بنا بعد ذلك « آنى » إلى تعليم ابنه المعاملات الاجتماعية ، فيعلمه أوّلا أدب الزيارة، فلا يدخل بيتا إلا بعـد استئذان ، وعندما يدخل يغض طرفه عن كل عيب ولا يتكلم عن شىء رآه معيبا فى زيارته ، فيقول :

”لاتدخلنّ بيت غيرك... ولا تمعنن فى النظر إلى الشىء المنتقد فى بيته، إذ يمكن لعينك أن تراه . ولكن الزم الصمت ، ولا تحدّثن عنـه لآخر فى الخارج ، حتى لا تصبح جريمة كبرى تستحق الإعدام عندما تسمع (؟) “ وبهذه المناسبة يحذره الزنا ويذكره بأنّ المرأة لغز ملتو فلا ينخـدع بإغرائها ، وبأن ارتكاب الفاحشـة يعاقب عليه بالقتل أمام القانون فيقول :

” خذ حذرك من المرأة الأجنبية تلك التى ليست معروفة فى بلدتها، ولا تغمزن لها بعينك، ولا تبغ معها (؟) فهى ماء عميق لا يعرف الرجال التواءاته (تياراته)

والمرأة البعيدة عن زوجها تقول لك كل يوم : " إنى جميلة " ولذلك عندما تكون بعيدة عن أعين الرقباء تقف أمامك لتوقعك فى حبائلها ... ... وإن ذلك (الزنا) لجرم عظيم يستحق الإعدام عندما يرتكبه الإنسـان . ثم يعلم بذلك الملأ ، لأن الإنسان يسهل عليه بعد ارتكاب تلك الخطيئة أن يرتكب كل ذنب " .

يتحدث بعد هذا « آنى » فى فقرة صغيرة عن سمعة الرجل أمام القضاء بعد أن تكلم عن سمعته أمام الناس بالنسبة للمرأة فيقول :

" لا تدخلنّ وتخرجنّ فى قاعة العدل (المحكمة) حتى لا يفوح اسمك (من كثرة القضايا) ولا تتكلمن كثيرا : وكن صامتا لتكون سعيدا ، ولا تكن ثرثارا " .

ويطالعنا بعـد ذلك بتعليم ابنـه معنى التقوى الحقيقيـة نحو الله ثم نحو أبويه فيـــقول :

" إن بيت الله يمقت الهرج ، فصل بقلب محب ، ولا تجهر بصلاتك ، وبذلك ستقضى كل حوائجك ، وسيسمع الله ما تقول ، ويتقبل قربانك " .

هذا عن الإله . أما عن الأبوين فيقول :

" قرب المـاء لأبيك وأمك اللذين يسكنان فى وادى الصحراء (الجبانة)... ... ولا تنس أن تؤدى هذا حتى يعمل لك ابنك بالمثل " .

ثم نرى « آنى » يحض ابنـه على الابتعاد عن المسكرات شارحا له فى صورة حية ناطقة ما يبدو على السكير من سوء الحال فيقول :

" لا تلزمن نفسـك (من باب الفخر) بأنك تستطيع أن تشرب إبريقـا من الجعة ، فإنك (بعد ذلك) تتكلم ويخرج من فيك قول لا معنى له . وإذا سقطت وكسرت ساقك فلن تجـد أحدا يمد إليك (ليساعدك) . أما إخوانك فى الشراب فيقفـون قائلين : « ابعدوا هـذا الأحمق » وإذا حضر إنسان ليبحث عنك ليستجوبك وجدك طريح الثرى ، ومثلك فى هذا كالطفل الصغير " .

ثم يذكره بعد هذا بألا يتردّد على البيوتات المريبة فيقول :

" لا تخرج من بيتك إلى بيت لا تعرفه (؟) واجعل كل بيت تحبه معروفا (حتى لا يرتاب أحد فى سلوكك) " .

وبعد أن تكلم عن كل هذه الأشياء الفاضلة التى يجب على ابنه أن يرعاها فى الحياة، انتقل إلى تذكيره بالموت ، وأنه يجب عليه أن يعدّ لنفسه قبرا ليثوى فيه ، وهذا أمر كان يهتم به كل مصرى قديم طوال حياته ، إذ كان إعداد القبر فى المنزلة الأولى . فيقول :

" أعد لنفسك مأوى جميلا فى وادى الصحراء، وهى الحفرة التى ستوارى جثمانك فاصنعه أمام عينيك فى مشاغلك ... ... مثل السلف العظام الراقدين فى مدافنهم (؟) وإن الذى يبنى القبر لنفسه لن يقابل باللوم (على ذلك)، وإنه لجميل أن تعدّ لنفسك كذلك على هذا النحو (قبرا)، وسيأتى إليك الرسول (الموت) وسينصب نفسه أمامك فلا تقولن : " إنى لا زلت صغيرا جدا لتختطفنى " لأنك لا تعرف حتفك ، والموت يأتى ويختطف الطفل الذى لا يزال يرضع ثدى أمه ، كما يختطف الرجل عندما يصبح مسنا " .

يأتى بعد هذه الفقرة فقرة طويلة بعض الشىء ينصح فيها « آنى » ابنه بأن يكون يقظا فى المعاملات الاجتماعية غير أن معظمها غير مفهوم لنا تماما :

" تأمل ! إنى أقص عليك أشياء أخرى طريفة يجب عليك أن تعيها فى لبك . فأدّها وستكون بذلك سعيدا وسيبتعد عنك كل سوء ... ... " .

ثم يشير على ابنه بعد هذه المقدمة بأن يتخير صديقه بعد التجربة على ألا ينزل إلى طبقة العبيد ويأخذ منهم صديقا فيقول :

" ابتعد عن الرجل المعادى ، ولا تتخذنه خدنا لك ، بل اصطف لنفسك صديقا مستقيما عادلا، وعند ما ترى ما فعله (؟) ... ولا تتخذن لنفسك صديقا

كان عبدا لآخر سيء السمعة ... ... فإذا اقتفى أثره إنسان ليقبض عليه وليأخذ من كان فى بيته (أى العبد) صرت تعسا وتقول ما العمل ؟ " .

وينصح بعد ذلك « آنى » ابنه بألا يغتر بالمال، وأنه ليس مصدر سعادة، وألا يعتمد على مال غيره ولا يبنى قصورا على ما سيرثه من مال جده فيقول :

" يبنى الإنسان بيتا لنفسه ، (وهب) أن قطعة أرض صارت ملكا لك وقد حوطت بسياج من النبات المزهر أمام حقلك الخصب ، وغرست فيها شجرة الجميز ... ... وأنك قد ملأت يدك بكل الأزهار التى تتصورها العين ، ولكن مع كل هذه (الأشياء) قد يكون الإنسان شقيا ... ... لا تتكل على مال إنسان آخر ، واحذر أن تفعل هذا ، ولا تعتمدن على متاع الآخر ... ... ولا تقولن : « إن والد أمى له بيت » ... لأنه إذا جاءت القسمة مع إخوتك فإن نصيبك لا يكون (إلا) مخزنا . « وإذا أراد الله أن يولد لك طفل...» ". ثم يحض حكيمنا ابنه على احترام غيره فيقول :

" لا تقعدن إذا كان غيرك أكبر سنا واقفا ، أو آخر يشتغل فى مهنة (معك) زمنا أقدم منك" .

وينتقل بنا « آنى » إلى موضوع المعرفة ومكانتها فى المجتمع والكاتب وسمو حرفته فيقول :

" إذا كنت ماهرا فى الكتابة فإن الناس أجمع يفعلون كل ما تقوله ؛ إذن خصص نفسك للكتب وضعها فى لبك ، وبذلك يكون كل ما تقوله ممتازا ، كل وظيفة يعين فيها الكاتب فإنه (لابد) يستشير فيها الكتب (وبذلك يلازمه النجاح) . فليس هناك ولد لملاحظة الخزانة ولا وارث لملاحظة الحصن ... ... الوظائف لا أولادها ... ... (وفى هذه الحالة يحصل عليها الأكفاء الذين تعلموا كثيرا) " .
ثم يعود « آنى » إلى تحذير ابنه ليكون محترسا فى كلامه خوفا من الخطل فى القول ويعلمه أن جوفه يتسع لحفظ كل ما يريد أن ينطق به لسانه فيقول :

” لا تفضين بمـا فى قلبك إلى ... رجل ... فان كلمة خاطئة خرجت من فيك إذا أعادها من سمعها جعلت لك أعداء ، و إن الإنسان ينزل به الخراب من جراء لسانه . و إن بطن الإنسان أوسع من مخزن الغلال فهو مفعم بكل أنواع الأجوبة . وعليـك أن تنتخب خير الكلام وتحـدّث به ، واجعل القبيح سجينا فى بطنك . وفى الحق ستكون دائمـا معى، وستجيب من يضربنى بقول الكذب، ومع ذلك فإن الله يحكم فى صالح الحق ، وعندئذ سيأتى عقابه ويلحق به (يظهر أن المؤلف يشير إلى عدوّ قد ألحق به ضررا وقد ذكر فى الجزء المفقود من نصائحه فى أوّل الكتاب)“.

و بعد ذلك يعود مرة ثانية إلى العلاقة التى يجب أن تكون بينـه و بين ربه فيحثه على تقديم القربان ، وعلى ألا يغتال حقوقه ، ولا يسأل عن صورة ربه، ولا يمشى الخيلاء فى موكبه ممـا يذكرنا بقوله عز وجل : « ولا تمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبـلغ الجبال طولا » ، وإن الله هـو الذى يجعل من يشاء عظيما . ثم يشـير من طرف خفى إلى أن الله واحد ممثل فى الشمس وأما الآلهـة الذين على الأرض فهم صور مختلفة له فيقول :

” قـدّم قربانا لآلهتك، واحفظ نفسك من التعدّى (على حقوقه) ولا تسأل عن صورته ، ولا تمش الخيلاء حينما يخرج فى موكبه (أى الإله) ، ولا تتزاحم على حمله (فى الموكب) ... ودع عينك تعرف قيمته، واحترم اسمه لأنه هو الذى يعطى القوة (ملايين) المخلوقات، وسيقصر العظمة على من يجعله هو عظيما، إن إله هذه الأرض هـو الشمس التى فى الأفق (ولكن) صـورته على الأرض فليقرّب إليها البخور كل يوم “ .

و بعد أن عرف حكيمنا ابنه كيف يعامل ربه انتقل به إلى معامـلة الوالدة وما لها من فضـل عليه فى حمله وتربيته ممـا يذكرنا بقول الله تعالى : « و بالوالدين إحسانا » فيقول : ” ضاعف مقـدار الخبز الذى تعطيـه والدتك ، واحملها كما حملتك، ولقد كان عبؤها ثقيلا فى حملك ولم تتركه لى قط أبدا، وحينما ولدتك حملتك

كذلك ثانية بعد شهور حملك — حول رقبتها ، وقد أعطتك ثديها ثلاث سنوات ، ولم تشمئز من برازك ، ولم تكن متبرمة ولم تقل « ماذا أفعل أنا » . ولقد ألحقتك بالمدرسة عندما تعلمت الكتابة ، وقد وقفت هناك يوميا (خارج المدرسة) ... ... بالخبز والجعة من بيتها . وحينما تصبح شابا وتتخذ لنفسك زوجة وتستقر فى بيتك اجعل نصب عينيك كيف وضعتك أمك وكيف ربتك بكل الوسائل ، فليتها لا تضرك بألا ترفع أكف الضراعة إلى الله ، وليته لا يسمع عويلها (١) " . ثم عرج بعد ذلك الحكيم ناصحا لابنه أن يكون شفيقا على الناس كذلك ، وألا يثق بالثروة لأنها كمجرى الماء لايبقى على حال ، فمن يكون غنيا اليوم قد يصبح فقيرا فى الغد فيقول :

" لا تأكلن الخبز إذا كان هناك آخر يتألم من عدمه دون أن تمد يدك إليه بالخبز ، فواحد غنى وواحد فقير ... ومن كان غنيا فى السنين الخوالى قد أصبح هذا العام سائسا ، ولا تكن شرها فيما يختص بملء بطنك . وإن مجرى الماء الذى كان يجرى فيه الماء فى السنة الماضية قد يتحول هذا العام إلى مكان آخر ، وقد أصبحت البحار العظيمة أماكن جافة وأصبحت الشواطئ هوات (أى بحارا) ... " .

ثم يعود « آنى » ثانية إلى التحدث عن الزيارة وآدابها فيقول لابنه :

" لاتذهبن إلى بيت إنسان بحرية . بل ادخله فقط عندما يؤذن لك (٢) . وحينما يقول هو لك (أى رب البيت) أهلا بك بفمه ... (وتأتى بعد ذلك جملة مبهمة) أعطه الإله وأعطه يوما ثانيا للإله والغد مثل اليوم وسترى ما يفعله الإله إذا لطخ إسم الذى لطخك " .

ويحتمل أن هذا الكلام يشير هنا إلى انسان قد ارتكب خطيئة وسيتولى الله عقابه عليها .

وينصح بعد ذلك « آنى » ابنه بأن يتجنب الشغب فيقول :

---

(١) فى هذه النصيحة إشارة لما تلاقيه الأم من ألم الغيرة عندما يتزوج ابنها وتلك سنة طبيعية تجدها فى كل زمان ومكان .

(٢) قد جاء فى القرآن الكريم « يأيها الذين آمنو لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا » الآية .

"لاتدخلنّ فى زحام إذا رأيت أنهم مستعدّون للضرب ...حتى لاتلام فى المحكمة أمام القضاء بعد تأدية الشهادة (؟) ابتعد عن أهل الشر ... " .

ثم ينصح ابنـه بعد أن أصبح رب بيت أن يكون حكيما فى سلوكه مع زوجه حتى يبتعد عن كل شجار أو خلاف فيقول :

"لاتمثل دور الرئيس مع زوجك فى بيتها إذا كنت تعرف أنها ماهرة فى عملها، ولا تقولنّ لها : أين هى أحضريها لنا إذا كانت قد وضعتها فى مكانها الملائم، واجعل عينك تلاحظ فى صمت حتى يمكنك أن تعرف أعمالها الحسنة (وأنها) لسعيدة إذا كانت يدك معها ... و بذلك يتجنب الرجل تحريك الشجار فى بيته " .

ثم يذكر « آنى » فى الوقت نفسه ابنه بأن يحذر النساء الأجانب فيقول :

" لاتذهبن وراء امرأة حتى لاتتمكن من سلب لبك " .

ولم يفت « آنى » أن يضع لابنه الخطط فى معاملة الرئيس حتى يكون سعيدا معـه فيقول :

" لاتجيبن رئيسا فى حال غضبه ، بل ابتعد من أمامه واذكر حلو الكلام حينما ينطق بمزه لأى أنسان، واعمل على تهدئة قلبه ، فإن الأجوبة الشديدة تحمل غضبا (تؤدّى إلى ضربك) و بذلك تنهار قواك . و إن الغضب يصوّب نفسه نحو أعمالك فلا تنغصنّ نفسك على أن الرئيس سيلتفت و يثنى عليك بسرعة بعـد فوات ساعته المخيفة (ساعة غضبه) . و إذا كانت كلماتك مهدئة للقلب فان القلب يميل لاستيعابها وجدّ فى أن تكون صامتا واخضع لمـا يفعل " .

و بعد أن رسم له الطريقة الرشـيدة فى معاملة رئيسه لم يفته أن يلفت نظره إلى أن يكون على وفاق مع رجال الشرطة فيقول :

" اتخذ من شرطة شارعك صديقا ولا تجعلنه يثور عليك، وأعطه من طرائف بيتك حينما يكون منها فى بيتك (فى أيام العيد) ولا تتغاض عنه وقت صـلاته ، بل قل له : « المديح لك[1] » " .

(١) وهذا ما يقابل عند المسلمين قول الانسان « حرما » .

يتلو ذلك قطعة غير مفهومة ثم محادثة هي خاتمة الكتاب . و بعد أن فرغ « آنى » من إلقاء نصائحه على ابنه أجابه ابنه بأنه يتمنى أن يكون مثله ، ولكن شتان ما بينه وبين والده الذى كان صاحب همة عالية ومطامح سامية وأنه ربما يتعذر عليه أن يصل إلى ما وصل إليه « آنى » فيقول :

" آه ، ياليتنى مثلك ... حتى أعمل حسب تعاليمك ، وحتى يرق الابن إلى مرتبة والده ... إنك رجل صاحب مطامح عالية ، فكل كلماتك مختارة ، و إن الولد الذى يتصوّر خبثا فى نفسه يقول ... فى الكتب ... إن كلماتك مريحة لقلبى ، ولبى يميل إلى استيعابها ، و إن قلبى لفرح ، ولكن لاتجعلنّ نصحك يتجاوز الحدّ فى غزارته ... إن الولد لا يعمل حسب التعاليم التى ثقفته حتى لو كانت كل الكتب على لسانه (1) " .

غير أن الوالد لما سمع هذا الجواب من ابنه أخذ القلق يساوره وأخذ يضرب له الأمثلة الطريفة فى الطاعة ويحثه على اتباع ما ألقاه عليه من النصائح فيقول « آنى » محاوبا ابنه « خنسحتب » :

" ولا تثقنّ فى هذه الأشياء (؟) الخطرة ، وتجنب أن تعود إلى الشكوى فإن قلبى لا يصغى إليها ، فإن الثور المحارب الذى قتل ما فى الحظيرة من ثيران لا يمكنه أن يغادر الحلقة (إذ يجب عليه) أن يأخذ أوامره من سائقه ، وكذلك الأسد المفترس يخفف من ثورته ويمر بكآبة على الحمار ، والجواد يخضع لنيره ... والكلب يصغى للكلام و يتبع سيده ، والحيوان «كيرى» يحمل ... إناء الذى لم تحمله والدته . والأوزة تحط على البركة الباردة حينما تصاد ، و بذلك تنتفض فى الشرك (حزنا) ، والعبيد قد تعلموا الكلام المصرى ، وكذلك السوريون وكل الأجانب . وقد تكلمت كذلك عن كل الحرف التى يمكن أن تسمع عنها وأعرف ما يجب أن يفعل " .

---

(١) ومعنى هذه الفقرة أن الولد يقول لوالده لا تغال فى طلباتك ، و إلا فعلى الرغم من أنى أعى حكمتك فى فى فلن يتسنى لى أن أعمل على حسب ما جاء فيها .

أما الجواب الذى أجاب به «خنسوحتب» أباه فمبهم، ومن المحتمل أنه يشير إلى الحقيقة القائلة (بأن كل الناس لاقيمة لهم) . فيقول :

" إن هناك جمـا غفيرا من الأدنياء ، وليس هناك فرد يعرف تعليمه ، و إذا وجدت إنسانا حازما فإن الاكثرية أغبياء " .

(ومن المحتمل إذن أن يعاهد والده على الطاعة) فيقول :

" كل كلماتك ممتازة ... و إنى أعطيك المواثيق بأن أضعها على طريقتك (التى رسمتها) " .

وعلى ذلك يجيب الكاتب «آنى» على ماقاله ابنه ببعض أمثال حكيمة لاتزال تأخذ بالألباب وتستهوى النفوس لأنها تنفذ إلى الأعماق فيقول :

" أدر ظهرك لتلك الكلمات الكثيرة التى ينبو عنها السمع، فإن العصا المعوجة الملقاة فى الحقل والمعترضة للضح والفىء يحضرها الصانع ويجعلها مستقيمة ويصنع فيها سوطا للشريف، ولكن قطعة الخشب المستقيمة هى التى يصنع منها لوحا (للكتابة). آه أيها القلب الذى لايمكنه أن يتبصر فى العواقب، هل كانت آراؤك فى أن تعطى المواثيق أو أنك تفشل " ؟

حالة الشعب فى عهد «اخناتون» وتأثير ديانته فى نفوس الشعب:

لقد كان من جراء قيام مذهب « اخناتون » أن وقف مجرى سير الحياة الدينية فجأة وحوّل إلى اتجاه غريب على الرغم من قوة اندفاعه التى كانت لاتقـاوم لتأصل العقائد القديمة فى نفوس الشعب عدّة آلاف من السنين ، فقـد خربت أماكنهم الطاهرة، ودنست مزاراتهم المقدّسة ، وأوصدت معابدهم ، وطردت كهنتها . وانمحى ذلك النظام العتيق جملة ، وقد كانت الجماعات العظيمة العدد فى كل مكان

(١) و يقصد الكاتب أن الانسان يمكنه أن يثقف كل إنسان و إن كانت النتيجة تختلف ، وبقى أن نعرف هل الحكيم يفضل السوط الجميل أو اللوح ؟

تسير مدفوعة بالغرائز التى كانت مشبعة بها عقولهم منذ قرون يخططها العدّ وفق عادات وأخلاق موروثة، فلما ذهبوا لزيارة أماكنهم المقدّسة بعد قيام مذهب «إخناتون» وجدوها كأن لم تغن بالأمس، ينعق فيها البوم والغربان، فوقفوا فى عرصاتها ذاهلى العقــول أمام تلك المعابد الموصــدة الأبواب فى وجوههم . ولعمرى فإن هــذه الردهات المحترمة والقاعات الفسيحة الأرجاء التى تحتــويها تلك المعابد القديمة التى كانت تزخر بجماهــير الشعب وتقام فيهــا الأفراح أيام الأعياد المقدّسة فى عهــد طفولتهم فى «أسيوط» وغيرها — كما فصلنا ذلك — قد أصبحت الآن صامتة خاوية . وهكذا نرى أن الإله « أوزير » الذى كان يعدّ الملجأ والمعزى والصاحب والمدافع عن الأموات أمام كل خطر قد نفى من الأرض ولم يعد فى إمكان إنسان أن يذكر اسمه حتى فى الأيمــان التى كان يعقدها القوم، تلك الأيمان التى كانت قد اختلطت فى دمائهم مع لبان أمهاتهم فى الرضاعة فقــد كان محظورا عليهم أن تنبس شفاههم بتلك الأسماء التى تنطلق بها ألسنتهم عفوا، فكان لابدّ ألا يشمل اليمين القديم أمام القاضى فى المحكمة إلا اسم « آتون » فقط . وكان كل ذلك فى نظر القــوم كما لو طلب الآن إلى رجل من عصرنا أن يعبد الله ويحلف باسم صنم . ولابدّ أن كثيرا من الكهنة المتذمرين الذين كانوا يكظمون غيظهم الشديد فى صدورهم قــد مزجوا غيظهم ذلك بغيظ جم غفير من جماعات بأسرها من التجار الحانقين كالحناز بين الذين لم يعودوا يكسبون عيشهم من بيع فطائر الشعائر الدينية كما كانوا يفعلون قديما خلال أيام الأعياد التى كانت تقام فى المعابد . وهكذا كان حنق الصــناع الذين لم يعد فى مقدورهم الآن بيع تعاويذ الآلهة القدامى عند أبواب المعابد كما كان يحصل قديما .

وناهيك بحقــد الحفارين والمثالين المرتزقة الذين كانوا يصنعون تمــاثيل الإله « أوزير » فقد أصبحت مصفوفة مكدسة تحت الأتربة المتراكمة فى كثير من المعامل التى أصبح عاليها سافلها، وكذلك الحجارين الذين وجدوا أن ماصنعوه من شــواهد قبور مزخرفة بنقوش خاليــة من كل ذوق نقلوها من كتّاب الموتى قد استبعد من

مدينة الأموات ، ثم الكتاب الذين كانت إضماماتهم البردية المخطوطة المنقولة من " كتاب الموتى " تعد فى ذلك الوقت لعنة لمن يستعملها لأنها مفعمة بأسماء الآلهة القدامى أو لأنها كانت تشمل كلمة الآلهة فى صيغة الجمع ، هذا إلى رجال الكهانة المسرحيين والممثلين الذين طردوا من تلك الأماكن المقدسة فى الأيام التى اعتادوا فيها أن يمثلوا للشعب تمثيلية (موت «أوزير» وبعثه ثانية)، وطوائف الحجاج المتذمرين الذين كانوا يحجون إلى «العرابة المدفونة» وهم الذين كان من أقدس واجباتهم أن يشتركوا فى تلك التمثيلية التى تعبر عن حياة « أوزير » ، وموته ثم بعثه من بعد الموت بصفة مؤثرة خلابة ، وكذلك الأطباء الذين حرموا كل أسهم تجارتهم الخاصة بالأحفال السحرية التى كانت تستعمل بنجاح منذ أقدم العهود ، أى قبل ألفى سنة من العصر الذى نحن بصدده ، فقد كان حنقهم وغيظهم شديدا . ولا يفوتنا ذكر الرعاة الذين أصبحوا لا يجسرون بعد أن يضعوا رغيفا معه إناء من الماء تحت شجرة راجين بذلك الفرار من غضب الآلهة ساكنى الشجرة، وهى التى كان فى مقدورها على حسب الاعتقادات القديمة أن تنزل المرض بأهل المنزل عند غضبها ، وكذلك الفلاحون الذين كانوا يخافون أن ينصبوا صورة ساذجة للإله « أوزير » فى الحقل ليطردوا بها الشياطين المؤذية المسببة للجدب والقحط ، هذا إلى الأمهات اللائى يدللن أطفالهنّ عند الشفق وهنّ خائفات أن ينطقن بتلك الأسماء المقدسة القديمة وبالصلوات التى تعلمنها فى طفولتهنّ حتى يبعدن عن أطفالهنّ شياطين الظلام الراصدة لاختطافهم .

وفى هذا الوسط المظلم الملبد بسحب التذمر الخانق ضرب هذا الملك الشاب المدهش هو وطائفة انتخبها من بين بطانته وحاشيته المحيطة به سرادق مذهبه الجديد فى رائعة النهار فى هدوء لا شعور معه بذلك الظلام الدامس المتراكم طبقات بعضها فوق بعض وهو الذى شمل كل ما حوله غير أنه كان فى الوقت نفسه يزداد ظلمة فى كل يوم منذرا بشر مستطير ونهاية محتومة لأنها سرادق أقيم على شفا جرف هار .

وإذا نظرنا إلى حركة «إخناتون» وما قام به من انقلاب دينى فى ذاته عظيم، على أساس ذلك التذمر الشعبي الذى وصفناه، ثم أضفنا إلى تلك الصورة معارضة الكهانة القديمة التى كانت تقوم فى الخفاء وكانت خطرا مباشرا عظيما، ومعارضة حزب « آمون » الذى لم يكن قد غلب على أمره تماما، ومعارضة طائفة الجنود الأقوياء الذين كانوا ساخطين على سياسة الملك السلمية فى آسيا وقبضهم على زمام الأمور فى داخل البلاد أدركنا شيئا عن تلك الشخصية القوية التى كان يحملها فى نفسه ذلك القائد الروحى الأوّل فى تاريخ الإنسانية بقدر ماوصلت إليه معلوماتنا المستقاة من المصادر الأصلية المدوّنة على الآثار .

ويعدّ حكمه أقدم محاولة لسيطرة الآراء الفردية التى لا تحفل بحالة الشعب الذى فرضت عليه تلك الآراء، وبدون معرفة مدى استعداده لقبولها أو رفضها . وقد عبر عن ذلك الكاتب الانجليزى « مثيو ارنولد » Mathew Arnold تعبيرا حسنا عند تعليقه على الثورة الفرنسية المشهورة بقوله :

” ولكن الولع بالإسراع فى القيام بتطبيق سياسى لكل تلك الآراء الجميلة التى كان يمليها العقل كان خطرا ... ...’فالأفكار لا يمكن أن تقدّر فوق قيمتها بمفردها أو فى حد ذاتها ، كما أنه لا يستطيع الإنسان أن يعيش فى حدودها أكثر مما يجب، ولكن إذا نقلت تلك الأفكار بغاءة الى تجربة سياسية وخبرة حيوية بقصد قلب نظام العالم بما تحويه من الأوامر فإنها تحدث نتيجة أخرى بالمرة “ .

والواقع أنه لم يكن لدى «إخناتون» ماض يسير على هداه مثل الماضى الذى كان خلف الثورة الفرنسية يرجع إليه، بل كان هو نفسه أوّل ثورى عالمى . وقد كان مقتنعا فى قرارة نفسه تماما بأنه فى مقدوره أن يضع عالم الديانة والفكر والفن والحياة فى قالب جديد بعزم ثابت لا يقهر، وذلك بجعل آرائه ذات تأثير فعلى فى الحال بتنفيذها بكل ما أوتى من قوّة ومضاء عزيمة .

وعلى هـذا الأساس أقام مدينة « إخناتون » الجميلة فكانت جزيرة خيالية للنعمين ولكن فى وسط بحر من التذمر والسخط ، بل كانت حلما جميلا مملوءا بالآمال المحببة لدى عقل غاب عنه تماما أن الماضى لا يمكن محوه وأن تجاهله لا يغنى عن الحق شيئا .

والأمر العجيب أن ظهور مثل هذا الرجل لم يكن إلا فى الشرق أوّلا وبخاصة فى مصر حيث لم يكن فيها رجل يستطيع نسيان الماضى غير «إخناتون» . على أن أمم البحر الأبيض المتوسط التى كانت مصر تسودها وقتئذ لم تكن أحسن استعدادا لقبول ديانة دولية أكثر من سادتها المصريين .

ويعيد إلى ذاكرتنا خيال « اخناتون » الدولى بآمال « الاسكندر الأكبر » الذى جاء بعده بألف سنة تقريبا ، ولكنه كان سابقا لعصره بعدّة قرون، على أن الحقيقة التى كانت تحيط به والمركز المهدّد الذى دعا حزبه لتبصره يوميا قد صوّر فى وصف كتبه « توت عنخ آمون » بعد موته بمدّة فاستمع إليه : "وعندما أشرق جلالته الآن ملكا كانت معابد الآلهة والإلهات من بداية «الفنتين» حتى مناقع الدلتا قد أهمل شأنها ، إذ قد أصبحت محاريبها خاوية ، وصارت أراضى تغشاها أعشاب « كات » (؟) ، ومعابدهم أصبحت كأن لم تغن بالأمس ، وحجراتهم كانت طرقا معبدة ، والبلاد كانت فى ارتباك ، وهجرت الآلهة الأرض ، وإذا أرسل جيش (؟)الى «زاهى» ليمدّ من حدود مصر لم ينل أى نجاح قط ؛ وإذا دعا الله إنسانا ليطلب إليه حاجة فانه لا يأتى إليه بأية حال ، وإذا تضرع إنسان لالهة فانها كذلك لاتجيب تضرعه بأية حال لأن قلوبهم كانت ضعيفة من نفسها بالغضب فخربوا ما عمل" (راجع الجزء الخامس ص ٤٤٦) وكان أتباع «إخناتون» يدعون فى أحوال مثل هذه أن يستمر حكمه حتى تصير البجعة سوداء ويصير الغراب أبيض ويستنوق الجمل ، والى أن ترتفع الجبال وتسير ويصعد الماء الى التل !

والواقع أن سقوط هذا الثورى العظيم والمبتكر الفذ يحوطه الغموض التام .

وكانت النتيجة المباشرة لسقوطه — وقد كان ذلك طبعيا — هى إعادة عبادة « آمون» على يدخلفه «توت عنخ آمون» ذلك الشاب الضعيف زوج ابنته «عنخس ان آمون» ثم إرجاع النظام الدينى القديم بأكمله إلى ما كان عليه قبل تولى «إخناتون» عرش الملك .

والبيان الذى فاه به « توت عنخ آمون » عن إعادة عبادة الآلهة الأقدمين يعدّ إعلانا هاما عن الحالة العقلية والدينية لقادة رجال الأعمال عندما اختفى «إخناتون» من مسرح الحياة إذ يشير « توت عنخ آمون » فى لوحته المشهورة لنفسه قائلا عن الإله « آمون » : "إنه الحاكم الطيب الذى يعمل الأشياء النافعة لوالده «آمون» ولكل الآلهة ، وهو الذى جعل ما خرب صالحا بمثابة أثرخالد مدى الدهر ، وقضى على الأعمال الخاطئة فى كل الأرضين، ووطد الحق، وجعل الكذب ممقوتا فى كل البلاد ، كما كانت الحال فى بادئ الأمر" .

وبذلك كان يعدّ سقوط « إخناتون » فى نظر أعدائه المنتصرين إعادة للنظام الخلق القديم وهو العدالة «ماعت» وإقصاء للظلم . وبعد ذلك أخذ «توت عنخ آمون» يصف تلك الحالة كما ذكرنا آنفا (راجع الجزء الخامس ص ٤٤٦) . وهكذا شاءت سخرية القدر أن تلعن ذكرى ذلك الرجل العظيم صاحب المثل الأعلى فى التدين الحقيقى الذى يسير عليه العالم الآن فى مجموعه ، ولم يسمح ملوك مصر بأن يظهر اسم « اخناتون » فى القوائم العظيمة المسجلة على الآثار وفى إضمامات البردى بين أسماء ملوك مصر السالفين ، وأدهى من ذلك أنه إذا حتمت الأحوال ذكر اسمه فى الوثائق الحكومية فى عهد الفراعنة الذين خلفوه كان ينبذ باسم (مجرم) « إخناتون » . ولسنا فى حاجة إلى القول بأن فرح كهنة « آمون » باسترداد سلطانهم كان عظيما، ولدينا أنشودة «لآمون» من ذلك العهد دوّن فيها فوز أتباعه وتظهر فيها شماتتهم بأعدائهم فاستمع لما جاء فيها خاصا بذلك :

"إنك تصل الى من يبغى عليك، والويل لمن يهاجمك، ومدينتك تبقى، ولكن من يهاجمك يهوى ، وشمس من لا يعرفك تغيب ... « يآمون » ! من يعرفك

يضىء، ومعبــد من هاجمك فى ظلمــة ، حينما تكون جميــع الأرض فى نور"[1] (راجــع British Mus. Ostracon 5656. A. Z. XIII, p. 106.) . ففى هذه الأنشودة يظهر جليا حقــد أعداء « اخناتون » المشبع بالانتقام والسخرية المملوءة بالشماتة عندما يقول : "وشمس من لا يعرفك (يعنى « اخناتون ») تغيب ... ... « يآمون » " . ومعبد من هاجمك (يعنى « اخناتون » فى ظلمة) . وهكذا كانت حالة معبد الشمس « بتل العمارنة » الذى كان مفتنو « اخناتون » يصوّرونه دائما منغمسا فى بحر لجىّ من ضــوء الشمس عندما كان « آتون » مشرقا فوقه بأشعته العظيمة التى كانت تحيط به وتغمره ضامّة إياه فى أحضانها .

ولم يبــق حتى الآن شىء من معبــد ذلك النور الأبدى ، الذى كان يوما ما ساطعا مشرقا إلا دمنه الأساسية ، التى تشبه الوشم فى اليد . والآن نتساءل : هل بقى شىء آخر من آثار هــذا الأثر العقلى ، وهل تجرى أقدم ثورة فكرية للعقل الإنسانى مجراها ، دون أن تترك خلفها نتيجة باقية ؟ .

حقا إن ثورة « اخناتون » كانت عنيفة إلى أبعد حدّ فى طرقها ، ومن أجل ذلك لم يخلد ما أحدثتــه من انقلاب ، فالفنّ المدهش الذى أحدثته كان مهذبا أكثر ممــا كان يلزم فى التصوّر وقوّة النظام ، ولذلك لم يستمرّ ، ولم يعش طويلا جميعه . وقد كشفت لنا مصانع «إخناتون» «بتل العمارنة» حب المفتنين الملكيين المدهش لهذا الفنّ الذى لقنه لهم هــذا الفرعون نفسه . وقد ترك عملهم هذا أثره فى فنّ العصر، الذى جاء بعد اختفاء هذا الفرعون ، وإن كان فنا النحت والتلوين لم يستردّا قط تلك الحرّية التــامّة التى تمتعا بهــا فى عهد « إخناتون » ، كما أنهما لم يشعرا ثانيــة بتلك الحقيقة الدقيقة التى كانت تدبّ فى فنّ معامل «تل العمارنة» أمثال معمل « تحتمس » وغيره . أما فى الأخلاق فلم يعــد تعظيم الصــدق الذى كان شعار « إخناتون » بتلك الدرجة السامية التى بلغتها فى تصوّر هــذا الفرعون

(١) راجع كتاب الأدب جزء ٢ ص ١٤٩

الموحد ، ولا جدال فى أن ميـله العاطفى نحو الجمـال والخير ، اللذين شاهدناهما فى أعماله الإلهيه ، قد تركا أثرا فلم يكن من السهل نسيانهما دفعـة واحدة، وليس فى استطاعتنا أن نشك فى أن تلك الأنشودة التى تتحـدّث عن وحدانية الله ، قـد بقيت موجودة فى شكل ما بعـد موت « إخناتون » ، حتى أنهـا كانت معروفة بعد موته بقرون عند العبرانيين ، وقد استعملها مؤلف المزمار الرابع بعـد المـائة ، كما ذكرنا آنفا ، وبذلك نعلم أن روح « آتون » لم يختف دفعة واحدة . وسنذكر فيما يلى برهانا آخرعن تأثيره .

ومهما يكن من أمر ، فإن عنف هجـوم « اخناتون » ، الذى كان ينمّ عن تعصبه لمذهبه بشدّة بالغة على التقاليد الموروثة ، قد جعل من الطبعى أن ينزل عليه وعلى حركته التى كان يريد بها الإصـلاح ، الانتقام الجزائى ، الذى كانت خاتمته الدمار التـامّ لمذهبه ، وخراب البـلاد فى الداخل والخارج . ولذلك لا يمكننا أن نعجب من هبـوب تلك العاصـفة الهوجاء التى اكتسحت فى طريقها على وجه التقريب كل الآثار التى أسسها أقدم باحث عن المثل الأعلى، وليس لدينا فى الواقع ما نقصه عنه إلا القليل خلافا لمـا أبقته يد التخريب من بقايا مدينة « اختاتون » التى كانت مركزا منعزلا للمثل العليا التى لم يدركها غيره ولم يعرفها إلا بعد مضى قرون عدّة، حينما تألف أولئك البدو الذين كانوا إذ ذاك ينزحون الى أقاليم « اخناتون » الفلسطينية ، وكوّنوا لهم أمّة كان لها ما لها من الطموح الاجتماعى والخلق والدينى، وكان من نتائجها ظهور أولئك الرسل العبرانيين وأصحاب المزامير ليسـيروا بالروح والرؤيا اللذين سبق بهما أصحاب الأحلام الاجتماعيون من المصريين القدامى .

وكان من جرّاء انغماس « اخناتون » فى معنويات مذهبه العظيم ، أن عكف على التأمّل والانهماك فى الأحلام بقصر الشمس فى « إختـاتون » ، فى حين أن « خيتا » أعداء البلاد الجدد، الذين كانوا قد أصبحوا ذوى بأس شديد فى غربى آسيا ، قد قاموا بالإغارة على دولة مصر الأسـيوية ، وكذلك الكهنة والجنود من

بين شعبه نفسه ، قد قوّضوا سلطان الأسرة الثامنة عشرة تقويضا تاما ، وهى تلك الأسرة التى كانت سيدة الشرق ، نحو مائتين وثلاثين عاما ، وبهدم سلطان « اخناتون » بدأت مصر عصرا جديدا ولم يكن لها فى تلك الأقاليم إلا سلطان اسمى ، ولكن مع ذلك كانت أصداء مذهب «اخناتون» لم تنقطع بعد تجاربه ، وكانت علاقته بالمذهب الشمسى الذى كان موطنه الأصلى فى « هليوبوليس » ، لا يزال معترفا بها اعترافا غير مباشر ، وذلك لأن نفس الأنشودة المحتوية على الفوز المفعم بالشماتة ، الذى أحرزه كهنة « آمون » على مذهب « اخناتون » ، تنمّ عن اتصالها بالمذهب الشمسى القديم ، وكذلك التعبير الأبوى عن « رع » ، عندما تسترسل فى مديح « آمون » وتصفه بأنه الراعى الطيب ، و « النوتى » ، وهذه الأفكار كانت قد ظهرت فى أثناء الحركة الاجتماعية التى قامت فى العهد الاقطاعى المصرى ، كما سبق ذكره .

والواقع أنه على الرغم من إعادة عبادة « آمون » ، لم تختف الأفكار والاتجاهات التى نشأت عنها ثورة « اخناتون » الدينية كلية ، حقا لم يكن فى الإمكان اتباعها فى شكل توحيد يشمل القضاء على الآلهة القدامى ، غير أن نواحى « آتون » الإنسانية والخيرية فى عنايتها بكل البشر ، كانت قد استولت على خيال الطبقة المفكرة ، و بذلك نجد نفس تلك الصفات التى كانت « لآتون » أصبحت تنسب آنئذ إلى « آمون » ، حيث كان الناس يرتلون له ما يأتى (1) :

"سلام لك يا « رع » رب الصدق .

... ...

الذى أمر فوحدت الآلهة .

يا « آتوم » الذى خلق الناس .

والذى حدّد صورهم .

والذى ميزلون كل جنس عن الآخر .

والذى يسمع دعوة المأسور .

والذى قلبه رحيم عندما يدعوه الناس .

والذى يخلص الضعيف من المستكبر .

والذى يبعد الضعيف من القوى .

رب المعرفة الذى فى فمه الأمر السائد .

رب الملاحة عظيم الحب .

والذى يحيا البشر بمجيئه " .

ومن ثم نرى أن الجمل الدالة على التوحيد مبعثرة فى هذه الأنشودة وهى بلا شك تتضمن ذلك وإن كانت دائما تشير إلى الآلهة فى صيغة الجمع :

"الصورة الفريدة الخالق لكل كائن .

الواحد الأحد الفرد الصمد خالق كل موجود .

والذى نشأ الناس من عينيه .

وخرجت من فمه الآلهة .

وصانع الأعشاب للماشية .

وشجرة الحياة لبنى الإنسان .

والذى يضع قوت السمك فى النهر .

والطيور التى تخترق السماء .

والذى يمنح ما يوجد فى البيضة النفس .

ويجعل ابن الدودة يعيش .

---

(١) راجع اب الأدب المصرى القديم جزء ٢ ص ٩٩ ، ١٢٧ الخ . الأناشيد التى ذكرت بعد عهد « إخناتون » وتأثير ديانته فيها .

والذى يصنع ما يعيش عليه النمل .
وكذلك الدود والحشرات .
والذى يمدّ الفيران بحاجاتها فى أجحارها .
والذى يعول الطير فى كل شجرة فتعيش .
... ...
سلام عليك يا من خلقت كل ذلك .
أنت يا واحد يا أحد يا ذا الأذرع العديدة .
وأنت — يا نائم — تيقظ مع أن كل الناس نيام .
فالماشية جميعها تقول : السلام عليك .
وكل مملكة تقول : السرور لك .
بمقدار علو السماء وعرض الأرض وعمق البحر" .

ولدينا أنشودة أو عدّة أناشيد للإله «آمون رع» كتبت بعد عهد «إخناتون» ولكنا نرى فيها تأثير ديانة هذا المصلح الداعية للتوحيد وإن كانت باسم «آمون» وذكرت فيها آلهة أخرى .

وسنذكر هنا أنشودة «آمون» العظمى ثم نقفوها بأناشيد لهذا الإله نفسه كشف عنها حديثا ليرى القارئ مقدار تأثير ديانة «إخناتون» فى عقائد القوم بعد القضاء على مذهبه وإن كنا فى الواقع نجد أن بعض الأفكار التى جاءت فى هذه القصائد لم تكن من أثر عبادة «إخناتون» مباشرة بل كانت ترجع إلى عهود أقدم من زمنه كما شرحت ذلك فى كتاب الأدب (ج٢ ص ٩٢ — ٩٤)، إذ أثبتنا وجود رواية أخرى لأنشودة «آمون» الكبرى سنذكرها هنا . هذه الرواية نقشت على قاعدة تمثال يرجع عهده إلى أواخر عهد الهكسوس ، وإليك نص قصيدة «آمون رع الكبرى» :

متن الأنشودة

« أمون رع »

المقطوعة الأولى : (راجع كتاب الأدب المصرى القديم جزء ٢ ص ٩٤ الخ) .

" الحمد لك يا « آمون رع » رب « الكرنك » الذى يسيطر على « طيبة » ! ثور أمه ، والأول فى حقله[١] . واسع الخطا ، والأول فى مصر العليا ، رب أرض « المازوى »[٢] وأمير « بنت » أكبر الأجسام السماوية ، وأسنّ من فى الأرض ، رب الكائنات الذى يسكن فى كل شىء .

والوحيد فى طبيعته ... ... بين الآلهة ، وثور تسعة الآلهة الطيب[٣] ، ورئيس كل الآلهة .

رب الصدق ، ووالد الآلهة الذى خلق بنى الإنسان وسوّى الحيوان .

رب كل الكائنات الذى يخلق شجرة الفاكهة والذى من عينه خرجت الأعشاب التى تزوّد الماشية .

وهو الصورة الجميلة التى سوّاها « بتاح »[٤] ، والشاب الجميل المحبوب الذى تثنى عليه الآلهة ، وهو الذى خلق من هم (أسفل ومن هم أعلى)[٥] .

والذى يضىء الأرضين ، وهو الذى يخترق القبة الزرقاء فى سلام ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « رع » المنتصر[٦] .

---

(١) الشمس زوج إلهة السماء ، وفى الوقت نفسه ابنها بوصفه شمس اليوم التالى وهو كثور يسيطر على الحقل حيث يوجد المرعى ، وعلى ذلك فهو يسيطر كذلك على السماء كأكبر جسم فيها .

(٢) « المازوى » : أقوام من بلاد النوبة ، أما « بنت » فهى بلد الروائح العطرية .

(٣) أى الزعيم وبطل الآلهة الكبيرة .

(٤) « بتاح » إله الحرف قد منح « آمون » صورته ولذلك يسمى « بتاح جميل الوجه » .

(٥) أى الرجال والنجوم .

(٦) تنصرف الإشارة هنا الى الملك الراحل بوصفه إله الشمس « رع » يغيب فى الغرب ويحيا ثانية فى الشرق .

رئيس رؤساء الأرضين ، عظيم القــوة ، الرئيس الذى يبعث على الاحترام ، والرئيس الذى برأ الأرض قاطبة .

والذى يحسب الخطط أكثر من أى إله آخر ، ومن تبتهج الآلهة بجماله ، وهو الذى يقــدم له الثناء فى « البيت العظيم » ، والذى ظهر فى « بيت النـار »(١) (أو التقديس) .

ومن يحب الآلهة شذاه حينما يأتى من بلاد « بنت » ، الأمير العظيم الشذى ، حينما ينزل من بلاد « ماتو »(٢) الحسن الوجه حينما يأتى من أرض الإله (بلاد بنت) ومن يسجد عند قدميه الآلهة حينما يعرفون أن جلالته هو سيدهم وهو رب الخوف ، العظيم الارادة القوى الطلعة ، النضر القرابين ، وخالق الطعام عندما تهلل لك الناس .

ياخالق الآلهة ، ورافع السموات ، وباسط الأرض " .

المقطوعة الثانية :

" أنت يامن استيقظ معافى ! يا « مين آمون » يارب الأزلية وخالق الأبدية ! ورب المديح الذى يسيطر على تاسوع الآلهة .

صاحب الذيل المستعار ، الحسن الوجه ، رب التاج «وررت» (أى العظيم) ، طويل الريشتين ، ومن له شريط جميل وتاج أبيض عال ، ومن على جبينه الصل

---

(١) « البيت العظيم » : اسم محراب يرجع تاريخه إلى عصر ما قبل التاريخ خاص بالوجه القبلى ، ومكانه « هيرا كنو بوليس » (الكاب الحالية) . أما « بيت النار » فهو كذلك اسم محراب الوجه البحرى ومكانه « بوتو » أى « أبطو » الحالية القــريبة من « دسوق » . ويحتمل أن هــذه الجمــلة تشير إلى ملك وقد استولى على البلدين بعد أن انتصر على أعدائه (راجع Les Hymnes, Religieux du Moyen Empire p. 166) .

(٢) إن الإله « مين » الذى يقع محرابه فى « قفط » التى تخرج منها الطرق المؤدية إلى أصقاع الصحراء الشرقية ، كان يعتبر حامى هذه الطرق . فكان هو الذى يجلب العطور .

(٣) الذى يشاهد مدلى من حزام الملك وما يليه يصف تاج الإله مزينا بالقرون والريش والتيجان والثعابين .

« محنت » وثعبانا « بوتو » ومن شعره ذكى العطر ، ومن يجعل التاج المزدوج ولباس الرأس والتاج الأزرق قوية ، الحسن الوجه ، الذى يتسلم التاج « آتف » ومن يحبه تاج الوجه القبلى وتاج الوجه البحرى ، رب التاج المزدوج الذى يتسلم الصولجان « آمس » رب جعبة الوثائق ومالك السوط « نخخ » .

الأمير الجميل الذى يظهر بالتاج الأبيض ، رب الأشعة ، خالق النور، الذى يقدّم له الآلهة الثناء، والذى يمدّ يده (أشعة الشمس) لمن يحبه، ومن يحرق أعداءه بالنار ، ومن عينه (١) تقهر الثائرين وترشق حربتها فيمن ابتلع المحيط السماوى ، وتجعل الثعبان (نيك (٢)) يلفظ ما ابتلعه .

الحمد لك يا «رع» يا رب إلهة الصدق (ماعت) يا من مقصورته خفية، يا رب الآلهة . يأيها الإله « خبر (٣) » فى سفينته ، والذى يلحظ الكلام و به يخلق الإله ،أنت يا « آتوم » خالق الإنسانية ومميز أخلاقهم ، وبارئ الحياة ، والذى فصل الألوان الواحد عن الآخر (٤) . سامع تضرعات من فى السجن ، الشفيق القلب عندما يناديه إنسان .

ومن ينجى الخائف من الظالم ، والقاضى بين التعس والقوى .

رب العظمة، ومن فمه السلطة، ومن يأتى النيل الحلو حبا فيه، والمحبوب كثيرا وعندما يأتى تحيا الناس .

هو الذى يجعل كل العيون تفتح ... وكرمه يخلق النور ، الآلهة يبتهجون بجماله وقلوبهم تحيا حينما يشاهدونه " .

---

(١) عين الشمس كأنها إلهة الحرب .

(٢) ثعبان (نيك) صورة من الثعبان « أبو بى » الذى يشرب المحيط السماوى حتى لا تستطيع سفينة الشمس أن تسبح عليه .

(٣) « خبر » هو الشمس فى الصباح .

(٤) هى الفكرة التى تكررت بوضوح فى نشيد العمارنة حتى البرابرة هم أبناء الإله الذى يعولهم .

المقطوعة الثالثة :

" إيه يا «رع» المبجل فى الكرنك، ومن يظهر عظيما فى بيت «بنبن» ياصاحب «عين شمس» ، يارب اليوم التاسع من الشهر، ومن يحتفل الناس إكراما له باليوم السادس واليوم السابع (من الشهر) .

أيها الملك رب كل الآلهة والصقر فى وسط الأفق، سيد بنى الانسان ... اسمه خفى عن أولاده . باسمه « آمون »[1] .

الحمد لك يا حسن الحظ ... يارب السرور، القوى فى طلعته، رب التاج ، السامى الريش ، ذا الاكليل الجميل والتاج الأبيض الطويل .

الآلهة يعشقون التأمل فيك، حينما يكون التاج المزدوج على جبهتك .

حبك منتشر فى كل الأرضين، وأشعتك تضىء فى العيون .

إنها نفحة للانسانية عندما تشرق، والوحوش تتباطأ حينما تضىء،[2] إنك محبوب فى السماء الجنوبية، ولطيف فى السماء الشمالية، جمالك يأسر القلوب، وحبك يجعل الأذرع متباطئة، وشكلك الجميل يجعل الأيدى ضعيفة ، والقلب ينسى حينما ينظر الإنسان إليك[3] .

إنك أنت الواحد الأحد الذى خلق كل الكائنات، و إنك الواحد الأحد الذى صنع كل ما يوجد . الناس خلقوا (خرجوا) من عينه . ومن فمه أتت[4] الآلهة إلى بارئ الكلأ للماشية ، وشجر الفاكهة للإنسان ، خالق ما يعيش عليه السمك فى النهر، والطيور فى القبة الزرقاء، مانح النفس من فى البيضة ، ومغذى ابن الدودة،

---

(١) يقصد هنا تورية لأن « آمون » يمكن أن تؤدى معنى « الواحد الحق » .

(٢) هنا وفى المقطوعة التى تليها يظهر أن التعبير « تصبح متباطئة » يقصد به معنى حسنا .

(٣) أى للآلهة التى تسكن هناك .

(٤) على حسب الأسطورة : خلقت الناس من دموع إله الشمس والإلهان « شو » و « تفنوت » من عطسته وتفلته .

صانع ما يحيا به النمل، والدود والذباب أيضا . صانع ما تحتاج اليه الفيران فى أجحارها، ومغذى الطيور على كل شجرة .

الحمد لك يا صانع كل هـذا، الواحد الأحد فحسب، والممتاز بالأيدى العديدة الذى يقضي الليل ساهرا باحثا عن أحسن الأشياء لماشيته (١) حينما يكون الناس نياما .

يا « آمون » الذى يسكن فى جميع الأشياء! يا « آتوم » ! يا «حور اختى» ! احترام لك فى كل ما يلفظون به ابتهالا لك، لأنك تتعب نفسك معنا ! وخشوع لك لأنك خلقتنا ، وكل وحش يقول (؟) الثنـاء عليك : وكل قفـر ارتفاعه السماء وعرضه الأرض وعمقه البحر يقول ابتهالا بك : الآلهـة يخشعون طوعا لجلالتك ويتمدحون بقوة خالقهم ، ويفرحون حينما يقترب منهم خالقهم وهم يقولون لك: مرحبا فى سـلام . يا والد آباء كل الآلهـة ، يا من رفعت السموات وبسطت الأرض ، وصنعت كل كائن ، وخالق كل ما يوجد .

يأيهـا الملك رئيس الآلهة ! إنا نحترم قوتك لأنك خلقتنا . إنا نصيح فرحا بك لأنك سويتنا . إنا نقدم لك الحمد لأنك أجهدت نفسك معنا . الحمد لك يا خالق كل كائن، يا رب الصدق ووالد الآلهة ، بارئ الإنسان ، وخالق الحيوان ، رب الحب وموجد زاد وحوش الصحراء .

يا « آمون » ! أيها الثور ذو المحيا الجميل (٢)، العزيز فى الكرنك وعظيم الطلعة فى بيت (بنبن) المتوج ثانية فى «عين شمس» ، والذى قد حكم بين الاثنين (٣) فى القاعة العظمى ورئيس التاسوع الأعظم الواحد الأحد لا غيره، المنقطع النظير، المتربع فى «طيبة» و « الهليو بوليتى » وأول تاسوعه والذى يعيش يوميا على الصدق (٤) .

---

(١) هو راع حتى فى الليل يبحث عن مكان فيه أكل لماشيته التى لابد أن تكون للإله لأجل أن يخلق تلك الأشياء الكثيرة للناس .

(٢) فى جهة أخرى هذه هى صيغة « بتاح » إله الخلق .
(٣) « خور » و « ست » .

(٤) وهذا هو مبدأ حياته .

يا ساكن الأفق ويا « حور » الشرق[١] ! والصحراء تخلق له (تخرج له) الفضة والذهب واللازورد الحقيقى حبا فيه، والعطر والبخور المخلوطين من بلاد «مازوى» والعطر الجيد لأنفك يا حسن الوجه حينما يأتى من بلاد « المازوى » !

يا « آمون رع » يا رب الكرنك المتربع فى « طيبة » الهليوبوليتى المهيمن على حرســه (؟)" !

المقطوعة الرابعة :

" أنت أيها الملك الأحد ... ... بين الآلهة ، المتعددة أسماؤها التى لا يعرف لها عدد ، المشرق فى الأفق الشرقى والغائب فى الأفق الغربى . المولود مبكرا كل صباح ، القاهر أعداءه كل يوم .

الإله « تحوت » يرفع عينـه[٢] ويبهجه بسموه ، والآلهة تتمتع بجماله ، والقردة « هتت » تهلل بمديحه[٣] .

رب سفينة الليل وسفينة الصباح[٤] اللتين تسبحان فى «نون» من أجلك فى سلام. بحارتك يفرحون حينما يرون كيف هزم عدوك[٥] ، وكيف قطعت أوصاله بالمدية ، وقد التهمته النار وعذبت روحه أكثر من جسمه .

وهذا المارد قد قضى على ذهابه . والآلهة تصبح فرحا وبحارة «رع» مرتاحة (من أجل ذلك) .

إن « عين شمس منشرحة » لأن عدو « آتوم » هزم ، و « طيبة » مسرورة و «عين شمس» مبتهجة أيضا لذلك . و« سيدة الحياة[٦] » مرحة لأن عدد

---

(١) ما يتبعه ينطبق عليه . راعى الصحراء الشرقية والبلاد التى تؤدى اليها طرقها .

(٢) المعنى غامض . (٣) القردة التى تحيى الشمس عند شروقها وكذلك عند غروبها .

(٤) سفينتا إله الشمس . أما « نون » فهو المحيط الأزلى .

(٥) الثعبان « أبوب » عدو الشمس . (٦) ثعبان الشمس .

سيدها قد هزم . وآلهة «بابليون» فى ابتهاج وآلهة «ليتو بوليس»[١] يقبلون الأرض حينما يرونه . وإنه قوى فى سلطانه وأعظم الآلهة بطشا ، الواحد العادل (؟) رب « طيبة » . باسمك يا من خلقت العدل (أو الحق) .

يا رب الزاد، وثور الأرزاق باسمك هذا « ثور أمه » .

خالق جميع الناس الكائنين، وبارئ كل كائن ، باسمك « آتوم خبر » يأيها الصقر العظيم الذى يجعل الجسم مبتهجا[٢] ! الحسن الوجه ، والمدخل الفرح على الصدر، ذو الشكل اللطيف والريش السامى ... الصلان على جبهته .

ومن تسكن قلوب الناس حوله، والذى أذن لبنى الإنسان أن يخرجوا منه ومن يسر الأرضين بطلعته .

الحمد لك يا « آمون رع » يا رب « الكرنك » الذى تحب مدينة إشراقه " .

أما الأناشيد الأخرى للاله « آمون » التى كشف عنها حديثا فهى :

أناشيد للاله « أمون رع »[٣]

" الحمد لك يا « آمون — رع — حور اختى » .

الذى تكلم بفمه، ومن ثم خلق بنى الإنسان والآلهة والماشية والماعز جميعها وكل ما يطير وما يحط .

أنت الذى خلقت الأمطار وجزر البحر الأبيض المتوسط وأهلها قاطنون فى بلادهم ، وكذلك جعلت المراعى خصبة بوساطة «نون»[٤] ، ثم آتت أكلها فيما بعد وكذلك خلقت الأشياء الحسنة التى لا حد لتعدادها لتكون رزقا للأحياء .

---

(١) مدينتان قريبتان من القاهرة الحديثة (مصر عتيقة وأسيم) .

(٢) أشعته تدفئ الجسم .

(٣) راجع كتاب الأدب المصرى القديم جزء ٢ ص ١٣٦

(٤) يعنى النيل هنا .

وإنك راع شجاع ترعاهم إلى أبد الآبدين وبذلك أصبحت الأجسام مملوءة بجمالك والعيون تبصر بك وسرى الخوف منك إلى كل الناس وقلوبهم تتطلع إليك وإنك طيب فى كل زمان وكل بنى الإنسان يعيشون لمشاهدتهم إياك .

وكل إنسان يقول : إننا ملكك يتساوى فى ذلك الشجاع والجبان. والغنى والفقير بصوت واحد وهكذا يقول كل شىء . ورقتك فى قلوبهم وكل إنسان يرى جمالك.

ألم تقل الأرامل «إنك لنا زوج» والأطفال «إنك لنا أب وأم»؟ والغنى يتفاخر بجمالك والفقير يتعبد إلى وجهك والسجين يتطلع إليك، والذى أصابه المرض يناديك.

اسمك سيكون حاميا لكل وحيد، وصحة وعافية لمن يسبح على المياه، منجيا إياه من التمساح وهو ذكرى نافعة فى وقت الشدة، منجيا إياه من فم الحمى وكل إنسان يلتجئ إلى حضرتك ليتضرع اليك .

وأذناك مفتوحتان لتسمعا وتعملا حسب رغبتهم (أى الناس) ، يا إلهنا «بتاح» الذى يحب صناعته والراعى الذى يحب رعيته . حقا إن جائزته هى أن يمنح القلب الذى يرتاح إلى الحق دفنا طيبا .

وغرامه أن يكون قمرا فى مستهله ، يرقص له كل بنى الإنسان ، والمتكففون يجتمعون فى حضرته ، وسيكشف خبايا القلوب ، والأشياء النامية تتحول شطره لتصير مزدهرة والزنبق يفرح به .

وغرامه أن يكون ملك الآلهة فى « إبت أسوت » (الكرنك) ، ومحياه بهى (؟) ، ومجراب ريح الشمال ملكه ، والنيل تحت أصابعه يأتى من السماء كما أمر حتى يصل إلى الجبال ، مقدام فى قوته ، ضار تحت خاتمه (سيطرته) وبطشه سيوجه إلى الخبيث للقضاء على العصيان ، والإنسان يشرب حسبما أمر، ويأكل الخبز على حسب رغبته الحسنة ، والقلوب والأجسام فى قبضته ولا فرح بدونه ، والسرور ملكه والابتهاج لمن فى حظوته .

وغرامه أن يكون « حور اختي » مضيئا فى أفق السماء، وكل إنسان منصرف إلى مديحه، والقلوب تبتهج به وهـو شفاء لكل العيون ، وعلاج ناجع يظهر أثره فى الحال ، وهو يحمل منقطع القرين ساحق للطر والعاصفة[١] .

ألم تأت من حكم العالم السفلى يا « حور » الفتى يا حامل الصو لجان (؟) . ألم تحمل فيك أمك « نوت » ليلا ووضعتك كثور صغير ؟ لقـد أضاءت القطرين بعينيك[٢] ، والمحيط العظيم (الفرات ؟) مفعم بجمالك .

ألم تمض اليوم راعيا لبنى الانسان إلى أن ارتحت فى حياتك (غاب كالشمس ؟) دعنا نبتهج بك فى الغـرب حينما تسلمنا إلى الليل . تعال الينا فى حياة وثبات وقوة حتى تسمع شكايتنا .

إن أمك يا «آمون» هى الصدق، وهى ملكك الوحيدة الفريدة ؟ أى الصدق وإنها خرجت منك[٣] وثار ثائرها لتقضى على من يهاجمك، إن الصدق (ماعت) فريد يا «آمون» يعلو كل إنسان وجد .

[من هذه النقطة نجد أن كل مقطوعة تبتدئ بصيغة تعجبية تكرر غالبا ثلاث مرات يتخللها نداء] . ما أعظم ارتياحك ، ما أعظم ارتياحك ! يا «آمون» ما أعظم ارتياحك ! لقد سرك أن تعمر القطرين ، لقد نظمت علية القوم ويثبت البلاد على حسب أمرك الصائب، إنك واحد راض .

ما أعظم حرارتك[٤] ، ما أعظم حرارتك ! يا « آمون » ما أعظم حرارتك ! إنك صبور و بك تخلق الحياة، والطيش بعيد عن جلالتك، وسيكون على الأرض وارثون

---

(١) يظهر من هذه الكلمات الأخيرة أن « شفاء » و « علاج » و « يحمل » مستعملة هنا مجازا وأن الإشارة الحقيقية هنا هى لإله الشمس بوصفه متغلبا على الجو الردىء .

(٢) الشمس والقمر : فالعين اليمنى هى النهار واليسرى هى الليل .

(٣) لقد جعل المؤلف هنا الصدق أم الإله وابنته .

(٤) المقصود هنا الحرارة الطبعية التى تسبب الخصب والنماء لأنه هنا يعتبر إله الشمس .

ما أطيبك ، ما أطيبك ! يا آمون ما أطيبك ، إنك طيب لكل إنسان أنت أيها الراعى الذى يفهم الرحمة والسامع لصياح كل من ينادى ، ومن يستميل القلب ، وجاعل نفس الحياة يأتى .

ما أجملك إنك فى سلام لأنى أتيت بكل بنى الإنسان إلى الوجود والدنيا هى جزيرتك الجميلة والشر و العنف قد سقطا .

ما أجملك إلهـا ! إن « آمون » هـو « حور اختى » مدهش سابح فى السماء حاكم على أسرار العالم السفلى والآلهة يأتون أمام وجهك (؟) ويتمدحون بالصور التى تقلبت فيها فلتضىء من جديد على يد «نون» وأنت خفى فى صورة « خبرى » (١) وواصل إلى أبواب « نوت » وجميل فى جسمك ، وأشعتك تبشر بك فى أعين الأقطار ، وجزر البحر الأبيض المتوسط . وسكان العالم السفلى يتعبدون حولك ، والأحياء يخرون سجدا عند إشراقك وأهل الشمس يرقصون أمام وجهك .

وعامة القوم وعليتهم يمدحونك ، والماعز والماشية تتطلع إليك ، والأشياء الطائرة تنطلق عاليا نحوك ، وكل النباتات النامية تلتفت إليك لجمالك ولا حياة لمن لا يراك .

ما أشجعك ، ما أشجعك ! يا إلهنا « رع » ما أشجعك ! لقد حكمت العالم السفلى ووهبت ساكنيه الحياة واستجبت لشكايات المتعبين فيه .

ما أشجعك ، ما أشجعك ! يا إلهنا يا « رع » ما أشجعك بإشراقك فى الصباح أزرت المحيط ، لقد أيقظت كل الأشياء التى أتت إلى الوجود ، ولقد فتحت سبلها بوصفك راعيهم ، ولقد بعثتها إلى الحياة مرة ثانية لأنك حاميهم .

ما أشجعك يا إلهنا يا « رع » أنت يارب السماء وأنت أيها الراعى الذى يعرف كيف يكون راعيا ، أليست أذناك تميلان إلى قلوبهم ؟ وإرشادك (؟) فى كل جسم وبطشك متيقظ لكل سىء النية وليس هناك شىء تجهله على الأرض .

(١) اسم للشمس فى الصباح . (٢) السماء . (٣) المتوفين .
(٤) يقصد هنا الماء الذى يحيط بالعلم أى « نون » .

ما أقدسك فى الغرب يا «رع» يارب السلام، لقد فتحت أبواب «مسكت»[١] بينما أصبح «حور» منتصرا و «وننفر» (أوزير) مفعما بالفرح، وأرباب العالم السفلى فى عيد، والأرض الصامتة فى حبور بأشعتك الجميلة (عالم الموتى) .

ما أقدسك فى الغرب أنت يامن يغنى الأبدية، والشكاوى تجمع إليك ! ؛ أنت يا قاضى الصدق، أنت يا أيها الإله العظيم حاكم (البوّابة)، يامن تميل إلى من يناديك، وعندما ينبثق فجر النهار يكون قد أفنى الأعداء الناهبين، فلا يجعل لهم وجودا، وهو يأمر بأن يحكم الصدق فى أرض الجبانة .

ما أقدسك فى الغرب، أنت أيها الراعى الذى يعرف كيف يكون راعيا، لقد وضعت السعادة على كل عين وأعدت قاعاتهم السرية (؟) وقد صارت قوّتك حمايتهم، وأنت الذى عمله لا يخيب قط وكل الناس الذين استولى عليهم الإغماء تعود إليهم الحياة ثانية عند شروقك .

ما أجمل شروقك فى الأفق فإننا نكون فى حياة متجدّدة ! لقد دخلنا فى «نون»[٢] وتجدّد الإنسان كما كان فى الأوّل طفلا، فالواحد يخلع والآخر يلبس[٣]، إنا نمجد جمال وجهك، ابحث عن الطريق وأرشدنا إليه حتى نتمكن من حسبان كل يوم .

[ما أجمل] شروقك يا « رع » إنك البارئ الذى يخلق السعادة والملتفت إلى صوت كل من يصيح نح أنت من ... والراعى قد وضع أمامه إلى أن وصل إلى المعبد[٤] .

ما أجمل إشراقك يا « رع » ياربى، يا من يعمل راعيا فى مراعيه، والإنسان يشرب من مائه، تأمل إنى أتنفس من الهواء الذى يمنحه ، وهو مالك الحياة التى تذهب سويا مع حمايته (؟) إلى كل فرد يلتف حولك[٥] (؟) .

---

(١) إقليم فى السماء ربما كان الأفق . (٢) الظاهر أن الفكرة فى ذلك هى أن مصير الانسان يتبع إله الشمس الذى يدخل فى نون (محيط العالم السفلى) ليلا ثم يولد ثانية طفلا ممثلا حياة فى الصباح .

(٣) أى أن الرجل المسن يلق به فى عالم الآخرة والصغير يلبس ليكون فى الحياة الدنيا .

(٤) المعنى غامض . (٥) المعنى غامض .

ما أجمل شروقك يا أيها الراعى العظيم ، تعالى جمعاء أيتها الماشية ، تأملى إنك تمضين اليوم فى المراعى تحت حراسته وقد أبعد عنك كل أذى ، إنه يغيب فى سلام إلى أفقه وأراضيكم ... ...

ما أجمل إشراقك يا « رع » إنك تجعل اللصوص يرتدون ، وهاتان العينان تنظران وتبكيان (؟) ... ليل نهار فى الأراضى والأرض الصامتة ... صانع الجمال ألم تضئ و بذلك تنبعث الحياة . (؟) ... ...

ما أجمل إشراقك يا « رع » يا أيها الراعى المحبوب ! ... والماعز والماشية والطيور تصيح له ... مصر ، ونوره الجميل يأتى إلى الوجود (؟) " .

[والظاهر أن معظم بقية هذه الورقة قد مزق قصدا أو اتفاقا] .

والواقع أن هذه الأناشيد فى جملتها تشبه أناشيد ورقة « ليدن » إذ نجد فى هذه الورقة أن «آمون — رع» قد ذكر باسمه الشائع هذا مرة واحدة و إن كان هو الإله الوحيد الذى كان يقصد المؤلف تبجيله والإشادة به وقد ذكر غير مرة باسم « آمون» فحسب أو باسم « رع » .

ولا غرابة فى أن نراه يذكر فى بعض الأحيان فى أنشودة «ليدن» باسم «حور اختى » و « آتوم » لأنه كان يمثل إله الشمس ، ولكن الذى يلفت النظر هو أنه قد وصف فى حالتين بأوصاف الإله « بتاح » بصفة قاطعة .

وهذه المميزات تظهر لنا ثانية فى هذه الأناشيد ، إذ نجد أن اسم « آمون رع» لم يذكر إلا مرتين ، على حين أن الاسم المركب « آمون — رع — آتوم — حور اختى » يظهر فى سياق الكلام على أنه يدل على اسم واحد مسيطر ؛ وقد سمى هذا الإله «بتاح» عندما نعت بأنه الصانع العظيم ، كما أنه ينعت بالنيل عندما يتخذ صفات الإله « حعبى » (أى النيـل) ، ولكن على الرغم من كل ذلك فإن أعظم مظهر له هو الشمس ، إذ أنها إذا غابت انحلت قـوى بنى الإنسان وماتوا ، و إذا أشرقت

انتعشت كل المخلوقات . والواقع أن الحياة بدون الشمس المشرقة تصبح مستحيلة وقد استمرت الصور الخرافية القديمة عن إله الشمس تذكر فى هذه الأنشودة ، فهو يسبح فى الماء فى سفينة ويرسل لهيبه على الثعبان « أبو بى » عدوه الأكبر الذى يعترض سيره فى الماء ، هذا إلى أن الإلهة « نوت » ربة الماء تحمل فيه ليلا وتلده كل صباح فى شكل ثور صغير ؛ ولكن إذا كان له جسم سماوى ظاهر نهارا ، فإنه فى أثناء الليل يحكم فى العالم السفلى ، وهو كذلك يعدّ كاله القمر ويسر سرورا خاصا فى أن يظهر نفسه هلالا وربما كان ذلك إشارة للإله «خنسو» إله «طيبة» الذى كان يعدّ ابن « آمون » و « موت » ومنهم جميعا يتألف ثالوث « طيبة » .

ونجد كذلك فى هذة الأنشودة إشارة للإلهة « موت » المكملة للثالوث فهى أم الإله المتلون كالحرباء (أى المتعدد الصور) ، وكذلك نجد فى فقرة أن إلهة الصدق قد عدّت أمّا وأختا له . وقد ذكرنا سابقا أن الإلهة « نوت » إلهة السماء قد حملت فيه ، وقد ذكرت معه عدّة آلهة أخرى غير أنها تلعب دورا ثانويا ، وقد جىء بذكرها هنا لتمجيد الإله الأعظم ، وقد ذكر « آمون رع » فى هذه الأناشيد بوصفه إلها نافعا وقد اتصف بأنه « راع طيب » مرارا وتكرارا ، وأنه أقرب الأقرباء إلى بنى البشر والحيوان والنباتات من مخلوقاته .

وهو الذى يحفظ كيان الحياة ويمدّ الإنسان بأرزاقه ، ولذلك تعبده الطبيعة كلها وهو عدوّ قاس للثائر والخبيث ، وهو يمنح كل من يواليه الفرح والسرور ، وهو قاض مسيطر عادل وأذناه مفتوحتان لتسمعا الشكايات .

على أن أكبر ظاهرة تسترعى النظر فى هذه الأنشودة هى التأكيد الذى يظهره بأنه «رب الكون» ولا يغرب عن ذهن أى باحث أن يرى بشكل بارز كثرة ورود التعبيرات : « كل واحد » و « كل إنسان » و « كل بنى الإنسان » .

وكما أنه لا يفرق بين الفقر والغنى فإنه كذلك يمدّ سلطانه على الأجانب خارج الحدود المصرية وقد ذكر أهل البحر الأبيض المتوسط ثلاث مرات .

وأظن أن كل ماذكرناه كاف لبيان أن فكرة الوحدانية قد عبر عنها فى أناشيد « آمون رع » التى على ورقة « ليدن » بجانب فكرة تعدد الآلهة التقليدية فى الديانة المصرية، وليس هناك تضارب ظاهر فى التعبير عن هاتين الفكرتين فى متن واحد (١) .

ولا شك فى أننا نشاهد فى هذه الأناشيد تأثير فكرة التوحيد التى ظهرت فى « تل العمارنة » ، ومع أنها أخمدت بكل شدّة وعنف إلا أنها تركت أثرها فى أذهان القوم بصفة جلية .

على أنه توجد أنشودة للإله « أوزير » من نفس ذلك العصر مخاطبة له بما يأتى : " أنت أب الناس وأمهم " .

" وهم يعيشون من نفسك " .

وفى كل ذلك نجد روح العناية الإنسانية قد ظهرت مبكرة كما ذكرنا فيما تقدّم منذ التعليم الاجتماعى فى العهد الإقطاعى المصرى . يضاف إلى ذلك أن تفضيل المستضعف على المستكبر والمتجبر والأمر السائد والمعرفة وهى الامتيازات الملكية الإلهية، قد عثرنا عليها من قبل فى المقالات الاجتماعيـة التى فاه بها أمثال « أبور » و « خعخبر رع سنب » و « نفرروهو » ، وكذلك فى الوثائق الحكومية وبخاصـة فى الدستور الذى وضعه الفرعون للوزير فى عهد الأسرة الثانيـة عشرة وسار عليه الملوك فيما بعـد . والحقيقة أن التعبير عن الإله بأنه هـو الأب والأم لمخلوقاته يرجع إلى ما كان عليه الاعتقاد فى مذهب « آتون » .

ومع أن أمثال هـذه الأناشيد لا تزال كذلك تحتفظ فى ثناياها بالعقيدة العالمية وبعدم الالتفات إلى حدود البلاد القومية، وبالنظرة الواسـعة البعيدة المرمى وهى الأشـياء التى ذكرناها فى تعاليم « اخناتون » ، فإنها على الرغم من ذلك تكشف لنا عن ثقـة شخصية تدل على طيبـة الإله وهى بذلك برهان هام على طموح الإنسان

---

(١) وهذا يطابق ما نشاهده عند عامة الشعب المصرى الجاهل فإنهم يعتقدون بوحدانية الله ولكنهم فى آن واحد يتوسلون إلى أولياء الله معتقدين أنهم ينفعونهم أو يضرونهم .

الشخصى فى عون الله ورحمته، ومن ثم تكشف لنا عن بداية العصر الجديد للتدين الانفرادى الذاتى وهو مناجاة الله مناجاة سامية خالصة تدل على الورع والخوف منه والتوسل إليه فى كل ما يحيق بالإنسان من ضر .

والواقع أننا عندما ننعم النظر فى العقائد البسيطة التى لا تتصل بالكهانة كثيرا فى خلال القرنين الثالث عشر والثانى عشر أى فى القرنين اللذين أعقبا عصر « إخناتون » نجد أن ثقة المتعبد فى عناية إله الشمس بكل المخلوقات حتى صغيرها قد تطورت إلى روح نقية خالصة وشعور فياض من الاتصال بالذات الإلهية وهو الذى ظهرت آثاره من قبل حينما قال « إخناتون » لإلهه : " وإلى الآن فإنك لا زلتَ فى قلبى " .

وعلى ذلك نرى أن نفوذ مذهب « آتون » الباقى ، وعقائد العدالة الاجتماعية التى تجلت فى العهد الإقطاعى ، عندما طالب الشعب بحقوقه ، قد سمت وقتئذ بظهورها فى أعمق تعبير مؤثر للروح الدينية الورعة التى لم يصل إليها قبل رجال مصر قط، يضاف إلى ذلك أنها على الرغم من تأصلها فى تعاليم فئة قليلة محصورة، فإن تلك المعتقدات التى كانت ذات علاقة شخصية وثيقة بين العبد وربه قد صارت آنئذ بمرور القرون منهاجا بطيئا متدرّجا، منتشرة انتشارا واسعا بين الشعب،وكانت النتيجة انبثاق فجر عصر التعبد الانفرادى والإلهام الباطنى بين الله وعامة خلقه،وذلك يعنى التحنف والتعبد لاستصلاح النفس والروح وتحليتهما بالأخلاق الفاضلة عن طريق العبادة والورع والزهد والتنسك وهو مايعرف بالتصوّف عندنا الآن .

ومما يؤسف له جدّ الأسف أن الوثائق التى فى أيدينا عن هذا التنسك والتعبد لم نجدها حتى الآن إلا فى مكان واحد وهو « طيبة » ويمكننا أن نتعقب هذا المظهر الجديد من الديانة الحقة فى تلك الجهة ، ولا يخلو ذلك من فائدة ، إذ أصبح فى استطاعتنا معرفة مدى أرواح عامة الشعب الذين كانوا يملئون الطرقات

والأسواق، والذين كانوا يحرثون الحقول و يزرعونها، ونهضوا بكثير من الصناعات العالمية ، وكذلك الذين كانوا يمسكون بدفاتر تدوين الحسابات ودوّنوا السجلات الرسمية، أو الذين كانوا يقطعون الأخشاب و يمتحون المـاء وغير ذلك .

وهؤلاء هم الرجال والنساء الذين وقع على كواهلهم عبء تلك الحياة المـادية الشاق المنهك للقوى فى حاضرة البلاد المترامية الأطراف فى خلال القرنين والثانى عشر والثالث عشر قبل الميـلاد ، فنجد مثلا أن كاتبـا فى إحدى مستودعات الخزانة فى جبانة « طيبة » يدعو الإله « آمون » فيقول : "أما من جهة

الذى يأتى إلى الصامت .

والذى ينجى الفقير .

و يعطى النفس كل إنسان يحبه .

... ...

نجنى واسطع علىّ .

لأنك تخلق قوّتى .

... ...

وأنت الإله الأحد لا إله غيرك .

فأنت نفس « رع » الذى يشرق فى السماء .

و«آتوم » خالق البشر .

... ...

الذى يسمع دعاء من يدعون .

والذى ينجى الإنسان من المتكبر .

والذى يجرى النيل لأجل من هو منهم .

والهادى لجميع الأنام .

... ...

وعندما يشرق يعيش البشر .

وقلوبهم تحيا عندما يرونه .

والذى يمنح النفس ما فى البيضة .

والذى يجعل البشر والطيور تعيش .

والذى يرزق الفيران بحاجاتها فى أجحارها .

والديدان والحشرات أيضا " .

ومن ذلك نفهم أن الإله الذى يوجه عنايته إلى كل شيء حتى المحافظة على العصافير مثل « إله عيسى » كان فى استطاعة أهل «طيبة» أن يشكوا إليه مصائبهم وهمومهم فى حياتهم اليومية واثقين فى شفقته وحنانه وفيض رحمته .

على أن أهم هذه اللوحات التى يمثل فيها التعبد والتقرب إلى الله زلفى لإغاثة الملهوف عند اشتداد الكرب ، لوحة محفوظة الآن فى متحف برلين (Berlin No. 23077) وقد عثر عليها فى مجموعة معابد مصنوعة من اللبن أقيمت للإله « آمون» وهذه المعابد قد أقيمت لعمال الجبانة الطيبية . ويحتمل أن معظم اللوحات التى من هذا القبيل قد جىء بها من هذه الجهة . وقد أهدى الرسام « نب رع » هذه اللوحة للإله « آمون» وقد اشترك فى الإهداء ابنه « خعى » وذلك لشفاء « نخت آمون » وهو ابن آخر « لنب رع » وفيها نرى بوضوح كيفية نجاة نجل هذا الرسام العظيم من مرض ألم به بفضل « آمون » وشفقته العظيمة . وقد كان « آمون» يعدّ فى نظر ذلك الرسام الإله الجليل الذى يجيب دعوة الداعى إذا دعاه ، ويجيب الفقير المعذب إذا استغاث به ، ويمنح من قوس الدهر قناته النفس ، وهو فى هذا النقش يقص علينا قصة طيبة الإله « آمون» ورحمته فاستمع إليه (فى أعلى اللوحة يشاهد « آمون» على عرشه أمام بوّابة عظيمة وعليه النقش التالى) :

"« آمون » رب الكرنك .

والإله الأعظم فى «طيبة» .

والإله السامى الذى يسمع الدعاء ،

والذى يأتى عند نداء القانع والمعتر .

والذى يمنح البائس النفس" .

ويشاهد « نب رع » راكعا أمام « آمون » وفوقه النقش التالى :

تقديم المديح لآمون رب « الكرنك » .

وهو الذى فى « طيبة » :

" الخشوع « لآمون المدينة » الإله العظيم .

سيد هذا المحراب العظيم والعادل .

ليجعل عينى ترى جماله .

لأجل روح رسام « آمون » « نب رع » المنتصر" .

وفى أسفل اللوحة المتن التالى :

تقديم المديح لآمون .

" سأضع له الأناشيد باسمه .

وسأمدحه حتى عنان السماء .

وعرض الأرض .

وسأعلن قوته لمن ينحدر فى النهر .

ومن يسبح مصعدا .

فاحذروه أنتم .

وأخبروا بذلك الابن والابنة .

والكبير والصغير .

وحدّثوا عنه أجيالا بعد أجيال .

ومن لم يوجد بعد .

وعرفوا به السمك فى النهر .

والطيور فى السماء .

وقدموه لمن لا يعرفه .

واحذروه أنتم !

إنه « آمون » ربك الصامت .

ومن يأتى عندما يناديه المعتر .

وإنى أناديك عندما أكون فى ضنك .

وإنك تأتى حتى تنجينى .

وحتى تعطى النفس لمن أصابه البؤس .

وحتى تخلصنى أنا الذى فى الأغلال .

وإنك « آمون » رب طيبة .

الذى ينجى حتى من فى العالم السفلى .

لأنك أنت الرحيم .

فإذا ناديتك .

فإنك أنت الذى تأتى من بعيد" .

أقامها رسام آمون فى « مكان الصدق » « نب رع » المرحوم ابن الرسام فى مكان الصدق « باى » المرحوم باسم سيده « آمون » رب طيبة الذى يأتى عند سماع صوت المتواضع .

لقد وضع الأناشيد باسمه .

بسبب عظم قوته :

وقدّم التضرعات الخاشعة أمامه .

أمام كل الأرض .

لأجل الرسام « نخت آمون » المرحوم .

الذى رقد مريضا حتى الموت .

والذى كان فى قبضة سلطان « آمون » بسبب إثمه .

وقد وجدت أن رب الآلهة قد أتى مثل النسيم ، والرياح الجميلة أمامه بغية أن يشفى «نخت آمون» رسام الإله « آمون» المرحوم ابن رسام « آمون» فى مكان الصدق « نب رع » المرحوم وهو الذى وضعته السيدة «بشد» المرحومة فيقول :

" على الرغم من أن الخادم كان ميالا لفعل الشر .

فإن الرب كان مهيأ ليكون رحيما .

ولن يمضى رب «طيبة» يوما كاملا فى حنق .

إذ أن حنقه ينصرف فى لحظة ولا يبق منه شىء .

ويعود الهواء ثانية برحمته .

ويعود « آمون » بهوائه .

وبحياة روحك كن رحيما !

وليت ما قد أبعد لا يعود" !

وعلى ذلك قال الرسام فى « مكان الصدق » نب رع المرحوم :

" سأقيم هذا التذكار باسمك .

وأضع لك هذه الأنشودة مدونة عليه .

لأنك شفيت لى الرسام « نخت آمون » .

وهكذا قلت أنا وقد أصغيت لى .

فاعلم الآن أنى أنفذ ما قد قلته .

وأنك رب من يناديك .

مرتاح فى الصدق يا رب «طيبة» " .

وهكذا صار إله الشمس أو«آمون» الذى يقوم مقامه لأنه يسمى كذلك « آمون رع» ملاذ المحزونين ، و يسمع الشكوى ، ويجيب دعاء من يستغيث به ، وهو الذى يجيب دعوة الداعى إذا دعاه ، وهو الذى يقبل صلاة المصلين و يمدّ يده إلى الفقير والمعتر و يشفى المريض و يعفو عن المذنب .

والواقع أن العدالة الاجتماعية التى أنتجتها الثورة الاجتماعية فى العهد الإقطاعى كانت آنئذ حقا يدافع عنه كل فقير أمام الإله الذى صار هـو نفسه قاضيا عادلا لا يقبل رشوة ، رافعا من شأن الحقير ، وحاميا الفقير ، غير باسط يده للغنى .

ولدينا نص يحدّثنا عن ذلك فاستمع لمـا جاء فيه (١) : "يا «آمون» أعر أذنك فردا واقفا وحده فى المحكمة (خصمه) غنى ، والمحكمة تظلمه بالفضة والذهب إلى كاتب الحساب والملابس إلى الحجاب (هذه هى الرشوة التى يطلبونها) ، غير أنه عرف أن « آمون » يحوّل نفســه إلى وزير (وكان يعدّ القاضى الأعلى) ليجعل الرجل الفقير ينتصر . وقد وجد أن الرجل الفقير قد أنصف وأن هذا الفقير قد تفوّق على الغنى ، أنت يأيها النوتى الذى يعرف المـاء ! «آمون» يأيها المجداف المحرك ... الذى يعطى الخير من ليس عنده وكذلك يغذى خادم بيته . إنى لا أتخذ عظيما ليحمينى فى كل ... إنى أعرف واحدا قويا ، و إنه لخـادم قوى الساعد ، وهو وحده القوى . أنت يا « آمون » الذى يعرف الخير (؟) أنت ... ... من يناديه «آمون» يا ملك الآلهة أنت أيها الثور القوى الساعد ومحب القوة" .

ومن هـذا النص نفهم أن كلا من الغنى والفقير يحيـق بهما غضب الإله على السواء إذا وقعت منهما خطيئة .

وكذلك نجد أن اليمين الذى يصـدر استخفافا أو كذبا يجلب غضب الإله إذ يصيب الحانث المرض أو العمى وذلك لا يمكن النجاة منه إلا إذا أتبع الإنسان ذلك بالتوبة والندم ثم التجأ إلى التذلل والخضوع ليحوز عطف إلهه .

---

(١) راجع : Pap. Anastasi. II; 8, 5. ff.

ولدينا الأمثلة الكثيرة على ذلك . ففى « المتحف البريطانى » لوحة لشخص يدعى « نفرابو » قدّمها للإله « بتاح » جاء على أحد وجهيها ما يأتى[١] :

" إهداء الحمد « لبتاح » رب الصدق وملك الشاطئين .

جميـل الوجه الذى على عرشه العظيم ، والإله الواحد بين التاسوع ، والمحبوب بوصفه ملك الأرضين .

ليته يمنح الحياة والفلاح والصحة والذكاء والحظوة والحب .

وليت عينى ترى « آمون » كل يوم (يقصد الشمس) .

كما يعمل لرجل عادل .

يضع « آمون » فى قلبه .

و بذلك يكون الخادم فى « بيت الصدق » « نفرابو » منتصرا " .

وعلى ظهر نفس اللوحة نقرأ :

هنا يبتدئ الاعتراف بقوة «بتاح» القاطن جنوبى جداره من الخادم فى « بيت الصدق » فى غربى «طيبة» المسمى «نفرابو» المرحوم فيقول :

"إنى رجل قد حلف كذبا بالإله « بتاح » رب الصدق .

ولذلك جعلنى أرى ظلاما خلال النهار .

و إنى سأعلن قوته لمن لا يعرفه ولمن يعرفه .

واحذروا « بتاح » رب الصدق .

فإنه لن يترك جانبا موتى أى رجل .

فاعرضوا عن النطق باسم « بتاح » كذبا .

تأمل فإن من ينطق به بهتانا

يسقط فى الهـاوية .

فقد جعلنى مثل كلاب الشارع .

---

(١) راجع (J. F. A. Vol. III, p. 88).

وقد كنت فى قبضته .

وقد جعل الناس والآلهة ينبذوننى .

بوصفى رجلا قد أذنب فى حق سيده .

وقد كان « بتاح » رب الصدق عادلا معى .

وعندما عاقبنى .

فكن رحيما بى وانظر إلىّ لترحمنى ! " .

ومن هذا نجد لأول مرة أن الوعى قد تحرّر تماما لأن المخطئ يعتذر عن جهله وارتكابه للإثم . و يدل على ذلك فضلا عما ذكرنا أنشودة استغفار للإله « رع »(١) إذ يقول المذنب : " أنت أيها الواحد الأحد ، لا أحد غيره ، يا حامى آلاف الآلاف ، ومخلص من يناديه ، يا رب عين شمس لا تعاقبنى من أجل ذنوبى الكثيرة ، إننى شخص لا يعرف نفسه (؟) و إننى رجل لا عقل له إذ أتبع فى طول اليوم كالثور الذى تبع علفه ... " .

ومما تجدر ملاحظته هنا على الفور المقابلة الظاهرة بين ذلك الاعتراف وما جاء فى « كتاب الموتى » الذى لايعترف فيه الروح بأى خطيئة بل يدعى البراءة التامة من كل الآثام الإنسانية ، ولكن هذا الموقف الذى يعترف فيه الإنسان بخطيئته مع التذلل والخضوع والمسكنة لأكبر دليل على وجود اتصال بين العبد وربه آناء الليل وأطراف النهار .

وكما أننا نجد العبرى التقى يحب بيت المقدس ، والمسلم الورع يتجه بقلبه إلى الكعبة بمكة ، كذلك كان المصرى القديم يولى وجهه شطر مدينة عين شمس العظيمة التى نشأ منها مذهب آبائه منذ أقدم العهود فاستمع لأحد الأفراد وهو يقدم صلاته للإله « رع » موليا وجهه شطر عين شمس إذ يقول :

---

(١) راجع : Pap. Anastasi IV, 10, 5 ff.

"تعال إلىّ يا «رع حور أختى» لترشدنى، إنك أنت الفعال وليس أحد سواك يفعل شيئا إنك أنت فحسب الذى يفعل كل شىء .

تعال إلىّ يا «آتوم» ... إنك أنت الإله السامى ، وإن قلبى يتطلع نحـو عين شمس، ونفسى سعيدة ولبى منشرح .

إن التماساتى تسمع وكذلك تضرعاتى اليومية (لديك) ، وإن صلواتى بالليـل وأدعيتى التى لا ينفك فمى يرددها تسمع اليوم" (١) .

فنجد فى تلك الأناشيد القديمة التى كانت فى الواقع تتألف من أوصاف ظاهرة ومقتبسات من الأساطـير ومن إشارات إلى حوادث خرافية عتيقـة ، وكلها أمور خارجية بالنسـبة لحياة المتعبد ، إنه كان فى مقـدور كل إنسان أن يؤدى نفس الصلاة غير أن هذه الصلاة صارت وقتئذ بمثابة محاسبة باطنية، أى أنها كانت تعبيرا يقصد به الاتصال المباشر الذاتى بين العبد وربه ، وهذا الاتصال هو الذى يرى فيه العبد أن ربه واحد يغذى روحه كما يغذى الراعى قطعانه فنجد مثلا لذلك فيما يأتى :

" يا «آمون» أنت يا مخرج القطعان فى الصباح .
ومرشد المتألم إلى المرعى .
وكما يقود الراعى القطعان إلى المرعى تفعل فأنت كذلك .
يا «آمون» ارشد المتألم إلى الطعام لأن «آمون رع» .
يرعى من يتكل عليه .
يا «آمون رع» إنى أحبك وقد ملأت قلبى بك .
وستنجى من أفواه الناس فى اليوم الذى سيفترون فيه علىّ الكذب .
لأن رب الحق يعيش فى الحق .
وإنى لن أستسلم للخوف الذى فى قلبى .
لأن ما قاله «آمون» فيه فلاح " .

(١) راجع : Pap Anastasi II, 10. 1 ff.

فهرس الموضوعات

تمهيد

عصر « رعمسيس الثانى »
الأسرة التاسعة عشرة

رعمسيس الثانى :

تل الربع (منديس) — ٤٠٨ بهبيت الحجارة — ٤٠٨ تل المقدام — تل طنبول — دنديت — بلجاى (تل أم حرب) — ٤٠٩ البرنوجى — كوم فرين — كوم القلزم — ٤٠٩ تل المسخوطة — ٤١٠ الكبريت — ٤١١ تل رطابة — ٤١١ تل اليهودية — مسطرد — بهتيم — ٤١٢ منطقة هليوبوليس — ٤١٢ منشية الصدر — تل الحصن — ٤١٣ الجيزة — ٤١٤ بنها — ٤١٤ القاهرة — ٤١٧ أهناسيا المدينة — ٤١٨ كوم العقارب — طهنا الجبل — ٤١٨ الأشمونين — ٤٢١ الشيخ عبادة — الشيخ سعيد — ٤٢١ أسيوط — ٤٢١ المطمر — طوخ (نبت) — قفط — ٤٢٦ نجع المدمود — أرمنت — ٤٢٧ الكاب — الحمام — جبل السلسلة — ٤٢٨ جزيرة الفنتين — أسوان .

٤٢٩ تماثيل رعمسيس الثانى .

٤٣٠ أسرة رعمسيس الثانى :

٤٣١ زوجاته — الملكة «نفرتارى مرنموت» — ٤٣٤ الملكة «إست نفرت» — ٤٣٧ الملكة « سات نفرورع » — الملكة « توى » .

٤٣٧ أولاد « رعمسيس الثانى » الذكور — ٤٣٨ «آمون حرخبشف» — ٤٣٩ الأمير « رعمسو » — ٤٤٠ الأمير « بارع حرأمنف » — ٤٤١ الأمير « خعمواست » وآثاره — ٤٤٧ الأمير « منتوحرشف » — الأمير « نب انخارو » — الأمير «مرى آمون» — ٤٤٨ الأمير « آمون مويا » — ٤٤٨ الأمير « سيتى » — الأمير « ستبن رع » — الأمير « رع مرى » — الأمير «مرنبتاح» — ٤٤٩ الأمير «أمنحتب» — الأمير «آتف آمون» — الأمير « مرى آتوم » — الأمير « حبن تانب » — الأمير « مرى رع » — ٤٥٠ الأمير «أمنابت» — الأمير «سنختن آمون» ٤٥٠ — الأمير «رعمسيس مرن آمون» — الأمير « تحتمس » — الأمير « سمنتو » — الأمير «ست حرخبشف» — الأمير «رعمسو وسربحتى » — الأمير « أنوب إرخو » — الأمير « رعمسو مرت ماعت رع » ... الخ

٤٥١ بنات رعمسيس الثانى :

٤٥٢ الأميرة « بنت عنتا » — ٤٥٤ الأميرة « باكوت » — الأميرة «مريت آمون» — ٤٥٥ الأميرة « بيكاى » — الأميرة « نفرتارى » — الأميرة « نبت تاوى » — الأميرة « إست نفرت » — ٤٥٦ الأميرة «حنت تاوى» — الأميرة « ورنرو » — والأميرة «نزم موت» ... الخ

٥١٣ كهنة أوزير فى « العرابة المدفونة » وأسرتهم :

١ ونفر — ٢ حورا — ٣ أمنابت — ٤ باسر — ٥ منموس — ٦ بن نسوت توى — ٧ خعمواست — ٨ إزيس — ١٢ حنت محيت — ١٤ أمنانت — ١٥ منموسى — ١٦ أمنانت — ١٧ حاتياى — ١٨ ثاو — ١٩ بياى — ٥١٦ — ٢٠ سونزا — ٢١ حنت محيت — ٢٢ و ياى — ٢٣ نفرتارى — ٢٥ نفرتارى — ٥١٨ يويو (الكاهن الأوّل لأوزير) — ٥١٩ ونتفر الثانى (الكاهن الأوّل لأوزير) .

٥١٩ إخوة وأخوات ونتفر (الكاهن الأوّل لأوزير) — ٥٢٣ سا أست (الكاهن الأوّل لأوزير) — نبناعت (كاهن تاور) — تورى (مدير بيت أوزير) — ٥٢٣ منت (رئيسة حريم إزيس) .

٥٢٣ كهنة الإلهين موت وخنسو — ٥٢٤ كهنة الإله أنحور .

٥٢٤ كهنة الإله بتاح — ٥٢٤ حسوى (الكاهن الأكبر فى منف) — ٥٢٥ بتاح معى (رئيس الكهنة المطهرين للاله بتاح) — بتاح مس (المدير العظيم للبيت) — بتاح مس (حارس معبد بتاح) — نحتسو (المشرف على مخازن بتاح) — نفر رنبت (المشرف على مخازن بتاح) — بتاح مس (الكاهن الأكبر لبتاح العظيم) — ٥٢٧ تحتمس (المرتل الأوّل فى بيت التحنيط) — ريا (المرتل والمحنط فى البيت الجميل) — ٥٢٨ بتاحى (الكاهن المطهر فى البيت الجميل) — رعمسيس (تحتمس) (المرتل الأوّل فى بيت التحنيط) .

٥٢٨ كهنة الإله مين :

٥٢٨ حورنخت — ماعت روع

٥٢٨ جبانة خدّام مكان الصدق — كاسا — بنبوى .

٥٣١ وازمس — رعمسيس الكاتب فى مكان الصدق — ٥٣٢ نفر حتب (رئيس العمال فى مكان الصدق) — ٥٣٢ نب نفر (المشرف على العمال فى مكان الصدق) — قن (نحات آمون فى مكان الصدق) — ٥٣٤ حوى نفر (الخادم فى مكان الصدق) .

٥٣٤ إبى نحات آمون ٥٣٤ — ٥٥٠ وصف مقبرته — ٥٥٠ بامنو (المثال الأوّل) — أمنحتب (سائق عربة جلالته وأسرته) — بتاح مويا (المشرف على الاصطبلات الملكية) — ٥٥١ باك عا (رئيس الاصطبل) — أمنابت (رئيس الاصطبل) — ثاثا (رئيس الاصطبل وابن الوزير باسر) — باك (العائق الأوّل لجلالته) — حود (رئيس اصطبل مقرّ الفرعون)

٥٥٢ باكن آمون (المشرف على الخيل وأسرته) — حج (سائق جلالته الوحيد ورسول الملك لكل أرض) — مرنبتاح (سائق الفرعون وكاتب الملك) — ٥٥٣ نخت مين (رسول الملك فى كل أرض أجنبية) — من خبر (رسول الملك الى كل أرض أجنبية ورئيس الخيل لرب الأرضين) — نزم (المشرف على أسفار الفرعون) — مرى آتوم (وكيل اصطبل رب الأرضين) — حوى (مدير أعمال كل آثار جلالته) — نس حتب (القائد الأعلى لجيش رب الأرضين) — ٥٥٤ نخت مين (رئيس الرماة) — أنحرنخت (رئيس الرماة وحامل المروحة) — من مس (حامل المروحة) .

٥٥٥ **كتاب الفرعون** : خعى (كاتب الفرعون ومحبوبه) — ونفر (كاتب الفرعون الأول) — باخس (كاتب الفرعون والمشرف على المالية) — ٥٥٦ من مس المسمى كانرا (كاتب الفرعون ورئيس الأسرار على الأرض وفى العالم السفلى) — حم (كاتب الملك ومدير البيت) — أمنأبت (كاتب الملك) — تحوتى محب (كاتب الملك) — ثيا (كاتب الفرعون الحقيق المحبوب) — ٥٥٧ سا إست (كاتب الفرعون والمشرف على غلال الوجه القبلى والوجه البحرى) — بياى (كاتب الفرعون والمستشار والمشرف على الخاتم) — مرى بتاح (كاتب الوثائق الفرعونية) — ٥٥٨ سارى (كاتب الفرعون) — بياى (كاتب الفرعون والكاهن المرتل الأول) — ٥٥٩ باخبرى خع (كاتب مائدة الفرعون) — بن نستاوى (كاتب مائدة نائب كوش) — كانا (الكاتب المشرف على عبيد رب الأرضين) — ٥٦٠ خعمأبت (كاتب كتاب الإله لرب الأرضين) — حورا (كاتب الخزانة) — رعمسيس نختو (كاتب قوائم الجنود) — حورمين (كاتب القصر) — باسحاتا (كاتب المعبد) — أمنأبت (كاتب وثائق الفرعون) — أمنمس (الكاتب الملكى لمائدة رب الأرضين) — ٥٦١ وررشبو (الكاتب الملكى ومدير البيت) — أمنمحب (كاتب المائدة الملكية) — برى نفر (كاتب المائدة الملكية) — ٥٦٢ مرى بتاح — نفرحر (كاتب وثائق القصر) — بنتاور (كاتب ملحمة رعمسيس) — أمنويا (كاتب رب الأرضين) — ٥٦٣ حورنخت (الكاتب) — وسرماعت رع (الكاتب الذى يدون لرب الأرضين) — نفرحتب (كاتب مائدة رب الأرضين وأسرته) — ٥٦٤ بامعى (كاتب المائدة) — خعمواست (كاتب العمال) — باك ور (الحارس الأول لمخزن الغلال) — أمنمس (رئيس العمال) — معى (المشرف على العمال) — ٥٦٥ تونورى (المشرف على أعمال كل أثر ملكى) — ٥٦٦ أمنأبت (مدير الأعمال فى البرجين) — رعمسيس عشا وحب (مهندس بناء معبد بوسمبل) — بنرمر (المشرف على الخزانة) — رعمسيس وسرحرخبش (المشرف العظيم

الأشـــكال الإيضاحية والخــرائط

فهرس الأعلام والآلهة والأماكن وغيرها

(أ)

(ب)

(ث)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ن)

(هـ)

ملاحظة : كتبت بعض الأعلام فى صلب الكتاب مغلوطة فصححناها فى الفهرس ، هذا إلى أنه اكتفى بكتابة معظم الأعلام العامة .

مختصر المصادر الأفرنجية

List of Abbreviations

A. A. S. O. R. = "Annual of the American Schools of Oriental Research". (New-York, 1920 —).

A. J. S. L. = "The American Journal of Semetic Languages and Literatures". (Chicago, 1884 —).

Albright = From the Stone Age Mo Christianity.

Am. = Knudtzon, "Die El-Amarna Taflen". (Leipzig, 1907—1915).

Arundale and Bonomi, "Gallery".=Arundale and Bonomi, "Gallery of Antiquities Selected from the British Museum". (London).

A. S. = Annales du Service des Antiquities de l'Egypte". (Cairo, 1901 —).

A. Z. = "Zeitschrift für Agyptische Sprache und Altertumskunde". (Leipzig, 1863 —).

Baikie, "History". = Baikie, "A History of Egypt". (London, 1929).

B. A. S. O. R. = "Bulletin of Schools of Oriental Research". (South Hadly, Mass., 1919).

Benson and Gourlay, "Temple of Mut". = Benson and Gourlay, "The Temple of Mut in Asher". (London, 1899).

B. I. F. A. O. = "Bulletin de l'Institut Française d'Archeologie Orientale". (Cairo, 1901 —).

Birch, "Pottery". = Birch, "History of Ancient Pottery, Egyptian, Assyrian, Greek, Etruscan and Roman". (London, 1858).

Bisson de la Roque, "Medamoud". = Bisson de la Roque, "Les Fouilles de Medamoud", (Cairo).

Boeser, "Leyden". = Boeser and Holwerda, "Beschreibung der Aegyptischen Sammlung des Niederlandischen Reichmuseums der Altertumer in Leiden". (Copenhagen, 1908 — 1918).

Borchardt, "Statuen". = Borchardt, "Statuen und Statuetten von Konigen und Privalueten". Catalogue General des Antiquities Egyptien du Musee du Caire, (Berlin, 1911 — 1925).

Breasted, A. R. = Breasted, "Ancient Records of Egypt." (Chicago, 1906 - 7).

Brugsch, "Thesaurus" =Brugsch, "Thesaurus Inscription um Aegyptiacarum". (Leipzg, 1883 - 1891).

Brugsh, "Recueil". = Brugsch and Dumichen, "Recueil de Monuments Egyptiens". (Leipzig, 1865 - 1885).

Budge. "Guide". = Budge, "A Guide to the Egyptian Collections in the British Museum". (London, 1909).

Budge, "Sculpture". = Budge, "A Guide to the Egyptian Galleries (Sculpture)", (London, 1909).

Budge, "The Book of Kings". = Budge, "The Book of the Kings of Ehypt". (London, 1908).

Budge, "History". = Budge, "A History of Egypt from the End of the Neolithic Period to the Death of Cleopatra VII, B. C. 30". (London, 1902).

Champollion, "Notices". = Champollion, "Notice Descriptive des Monuments Egyptiens du Musee Charles X." (Paris, 1827).

Champollion, "Letters". = Champollion, "Letters à M. le Duc de Blacas d'Aulps relatives au Muse Royal de Turin". (Paris, 1824).

Coregency of Ramses II. = Coregency of Ramses II with Seti I and The Date of The Great Hypostyle Hall at Karnak, By Kieth C. Seele.

Davis, "Tomb of Hatshepsut". = Davis, "Excavations at Biban el Moluk. The Tomb of Hatshepsut". (London, 1906).

Evans, "Palace of Minos". = Evans, "The Palace of Minos at Knossos". (London, 1921).

Fraser, Coll. = Fraser, "A Catalogue of the Scarabs Belonging to G. Fraser", (London, 1900).

Gardiner, "Onomastica". = Gardiner, "Ancient Egyptian Onomastica", (Oxford, 1947).

Gardiner and Peet, "Sinai". = Gardiner and Peet, "The Inscriptions of Sinai". (London, 1917).

Gardiner and Weigall, "Catalogue". = Gardiner and Weigall, "A Topographical Catalogue of the Private Tombs of Thebes". (London, 1913).

Gauthier, "Dict. Geog". = Gauthier, "Dictionnaire des Nom Geogradhiques Contenus dans les Textes Hieroglyphiqnes". (Cairo, 1925).

Grifith, Kahun Papyri". = Griffith, "Hieratic Papyri from Kahun and Gurob". (London, 1898).

Hall, "Catalogue of Scarabs". = Hall, "A Catalogue of Scarabs in the British Museum". (London, 1913).

Hall, "Ancient History". = Hall, "The Ancient History of the Near East". (London, 1920).

J. E. A. = "The Journal of Egyptian Archaeology". (London, 1914 — 1947).

J. P. O. S. = "The Journal of the Palestine Oriental Society", (1923 —).

Keith, Seele = Coregency: The Coregency of Ramses II, With Seti I and the Date of the Great Hypastyle Hall at Karnak.

Helk = Hans Wolfgang Helk; Der Einfluss Militarfuhrer In der 18 Agyptischen Dynastie.

Lanzone, "Cat. Turin". = Lanzone, "Catalogo generale dei Musei di antichita: Regio Museo di Torino".

L. D. = Lepsius, "Denkmaler aus Aegypten und Aethiopien. (Berlin, 1894).

Legrain, "Statues". = Legrain, "Statues et Statuettes de Rois et de Particuliers" Catalogue General des Antiquities Egyptiens du Musee du Caire. (Cairo, 1906 — 1914).

Legrain, "Repertoire". = Legrain, "Repertoire Geneologique et Onomastique du Musee Egyptien du Caire". (Geneva, 1908).

Lepsius, "Auswahl". = Lepsius "Auswahl der wichtigsten Urkunden des agyptischen Altertums" (Leipzig, 1842).

Lepsius, "Letters". = Lepsius, "Letters from Egypt, Ethiopia and the Peninsula of Sinai". (London, 1853).

Lieblien, "Dict. Noms". = Lieblien, "Dictionnaire des Noms Hieroglyphiques en Ordre Genealogique et Alphabetique". (Christiania, 1871).

Macalister, "Gerza". = Macalister, "The Excavation of Gerza". (London, 1912).

Mariette, "Abydos". = Mariette "Catalogue General des Monuments d'Abydos Decouverts pendant les Fouilles de cette Ville". (Paris, 1880).

Mariette, "Abydos II.". = Mariette, "Abydos. Description des Fotilles Executees sur l'Emplacement de cette Ville" (Paris, 1869 - 1880).

Mariette, "Monuments". = Mariette, "Monuments Dilers Recueilles en Egypt et en Nubie". (Paris, 1889).

Maspero, "Bib. Egypt". = Maspero, "Bibliotheque Egyptologique", OVII. (Paris, 1904).

Maspero, Temples Immerges". = Maspero, "Les Temples Immergés de la Nubie Rapports relatifs a la Consolidation des Temples". (Cairo, 1909 - 1911).

Maspero, "Guide". = Maspero, "Guide du Visiteur au Muse du Caire". (Cairo, 1915).

Maspero, "Momies Royales". = Maspero, "Les Momies Royales de Deir el Bahari". (Paris, 1889).

Maspero, "Melanges d'Arch". = Maspero, "Melanges d'Archeologie Egyptien".

Massi, "Description". = Massi, "Description des Musees de Sculpture Antique Greque et Romaine. Musee du Vatican". (Rome, 1891).

Mem. Miss. Franç. = Memoires Publiés par les Membres de la mission Archeologiques Française au Caire.

Mercer, "Amarna". = Mercer, "The Tell el Amarna Tablets". (Toronto, 1939).

Meyer, "Gesch". = Meyer, "Geschichte des Altertums". (Stuttgart, 1928).

Meyer, "Hist. de l'Antiq." = Meyer, "Histoire de l'Antiquite". (Paris, 1912 - 1926).

M. M. A. = "The Bulletin of the Metropolitan Museum of Art". (New York, 1909).

Morgan (De), "Cat. Mon.".=Morgan (De), "Catalogue des Monuments et Inscriptions de l'Egypte Antique". (Vienna, 1894-1909).

Murray, "Handbook". = Murray, Handbook for Travellers in Egypt". (London, 1880).

Newberry, "Timins Collection". = Newberry, "The Timins Collection of Ancient Egyptian Scarabs and Cylinder Seals". (London, 1907).

O. I. P. = "The Chicago University. The Oriental Institute. The Oriental Institute Publications". (Chicago, 1924 —).

"Paintings". = Davies, Paintings from the Tomb of Rekh-mi-Re at Thebes". (New York, 1935).

Petrie, "Scarabs".=Petrie, "Scarabs and Cylinders". (London, 1917).

Petrie, "Six Temples". = Petrie, "Six Temples at Thebes, 1896". (London, 1897).

Petrie, Illahun". = Petrie, "Illahun, Kahun and Gurob" (London, 1890).

Petrie, "Hist. Scarabs". = Petrie, "Historical Scarabs". (London, 1927).

Petrie, History". = Petrie, "A History of Egypt". (London, 1927).

Petrie Season". = Petrie, "A Season in Egypt, 1887". (London, 1888).

Petrie "Kahun". = Petrie, "Kahun, Gurob and Hawara". (London, 1890).

Petrie "H. I. C.". = Petrie, "Hyksos and Israelite Cities". (London, 1906).

P, E. F. Q. S. = "The Palestine Exploration Fund Quarterly Statement". (London, 1869 —).

Piehl, "Recueil". = Piehl, "Inscriptions Hieroglyphiques recueillies en Europe et en Egypt". (Stockholm, 1886 - 1903).

Pierret, "Rec. d'Inscriptions". = Pierret, "Recueil d'Inscriptions Inedites du Musee Egyptien du Louvre". (Paris, 1874 - 1878).

Porter and Moss, "Bibliography I". = Porter and Moss, "Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Inscriptions, Texts, Reliefs and Paintings", I. "The Theban Necropolis". (Oxford, 1921).

Porter aud Moss, "Bibliography II". = "The Theban Temples". (Oxford, 1929).

Porter and Moss, "Bibliography III". = "Memphis" (Oxford, 1931).

Porter and Moss, "Bibliography IV". = Lower and Middle Egypt. (Oxford, 1934).

Porter and Moss, "Bibliography V". = Upper Egyptian Sites". (Oxford, 1937).

P. S. B. A. = "The Proceedings of the Society of Biblical Archaeology". (London, 1879 — 1918).

R. E. A. = "Revue de l'Egypte Ancienne". (Paris, 1929).

Rec. Trav. = "Recueil de Travaux Relatifs à la Philologie et a l'Archeologie Egyptiennes et Assyriennes". (Paris, 1870 - 1923).

Rev d'Arch. = "Revue d'Archeologie".

Rouge (De), "Monuments". = Rouge (De), "Notice des Monuments Exposés dans la Galerie d'Antiquties Egyptiennes au Musee du Louvre. (Paris, 1885).

S. A. O. C. = "Chicago University. The Oriental Institute. Studies in Oriental Civilization". (Chicago, 1931 —).

Schafer. "Aeg. Insch. Berlin". = Schafer, "Aegyptische Inschriften aus den Koniglichen Museen zu Berlin". (Leipzig, 1924).

Schiaparelli, "Catalogue". = Schiaparelli, "Catalogo Generale dei Musei di Antichita di Firenze". (Rome, 1887).

Sethe, "Das Hatschepsut-Problem". = Sethe, "Das Hatschepsut-Problem noch Einmal Untersucht". (Berlin, 1932).

Sethe, "Untersuchungen". = Sethe, "Untersuchungen zur Geschichte und Altertumskunde Aegyptens". (Leipzig, 1896-1917).

Sethe, "Urkunden IV,or Urk. IV". = Sethe, "Urkunden des Agyptischen Altertums". (Leipzig, 1906—1914).

Sethe, "Pyramidentexte". = Sethe, "Die Altagyptischen Pyramidentexte" (Leipzig, 1908 - 1922).

Sethe, "Achtung". = Sethe, "Die Achtung feindlicher Fursten - Volker und Dinge auf altagyptischen Tongeffasscherben des Mittleren Reiches". (Preussische Akademie der Wissenschaften Philos - Hist. Klass, 1926),

Sharpe, "Inscriptions". = Sharpe, "Egyptian Inscriptions". (London, 1837 - 1855).

V. S. = Vorderasiatische texte. Berlin.

W. B. = Erman and Grapow, "Wörterbuch der Aegyptischen Sprache". (Leipzig, 1925).

Weigall, "Guide". = Weigall, "A Guide to the Antiquities of Upper Egypt". (London, 1913).

Weigall "History". = Weigall, "A History of the Pharaohs" (London, 1925).

Weigall, "Lower Nubia". = Weigall, "A Report on the Antiquities of Lower Nubiain 1906 - 1987". (Oxford, 1907).

Weil, "Veziere". = Weil, "Die Veziere des Pharaonenreiches". (Leipzig, 1908).

Wiedemann, "Geschichte".=Wiedemann, "Agyptische Geschichte". (Gotha, 1884).

Wiedemann, "Kleinere Agypt. Insc.". = Wiedemann. "Kleinere Inschriften aus der XIII - XIV Dynasie". (Bonn, 1891).

Wilkinson, "Thebes". = Wilkinson, "Topography of Thebes and General View of Egypt". (London, 1835).

Winlock, "Dier el Bahri". — Winlock, "Excavations at Dier el Bahri". (1943).

Wreszinski, "Atlas". = Wreszinski, "Atlas zur Altagyptishen Kulturgeschichte", (Leipzig, 1923—1936)

W. D. V. O. G. = "Deutsche Orient-Gesellschaft, Berlin Wissenschaftliche Veroflentlichungen". (Leipzig, 1900—).

كتب للمؤلف

بالعربيـــة :

(١) مصر القديمة : الجزء الأول فى عصر ما قبل التاريخ إلى نهاية العهد الإهناسى .

(٢) مصر القديمة : الجزء الثانى فى مدنية مصر وثقافتها فى الدولة القديمة والعهد الإهناسى .

(٣) مصر القديمة : الجزء الثالث فى العصر الذهبى فى تاريخ الدولة الوسطى ومدنيتها وعلاقتها بالسودان والأقطار الأسيوية ولوبيا .

(٤) مصر القديمة : الجزء الرابع فى عهد الهكسوس وتأسيس الإمبراطورية .

(٥) مصر القديمة : الجزء الخامس فى السيادة العالمية والتوحيد ويبحث فى علاقات مصر مع ممالك آسيا وسيادة مصر عليها ، وأول عقيدة للتوحيد بالله .

(٦) عصر رعمسيس الثانى وقيام الأمبراطورية الثانية .

(٧) جغرافية مصر القديمة : (محلاة بإحدى وأربعين خريطة) .

(٨) الأدب المصرى القديم أو أدب الفراعنة : الجزء الأول فى القصص والحكم والتأملات والرسائل .

(٩) الأدب المصرى القديم أو أدب الفراعنة : الجزء الثانى فى الدراما والشعر وفنونه .

(١٠) تاريخ مصر من الفتح العثمانى إلى قبيل الوقت الحاضر : بالاشتراك مع عمر الاسكندرى .

(١١) تاريخ أوربا الحديثة وحضارتها : (جزءان) بالاشتراك مع عمر الاسكندرى .

(١٢) صفوة تاريخ مصر والدول العربية : (جزءان) بالاشتراك مع عمر الاسكندرى والشيخ أحمد الاسكندرى .

(١٣) تاريخ دولة المماليك فى مصر : (تعريب) بالاشتراك مع محمود عابدين .

(١٤) ديانة قدماء المصريين : (تعريب) .

(١٥) صفحة من تاريخ محمد على : (تعريب) بالاشتراك مع طه السباعى .

بالفرنسية :

(1) "Hymnes Religieux du Moyen Empire"; 199 pages (1928, Cairo).

(2) "Le Poeme dit de Pentaour et le Rapport Officiel sur la bataille de Qadesh". 162 plaies. Université Egyptienne, Faculté des Lettres. (1929, Cairo).

بالإنجليزية :

(3) "Excavations at Giza", Vol. I. (1929)-1930); 119 pages, 81 plates, 187 illustrations in the text, Plan (Oxford, 1932).

(4) "Excavations at Giza", Vol II. (1930-1939); 225 pages, 83 plates, 251 illustrations in the text, 2 plans (Cairo, 1936).

(5) "Excavations at Giza", Vol. III. (1931-1932); 229 pages, 71 plates, 227 illustrations in the text, 2 plans (Cairo, 1941).

(6) "Excavations at Giza". Vol. IV, (1932 - 1833); 218 pages, 62 plates, 159 illustrations in the text, 3 Plans (Fourth Pyramid) (Cairo, 1943).

(7) "Excavations at Giza", Vol. V. (1933 - 1934); 325 pages, 79 plates, (3 coloured), 169 illustrations in the text, 2 plans (Cairo, 1944).

(8) Excavations at Giza", Vol. VI, Part I, The Solar Boats. (1934 - 1935); (Cairo, 1947).

(9) Excavations at Giza", Vol. VI, Part II, The Offering-list in the Old Kingdom 504. pages, 174 Plates, and numerous illustrations in the text, (Cairo, 1948).

(10) "Excavations at Giza", Vol. VI, Part III, A Description of the Mastabas and their Contents, (in the Press).

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩٢/٧٥٧٠

ISBN 977- 01- 3130- X